45
2
5
1
1
2 6
80

42
6
252

صحيفة

صحيفة

صحيفة

انتهت

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خير الأخيار السر الساري
نوره في جميع الأكوان وعلى آله وأصحابه بدور الأقطار القائمين بتعظيم الجناب
المنزه عن كل لسان

يقول المتوسل بالرسول الماحي . أحمد بن عبد المولى العلمي البلاجي
نحمدك اللهم على ما شرحت من صدور وأفئدة ومنحت من تيسير وفوائده
وقضيت من تسهيل جميل وأنعمت من فهم جليل وعلمت من علم جزيل وجليت من
عرائس البيان ونفثت بسر التبيان ونفثت من زهر الأفكار في حدائق بدائع وذات
فنون وعيون فنون وأشرقت من أسرار بالإضمار ما استودع في الإنسان من
لطائف حكم حسان ومواهب العلام كالأقمار ونشكرك على ما أبرزت للوجود
بمحض الكرم والجود من ذخائر علوم تقتنى وفوائد آداب تجتنى وقلائد
كنيل المنى وكم من نوادر وأخبار وكم من تشتمل في كل مضمار وأمثال سائرة
والشعر الذي في البلاغة نامية وناثره وبدائع أقلام لعقود البراعة
ناشرة وكم وكم مما لا يحصى من منثر متكاثره ونصلي ونسلم على سيدنا محمد
ينبوع الحكمة الناطق بجوامع الكلم في المعاني الجمة المعرب عن ضروب الفصاحة
ببديع لفظه المتفنن في أساليب البلاغة في خطبه وحديثه وعلمه الأمر
بما يعود نفعه دنيا وأخرى القائل إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا وعلى
آله وأهل بيته الكرام بررة وأنصاره وصحبه أجمعين وبعد
فمما يتنافس فيه ويختبيه اللبيب ويقتنيه علم الأدب الموصل إلى كل أرب
والاجتهاد في نشره وتدوينه وتفريعه وترصيعه وتزيينه لأنه الجامع
لأشتات العلوم المتكفل بفهم سر ما المكتوم الظافر فيها بسهم وافر الآخذ
من نفيسه بحظ متكاثر فلعمري إنه لكمال شرف الإنسان وعنوان فضل يترجم به
اللسان وشفيع لصاحبه يتوصل به لأي غرض كان وصاحبه للأيمان بارع عند
الافتخار وقد قال من قال وجيبا علموا أولادكم الأدب وقيل الأدب أشرف من
النسب وحيث كان بمنزلة المنابة العليا ونتيجته الصلاح الديني والدنيا قد أكثر
الاعتناء بتفصيله والبحث في بيان إجماله وتفصيله إذ هو كالرمز لعلم الأدوات
المبلغ لكمال الحكمة والأشواق التي توصل للمراد وتجمع غافيتها في المعتاد

ومن أحسن ما نظم فيه أرجوزة العالم النزيه الأديب الإمام النبيه
نابغة وقته وسحبان الفصاحة في أوانه الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الونداني
سقى الله ثراه بغيث الرضى والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان وطرزها
العالم الأمثل المتفنن الذي فضل آداب الوقت على النحرير الشهير عن ذو
الملكة والاقتدار والنيل الكثير وجودة الأشعار البديعة في كل قضية بشرح وفاه
الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن خالد الناصري السلاوي أبقى الله وجوده ومتع
به وسنى سعوده بهذا الشرح العجيب المنوال الغريب الشكل بالأمثال البالغ
الغاية القصوى في التهذيب والترتيب المغني لكل متعشق شيق بهذا وتبر يأتي بعد
الكوكب الوقاد أنجب النجباء لغز جمع فأوعى وأحسن ترتيبا ووضعا وتم
بالحكمة وضعا ما يزلقه تسمع عن وجهه اللثام واعراب بيان يفعله بعض
الختام وتنشرح به بكم منها عن الغبي والانجماع ومعان تعتزهم بها من الأطماع
ويكاد يبوح بسرها ويجاوز بها الأسماع وتبرع بكم سماحتها وملاحتها وما
اختص به من حسن البلاغة قد ما انتظم لذلك من سلك أنفس معانيها وتبيح
عشاقها بسماع تلك أعز معانيها شرح يا له من شرح لو برز قبل هذا الزمان
للعيان لكان رجلا أوحى به ابنه لنعمان أو كان حلية مصوغة لكان تاجا على رأس
كسرى أنوشروان أو كان سيفا صقيلا لتقلده النعمان ويا زيد الأفراد في العرب
والعجم ففيه وفيه مما لا أستوفيه غير أني أقول على لسان فيه

شكلي جميل وأمثل البشر تعشقني	والشمس مني وحسني تذوب والقمر
ومنطقي العذب للألباب مستلب	ومنشئي تفخر به الترك والتتر
وبهجتي زهرة الدنيا وزينتها	والشعر منتظم والنثر والدرر
غريبة تفوح من أزاهير أعبق من	ندّ وأكمل حسني الغنج والحور
لله قلبي من نحوي ومن نحري	ومن مزايا بدا في السمع والبصر
واستتني من بكته أو نيت من فلج	أو يمت جزال عمتك الغم والكدر
في البيت دمي ولا أبغي لذي فرج	نجوا ولو أجمز الداء الشفق والغرر
ألا ليت الحب رفقا بي أودعه	ومن غزا عاشق عمته الغير
عن ذي رفيق ونفس اليمن في خنقي	ومن يميني ينال البذل والنكر

كم من عويص شرحت للصدور وكم — من معضلات أبنت حلها الخطر
لازم فنادقه وافهم ثنا نثره — واسمع مقالته يفشو لك الخبر
مولعا بالحبر في النادي من زمني — حتى ترعرعت ولذ الأثر والسمر
وبالغريب أمير الغير أجمعه — وفي صفات بيان العكر والنكر
كطبع لحيه ورسم الطبع جملني — والوشي من رونق والحلو والطرز
للناظر جامع الناظر الثمر — يحميه من شر ما تخزيه بو الغرر

وبما كان ولدنا كذلك وتعرفنا مننا ذلك وكان هذا الشرح غزالة في حبيس الأدب وهزا تنضيدا في فنه وللألباب جلب وتسلك اليه النجباء عن سماعه من كل حدب وتعبير تعزز نصه ونشرها وتكثير مما حتى يفوح عنهم هنا ولا يكن ذلك الأديب كتبعه ونقلنا باهله لعزيمه فبادر لاغتنام منزلة المزيه واقدام منزلة في فنية الكتب طارب الخير الحبيب الأمير الأغر التاجر الأديب ابن الحاج ادريس ابن جلون تولى الله امره في جميع ما كان ويكون بجلاء بنسخة يتم نشر المتولي في غاية الاتقان وبذل ما يتوقف عليه الطبع اعان وشرع في طبعه على نفقته وذوقه فيم المطبعة الحجرية ذات المحاسن الفاشية العربية المذكور اسمه في أوائل الغنية المتكفل على أهل العلم في مقابلته ومراجعته في طبك السلطان الهمام من سعدت بطلعته الايام وافتخرت بنشر محاسنه المحابر والاقلام ذو العقل الحلم والعزم وغيث الندى ومزارك سليل سلسلة الذهب الإبريز ابو سلطان وابو رابع مولانا عبد العزيز ابن الله في الفتح والنصر رايته وخلد في المعالي فخره وعنايته والحمد لله على الدين وله به شرف المسلمين ويسره لهم ايسر الانام وجعل فرقة على قدم جده سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام آمين وكان ابتداؤه في خامس عشر شعبان الابرك عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف ومن الله الطلب الاعانة على الاتمام وتيسير الاكمال وقبول التمام بجاه سيدنا محمد لبنة التمام ومسكة الختام عليه وعلى آله واصحابه الائمة الى علام افضل الصلاة

والزكى السلام

زهر الأفنان من حديقة ابن الونان

للفقيه العلامة الأديب أبي العباس سيدي
أحمد بن خالد الناصري السلاوي على منظومة
الشيخ العلامة الأديب
البليغ سيدي أحمد بن محمد
الونان رضي
الله
عنه

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان وحباه بالأصغرين القلب واللسان وشرفه بهما على سائر الحيوان وأمده بضروب الإحسان حتى برز في ميادين العرفان فأبدى من غرائب العلوم ودقائق الفهوم ما يبهج حدائق الأذهان ويحل من القلوب العطاش محل الغمض من الأجفان نحمده تعالى ونشكره وهو الكفيل بالزيادة لمن حمد وأدى الشكران ونستعينه جل وعلا ونستقيله ونستغفره وهو أهل الإعانة والإقالة والغفران ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلها عظيما ليس له في ملكه ديار وربا حكيما كل يوم هو في شان وهو الله الحي الدائم الباقي وكل من عليها فان ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله سيد الماضين والآتين والقاصي والدان المبرز في كل فخر والسابق في كل ميدان والآتي من جوامع الكلم وبدائع الحكم بما يزري باللؤلؤ والمرجان والمستمد من علومه الفياضة كل من جاء من ملك وإنس وجان صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وليوث الردى ونقلة السنة وحملة القرآن وسيوف النصر وحتوف العدا وملجإ المفتقر ومنهل الظمآن صلاة وسلاما يتصلان بفضل الله ما اتصلت الأزمان وتكون بهما إن شاء الله من الفزع إذا كنا في الكثيب عشيرا وأسبغ أمان وبعد فيقول مؤلفه أحمد بن خالد الناصري السلاوي غفر الله ذنوبه وستر بمنه عيوبه لا يخفى أن العلم أشرف علق يقتنى وأجل ذخر به يعتنى وأزكى متجر يثابر عليه وأنفع معنى يبادر إليه وأن العلوم وإن كثرت أجناسها وتعددت أنواعها وتباينت أغراضها وتمايزت أوضاعها فمصباح حقيقتها الوقاد

ومما هذا الذي به تنقاد هو علم الأدب الجامع لأشتات محاسن العرب
والتكميل من علوم الشريعة المحمدية بغاية الأرب بل لا يمكن لأحد أن يرشد دونها
الاجتهاد ولا يتأتى التوصل في باب من أبواب الديانة بالمرور على طريقته بين المداد
إلى صراطهما المستقيم والسبب في التكلم إن شاء الله تعالى بنعيمهما المقيم وإن من
أجل ما ألف في هذا الفن الكثير الأفنان الذي لا يختلف في فضله وشرفه اثنان أرجوزة
الأديب الماهر العلامة الهمام أبي العباس أحمد بن محمد الزواوي في بيتي العشرية
المنظومة التي أفرغ ناظمها كنانة الأدب فيها ونثل وسار ذكرها بين طلاب العلم
وزواياه الشغر سير المثل حتى لقد أخمل ذكرها ذكر ما تفرق منها من المطولات والمفاهيم
وعقدت بكفايتها من الأدب الزيرية والفازمية وغيرهما من المفاهيم فلله
در ناظمها الذي جمع فأوعى وحاول التكلم فأجاد وضعا وأحسن صنعا وقد
كان الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيري السلاوي رحمه الله تراه قد
تعرض لوضع شرح عليها ورفع سترها وتفسير شواردها وتبيين ما درس منها من أوابدها
فاستفرغ في الكلام على أبياتها جهده وأتى في ذلك بما الزبد وعنده تيسير له
هذا الشرح لم يزل الذي حكم النفع ولم ينتفع صريح وجوده على شاو ولا فرع
بما أنه لم توجد منه نسخة صحيحة الترتيب سالمة من البتر والتحريف والتصحيف
المفاهيم الضعاف أوزاع فرد مست أجزاؤها ووزيعة أخلاق فرقتها ثرت أشلاؤها
ولم نقف إلا على نسخة كاملة منه ببعض الخزائن الشلقانية وهذا أمر نهي أعز
من بيض الأنوق وأبعد منالا من العيوق وكنت أيام شبيبتي مولعا بهذه
المنظومة الغريبة المثال العديمة المثال الغريبة المنوال إلا أنه كنت إذا عزمت
على حفظها وتحصيلها وتطلبت الجوانب من تحصيلها أعوزني وجود نسخة صحيحة
أعتمد عليها لما أرى أوية واعية يتكرر في أبياتها ويستر ما أراد ناظمها والاختلاف
على النسخ حتى كاد يعز اتفاقها وكثرة التغيير والتحريف حتى اختل
مساقها واتساقها بحكم أن سبب هذا الاختلال والموجب لهذا الخلل
هو أن بعض النساخ بعد فيها ذلك نظرا وراع تغيير مبانيها وإخفاء معانيها
وذلك أنه يوجد فيها من الخرم والتخبيط والتقديم والتأخير ما لا يرتكب مثله
من له أدنى إلمام بالأدب فضلا عن الناظم الذي نسلت إليه علومه من كل حدب

وهذا الذي قلناه هو من هذا المقصود الكلام فدل عليه غيره مما هو موضع من
كلام الناظم مثل قوله : فبشرن الى المقصود البيت وقوله حققتها بسورة
النجم البيت الى غير ذلك من كثير وكيف يسلم انه تكلف الوثوق على بعضهم ما بقي
من شرح ابي عبد الله ابن عبد البر عند بعضه فقرته ملء الكم ؛ منه الى نحو العشر ورقات
من ابيته رحمه الله قد شرع على نسخة بشرح تتفق مع النسخة التي شرحنا عليها
نحو الثلث مع ما انضم الى ذلك من تقديم ابيات وتأخير اخرى وتحريفا كلمات
غير ما بالمقام اخرى فعلمت ان شيخه رحمه الله قد وقع من المعنى خارجه وانه
اراد غيرا او اراده الله خارجه ومولفه تعذر في غيره الاصابة غيره اذ تلاحق
النسخة التي سفكت الى سلا في اول الامر فهيئت زمنا عن شيء عن الغير في
تنقيحها وبذلت غاية الجهد في تصحيحها بقدر ان اجتمع الي منها نحو سبع نسخ
من جهات مختلفة فجردت من مجموعها نسخة صحيحة مؤتلفة يغلب على الظن
انها الاصل الذي انشاه الناظم اولا والمنوال الذي لا ينبغي للاديب به بدلا
ولا عنه متحولا وقلت ان قابلتها في هذه المنظومة الرواية لم تعثر فيها
والحمد لله الرواية ولا بدع في هذا المذهب الذي افتعيناه والمنهج الذي
انتحيناه فعند الهمم كليلة ودفينة فراجعت من اصلها بشبه الكلل والزمنة
وهذا شارح المغازية يقول انه لم يكتبها من اصل صحيح ولا رواها عن رواية
معتمد ثم لم يمنعه ذلك عن تناولها بالشرح والكتابة والابراز لما تضمنته
من المعاني المستطابة بقدر ما امكنه في تصحيحه بحذف واتى بها امكنته فيه من
التعدية واذا ابانت المغازية من مثله اعراز الجميع فعلام يتهاون البعض فيها
بضيع وقد قيل

اذا لم تستطع شيئا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

فلذا عولنا فيه على ما جمعناه من هذه المنظومة وسلكنا في ذلك والحمد لله
طريقة لم نبلها مغلوقة فبقضضت ختامها وسهلت مراقيها ومهدت معانيها
وشيدت مبانيها فعادت والحمد لله الارجوزة الوتدانية اي شبابها
وكثرت فيما سمعنا الكمالاتها فيا ازدياده من شهابها وسهل عليهم الولوج في
غابها فماذا لله من صعابها وغضا قد شبنا على عكاشة فجاء كما كنته من نقابها

وكشفته من جلبابهما فجاء هذا الشرح والحمد لله شرحا جميلا جامعا
لعيون نكتها وبأغراضها كفيلا وسميته .. بزهر الافنان من حديقة
ابن الونان ومن الله استوهب القبول في حصول النفع وبلوغ المامول
آمين وهذا أوان الشروع في المقصود فنقول اعلم أن كل كلام
مركب فالنظر فيه من أربعة أوجه الوجه الأول في شرح معاني الفاظه الثاني
في حكم تركيبها على نهج تركيب الفاظ العرب الثالث في شرح معانيه التي افادها
ذلك التركيب الرابع في شرح كيفية تلك الإفادة في مراتب الوضوح فالأول
علم اللغة والثاني علم الإعراب والثالث علم المعاني والرابع علم البيان
ويتبع هذا الأخير في الوجوه المحسنة أعني التي تكسب الكلام حسنا ورونقا
وهي المسماة بالبديع وبعبارة أخرى إذا نظرت في الكلام العربي فالبحث فيه
إما عن المعنى الذي وضع له اللفظ وهو علم اللغة وإما عن ذات اللفظ بحسب
ما يعتري مادته من التغيير وهو علم التصريف وإما عن المعنى الذي يفهم من الكلم
المركبة بحسب تغيير أواخرها وهو علم النحو وإما عن مطابقة ذلك الكلام
لمقتضى الحال بحسب النهج العربي وهو علم المعاني وإما عن اختلافه فيه في الدلالة
وضوحا وخفاء بحسب العقل وهو علم البيان وإما عن وجوه تحسينه بحسب
مشاكلة معانيه او الفاظه ومناسبتهما وهو علم البديع فالعلوم الثلاثة
الأول يستشهد عليها بكلام العرب نظمها ونثرها لأن المعتبر فيها ضبط الفاظهم
واتباع منهجهم والعلوم الثلاثة الأخر يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم
من فصحاء المولدين لأنها راجعة الى المعنى دون اللفظ ولا مزية فيه للعرب
وغيرهم قال ابو الفتح عثمان بن جني رحمه الله المولدون يستشهد بهم في المعاني
كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ قال ابن رشيق في العمدة هذا الذي ذكره
ابو الفتح صحيح لأن المعاني اتسعت باتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب
بالإسلام في اقطار الأرض فانهم حضروا الحواضر وتفننوا في المطاعم والملابس
وعرفوا بالعيان ما دلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه وغيره اهـ
واعلم ان هذا كله اذا كان الكلام نثرا فأما اذا كان نظما فلا بد فيه من
نظر سابع وهو النظر في الوزن والقافية وذلك علم العروض فإذا عرفت هذا

فاعلم ان الشعر في اللغة من العلم وشرطه الراغب كونه دقيقا وقال في
القاموس الشعر غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية وان كان
كل علم شعرا اه وفي اصطلاح اهل الميزان اي علماء المنطق هو قياس مؤلف
من القضايا المخيلة والغرض منه انفعال النفس بالترغيب والتنفير وغيرهما
كقولهم الخمر ياقوتة سيالة والعسل مرة مهوعة ولا يشترط فيه عندهم ان
يكون نظما نعم ان كان كذلك كان اكثر تأثيرا فالمراد الاول في الخزرجية وفي
اصطلاح الادباء هو الكلام الموزون الذي قصد وزنه فارتبط لمعنى وقافية
وبحوره على ما للخليل خمسة عشر بحرا منقسمة على خمس دوائر فالدائرة الاولى
تسمى دائرة المختلف وتشتمل على ثلاثة ابحر الاول الطويل الثاني المديد الثالث
البسيط والدائرة الثانية تسمى دائرة المؤتلف وتشتمل على بحرين الاول الوافر
الثاني الكامل والدائرة الثالثة تسمى دائرة المشتبه وتشتمل على ثلاثة
ابحر الاول الهزج الثاني الرجز الثالث الرمل والدائرة الرابعة تسمى
دائرة المجتلب وتشتمل على ستة ابحر الاول السريع الثاني المنسرح الثالث
الخفيف الرابع المضارع الخامس المقتضب السادس المجتث والدائرة الخامسة
تسمى دائرة المتفق وتشتمل عند الخليل على بحر واحد وهو المتقارب وعند الاخفش
على بحرين بزيادة المتدارك وهو بحر عثر عليه فزاده في هذه الدائرة فعلى
مذهب الخليل بحور الشعر خمسة عشر وعلى مذهب الاخفش ستة عشر ثم الرجز
منها هو سابع البحور وهو الثاني من دائرة المشتبه كما مر ومعنى الرجز لغة
ما قصرت اجزاؤه من الشعر سواء كان من هذا البحر اعني الرجز او من غيره وفي عبارة
الرجز كل ما كان على جزئين او ثلاثة من اوزانه ويقابله القريض وهو كل ما
كملت اجزاؤه من الشعر واذا طال الرجز وكثرت ابياته قيل فيه ارجوزة واذا
طال القريض قيل فيه قصيدة والرجز ايضا داء يصيب الابل في اعجازها فاذا
ثارت الناقة ارتعشت فخذاها ساعة ثم تنبسط يقال بعير ارجز وناقة رجزاء
ومنه اخذ رجز الشعر وفي الاصطلاح كما في القاموس ضرب من الشعر وزنه
مستفعلن ست مرات سمي لتقارب اجزائه وقلة حروفه وزعم الخليل انه ليس
بشعر وانما هو انصاف ابيات واثلاث والارجوزة منه كالقصيدة من غيره

وجمعها

وجمعها أراجيز وقد رجز وارتجز إذا أنشد الرجز قوله سمي لتقارب أجزائه أي وقيل
سمي لاضطرابه على اللسان لقصر أجزائه وقيل غير ذلك قالوا والرجز سهل
في الاستماع وللعرب فيه تصرف واتساع لكثرته في كلامهم وارتجالهم إياه في مواطن
الحرب والفخر والمفاخرة واستعملوه على خمسة أوجه التمام والمشطور والمجزوء والمشطور
والمنهوك قلت ولهذا المعنى اختاره الناظم على غيره من الأبحر فإن قلت
كان من حق الناظم رحمه الله أن يجتنبه لانحطاطه في درجته عن سائر بحور الشعر
وخساسته بالنسبة إليها عند العرب ولهذا قال القائل *

أبا الأراجيز يا ابن اللؤم توعدني * وفي الأراجيز خلت اللؤم والخور

وفيما نقل عن الخليل وإن خفي من أنه ليس بشعر قال المازني من مذهب الأخفش أن
الرجز ليس بشعر واستدل الأخفش بأنه لو كان شعرا لما تكلم به النبي صلى الله
عليه وسلم مستقيما في قوله يوم حنين *

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

مع أنه صلى الله عليه وسلم كان من عادته إذا أنشد شعرا كسره كما اتفق
له في قول طرفة * ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * البيت فإنه صلى الله
عليه وسلم أنشد عجزه منكرا ويأتيك من لم تزود بالأخبار وفي قول
العباس بن مرداس السلمي * أتجعل نهبي ونهب العبيد * البيت فإنه
صلى الله عليه وسلم أنشد عجزه منكرا بين الأقرع وعيينة فراجعه أبو بكر
رضي الله عنه فلم يلتئم على لسانه صلى الله عليه وسلم إلا منكسرا حتى
قال أبو بكر أو غيره من الصحابة أشهد أنك كما قال الله تعالى وما علمناه
الشعر وما ينبغي له فلما تكلم صلى الله عليه وسلم بقوله * أنا النبي لا كذب *
مستقيما علمنا أنه ليس بشعر قلت أما انحطاطه في درجته عن غيره من
البحور فمسلم لا كلام فيه وإنما ذلك في النتف الفصيحة من المشطور والمنثور
التي لم تتضمن حر الكلام ولا نفيس اللفظ ولم تشتمل على منافع الشعر الحسنة
ومزاياه المعتبرة من النسيب الرقيق والمدح البليغ والحكم النافعة والأمثال
السائرة كبعض الأرجوزات وأضرابها وأما ما بلغ من رفيع الشعر وأجري في حلبته
وقد كان في العرب رجاز مشهورون ارتفعت به منازلهم عند الخلفاء وهم

كأبي النجم والعجاج وابنه رؤبة وغيرهم وقد اقتصر الناظم في بيته بجعل الشعر او
من الموزون كابن دريد وحازم وغيرهما من اصحاب المقاصير وغيرهما ممن نظم في
الرجز وأما ما نقل عن الخليل والأخفش من انه ليس بشعر فالنقل عن الخليل
موهوم تفرد به صاحب القاموس ومثله في الكشاف وكلا فيما يقتضي ان موضوعه
في خصوص المشطور والمنهوك والنقل عن الأخفش ثابت ولكن بعضهم بانه انما
عنى المشطور والمنهوك فقط كما نقله غير الدماميني عن الأخفش نفسه لا التام
كمنزلة الأرجوزة ومما استدل به من انشاده صلى الله عليه وسلم له مستقيما
أجيب عنه بان الشعر ما قصد وزنه لا ما اتفق وزنه مثلما اتفق في حديثه
وقوله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب مما اتفق وزنه من غير
قصد فلا يكون شعرا وليس من محل بسط الكلام على مثل هذه المسألة ولا بد من
تتميم الفائدة في الرجز بذكر اضربه واعاريضه وما يدخله من الزحاف
وغير ذلك مما يتعلق بها فنقول الرجز عندهم مركب من مستفعلن
ست مرات وله اربع اعاريض وخمسة اضرب والعروض هو الجزء الاخير
من المصراع الأول والضرب هو الجزء الاخير من المصراع الثاني كما قال الخزرجي

وفاء آخر الشطر العروض وسمه ... من العجز الضرب اعلم الجزء باغنيا

فالعروض الاولى من الرجز تامة اي لم يحذف منها شيء ولها ضربان ضرب
مثلها وشاهده من كلام العرب

*

دار لسلمى اذ سليمى جارة ... قفر ترى آياتها مثل الزبر

تقطيعه وتفعيله

دار لسل : مستفعلن : مى اذ سلي : مستفعلن : مى جا رتن : مستفعلن : قفر ترى
: مستفعلن : آياتها : مستفعلن : مثل زبر : مستفعلن : ومن هذا الضرب ارجوزة
الناظم رحمه الله والبيت المذكور منها لما استشهدنا به فقوله

فالعلم في الدنيا وفي الأخرى له ... فضل وتبشير به مشار في

ولا يخفى عليك تقطيعه وتفعيله على الكيفية التي بيّنا واذا تم بيت الرجز
وسلم من الزحاف كمثل البيتين سمي تاما والكامل من المقيم كقول عنترة

اني امرؤ من خير عبس منصبا ... شطري وأحمي سائري بالمنصل

الضرب الثاني من ضربي العروض الاولى من الرجز مقطوع ومعنى القطع حذف
الساكن من مستفعلن وتسكين اللام قبلها فينقل الى مفعولن وشاهده

القلب منها مستريح سالم   والقلب مني جاهد مجهود

تقطيعه وتفعيله

القلبمن مستفعلن ها مستري مستفعلن حن سالمن مستفعلن والقلبمن مستفعلن نيجاهدن مستفعلن مجهودو مفعولن العروض الثانية مجزوءة ضربها مثلها ومعنى المجزوء اسقاط جزئين من البيت فيبقى على اربعة اجزاء بعد ان كان على ستة وشاهده

قد هاج قلبي منزل   من ام عمرو مقفر

تقطيعه وتفعيله

قدهاج قل مستفعلن بي منزلن مستفعلن من ام عم مستفعلن رن مقفرو مستفعلن العروض الثالثة مشطورة ضربها مثلها والشطر اسقاط شطر البيت فيبقى على ثلاثة اجزاء او بعد ان كان على ستة وبقي الضرب مع العروض حينئذ لكون البيت بقي على مصراع واحد وشاهده

ما هاج احزانا وشجوا قد شجا

تقطيعه وتفعيله

ماهاجاح مستفعلن زانن وشج مستفعلن ونقد شجا مستفعلن العروض الرابعة منهوكة ضربها مثلها والنهك اسقاط اربعة اجزاء من البيت فيبقى على جزئين بعد ان كان على ستة وبقي الضرب مع العروض ايضا لما سبق والى هذه العلة والتي قبلها اشار الخزرجي بقوله

واسقاط جزئيه وشطره وحذفه   من الجزء ثم الشطر والنهك اعرا

وشاهده من النهك

يا ليتني فيها جذع

تقطيعه وتفعيله

ياليتني مستفعلن فيها جذع مستفعلن من اعاريض الاولى وهي التي تستعمل عليها الرجز ثم انه يدخله من الزحاف ثلاثة انواع الخبن بالثوري والطي والخبل بالثاني فاما الخبن فهو حذف ثاني الجزء الساكن كالسين من مستفعلن

فيها فينقل الجزء معه الى مفاعلتن ويسمى زحافه عصبا وشاهده
وكلما لمنا وكلما لمنا — سعى لكم فيها الروا الكمدا

تقطيعه وتفعيله

وكلما لمنا: مفاعلتن، وكلما لمنا: مفاعلتن، وكلما لمنا: مفاعلتن، سعى لكم: مفاعلتن، فيها الروا: مفاعلتن، والكمدا: مفاعلتن. ونظيره من كلام الناظم

وناهيك متيكل وفاهم — من قبل وحاجب من فوق

وتقطيعه كما علمت. واما الطي فهو حذف رابع الجزء الساكن كالفاء من مستفعلن منه فينقل الجزء الى مفتعلن ويسمى زحافه طيا وشاهده

ما ولدت والدة من ولد — اكرم من عبد مناف حسبا

تقطيعه وتفعيله

ما ولدت: مفتعلن، والدة: مفتعلن، من ولد: مفتعلن، اكرم من: مفتعلن، عبد منا: مفتعلن، ف حسبا: مفتعلن. ونظيره من كلام الناظم

ذاك عمل ذكر ليال سلفت — في معهد كالنار والمنتلي

الا الجزء الخامس منه فانه سالم فاختبره بالتقطيع ان شئت. واما الخبل بالخاء فهو حذف كل من ثاني الجزء ورابعه الساكنين معا كالسين والفاء من مستفعلن فينقل الجزء الى فعلتن ويسمى زحافه خبلا وشاهده

وثقل منع خير طلب — وعجل منع خير تؤده

تقطيعه وتفعيله

وثقلن: فعلتن، منع خي: فعلتن، ر طلب: فعلتن، وعجلن: فعلتن، منع خي: فعلتن، ر تؤده: فعلتن. وقد اجتمعت انواع الزحافات الثلاثة مع السلامة في قول الناظم

ومستحسن واخيل مع ثمال وتعار فوفي

فالجزء الاول والثاني والرابع كل منها مخبول بالخاء والجزء الثالث مخبون بالنون والخامس مطوي والسادس سالم. وتقطيعه كما مر فلنقتصر هنا اه هذا ما يتعلق بهذا البحر من حيث العروض واما ما يتعلق به من حيث القافية فنذكر منه ما ينفع المبتدئ الذي مشى عليه الناظم فنقول اختلف الناس في حد القافية على اقوال انهاها شيخ الاسلام الى اثني عشر قولا الاكثر المشهور

منها قوله إن اعتبرتهما لأبي الحسن الأخفش إن القافية هي الكلمة الأخيرة من البيت ما كانت إن شاء الله للخليل ومن التعقيب أنها من آخر ساكن في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك قبله وقيل هي مع الحركة التي قبل الساكن

وإلى مذهب الخليل أشار ابن الحاجب في كافيته بقوله

فالساكنان آخر مع ما اكتنفا … مع سابق لهما قافية جعلا

وإلى المذهبين معا أشار الخزرجي بقوله

وقافية البيت الأخير إلى بلا … من المتحرك قبل الساكنين إلى انتها

وأشار إليهما أيضا مع الإشارة إلى مذهب الخليل الشيخ حمدون ابن الحاج الفاسي في منظومته بقوله

من المنتهى منتهى لأول ساكن … يلي مع شكل قبله من تمثلا
وقيل من الحرف المحرك قبله … وقيل أخير البيت من كلم ترى

فالقافية عند الخليل قد تكون بعض كلمة كما في قول امرئ القيس

وقوفا بها صحبي علي مطيهم … يقولون لا تهلك أسى وتجمل

بعض من الميم إلى الياء وقد تكون كلمة بتمامها كما في قوله

ففاضت دموع العين مني صبابة … على النحر حتى بل دمعي محملي

بعض من الميم إلى الياء وقد تكون كلمة وبعض أخرى كقوله

دعن عقب وبها معا لجينها … مثل أجش وبارح ترب

بعض من الهاء إلى الواو وقد تكون كلمتين كقوله

مكر مفر مقبل مدبر معا … كجلمود صخر حطه السيل من عل

بعض من الميم إلى الياء ومثله قول الناظم … ولا تكلفنا بما لم نطق

فالقافية من اللام إلى الياء والوصل آخر البيت وذلك كلمتان وعند الأخفش من الكلمة الأخيرة من البيت ما كانت فهي في قول امرئ القيس لا تهلك أسى وتجمل: تجمل وفي قوله حتى بل دمعي محملي: محملي وفي قول الآخر مثل أجش وبارح ترب: ترب وفي قوله حطه السيل من عل: عل وفي قول الناظم ولا تكلفنا بما لم نطق: نطق ثم القافية باعتبار تجردها رويها وعدم تحركه فسماها مكملة ومن التي رويها مجرد إقامة النبتي كقول أبي الطيب

فمن ثناياها من ربع وارزه تثنا كثيبا   فإن كنت للشرق للشمس والغربا

أو بالكسر كقوله

فرفينا لكم أمن الناس سمتا أي قلبه   وأقبلتم للزائرين بلا حرب

ومثله قافية الناظم فإنها مطلقة مكسورة الروي أو بالفتح كقول أبي الطيب أيضا

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب   وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

ومقيدة وهي التي رويها ساكن كقول جار الله

مليح وللذكر عندك كل جعفولة   ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر

والروي هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه فيقال مثلا قصيدة لامية كلامية العرب ولامية العجم وهمزية كهمزية البوصيري وقافية كقافية الأرجوزة التي نحن بصدد التكلم عليها وحركة الروي من فتحة أو كسرة أو ضمة تسمى المجرى بفتح الميم وقد تقدم وحرف اللين الناشئ عن إشباع الحركة من ألف أو ياء أو واو يسمى الوصل وهو حرف الإطلاق والروي في أرجوزة الناظم القاف والمجرى الكسرة التي عليه والوصل الياء الناشئة عن إشباع حركة الكسرة وتنقسم القافية أيضا باعتبار الفصل بين ساكنيها وعدمه إلى خمسة أقسام لكل قسم لقب يخصه فإذا لم يفصل بين ساكنيها بفصل فهي القسم المسمى بالمترادف كقول الصحابية في النبي صلى الله عليه وسلم

يا ليت شعري والمنايا أطوار   هل تجمعني وحبيبي الدار

بإسكان الراء وإن فصل بين ساكنيها حرف واحد متحرك فهي المتواتر كقوله

وقد زعموا أن المحب إذا دنا   يمل وأن النأي يشفي من الوجد

وإن فصل بينهما حرفان متحركان فهي المتدارك كقوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وإن فصل بينهما ثلاث متحركات فهي المتراكب كقول العباس في النبي صلى الله عليه وسلم

من قبلها طبت في الظلال وفي   مستودع حيث يخصف الورق

وإن فصل بينهما أربع متحركات وهو أقبح ما يكون من القوافي فهي المتكاوس كقوله

لقد رأيت في الديار عجبا   وقد لقيت من مرادي نصبا

والعذراء لا يخرج هذا القسم ويجعله من قسم المتراكب لان فعلن انما هو مستفعلن
دخله الخبل بل الذي اخذ عروضه هذا فاعلم ان قافية الناظم تارة تكون من
القسم الثالث اعني المتدارك وهو الاكثر فيها وذلك اذا سلم الضرب من
الخبن كقوله * بكل فج وبلدة سملق * وتارة تكون من القسم الرابع اعني
المتراكب وذلك اذا كان الضرب مخبونا كقوله * ولا تكلفها بما لم تطق *
وتارة تكون من القسم الخامس اعني المتكاوس وذلك اذا كان الضرب مخبولا بالاء
كقوله * من نجب ومن وعل وسلق * وقصدنا بالاطالة هنا ان
يتوقف الناظر عن الالحاح فيما يحتاج اليه فيها من هذا العلم على كتاب الله
والله تعالى اعلم قوله ثم ان الناظم رحمه الله سلك مسلك من تقدمه من
الشعراء في افتتاح شعرهم بالنسيب وهو امر مجمع عليه عندهم وان كان
المتنبي قد انتقد عليهم ذلك حيث قال *

اذا كان مدح فالنسيب المقدم ... أكل فصيح قال شعرا متيم

لحب ابن عبد الله اولى فانه ... به يبدأ الذكر الجميل ويختم

لكن الناظم لم يعرج عليه اقتداء بالجمهور على ان ابا الطيب انما قال ذلك
تفننا في اساليب البلاغة وانما كان الافتتاح عليهم بدليل انه لم يقل شعرا
له من النسيب الا في القليل وان كان النسيب من احسن ما حلي به الشعر وتوج
به المدح قد ألوا وسبب الافتتاح به انه من سماعه تنفعل له النفس وترق
الطباع وتنشط له الجوارح ويحيا من القلب منه اريحية تبعث على مكارم الاخلاق
والفتوة فلا ينبغي المنشد ان يتخلص الا وقد خفت النفس وسكنت الجوارح
وتوفرت الدواعي على الاستماع فيقع المدح من السامع موقعا عظيما ويكون
ذلك ادعى لقضاء حاجة المادح واسرع في بلوغ غرضه من الممدوح والعرب
تسمي الشعر رقية الشيطان وقد جعل ابو الحسن ابن خلف رحمه الله النسيب بين
يدي المدح بمنزلة التوشية بين يدي الغناء ولا شك ان التوشية تنشط النفس
وتجمع همتها على السماع وتقبل عليه بكليتها قال ابن هشام في شرح الكعبية
النسيب عند المحققين من اهل الادب جنس يجمع اربعة انواع احدها ما في المحبوب
من الصفات الحسية والمعنوية كحمرة الخد ورشاقة القد وكالجلالة والخفر

الثاني ذكر ما في المحب من الصفات ايضا كالنحول والذبول وكالحزن والشغف قلت والى هذه الاربعة اشار مالك بن المرحل في نظم الفصيح بقوله

ونسب الشاعر بالفتاة ينسب والنسيب في الابيات
ان يصف الفتاة بالجمال ونفسه بالحب والبلبال

الثالث ذكر ما يتعلق بهما معا من هجر ووصل وشكوى واعتذار ووفاء واخلاف الرابع ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما كالوشاة والرقباء ونحو ذلك اه قلت وبيان النسيب في كلام الناظم انه اشار الى هواه لاحبته ورحيلهم عنه واقتفائه آثارهم ووصف سير الحادي بهم وانه سير حثيث وسوق عنيف فيحتمل ان يكون كذلك في نفس الامر ويحتمل انه تخيله بصورة الحثيث وان لم يكن كذلك لان من شان المحب ان يتخيل العظم في شيء يحول بينه وبين التنعم بالقرب من محبوبه تحكيما ثم اخذ في عتاب هذا الحادي ثم انتقل منه الى وصف المحبوبة بالبرع ووصف والكلام كما سياتي بيانه ان شاء الله واقيم حاله انه لو وجد السبيل الى منع احبته من الرحيل لما سمحت نفسه بتركهم كما قال ابو الطيب

قد كنت احذر بينهم من قبله لو كان ينفع حائنا ان يحذرا
ولو استطعت اذا اغتدت روادهم لمنعت كل سحابة ان تقطرا

لكنه لما لم يقدر على ذلك اتى بما في طوقه فامر حاديهم بالتمهل في السير تعللا بذلك لو كان يغني عنه شيئا فقال

مهلا على رسلك حادي الاينق ولا تكلفها بما لم تطق

اللغة قوله مهلا المهل بسكون الهاء ويجوز فتحها اسم مصدر لفعل الرباعي بمعنى الامهال وهو السكينة والرفق في الامر ويقال بهلا بالباء الموحدة بدلا من الميم وقيل ان مهلا مركب من مه بمعنى اكفف ولا النافية وهو ضعيف ولا تلحقه علامة الفرعية اذا استعمل في الطلب كما هنا فتقول مهلا يا زيد ومهلا يا هند بلفظ واحد وكذلك في التثنية والجمع وتقول مجيبا لمن قال ذلك لا مهل والله ولا تقل لا مهلا بالتنوين لان اسم لا المفرد يبنى على الفتح وتقول ما مهل والله بمغنية عنك شيئا مرفوعا منونا قال الكميت

اقول له اذا ما جاء مهلا وما مهل بواعظة الجهول

قوله على رسلك الرسل والرسلة بالكسر فيهما والترسل الرفق والتؤدة وترسل
في قراءته تمهل وافعل كذا على رسلك اي على هينتك والهينة بتشديد الياء ضد
العجلة واصلها الواو وقوله حادي الاينق الحادي اسم فاعل من حدا الابل يحدو
حدوا وحداء بضم الحاء وكسرها والدال مهملة اذا زجرها وساقها كذا في القاموس
وقال الجوهري الحدو سوق الابل والغناء لها ثم قال ويقال للشمال حدواء لانها
تحدو السحاب اي تسوقه قال العجاج * حدواء جاءت من بلاد الطور *
والاينق جمع ناقة وهي الانثى من الابل قال ابو عبيدة ولا تسمى ناقة حتى تجذع
وذلك في السنة الخامسة وقال الجوهري الناقة تقديرها فعلة بالتحريك لانها
جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب وفعلة بالتسكين لا تجمع على ذلك وقد
جمعت في القلة على انوق ثم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا اونق حكاه
يعقوب عن بعض الطائيين ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا اينق ثم جمعوها على اياق
وقد تجمع الناقة على نياق مثل ثمرة وثمار الا ان الواو صارت ياء لكسرة ما قبلها
وانشد ابو زيد للقلاخ بن حزن

* ابعدكن الله من نيـــاق * ان لم تنجين من الوثاق *

وبعير منوق اي مذلل مروض وناقة منوقة قوله فالي تكون الكفاية القدرة على
الشيء اكفيه كفاية قدرت عليه فانا مكفيه والاسم الكفاية مثل الكتابة اسما
من الكتابة والجباية اسما من جبا وفي المثل اساء سمعا فاساء جابة وكذلك الغارة
بالمعجمة والغارة بالمهملة قال المفضل الضبي من الخمسة اخرى جاءت هكذا يعني
انها اسماء وضعت موضع المصدر والله اعلم **الاعراب والتصريف**
قوله مثلا مفعول مطلق عامله محذوف تقديره امثل مثلا وما نائب المصدر يعني
الفعل حذف وجوبا لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه قوله على رسلك جار ومجرور
يتعلق بمحذوف واجب الحذف ايضا تقديره سر على رسلك وانما وجب الحذف لان هذا
اللفظ جار في كلامهم مجرى المثل بسبب استعماله وكثرة دوره على الالسنة نظير
ما قالوه في قوله تعالى انتهوا خيرا لكم من ان فتقدير الفوا عن وفي كلام بعضهم ما يقتضي
ان الحذف جائز لا كن قد يتفق على وجوب الحذف في عبارة الناظم من اجل وشا كلته
لما قبلها ومنه في مقام الطلب كما هو الموضوع واما في مقام الاخبار فيجوز

الكما ان العامل بلا اشكال كقوله

لئن قدمت قبل رجال فطالما * مشيت على رسلي فكنت المقدما

وقوله قدمت مبني للفاعل وكذلك المقدم آخر البيت كقوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وبقول الناظم رحمه الله فمهلا على رسلك جملتان كما بيناه اولاهما ذات مفعول مطلق والثانية ذات مفعول به ونظير هذا التركيب قول امرئ القيس

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي

فقوله عادي الابنو منادى مضاف على تقدير حرف النداء اي يا عادي الابنو وقال ابن مسلم لا يقدر عند حذف حرف النداء الا يا خاصة لانها ام باب النداء فاختصت من بين سائر ادواته بالتكلم منها هذا وحرف النداء نائب عن ادعو والجملة معه فعلية بتقدير يا عبد الله ادعو عبد الله وتقدير يا عادي الابنو ادعو عادي الابنو اناديه وقس على هذا وقد ذكر الناظم الضمة في المنقوص مع خفتها اما ضرورة واما على لغة من يجيز ذلك من العرب قال الدنوشري ومن العرب من يسكن الياء في النصب قال الشاعر

ولو ان واش باليمامة داره * وداري باعلى حضرموت اهتدى ليا

قال ابو العباس المبرد وهو من احسن ضرورات الشعر لانه حمل حالة النصب على حالتي الرفع والجر قلت لا محذور لقوله ضرورات الشعر بل هو لغة كما قرر ومن ذلك قراءة جعفر الصادق رضي الله عنه من اوسط ما تطعمون اهاليكم بسكون الياء والاصل عادو بالواو لما تقدم من انه مشتق من العدو فلما تطرفت الواو وانكسر ما قبلها وصارت عرضة لسكون الوقف قلبت ياء اذ ليس في كلام العرب اسم آخره واو لا تسكن عقب كسرة كما ان الياء لا تسكن عقب ضمة والحكم في ذلك اذا اتفق شيء منه ان تقلب الواو ياء والياء واوا والابنو اصله الابنوو من العنو لما تقدم ودليل ظهورها في الفعل في قول طرفة للمسيب بن علس استنوق الجمل الذي تموز انه ثم حذفت عين الكلمة التي هي الواو على وفقها التي هي الثانية مرادا من نقل الضمة على الواو فصار الابنو على وزن افعل ثم قلبت الواو ياء مبالغة في التخفيف فصار الابني قال الراجز

جمعتها من اينق موارق * ذوات ينهضن بغير سائق

أي اللتين يمضيان وتصغير اثنين الذين تكون به الناظم أتى بلغات والفعل من اثنين
فولاه ولا تكلفهما لا ناهية وتكلف مجزوم بها وفاعله ضمير المخاطب واجب
الاستتار والضمير المنصوب يعود على الاثنين فولاه فعل أمر تكون جار ومجرور
يتعلق بالفعل قبله وكان الأولى للناظم أن يقول ولا تكلفهما ما لم تكون يدرون
بلا الأن كلف المضعف يتعدى إلى اثنين بنفسه قال الله تعالى لا يكلف الله
نفسا إلا وسعها والثاني من أنه زاد ما في المفعول الثاني كما زاده ما حسان
رضي الله عنه فيه حيث قال *

تبلت فؤادك في المنام خريدة * تسقي الضجيع ببارد بسام

وما في الأبيات من الأشعار بمعنى ابن لهما والذي هو وغيرها الأظهر الذي
وضعناه أولا ويحتمل أن يخرج كلام الناظم على معنى التضمين يريد ولا تعطيهما
بما لم تقدر عليه وتعود إليه ومما يحتمل أن تكون موصولة واقعة على الشيء الصعب
الذي لم تقدر عليه الشيئان ويحتمل أن تكون نكرة موصوفة بمعنى شيء والعائد محذوف
على كل حال ويرجح الأول أن حذف العائد من الصلة أكثر منه من الصفة لأن
الموصول لا غنى له عن الصلة فتوجه الطلب لها بذاته فيحسن حذف الرابط معه
بخلاف الصفة ويرجح الثاني أن تقديره بما فلا أدل على الاعتناء به بأمر من ذكر
الأبوين والمحض في الاعتناء به بشأنهما حيث نهاه أن يكلفهما كل شيء لا تطيقه
إذ كان من الدين بالخلاع وأبلغ في المراد وأصل تكلف تتكلف بالتاء فنقل آخره
بمادة خل الجلازم والتغير سالكنا حذف الأول لكونه من التاءين المعاني
في كلام الناظم رحمه الله إيجاز الحذف وإيجاز القصر مراد المقصود بأقل
من عبارة المتعارف وتقابله الإطناب وهو أداؤه بأكثر منها وبيان الإيجاز
الحذف في كلام الناظم أنه مشتمل على حذف العاملين من الجملة الأولى أعني بعض
أعني فولاه مثلا وقوله على رشد ويحل حذف حرف النداء من قوله هذا بعد
الاثنين وارتكب الفصل أعني ترك العطف في ثاني الجملتين أعني على رشد بين
بينهما من كمال الاتصال لأن الثانية نفس الأولى في المعنى فهي منزلة منها
منزلة التوكيد اللفظي مما قبله وتكثير له مثل الفرع في الغير كما مر *
أباكم مثلا بعض من التزيل * البيت وارتكب في الجملة الثالثة أعني جملة

ولا تكلف في الوصل الذي هو العطف لما بينهما وبين المعطوف عليها من التوسط
بين الكمالين أعني كمال الاتصال وكمال الانقطاع لأنهما وإن اتفقتا في
الفعلية والانشائية فقد اختلفتا في الأمرية والنهيية فكان لذلك بينهما
توسط بين الكمالين يوجب الوصل والجامع بينهما التضاد إذ ما هو بين الرفق
المأمور والعنف المنهي عنه وهذا الجامع وهمي لأن الوهم ينزل المتضادين
منزلة المتضايفين فإن كلا منهما يحضر في الذهن بحضور صاحبه ومن حسن هذا
الوصل كون كل منهما جملة فعلية طلبية ونظيره قوله تعالى واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وقوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فاصبر لحكم
ربك ولا تكن كصاحب الحوت ونحوه كثير وإنما فصله عما حذف منه حرف النداء مع الحال
الإيذان بشدة قربه منه وأن البشر وحمله على أن صار بليدا واحبته لم يتخلف
عنهم فيرشد بخلاف ما لو صرح بحرف النداء فإنه يوهم بعدا لحاضر عنه وأن
ذلك من أجل تخلفه عن أحبته وبروده حبهم من قلبه وأيضا حذفه قصدا
للاختصار واهتماما بالعتب في الكلام من ضيق المقام بسبب ما هو فيه من
ألم الفراق وتعب السير وما خامر قلبه من الوجد الذي أطلعه عمن أشركه وجد قد
عما يغنيه من مصالحه المعاشية والمعادية وأقبل يعتسف البلاد خلف
أحبته ويتبع آثارهم أين ما سلكوا وأية ذهبوا وأن في الأبيات للمتصور
البيان في كلام الناظم رحمه الله الكناية وهي لفظ أريد به لازم
معناه مع جواز إرادته معه كقولهم في الكناية عن الجود فلان كثير الرماد
وفي الكناية عن البلادة فلان عريض القفا وبيانها في كلام الناظم أنه كنى
عن استيفاء محبوبته منيته عشيا أن يفوز منها بنظرة حسبما أفصح عنه
بعد بقوله * من لي بأن يبدو وإذا ابدت زرني * البيت باستعمال النداء في تمنيه
عن أن يكلفه الإبل ما لا تطيق وإنكار ذلك مع هذا النداء وخطابه في شأنها
وكل ذلك غير مقصود له وإنما مقصوده ما على الإبل لا الإبل لأنه تستتر
بمنزلة الكناية عرفا من التوسلات إذ من قوم المحبوبة أن يكثروا عليه فيكم دون
أن يطلعوا محبته بالكلية فعدل عن ذكر المحبوبة إلى الإبل وتلطف في ذلك
فاشاد وبعضهم يجعل هذا ونحوه من باب الدلالة بالسياق وإلى التبعية لا من باب

الكناية وتقريرها يقول والله تعالى اعلم **البديع** في كلام الناظم
رحمه الله حسن الابتداء وهو عبارة عن كون الابتداء عذب اللفظ حسن
السبك صحيح المعنى فان انضم الى ذلك كونه مشعرا ببغية الناظم ومقصوده ابتداء
سياق الكلام من جملته كان براعة استهلال وهي اخص منه كما ترى واورد ابن
المعتز في هذا الباب قول النابغة

كليني لهم يا اميمة ناصب * وليل اقاسيه بطيء الكواكب

قال زكي الدين ابن ابي الاصبع رحمه الله لعمري لقد احسن ابن المعتز في الاختيار
فانه اكثر ما يكون بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس حيث قال

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فان ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معانيه متفاوت القسمين جدا
لان صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني وليس
في الشطر الثاني شيء من ذلك وعلى هذا النقد يكون مطلع النابغة افضل من جهة
ملاءمة الفاظه وتناسب قسميه وان كان مطلع امرئ القيس اكثر معاني وقد
حكم ابتداء امرئ القيس في النفوس ان الاقتصار على سماع صدر البيت فانه
وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت واذا تأمل
الناقد البيت بكماله حكم له بتفاوت القسمين **قلت** واذا تأملت
ابتداء الناظم رحمه الله وجدته مستجمعا لهذه الشروط وزيادة فانه عذب
الالفاظ حسن السبك صحيح المعنى لطيف الاشارة متناسب القسمين معا
ومما يناسب مطلع الناظم قول الشريف ابي جعفر الشريف في الرقوبات بلدتك

قاساه رفقا بمن خلفتما حيرا * او ما تراعيا اعكمتما وعلودا

وهذه القصيدة كم بعيدا الغريب لم يسلكها غيره فانه نسج جميعها على هذا
المنوال ومنها قوله

يقبلن ناصية الفلا بمناسم * خضبت الدجى بدماء من البيدا
بكا ثم نثر دررا ادمعه * ونظمن منه بجيدهن عقودا

واعلم ان مشايخ البديع قد نبهوا على ان الشاعر يجب عليه ان يتأنق في حسن
الابتداء ويجتنب في المديح ما يتطير منه فانه اول شيء يقرع الاسماع وينتقش

تمليه الفكر في أحوال الدنيا كثير والمقصود حيث يقترن بها سبب الانحلال ونوافق
الفعل لا سيما في عقلاء الملوك ممن العمدة في حسن الأدب والله أعلم وفي
كلام الناظم التصريع قال ابن حجة وهو عبارة عن استواء آخر جزء في صدر
البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والإعراب وقال غيره هو أن يوافق
العروض الضرب في الشيء الذي اختص بالضرب قال ابن حجة وهو الذي لم يكن
بمثابة القافية بروايته وسميت قرينة تجب الأسماع والأذواق قلت
وفي كون التصريع يزين الشعر حسنا ورونقا يقول بعضهم في وصف جميل من
قرنه وأبدى غرته

*

عجبا لهذا الشعر زاد بفرقه * حسنا كحسن الشعر بالتصريع

فالشعر في صدر البيت بفتح الشين وفي عجزه بكسرها وقسمه ابن الأثير في المثل
السائر وكذا الصفي في الكبرى إلى سبعة أقسام وجعل الأول أعلاها وهو
أن يستقل كل واحد من المصراعين بنفسه كقول امرئ القيس

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

ويسمى الكامل قلت ومثله بيت الناظم رحمه الله وبعض الشراح من يسمي
ما وقع في بيتي امرئ القيس والناظم تقفية وهي أعم من التصريع ومن ثمة
ونبهنا بأن التصريع لا بد أن تتغير فيه العروض كقول كعب بن زهير رضي الله عنه

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم إثرها لم يفد مكبول

بخلاف التقفية فلا يشترط فيها ذلك والله أعلم **ومعنى الكلام**
يقول أمهل أيها المخاطب وارفق بنفسك وتأن في سيرك ولا تكلف مطية الإبل
فالسير في قطعها من هذا السير العنيف الذي أتعبتها به وأذهبت به محاسنها
أو لا تكلفها كل ما لا تطيقه من سير وحمل ثقل وكلها مما جرى ونحو ذلك من
ضروريات السفر وأت عليها بمهل فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا
أبقى كما قال صلى الله عليه وسلم ومن أخذنا الهم شر السير الحقحقة ونحو ذلك من
أوساطها وقال الشاعر

*

عليك بأوساط الأمور فإنها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وإنما خص الناظم الإبل بالنجاة وخصه بالعتاب دون غيرها ونحب له

لأنه جنس من جنود الغراب ومن أفردوا غراب البين وذلك أن الشعراء في التشاؤم بأسباب البين مذاهب فمنهم من ينسب ذلك الى الغراب ولذا أهل فرقة أن البين وسموه أبا حاتم لأنه يحتم عليهم بالفراق وشؤم نعب في زعمهم وضربوا به المثل في الشؤم فقالوا أشأم من غراب البين وقال عنترة:

ظعن الذين فراقهم أتوقع ... وجرى ببينهم الغراب الأبقع

وقال قيس بن ذريح

لقد نادى الغراب ببين لبنى ... فكاد القلب من حذر الغراب
وقال غدا تباعد دار لبنى ... وتنأى بعد ودّ واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب ... وكان الدهر سعيك في تباب

ومثله كثير في أشعارهم ومنهم من ينسب ذلك الى الإبل لأنها التي تحمل الأحبة وتقطع بهم المفاوز الشاسعة وتسير بهم الى حيث يتعذر الوصول اليهم إلا بالمشقة الفادحة ومن هذا المعنى قول بعضهم

غلط الذين رأيتهم بجهالة ... يلحون كلهم غرابا ينعق
ما الذنب إلا للأباعر إنها ... مما يشتت جمعهم ويفرق
إن الغراب بيمنه تدنو النوى ... وتشتت الشمل الجميع الأينق

ومثله قول ابن خفر

لعمر الغرابي إن كان عودنا على النوى ... ولا زال منها ظالع وحسير
وما الشؤم في نعق الغراب ونعبه ... وما الشؤم إلا ناقة وبعير

وقال أبو الشيص

ما فرق الأحباب بعد الله إلا الإبل
والناس يلحون غراب البين لما جهلوا
وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل
وما إذا صاح غراب في الديار احتملوا
وما غراب البين إلا ناقة أو جمل

ومنهم من ينسب ذلك الى الحادي ومنهم الناظم وقد أحسن حازم في الكشف عن المراد من هذا المذهب حيث قال

ما نعقت في يوم النوى ابن داية ... ولا نعبات العير بل قد فرقا

ابن داية هو الغراب سمي بذلك لأنه يقع على داية البعير أي فقاره كما مر فيبقى بها ونعبات العير ابل منسوبة الى العير وهو محمل كريم كان لهم. قال المبرد فرأيتها الابل التي يقول

ألا من عوا لنعب الرواحل إنما * هكذا يا قلوب العاشقين الرواحل
على أن شر الرواحل التي هو النوى * إذا ما نأى بالإلف بين التواصل

وفي معناه قول الآخر

زعم ابن بعضهم عن النوى * والموت نادت بفرقة الأحباب
لو أنها حنت بي لما ابغضتها * وبها لهم سبب من الأسباب

ذكر الحداء وما قيل فيه

الحداء سوق الابل بضرب من الغناء قال

فغنها وهي لك الفداء * إن غناء الإبل الحداء

ويكون بالرجز غالبا وأول من حدا الإبل عبد لمضر بن نزار بن معد بن عدنان كان في إبل لمضر فقصر فضربه مضر على يده فأوجعه فقال وا يداه وا يداه وكان حسن الصوت فاسترعت الابل لما سمعته في السير فكان ذلك مبدأ الحداء رواه ابن سعد بسند صحيح عن طاوس مرسلا وأورده البزار موصولا عن ابن عباس بن دخل حديث بعضهم في بعض قاله في إرشاد الساري وفي طرب الإبل بالحداء ونشاطها للسير عند سماعه يقول البوصيري رحمه الله

ما رنحت عذبات البان ريح صبا * وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

وقال كشاجم

إن كنت تنكر أن في الـ * ألحان فائدة ونفعا
فانظر إلى الإبل التي * لا شك أغلظ منك طبعا
تصغي لأصوات الحدا * ء فتقطع الفلوات قطعا

وقال الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب السماع من الإحياء لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي

أن يكون ذلك لفهم المعنى الشعر بل هذا جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه
الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف
يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده فإنه يسكته الصوت
الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه والجمل مع بلادة
طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر لقوة
نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره
ويولهه فترى الإبل إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال
تحت المحامل والأحمال إذا سمعت منادي الحداء تمد أعناقها وتصغي إلى الحادي
ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها
وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها
فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي رضي الله عنه قال كنت
بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباءه
فرأيت في الخباء عبدا أسود مقيدا بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت
وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي الغلام أنت ضيف
ولك حق فتشفع في إلى مولاي فإنه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا
القدر فعساه يحل القيد عني قال فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل
ما لم أشفع في هذا العبد فقال إن هذا العبد قد أفقرني وأهلك جميع مالي فقلت
ماذا فعل فقال إن له صوتا طيبا وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال فحملها
أحمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من
طيب نغمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت
ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فأحببت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره
أن يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع
حباله ووقعت أنا على وجهي فما أظن أني سمعت قط صوتا أطيب منه ولما
انقضى أمر بني أمية بالمشرق وقتل مروان الحمار آخر خلفائهم أتى أبو جعفر
المنصور بفراعنتهم وفيهم عبد الحميد الكاتب والبعلبكي المؤذن وسلام الحادي فهم
المنصور بقتلهم فقال البعلبكي استبقني يا أمير المؤمنين فإني مؤذن منقطع النظير

قال وما بلغ من أذانك قال آمر جارية فتقرب إليك طستا وتأخذ بيدها إبريقا وتصب الماء على يديك فأبتدئ بالأذان فإذا سمعت أذاني دهشت وذهب عقلها حتى تلقي الإبريق من يدها وهي لا تعلم فأمر المنصور جارية ففعلت ذلك وأخذ المغلس في الأذان فكان حالها كما وصف وقال صاحب الحداء استمعني يا أمير المؤمنين فإني أحسن الحداة قال وما بلغ من حدائك قال تعمد إلى إبل فتظمئها ثلاثة أيام ثم توردها الماء فإذا أخذت في الشرب رفعت صوتي بالحداء فترفع رؤوسها وتترك الشرب ثم لا تعود إليه حتى أسكت فأمر المنصور بإبل ففعل بها ذلك فكان الأمر على ما قال فاستظرفه وأجازه وأجرى عليه وقال عبد الحميد استمعني يا أمير المؤمنين فإني فرد الزمان في الكتابة والبلاغة فقال المنصور ما عرفتني بك إلا أنك الذي فعلت بنا الأفاعيل وأنزلت بنا الدواهي وأمر به فقطعت ثم قطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه رحمه الله

فطالما كلفتها وسقتها * سوق فتى من حالها يشفق

اللغة قوله فطالما الطول بالضم خلاف العرض وطال طولا امتد كاستطال فهو طويل وطوال كغراب وطيّال والأنثى طويلة وطوالة كذلك والجمع طوال وطيال بالكسر فيهما والطوّال كرمان المفرط في الطول وأطالت المرأة ولدت أولادا طوالا وفي المثل إن القصير قد تطيل قال الجوهري وابن الأثير إنه حديث وقولهم في المثل قصيرة من طويلة يريدون تمرة من نخلة يضرب للاختصار في الكلام قوله وسقتها السوق خلاف القود ساق الدابة سوقا وسياقة ومساقا واستاقها فهو سائق وسوّاق قال الراجز

قد لفها الليل بسوّاق حطم * ليس براعي إبل ولا غنم

قال الخليل القود أن يكون الرجل أمام الدابة آخذا بقيادها والسوق أن يكون خلفها وتساوقت الإبل تتابعت قوله فتى الفتى الشاب الحدث والأنثى فتاة بيّن الفتاء في سن أهله ولعله المراد للناظم ثم استعير للعبد وإن كان شيخا مجازا تسمية له باسم ما كان عليه والفتى أيضا السخي الكريم يقال هو فتى بيّن الفتوة وفي الكرم وقد تفتّى وتفاتى وفتوته غلبته فيها وبنية الفتى بالياء كثيرا وبالواو قليلا يقال فتيان وفتوان وفي التنزيل ودخل معه السجن فتيان ويجمع في القلة على فتية

وفي الكثرة على فِتْيان وقُرِئَ قوله تعالى وقال لفتيته بالوجهين ويجمع أيضا على فُتِيّ
بضم الفاء وكسرها على لغة الياء كعِصِيّ وعلى فُتُوّ بضم الفاء على لغة الواو
كعُلُوّ وقال سيبويه أبدلوا الواو في الجمع والمصدر شذوذا قوله من حالها
حال الشيء صفته التي هو عليها يذكر ويؤنث فيقال حال حسن وحسنة ومن التأنيث
قوله * إذا أعجبتك الدهرَ حالٌ من امرئ * فدعه وواكِلْ أمرَه واللياليا
وقد تؤنث بالتاء فيقال حالة وتجمع على أحوال وأحولة وتصغر على حويلة وحالات
الدهر وأحواله صروفه وتقلباته وبعض أهل اللغة يجعل أحوالا كما هو من الصفات
غير راسخ في النفس لأنها مشتقة من التحول والانتقال فإذا كانت الصفة راسخة
سميت ملكة ويقرب من هذا المعنى اصطلاح السادة الصوفية رضي الله عنهم
فإنهم يطلقون الحال على الواردات التي لا تدوم فإذا دامت سميت مقامات
قوله لم يشفق قال في المصباح أشفقت من كذا بالألف حذرت وأشفقت
على الصغير حنوت وعطفت والاسم الشفقة وقال الجوهري أشفقت عليه فأنا
مشفق وشفيق وإذا قلت أشفقت منه فإنما تعني حذرته وأصلهما واحد ه

الإعراب والتصريف

قوله يكاد يكاد فعل مضارع أجوف واوي
العين مضمومها حملا له على نظيره أي هو من نصر ويجيء في الوضع منه على فعِل
وقيل هو مفتوح العين وعلى كلا الوجهين فقد تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت
ألفا وهذا الفعل مكفوف لا فاعل له كقلّ وكثر إذا وصل كل منهما بما الكافة
قال ابن هشام ما الكافة عن عمل الرفع لا تتصل إلا بثلاثة أفعال قلّ وكثر
وطال وعلة ذلك شبههن بربّ ولا يدخلن حينئذ إلا على جملة فعلية صرح بفعلها
كقوله قلما يبرح اللبيب إلى ما * يورث المجد داعيا أو مجيبا
فأما قول المرار
صددت فأطولت الصدود وقلما * وصال على طول الصدود يدوم *
فقال سيبويه ضرورة ه وقال الفارسي وإذا جعلت ما عوضا عن الفاعل
إذ كان الفعل لا يخلو عن فاعل مظهر أو مضمر ولما خلت قلّ وقع بعدها الأفعال
فإن لم يكن يقع قبل ذلك عن لها فصارت ما موضوعة للفعل خاصة بمنزلة ربما فلا يليها
اسم البتة وقال ابن جني ينبغي أن تكتب قلما وكثرما موصولتين لا غير مفصولتين

منها وذلك انها خلطت بهما وجعلت جزءا واحدا منهما ومهيأة لهما لوقوع الفعل
بعدهما فلما اتصلت بهما معنى وجب ان تتصل بهما خطا وكان ذلك يجب في كثير
مما ابى ان الراء لا تتصل بما بعدها ه قلت نعم جاز ان يوالي في خطهما ان تكون
ما مصدرية وحينئذ فيجب الفصل والله تعالى اعلم قوله كلفتنا اهل التكليف
ان يعتري او يعتمد ليس يقال كلفته الامر بتكلفه كذا في المصباح لا كل التاء هم ثم
يأتي هنا بالمفعول الثاني اما لكونه ضمنه معنى فعل لا يتعدى الى اثنين نحو اتعبتهما
او عنيتهما وما اشبه ذلك واما لعدم تعلق الغرض به فتركا للازم بالنسبة
اليه فلا يذكر معه ولا ينوى اذ المنوي كالثابت قوله وسقتهما من فعل
ما فاؤه واو العين واصله قبل الاعلال سوقتهما بفتح الواو وكسرها فنقل
ثم قلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان الالف والفاء
فحذفت الالف التي هي عين الكلمة ونقلت الحركة المغيرة فيما بعد حذفها
ضمة الى فاء الكلمة لتبقى بين الشيئين هذا مذهب الاكثر وبعضهم يقول لما حذفت
العين حركت الفاء بحركة مجتلبة للدلالة على ان العين واو والضمير المنصوب
في كلفتنا وسقتهما للابوين قوله سوق وشق مفعول مطلق واصله سوقا مثل سوق
البقر المزعوج وناب عنه المضاف اليه مع الصفة ثم حذف المضاف وناب
عنه المضاف اليه فانتصب انتصابه كقولك ضربته ضرب الامير وكقولهم في
المثل كلمة كلم الحنيفاء ركز عبرا وهو لغة سيار الذي خرج منه ركبا من عوف
ابن الحليم وكان رجلا فتل اخاه عمرا خليفه ابن عم له ووقعه فتنا فزاد
يقال ان تدين فان الملك بعقوا كي لا يقربه الى عوف بقر فقتلت اخاك بقال اكثر
اخي ايدنا قتيل وشد الكريه زاد له حمدنا ولم عهلكه هاليه الحنيفاء بشيعه فقتله
واخذ اثنا مئة من الابل فهمه اتى ابلا سمع بنا فتنا يقول

كلمة المضعف جوز فيه للفاعل جوز

ورماه بسهم فقتله فضربت العرب بكلمة المثل فقالوا كلمة كلم الحنيفاء
وكلم ولا ككلم الحنيفاء قوله فيه اختلف في لام الفعل هل هي ياء او واو
قال سيبويه انه او واو فيه قال الخليل والاستيفاء ويستعمل لكل منهما حسبما يوجد
مما قدم لاكثر سيبويه يقول الواو في المفرد والجمع بدل من الياء شذوذا بعلى

مذهبه يكتب بالياء ويجوز امالته وعلى مذهب غيره يكتب بالالف ولا يمال
فقوله من حال الفاعل او المفعول ويتعلق بيشعر والجملة نعت لعشر والانسب
ان يكون الاشعار هنا بمعنى الشعور والعكس لا بمعنى الخبر ولولا ما بعده من
تفريع الناظم له بقوله فقد تفرع عن الخبر انه اذا قلت اشتققت منه فانما تعني
غيرية ويجاب بان ما ذكر منه من لازم الخبر وكل من الامرين يستلزم الآخر واذا
تقرر ان الكلام **في الفاء** في قوله فكما انما للسببية المحضة وليست
عاطفة لئلا يلزم عطف الخبر على الانشاء وهو ممنوع عند الجمهور والمحققين
وفي ذلك يقول بعضهم *

وعطفك الانشا على الاخبار ... وعكسه فيه خلاف جار
اهل البيان وابن مالك ابوا ... كذا ابن عصفور وبالجل اقتفوا
وجوزته فرقة جليلة ... كسيبويه وارتضوه لبيده

وبيان السببية في كلام الناظم انه يقول انما امرتك بالتمثل ونهيتك عن
تكلف الدليل فلا تكلف بسبب انك انما كلفتنا ان تجري كلامه على سنن المجاز
العقلي وقد مر تفسيره واعلم ان هذه الفاء غير التي لو وليتها في مثل هذا التركيب
مضارع لكان منصوبا نحو قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وفي قوله سيروا وسرى اعجاز عقلي ايضا اذ التقدير سيروا مثل سيري وسرى حبيبه
بينهما في الاعراب وارتكب الناظم في جملة وسقتهما الرمل بها بينهما وبين التي
قبلها من التوشيح بين الكلمتين لاتفاقهما في الخبرية والانشائية بينهما المناسبة
الظاهرة بين التكليف والشوق والعنف وحسن عطف الوصل كون كل منهما فعلية
ماضوية واما تقديم المعمول في قوله من حاليهما فلم يشعر الكلام انه للافادة
الوزن النسا في قوله سيروا وسرى التشبيه المذكور هو الذي حذفت اداته
عرفنا مشتهرا وهذا نشا منسيا بحيث لا تكون مقدرة في نظم الكلام للاشعار
بان المشبه عين المشبه به كقوله تعالى وهي تمر مر السحاب اي مثل تمر مرا
مثل مر السحاب ثم تجري فيه بالعقلي والاضافية وكذا قول الناظم سيروا وسرى
اي مثله سيروا مثل سيري بهما من غلا فلو كانت الاداة مقدرة فلا يكون
التشبيه مؤكدا قاله بعض المحققين وفيه ايضا مجاز العقلي وهو كما في التلخيص

كلمة تغير حكم اعرابها مجاز لغة او زيادة نحو مثال المجاز وسئل القرية ومثال
تامضا لمه هو كذا من القطع بان الانسان ان يفعل بفعل غيره ومثال الزيادة
ليس كمثله شيء وفيه ايضا الكناية على حد قولهم مثلك لا يبخل يريدون انت
لا تبخل وبيانها في كلام ابنه الحلو المطروح الذي هو مما نحن فيه لسوء من الناظم
لا يشعر وارادة اللازم الذي هو نفي الشفقة عنه اي انك لا تشفق الا جليس
مثلك من غير غيره فان قلت فما وجه احتياج الناظم الى هذه الكناية قلت
وجه احتياجه اليها انها ابلغ من التصريح لانها كدعوى الشيء ببينة وايضا
فكانه تستر بها ابقاء لستر ملاه المحاد وخوفا من ان يغري مع فوق محبوبته
فيصدره فيهما فان المحاد احظى منزلة منه لديهم لانه قائم بشؤونهم وساع في
مصالحهم وفي ذلك منة منه عليهم ومن له منة عليهم توجب له سماع قوله
وقبول رأيه ونصحه وايضا فان عدم مواجهته بالمكروه رفقا به لان الرفق
في كثير من الامور ابلغ في نيل المقصود من العنف بكثير وقد قال الله تعالى
لموسى وهارون عليهما السلام فقولا له قولا لينا الاية فالعاقل العارف
بوجوه السياسة يستعمل الرفق اولا مع العدو والصديق والقريب والبعيد
حتى اذا لم يفد انتقل الى غيره من التكسير والتنكيل او الاهمال بالكلية ومن هنا
كثيرا ما يتعرض في التعبير بالحكمة والامر والزجر وفي المعنى يقول ابو الطيب
الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو اول وهي المحل الثاني
ويقول ايضا * بسيء عداوات البغاة بلطفه * فان لم تبن منهم اباد الاعاديا
وهذا مذهب الناظم رحمه الله الا ترى انه ابتدأ المحاد اولا بالرفق حيث
لم يواجهه بالمكروه ولم يصرح بنسبته الى عدم الشفقة وان كان يلزم من كون جالسه
على من لم يشعر ان يكون غير مشفق فلما لم يفد ذلك فيه جبهه بعد هذا بقوله
* اسأت للغير وللنفوس ولي * فواجهه بنسبته الى الاساءة من غير كناية
ثم انتقل الى ما هو اعظم من تهديده اياه بالقتل والدماء عليه حيث قال
* لو لم يكن يحب حلم احنف * اليثبين مع قوله * فسوف لا نعم عوقب
ولدا امن خوفه * البديع * في كلام الناظم منه جناس الاشتقاق
اعني في قوله وسقيتها سوف وفيه كقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم ومن هذا النوع

ح
الناظم

ليس

لشيء من أجناس الحقيقي وإنما هو ملحق به لا غير والله تعالى أعلم ومعنى
الكلام لما أنكر على الحادي سؤاله الطيف وندائه لها أن تكلمه الإبلامة
لاتصافه من الشيء وكان الحادي لم يسمع له هذا الإنكار وقال ما الذي أنكرت
من أمري في سؤال منزلها الذي أنزلتني منزلة البلادة وفي اعتقادي أني لم أحد عن
الصواب. ولم ذا أتيت ذنبا استوجبت به منك هذا العتاب. أجابه بقوله فكأنه قال
البيت أي إنما أنكرت عليك ما أنكرت لأنك كلما أوردته تبعا التسلي والتعنيفة.
وحملتها ما ليس يناسب الجسيمة. وشغلت سمعي عن يرين بها التعنيفة. ليست عنوة
شفقة لما عراها من الكلال. ولم تأخذك رأفة بها لما نالها من سوء الحال.

ولم تزل ترمي بها يد النوى ٭ بين فج وفلاة سملق

اللغة قوله ولم تزل قال في المصباح ما زال يفعل كذا ولا أزال أفعله
لا يتكلم به إلا مع الجحد النفي وأخواته مثلا زمعه الشيء وأفعال الرابعة مثل ما برح
زنا ومعنى. قلت مثل النفي النهي والدعاء فالنهي كما في النظم وكما في قوله
تعالى ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك والنهي كما في قوله

صاح شمر ولا تزل ذاكر الموت ٭ فنسيانه ضلال مبين

والدعاء كما في قوله

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ٭ ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وهذا البيت موجود في كتاب الصحاح لما فيه من الدعاء بالسلامة وباستمرار النفع
قوله ترمي بها يقال رمى الشيء ورمى به ألقاه فإن نفى عنه وإن قبنه من أمامك مرادفة ورماه
وترمل ورميا بالكسر والفتح مع شد الميم والياء وفي سيرة في غزوة الخندق
وأخلاع المشركين عليهم من بنا من سفرين ثم ترتيبهم حرب إلا الرمياء بالنبل والحجارة
ورمى الله في يده وأنفعه وغير ذلك دعاء عليه قوله يد النوى اليد الكف أو من
المنكب إلى أطراف الأصابع وهي مؤنثة ولامها محذوفة وفيها لغات اليد كما في النظم
واليدي كالعمى واليدا كالسنة واليد مشددة وتثنية الأولى يدان وجمعها في القلة
أيد وفي الكثرة يدي كعصي وجمع الجمع أياد منقوصة وفي المثل ذهبوا أيادي سبا
متفرقين وسمع في يده يدي ولا يدين لك بهذا الأمر أي لا قوة لك به والنوى
البعد والوجه الذي ينوي فيه كالنية فيهما قال في القاموس قال الجوهري النوى

فتى

ابن أسماء

الوضع الذي ينزل فيه المسافر من قرب أو بعد وهي مؤنثة لا غير قوله بكل فج الفج
الطريق الواسع بين جبلين كالفجاج بالضم وأما الفجاج بالكسر فهو جمع فج قال الله
تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وأفج القوم سلكوا الفج قوله وفلاة الفلاة
القفر وقيل المفازة لا ماء فيها وقيل الصحراء الواسعة والجمع فلا وفلوات
وفلي بضم الفاء وكسرها كعصي وجمع الجمع أفلاء وأفلى القوم دخلوا الفلاة
قوله سملق والسملق كجعفر القاع الصفصف أي المستوي والجمع سمالق قال جميل

ألم تسأل الربع القواء فينطق ۞ وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق

الإعراب والتصريف

قوله ولم تزل الواو عاطفة عطفت
الجملة التي بعدها على التي قبلها ولم حرف جزم وتزل مجزوم به وأصله تزال بالألف
قبل اللام فلما دخل الجازم حذفت الألف التي هي عين الكلمة لالتقاء الساكنين
واختلف فيها فقيل هي منقلبة عن واو وهو مذهب الفراء قال غيره زال الناقصة
من زال الناقة يزولها أي فعل بكسر العين يفعل بفتحها كخاف يخاف بفتحهما من قال بيس
القائم والتامة هو يعني بالتامة التي معناها الانتقال كما في قوله تعالى إن
الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا الآية وقيل هي منقلبة عن
ياء ومعنى الجميع حسبما يظهر من صنيع القاموس والمصباح الانفصال رسما على
ذكره في الياء واسم تزل ضمير مستتر فيه يعود على الذي وجملة ترد في محل
النصب خبرها ويحتمل أن يكون تزل مسندا إلى الذي على حد باب التنازع فيه وفيه ترد
فإن أعملت الثاني على مختار البصريين كان اسم تزل ضميرا مستترا فيه يعود على
الذي وفاعل ترد هو الاسم الظاهر وإن أعملت الأول على مختار الكوفيين كان
فاعل ترد ضميرا مستترا فيه يعود على الذي وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير
ولم تزل من الذي ترد فعلا وعلى كلا الوجهين فهو تزل مع جملة ترد فعلا هاهنا
وقد صنف جماعة من النحاة أن ذلك ليس من باب التنازع وجوب توجه العاملين
إذ المتنازع فيه فإن كان أحدهما يحتمل توجهه إليه وإلى غيره كما منعه
وكما في قوله تعالى وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا فإن العامل الأول
وهو كان يحتمل أن يكون مسندا إلى الضمير وهو سفيهنا ويحتمل أن يكون مسندا إلى
ضمير الشأن امتنع التنازع وإن كان ما قدمناه قوله ترد الذي اسم ثلاثي

الوضع محذوف اللام اصله يدي بسكون الدال على الصحيح قال الجوهري في جمعها ايد وايدٍ وهذا جمع فعل مثل فلس وافلس وفلوس ولم يجمع فعل على افعل الا في احرف يسيرة معدودة مثل زمن وازمن وجبل واجبل وعصا واعصٍ انتهى قالوا وليس في كلام العرب كلمة فاؤها ياء ولامها ياء الا يدٍ كما انه ليس في كلامهم كلمة فاؤها واو ولامها واو الا واو اعني الحرف الهجائي والالف التي منقلبة عن ياء وتكتب ياء قوله بكل فج اتباه ثم فيه بمعنى في كقوله تعلى ولقد نصركم الله ببدر الخ فيه قوله والالف منقلبة عن واو وتكتب لذلك الفا ولو فرعها حشوا في الكلمة قوله سملوقة الفلاة قال ابو البقاء فيه زائدة واصله سلوب بالتحريك ومعناه القاع الصفصف ويجمع على سلقان كخلق وخلقان وعليه فوزنه فعل فيه زائدة بين الفاء والعين ومقتضى القاموس ان الميم اصلية فوزنه فعلل والله اعلم **المعاني** في استعمال الناظم الوصل في جملة البيت مع التي قبلها لما بينهما من التوسط فيبني الكمالين كما مر والجامع بينهما باعتبار المسند المناسبة التامة بين الشيء العنيف والرقي في المعارج او بيان انهما متغايران معنى وباعتبار المسند اليه ما بين الهادي والنوى من شبه التماثل اذ كل منهما مفرق بين الاحبة وحامل للابل على لزوم السير وان كان هذا المعنى في النوى على سبيل المجاز العقلي وهذا الجامع وهمي كما في قول الشاعر يمدح الخليفة المعتصم بالله

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

وقول الاخر يهجو الوزير ابا بكر بن زهر وكان كبيرا

يا ملك المغرب وابن زهر * جاوزتما الحد والنهاية

ترفقا بالورى قليلا * في واحد منكما الكفاية

لكنه وان ابا اسحاق ليس من جنس الشمس والقمر وان ابن زهر ليس من جنس الملك وان الهادي ليس من جنس النوى لكن الوهم يحتال في جعلهما من جنس واحد وانما اتى اختلافا بالعوارض والله اعلم **البيان** في اسناد الرفق الى النوى المجاز العقلي وهو اسناد الفعل او ما في معناه الى غير ما هو له لما يلابسه كقولهم بنى الامير المدينة وبيانه في كلام الناظم ان الرفق كان يكون مسندا بحسب الكلام الى النوى لذا يرى بعض الناظم عن ذلك واسنده الى النوى التي هي الة للرفق فقط فكان مجازا عقليا

وهذا كما لو قلت رمي زيد بكذا ورمت يداه به فالأول حقيقة والثاني مجاز وهو واضح
والحاصل أن العقل من قبيل الإسناد لا من قبيل المجاز خلاف ما يقتضيه صنيع التلخيص وفي
قوله يد الشمال استعارة بالكناية تبعتها استعارة تخييلية كقول لبيد

وغداة ريح قد كشفت وقرة * إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فأما المكنية فاختلفوا في تفسيرها على أقوال ثلاثة أحدها وهو الأصح قول السلف
أنها نفس المشبه به المذكور المدلول عليه باللازم الثاني قول السكاكي أنها
نفس المشبه المذكور به الثالث قول القزويني أنها التشبيه المضمر في النفس
فمتى على القول الأول والثاني فيكون لفظا مجازا وعلى القول الثالث فقول المتكلم ليست
لفظا وإنما هي أمر معنوي ومثاله البيت المتقدم وقول الهذلي

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

فعلى قول السلف تسمى الاستعارة هو لفظ السبع المذكور الذي شبهت به المنية
المدلول عليه بالأظفار وعلى قول السكاكي تسمى الاستعارة هو لفظ المنية
المستعمل في السبع بادعاء السبعية لها وعلى قول القزويني تسمى الاستعارة
هو تشبيه الشاعر المنية بالسبع الذي هو معنى نفسي له لا لفظي قال في
التلخيص قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه ويدل
عليه بأن يثبت للمشبه أمر يختص بالمشبه به فيسمى التشبيه استعارة بالكناية
أو مكنيا عنها ويسمى إثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية كما في قول
الهذلي * وإذا المنية أنشبت أظفارها * البيت شبه المنية بالسبع في اغتيال
النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار فأثبت لها الأظفار التي
لا يكمل ذلك الاغتيال في السبع بدونها تحقيقا للمبالغة في التشبيه اهـ وكذا نقول
في كلام الناظم إنه شبه النوى في كونها تفرق بين الأحباب وتقطع ما بينهم من
الأسباب بالشمال فإنه يتصور منه ذلك الفعل على الكمال وهي أبلغه تشبيها
مضمرا في النفس ودل عليه بأن أثبت للمشبه المذكور ما يختص بالمشبه به وهو اليد
التي لا تكمل الفرقة في الانسان على التمام إلا بها تحقيقا للمبالغة اهـ
هذا شرح المكنية وما فيها من الخلاف وأما التخييلية فاختلف فيها أيضا على
قولين أحدهما قول السلف والقزويني أنها إثبات ما يختص المشبه به للمشبه

كالأظفار

كالاقمار في بيت الجزع والنيرين في بيت الناظم فتكون قرائنها معنوية ايضا وقوله للمتكلم ليس من قبيل الالتفات والله اعلم وفي قول الناظم ترقى بها استعارة ثالثة تصريحية وتقسيمها الى الاستعارة التصريحية وهي التي تقابل المكنية تقسيم اخر فتسمى اصلية وهي ان تقع في اسماء الاجناس من سواء كانت ذوات او معاني كقولك لقيت اسدا متقلدا اسيافا تعني شجاعا وشهدت قتلا تريد تعني ضربا شديدا وتبعية وهي ان تقع في المشتقات والحروف ومثالها في الفعل

قوله جمع الحق لنا في امام * قتل البخل واحيا السماحا *

وانما سميت تبعية لانها تتحقق اولا انما تجري في المصدر بمعنى ان الشاعر شبه نقص البخل عدما بنقص القتل واقتصر على ذكر المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية وشبه نقص البخل اظهاره بنقص الاحياء كذلك ثم اشتق من القتل قتل ومن الاحياء احيا فجاءت الاستعارة اصلية في المصدر تبعية في الفعل وكذا تقول في كلام الناظم انه استعار الرقي بالابل للسير بها السريع بجامع السرعة والنفرة في كل ثم اشتق من لفظ الرقي ترقي فكانت الاستعارة اصلية في المصدر تبعية في الفعل والحاصل ان الاستعارة لا يجمع فيها بين طرفي التشبيه فان اقتصر فيها على ذكر المشبه به فهي التصريحية وان اقتصر فيها على ذكر المشبه ورمز للتشبيه بما يلايم المشبه به فهي المكنية وذلك الملايم المرموز به هو التخييلية مثل ذلك قول الناظم رحمه الله الباء من قوله بكلاكع وجعله مفعولا بترقي يحمل على استعارة رابعة وهي ان يكون قد شبه الابل بسلالم فرمز لها بهذا الغرض من تلك الجملة فيكون كقول بعض الرجاز

حراجيج ما تنفك الا مناخة * على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا

لا كناية على الباء الظرفية بعلاقة ذلك وقد احسن البوصيري رحمه الله حيث تمم هذه الاستعارة وبين ما بعدها في همزيته *

ورقينا بها الفجاج الى كعبة * والسير بالفلاة ارقال

فاصبنا عن قوسها غرض القرب * ونعم الخبيئة الكوماء

وعنى الكلام من ان الشمس ايضا من معنى ما قبله ويكون حالة ثانية لمعاقبة الناظم للحادي اي انها مما تشبه من اجل انك كما لقيتها كلمتها ومن اجل انها

ن تألف الاشجار في المفاوز الموحشة .. وتورد معا الاحكار فمنها مثل السراب المعطشة .. وذلك لما يكسوها فكأنها ثوب الينع .. او نشبهها بالكلية الى العطب .. فان قلت كيف يصح ان يكون هذا البيت علة لمعاتبة الناظم للحادي .. والفرض ان الحامل للابل في تلك المفاوز انما هي النوى لا غيرها فيجب ان هذا الحادي ليس عليه سوقه العنيف وانه يعفو فيه الزجر اذا نب .. ومن جملة جزمه الزجر السبب .. فكيف يلام على فعل ليس منه في قبيل ولا دبير .. ولم يكن منه في العير ولا في النفير .. فما احق هذا الحادي بان ينشد في هذه العلة قول الشاعر

غير جنى وانا المعاقب فيكم * فكأنني سبابة المتندم

قلت المعلوم ملام عليه بانه السبب في ذلك كله ولولا هو ما سلكت هذه الابل تيقها ولا بلغها .. ولا احرفت منهلا ولا مرتعا .. فهو الجاني على المحب والمحبوب .. وكل ذنب فبراسه معصوب .. واما الشكوى من النوى ونسبة النقم فيه اليها واستعارة البين لها فهو كثير في كلامهم ومنه قول لسان الدين ابن الخطيب

ولله عينا من رءاها وللاسى * ضرام له في كل جانحة جمر
وقد بزت عن الرضوع يد النوى * وللشوق اشجان يضيق بها الصدر

وقول العلامة العقل واخشى *

تناءى ابن العمر حيث صبابة * فقال عجيب كل امر في النوى
هجرتها لعرض اذ رمت ارتشافه * ولم تنصف اذ رمتها بيد النوى

وقد اعتذر ابن الخطيب عن النوى وابدع في الجواب عنها حيث قال

ملام النوى في ظلمها غاية الظلم * لعل بها مثل الذي بي من السقم
فلو انها تهوى التي تزوعتني لقاءكم * ولو انها تر اخكم لم تكن فيكم خصمي

وما الثلث ترتع كل يعفور * اذ ربما وكل ماء فـرق
وكل ابطح واجرع وحز * ع وكم بيت وكل ابـرق

اللغة قوله وما الثلث الاثل والاثلات التعصين والانعكاء يقال اثر الرا والثرا بعلو وايضا كعصى والثريا لية والثلى الثلاء فضر وابنها والثلى ايضا انسم وعليه كلا ثرو تأثر وقوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم بيسر بالمغنين والدكامه فيه التلز وقولهم في المثل الا حكاية فلا الية هو من المعنى

6
بالنزال المعجمة

الاول اي ان من اشتكى فلا زال الخطب ذا الشك واجعل نفسي فيه يضرب في الحضر
بمداراة الناس والتودد اليهم لادراك الحاجات منهم قوله تذرع كل قفر اي
تقيسه باذرعها يقال ذرعت الثوب ونقول ذرعتها من باب نفع اذا قسته بالذراع
والقفر من يقفع النبات والمكان الخلب الغليظ والمرتفع ايضا والارض المستويه
والجمع قفار قوله اذرعها جمع ذراع وفي كتاب المصباح المنير من كل حيوان
للانسان من المرفق الى اطراف الاصابع وتقول في اليد من يدي فالذراع من
من يدي البقر والغنم فوق الكراع ومن يدي البعير فوق الوظيف وكذلك من الخيل
والبغال والحمير والذراع القياس مؤنثة في الاكثر ونقل ابن السكيت الذراع انثى
وبعض العرب يذكرها وانشد الفراء شاهدا على التانيث فقال الراجز

ارمي عليها وهي فرع اجمع * وهي ثلاث اذرع واصبع

وقال الزجاج التذكير شاذ وتجمع على اذرع وذرعان وزعم سيبويه انه لا جمع
لها غير اذرع للاكثر فقد نقل غيره خلافه وقولهم في المثل ان تطعم العبد الكراع
فيطمع في الذراع قالته الجارية لعمرو بن عمرو اللخمي وسياتي حديثه ان شاء الله
قوله وكل قاع القاع الارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام
والجمع قيع وقيعة وقيعان بكسر من واقواع واقوع وفي التنزيل فيذرها قاعا
صفصفا وفيه ايضا والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة قوله قفر والقفر
كسكتة ومحل والاول افصح المكان المستوي وقاع قرق مستو وقرق كفرح ساد فيه
وفي المثل تبادر الرعد في انقلاع القرق يضرب لمن عدل بحاجته عن الكريم الى اللئيم
وقال الراجز يصف ابلا بالشرعة وهو من ابيات الكتاب *

كأن أيديهن بالقاع القرق * أيدي جوار يتعاطين الورق

قوله وكل ابطح الابطح والبطحاء والبطيحة مسيل واسع فيه دقاق الحصى والجمع
اباطح وبطاح وبطائح على غير قياس وتبطح السيل اتسع في البطحاء والابطح بمكة
المشهور المحصب وقريش البطاح الذين ينزلون بين اخشبي مكة وقريش الظواهر
الذين ينزلون ظاهرها قوله واجرع الاجرع والجرعاء والجرعة بسكون الراء وتحريكها
الرملة الكثيرة المنبت لا وعوثة فيه وقيل الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل وقيل
الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة وقيل غير ذلك ويجمع الاجرع على اجارع

قوله وجزع الجزع بالكسر وقال ابو عبيدة اللائق بالفتح منعطف الوادي
ووسطه وقيل منقطعه وقيل منحناه وقيل لا يسمى جزعا حتى تكون له سعة
تنبت الشجر والجمع اجزاع قاله الجوهري

* * *

يجوزه بالاجزاع من اضم كملل　　وبالسفح من فوق فعلاء وفعمل

قوله وضهيأة الضهيأة بفتح الضاد وكسر الهاء المهملة المرأة المنقطعة من الحيض
تنصرف اي تنقطع عن حيضها يقال امرأة ضهيأة وضهيا وكذلك ضهياء وضهيأ قال
الفرزدق وضهيأة عاقر زياد

* * *

انوالها اثنا لم ننعيشة　　بها للابكتني بالضهيأة اعقرا

قوله بها لا بكتني هذا مثل يقال عنزا الشماتة بالعصا بدعاء عليه بان لا تجاوز
نصيبته الى غيره وفي مع ابو تمام التي قول الفرزدق وهذا حيث قال
فتلته سرا ثم قالت جهرة　　قول الفرزدق لا بكتني اعقر

وجمع الضهيأة ضهيأ كما مر قوله وكل ابرو ابرو ابرو والبرقاء غلظ من الارض فيها حجارة ورمل وطين قال الجوهري من قال ابرق قال للمكان ومن قال برقاء
قال للبقعة وجمع الابرق ابارق والبرقاء برقاوات والابرق ايضا الجبل
الذي فيه لونان من الاعراب والتصريف قوله وما اشتملت النوازع
عاطفة عطفت جملة على اخرى وما نافية واشتملت فعل ماض مجزوم للسكون
لانقلاب الالف واحتمالها مع سكون تاء التأنيث واصلها النوازع ثم حذفت بلا
لجاوزتها الثلاث ثم الياء لتحركها وانفتاح ما قبلها وفاعل اشتملت ضمير الابنية
وجملة تنزع كل مؤخر حال منه ويحتمل ان يكون اشتملت مسندا الى الاذرع على
سبيل التنازع بينه وبين تنزع فيجري فيه ما جرى في اعراب البيت قبله وقوله
كل مؤخر معمول لتنزع مفعول به وكل فاعل معطوف عليه والف فاع منقلبة عن
واو وفي وصفه لفاع وكل ابيض معطوف على ما قبله منصوب وكل اخرى كذلك
واعلم ان ابيض واجرع وازرق ممنوعة من الصرف للوصف المتاصل والوزن
الغالب ومثلها ادهم للقيد واسود وارقم للحية وانما مثلنا الوصف المتاصل
لانه وضعت في الاصل وصفا ثم غلبت عليها الاسمية وبقيت على منعها من
الصرف اعتبارا بالاصل قال في الخلاصة * وألغين عارض الوصفية *

* كأربع وعارض الاسمية * قال سيبويه لم تختلف العرب في منع صرف
الصفة من الصرف وإن استعملت استعمال الأسماء وحكى غيره أن من العرب
من يصرف أبطح وأجرع وأبرق اعتبارا بالاسمية نبه على ذلك ابن مالك في
التسهيل فيحتمل أن يكون صرف أبرق هنا إنما جريا على هذه اللغة ويحتمل
أن يكون صرفه من أجل القافية والله أعلم **المعاني** في قوله وما أتلت
في الوصل المتفرع والجامع بينه وبين ما قبله باعتبار المسند المناسبة
الكاملة بين الرمي في الجامعية وذرع الفلا أو شبه التماثل وباعتبار المسند
إليه اجتماع بين النوى وأذرع الإبل في أن كلا منهما دال على الشيء ومعبر عليه كما
في الجامع بين الخيل والنوى وإضافة الأذرع إلى ضمير الإبل للعموم أي جميع
أذرعها ثم إن كلام الناظم لا يخلو من الكناية لسرده أسماء منزلة البقاع
وتعداده إياها والكناية نفسه فيها مع أنه كان يمكنه أن يأتي بعبارة أعم
منها وأجمع بعضه للكناية لما كان في مقام التشوق على العادة وتفجع لما
عليه كي يقبل من غربه ويسيم به عن غرضه ناسب أن يأتي بعبارة مكتنبة
ويعدد أسماء منزل البقاع على اختلاف أنواعها وإن منها العشر والزمن
والعز والبعث **البيان** في إسناد النزع إلى الأذرع المجاز العقلي كما في
إسناد الرقم إلى يد النوى وفي قوله تنزع كل موقر استعارة تبعية تبعية بأن
شبه حركة أيدي الإبل في حال سيرها بحركة يد إنسان في حال نزعه لثوب وتشوله
بجامع المشية الخالصة أعني التبختر والتسخير مع السرعة في كل ثم اقتصر على
ذكر المشبه به الذي هو النزع ثم اشتق منه تنزع فجاءت الاستعارة الأصلية
في المصدر تبعية في الفعل ولك أن تقرر في كلام الناظم استعارة أخرى بالكناية
وذلك في ضمير الإبل بأن يكون شبه الإبل بإنسان عاقل يصح منه فيستدل ذوقه ومحالا
على الوجه المعهود وطوي ذكر المشبه به على طريقة الاستعارة بالكناية
ودل عليه بنسبة التشبيه بالاستعارة التحقيقية التي قررت في لفظ تنزع فإن قلت
قد تبين التخييلية التي تلازم المكنية قلت التحقيق وهو مذهب المحققين أن
القرائن المكنية قد تنفرد عن التخييلية وتكون قرينتها حينئذ الاستعارة التحقيقية
كما هنا وقد قرر ذلك صاحب الكشاف في قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله قال

انما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على
سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا من اسرار
البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر
شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع يفترس اقرانه
ففيه تنبيه على ان الشجاع اسد هذا كلامه قال الحفيد سعد الدين فقد اشعرنا
منه ان قرينة الاستعارة بالكناية لا يجب ان تكون استعارة تخييلية بل قد تكون
تحقيقية كاستعارة النقض لابطال العهد ولا يخفى جريان هذا المعنى في
كلام الناظم والله اعلم. **البديع** في كلام الناظم منه جناس الاشتقاق
بين تزدع وازدعها وما الحق قول الشاعر في خادم اسود متكلما بالظلم

يا مشبها في فعله لونه * لم تعد ما اوجبت القسمه
فعلك من لونك مستنبط * والظلم مشتق من الظلمه

يشير لقوله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وفيه التعديد
وهو عبارة عن ايقاع اسماء مفردة على سياق واحد كقوله تعالى ولنبلونكم
بشيء من الخوف والجوع الاية وكقول ابي الطيب *

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وهو من كلام الناظم في البيت الثالث وفيه ايضا التسهيم وهو ان يجعل قبل
العجز من البيت ما يدل عليه اذا عرف الروي وذلك كقوله

احلت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حللته بمحلل * وليس الذي حرمته بحرام

وكذا بيت الناظم فان من سمع صدره وكان حافظا لمعاني الشعر وكلام العرب
ادرك الى ءاخره فان لقافيتي ابكي واجزع كثيرا ما تذكر معهما لفظة ابن في كتب
العربية والادب وفيه مراعاة النظير وهو جمع الشيء الى ما يناسبه
من نوعه او ما يلابسه من وجه ما كقول البحتري انشد في ابل انحلها السير

كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

وقال بعضهم في ذات النبي صلى الله عليه وسلم *

انتم بنو طه ونون والضحى * وبنو تبارك في الكتاب المحكم

وانه

وهو الأباطح والمشاعر والصفا   والركن والبيت العتيق وزمزم

جمع البحتري في بيته بين الفسيح والأشم والأوتار وجمع الناظم في البيت الأول بين أسماء سور القرآن وفي الثاني بين البقاع الحجازية وكذا الناظم فإنه جمع في كلامه بين أسماء البقاع المذكورة ولا تخفى هنا سبقيته وأنه هل يكون فيه لعكسني أجرع وجرعا الجناس المصحف أو الزيادة في المنزل في الأول وهو الكلام واعلم أن البيت الثاني يسميه العروضيون المدمج وحقيقته أن يكون آخر النصف الأول من البيت قد انقضى في بعض كلمة منه وتمام تلك الكلمة في أول النصف الثاني ككلمة جزع هنا فإن نصف البيت قد انقضى عند الزاي منها والعين من أول النصف الثاني وقد أتى بكثرة الناظم في أبيات تبسيمة من هذه الأرجوزة وهو مستعمل وأنه يوجد في الشعر كقول البحتري المتقدم وكقول البستي

إن أخرتنا الأيام يغلو   ن علينا في قيلهم أعداء
ينقلون البرادة منا إلى الذنـ   ـب ولا ينفع المنكي الجلاء

فإن نصف البيت الأول قد انقضى عند النون من يغلون ونصف الثاني قد انقضى عند النون من الذنب والله أعلم **ومعنى الكلام** هذا البيت أنه لما تم ما قبلهما يقول إن هذه الأماكن ما قضيت في ملازمة الشيخ، ولا بد قد منه ببينة غير، تحقق تفقه البسيكة غورا ونجدا، وتقسيمها كما تجري لها حدا: لا تمام فوائد التشبيه بالشرق، وله بنهمنما جذب الأزمة والبرق ومثلها للناظم في استعارة زرع الأرض للشيخ مما قاله في الهيجاء فقال ابن عطية البكري المعروف بشبل الدولة في الوزير ناصر الدين بن أبي العلاء الكرماني

دع العيس تذرع عرض الفلا   إلى ابن العلاء وإلا فلا

وقد أبدع الكاتب أبو محمد بن زريق البغدادي في التشبيه الذي تضمنته هذه الاستعارة بقوله

ما ذاك من سفر إلا وأزعجه   رأي إلى سفر بالرغم يجمعه
كأنما هو في حل ومرتحل   موكل بفضاء الأرض يذرعه

ويقرب من هذا المعنى قول علي بن الخليل في الرشيد رحمه الله

يا خير من وخدت بأرحله   نجب تخب بمهمه جلس

تكلو الشباب سبب في أزرقها   كمثل النهار بحماية الدرس
وأحسن منه قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة *
ورب كممدوح العزم أدماء جسرة   يكمل بها عزمي على البيد مجسر
كموت بدا عمر وحيزوما شقة الفلا   وكف الثريا في دجى الليل تشير
أو جاهل فعال وهيم الفضا * لاذ منه للرسم دار وفر بكفي في
اللغز فقوله فعال جمع فعل كفعل ومن الفعالات التي لا علامة فيها بينه ى
بما قال مزاحم العقيلي *
غدت من عليه بعدما تم ظمؤها   تصل وعن قيض ببيداء مجهل
وزعم الحريري في الغائص أن فعالا لا يثنى ولا يجمع لذكره الوارد في كلام العرب
والأدباء بخلافه قال أبو محمد الثقفي رضي الله عنه *
أأنى تسرمت نحو ذا أم يوسف   ومن دون من قد لقيت مجاهل
وممن تكلم به مجموعا من العلماء أبو محمد الحريري في المقامات والقاضي عياض
في كتاب الشفاء وناهيك بهما أسوة للناظم فقوله فعال الحيرة هذه الفراية
يقال أنا في أمر مريب فقع في فعال رحيم أو حيرة وحيئة أو حيرانا بالتعريف فيهما
وقيير واستعمار إذا لم يدر وجه الصواب فهو حيئة وامرأة حيرى والجمع
حيارى بالفتح ويكسر قال أبو منصور الأزهري وأصله أن ينظر الإنسان إلى شيء
فيغشاه ضوء فيصرف بصره عنه فقوله الفكا هو اسم جنس جمعي يفرق بينه
وبين مفرده بسقوط التاء فيقال في الواحد فكاة ذكرا كان أو أنثى وفي الجمع
فكا ويجمع على فكوات بالواو قال الكسائي وربما قالوا فكيات ولهذا ما
في جمع لغات الإنسان أن وجعلت منها لنشر بكثير فيجعلون الألف التي قبلها
واوا أو ياء لقلبها في الفعل فالواو لا يقولون في غزوات غزيات بل غزوت كثير
معروف في الكلام وفي المثل لنشر فكما مثل فكهي أي لنشر الا كان جرى الا كان غير
والفكا ضرب من النبات والجمع عند العرب كل في هو من الفكا والفقاعة
والغرارد والرواجد والعرا شيرو سما وجرو أشباه ذلك وإنما سمي هذا النوع
بالفكا مشاكلة لصوته فإن الفكاة إذا صوتت قالت فكا فكا فكأنها
تخبر عن نفسها بذلك وقد سماها العرب بالجدري فقالوا الجدري من فكاة قال الكميت

لا تكذب القول إن قالت قطا صدقت * إذ كل ذي نسبة لا بد ينتحل
وقيل إنما سميت بذلك لأنها تعكو أي تقارب في مشيها يقال عكا يعكو
إذا قارب في خطوه والدال وصفتها العرب بحسن المشي وشبهت بها مشي النساء
المتبرجات ومن ذلك ما أنشدته هند بنت عتبة يوم أحد *

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * مشي القطا النواتق

فالدال والقطا نوعان كدرية وجونية فالكدرية غبر الألوان رقش البطون
والظهور صفر الحلوق قصار الأذناب وهي ألطف من الجونية والجونية سود
بطون الأجنحة والقوادم وكدريها أغبر أرقط تعلوه صفرة قال الشاعر يصفهما

أما القطاة فإني سوف أنعتها * نعتا يوافق عندي بعض ما فيها
سكاء مخطومة في ريشها طرق * سود قوادمها صهب خوافيها

والجونية أكبر من الكدرية والدال منها تعرف بكدريتين وإنما سميت جونية
لأنها لا تفصح بصوتها إذا صوتت وإنما تغرغر بصوتها في حلقها والكدرية
فصيحة تنادي باسمها قوله بالرقمتين الرقمة بفتح فسكون موضع الرمل في البحر
والرقمة أيضا آثار الناس وما اسود وأما الموضع القريب من الدار جمع الكلأ من
كسرة وسين وفي الحديث إياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن يا رسول
الله قال المرأة الحسناء في المنبت السوء قال أبو عبيدة نراه أراد فساد
النسب إذا خيف أن يكون لغير رشدة وإنما جعلت خضراء الدمن وهي ما تدمنه الإبل
والغنم من أبوالها وأبعارها لأنه ربما نبت فيها النبات الحسن فيكون منظره
حسنا أنيقا ومنبته فاسدا قوله الرسم دار الرسم الأثر وقيل بقيته وقيل
ما لا شخص له والجمع أرسم ورسوم ورسم الغيث الديار من باب نصر عفاها وأبقى
أثرها ومنه باب زهر وترسمت الدار تأملت رسمها قال ذو الرمة

أأن ترسمت من خرقاء منزلة * ماء الصبابة من عينيك مسجوم

والدار اسم يجمع البناء والعرصة مؤنثة وأما قال الله تعالى ولنعم دار المتقين
فذكر على معنى المثوى والموضع كما قال نعم الثواب وحسنت مرتفقا فأنث على
المعنى وقد ذكر ابن جني في الدار لغة بالتذكير وجمعها في القلة أدؤر وأدور بالهمزة
ومكان الواو وآدر على القلب وأدوار وفي الكثرة ديار ودور وديارة وديارات والله أعلم

الاعراب والتصريف فقوله مجاملا في هذا البيت وما بعده الى تمام
سبعة ابيات كلام معترض بين الجملتين المتعاطفتين لا محل له من الاعراب كقوله
تعالى ربّ اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني
سميتها مريم فيمن قرأ بسكون تاء وضعت اذ الجملتان من كلام ام مريم
عليها السلام وما بينهما اعتراض فقوله مجامل خبر لمبتدا محذوف اي هي مجامل
وصرفه ضرورة ومن الناس من يجوز صرف هذا الجمع في الاختيار وفي ذلك يقول
بعضهم والصرف في الجمع اتى كثيرا * حتى لقد عن قوم به التخييرا *
وقد قرئ قوله تعالى سلاسلا وأغلالا بالوجهين في السبع وكذا قوله تعالى
كانت قواريرا قواريرا من فضة وخرج الصرف فيهما على التناسب وزعم قوم
ان صرف ما لا ينصرف مطلقا لغة قال الاخفش وكأنها لغة الشعراء لانهم اضطروا
اليه في الشعر فجرت السنتهم على ذلك في الكلام فقوله تجار بين الفتحا
جملة في محل النعت لمجامل والف تجار منقلبة عن ياء اصله تجير كتفرح ونقلنا
حركة الياء التي هي عين الكلمة الى الجيم التي هي فاؤها وقلبنا الياء الفا
لتحركها اصالة وانفتاح ما قبلها عروضا وقوله بين الضمير للمجامل وكان من
حقه ان يقول فيهما لانه ضمير الكثرة والقلة يقتضيهما قال الله تعالى منها اربعة
حرم اي من الاثني عشر شهرا وقال فلا تظلموا فيهن انفسكم اي في الاربعة الحرم
قال الفراء الاولى رجوع فيهن الى الاربعة لان العرب تقول فيما بين الثلاثة
الى العشرة فيهن فاذا جاوزوا هذا العدد قالوا فيها والاصل فيه ان جمع القلة
يكنى عنه كما يكنى عن جماعة مؤنثة ويكنى عن جمع الكثرة كما يكنى عن واحدة
مؤنثة كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى * واسيافنا يقطرن من نجدة دما *

قال يلمعن ويقطرن لان الاسياف والجفنات جمع قلة ولو جمع جمع الكثرة لقال
تلمع وتقطر هذا هو الاختيار نعم يجوز اقامة احدهما مقام الآخر كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

فقال بهن والسيوف جمع كثرة ومثله عبارة الناظم وانما ارتكبها مع انها
خلاف المختار اعتمادا على فهم بنية المقام والف الفتحا منقلبة عن واو فتكتب الفا

فقوله لا دافع لا نافية للجنس ودافع اسمها وهو مفرد فيبنى وجوبا على ما
ينصب به لو كان معربا وهو هنا الفتح وعلة بنائه عند سيبويه والجمهور
تركيبه مع لا كخمسة عشر وقيل وهو الاصح لتضمنه معنى من الاستغراقية
بدليل ظهورها في قول الشاعر

فقام يذود الناس عنها بسيفه ... وقال ألا لا من سبيل الى هند

والناظم نون اسم لا المبني ضرورة كما نون الاحوص العلم المنادى في قوله

سلام الله يا مطر عليها ... وليس عليك يا مطر السلام

وباب لا اشبه بباب الابتداء من الخبر بالحاء فيحمل هذا عليه وخبر لا محذوف
لدلالة خبر الثانية عليه اي لا دافع فمن يغني شيئا اي في تلك الحال ولا راحم
حاضر فمن يغني فيها فان قلت هلا جعلت قوله فمن يغني في اخر البيت خبرا
للاولى وجعلت خبر الثانية محذوفا لان الحذف من الاواخر لدلالة الاوائل اولى
اولى من العكس قلت يمنع ذلك اتيان الناظم به مشتملا على ضمير المذكر ولو كان
خبرا للاولى لقال فمن يغنيه بناء الثانية في الرحمة ونظير هذا التركيب قوله

خليلي هل طب فاني وانتما ... وان لم تبوحا بالهوى دنفان

وتثنية الخبر تدل على انه للثاني ولا يرد مذهب سيبويه في نحو زيد وعمرو قائم
ان المحذوف فيه من الاول لفصله بين المبتدا والخبر وقد رجحها بعضهم كما ذكر ابن الحاجب وجعل
العكس فيهما فقوله لا راحم حاضر فمن حذف العائد والتقدير لا دافع ولا راحم
حاضر وان فيمتنع ان تعمل لا مع ان لانها فرع الابتداء بدون حكمه فان التي تعالى
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وهو كثير في القرآن وغيره وحرف حذف العائد
بابه الشعر كما في المغني فقوله فمن يغني خبر لا الثانية واذا علم خبرها كثر حذفه
عند الحجازيين ووجب عند التميميين كقوله تعالى قالوا لا ضير والفاعل معا منه
فيكون الناظم قد اتى به على مذهب الطائيين والاظهر ان جملة لا دافع مستانفة لا محل
لها من الاعراب ويحتمل ان تكون صفة ثانية لحادث فتكون من جملة المقول قلت
لو كانت صفة لعطفت على التي قبلها لتشاركهما في حكمها قلت قد استحسن
ابن هشام ان الصفة تتعدد بغير عاطف وان كانت جملة كما في المغني والله اعلم
تنبيه ما لا يجوز في قوله لا دافع لا راحم حاضر الا وجه الخمسة التي في نحو قوله

ولا قوة الا بالله لأن موضوع الحديثين واحد اذ كان ابن شماس رفيعا فيخشى
وهذا التلازم معروف في جل الاجوبة هنا وقد نص علماء الفن على ان روى
التفسيرية اذا كان مفعولا لا يجوز اللبس وجب اثباتها ذالك الوصل سواء كان موجودا
في اصل الكلمة كالصفة بغير معنا اخ لا كالفوا في المتعرفة وبعض الاتية ومنه
اي الكشوفات والرسولة والسبيلا في بواهل الاحزاب لذكر عمل الناس اليوم
شرقا وغربا بخلافه ومنو الاقتصار على حرف الروى فقط وعدم رسم حرف اللين
سواء كان موجودا في اصل الكلمة ام لا فتامله **المعانـــي** ارتكب الناظم
الفصل في جملة البيت الثاني قوله فجامل تماثل لما بينهما وبين البيت قبله من
شبه كمال الاتصال لانها مرتبة على سؤال مقدر اقتضته الجملة السابقة فنزل
ذالك السؤال المدلول عليه بالفحوى منزلة المصرح به وجيء في هذا الكلام مفصولا
كما يفصل الجواب عن السؤال الصريح ويسمى هذا الفصل في الاصطلاح استئنافا
وبيان ذالك ان الناظم رحمه الله لما مر على الجلادة بذكر تلك المفاوز التي هو
بصدد سلوكها واكثر من تعداد اسمائها وصنوفها فكانه فهم من الجلادة استشرافا
وتطلعا لمن يدعو في حال هذه المفاوز وانه لابد ان يسأله عن صفاتها ومن هي
فسلوكها ام لا وهل فيها اعلام يهتدى بها ام لا فبادر الى الجواب قبل التصريح
بالسؤال فقال بعض مجاهل من نعتها كيت وكيت والفائدة في الجواب اما كثرة معيبة
لسماع كلامه لانه يعظمه اليه فلا شيء اثقل عليه من مكالمته او لكونه يخشى
ان يقطع عليه كلامه واستلذ له او نحو ذالك مما يليق بالمقام وفي كلام الناظم
الاعتراض وهو من وجوه الاطناب فيكون من هذا الفن وبعضهم يلحقه بالتذييل
وحقيقته ان يؤتى في اثناء الكلام او بين كلامين متصلين معنى بجملة او اكثر لا محل
لها من الاعراب لغرض كالتنبيه والتقوية ونحو ذالك ومثاله قوله تعالى
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار وبيانه في كلام الناظم انه لما وصف
مفاوزها الجلادة في شان الابل فقطع الكلام في ذالك واعترض بوصف الارض التي
تسلكها هذه الابل وانها ارض من صفتها كيت وكيت واستمر في هذا المنزع الى تمام
سبعة ابيات ثم رجع الى الكلام مع الجلادة في شان الابل فقال ولم تزل تقطع
جلباب الرجاء ومنه الابيات التي اذ رجع الناظم رحمه الله معنا افادت الكلام

تقطع

تقوية وزيادة في غرضه اذ كان غرضه التهويل على الحادي كي يثبطه
عما هو بصدده وللاشارة انه اذا وصف منزل الاز باقفاره مما عدا العمران
وقلة خيرها ووعورة مسالكها وان ليس بها الا الرياح الزاجية والاشجار
الفانية والاحجار النامية وسمع الحادي ذلك جزّ بها كسر من عزمه وبث في
عضده واقلع عما هو بصدده وازمع الرجعة والعودة الى بلده وكان ذلك
كمال مراد الناظم وغاية مقصده وحذف الناظم المسند اليه في جملة من قبل
للعلم به وجريا على قاعدة الغالب في مثله فيه مقام عادة ثم ان يذكروا رحلا مثلا
ثم يقولوا قبيحة من بيت كذا وكذا الى منزل بني كذا ويذكروا الديار والمنازل ثم يقولوا
ربع قفنه كذا وكذا الى منزل ربع (؟) ومنزله في بيعة مستمرة عندهم وعليه مشى الناظم
وربما تقدم مثله في كلامه مشتمل على تقرير السؤال وعلى حذف المسند اليه وحذف لذا
والعادة يجب ان يكون فيه الجواز الحذف من منزلة الحيثية وقد تقدمت الاشارة اليه وتنكير
لعكم يحتمل للتكثير ويحتمل ان يريد معه التعظيم ايضا كقوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك فسمع ما ان كتبه الناظم من تنوين اسم لا المبني على الفتح
وحذف الخافض من قوله لا رسم دار فعمل بالفصاحة لخلوه من العيب والقياس اذ التعري
من اداة التنوين في لا وحصول ضعف التأليف بحذف الخافض في الشاذ وارتكب
الفصل في جملة لا دمنة في لانها مستأنفة جواب عن سؤال مقدر فانه لما اخبر
عن منزل الجمال بان اقفر اقفارا على عكس مرايته فيما مضى فكانه قيل له وما ذلك
فقال الاحباب لا دمنة فيها ولا رسم دار واما جملة لا رسم دار مع التي قبلها فالواجب
فيها من الوصل كما نبهنا عليه في الاعراب وعلته لا تخفى مما بيناه سابقا واعلم
اعلم ان **البيان** في كلام الناظم جهة النوع الكناية وذلك انه نفى الدمنة والرسم
واراد بذلك لازمه وهو نفي الساكن وان منزل الارض ليس فيها ديار ولا نافخ نار
لكنه عدل عن هذا الشيء الى الكناية لانها ابلغ لانها كدعوى الشيء ببينة
فكانه قال ليس بمنزل الارض ساكن بدليل انه لا دمنة فيها ولا رسم دار **البديع**
في كلام الناظم منه التلميح وحقيقته ان يشار في فحوى الكلام الى قصة معلومة
او شعر مشهور او مثل سائر ومنه قول ابن الحفيد

اترى الجيرة الذين تداعوا * عند سير الحبيب وقت الزوال

عَلِمُوا أَنَّنِي مُقِيمٌ وَقَلْبِي رَاحِلٌ فِيهِمُ أَمَامَ الْجِمَالِ

مِثْلُ صَاعِ الْعَزِيزِ فِي أَرْحُلِ الْقَوْ مِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا فِي الرِّحَالِ

ملمح إلى قصة يوسف عليه السلام مع إخوته وسرقة صواعه ومنه أيضا قول بعضهم في مليح اسمه بدر

يَا بَدْرُ أَهْلُكَ جَارُوا ﴿ وَعَلَّمُوكَ التَّجَرِّي

وَقَبَّحُوا لَكَ وَصْلِي ﴿ وَحَسَّنُوا لَكَ هَجْرِي

فَلْيَفْعَلُوا مَا أَرَادُوا ﴿ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرِ

لمح إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم والتلميح في كلام الناظم هو أنه أشار إلى المثل السائر وهو قولهم امتزج فكذلك وقد استعمل رحمه الله التلميح في مواضع كثيرة من مقامات الحريري ونحن ننبه عليها إن شاء الله وعشي الكلام يقول إذا سألت أيها السائل عن حاله يا كان أو غيرهم عن حال مقامات الحريري فاعلم أنها فيها ور وفيها من محكم المعاني والأمثال ليس بها قدر ولا علم ولم يسلكها ذو عقل ولا فهم فقد جمعت الحكم والأخبار وجعلت ذا آية أنها منزلة فارقة حتى لو سلكها الفصحاء على حكمهم امتزاجها الصلت أو ذات فكلامها مع شدة فهم إنها لكذلك فما كان بعيد لم يستتر في سلوكها الى خيبة ولم يجتهد في تفهمها بحار ولا خبير فأمره إلى العقيق أقرب وماله من حال العجب ومما قيل في وصف الفلوات قول كعب بن مالك رضي الله عنه من قصيدة قالها يوم أحد ﴿

بِحَارٌ وَأَعْلَامٌ كَأَنَّ قَتَامَهَا مِنَ الْبُعْدِ نَقْعٌ هَامِدٌ مُتَقَطِّعُ

تَكُونُ بِهِ الْبُزْلُ الْعَرَامِسُ رُزَّحًا وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السِّنِينَ فَيُمْرِعُ

بِهِ جِيَفُ الْحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيبُهَا كَمَا لَاحَ كَتَّانُ التِّجَارِ الْمُوَضَّعُ

البزل الإبل التي دخلت في السنة التاسعة والعرامس النوق الشديدة والحسرى الكالة التي قد كلت من شدة السير وقال علقمة الفحل من قصيدة يمدح بها الملك الغساني

هَدَانِي إِلَيْكَ الْفَرْقَدَانِ وَلَاحِبٌ لَهُ فَوْقَ أَصْوَاءِ الْمِتَانِ عُلُوبُ

بِهِ جِيَفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ

الأصواء بالمهملة الأعلام من الحجارة والمتان الأماكن المرتفعة والعلوب الآثار

وقال أبو الطيب المتنبي

سلكت صروف الدهر حتى لقيته ... على ظهر عزم مؤيدات قوائمه
مهالك لم تصحب بها الذئب نفسه ... ولا حملت فيها الغراب قوادمه

ذكر هداية القطا وما قيل فيها

قالوا القطا لا تسكن إلا بالعراء ولا تأوي إلى شجرة ولا جبل وأبعد ما أن تبيض فيه إنما هو موضع تعمله بصدرها في أفحوصة حتى إذا انفحص يسيرا باضت فيه ولا تضع بيضها إلا أفرادا أو أزواجا وإذا احتاجت إلى الماء بكرت إليه قبل سائر الطير وربما قطعت لذلك فيما إذا نهضت أن تبعث من أفاحيصها أسرابا غير منعرجة فتقطع فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس من العشر مراحل إلى عشرين فترد الماء فتشرب نهلا والنهل الشرب الأول فإذا نهلت أقامت حول الماء متشاغلة بقدر ساعتين أو ثلاث ثم تعود إلى الماء ثانيا فتشرب عللا والعلل الشرب الثاني ثم تأخذ في حواصلها شيئا من الماء فتنثني راجعة إلى أفاحيصها فلا تخطئ والجونية منها أشد تمكنا من الكدرية وقد ذكرت العرب ذلك في أشعارها أما الكدرية فقد قال مزاحم العقيلي

أذلك أم كدرية ظل فرخها ... لقى بشرورى كاليتيم المعيل
غدت من عليه بعدما تم ظمؤها ... تصل وعن قيض بزيزاء مجهل
غدوا كهوي يومين عنها انجلت لها ... كليلين من سير القطا غير مؤتل
فلما دعته بالقطاة أجابها ... بمثل الذي قالت له لم يبدل

اللقى المطروح الذي لا يلتفت إليه وشرورى جبل لبني سليم واليتيم المعيل المهمل وغدت من عليه أي من فوقه وعلى اسم والظمء ما بين الوردين وأصله للإبل وتصل أي تصوت أحشاؤها من اليبس والعطش والقيض بالضاد المعجمة قشر البيض الأعلى وزيزاء غليظ مؤتل غير مقصر وقوله فلما دعته يعني أي صوتت لفرخها فأجابها بمثل ما صوتت به وأما الجونية فقد قال فيها ابن الدمينة ينسب بمحبوبة له

وأنت التي قطعت قلبي حزازة ... ومزقت قرح القلب فهو كليم
وأنت التي كلفتني دلج السرى ... وجون القطا بالجلهتين جثوم

رأيت ابني أضعفت فرحي بكلهم   بعيد الرضى إذ القرود كلهم
يقول إنه شبه القطا الجونية بالشكيم أي بجنوبته مع أنها أشد تبكيرا
وأبعد منها ورودا حيث الرواد. قال أبو زياد الكلابي إن القطا تطلب الماء من
مسيرة عشرين ليلة وفوق ذلك ودون ذلك فتسير إليه مع الفجر فترده مع طلوع
الشمس ثم تقر في حواصلها الماء لفراخها فإذا صارت حيالها صاحت
قطا قطا ووقعت عليهم فلا تخطئ واردة ولا صادرة بلا علم ولا شجرة ولا
أمارة فسبحان من هداها لذلك فلذلك ضربت العرب بها المثل وذكرتها الأدباء
في شعرها ونثرها فمن كلام القاضي عياض رحمه الله في صدر الشفاء ومهامه
مهامه يحار فيها القطا وتقصر فيها الخطا ومن كلام الحريري في المقامة
الشعرية وجبت في شيء وعرا لم تدر فيه الخطا ولا اهتدت إليها القطا وقال
الشاعر وللناس أهدى في القبيح من القطا   وأضل في الحسنى من الغراب
وقال الطرماح يهجو بني تميم

أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى   خلال المخازي عن تميم تجلت
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا   ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة   يكر على صفي تميم لولت

ومر أبو الحسين محمد بن لنكك البصري على قوم رؤساء مجانين وضمن صدر
بيت الطرماح فقال

عرفت صداكم من وجوه لئيمة   تكنفها جهل ولؤم فأفرطا
وأزريتم إذ أنتم رؤساؤه   لأمر به يجري عليه ويخطا
إلى كم تعيبون اللئام وأنتم   أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا

وذكر شمس الدين ابن خلكان أنه كان يقع بين سعد بن محمد التميمي الشاعر المعروف
بحيص بيص وبين أبي القاسم بن الفضل الشاعر المعروف بابن القطان مجريات
ونوادر منها أنهما حضرا يوما على سماط الوزير أبي الحسن علي بن طراد الزينبي
وذلك في شهر رمضان فأخذ ابن القطان قطاة مشوية وقدمها إلى الحيص بيص
فقال الحيص بيص يا مولانا هذا الرجل يؤذيني فقال الوزير وكيف ذلك فقال إنه يشير
إلى قول الشاعر * تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

ومثل

ومثل هذا ما روي ان رجلا من بني تميم قال لشريك النميري ما في الجوارح احب الي من
البازي فقال له شريك وخصوصا اذا كان يصيد القطا اشار التميمي الى قول جرير

انا البازي المطل على نمير ... اتيح من السماء لها انصبابا

واشار شريك الى قول الطرماح * تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا : البيت
تنبيه مما يوصف بالهداية ايضا الحمام الزاجل فانه ربما غاب عن وكره
عشر سنين او اكثر وهو على ثباته وقوة حفظه حتى اذا وجد فرصة طار وعاد
الى وكره ولهذا اتخذ من جنس منه البرد بحمل الاخبار وهي معروفة بارض الشام
والعراق وخصوصا البصرة وبغداد فيشترون بالاثمان الغالية ويرسل من الغاية
البعيدة بكتب الاخبار فيقطع العشر مراحل واكثر في يوم واحد فيرد بها ثم يعود
بالاجوبة قال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تباع بخمسمائة
دينار ولم يبلغ ذلك الفرس شيء من الحيوان غيره وسوى ان جاز ان الغاية
قال ولقد جلبت بغداد والبصرة وجرت ذلك بلا معاملة ولقد جرت ان يرد ونا
او من شاء بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك جهرا وقد تباع البيضة الواحدة من
بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين دينارا اذا كان له زوج منه فلاح
في الغلة فقالع ضيعة واصحابه يتنزهون من اثمانه الدور والحوانيت ومن وجه ذلك
قلعتي عجيب ومنظر انيق قال ولولا هذا الهدي من الحمام لما جاز ان يعلم اهل
الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة او حدث بالكوفة في يوم حتى تكون
الحادثة بالكوفة غدوة فيعلمها اهل البصرة عشية وذلك مشهور متعارف
ويقال ان حمام البصرة بلغ في الهداية ان جاءت الحمامة من مصر ومن اقاصي بلاد
الروم الى البصرة وللقاضي الفاضل من فصل في هذا المعنى قوله وكما يجب ان يعتنى
بتربية الحمام التي سكنت في البروج حمل الجو : واجرت كتائبها للعروج في
اسمهم : ادارت فلك : بقدر كادت سوابق الحمام : تعز من الملائكة الكرام : اذ اتيك
بها الرقاع : صارت اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع : *

(تنشر بها غيم السوافي والثرى * حب المراجيح وكل زغلول)

اللغة قوله السوافي جمع سافية بالفاء كقاضية وقواض وهي الريح التي
تسفي التراب اي تحمله وترفعه وقيل السافياء الغبار قال ذو الرمة

لمية أطلال بحزوى دواثر * عفتها السوافي بعدنا والحواصب
قوله والحواصب جمع حاصب بكسر الصاد المهملة وهي الريح التي ترمي بالحصباء وقيل الحاصب ما تناثر من دقاق الثلج والبرد وبالمعنى الأول يفسر قوله تعالى فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وقيل الحاصب في آية الملك الذي رمى قوم لوط قوله الهراجيج جمع هرجوج كعصفور وهي هنا الريح الباردة الشديدة فأما قول ذي الرمة * هراجيج ما تنفك إلا مناخة * على الخسف أو نرمي بها بلدا قفرا * فالمراد بها النوق وهي السمان الطوال قوله وكان خلو الربع الشيء نزرة

الإعراب والتصريف ليس بما في الجملة مستأنفة ويحتمل أن تكون صفة ثالثة للمجاهل وليس كلمة تنفي مضمون الجملة في الحال وقد تنفيه في غير الحال بقرينة كقول الأعشى في قول النبي صلى الله عليه وسلم *

له نافلات ما يغب نوالها * وليس عطاء اليوم مانعه غدا

ومن يقول لا ينصرف وزنه فعل بالكسر ثم التزم تخفيفه بالتسكين قال الأصبهاني دخلت على الصيرلاني في مرض موته فقال إن كنت قلت عند الزعيم أني قد ادعيتم كتما قلت سألني عن وزن ليس فقلت فعل أو فعل يعني بفتحة أو ضمة فقال الآن علمت وإن لم يعلم تكلما وإنما هي فعل بالكسر ولم أسأله عن علة ذلك ومات وفي قلبي منه حزازة فرأيته في النوم وسألته فقال إنما هي فعل بالفتح لأنه لا يخفف وفعل بالضم لأنه لم يأت مضموما إلا متصرفا ويكون فعل بالكسر ثم خفف كعلم في علم وقال ابن السراج والفارسي ليس حرف بمعنى ما وقيل هي مركبة من لا وأيس كرحت الهمزة والزقت اللام بالياء فصار ليس والصحيح الأول وهي فعل جامد يرفع الاسم وينصب الخبر واسمها عين السوافي وخبرها في المجرور قبله وفي الكلام موصوف مقدر أي ليس فيها شيء غير السوافي ومن أن يستثناء مفرغ وإنما تقدير الموصوف أمر اقتضته الصناعة وحذف حرف العطف مع الهراجيج ضرورة والله أعلم المعنى إنما يحمل البناء جملة من الشيء مما قبلها في نعتا مستأنفة بأنه لما أخبر عن منزل المجاهل بأنها لا دائمة فيها وقد رسم دار بكى أن السامع استغرق في السؤال فقال وليس بها شيء أصلا فقال ليس بها غير الرياح المثيرة الغبار والأمطار العادية الثمار والسباع الكبيرة المضار

ثم الحصر الواقع في كلام الناظم الأخضري إنه من باب قصر القلب لا الإفراد ولا التعيين لأن القدماء وما اهتموا عن سلوك مثل هذا الزخرف والتوغل فيها حتى كان مقتصرهم إنما يتكلمون ما جرى عليه في نفس الأمر وإن أتى من زخرف فيها شيئا من جهة الفواصل العكسية ما اتفق عليه حسبما تشهد بذلك العادة وفي كلامه أيضا الحصر المسمى بالمساواة وهو أن يأتي في الصيغة المشتملة على الحصر ونظيره قوله تعالى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وزعم ابن الأثير وصاحب عروس الأفراح أن صيغة الحصر من باب الإيجاز الحذف لا من باب المساواة وأما تعداده لأسماء الرياح فهو من باب الإطناب فإن قلت كيف يصح الجمع بين المساواة والإطناب والمقام إذا اقتضى أحدهما لا يقتضي الآخر قلت هما مرتبان على قصدين فحيث أراد أن يعبر الناس بأن ما يا كان أو غيره ما اشتملت عليه منزلة الزخرف أتى بعبارة مساوية في نقل المعنى وحيث أراد التنوير على ما عليه الكتب والآي السوالف وما يعرف للاستخراج أو بدليل قوله وكل زخلو وأما عدم الفاصلة مع المراجع فهو موجب لتغيير التاليف وتخل بالفصاحة كما مر والله أعلم **البديع** في كلام الناظم فيه مراعاة التكميل بجمعه بين أسماء الرياح وقد تفرع الكلام عليه وفيه أيضا التغيير وقد تقدم أيضا وأما معنى الكلام فهو كما مر والله أعلم

والمرخ والعفار والعضاه * والأسبشام والأذن وتنبا الغربق
والبرق والعنلة والسعدان * والشعر وشرو وسنا وسمسق
وعشر وشثم والشبل * مع ثمام وبعار فوفسو

اللغة والمرخ والعفار هما شجران من الشجر كلاهما سريع الوري قال أبو زياد ليس في الشجر كله أورى زنادا من المرخ قال وربما كان المرخ مجتمعا ملتفا وهبت الريح فحك بعضه بعضا فأورى وأحرق الوادي كله ولم نر ذلك في سائر الشجر وقال المازني أكثر الشجر نارا المرخ ثم العفار ثم الرقل وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب وفي المثل في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار أي اذهبن الصنفين فقد استكثرا من النار دون غيرهما ومنهما تتخذ العرب زنادا فما يقطع أحدهما غصنين مثل السواكين أخضرين يقطر منهما ماء فيسحق أحدهما على الآخر فتنقدح النار قالوا وكيفية ذلك أن يأخذ أحدهم من المرخ عودا مقدار

الشجر وهو الانثى فيثقب في وسطه ثقبا غير نافذ ويجعله من اسفل ثم ياخذ من
العفار عودا مقدار الذراع وهو الذكر فيجرده ثم يضعه ويدخله في ذلك الثقب من
اعلى ويقعد ويضعه بين رجليه ثم يفتله فتنقدح النار باذن الله وذلك قوله تعلى
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون قال ابن عباس المراد
بالشجر في الاية المرخ والعفار وبهما زناد العرب ووقع للزمخشري في الكشاف ان المرخ
هو الذكر والعفار هو الانثى والصواب العكس كما تقدم قال الكميت

اذا المرخ لم يور تحت العفار * وضن بقدح فلم يثقب

وقال الاعشى
زنادك خير زناد الملو * ك صادف منهن مرخ عفارا
ولو بت تقدح في ظلمة * حصاة بنبع لاوريت نارا

وهذا الكلام تمثيل وانما يصفه بجودة الراي وفيه تلميح الى المثل وهو قولهم فلان
لو اقتدح بالنبع لاورى نارا اي هو جيد الراي وانما قالوا ذلك لان النبع لا نار فيه
كذا قالوا ولعل فيه نارا ضعيفة قوله والعضاه بكسر العين المهملة كل ماله شوك
من الشجر ومن شجره الطلح والعوسج والسلم والسيال والسمر بفتح السين وضم
الميم وهو شجر ام غيلان والقتاد والسدر وبعضهم يستثني من ذلك الاخيرين فلا غيلان
يجعلهما منه وقيل العضاه كل ما عظم من الشجر وكان له شوك قال الخمير بن ثور الهلالي

ابى الله الا ان سرحة مالك * على كل افنان العضاه تروق

وكنى بالسرحة عن المراة قوله والبشام هو بموحدة مكسورة شجر طيب الرائحة يستاك
باغصانه وورقه يسود الشعر قال جرير

أتذكر يوم تصقل عارضيها * بفرع بشامة سقي البشام

قوله والاثل هو شجر يشبه الطرفاء الا انه اعظم منه واجود عودا اذا ما كنه
الريح ترنم وسمع له حنين وفي التنزيل واتوا اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل
وقال ابو منصور الاثل شجر وهو نوع من الطرفاء الواحدة اثلة والجمع اثلاث
وفي كلام بعض الخلف بنعاقة لكن بالاثلات خمسة لا يكملن بغير خمسة اخرى وهي الفتل
ومنه قيل للاصل اثلة يقال فلان ينحت اثلتنا اذا قدح في حسبه ومنه قال الاعشى

الست منتهيا عن نحت اثلتنا * ولست ضائرها ما اطت الابل

وفي الصحيح ان منبر النبي صلى الله عليه وسلم كان من اثل الغابة وفي رواية انه

تكون

انه كان زهيرهم قبلهما وفي القاموس ان الكلأ اربعة اصناف منها الآلاء فقوله
ونبت الحزن بضم فسكون زهر جمع نبت ورفعه كالنبات المسمى بالسال والحمار وسعدانه
الخضر واسود وكلا بماء وآء ناقع فقوله والرمث والحلة اما الرمث فهو بكسر
الراء المهملة وبالثاء المثلثة ذات اسم لشجر من مراعي الابل معروف في الحمض
والرمث انما شجر يشبه الغضى ورمثت الابل من باب فرح فهي رمثة ورمثى اشتكت
من اكله واذا هي مرمثة كثيرته واما الخلة فهي بضم الخاء المعجمة وهي كل ما فيه
حلاوة من النبات ويقابلها الحمض وهو كل ما فيه ملوحة منه والعرب تقول الخلة
خبز الابل والحمض فاكهتها فقوله والسعدان فقال الحيراني عن بعض الرواة السعدان
اخثر العشب لبنا واذا خثر لبن الراعية كان افضل ما يكون واطيب واسم ومنابت
السعدان السهول وهو من انجع المراعي في المال ولا تحسن على نبت حسنها عليه قال
النابغة * الواهب المائة المعكاء زينها * سعدان توضح في اوبارها اللبد
وفي المثل مرعى ولا كالسعدان يضرب للشيء يفضل على اقرانه واشكاله قال
ابو علي البصير يمدح عبيد الله بن خاقان

* يا وزراء السلطان * انتم واولاد خاقان *
* كبعض ما روينا * في سالف الازمان *
* ماء ولا كصدا * مرعى ولا كالسعدان *

وشوك السعدان تشبه العرب به حلمة الثدي ومن ذلك يقال للحلمة سعدانة
الثندوة وفي الحديث في وصف جهنم ان فيها كلاليب مثل
شوك السعدان هل رأيتم السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك
السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى وفيه في وصف الصراط
مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء
تكون بنجد يقال لها السعدان واما صداء المذكورة في الشعر المتقدم فهي ركية
عذباء لم يكن عندهم اعذب من مائها قال الجوهري قلت لابي علي النحوي يعني
اقياسي هو فعلاء من المضاعف فقال نعم وانشدني لضرار بن عتبة العبشمي السعدي

كأني من وجد بزينب هائم * يخالس من احواض صداء مشربا
يرى دون برد الماء هولا وذادة * اذا شد صاحوا قبل ان يتحببا

أي قبل أن يزوروا وبعضهم يقول الهرة بالهمز مثل مرعاة قال وسألت عنه في البادية رجلا من بني سليم فلم يهمزه قوله والثغر هو بفتح الثاء المثلثة وسكون الغين المعجمة وقد تفتح نبت حجازي الرعي من أفضل العشب وقد جمع الشيخ أبو علي اليوسي رحمه الله في بيت من قصيدة له بين السعدان والثغر فقال

ولكم ترى من عز ولست ترى * كرعاية السعدان والثغر

قوله وشري الشري بالتحريك الحنظل يقال العلاة كأنهما الأري والشري أي عسل وحنظل قال الشاعر

وله طعمان أري وشري * وكلا الطعمين قد ذاق كل

والشري أيضا شجر الحنظل أو أحمرة شرية وهو من الأدوية النافعة قوله وسنا السنا مقصور وهو نبت مسهل للصفراء والسوداء والبلغم وهو معروف وفي الحديث عليكم بالسنا والسنوت أي العسل وهذا النبت يوجد بحرم مكة شرفها الله كثيرا والعامة تضيفه إليه فيقولون سنا الحرم وقد يضيفه أهل البلد بالآخر في جواز الإضافة وأنه ينتفع به من حيث هو من نبات الحرم قوله وسمسق فيه لغات كجعفر وزبرج وقنفذ وجندب وهو الياسمين والمرزنجوش ضرب من الرياحين وفيهما منافع أيضا وذكر المبرد في كامله أن خالد بن صفوان التميمي الفصيح المشهور دخل على يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وهو يتغدى فقال له ادن فكل يا أبا صفوان فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها فقال له وما أكلت قال أتيت ضيعتي في إبان الغراس وأوان العمارة فجلت جولة حتى إذا صخدت الشمس وأزمعت الركود ملت إلى غرفة لي في حديقة هفافة قد فتحت أبوابها ونضحت بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضيمران نافح وسمسق فائح وأقحوان زاهر وورد ناضر ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وسمك بناني بيض البطون زرق العيون سود المتون عراض السرر غلاظ القصر ودقة وخلول ومري وبقول ثم أتيت برطب أصفر صاف غير أكدر لم تبتره الأيدي ولم تقسمه كيل المكاييل فأكلت من هذا ثم هذا فقال يزيد يا أبا صفوان لألف جريب من كلامك مزروع خير من ألف جريب مزروع هـ الدقة بالكسر التوابل والمري بضم الميم وتشديد الراء والياء نوع من الإدام

قوله وعُشَر بوزن صُرَد وهو شجر فيه حُرّاق بضم الحاء وشد الراء لم يقتدح الناس في أجود منه وتحشى به المخاد ويخرج من زهره وشعبه سكر معروف وفيه مرارة فلذلك العجز ويقال ان اول قائل العُشَر ومرار الشجر بأرض العرب ثمام العبل وفي المثل اعجز من الحنزوب هو سمّيا اقلعه ان خليس من الارض جاع وبلاغ بلا عقب لهما شجرة فقال الآخر منهما ارى فوقها قدر حمر ورنا فقال الآخر انما هي عشرة يعني شجرة من العشر فكانه يقول عشرة بفتح العين فجعل يقول وما عناء اثنين نحو عشرة ويفركه حتى مات وقيل فيه غير هذا قوله ونشم شجر يتخذ منه القسي قال عيسى بن داب يصف قوما بالعجز

عميرة أم سهم لكما ✧ عيث ببيضتها الحمامة ✧
جعلت لها عودين من ✧ نشم وآخر من ثمامة ✧

انما قال ابن زائدة تصف الحمامة بالعجز وانها لا تحكم عشها كسائر الطير قوله واسحل بكسر الهمزة وسكون السين وكسر الحاء المهملتين شجر له اغصان ناعمة يستاك بها قال امرؤ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه ✧ أساريع ظبي أو مساويك إسحل ✧

والأساريع دود بيض حمر الرؤوس تشبه الشعراء بها البنان المخضوب وتكون في وادٍ يقال له ظبي وهو أمرد في البيت قوله مع ثمام هو بالثاء المثلثة بوزن غراب نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص وربما حشي به وسد به خصاص البيوت الواحدة ثمامة وبه سمي الرجل مثل ثمامة بن اثال الحنفي رضي الله عنه وثمت البيت إذا غطيته بالثمام كما قالوا ملحته وزرعته بالملح ومنه قيل ثمنت الموز إذا ملحتها وزرعتها قال الشاعر

تمتع من شميم عرار نجد ✧ فما بعد العشية من عرار ✧

ومن احسن ما قيل فيه للمولدين قول بعضهم

حكى نرجس الروض حين العتبة ✧ وكل مشوق للمشوق مناسب ✧
فقلت له ما بال لونك شاحبا ✧ فقال لأني حين أقلب راهب ✧

والشعراء تشبهه بالنهار وهي من الغير كما تشبه بالورد حمرته قوله مونق معجب وانيق الشيء الفا من باب ضرب راع حسنه وأعجب وانقت انا به اعجبت

ويتعدى بالهمزة فيقال أنفده وشيء دائب بجيب وزنا ومعنى والأشر محركة
البطر والسرور وتأنق في عمله أتقنه وأحكمه كتنوق والله أعلم الإعراب
والتصريف قوله والمرخ والبطر في محل الأسماء كلمات مجرورة بالعطف
على مرخوا بهم في البيت قبله وقوله العضاه هو بكسر العين جمع عضة واختلفوا
في واحدة فقيل بالهاء وهي أصلية أي لام الكلمة ومنهم من يقول الهاء محذوفة
وهي واو والهاء للتأنيث التي هنا عوضا عنها فيقال عضة كما يقال عزة
وأصله عضو ومنهم من يقول إن لامها المحذوفة هاء وربما ثبتت مع هاء التأنيث
فيقال عضهة وأرض عضهة فالهاء في المضاف والألف المتصلة منقلبة عن واو وتكتب
ألفا وقوله مع ثمام حرف يتعلق بالاستقرار نعت للنكرة قبله وهو نعت للبهار
وهو اسم فاعل كمكرم ويجوز في قافيته أن ينصب بفتحة ظاهرة وهو الأصل وأن يتبع بالجر لما
واو من جنس حركة ما قبلها كما في مرمر ونحوه وفي كلام الناظم على المغربة وهو
سابع البديع في كلام الناظم شبه التغريد كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من
الخوف والجوع الآية وفيه مراعاة النظير وهو جمع الشيء إلى ما يناسبه وكلاهما
من تقدم وفيه أيضا التنكيت وهو عبارة عن أن يقصد المتكلم شيئا بالذكر دون أشيا
كلها تسد مسده لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود لكان القصد إليه دون غيره
خطأ كما مر عند أهل النقد وقد جاء من ذلك في التنزيل قوله تعالى وأنه هو رب
الشعرى فإنه تعالى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم لأن من العرب من عبدها
فأنزل الله تعالى وأنه هو رب الشعرى أي التي ادعيتم لها الربوبية مع أن النجوم
فيما هو أعظم منها ومن الأمثلة الشعرية قول الخنساء

* يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأذكره لكل غروب شمس *

فخصت هذين الوقتين بالذكر وإن كانت تذكره كل وقت لما في هذين الوقتين من النكتة
المتضمنة للمبالغة في وصفه بالشجاعة والكرم فعبر بذكرها طلوع الشمس
للغارات وغروبها للضيفان وبيان التنكيت في كلام الناظم أنه ذكر هذه النباتات من
بين سائر نباتات أرض العرب وفي ذلك من التشنيع لهم والتذكير بذمهم والنعي
بذكرهم ما لا يخفى أبدل الله منازلهم بعد ارتحال نبيهم صلى الله عليه وسلم معنى
الكلام هذا أيضا من جملة المستثنيات التي اشتملت عليها هذه الدار أي ليس

فمنها أن الرياح المثيرة للنقع .. والأشجار العديمة النفع .. وهذا كما تقول العامة
إذا وقعت أرضها بغلة اثنين ليس فيها إلا الشيح والريح غير أن الناظم رحمه الله
ذكر في جملة النباتات بعض ما هو من عشب الإبل بل أن ما هو أفضلها وأجوده كالسعدان
والثغر وما كان من صنفه ذلك لأن أكثر هذه المراعي في هذا المقطع ربما يكون أغذاء
للجلاد وتهيئة له على سلوك هذه الأرض والرحول فيها كي تصيب إبله من مبادي
المراعي الحسنة فإنها من أصلح شيء لها وقد علم من حال سكان البادية وأرباب
المواشي الاعتناء بمواشيهم إلى هذه المراعي وقطع المفاوز إليها والمخاطرة دونها
استصلاحا للإبل وتنمية للمواشي فلم لا يكون حال هذا الجلاد كحال هؤلاء فما فعله
الناظم منتج لعكس مقصوده من تشنيع الخلاف ومدحه عن وجهته ولم أدر كيف وقع له
هذا **فإن قلت** وكذلك كان من حقه أن لا يذكر هذه النباتات المشتملة على الأدوية
والمنافع لأنها ربما تنزل على مصالحها أيضا **قلت** لا يتحتم ذلك بل ذكرها مثل
أليق بمقصوده لأن أهل علم الطبيعة نصوا على أن هذه النباتات المشتملة على الخواص
والمنافع المشتملة في الرديء إنما توجد إلا في الأقاليم المنحرفة عن الاعتدال والأقطار
المنتزحة عن العمران وإنما كانت كذلك لغلبة أحد الكيفيات عليها ووجود
بقول بهيمية فيها خرجت بها عن حد الاعتدال من أجل مواقعها المنحرف فيكون في ذكر الناظم
لها رمز إلى أن هذه الأرض من هذا القبيل وذلك أوحش لها وأصعب لسلوكها وأيضا
هذه النباتات التي ذكر الناظم أكثرها توجد ببلاد العرب كما قدمنا حتى كأنه يعنيها
ولم يقصد إلا إياها وهي معروفة بالبؤس والشقاء وقلة الخير ووعورة المسالك
وكثرة الحشرات المؤذية والسباع العادية وأن المقامات لم يوضعوها إلا على القبح
ومكابدة الشدة ومعاناة الشقوة كما هو معلوم في أخبارهم وسيرهم ومادة البين
إلا الغراب فكيف بمن أتى جهة الجنوب وكثرة حرارته فإن بعضه في الإقليم الأول كبلاد
اليمن وبعضه في الإقليم الثاني كبلاد الحجاز ونجد والله أعلم *

وَالسِّمْعِ وَالْيَعْفُورِ وَالْفَنَكِ وَالسِّيدِ السَّبَنْتَى وَالْقَطَا وَجُؤْذُرِ *
وَالْهَيْقِ النَّعَارِ وَالرِّئَالِ وَالسُّهَيْمِ مَعْ عِكْرِمَةٍ وَخِرْنِقِ *

اللغة قوله والسمع هو بكسر السين المهملة ولد الذئب من الضبع والأنثى
سمعة جمعه سباع مركب وفيه قوة وجرأة الذئب وخفته يزعمون أنه لا يعرف العلل

والاسفلاع ولا يموت حتف انفه كالحية وانه في عدوه اسرع من الطير ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعا وسيأتي للناظم التمثيل به في قوله ويضرب به المثل في قوة السمع فيقال اسمع من سمع واسمع من السمع الازل قال الشاعر يصف شخصا بالنجابة

تراه حديد الطرف ابلج واضحا * اغر طويل الباع اسمع من سمع

قوله واليعقوب بذكر الحجل قال الجوهري هو عربي صحيح واما يعقوب نبي الله عليه السلام فهو اعجمي وجمع اليعقوب يعاقيب والحجل بفتحتين وهو نحو الحمامة اعني احمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر وهو عند العرب منقار بحري ونهاري بالنهر اعني والتعاقب بالنهر ويضرب المثل باليعقوب في سرعة الركض قال الشاعر

اودى الشباب الذي مجد عواقبه * فيه نلذ ولا لذات للشيب
ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه * لو كان يدركه ركض اليعاقيب

قوله والفشة بكسر الفاء وتشديد الشين المعجمة قال الجوهري هي القردة وقال الاصمعي هي الانثى من اولاد الدببة وفي المثل اكيس من فشة يضرب للصغار خاصة

قوله والسيد هو بكسر السين المهملة الذئب يقال سيد رمل والجمع السيدان والانثى سيدة عن الكسائي وابن السيد النحوي وابن سيده اللغوي الاندلسيان من هذا وربما سمي الاسد به ايضا قال الشاعر * كالسيد ذي اللبدة المستأسد الضاري *

قوله السبنتى ابو عمرو السبنتى والسبندى الجريء المقدم من كل شيء والياء فيه للالحاق وهو لا للتأنيث لانه تلحقه الهاء للمؤنث يقال سبنتاة وسبنداة قال ابن احمر يصف رجلا *

كأن الليل لا يغسو عليه * اذا زجر السبنتاة الامونا

يعني الناقة والسبنتى ايضا النمر ويشبه ان يكون سمي به لجراءته قال الشماخ يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه *

وما كنت اخشى ان تكون وفاته * بكفي سبنتى ازرق العين مطرق

قوله والفنك كما مر تقدم الكلام عليه قوله وجوزر وهو كجوهر ذكر النعام ويقال له الظليم تزعم العرب ان النعامة ذهبت تطلب قرنين فقطعوا اذنيها ولم يعطوها شيئا فكانت مظلومة فاشتقوا لها اسم الظليم وهذا من خرافاتهم قوله والليل والنهار بمعنيين كما ذكره وقال اما الليل فهو فرخ الكروان

وقيل فيه غير ذلك وأما النهار فهو فرخ الحبارى وفي قولهم في المثل أخبر من
ليل واحمق من نهار يعنون هذين الطائرين قال ابن السيد في شرح أدب الكاتب
اختلف اللغويون في النهار فقال قوم هو فرخ القطاة وقال قوم انه ذكر
البوم والأنثى صدى وقيل انه ذكر الحبارى والانثى ليل وقيل انه فرخ الحبارى
وهذا القول هو الصواب وعن ابي عبيدة قال قدم جعفر بن سليمان العباسي من عند
الخليفة المهدي يعني الى البصرة فبعث الى يونس بن حبيب فقال اختلفت انا وامير
المؤمنين في قول الفرزدق

والشيب ينهض في السواد كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فما الليل والنهار فقال يونس الليل الليل الذي تعرف والنهار النهار الذي تعرف فقال
زعم امير المؤمنين أن الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى قال ابو عبيدة
القول عندي ما قاله يونس والذي قاله المهدي معروف في الغريب من اللغة ه
قال ابن السيد جعل الليل والنهار في بيت الفرزدق بمعنى الطائرين وان كان صحيحا
لغة لكنه غير مناسب وانما الكلام مجاز لأنه جعل الليل كمنهزم والنهار يصيح
خلفه كما جعله المتنبي قتيلا حيث قال

لقيت بدرب القلة الفجر لقية * شفت كمدي والليل فيه قتيل

وقد أغرب الحريري في الليل في المقامة الكوفية فقال أبا عمر يعني الطارق بي في
أكل ليلة قال ليسمر الفدماء ذيلا ، ونحوه قول الآخر

فبتن كأن في وكنة الحلال ساترا * واغلق في وكنة الحمرات جهارا
ولا كان بالبيت في الفلاة جماعة * ويأكل في شهر الصيام نهارا

فالوكنة وكنة الفرخ والحلال والحمرات المكانان او غيرهما مما ينهض فيه والصلاة
المكان ايضا ومنه قوله تعالى وبيع وصلوات والنهار الطائر المذكور وقال غيره

ونهار رأيت منتصف الليـ * ـل وليل رأيت وسط النهار

قوله والرئال هو ككتاب جمع رأل بفتح الراء وسكون الهمزة ويجوز ابدالها
ألفا كراس وباس وهو فرخ النعام والانثى رألة والجمع رئال كما نطق به الناظم قال
الفرزدق يبا مي على آثارنا كأنها * رئال دعاها للمبيت نعامها
وقال حسان رضي الله عنه

فَأَشْهَرُ آرَاكَ فِي قُرَيْشٍ * كَآلِ السَّقْبِ مِنْ آلِ الثَّعْلَعِ

الآلُ القرابةُ والرَّحِمُ والسَّقْبُ ولدُ النَّاقةِ قولُه والعَيْثَمُ بالثاءِ المثلثةِ قيل هو ابنُها من فرخ الحبارى وقال الجوهري هو فرخ العقاب وقال في كفاية المتحفظ هو فرخ النسر وبه سُمِّيَ العيثمُ بنُ عمرٍو وغيرُه قولُه مع عِكْرِمة هو بكسر العين والراء المهملتين الأنثى من الحمام وقيل أنثى ساق حُرٍّ خاصّةً ويقال عكرمة بدون لام فيكون علَمَ جنسٍ ويقال العكرمة باللام فيكون اسمَ جنسٍ وبه سُمِّيَ عكرمةُ مولى ابنِ عباسٍ وغيرُه وممّا اشتهر ما ورد به الشيخ علاءُ الدين الوداعي في علقمة وعكرمة حيث قال

وَفِي أَسَانِيدَ إِنْ رَاحَ حَافِظٌ * لِلْعَنْبَرِيِّ رَوَى مَنْ رَاهُ عَنْ عَلْقَمَهْ

وَكُلَّمَا نَاحَتْ بِهِ حَمَامَةٌ * رَوَى حَدِيثَ دَمْعِهِ عَنْ عِكْرِمَهْ

قولُه وخِرْنِق هو كزِبْرِج الفتيّ من الأرانب وقيل ولد الأرنب يكون أوّلًا خرنقًا ثم سخلة ثم أرنبًا وبه سُمِّيَت خرنق الشاعرة أخت طرفة بن العبد التي ذكرها ونعرّب بعد المثل في الكبير ويقال الكبير منه خرنوق قال الراجز

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ * وَلَا تَرَضَّاهَا وَلَا تَمَلَّقِ

وَاعْمِدْ لِأُخْرَى ذَاتِ دَلٍّ مُونِقِ * لَيِّنَةِ الْمَسِّ كَمَسِّ الْخِرْنِقِ

وكان للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم درعٌ تسمّى الخرنق للينها والله أعلم

الإعراب والتصريف قوله والسِّمْعُ واليعفور في الأسماء كلها مجرورٌ بالعطف على من حول غيره كما سبق والياء في لفظ الميزان منقلبة عن الواو التي هي عين الكلمة لسكونها وانكسار ما قبلها قال ابن مالك في الكافية

وَالْوَاوُ إِنْ يَسْكُنْ وَمَا قَبْلُ انْكَسَرْ * بِيَاءٍ اقْلِبْهُ كَمِيزَانٍ اشْتَهَرْ

والسَّبَنْتَى صفةٌ للنمر ومعناه الجريء كما مرّ وألفه للإلحاق بغضنفر وتكتب ياءً لرجوعها إليها في التثنية وفي الجمع بالألف والتاء ولذا تجوز إمالتها ويجوز كتبها ألفًا اتّباعًا لجماعة من النحاة ذهبوا إلى كتابة الياء كلّها بالألف حملًا للخطّ على اللفظ قال في الشاطبية سواءٌ كانت الألف ثالثةً أو فوق ثالثة وهو منقلبة عن ياءٍ في علَمٍ أو غيره قاله شيخ الإسلام لأنه القياس ولأنه أنفى للغلط وتمنع السبنتى من الصرف في التعريف وينصرف في التنكير وتجمع على سبانت

وسياتي منقوصًا لانه لما كانت النون والالف فيه مقام حرفين ولا مزية لاحدهما
على الاخرى وقيل لانهما معا يخلان ببنية الجمع كالزائد في عفرناة الجمع مخيرا
فيهما وهكذا ما اشبهه نحو العفرناة والحبنطى والسرندى والعلندى وقال ابن مالك في
الخلاصة * وخير واقي زائدي سرندى * وكل ما ضاهاه كالعلندى *
والالف فيهما منقلبة عن واو ونكتب ايضا وفي لفظ الجوز والجائزة ومن ان الجيم
والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية فالجوزق والجوسق والمنجنيق والجوالق والجلاهق
ونحوها ليس كلها معربة وكذا الجيم والصاد كالصهريج والصولجان والصنجة والجص
ونحوها الجيم والكاف كالكيلجة والسكرجة والكوسج ونحوها ويجوز في همزة
الرئبال التخفيف بابدالها ياء محضة لانفتاحها وانكسار ما قبلها ويجب نقل
صورة الهمزة في هذا المثال وما اشبهه وقوله مع عكرفة كذلك يتعلق بالاشتغال
حال كونه فيه قبله والافصح في لفظه مع فتح عينيه ويجوز تسكينها في لغة ربيعة وغنم
فيحتمل ان يكون الناظم اتى بها ساكنة على هذه اللغة ويحتمل ان يكون اتى بها مفتوحة
على اللغة الفصحى لكنه ادغم القاف فيها بعد سلب حركتها نحو خلقكم ومن لغته فيحيه
قرأ بها ابو عمرو في جميع القرآن وفي كلامه عطف النكرة على المعرفة والعكس وهو
سائغ البديع في كلام الناظم منه التغرير ومراعاة النظير والتنكيت
وقد تقدم الجمع وفيه ايضا ايقاع التضاد واعلم ان التضاد هو الطباق ويسمى
الجمع بين امرين متضادين اي معنيين متقابلين في الجملة كالايراد والاصدار والبياض
والسواد والليل والنهار ومنه قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود وقد
تلطف بعض الادباء بالمتنكر غاية حيث نبه على الطباق وصرح باسمه مع غرابة المعنى
فقال * وقالوا يا قبيح الوجه تهوى * مليحا دونه الشمس الرفاق
فقلت وهل انا الا اديب * فكيف يفوتني هذا الطباق
واما ايقاع التضاد الذي منه كلام الناظم فهو الجمع بين معنيين غير متقابلين
الا انه عبر عنهما بلفظين يتقابل معنياهما الحقيقيان كقول دعبل
لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى
فضحك المشيب عبارة عن ظهوره ظهورا تاما ولا تقابل بين ظهوره وبين البكاء
لكنه عبر عنه بالضحك الذي معناه الحقيقي ضد للبكاء وكذا قول الناظم والليل

والنعال المراد بهما النعال المعروفة وبهما غير متعلق بالبين لذكر معناهما المشهور
ان لا يشتغلان عنه البنان بيد حتى انه يبرز من بعيد لما معنى غير لا عوا الرقان
المعروف وفيه التغابر ومعنى الكلام واضح والله اعلم

(وقد تُرى تقطع جلباب الدجى * بجلم الفجر وسيف الغسق)

اللغة قوله جلباب الدجى الجلباب كسرداب وكسنمار ثوب اوسع من الخمار
دون الرداء وفي تفسير الجلالين الجلباب الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع
والخمار وقيل هو المقنعة وقال ابن فارس الجلباب كل ما يستتر به من كساء وغيره
وتجلببت المرأة لبسته وجلببتها انا البستها اياه والجمع الجلابيب قالت
امرأة من هذيل ترثي قتيلا

تمشي النسور اليه وهي لاهية * مشي العذارى عليهن الجلابيب

وقوله تعالى يدنين عليهن من جلابيبهن قال ابن عباس امر الله نساء المومنين
ان يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر
قوله الدجى جمع دجية كظلمة وزنا ومعنى قال ابو الطمحان القيني

اضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ودجا الليل دجوا ودجوا كعلو اظلم وليل داج ودجي كقاض وغني مظلم ودياجي
الليل حنادسه كأنه جمع ديجاة قوله بجلم الفجر الجلم محركا المقراض المعقر
ويقال له الجلمان بلفظ التثنية كما يقال فيه ايضا القلم والقلمان بالقاف بدل
الجيم ويقال المقراض والمقراضان ويجوز ان يجعل الجلمان والقلمان اسما واحدا على
فعلان كالسرحان والدبران ويجعل النون حرف اعراب وجلمت الصوف والشعر
ونحوهما قطعته بالجلمين واستعماله مفردا كما نطق به الناظم قليل ومنه قول
سالم بن وابصة

داويت صدرا طويلا غمره حقدا * منه وقلمت اظفارا بلا جلم

والاكثر استعماله بلفظ التثنية قال عنترة

لعن الذين فراقهم اتوقع * وجرى ببينهم الغراب الابقع
خرق الجناح كأن لحيي راسه * جلمان بالاخبار هش مولع

وما احسن ما الغز صالح بن شريف الرندي في الجلمين حيث قال

ومفحمين قد اثنيا بعشقِ * وإن وُصفا بضيغمٍ واعتنانِ
لعمر أبيك قد اجتمعا لمعنى ◊ سيف ومعنى الفصيحة والبيانِ

قوله وسيف العنق السيف معروف وأسماؤه تنيف على الألف قال المجد وقد
ذكرتها في الروض المسلوف تعني كتابا له فيما له اسمان إلى الألوف وقيل إنها صفات
له وإنما الاسم السيف لا غير قال العلامة عز الدين ابن جماعة في شرح جمع الجوامع
حكى الشيخ القاضي أبو بكر ابن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال كنت بمجلس سيف
الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه
أحفظ للسيف خمسين اسما قال فتبسم أبو علي وقال ما أحفظ له إلا اسما واحدا
وهو السيف فقال ابن خالويه فأين المهند والصارم وكذا وكذا فقال أبو علي هذه
صفات وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة هـ نقله في المزهر ويجمع السيف على
أسياف وأسيف وسيوف ومسيفة كمشيخة وسايفه يسايفه ضاربه بالسيف
ورجل سائف ذو سيف والعنق بضمتين مؤنثا عند الحجازيين يقولون ضربت عنقه
بالضم وعلامة التأنيث للفعل ومذكرا عند غيرهم وقولهم هم عنق إليك أي
مائلون إليك ومنتظرون ومنه قول الشاعر *

إن العراق وأهله * عنق إليك فهيت هيتا

ويجمع أعناقا والأعنق الطويل العنق والأنثى عنقاء بينة العنق والله أعلم

الإعراب والتصريف قوله ولم تزل تقطع في محل الجملة معطوفة
على جملة وما أتتك تزرع في وما بينهما اعتراض حسبما تقدم التنبيه عليه
وتزل مجزوم بلم وأصله تزال حذفت الألف لالتقاء الساكنين واسمها ضمير مستتر
جوازا يعود على الأذنين وجملة تقطع في محل نصب خبرها وفي لغة الرجاء فائدة
ومن أن الاسم الثلاثي المعتل اللام لا يخلو أمره من أن تكون لامه ياء أو واوا
فإن كانت ياء ثني بالياء باتفاق ومن البصريين والكوفيين سواء كان مفتوح الفاء
كالفتى أو مكسورها كالحمى أو مضمومها كالشرى فتقول الفتيان والحميان والشريان
وإن كانت لامه واوا فإن كان مفتوح الفاء كالعصا ثني بالواو باتفاق ومن
البصريين والكوفيين فتقول العصوان وإن كان مكسورها كالربا أو مضمومها كالضحى
فمنها يختلف الحكم بين الفريقين فالبصريون يثنون بالواو على الأصل فيقولون الربوان

والقصر والكوفيون يثنون بالياء فيقولون الرضيان والضحيان ومن ثنى بالياء
كتب بالياء ومن ثنى بالواو كتب بالألف **إذا علمت هذا فاعلم** أنه قد
اختلف في كتابة الرضا هل بالألف أو بالياء فالبصريون على أنها واو لأنه من رضا
يرضو والكوفيون على أنها ياء لأن واحده رضية فعلى مذهب البصريين يكتب بالألف
لأنه من بنات الواو وعلى مذهب الكوفيين يكتب بالياء لأنه من بنات الياء ولأنه
مضموم الفاء كما مر هذا وفي الاقتضاب أن الرضا مما غالط فيه التصريف القياس
لأن الفعل منه يرضو فكان القياس رضوة ولهذا يجوز في الرضا أن يكتب بالياء حملا
على واحده وأن يكتب بالألف حملا على فعله والنبات في قوله فضل النبات التي تتعلق
بنفعهم واللام في النبات والعنب جنسية إذ سوى النبات والعنب وفي لفظ العنب فائدة أخرى
وهي أن كل اسم ثلاثي على فعل بضم الفاء وسكون العين فيه لغتان بضم العين
اتباعا للأول نحو قفل وعسر ويسر وأركان بضمتين فبنو تميم يسكنون تخفيفا
نحو عنق وكتب ورسل وكتب إلا أن في المضعف نحو سرر وذلل فإن السكون فيه
يؤدي إلى الإدغام فيثقل ذلك الجمع وبعض بني تميم يخففون بفتح العين فيقولون
سرر وذلل وكره بعض الأئمة ذلك في المضاعف إنما يقولونه في جدد والأصل
جدد بضمتين جمع جديد ومنعه الأكثرون لأن الانتقال من حركة إلى حركة أخرى
ربما كان أثقل من الضم ولأن الفتحات قليلة بالنسبة إلى الضمة والسكون وإذا
قل فقل التصرف فيه وإذا كثر استعماله ثقل فيناسبه التخفيف حينئذ والله أعلم

المعاني ووصل الناظم رحمه الله هذه الجملة بالجملة المعطوف عليها
لما بينهما من التوسط بين الكمالين واتفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى ووجود
الجامع بين المسند إليه فيهما وهما هم الأولى والمسند في الأولى ذرع الأرض
وفي الثانية قطع أستار الليل وهما متضادان معنى إذ كل منهما عبارة عن سرعة
السير وقلة زمنه وحسن هذا الوصل كون الجملتين معا فعليتين وإضافة جلباب
أي الرجال تفيد العموم لأنه اسم جنس أضيف إلى معرفة فيعم وكذا الحكم في جلم الليل
وسيف الغنوة في كلام الناظم الكناية فإنه كان يكفيه أن يعبر عن هذا المعنى
بقوله وهم تركوا هذه الأبنية نشرا أو تنسيم بالليل أو نحو ذلك من العبارات فعدل
عنها إلى ما عبر به قصدا ليحول المقام ونكتة هذا قوله تعالى في دعاء زكريا عليه

السلام

السلام رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا بهذا الدعاء فيه
الكناية لاقتضاء المقام له وان كان يمكنه ان يقول يا رب شخت او ما اشبهه
من الكلام المؤدي لأصل المعنى والله اعلم **البيان** في قطعه تقطع استعارة
تمثيلية حيث شبه حركة ايدي الابل في حال سيرها وتقدمها في ظلام الليل بحركة يد
من يقطع بالسيف اخر واشتق من لفظ القطع تقطع بمعنى تسرع فالاستعارة اصلية في
المصدر وتبعية في الفعل وفي فاعل تقطع وهو ضمير الأيدي استعارة اخرى والكناية
فان قطع الشيء بالسيف اثر لا يتصور الا من القوى فليكون شبهها بانسان يفعل
ذلك تشبيها مضمرا في النفس ودل عليه بلفظ تقطع بناء على ما هو التحقيق
عند المكني عنها فتنتقل عن التمثيلية حسبما تقدم عند قوله ٭ تزرع كل من عرش
وقوله جلباب الدجى وجلم اليد وسيف الغمد كلها من اضافة المشبه به الى المشبه
اي دجى كالجلباب ويد كالجلم وغمد كالسيف فهو من قبيل التشبيه المؤكد على حد
قول ابن خفاجة الأندلسي عفا الله عنه ط *

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ٭ ذهب الأصيل على لجين الماء

اي على ماء كاللجين اي الفضة في البياض والصفاء ومن الغاية في هذا الباب
قول بعضهم يصف مجلس انس ط *

فبركة جدول وسماء آس ٭ وانجم نرجس وشموس ورد
ورعد مثالث وسحاب كاس ٭ وبرق قراعة وضباب ند

ولا باس بتفصيل ما في هذه التشبيهات الحسنة التي اتفقت للناظم في هذا البيت فنقول
ان تشبيه الدجى بالجلباب من باب تشبيه المفرد المحسوس بمثله ووجه الشبه
بينهما الستر والتغطية في كل وهو من قبيل الأغلبيات كما علم في محله وتشبيه
اليد بالجلم والغمد بالسيف من باب تشبيه المفرد المحسوس بمثله ايضا ووجه الشبه
في كل منهما الهيئة الحاصلة اعني حركة كل واحد من الكم فيما يصلح له فان حركة اليد
في حال السير مماثلة لحركة الجلم في حال القطع لوجود الانقباض والانفتاح
المشابه بغير في كل منهما مع ما انضم لذلك من كون شكل اليد حالا بل في تلك الحال مماثلا
لشكل الجلم وهكذا القول في الغمد فان حركته في حال السير مماثلة لحركة السيف
في حال القطع اذ كل منهما يذهب تارة هنا واخرى هنا في شيء محسوس وهذا واقع فيه

على سبيل التواتر مع ما انضم لذلك أيضا من كون شكل عنقود النعيم على شكل السنبلة
موجه الشبه في كل من التشبيهين مركب ومنتزع من عدة أمور كما تقرر وذلك أبلغ
وأغرب في التشبيه كما قالوه في قول أبي النجم أو ابن المعتز

والشمس كالمرآة في كف الأشل * لما رأيتها بدت فوق الجبل

البديع في كلام الناظم منه من أمثلة التكميل جمعه بين الجلباب والنقع
والظلم والشيب ونظيره قول البحتري

كالقسي المعطفات بل الأسـ * ـهم مبرية بل الأوتار

وقد تقدم وفيه الانسجام وهو عبارة عن كون الكلام لخلوه من العقادة كانسجام
الماء في انحداره يكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه يسيل رقة وهو قول كثير

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على دهم المهارى رحالنا * ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطي الأباطح

وهذا النوع من أحسن أنواع البديع وأرقها وأكثر الناس استعمالا له أصحاب
الضرب الغرامية كابن الملوح وجميل وغيرهما ولا يخفى على ذوقك وجوده في كلام
الناظم والله أعلم **ومعنى الكلام** مما بين الناظم رحمه الله صعبه
عنه ما أذاقه وكشفها النقاب عنه لما جاء تفرع شرحه مستوفى رجع إلى ما كان فيه
أولا مع إنجاده من العتاب والتخلص في شأن الذئب وفضل الأعظام تنزلتوا أهل الإدلاج
بالاستمرار وقطع سنة الليل بسير الأقمار نعيمها دائم :: ونضارتها قائم :: ولياليها
عمر السرى ليس بنائم :: كما أحضانا بأزيز من بها وترحم :: أو يملي سبيلها بتر صمى
ونعم :: **واعلم** أن تشبيه الليل بالجلباب معروف للشعراء ومنه الزبير كقول
ذي الرمة

وليل كجلباب العروس ادرعته * بأربعة والشخص في العين واحد
أحم علافي وأبيض صارم * وأعيس مهري وأروع ماجد

وقول ابن تمام في وصف القصيدة

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى * والليل أسود رقعة الجلباب
بكرا تورث في الحياة وتنثني * في السلم وهي كثيرة الأسلاب
ويزيدها مر الليالي جدة * وتقادم الأيام حسن شباب

وهو كثير للأدباء والناظم رحمه الله تصرف فيه تصرفا حسنا وأغرب فيه إغرابا بديعا حيث أضاف إليه التقطيع بالجلم فاكتسى بذلك رونقا وحسنا لا يخفى على من له ذوق وأما التشبيه بالجلم فقد اتفق لعنترة في وصف الغراب حيث قال

* ظعن الذين فراقهم أتوقع ... وجرى ببينهم الغراب الأبقع *
* خرق الجناح كأن لحيي رأسه ... جلمان بالأخبار هش مولع *

وأما تشبيه عنق الفحم بالسيف فلم أقف عليه لغير الناظم والله أعلم

* فما استراح من عبور جعفر * ومن قعود بقعير زلق *
* ولا في خفيهما قد وقع عينها * خافق وعاد بنا بسم الإمكبو *

اللغة قوله فما استراح من الراحة ضد التعب وأراحه الله فاستراح وأراح من رجعت إليه نفسه بعد الإعياء فيعرف ولا يتعرف وأراح أيضا تنفس قال امرؤ القيس يصف فرسا أنثى

* * بها
* لها منخر كوجار الضباع ... فمنها تريح إذا تنبهر *

قوله من عبور جعفر العبور قطع النهر وغيره وزنه إلى الجانب الآخر عبر يعبر عبرا ومعبرا فتقول عبرت النهر أقطعته من عبر إلى عبر بكسر أوله وفتحه أي من جانب إلى جانب والمعبر بفتح الميم الجانب أيضا والمعبر بكسرها ما يعبر عليه من قنطرة أو سفينة والجعفر مثال النهر الكبير الواسع كما في الكفاية وقال الجوهري الجعفر النهر الصغير والكبير الواسع ضد والنهر الملآن وحكى المبرد في الكامل قال أم جعفر الرشيد أم جعفر يعني زبيدة فقال لها كيف أصبحت فقالت نعم ما عشت لذلك ولم تفهم معناه فانصرف إلى الأصمعي تسأله عن ذلك فقال الجعفر النهر الصغير وإنما ذهب إلى هذا بكنايتها نفسها وقد أكثر الشيخ جمال الدين ابن نباتة التورية بجعفر حيث قال

خليلي كم دار نزلت فناءها ... وفيها ربيع للنزيل وجعفر
ففارقتها والكيس هاجر أهلها ... وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

فورى بجعفر بن يحيى والربيع بن يونس الوزيرين المشهورين وأحسن منه قول القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر يصف نهرا هابيا في روض نزيه

إذا ما وفته الريح ولت عليلة ... بأذيال كثبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا ... به الروض يحيى وهو لا شك جعفر

لزيادته عليه بوزن بربر اي ثبير وهما ولاء اعمالكم وزاد بعض العلماء من جمع اللغة
الجميع قوله ومن صعود يقال صعد في السلم والدرج ونحوه ذلك يصعد من باب
تعب صعودا وصعدت السطح واليه كذلك وصعدت في الجبل بالتثقيل اذا علوته
وصعدت في الجبل من باب تعب لغة قليلة وعليهما مشى الشارح وانكرهما الجوهري
والفيروزابادي واثبتهما الشهاب الفيومي في المصباح ومن حفظ حجة على من لم يحفظ
وانما قلنا ان الشارح مشى عليهما لانه اراد بالصعيد ظهر المرتفع من جبل
ونحوه لكنه اسباب قوله بصعيد الصعيد وجه الارض مكلفا ترابا كان او غيره
قال الزجاج ولا اعلم خلافا بين اهل اللغة في ذلك وقال ثعلب الصعيد وجه
الارض وكل ما عليها كالتراب والرمل والسبخ والملح وبه قال مالك وابو حنيفة
رضي الله عنهما فاجازا التيمم بذلك كله وقال الشافعي رضي الله عنه
لا يجوز التيمم الا بالتراب الذي لا يخالطه رمل وهو عنده الصعيد قوله
زلقوا هو مصدر زلق يزلق كفرح يفرح اذا زلت قدمه ولم تثبت قوله الاودية في
خضخاض هو الخضخاض من الطين الكثير المختلط بالماء ويذكره الفقهاء في باب احكام
القبلة والخضخاض ايضا ضرب من القطران تهنأ به الابل ومكان خضخاض كثير
الماء والشجر قوله دمع عينيها الدمع ماء العين وهو في الاصل مصدر غلبت
عليه الاسمية يقال دمعت العين دمعا من باب نفع ودمعت دمعا من باب تعب
لغة فيه ويكون من حزن وسرور غير انه اذا كان من حزن كان حارا واذا كان من
سرور كان باردا ولذا قالوا في الدعاء عليه اسخن الله عينه وفي الدعاء له اقر
الله عينه وجمع الدمع دموع والقطرة الواحدة منه دمعة قوله خاضت
يقال خاض الرجل الماء يخوضه خوضا وخياضا مشى فيه والموضع مخاضة
بفتح الميم وهي ما جاز الناس فيه مشاة وركبانا والجمع مخايض ومخاض وموزة
مجاز في كثير وخضت الغمرات اقتحمتها وخاض القوم في الحديث افاضوا فيه قوله
وعاينت سرابا قال الازهري السراب ما يتراءى للعين وقت الضحى الاكبر في الفلوات
شبيه بالماء الجاري وليس بماء والذي ينظر اليه من بعيد يظنه ماء جاريا قال
الله تعالى كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وقيل السراب
سرب الماء يسرب من باب قتل سروبا اذا جرى فهو سارب ومنه سمي السراب

وَأمّا الطَّلُّ فهو ما ينزل آخِرَ الليل أو أول النهار فيرى على النبات كالصقيع فيه كثيرا وكلام
الخليل أنّ الطلّ أو الطّل والسحاب واحد كذا في تفسير الفخر وقال ابن هشام اللخمي
في شرح الدريدية الطلّ ما يراه الانسان أول النهار وآخره فأما السراب فهو
الذي يرى في انتصاف النهار كأنه ماء سارب قوله فحفّوا في جُلَل الأرض وساق
هما مأخوذ من الحفوف الذي هو احداق الشيء والطفه الشيء الذي يكون على
مقدار الشيء فيحيط به بجميع جوانبه كالحلقة ومنه أيضا قولهم احتفوا على الطعام
إذا اجتمعوا عليه ومنه حفيف بعضهم دائم متواتر وحفوف الغيم الارض تحفيفا أطاف
بها جميعها وسحابة محفوفة كذلك قال امرؤ القيس

ديمةٌ هطلاء فيها وَطَفٌ * طبّق الأرض تحرّى وتدرّ

الوطف السحاب المسترخي الجوانب لكثرة مائه وقوله طبق الارض أي يعم الارض
وتحرى أي تتوخى وتقصد وتدر أي تغزر وتكثر وكان ابن المعتز يحب لقاء مؤدبه أبي
العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب وكان يتخلف عنه أحيانا فكتب اليه ابن المعتز
ابياتا منها ما وجد صادٍ في الحبال موثق * بماء مزن بارد مصفّق

بالريح لم يكدر ولم يرنق | جادت به أخلاف دجن مطبق
ثم في غيث خالص لم يمزق * ما كوجدي بك لاكراتقي
يا فاتحا لكل باب مغلق | وصيرفيا ناقدا للمنطق
إنا على البعاد والتفرق * لنلتقي بالذكر ان لم نلتقي

الإعراب والتصريف قوله فما استحث الفاء عاطفة للجملة
التي بعدها على التي قبلها والترتيب فيها ذكري لا غير لأنها كالتقسيم لما على حد
قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي الآية وما نافية واستحث
فعل ماض وفاعله ضمير الذين وأصله استحث ونقلت حركة الواو التي هي
عين الكلمة الى الحاء التي قبلها ثم قلبت الواو ألفا فقيل استحاث والسين
والتاء فيه للطلب ومثله أحكم واستحكم وأضاء واستضاء وأبان
واستبان في أخرى قليلة جاءت من هذا الفعل وقوله من عبر جمع عبرة يتعلق به
والإضافة على معنى اللام فإن قلت العبرة يكون في الخير والشر كذلك
فلعلها على معنى في قلت التحقيق أن الإضافة التي على معنى في راجعة الى معنى

اللازم وايضا فحذف المفعول يتعدى بنفسه فلا محل له فلم يبق الا ان تكون على معنى اللام
المعنوية تأمل وقوله بصعيد النباء كذا فيه واراد الناشز به ما ارتفع من الارض
كالجبال ونحوها بدليل قوله بلينه به فما انخفض منها كالمنبر وقوله زلق نعت لصعيد
وهو من باب النعت بالمصدر وهو مسموع غير مقيس اي صعيد ذي زلق فهو ولا تثبت عليه
قدم والنعت بالمصدر مؤول عند البصريين بتقدير مضاف فقولك رجل عدل اي ذو
عدل وصعيد زلق اي ذو زلق ومؤول عند الكوفيين بالمشتق فرجل عدل اي عادل
وصعيد زلق اي مزلوق فيه وقيل هو على تأويل جعل العين نفس المعنى مبالغة قوله
لا في خصمها ضرر اذ انه إكمال للنفي السابق والجار والمجرور متعلق بخاصة فيرد
عليه وعداه بفي على معنى التحكم اي دخلت في خصمها او مثبت فيه او ما اشبه
ذلك والا فخصم الضرر متعد بنفسه كما مر في اللغة وانما التحكم بفي من الخوض
في ضرب قال الله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا والواو بعد اذ
داخلة في التقدير على جملة حالية ومن في محل الحال من ضمير الاثنين المستتر في استراحت
والذي صح ان هذه الواو زائدة ضرورة كما زادها زهير في قوله

نِعْمَ امْرَأً هَرِمٌ لم تَعْرُ نائبةٌ * الا وكان لمرتاع بها وزرا

ووجه الحكم بزيادة هذه الواو شبهها بالفاصلة فكما لا تقع الفاصلة
بعد الا نحو ما جاءني احد الا وعمرو كذلك هذه خلافا لمن زعم جواز دخولها
بعد الا في الاختيار ومن في التنزيل وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون وفيها
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون والاولى الحكم بزيادة حال
الواو في مثل هذا التركيب فيقولون ما جاء زيد الا واكرمته والصواب حذفها
لتخالف الكلام اذ الحال في مثل هذا التركيب مقدرة لا مقارنة نعم اذا قلت ما
جاء زيد الا اكرمته فالاكرام بعد المجيء ومقارنا وكذا ما اشبهه فتامله وعليه
فتقدير كلام الناظم فما استراحت هذه الاثنين من شيء واحد من جميع الاحوال الا في
مقدرة الرحيل فيها من احكم ومن خوضها في خصمها ضرر منعها واضافة دمع الى
الضمير جنسية على معنى اللام اي دموع لها والف خاصمت منقلبة عن واو والتاء
في قوله ببنات كذا في نسخة والله اعلم المعافي من علمت ان جملة فما استراحت
معطوفة على الجملة قبلها والعطف من الوصل في اصطلاح اهل المعاني واعلم

ان هذا الوصل لا يحتاج الى جامع في ذلك فيما اذا كان العطف بالواو التي هي
لمطلق التشريك في الحكم فاما ما عدا ما من حروف العطف فان لكل حرف منها
معنى يخصه سوى التشريك في الحكم فمتى اقتضى المقام معنى ذلك الحرف تعين العطف
به من غير نظر الى شيء اخر تقول قام زيد فخرج عمرو والمقام هنا قد اقتضى الترتيب
كما او مثلا في الاعراب فتعين العطف بالفاء فان اتفق مع ذلك وجود الجامع
فهو غير مقصود بالذات فافهم والتنوين في جمع للتعظيم وكذا في صغير والقصر
المستفاد من تقديم معمول اضافت عليه قصر قلب لان السامع يعتقد ان هذه الابل
اذا قارنت في قضية لا يكون ذلك الا من قلة النظر ونحوه فرد عليه بانها اذا اضافت
لا في قضية فرد فرعها لا في غيرها وفي تقديمه بالعزو الرفع نوع من الكناية اذ
ان الرفع لا يكون الا من الغير وهذا كما يقال الا من قد بعثني وسمعته باذني وكتبته
بيدي فاجمع بين هذه الامور اكتساب والنكتة في جمع الناظم بينهما ان المقام يحتاج الى
فضل تاكيد حتى لا يتوهم السامع ان الناظم متجوز في نسبة الرفع الى الغير بل
فاعتنى بذلك وقال دفع عنيه اي ان ذلك حق ولا تجوز فيه ووصل جملة عابت
بجملة اضافت قصدا للتشريك بينهما معا في الحكم الذي هو الحالية والجامع موجود كما هو
واضح والتنوين في سراب للتكثير وفي مطمع للتنويع اي اطمعا ما غريبا والله اعلم
البيان تقدم ان قوله بصعيد لوم من باب النعت بالمصدر وان فيه للنحاة ثلاثة
مذاهب فيتفرع عليها للبيانيين ثلاثة ايضا لانه يخرج عندهم اما على المبالغة
بجعل العين نفس المعنى فيكون من باب التشبيه المذكور كقول الخنساء في وصف الناقة

ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار

او يخرج على انه من مجاز الحذف اي ذو صفة مضاف او على انه مجاز مرسل علاقته
التعلق اذ اول باسم مشتق نحو قوله تعالى هذا خلق الله اي مخلوقه ومعنى التعلق هو
اتصاف الموصوف بمعنى ذلك المصدر الذي حمل عليه وفيما قد به مع الاضافة عليه
بهذه العلاقة فتامل واما اسناد الرفع للاذنين فهو حقيقة لا مجاز لان ذلك
متصور فيهما بل يوجد منهما كثيرا اذا كان السمع بها ونقل حملهما نعم قد بالغ الناظم فيه
باثبات الرفع لهما مع انه فضاء بعد المقام وكذلك اسناد الغيبوبة في السراب الا انها
هي حقيقة ايضا لانه ممكن عادة والله اعلم **البديع** في كلام الناظم فيه

كثيرا وخصوصا ذلك بين عموم النفي وعموم المنفي فان العموم وان كان يكن فيها بلا
للمقصود لاكنه يستلزم الاغراق الذي هو من غرضه ونكتة في قوله تعالى اشداء على
الكفار رحماء بينهم فان الرحمة وان كان يكن فيها بلاغة للشدة لاكنها مستتبعة عن البر الذي
هو غرضها وأكثر منه بكلام الناظم فقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا
نارا فان من دخل النار احترق والاحتراق ضد الغرق وفي كلامه اجناس من المحلى في قوله
ومن مقصود بصعيد والعرض بينهما وبين جنا من الاشتقاق وكما عند ابن حجة ان جناس
الاشتقاق يرجع ركناه الى أصل واحد كقوله تعالى ومن شرحها سواء اعسر والمطلق
كل ذكر منه يناسب الآخر في المعنى كما في عبارة الناظم ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله
ومنه ما كتب به بعضهم الى المأمون في عامل له وهو فلان ما ترك فضة الا فضها
ولا ذهبا الا اذهبه ولا مالا الا مال عليه ولا فرسا الا افترسه ولا دارا
الا ادارها ولا غلة الا غلها ولا ضيعة الا ضيعها ولا عقارا الا عقره
ولا حالا الا احاله ولا جليلا الا اجله ولا دقيقا الا دققه وفي جعله الاركان
معنا ليس فيهما ذكرنا يرجعان الى اصل واحد وفيه ايضا ان جناس الشبيه بالاشتقاق
بين خصما خرد خاصمنا بانه قد يتوهم في بادئ الرأي انهما يرجعان الى اصل واحد
وعند التأمل يظهر ان كل واحد منهما يرجع الى مادة تباين مادة الآخر ومنه
قوله تعالى قال اني لعملكم من القالين وقوله اثاقلتم الى الارض من الثقل وهو
المعنوي في كلامه ايضا التقسيم على ما تقتضيه عبارة الشيخ زكرياء في
الاقنع فانه قال التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم اقسام المعنى الذي هو آخذ
فيه ومنه قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاستوفت الآية
الكريمة جميع الاقسام التي يمكن وجودها في الناس وغيرهم من المكلفين فان العالم
جميعه لا يخلو عن هذه الاقسام وكذا الناظم رحمه الله فانه استوفى جميع
الاقسام التي يمكن ان توصف بها الاواني لانه لا يخلو حالها من ان تكون ضرا ام نفعا
او ضررا منفعة او منها منسكبا فان شان يعبر الجميع الى المنفعة وبمقصود
الصغير الى المرتفع ويعبر المنفعة الى ما سوى ذلك والشرك الا المنسكب

ومن بديع التقسيم قول الشيخ سيدي عمر ابن الفارض رضي الله عنه في وصف
خمرة الحضرة امد الله علينا بنصيب منها آمين

يقولون لي صفها فأنت بوصفها ... خبير أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ... ونور ولا نار وروح ولا جسم

وفي كلامه أيضا الاقتباس وحقيقته أن يضمن الشاعر أو الناثر كلامه شيئا من القرآن أو الحديث على وجه يشعر بأنه ليس منه وهذا أخص من قولنا يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى أو قال النبي صلى الله عليه وسلم كذا فإنه ليس باقتباس [كذا صح] والمثال الاول اقتباس كقول الحريري فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب وقول الآخر

إن كنت أزمعت على هجرنا ... من غير ما جرم فصبر جميل
وإن تبدلت بنا غيرنا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

والاقتباس في كلام الناظم هو قوله بصعيد زلق فإنه مقتبس من قوله تعالى فتصبح صعيدا زلقا الآية والاقتباس في كلام الشعراء والبلغاء كثير وفي كلامه أيضا الإغراق وهو أحد أقسام المبالغة وذلك أن المبالغة عندهم تنقسم إلى تبليغ وإغراق وغلو لأن الوصف المدعى للشيء إن كان ممكنا عقلا وعادة فهو التبليغ كقول امرئ القيس في وصف الفرس

فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

العداء الموالاة بين الصيدين فرس يصرع أحدهما على أثر الآخر في طلق واحد فادعى هذا الشاعر أن هذا الفرس أدرك ثورا ونعجة وحشيين في طلق واحد ولم يعرق وهذا ممكن عقلا وعادة ومنه قول أبي الطيب في الفرس أيضا

وأصرع أي الوحش قفيته به ... وأنزل عنه مثله حين أركب

وإن كان الوصف المدعى ممكنا عقلا لا عادة فهو الإغراق كقوله

ونكرم جارنا ما دام فينا ... ونتبعه الكرامة حيث مالا

وهذا ممكن عقلا لا عادة بل في زماننا يكاد يلحق بالممتنع عقلا كما قال سعد الدين رحمه الله وهذا القسم مقبول أيضا ومنه كلام الناظم فإنه ادعى أن هذه الإبل اشتد بكاؤها وجرت دموعها حتى صارت الخيام الى ان ينفضها الناس عنها وهو ممتنع عادة لا ممكن عقلا وإن كان الوصف المدعى غير ممكن لا عقلا ولا عادة

بنو الغلو كقول ابن نـــــراس *

وأخفيت أهل الشيب ما عشت أفسه * لكنما بنت النكات التي لم تفلي

وهو مردود ويرحم الله حسان بن ثابت إذ يقول *

وإنما الشعر لبّ المرء يعرضه * على المجالس إن كيسا وإن حمقا

وإن أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال إذا أنشدته صدقا

وفي كلام الناظم التضمين العروضي وهو أن يكون معنى البيت متوقفا على البيت الذي بعده لا يتم معناه إلا به وهو عيب من عيوب القافية ومنه قول النابغة

وهم وردوا الجفار على تميم * وهم أصحاب يوم عكاظ إني

شهدت لهم مواطن صادقات * أتيتهم بودّ الصدر مني

فوقع اسم إن في آخر البيت الأول وخبرها في أول الثاني وهو من أقبح التضمين وقريب منه بيت الناظم فإن جملة البيت الثاني وإن كانت حالا وإنما الحال فضلة لكنها هنا واجبة الذكر لوقوعها بعد إلا والله أعلم ومعنى الكلام يقول إن هذه الإبل ما زالت تعتسف البيد وما فيها من المهامه الشداد بزين جمتي أبدا تسلمها أرض إلى أرض وتنكمش بأخفافها منها رفعا إلى خفض حتى إذا تخلصت من كل النوع عين واستراحت منهما في دار العز اتصلت إلى ما هواه منه وأقرّ وكان رجا لها قال المستهيم بعمرو وقد أبدع الفاضل الأرجاني عن هذا المعنى الذي ذكره الناظم حيث قال *

وحرف يجوب الفلاة والوعر والربى * كمر عمر مر القمر والرفع والنصب

نجائب يقرع فرانقها كل ليلة * كأن بأيديها مصابيح للركب

كأنما رقراقه يجري كما * والنور أمواج عليه ترتقي

وكل مودج على أقتابها * مثل سفين ماخر أو زورق

الدعص قوله كأنما رقراقه رقراق السراب ما تلألأ منه أي جاء وذهب وكل شيء تلألأ فهو رقراق ومن أمثالهم أكذب من رقراق السراب وقال أبو ذويب الهذلي

وكنت كرقراق السراب إذا بدا * لقوم وقد بات المطي بهم تخدي

وقال الفنداب التغلبي *

وكنت كممتطي البحر في سفائنه * لو قد رأى الموج رابية ملأ
كمن قعقعة اولاده اخرى فبعثت ‌ يبني تبكيهما هذا الكلام عن الفعل

ورفرفت الماء يترفرف والجماد وذهب وترفرف وابتسم وتلألأ ولمع والرفرافة الذي كان الماء يجري وجمعها رفاف وحسنا قوله بحر البحر معروف وهو خلاف البر سمي بذلك لعمقه واتساعه والجمع ابحر وبحور وبحار وكل نهر عظيم فهو بحر قال عدي بن زيد العبادي *

سره ماله وكثرة ما يمـلك والبحر معرضا والسدير

يعني الفرات وقد سمي بحرا اذ كان واسع الجري ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في مندوب فرس ابي طلحة ان وجدناه لبحرا وابحر الرجل اذا ركب البحر كابحر اذا اتى بحرا قوله طما يقال طما البحر يطمي طميا كرمى امتلأ وطما الماء علا حتى ملأ النهر والنبت كمل وبمعنى ارتفعت وعظمت وطمحت المرأة بزوجها اذا ارتفعت به ويقال بالدال في الجميع قوله والنوق جمع ناقة كبدن جمع بدنة وقد تقدم الكلام عليه قوله امواج جمع موج والواحدة موجة اصله المصدر ثم غلبت عليه الاسمية كما مر في الرفع يقال ماج البحر موجا اضطرب وتموج اشتد اضطرابه وهيجانه ومنه ماج الناس اذا انهم ثاروا واختلطت امورهم قوله ترتقي الارتقاء الصعود كالترقي رقيت في السلم بالكسر رقيا ورقيا صعدت وارتقيت مثله والمرقاة بفتح الميم الدرجة ومن اعلى انها محل الرقي ومن اعتبر انها آلة له كسرت قوله وكل هودج هو مركب للنساء معروف يكون مقببا وغير مقبب والجمع هوادج قوله على اقتابها جمع قتب محركا وهو رحل صغير يكون على قدر سنام البعير قوله مثل سفين هو في الاصل جمع سفينة وتجمع ايضا على سفائن وتجمع السفين على سفن بضمتين قال في المصباح وهو عزيز متغيرا فيجوز ان يكون جمع سفينة كصحف جمع صحيفة واعلم ان جمع السفينة على سفين شاذ لان الجمع الذي بينه وبين مفرده الهاء التانيث بابه المخلوقات مثل تمرة وتمر ونخلة ونخل واما في المصنوعات مثل سفينة وسفين فمسموع في الفاظ قليلة ومنهم من يقول ان السفين لغة في الواحدة وهذا القول هو الذي مشى عليه الناظم كما ياتي وسميت السفينة سفينة لانها تسفن الماء اي تقشره فعيلة بمعنى فاعلة وصاحبها سفان

وصنعته السفانة بالكسر قوله مواخر يقال مخرت السفينة الماء كمنع مخرا
ومخورا جرت ومخر السابح الماء شقه بيديه ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر
الهواء اي تشقه والفلك المواخر التي يسمع صوت جريها او تشق الماء بجآجئها
او المقبلة والمدبرة بريح واحدة قاله في القاموس وفي تفسير البغوي مانصه قال
اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء انه صوت جري الفلك
بالرياح اذا عصفت هذا قول ابن عباس مواخر اي جواري انما حسن التفسير به لانها
لا تشق الماء الا اذا كانت جارية ه قوله او زورق من سفينة صغيرة والجمع
زوارق والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله كانما راقه كان
حرف تشبيه مركب من ان والكاف واصله في قولك كأن زيدا اسد ان زيدا كالاسد
ثم قدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت الهمزة لدخول الجار وقيل انها بسيطة
وما الكافة في المغني ولكنه ما الزائدة بعد من كافة لها عن العمل والجملة من
المبتدا والخبر في محل جر صفة ثانية لسراب في البيت قبله ويحتمل ان تكون في محل نصب
حالا منه لتخصصه بالصفة ويحتمل ان تكون مستأنفة استئنافا بيانيا اعني انها
ابتدئ بها الكلام لبيان حال السراب فلا محل لها اذا من الاعراب وجملة لمعا في
محل النعت لبحر والفعا يجوز ان تكون منقلبة عن ياء او عن واو ولغتان كما مر وعليه
فيجوز كتبها بالياء والالف قوله والنون امواج جملة معطوفة على التي قبلها فتحتمل
الاوجه الثلاثة اعني النعت والحال والاستئناف وعلى الوجهين الاولين فالرابط
بين الصفة والموصوف او بين الحال وصاحبها ال في النون على المذهب
الكوفي اذ المعنى ونونه امواج واما ضمير مقدر تقديره والنون فيه امواج ولا يجوز
على احتمال الحالية ان تربط بالواو لان جملة الحال اذا عطفت تعين الربط فيها
بالضمير كما عند ابن هـ وغيره واصل الواو في النون النون بوزن عنق لاكن استثقلت
الضمة على الواو فحذفت فان قلت فهل يصح ان تكون جملة والنون امواج في محل
الحال من بحر لتخصصه بالصفة قلت لا لانه ليس بينها الا ما يصلح للعمل في الحال
بل كان مكفوفة بما فلا عمل لها فلم يبق الا الابتداء وهو لا يعمل في الحال عند
الجمهور ولو فرضنا ان نجعل الابتداء في المبتدا ونجعل كان في الحال للزم عليه
اختلاف عامل الحال وصاحبها وهو ممنوع عند الجمهور ايضا فان قلت

فإن قلت فجعلها حالا من الضمير المستتر في كأنما العائد على البحر ولا محذور حينئذ
قلت هذا وإن جاز صناعة لم يجز معنى إذ التقدير حينئذ أنه شبه السراب
بحر في حال كون ذلك البحر عليه نور شبيهة بالأمواج وهذا غير صحيح لأن
البحر المشبه به هنا حقيقي ولا نور عليه فالجملة معطوفة على التي قبلها كما قلنا
وأداة التشبيه مقدرة ومعناها حسبما اقتضته الواو المشتركة في الحكم وجملة ترتقي
نعت للأمواج وعليه متعلق بترتقي قدم عليه ويحتمل أن يكون عليه متعلقا بالاستقرار
صفة للأمواج وجملة ترتقي صفة ثانية أو حال من الضمير المستكن في الاستقرار والأول
أقرب قوله وكل موج في جملة مستأنفة جيء بها لبيان حال الأمواج ولا يصح
عطفها على الجملة الأولى بأن تكون صفة ثالثة لسراب أو حال منه لخلوها من ضمير له
ولا يجوز أن يدعى العطف على الاحتمال الثالث أعني الاستئناف لأن تقدم في الكلام
هنا بأداة التشبيه دليل على أنه قطع الكلام عن العطف على ما سبق وقوله
سعير يتعين أن يكون اسم إذ به معنى الواحد لا الجمع وإلا فاتت المطابقة بين المبتدأ
والخبر وبدليل عطف زور عليه وهو واحد والله أعلم **المعاني** قد قدمنا أن
قوله كأنما رفرافه في جملة تحتمل ثلاثة أوجه فعلى أنها صفة لسراب أو حال منه فمن
الفصل لكمال ... لأن جملة الصفة لا تعطف على الموصوف خلافا للزمخشري ومن تبعه
ولأن جملة الحال في مثل هذا التركيب لا تتعين فيها الواو قال الله تعالى وقلنا
اهبطوا بعضكم لبعض عدو وعلى أنها مستأنفة فالفصل أكمل لأنها حينئذ كالكلام
المقتضب لم يقصد أن يجعل تابعا لما قبله ولا قيدا له وإنما جيء به كأنما افتتح به
الكلام لبيان حال السراب وأما الوصل في الجملة بعدها أعني قوله والدر في الأمواج فلأنه
قد تقرر بينها وبينها في الحكم الذي هو واحد من الأوجه الثلاثة والجامع موجود وهو
ملابسة الدر للسراب إذ هي سابحة فيه وخاصة له ولما بين البحر والأمواج من
شدة الاتصال والتنكير في بحر للتعظيم بدليل قوله كأنما وأما في أمواج فللتكثير إذ لا
تكثر للدر إلا في حال الثبوت وما كانت عليه من الكثرة والقرامة وحسن الحال وأما
بالتكثير فيما صارت إليه من القلة والذبول فهو للتقليل وهو أخذ هذا من قول الناظم
فيما يأتي من بعد ما كانت منيرة غرت الشبه وأما وصف البحر بالجملة الماضوية ووصف
الأمواج بالجملة المضارعية فلما في ذلك من المناسبة وهو أن الموصوف بالذات

من تشبيه السراب بالبحر انما هو العظم والامتلاء ومن هاهنا سببه التعبير بالماضي لدلالته على ان هذا البحر قد انتهى لحصوله وامتلائه واستغنى عن الزيادة ويفيد هذا شيئا بعد شيء والمقصود من تشبيه النور بالامواج هو بيان كيفية سيره فيما فيه وفتحه له وهو انما تترتب فيه متعاقبة ومتتابعة كتراجع امواج البحر وربما تعلو في رأي العين وربما تسفل ومن هاهنا سببه التعبير بالمضارع لانه يدل بمعونة المقام على تجدده وحدوثه شيئا فشيئا كما ذكروه في قول طريف العنبري

او كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الي عريفهم يتوسم

اي يحدث عنه تفرس الوجوه وتأملها شيئا فشيئا ولحظة بعد لحظة وقال الزمخشري عند قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق الآية ما نصه فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار في يفاع تحرق

ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله تعالى محشورة عطف على يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة اه واما جملة وكان موجه فقد تقدم انه لا تمتنع ان تعطف على الجمل الواقعة صفة او حالا لا وحينئذ فيتعين العطف فان قلت اذا كان العطف متعينا فما بالها اتى بها مقرونة بالواو وبحل هذا الا وصل لها بما قبلها قلت الواو فيها للاستيناف لا للعطف وقد قال العلامة الرهوني مراده بالعطف ترك العطف لا ترك الحرف اي قد يكون غير عاطف اذ لا مانع من الاتيان بالواو وعلى انها للاستيناف فانما تكون له اه والتنكير في موج للنوعية بدليل قوله او زورق فانه نوع من الشعر والله اعلم بالصواب. ولا يخفى ما في كلام الناظم رحمه الله من التشبيهات الحسنة والوجه فيها كلها ظاهر لا يحتاج الى تقرير وقد استوفى الناظم المفترع هذا الباب وتممه على الوجه الاكمل فان كان من حكم وقفا للشعراء

قبله

قبله ومن هذا في كلام الاقدمين والمحدثين كثير فمن ذلك قول امرئ القيس

فشبهتهم في الآل لما تكمشوا * حدائق دوم او سفينا مقيرا
او المكرعات من نخيل ابن يامن * دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

المكرعات النخل المغروسات في الماء والمشقر حصن قريب بالبحرين وقال ابو عبد الله محمد الصقا يحيى الملالي *

وركب بطلاح ما هبوا النجم في السرى * ترامى بهم في السير عيس وتعنف
يخوضون بحر الآل يكشفون عبابه * كقرة ياجي الليل والليل مشرف
كان المطايا والرحال فوقها * سفين بايدي الزاهبات تجدف

وقال ابو الطيب المتنبي *

اذا الليل وارانا ارتنا خفافها * بقدح الحصى ما لا ترينا المشاعل
كأني من الوجناء في متن موجة * رمت بي بحارا ما لهن سواحل
يخيل لي ان البلاد مسامعي * واني فيها ما تقول العواذل

وقال ابن الرومي واحسن *

تكون القلا وكان الآل اردية * وتارة وكان الليل سيجان
كانها في مخاضي الغمر سفن * وفي الغمار من الظلماء حيتان

السيجان الطيالسة وقال بعضهم واجاد *

فلو كنت حين علوت متن مطية * لم تعتلقها للمكين عيون
وترسمت بحر السراب حسبتني * من فوقها الفا وتحتي نون

(ومرت بها موج الرياح بمنعرج * تهوي حينا وحينا تلتقي)

اللغة قوله مرت بها المرور هنا الذهاب والمرور ايضا الاجتياز ويصح ان يحمل عليه كلام الناظم على تقدير يقال مر زيد مرا ومرورا ذهب ومررت به ذهبت به ومررت به وعليه اجتزت به قوله موج الرياح اصل الموج بالتحريك كون الماء في حمود وكيس وتسرع والناقة الموجاء المسرعة السير حتى كأن بها موجا والريح الموجاء التي تقلع البيوت والجمع موج بضم الميم كذا في الصحاح والقاموس وقال ابو البقاء في شرح ديوان المتنبي الرياح الموج التي لا تستقيم فتارة تاتي من هنا وتارة من هنا ومن هنا شبه تعقيب الناظم لها بالتفرق تارة والاجتماع اخرى قوله تهوي في تعرف

حينًا في الحين الزمان قل او كثر والجمع احيان وجمع الجمع احايين واختلفوا في معنى
الحين في قوله تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها فقال ابن عباس ستة اشهر لان بين
حمل النخلة الى صرامها ستة اشهر وجاء رجل الى ابن عباس فقال نذرت ان لا اكلم
اخي حتى حين فقال الحين ستة اشهر وتلا قوله تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن
ربها وقال مجاهد وابن زيد هو سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل
الثمرة وقال سعيد بن المسيب شهران لان مدة اطعام النخلة شهران وقال الزجاج
جميع من شاهدناه من اهل اللغة يذهبون الى ان الحين اسم كالوقت يصلح لجميع
الازمان كلها طالت او قصرت والمراد من قوله تعالى تؤتي اكلها كل حين انه ينتفع
بها في كل وقت وفي كل ساعة ليلا او نهارا شتاء او صيفا قالوا والسبب فيه ان النخلة
اذا تركوا عليها الثمر من السنة الى السنة انتفعوا بها في جميع الاوقات والله تعالى اعلم

الاعراب والتصريف قوله مررت بها جملة مستانفة فهي بمثابة حالية
اخرى للنوى سيرها تغدو فلا محل لها من الاعراب ولا يجوز ان تكون صفة لسفين او زورق
في البيت قبله والا لقال مررت بها بالافراد والتذكير لان العطف باو وحيث قال بها
علمنا انه عاد الى الكلام في النوى فان قلت فلعل الضمير يعود على السفين الذي هو
اول المتعاطفين وانثه باعتبار المعنى اذ معنى سفينة مذكور كقوله تعالى واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها قلت هذا لا يناسبه التعقيب بالتفرق والالتقاء الذي هو
من شان الشعر لا الثمر والسفين هنا واما كما قررنا فلم يشترط ان تكون الجملة مستانفة
ومع ذلك فلها تعلق ما بالكلام المتقدم من جهة ان النوى في منزلة الغالية فمن شان ركب
الشعر في ان كلا منهما يسير بالريح فهو كالتتمة للتشبيه والباء في قوله بها للتعدية
وهي المعاقبة للهمزة في قولك مررت به وامررته وذهبت به واذهبته قوله هوج
الرياح فاعل مررت وهو من اضافة الصفة الى الموصوف اي الرياح الهوج وهوجاء عند
الكوفيين واما البصريون فيرون ويؤولونه بما هو معروف في كتب النحو ومنه قوله تعالى وانه
لحق اليقين والياء في الرياح منقلبة عن واو بدليل جمعه في القلة على ارواح قالت ميسون
الكلبية ؛ لبيت تخفق الارواح فيه * احب الي من قصر منيف *
وانما جاءت الياء في جمع الكثرة لانكسار ما قبلها فاذا رجعوا الى المفرد عادت الواو
قوله يمنيه ثم جملة معطوفة على التي قبلها وجيء بالفاء لافادة معنى السببية

والتعقيب والترتيب وقوله في تفرق متعلق بالاستئناف لا رغم المتبادر وحينئذ فمتعلق
بمعروف قوله وحينئذ تلتفت الواو داخلة في التقدير على الجملة الفعلية أعني تلتفت
وحينئذ فيتعلق به فرع عليه والجملة في محل رفع عطف على الخبر فتلخص أن في نحو وحينئذ تفتح و
وحينئذ تلتفت والله أعلم **المعاني** جملة مرت بها في مثنا نقة كما قلنا بلـزا
بمثلها عما قبلها وكان مقتضى الكلام أن يعبر بالمضارع فيقول تمر بها موج الرياح
بدليل الكلام بعده ولأنه لا زال في حال المضارع والنوق لا زالت سائرة وأن الأرم
تنفصل عنه في الزمان حاضر كما ترى لكنه إنما استعمل في تنبيه المضارع كل جملة فلم تعد
ولم يقع فيه كلامه ورد التعجيه على الزمان بمنزلة الثوب والتي عليها المجنوبة ولا بد
جزم بأنها لا محالة سائرة فعبر بصيغة الماضي في الشيء إذا كان بمنزلة المحال عبر أن
يعبر عنه في الكلام المعتاد بأنه قد حصل ووقع أجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع
بالفعل يقال لمن كتب الإعانة وقد قرب حصولها منه قد جاءك الغوث فلا تجزع ومنه
قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه فقوله فمر في نقع وإنما أتى بمنزلة الجملة الاسمية
ولم يأت بها فعلية كالجملة المعطوف عليها للدلالة على أن حالة النفر أغلب عليه
من حالة الاجتماع لأن الجملة الاسمية تقتضي بمعونة المقام الثبوت والدوام كقوله

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق

يعني أن الانطلاق من الصرة ثابت للدرهم دائما وإنما لم يقل إلا حكم لنا نجمع هذا المعنى
في جانب الاجتماع عبر بالفعل الذي يقتضي الحدوث فقال وحينئذ تلتفت ويؤيد ما ذكرناه
أنه عبر في جانب النفر وفي الذي تقتضي الكثرة والاستمرار فيما جاء أن حالة النفر
قد استولت عليها وتمكنت منها تمكن الكثرة من المكثور وذلك أبلغ في تعبها وأتم
في حصول المشقة لها ويستفاد من هذا النص بيان أن التعبير المتعلق بالنفر ويجب أن يراد به
الزمان الطويل وأن تعبير المتعلق بالالتقاء يجب أن يراد به الزمان القصير وقد جاء في
كلام الشعراء ما يدل على هذا المعنى فلان والرفيق *

وإنسان عيني يحسر الماء تارة * فيبدو وتارات يجم فيغرق

فأفاد أن حالة البكاء أغلب عليه من حالة التمتع والإطلال في هذا أن الشعراء جرت
عادتهم باستكمال إيلاء الفرق والمشقة واستقصار أيام السرور والراحة قال أبو تمام

أعوام وصل كان ينسي طولها * ذكر النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أردفت * بنحو أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وقال أبو الطيب

وكيف التذاذي بالأصائل والضحى * إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبا
ذكرت به وصلا كأن لم أفز به * وعيشا كأني كنت أقطعه وثبا

والتنكير في نفحة للتعظيم ويحتمل النوعية كما في قوله تعالى وعلى أبصارهم غشاوة وفي الضمير من اوّل للكثرة وفي الثاني للقلة والله اعلم **البيان** يصح أن يكون في قول الناظم مرت هنا استعارة تبعية وذلك باعتبار صيغة الفعل بأن يقال شبه المرور الواقع في الزمان الحاضر او المستقبل بالمرور الواقع في الزمان الماضي بجامع التحقق في كل ثم حذف لفظ المشبه وهو صيغة المضارع واقتصر على ذكر المشبه به وهو صيغة الماضي فقال مرت وفي قوله حسن في نفحة استعارة اصلية في المصدر تبعية في الفعل وذلك انه شبه تذكر النفحة الذي هو معنى من المعاني من الشوق والاستيلاء عليها بتذكر الظرف المحسوس من ظهوره واشتماله عليه ثم استعار له لفظة في التي للظرفية فقال احسن في نفحة ولم يقل ملابسة له على الوجه اللائق وانما عدل الى هذا المجاز قصدا للإفادة ان حالة التذكر كأنها أغلب عليه من حالة الاجتماع كما قرر مثله قال المولى ابو السعود في قوله تعالى ولأصلبنكم في جذوع النخل وانه إيثار كلمة في للدلالة على إبقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه وفي كلام الناظم الكناية فانه كنى عن مجيء زمان الشروق وشرقه من أنها بان الرياح هاجت تذهب بها وتجيء كما تفعل بالقطنة مثلا الملقاة في فلاة من الارض وهذا كما تكنى بعد بعض الفقها وهذا الذي وصف به الناظم الشوق ابلغ مما وصف به البحتري في قوله

كأنفس العاشقين بل انّ شـوقهم منهية بل الأوتـار

وهو معنى تكرّر للشعراء وسيأتي تتميمه في كلام الناظم وذكرت هذا قول بعضهم في كرّ الحبيبة

لا تعجبن بالحبيبة * كثرت منا بثها كمريـلة
تجري بها شوح الريـاح * كأنها ذنب الحسيلـة
فمن يرد الشوق البشـى * يومنا ولغيبته فليكـنة

البديع في كلام الناظم منه الكناية ببيّن البيت والالتفات وهو الجمع بين متقابلين

كما مر ومنه قوله تعالى وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات وقول الحماسي

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد * لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وقول الآخر فيا كبد محزونة

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني أني خطرت ببالك

وقول الآخر في وصف فرس وأجاد *

وأرى الوحش في يميني إذا ما * كان يوما عنانه بشمالي

وأما معنى الكلام فهو ظاهر مما قررناه والله أعلم

(وكم بسيوف البغي شقت سوقها * سوى المغني الذي لم يبق
حتى غدت منه هنا بها فاغمرا * أغنها فما تشكو كبيل العنق
من قوة الأيدي شكت قرع الوجى * لكنما تشكو لعين مشفق)

اللغة قوله وكم بسيوف البغي السيوف القلع ومواضع القلع فيه شيء في أماكن ثم
تمر بها سراعا حتى يحتلكها كالسيوف ومنه قيل للحرب غمة سوق لأنها تخلع اللحم
بالدم والجمع أسواق وسياق ورجل سوكما أي مرة واحدة بالسوق ورجل عشرة
أسواق أي عشر ضربات به وسوقه بالكل شيء بزخارف الكلمة من السمين وقوله تعالى
فصب عليهم ربك سوط عذاب أي ألم سوط عذاب والمراد السوط فيما علم أن العرب
بالسوط أعظم آلة من غيره والبغي النعم وبغى الرجل على الرجل استطال وبغت السماء
اشتد مطرها ما قاله أبو عبيد وبغى الجرح ورم وترامى إلى فساد وبغي الوالي ظلم وكل
مجاوزة عن الحد وأمثاله في المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي قوله شقت سوق
الراحلة من قوة ما قال الخليل القوة أن يكون الرجل أقلع الراحلة إذا بقيت وهو
والسوق أن يكون من خلفها والكثرة فيستوي فيها والقدم لما زاد والسنة يوازي بها
قوله سوقها جمع ساق وهي ما بين الكعب والركبة مؤنثة تصغيرها سويقة وجمعها
سوق كما تقول به النائم وأسؤق بالهمز وسيقان ويوم يكشف عن ساق وعن شدة والنفت
الساق بالساق أي شدة الدنيا بأول شدة الآخرة إذا أراد والإخبار عن شدة الأمر
وعظم مقوله ذكروا الساق ومنه قامت الحرب على ساق قوله سوى المغني الذي

مثل الغيظ ضد الرفق يقال عنف به وعليه ككرم وأعنفته أنا إعنافا وعنّفته
تعنيفا والتعنيف ضد الرفق قوله بركوب الخيل والشرير من السير والغزل وغيره الخ
قوله الزهد لم يتر أهل الابتغاء الجزر والاسم التقوى وأصلها وقيا لأنها
مأخوذة من الوقاية فأبدلت لام الكلمة التي هي الياء واوا على القاعدة في فعلى
إذا كانت اسما ثم أبدلت فاؤها التي هي الواو تاء فقيل تقوى وقد اختلفت عبارات
السادة الصوفية رضي الله عنهم في حقيقة التقوى فقال الشيخ أبو حامد الغزالي
هي التقيد بأوامر الله والترك لنواهيه وقال طلق بن حبيب لما سأله بكر بن
عبد الله المزني عنها التقوى هي العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله
والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله وقيل غير ذلك
وعن بعض الحكماء أنه لا يبلغ الرجل سنام التقوى حتى يكون بحيث لو وضع ما في قلبه
في طبق وطيف به في السوق لم يستحي ممن ينظر إليه وتحقيق الكلام فيها وفي أقسامها
يخرج عن المقصود رزقنا الله بمنه تقواه ومتعنا بفضله رضاه قوله حتى عمرت
خوصها أي غابات الغيل قال في المصباح الخوص يعني بالتحريك مصدر من باب تعب
وهو ضيق العين وغؤورهما والذكر أخوص والأنثى خوصاء والجمع خوص بالضم كما
تكون في النخيل قوله عجافا العجف بالتحريك الهزال وقد عجف يعجف كفرح يفرح
والذكر أعجف والأنثى عجفاء والجمع عجاف على غير قياس لأن أفعل وفعلاء لا يجمع
على فعال ولكنهم حملوه على نقيضه وهو سمان والعرب قد تبني الشيء على نقيضه
كما تبنيه على نظيره كما قالوا عدوة حملا له على صديقة وفعول إذا كان بمعنى فاعل
لم تلحقه هاء التأنيث قوله ضمرا جمع ضامر والأنثى ضامرة وهو المهزول اللاحق
البطن من الإبل والخيل يقال ضمر البعير أو الفرس ضمورا من باب قعد وضمر ضمرا كقرب
قربا وقد يضمه وضمرت الفرس أعددته للسباق وهو أن تعلفه قوتا بعد السمن
بعد ضامر وخيل ضوامر وفي التنزيل وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر
قال أبو السعود أي على كل بعير مهزول أتعبه بعد الشقة فهزله أو زاد في هزاله قوله
أعنقا جمع عنوق بضمتين أو بضم فسكون كعمود وقد تقدم قوله كطويل العنق قال
في المصباح العنق بفتحتين ضرب من السير فسيح سريع وهو اسم من أعنق إعناقا قال أبو
النجم * يا ناق سيري عنقا فسيحا * إلى سليمان فنستريحا *

وقال في كفاية المتحفظ العنق ضرب من سير الإبل وهو المشي السريع الذي يتحرك فيه عنق البعير بمقتضاه أن سير عنق الإبل يسمى عنقا وكلام العرب والأدباء بخلافه قوله مرثومة الذيل أي مشقتها تسيل دما وأصل الرثم كسر الأنف وغيره حتى يخرج منه الدم يقال رثم أنفه أو فاه يرثمه فهو مرثوم ورثيم وهي مرثوم ورثيم إذا أصابته حجارة فدميت وكل ما كسر ولطخ بدم فهو رثيم ورثمت المرأة أنفها بالطيب لطخته به قاله والرثمة ل

تشفي الغليل على عز ابن رشفته * شماء مارنها بالمسك مرثوم

كأنه جعل المسك في المارن شبيها بالدم في الأنف وأتى فيه بالتجريد ياقوت في جملة الفريد المغلقة وروى أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي النحوي في نوادره أن أعرابيا تزوج أعرابية فأمر وليتها ثلاث ليال شاة وزقا من خمر مع عبد له أسود فأخذ العبد شاة في الطريق فذبحها وأكل منها وشرب بعض الزق وبما جاء هلا بالباقي عرفت أنه خانها في الطريق فلما عزم على الرجوع سألته هل لك من حاجة إلى سيدي فقالت له نعم اقرأ عليه السلام وقل له إن الشهر كان عندنا محاقا وإن سحيما راعي غنمنا جاءنا مرثوما فلم يدر العبد ما أرادت بهذه الكناية فلما عاد إلى مولاه أخبره برسالتها ففطن لما أرادت فدعا بالهراوة وقال لتخبرني وإلا شرخت بها رأسك فأقر بما فعل وعفا عنه وهذا من أحسن الكنايات وأحلى الإشارات قوله الوجى هو وجع يكون في الرجل وجي كرضي فهو وجي ووجي كغني ووجيا وقيل الوجى الحفا وقيل الوجى وجع يجده الفرس في حافره أو البعير في خفه من غير أن يكون به دبر ولا غيره قوله الأكمام تشكو لغيره مشعر الشكاية معروفة والأشيا والاشتكاء بمعنى والعكس والاسم الشكية وقد تقدم الكلام عليه والله أعلم **الإعراب والتصريف** قوله وكم بسطوها الفعل منزلة الجملة معطوفة على جملة قوله فما أسمى احتا وما بينهما اعتراض وكم هنا خبرية بمعنى كثير وهي اسم مبهم مبني على السكون لشبهه بالحرف وضعا ومعنى أما الوضع فلكونه على حرفين وأما المعنى فلكونه في إفادة التكثير نظير رب في إفادة التقليل ولما كانت مبهمة احتاج إلى ما يبينه ويميزه ومميزها هنا محذوف أي كم مرة أو كم وقت وهو مجرور بإضافتها إليه ومنع بعضهم حذف

تمييز كم الخبرية الا اذا فرق منصوبا وقال الشيخ ابو حيان رحمه الله تعالى ينبغي أن
يقال إن فرق منصوبا او مجرورا بمن جاز حذفه واما بالاضافة فلا يجوز حذفه وعليه
فيقال في تقدير كلام الناظم وكم من مرة او كم مرة وقفنا شغفنا شوقنا وفي جملة ذهب
على المصدرية اي شغفنا بالمرة وعلى الظرفية اي شغفنا بالوقفة وشوقكم البغي يتعلق
بشغفنا فرع عليه وهو فعل للانثى واو العين حذفت بعد انقلابها الفا واجتماعها
مع الساكن بعدها وجمع بذلة الاعلام الشيوخ رحمهم الله

*

إرسالها لتنفيا الكيس ما سبق   دار زيد كر لنا معزوبة أحق

وشوقنا بضم الشين فعوله وهو جمع شد وكما ... واصل واو الضم مثل اشد واشد
لا كراستثقلت الضمة على الواو وحذفت كما مر في لفظ الشوق وفي قوله تعالى فكلي
مشيها بالشوق والاعمنا وثلاثة اوجه في السبع اخرها بضم الشين وبالواو الساكنة
كما هنا فانيها ابدال الواو همزة ساكنة بوزن فعل ثالثها بضم الشين والهمزة بعدها
واو الجمع فقيل بالشوق كاسود وفي قوله شوق المعنى فعل ما كلو معمول الشفق
والزبع المعنى موصولة وعلتها الوصف المتصل بها ومنونتها لمفرد ابا الشمس المعنى
والزبع بيتونتها بعد نعت فوله حتى عرف حتى منا ابتدائية لا تتعلق بشيء
ولذاك دخلت على الجملة ومعناها الغاية ومنوانغالب فيها والجملة بعدها مستانفة
اعني انها لا تعلق لها بما قبلها الفكلا وان كان مضمونها غاية له فتكون متعلقة به
معنى وفي قوله عرف معناه كما رنا وهو فعل شرطها وان الملام قلب الفا وحذف
لالتقاء الساكنين واختلف مثل هذا الفعل تام او ناقص فذهب الجمهور وتبعهم ابن مالك
الى انه تام والمنصوب بعده هنا (ميرقا عليه) لانه لم يوجد الا نكرة او جملة ومن في معنى
النكرة وذهب جماعة من النحاة وكالجزولي والزمخشري وابي البقاء وابن عصفور الى انه
بمعنا فصار من اخواتها كان يرفع الاسم وينصب الخبر وهو الذي اعتمد المتاخرون وعليه
باسمها في كلام الناظم ضمير مستتر راجع للابنوق وفي قوله عجافا خبرا اعتبارنا
على سبيل التعدد وجملة اعينا فيها تشكو يحتمل ان تكون خبرا رابعا ويحتمل ان تكون
مستانفة وكذا قوله من فرقة الا يحتمل ان يكون منصوبا على انه خبر خامس ويحتمل
ان يكون مرفوعا خبر مبتدا محذوف على انه مستانف وهو اولى لما فيه من تمشية الجمل
الا بتحقيق الفعل واما جملة شكت فرضها النوجين فلا يصح ان تكون خبرا اسادسا لغرضنا الا

بغلطهما فافهم وانما لم يقل حتى بعد الشرط وسكت في لكن من السماعية بمكان وان جاز
ان يعتبر في الاواخر فلا يعتبر في الاوائل فالوجه الذي لا غبار عليه هو انها مستانفة
في ذلك لغو فافهم مع او ونحوه منزلة الشرط ويحمل على بعض ان تكرر في اللام التقديم المستتر
في مرفوعها او في الابتداء وشرطه فيهما من المضاف اليه موجود وهو اغلبية المضاف
للعمل في المجرور عليه فلا بد من تقدير فرد معنا على مذهب البصريين كما في قوله تعالى او جاؤكم
حصرت صدورهم قوله لكنا تشكر في منزلة الجملة مستانفة لبيانا متعلقة بما قبلها
معنى كالواقعة بعد حتى وذلك ان لكن حرف ناسخ معناه الاستدراك وهو رفع ما
يتوهم ثبوته او نفيه فانه لما اخبر ان منزلة الشرط فقد شككت في [illegible] الوجهين توهم السامع
ان ما فيها قد جمعنا فاستدرك ذلك وقال لكنا تشكر في واصل الكلام لكن انا ثم حذف
لانا تشكر لغير مشعر فالاعلام السبب مقام المسبب لكنه المعنى والوجه ان يكتب
بالياء لانه ليس في كلام العرب كلمة فاؤها واو ولامها واو الا واو [illegible]
ولفظه لكن تكتب بدون الف بعد اللام ولا يزاد الف بعد واو تشكروا لانها لام الكلمة
وانما الشان ان تزاد بعد الواو التي هي ضمير الجمع كقاموا ولم يضربوا والله اعلم
المعاني في باب التنازع بمفعول المعنى ولا بمفعول له فيتوهم ان اصلهما الفعل
الذي [illegible] زيدا والتقييد اذا [illegible] وذلك لان الغرض منها هو اثبات [illegible]
التقييد للجملة وسلب التقييد عنه من غير نظر الى من وقع عليه الفعل والتصريح
بالمفعول مناف لهذا الغرض مع ما في عدم ذكره من ايهام ان التقييد وعدم التقييد
منوطان بالجملة وتقديره مع كل احد فالفعل هنا منزل منزلة اللازم ولا يجوز ان يذكر
معه المفعول او ان ينوي اذ المنوي في قوة الثابت ولا يسمى محذوفا في [illegible]
لان المعنى ليس عليه قال ابن هشام في هذا المبحث التقييد ان يقال انه تارة يتعلق
الغرض بالاعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من اوقعه او من اوقع عليه فيجاء
بمصدره مسندا الى فعل كون عام فيقال حصل حريق او نهب وتارة يتعلق بالاعلام بمجرد
ايقاع الفاعل للفعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوي اذ المنوي كالثابت
ولا يسمى محذوفا لان الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول له ومنه ربي الذي
يحيي ويميت قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان

فان قلت كيف جمعهما فالثاني لا تشفي الآية ألا ترى أنه عليه السلام إنما جمعهما إذ كانتا
على صفة الزيادة ووقوعهما على الشفوف لا الكون مردودهما عينا ومشفيهما بالأولوية الدال
المقصود من قوله لا تشفي الشفيق لا المشفق ومن ثم يتأمل قول من يشفون بالعلم والتزود ان
عنهما ولا تشفع عمنا وتارة يفهم اسناد الفعل الى فاعله وتعليقه بمفعوله من ذكرا
نحو لا تأكلوا الربا ومنه تقف نوالى تورد كلام ابن مسلم وهي مسألة من علم المعاني
اذ ذكرها في مغنيه المعترض في علم النحو وانما نقلنا كلامه بطوله لما فيه من الفوائد
المحررة فان قلت فما بال الناظم غاير بين التوجيهين فأتى بالأول موصولا بالعنوان و
بالثاني موصولا بالفعل قلت لأنه لما كان أخصر من التوجيه الأول وأحرى للدلالة
على أن ذكره خلو للفاعل وسمية له عبر في جانبه بالاسم وتتميم المعنى بقدح الاشارة
الى المفعول كما قلنا ولما لم يكن مرفوع النعت بمنزلة المشابهة وانما المقصود طلب النفي
عن الفاعل والاخبار بعدم اتصافه به عبر في جانبه بالفعل وأيضا ليشير أنه لم يصدر
منه جزء من أفراد الفعل ولا اتصف به يوما ما ودل على أن الفعل عند من في تأويل النكرة
والنكرة في سياق النفي تعم كما ذكروه في قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون فانه أفاد بقوله لا يستوون نفي جميع وجوه الاشتراك التي يمكن نفيها
لتضمن الفعل المنفي لمصدر منكر وكذا قول الناظم لم يشفوا فهم وبعمل جملة قوله فكن
من كمال التوجيه لأنها مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها كأنها ابتدئ بها التفكر وعلى
احتمال الحالية فالترتيب معا بالتقييم فان قلت فما بال لم غاير بين فعلي الشكاية
فقال أولا شكت من كمال التوجيه ثم قال ثانيا لا كنها تشكو وهلا عبر بالماضي فيهما
أو بالمضارع فيهما قلت لما كان من مضمن النبا برأة في الجملة الأولى من الاطلاع بأن
حزن النفوس قد صدرت منهما الشكاية ناسب أن يعبر بالماضي لأنه أوفى بهذا المعنى ولما
فيه من الإشعار بأن الشكاية قد صدرت منها فرغت الان وأما الحادي أعاد
اذ ثناهما وأن بقاء بلده عنها الان لينشر باقل بقدراته وفي هذا تعريض بجامع فيه بعض
من عدم شفقته بعد كمال التزكية له ولما كان مضمن النبا برأة في الجملة الثانية من
الاطلاع بأن الحادي لم يرق لحزن النفوس ولم يرحمها اقتضى المقام أن يعبر بالمضارع الدال
على التجدد حتى يعبر أن شكواها اليه قد تكررت منها المرة بعد المرة ومع ذلك لم
يرث لها أصلا وأن الحادي من جهة من النصب بالسياق فيكون من الابلاغ في وصفه بعدم

الشفقة وانتزاع الرحمة من قلبه والله اعلم (البيان) قوله وكم بسوء البغي
ذكروا ان هذا من باب اضافة المشبه به الى المشبه كقولهم سل فلان على الناس سيف
البغي وسل فيهم بعض انفهم ومنه قول ابي تمام *

لا تسقني ماء الملام فانني * صب قد استعذبت ماء بكائي

والاقرب من جهة الذوق انه من باب الاستعارة التخييلية كما قال السكاكي فانه يشبه
بانما الثقيل ايرته تغفر لمغنا حسا ولا عقلا ومن عندك فرق تبارك المكنية كما في
الامثلة وعليه ميكون اثباتنا له مع تخييل البغي سيفا كما حسنها نقتضيه كسيفه ثم هو
به مطلقا فالتيه فقال الامام في عبد الربيع في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
ما ملخصه فان قيل كيف اضيف الجناح الى الذل والذل لا جناح له قلنا فيه وجهان
الاول انه اضيف اليه كما يقال حاتم الجود والثاني ان من باب الاستعارة على الخيالات
فها هنا قد تخيل للذل جناح واثبت للذل الجناح خفضا تكميلا بما هو من الاستعارة
كما قال لبيد * وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فاثبت
للشمال يدا وللغداة زماما ووضعه في يد الشمال فقوله سقيتنا سيوفنا في ايقاع
السيف بالعنق على السيوف بالقسم مجاز في النسبة الايقاعية وهو من المجاز العقلي
والا فالسيوف حقيقة من السيوف لا سيوفنا ومنه قوله تعالى ولا تطيعوا امر المسرفين
وقوله للعمرو سال ممرتك بعد اسمت ليلة واسقيت نهارا وهذا المجاز يكون في
النسبة الاسنادية بكثير وفي غالبة كقولهم بنى الامير المدينة وفي النسبة الايقاعية
واضافية بكثير من الشيع وفي قوله سيوف المعنى التشبيه المذكور ومجاز المرسل وقد
تقدما وفيه ايضا الكناية فانه يلزم من كون سيوفه سيوف المعنى ان يكون قويا وفي
قوله اغنانا فيما تشكر كمويل العطش استعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييلية
فانه شبه الاغناء بالانسان المتكلم تحمه مئنة الشكاية تشبيها مضمرا في النفس بجامع
الدلالة على المقصود في كل وهو استعارة بالكناية ثم اثبت لها الشكاية التي هي
من لوازم المشبه به وهي تخييلية كقوله *

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا * فلسان حالي بالشكاية انطق

وانما خص الشاكي بالاعضاء دون غيرها من سائر الاعضاء لان سببه
الدليل من بكاء وشبهه انما يكون غالبا في الاعضاء واما ما عداها من سائر الاعضاء

بمستنزلة البقاء في كثير او بحركة وتابعة لها في الثقل والخفة قاله سعد الدين رحمه الله وقال غيره إنما خلق الله الإبل طويلة الأعناق ليتيسر لها الأثقال وعن بعض الحكماء أنه حدث عنها وعن بديع خلقتها وكان قد نشأ في أرض لا إبل فيها ففكر ساعة ثم قال يوشك أن تكون طوال الأعناق وقيل له هي كذلك ومن هذا المعنى قول [illegible] كثير حيث قال

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطي الأباطح

فالأعناق هي السبب في جميع سرعة السير وبطئه كما علمت فلهذا خص الناظم الشكال منها بها وقد قدمنا معنى الشكال ومثله في قوله شكت مرارة الزجر وقد تقدم ومنه قول الراجز

شكا إلي جملي طول السرى * صبرا جميلا فكلانا مبتلى

والله أعلم (التدريع) في كلام الناظم فيه جناس الاشتقاق أو شبهه وذلك بين السرى والسير من هذا النوع وبين الشكوى واشتكى من جمع شبه وكذلك بين قوله أعناقها وبين العنق الذي هو ضرب من السير وكلا النوعين قد تقدم الكلام عليه ومن ذلك قول بعضهم

إن هذا الربيع شيء عجيب * يضحك الأرض من بكاء السماء

ذهب حيثما ذهبنا ودر * حيث درنا وفضة في الفضاء

(معنى الكلام) لما سلك الناظم مع الحادي باب التحريض وابن نزار وأطال في ذلك حتى كاد يخرج الى حد الإكثار ووقع ذلك لم ينجع فيه قوله ولا أثر فيه وعكسه انتقل معه الى حالة أرفع من الأولى واستعمل في محاورته قاموا البون به وأدلى فكاد فيه بالشتم والسب ونسبه الى العنف وعدم رفقة القلب وسلب عنه وصف التقوى وسيتم ذلك بما هو أعظم من هذا وأقوى ووصف التشوق مع ذلك بما دل على أنها قريب من العطب وانما قال أن تشتكي مع ما هي فيه من شدة السغب وكثرة اللغب وقد وصف الشعراء التشوق بها وصفها بعد الناظم وتغنوا في ذلك والسابق إلى هذا المعنى هو امرؤ القيس حيث قال

تخدي على العلات سام رأسها * روعاء منسمها رثيم دامي

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي في مدح عبيد الله بن زياد عامله الله بعدله

إليك عبيد الله تهوي ركابنا * تعسف مجهول الفلاة وتدأب

وقد ضمرت حتى كأن عيونها * نطاف فلاة ماؤها متصبب

فقلت لها لا تشتكي ابن يزيد انه * أفاق من فزع من أذية مقعب

وقال ابن دريد في مقصورته وإياه تبع الناظم *

آلية باليعملات يرتمي * بها النجاء بين أجواز الفلا

خوص كأشباح الحنايا ضمر * يرعفن بالأمشاج من جذب البرى

يرسبن في بحر الدجى وبالضحى * يطفون في الآل إذا الآل طفا

أخفافهن من حفى ومن وجى * مرثومة تخضب مبيض الحصا

ومن أبلغ ما قيل في هذا المعنى وأبدعه قول الشيخ أبي الطيب وقيل إنها للكلام ابن عباد

رفقا بهن فما خلقن حديدا * أو ما تراها أعظما وجلودا — الى ان

قال يقلبن ناصية الفلا بمناسم * خضب الوجى برقابهن البيدا

بكأنهن نشرن درا بالفلا * ونظمن منه بسبب من عقودا

(فذ مقيت منها الخماسي باد * عار الشرى وقلة التزقي)

اللغة قوله فذ يعني الزمان بالمرور والزوال يقال ذهب فلان ذهابا وذهوبا وإذ ذهبه غيره لكن ذهب به إزالة عن مكانه قوله الخماسي جمع خمس على غير قياس كأنه جمع خمسى وقال ابن مالك هو جمع لا واحد له ومثله ملامح جمع لمحة وقولهم مساوي الله مقابح أي وجوه قبحه وفضائح مذاكيره بريدون ذكره أي مذهبه ومن جموع يسيرة جاءت على هذا النحو وينسب إليها على لفظها فيقال خماسي ومعنى الحسر انحطاط يقال حسر الشيء بالضم حسورا فهو حسير والجمع حسرى وإن شئت حققت الفعل بإشكاله عينه فقلت حسر الشيء كما قالوا علم في علم ولا يجوز أن تنقل الضمة إلى الفاء لأنه غير وإنما يجوز النقل في أسماء المدح والذم لأنه حيث غير باب نعم وبئس قوله باد عار الشرى أي عار الملازمة يقال أخو عين بلا ركزا أي ما لا وأكب عليه ولازمه ورجل قرن من حمر أي من أوقع على شيء بها والشرى بالضم اسم مصدر ومقوسين البيل قال أبو زيد يكون السرى أول الليل وسكته وتاء يقال سرى فلان بيسري سرى ومسرى وسرية بالفتح ويقال وأسرى أسراء بزيادة في الهمزة وهي لغة أهل الحجاز وقرئ فوله نعلى فاسر بأهلك بالوجهين أعني الثلاثيا والرباعيا وقال حسان رضي الله عنه *

حي النضيرة ربة الخدر * أسرت إليك ولم تكن تسري

في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا انما ذكر الليل مع ان الاسراء لا يكون
الا فيه للاشارة الى قلة زمان الاسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية قوله وقلة
التربو القلة ضد الكثرة قل الشيء يقل قلة فهو قليل ويتعدى بالهمزة وبالتضعيف
فيقال اقللته وقللته فقل منه اي صار قليلا وقللته في عين فلان تقليلا اي جعلته
قليلا عنده حتى كمن انه قليل وان لم يكن كذلك في نفس الامر ومنه قوله تعالى ويقللكم
في اعينهم وقد يعبر بالقلة عن العدم كما في المصباح فيقال فلان قليل الخير اي
لا يفعله ولعل هذا المعنى هو الاليق بكلام الناظم ولو عبر به لكان اولى وقالت
العرب اقل رجل يقول ذلك الا زيدا معناه ما رجل يقوله الا زيد ومنه قول الشيخ
خليل رحمه الله في فاتحة مختصره وقلما يخلو مصنف من الهفوات اي لا يخلو مصنف
منها واستعمل يقل من الربو هذا المعنى والله اعلم **الاعراب والتصريف**
قوله قد ثبت يجوز اظهار دال قد وادغامها في تاء ثبت والاظهار هو الاصل
والادغام افصح وقرئ بهما في قوله تعالى ولقد راه بالوجهين قال ابو عمرو بن العلاء
الادغام كلام العرب الذي يجري على السنتها ولا يحسنون غيره يعني انهم يستعملونه
اكثر من الاظهار والمحاسن فاعل ثبت والتاء في قوله ثبت تاء الساكنة للتانيث
والف الشرى يكتب ياء لانه منقلب عنها والله اعلم **المعنى** في قوله قد تعلى
ثبتت منها المحاسن قد هنا للتحقيق كما في قوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من
دساها وانما فصل الناظم هذه الجملة من التي قبلها اعني قوله حتى غدت لما بان
لما بينهما من كمال الاتصال فان هذه اما بدل من تلك او تاكيد لمضمونها وبيان ذلك
ان الناظم قد صرح في الجملة السابقة بان هذه النون قد اذهلت بعاطفها من لطف خواطر
واعتنت بها ذوات متعددة من الخدود والعيون وغير ذلك وهو يعبر بكثير من النوع
ان محاسنها قد ثبتت وكان يعبر به بكثير المراعاة لجملة من اجل ذلك في النفس بعض
تردد هل المحاسن قد ثبتت كلها او ذهب البعض اذ يجوز مع تلك الامور ان يبقى
فيها بعض فلا يستحسن بهذا الغرض وعقب الجملة السابقة بهذه الجملة
المصرحة بكثير من المطابقة والمراعاة لذهاب جميع محاسنها وانه لم يبق فيها ما
يجب ان يتعلق به استحسان لان لفظ المحاسن جمع محلى بال فيفيد العموم والاستغراق ق
واكد ذلك بقد التي للتحقيق وعلله بان السبب فيه مرارة مار الشروق وعدم رفق

الخدام

الجلاد في تمت الفابلة: والكما انت النعش فيها وبهذا ان الجملة الثانية اوفى
بهذا الغرض من الاولى فيكون كقوله

اقول له ارحل لا تقيمن عندنا * والا فكن في السر والجهر مسلما

فان المراد به كمال اظهار الكراهة لاقامته وقوله لا تقيمن عندنا اوفى بتادية
هذا الغرض من قوله ارحل لدلالته عليه بالمطابقة مع تاكيد الفعل بالنون وقال
ابن مالك في قوله فلتن لمثله فهو مثل او الكل وذاك لان التغيير من لبعض او الكل وذاك كل
وانه من باب بدل الجملة من الجملة لا المفرد من المفرد ويجوز ان يكون في كلام الناظم
ان منزلة الجملة بيان للتي قبلها وانما قال منهما منزلة عين في قوله

* اقسم بالله ابو حفص عمر * لما قبله ولا بعده عليه ان معناه منزلة الجمع من
تلك واشتمل بعض فلان العلاقة الرسوخ او كون الثاني اعم من الاول الا بعض في كونه عينه
فيكون الاول في حصول البيان اجمعها عينهما لا كون الثاني اعم من الاول وافاده عبد الحكيم
ه وانما عبر الناظم بالتنزيل دون الجعل لانه ابلغ في ان هذا انما هو باعتبار الايضاح
منه الرفق لزمه على سبيل التفعل علمه بكثير بالاولى ان الرفق ليس محلوله ولا سببيه
ومنه مقابله ما تفرع في قوله .. وكم بسوء البغي اثنا والله اعلم *

وكانها لم تدخل النجيبات * من كل فروة رموا بخشب
ذو سرة بمنوجة وجنها ملحها * من نغب ومزوج وسكي

اللغة قوله انتجبنا اصل الانتجاب الانتزاع ثم شاع استعماله في انتزاع خاص
ومنه ما كان على سبيل الاختيار والانتقاء والنجيبة بالضم وكهمزة المختار والجمع
نجب كركب ونجباء وبلا رجع نجب اجمعا به الى حيا رهم قوله من كل فروة يقال ناقة
فروة اي كثيرة السنام ويقال شر بريقه الكلم سمينة الفرا ولا يوصف به الذكر فلا
يقال جمل افرى قوله رموا النافة التي لا تزن من العرض عند الزحام وذا المه
لكرمها قوله بخشب يقال ناقة بخشب ضخمة سمينة وقال الراجز *

تنشكته كل من جار بخشب * وجارية بخشب نعمة قوله ذو سرة الزوس
الجمل الضخم والانثى وسرة قال عمر

ولقد عرفت ذو سرة * كعلالة الغير من كلارا

قوله منوجاء قال الفيه ذا منوجاء التي تجر في السير من كبرا سقفاك لا ريبا منوجا

أي جمعًا كما قال الراجز · يا لله دَرّ اليعملات الدُّلَّج * وكما قال الأعشى

وفيها إذا ما هجّرت عجرفية * إذا خلت حرباء الوديقة أصيدا

قال أبو البقاء ولا يوصف بذلك الذكر فلا يقال بعير أمون فوله ووجنا قال الجوهري الوجين العارض من الأرض ينقاد ويرتفع قليلا وهو غليظ ومنه الوجناء وهي الناقة الشديدة شبهت به في صلابتها وقال قوم من العظيمة الوجنتين ولم يقولوا في المذكر أوجن فوله ما نقب يقال نقب البعير ينقب كفرح يفرح إذا رقت أخفافه من خشونة الأرض وأنقب الرجل بالهمزة إذا نقب بعيره ونقبت الخف الملبوس إذا تخرق وكان عمر رضي الله عنه فرض في الغزو على جماعة من المسلمين فجاءه أعرابي فقال يا أمير المومنين إن ناقتي عجفاء نقباء دبراء فاحملني فكذبه عمر رضي الله عنه كذا فلم يحمله أن ما بها من نقب ولا دبر وأعطاه شيئا من الدقيق ولم يحمله فولى الأعرابي يسوق ناقته وهو يرتجز ويقول

أقسم بالله أبو حفص عمر * ما مسها من نقب ولا دبر

فاغفر له اللهم إن كان فجر *

أي حنث فسمعه عمر رضي الله عنه فجعل يقول اللهم صدق ثم دعاه فقال له ضع عن راحلتك فوضع عنها فإذا هي كما وصف فحمله على بعير وزوده وكساه فوله ومن وجى تقدم أن الوجى وجع في باطن خف البعير أو حافر الفرس فوله وسلق قال في القاموس السلق بفتحتين شكور اللادم أثره برك البعير إذا برئت وابيض موضعها كالسلقة وأثر النسع في جنب البعير والاسم السليقة ه وفي لغة السلقى فإذا بركت ومن أي الغامق شمس الدين ابن خلكان ذكر في ترجمة النضر بن شميل الإمام العلم النحوي المشهور أن كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد حروف أربعة وهي الطاء والخاء والغين والقاف فيجوز إبدال السين بالصاد فتقول في السراط الصراط وفي سخر لكم صخر لكم وفي مسغبة مصغبة وفي سيقل صيقل وقس على هذا كله قال ولم أر في كتب اللغة من ذكر هذا الحكم في خلافة سوى الجوهري في كتاب الصحاح في الكلمة من غ فائدة قال ورتما قالوا الشرغ بالسين قال فكره محمد ابن المستنير أن فرقا من بني تميم يقال لهم بلعنبر يقلبون السين صادا عند أربعة أحرف عند الطاء والقاف والغين والخاء إذا كن بعد السين ولا تبالي أثانية كانت أو ثالثة أو رابعة

بعد أن تكون بعدما يقولون صباحكم ومساكم وبشاشة وبشكة وسيقل وصيقل وسرفت
وصرفت ومشغبة ومشغبة ومسرغة ومصرغة وسحز لكم وعز لكم والسبب والعجب
من كلامه وعليه فيجوز في قول الناظم وسلم السبير والصلاة ومن هذا المعنى ما
ذكره الحريري في درة الغواص قال ويقولون للمريض مسح الله ما بك بالسين والصواب
فيه مصح بالصاد قال وحكي أن النضر بن شميل المازني مرض فدخل عليه قوم يعودونه
فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك بالسين فقال له لا تقل مسح ولكن قل
مصح بالصاد أي أذهبه وفرقه أما سمعت قول الأعشى *

وإذا ما الخمر فيها أزبدت * أفل الإزباد فيها ومصح

فقال له الرجل إن السين قد تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر
فقال له النضر فإذن أنت أبو سالح وتشبه هذه الحكاية ما حكي أيضا أن بعض
الأدباء جوز بحضرة الوزير ابن الفرات أن تقام السين مقام الصاد في كل
موضع فقال له الوزير أتقرأ جنات عدن يدخلونها ومن صلح أم ومن سلح فخجل الرجل
وانقطع هـ كلام الحريري رحمه الله **الإعراب والتصريف** فقوله كأنها نجم
تلا كأن هنا للشك على ما ذهب إليه جماعة منهم الزجاج وابن السيد من أنها لا تكون
للتشبيه إلا إذا كان خبرها جامدا كقولك كأن زيدا أسد أما إذا كان مشتقا كما
هنا فهي للشك لئلا يلزم اتحاد المشبه والمشبه به لأن الخبر إذا كان مشتقا
فهو نفس المبتدإ في المعنى ثم الشك هنا ليس على حقيقته لأن الناظم يعلم يقينا
أن هذه النون خيار من خيار إلا أنها من شدة ملازمة السنن ومكابدة المشقة
والضيم صارت بحيث إن كل من رآها إنما يشك هل من هذه النون يقع من إبداع النعمة
والراحة أولا فالناظم تكلم على لسان غيره وفيه يفهم أن جملة كأنها نجم تلا معمولة
لقول محذوف وذلك القول حال من ضمير النون في أنبتت قبله والتقرير قد مثبت
منها المحاسن حال كونها مقولا فيها عند رؤيتها كأنها نجم تلا وأصل تلا تكون فلما
دخل الجازم والتقى ساكنان الواو والنون حذف الأول وهو الواو ثم حذفت النون
تبعا وتخفيفا لشبهها بحروف العلة في سكونها وامتداد الصوت بها من حيث الغنة
ويشترط في جواز حذفها أن يليها متحرك كما هنا وكما في قوله تعالى وإن تك حسنة يضاعفها
واسمها ضمير النون وجملة أنبتت خبرها ومن كل فرد يتعلق به وفرد نعت لمحذوف

أي ناقة فوداء وما بعده نعت بعد نعت ويتعين التي تبلغ في الأول من جملة النعوت
ويجوز أن يقطع فيما بعده أي الثالث فإنه يتعين اتباعه للقافية وقوله وهذا
أهله وجفاه بالخير فقصره ضرورة كقوله

لا بد من صنعا وإن طال السفر ... وإن تحنى كل عود ودبر

وكيفية قصره كما قال الشاطبي أن تحذف الألف التي قبل الآخر لتسلم الهمزة الثانية
التي صارت بمنزلة بتكم فيما بعد الألف فإذا احذفت الأولى رجعت الثانية إلى أصلها
ألفا وحينئذ فلا يجوز حذفها لبقاء العلة المانعة من الصرف وتكتب ألفا على أصلها
تقديرها مع الفراء فتح ما قبله قياس يوجب قصره نحو فعلاء أفعل كحمراء وبيضاء
والكلام جار في خطابه مثنا وقد صرح من تبعه بقول الشاعر

وأنت لو باكرت مشمولة ... صهبا كلون الفرس الأشقر

فقوله فاجعلا من نعت جملة من مبتدأ وخبر في محل النعت كذا الأوصاف الثلاث بعده
فالمبتدأ قوله من نعت ومن مجرور لفظا مرفوع محلا بالابتداء من نوع محلا وخبره في المجرور قبله
وصح المسوغ للابتداء بالنكرة والله أعلم **المعاني** في ترتيب بيان كيفية
تعلق البيت بما قبلها وحينئذ فوجه الفصل ظاهر وحذف فاعل الإعجاب وبني فعله تتمة
للمجهول للعلم به تعلق الغرض بذكره والتنكير في نقب وما بعده للإفراد والله أعلم
البيان اعلم أن قول الناظم كأنها لم تك قبل أن تمخضت البنتين كلام لعلة الخبر
وليس المقصود منه الخبر وإنما سيق لإظهار التحسر والتحزن على فقد الشيء الذي
كانت على أحسن الحالات وأصلحها للعيون ثم صارت إلى أقبحها وأسوئها ونظيره
هذا قوله تعالى حكاية عن امرأة عمران رب إني وضعتها أنثى فإنه ليس المقصود
منه إعلام المولى جل وعلا بأنها وضعت أنثى إذ هو تعالى عالم بكل شيء لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض بل المراد منه إظهار التحسر على خيبة
رجائها والتحزن إذ رجاؤها أنها كانت تقدر وترجو أن تلد ذكرا لأجل الجهاد كنفعها ومثله
في إظهار التحسر قول الشاعر

هواي مع الركب اليمانين مصعد ... جنيب وجثماني بمكة موثق

وقول الآخر فيما حكت امرأة اسمها أميمة تلومه على عدم أخذه بثأر أخيه

قومي هم قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللاً * ولئن سطوت لأوهنن عظمي

فهذا كله ليس المقصود منه الإخبار وإفادة السامع وإنما المقصود منه التحسر والتفجع ونحو ذلك مما تفرع للمتكلم أو يأتي في أوصاف هذه الشروح وغيرها مما بما يقتضي المقام حمله على هذا المعنى كما عرف ذلك واعتبره فيه واختلف علماء البيان في هذا الباب فمنهم من جعله من قبيل الكناية إذ هي الكلام لفظ وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي وذلك يجري هنا كما لا يخفى ومنهم من جعله من قبيل المجاز المركب وتحقيقه أن الهيئة التركيبية في مثله موضوعة للإخبار فإذا استعمل ذلك المركب في غير ما وضع له فإن كانت العلاقة المشابهة فاستعارة تمثيلية نحو إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى وإلا فمجاز مرسل ومنه ما هنا لأن الذي نشأ منه الخبر عن نفسه بضعفه ما يرجوه كما في الآية أو مما يأسف على فقده كما في الشعر المتقدم وكلام المتكلم يلزمه إظهار التحسر فيكون من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم وهو المجاز المرسل وفيه بحث وتحقيق ليس هذا محل استقصائه والله تعالى أعلم

(ومن بعد ما كانت هنيدة عندنا * أكثر من ود ود وشنشني)

اللغة قوله ومن بعد ما كانت هنيدة قال في القاموس هنيدة اسم للمائة من الإبل كهنيدة أو ما فوقها ودونها أو للمائتين وقال في كفاية المتحفظ هنيدة المائة من الإبل وهند المائتان منها وفي الصحاح أن هنيدة اسم للمائة من الإبل وغيرها وقد مدح جرير عبد الملك بن مروان بقصيدته التي يقول فيها

تعزت أم حزرة ثم قالت * رأيت الموردين ذوي لقاح

قال عبد الملك يا جرير أترى أم حزرة ترويها مائة ناقة من نعم بني كلب قال جرير فقلت يا أمير المؤمنين إن لم تروها فلا أرواها الله قال فأمر لي بها كلها سود الحدق فقلت يا أمير المؤمنين نحن مشايخ وليس بأحدنا فضل عن راحلته والإبل أبّاق فلو أمرت لي بالرعاء فأمر لي بثمانية أعبد وكان بين يديه صحاف من ذهب وقضيب فقلت يا أمير المؤمنين والمحلب وأشرت إلى إحدى الصحاف فنبذها إلي بالقضيب وقال خذها لا نفعتك وإلى هذه القصة أشار جرير بقوله

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية * ما في عطائهم منّ ولا سرف

قال الفقيه في شرح الدريدية بن خلكان وعقب هذا لفظ هنيدة بضم الهاء على صورة التصغير اسم علم على المائة واكثر علماء الادب يقولون لا تدخلها الالف واللام عليها وبعضهم يجيز ذلك قال ابو الفتح بن ابي حصينة السلمي الحلبي الشاعر المشهور من جملة قصيدة

أيها القلب لم يرق لك في وصل الغواني مذ نيفت الهنيدة عذرا

يعني خمسين سنة التي هي نصف المائة فالهنيدة على هذا اسم لكل مائة وهو قول ابي عبيدة وانشد عليه لسلمة بن الخرشب

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها * وتسعين عاما ثم قوم فانصاتا

اي استوت قامته زعم ابو عبيدة ان نصر بن دهمان هذا كان من قادة غطفان وسادتهم فعاش حتى خرف ثم عاد شابا يافعا فعاد بياض شعره سوادا ونبتت اسنانه بعد الدرد قال ابو عبيدة فليس في العرب اعجوبة مثلها وانشد لمسلمة بن الخرشب

كنصر بن دهمان الهنيدة عاشها البيت وبعده

وعاد سواد الراس بعد بياضه * وراجعه شرخ الشباب الذي فاتا
فعاش بخير في نعيم وغبطة * ولكنه من بعد ذا كله ماتا

وبه يضرب المثل فيقال اعمر من نصر فقوله اكثر من ذود الذود من الابل ما بين الثلاث الى العشر هذا هو المشهور وفيها اقوال اخر وهي مؤنثة وفي الحديث ليس في اقل من خمس ذود صدقة ولا واحد لها من لفظها وجمعها اذواد كثوب واثواب وقال في البارع الذود لا تكون الا من الاناث قال الفقيه ويجوز ان تكون من ذكورها وفي المثل الذود الى الذود ابل اي اذا جمعت القليل مع القليل صار كثيرا فقوله ودون شنق دون نقيض فوق ويكون ظرفا للمكان فالاغلب من الغاية بالنسبة لمكان المقارب الذي كقولك جلست دون زيد ثم استعمل في كل رتبة ادنى من اخرى في الامكنة والازمنة والمعاني كما هنا والشنق بالتحريك ما بين الفريضتين وانجمع اشناق ومثل سبب واسباب وبعضهم يقول هو الوقص وبعض الفقهاء يخص الشنق بالابل والوقص بالبقر والشنق ايضا ما دون الدية الكاملة فاذا كان معها دية جاز انها تسمى الاشناق وكانها معلقة بالدية العظمى قال الاخطل

فرع تعلق اشناق الديات به * اذا المئون امرت فوقه حملا

والاشناق

وآلاء سنا وايضا لا زوش من الجراحات كلمها كالمرخمة ونحوهما والسنو ايضا ان
يزيد الابل في الجمالة ستا او سبعا الى وضع بالوفاء قاله في المصباح وقال في
القاموس السنو الاعلى في الرباب عشرون جزءا والاسفل عشرون بنت مخاض
والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله من بعد ما كانت منيرة في
بعض من الكرم التي به تشترون ولا تخرج عن الظرفية الا الى الجر بمن الزائدة على
رأي ابن مالك كما هنا فالجر في ذلك العوام واختصت من بذلك لانها ام الباب
والكرم متعلق بغرت فرع عليه وما موصول اسمي تشبه مع ما دخلت عليه بمصدر
اي بعد كونها منيرة وهو مذهب الاخفش وابن السراج اي ان ما المصدرية اسم وفيه
احتياجها حينئذ الى عائد من غير لا ورايه كانت منقلبة عن واو لانها مشتقة من
الكون وقوله غرت اي صارت ذات شين وبعد واحد ناقص من اخوات كان على ما اختاره
المتاخرون ولا لها مجزومة منقلبة عن واو واسمها ضمير النور وقوله اكثر من
ذوده خبر صارت وشينو مفعول عليه ومعناه اقل من شينو وتقدير الكلام صارت
النور اكثر من ذوده واقل من شينو بعد كونها منيرة والله اعلم **المعاني**
انما فصل الناظم جملة هذا البيت عن التي قبلها لما بينهما من شبه كمال الاتصال
فان هذه الجملة كالجواب عن سؤال مقدر اقتضته الاولى وذلك انه لما ذكر امر
النور وصارت بحيث ان كل من رءاها يشبه عليه هي هذه التي كانت من صفتها كيت
وكيت اي لا اقتضى الحال ان يسئل السامع عن ذلك ويقول وهل كانت على حالة
احسن من هذه اي كيف ذاك فاجاب بانها كانت منيرة وصارت الى ما ترى من
كونها ذات شين وهذا النوع يسمى في الاصطلاح بالاستئناف البياني ومنه قوله

زعم العواذل انني في غمرة ✦ صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

كانه قيل اصدقوا ام كذبوا فقال صدقوا ؟ فان قلت بلا من شيء فرع الكرم
على عامله قلت اهتماما به ولان المحل له بحسب الاصالة الا ترى ان حال
كونها سابق في الخارج على حالة قلته ومن لوازم الكلام كذلك هو مقدم تبع في النفس
بعرقه تنبيها على هذا المعنى والله اعلم **البديع** في كلام الناظم
منه الطباق بين الكثرة والقلة ومنه قول الصاحب ابن عباد يرثي الوزير كثير بن احمد

يقولون لي قد اودى كثير بن احمد ✦ وذلك رزء في الانام جليل

فقلت دعوني والعلا نبكه معا ... فمثل كثير في الأنام قليل

وفيه أيضا من أمثلة التكميل في منيرة وذو ود وشنو ومنته قول بعضهم في غلام
وسيم معه خادم بغير سعد ... *

ومن عجب أن يحرسوه بناظر ... وحراس هذا الحسن من أهله كثر
عذار له ريحان وثغر له جوهر ... وخد له ياقوت وخال له عنبر

فقد ناسب بين العذار والثغر والخد والخال كما ناسب بين ريحان وجوهر وياقوت وعنبر وهي من أسماء النساء ليلى من ربوعها مكانتها في غاية الحسن وأما ما ذكره الناظم من مثلة الإبل بسبب جوب الفلا وبعد السرى فمعنى مكرر وللشعراء فيه وجدنا من ذلك قول كعب بن مالك رضي الله عنه يصف القفر

تظل به الأبطال العرامس رزحا ... ويبلو به غيث السنين فيمرع
به جيف الحسرى يلوح عظامها ... كما لاح كتان التجار الموضع

وقال علقمة

هداني إليك الفرقدان ولاحب ... له فوق أصواء المتان علوب
به جيف الحسرى فأما عظامها ... فبيض وأما جلدها فصليب

وقال كثير

بروعة يكون بها كثيرا ... نتاج المعجلات من السخال

لو ان ثادينا على اتعابها ... ولم تكن منتهيا عن زمن
فسوف تغدو على أنقابها ... تراقه الكثيب والبرزة في

اللغة قوله لو ان ثادينا أي نجا الحادي وفلان في غيبه اذا نجا وقد لاح على مغلده قوله ولم تكن منتهيا أي كان ينبغي أن تنتهي عن كذا فما تنتهي عنه وتناهوا أي كف وتناهوا عن المنكر نهى بعضهم بعضا وسمي العقل نهية بالضم لأنه ينهى صاحبه عن الوقوع فيما لا ينبغي والجمع النهى كالعلا قال الله تعالى إن في ذلك لآيات لأولي النهى قوله عن زمن هو الزمن هنا اسم من الزمن وهو أن يحمل الإنسان أو غيره على ما لا يطيقه والزمن أيضا المشقة والتوان والضعف وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم والكذب والعجلة والثقل في الكل كفرح وزمن غشيه ويغشيه أو دنا منه سواء أخذه أو لم يأخذه ومن بعده والزمن كالجمزى الذي يسرع في مشيه حتى يرمي كما لهد وجل هذه المعاني جارية في كلام الناظم قوله فسوف تغدو يقال غدا اذا أقبل بعدوه عدوا مرتابا فتنال اذا غشيه

وقال الشهرزوري رضي الله عنه [illegible] ... ينبغي [illegible]

وأما بعد قوله ندامة الكسعي الندامة معروفة وهي مصدر ندم بكسر الدال كفرح
ندمًا وندامة وتندم مثله والكسعي بضم الكاف وفتح السين اتباعا للكاف ثم سكنه
للضرورة وهو نسبة الى كسع كصرد حي من اليمن وقيل غير ذلك والمراد به هنا
رجل معروف يأتي خبره قريبا قوله والفرزدق هو لقب للشاعر المعروف ويأتي
خبره أيضا وأصل الفرزدق الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت وقيل
بل هو القطعة من العجين التي تبسطه فيخبز منها الرغيف شبه وجهه بذلك لأنه
كان غليظا جهما وهذا اللفظ فارسي معرب وقد أنشد أبو محمد عبد الله بن محمد بن
عبد الغفار الفسكنكيني النحوي لنفسه

رأيت خميرا والفرزدق فوقه … مخيفا مني لم يغش عارا ولا إثما
فألقيت في النار الفرزدق بعدما … لكمت مخيلاه ولم اتهم ظلما
ولولا أني قد ذكرت نار خالد … فلما ذكرت الخمر حين بها نعما

الفرزدق والخمير كما تقدم والخمير العجين يقول رأيت جبلا عليه خمير فكممت
ذلك الخمير في النار بعدما لكمته أي ضربت عليه بيدي حتى استوى وصار رغيفا

الإعراب والتصريف قوله وإن تمادت في الجملة معطوفة على
جملة انثنا السابق لا محل لها من الإعراب وإن حرف شرط وتمادت فعل الشرط
مجزوم المحل وعلى تعاميها يتعلق به ومن زائدة فيها المضارع وفاعله وجملة ولم تكن
منتهيا في معطوفة على جملة الشرط من عطف ويحتمل أن تكون في محل نصب حال من
فاعل تمادت والأولى لأن ترتيب الندامة على شيئين مستقل لكل منهما أبلغ من
ترتيبها على سبب منفرد قوله وقوله يسرى تعدوا في جملة في محل جزم جواب
الشرط لاقترانها بالفاء ويسرى حرف استقبال وتشريفا والنزمان وبعدها أوسع
من زمان السين وتعدو مرفوع بضمة مقدرة على الواو استثقالا وفيها ضمير
يعود على المتمادي وعلى اقلا بها متعلق به وعلى بمعنا تعليلية كما في قوله تعالى ولتكبروا
الله على ما هداكم واتلا بمعنا مصدر مضاف الى مفعوله على تقدير مضاف أي اتلاف
تقيتها وندامة الكسعي ما على تعدو والفرزدق معطوف على الكسعي والله أعلم
المعاني في قوله وإن تمادت في اعلم أن إن من أم أدوات الشرط الجازمة
كما أن إذا من أم أدوات الشرط غير الجازمة والأولى تستعمل في مقام الشك والثانية

والثانية تستعمل في مقام الجزم والقطع وهما ينسب الى الزمخشري في هذا
المعنى على سبيل اللغز قوله

سلم على شيخ النحاة وقل له ... عندي سؤال من يجبه يعظم
انا ان شككت وجدتموني جازما ... واذا جزمت فانني لم اجزم

فان قلت اذا كان الحكم هو هذا فلعل المقام في كلام الناظم للجزم والقطع لانه
داع من جموع القلة فيما هو بصدده :: وجازم بما هو به في حكمه وكرره :: فما فائدة
اتيانه بان التي تقتضي الشك قلت يحتمل ان يكون قد يبقى معه بعض التردد في ذلك
وهذا بعيد والاقرب ان يقال انما ابرز الناظم الكلام في صورة الشك لاشتمال الجمع
على ما يبلغ العشرة من افعله وانه لا ينبغي الا ان يقع فكانه فر من احتمال قيام الناظم
رحمه الله فقد بالغ مع الخلاف في الاعذار والانذار واوسع القول في باب
الجمع والتذكار وفي بعض ذلك ما يكسر عزوته ويفل غزوته فالتمادي في الغي
بعد هذا كله كالجحد لبيان القلة العقل ففي اتيان الناظم باداة الشك هنا من التشنيع
عليه والتوبيخ ما لا يخفى ونظيره هذا قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم
قوما مسرفين فيمن قرأ بالكسر فكونهم قوما مسرفين مقطوع به لا كن جيء بلفظة ان لقصد
التوبيخ وتصوير ان الاسراف من العاقل في هذا المقام يجب ان لا يكون الا على سبيل
الفرض والتقدير كالمحالات لاشتمال المقام على الايات الدالة على ان مثل ذلك
مما لا ينبغي ان يصدر من العاقل اصلا فهو بمنزلة المحال والمحال وان كان مقطوعا
بعدم وقوعه لا كنهم يستعملون فيه ان لتنزيله منزلة ما لا قطع بعدمه على سبيل
المساهلة وارخاء العنان لقصد التبكيت كما في قوله تعالى قل ان كان للرحمان ولد
فانا اول العابدين قاله سعد الدين رحمه الله وفي كلام الناظم التلميح للفقير
الاثنين ذكر الكسعي والعنزي ووفاقهما . اما الكسعي فقال
حمزة الاصبهاني هو رجل من كسع قبيلة من اليمن واسمه محارب بن قيس وفي القاموس
كسع كمنع حي باليمن او من بني ثعلبة بن سعد بن قيس عيلان ومنه غامد بن الحارث
الكسعي وكان من حديثه انه كان يرعى ابلا له بواد كثير العشب والخمط فبينما
هو كذلك اذ بصر بنبعة في صخرة وانبت شجرة تتخذ منه القسي فاعجبته فقال
ينبغي ان تكون هذه قوسا فجعل يتعهدها ويقومها حتى اذا ادركت قطعها وجففها

وما نما حولها فلما جفت اتخذ منها قوسا وانشا يقول *

يا رب وفقني لنحت قوس　　فانها من لذتي لنفس
وانفع بقوسي ولدي وعرسي　　انحتها صفراء مثل الورس
صفراء ليست كالقسي النكس *

ثم دهنها وخطمها بوتر ثم عمد الى ما كان من براتها فاتخذ منها خمسة اسهم وجعل يقلبها في كفه ويقول *

هن ورب اسهم حسان　　تلذ للرامي بها البنان
كانما قوامها ميزان　　فابشروا بالخصب يا صبيان
ان لم يعقني الشوم والحرمان *

ثم خرج حتى اتى قترة على موارد حمر فكمن فيها فمر به قطيع منها فرمى عيرا بسهم فامخطه السهم اي نفذ فيه وجازه فاصاب الجبل فاورى نارا فظن انه قد اخطاه فانشا يقول

اعوذ بالله العزيز الرحمن　　من نكد الجد معا والحرمان
ما لي رايت السهم بين الصوان　　يوري شرارا مثل لون العقيان
فاخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم مكث على حاله فمر قطيع اخر فرمى عيرا منها فامخطه السهم وصنع صنيع الاول فانشا يقول *

لا بارك الرحمن في رمي القتر　　اعوذ بالخالق من سوء القدر
اامخط السهم لارهاق الضرر　　ام ذاك من سوء احتيال ونظر
ام ليس يغني حذر عند قدر *

ثم مكث على حاله فمر قطيع اخر فرمى عيرا منها فامخطه السهم وصنع صنيع الثاني فانشا يقول

ما بال سهمي يوقد الحباحبا　　وقد يزل عن الرمايا ناكبا
قد كنت ارجو ان يكون صائبا　　فامكنه العير وولى جانبا
فصار رايي فيه رايا خائبا *

ثم مكث مكانه فمر به قطيع اخر فرمى عيرا منها بسهم فامخطه السهم وصنع صنيع الثالث فانشا يقول *

يا اسفي للشوم والجد النكد　　في قوس صدق لم تزل بيا ود

اخلف ما ارجو لاهلي وولدي فيما ولي يقرأ الهزار والجلد

فخاب كدرا بعد كدر والولد *

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا فسمع فانحط السهم وصنع صنيع الرابع فانشأ يقول

ابعد خمس قد حفظت عدها احمل قوسي واريد وردها

اخزى الاله لينها وشدها والله لا تسلم مني بعدها

ولا ارجي ما حييت رفدها *

ثم عمد الى قوسه فضرب بها حجرا فكسرها ثم بات فلما اصبح نظر فاذا الحمر مطرحة حوله مصرعة واسهمه بالدم مضرجة فندم على كسر القوس فعض على ابهامه فقطعها اسفا وحسرة ثم انشأ يقول *

ندمت ندامة لو ان نفسي تطاوعني اذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني لعمر ابيك حين كسرت قوسي

واما الفرزدق فهو همام بن غالب وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء هميم بالتصغير ابن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال ابن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي الشاعر المشهور صاحب جرير وكنيته ابو فراس وكان ابوه غالب من جلة قومه وسراتهم وكان من خبر ندامته ان ابنة عمه النوار بنت اعين بن ضبيعة خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم وقيل من قريش ثم من بني امية فرضيته وكانت تريد ان يتم له والفرزدق اقرب اوليائها فقال لها في ذلك فارسلت اليه ان زوجني من هذا الرجل فقال ان بالشام من هو اقرب اليك مني ولا آمن ان يقدم منهم قادم فينكر ذلك علي فاشهدي انك قد جعلت امرك الي ففعلت فلما توثق منها قال ارسلي الى القوم فلما اتوا جاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد علمتم ان النوار قد ولتني امرها وانا اشهدكم اني قد زوجتها من نفسي على مائة ناقة حمراء سود الحدق فنفرت من ذلك النوار وانكرته وترددت الى حكام البصرة فلم يغيروا في امرها وابوا ان يحكموا فيه حتى يشهد لها الشهود واعياها ان تجد الشهود خوفا من الفرزدق وقد كان ابن الزبير يومئذ اميرا بالحجاز والعراق يدعى له بالخلافة فيهما ويخطب له على منابرهما فمضت النوار تريد رفع امرها اليه ولم تجد من يحملها

وأتت بنية من بني عمرو بن عبد مناة بن أد يقال لهم بنو أم النسير وكانت بينهم وبينها قرابة فسألتهم بالرحم فأقسمت عليهم أيهم ليحملنها فحملوها فبلغ ذلك الفرزدق فاستنهض جماعة من أعيان البصرة فأتاهم فعذلوه فأوفروا له عدة من الإبل وأعانوه بنفقة فتبع النوار وقال

لعمري لقد أردى نوار وساقها ... إلى الغور أحلام قليل عقولها
أطاعت بني أم النسير فأصبحت ... على شارف ورقاء صعب ذلولها
معارضة الركبان في شهر ناجر ... على قتب يعلو الفلاة دليلها
وما خلتها إذ أنكحتني وأشهدت ... على نفسها بالغور أزور ميلها
أتغدر نوارة أمس لعينة ... على الغور ما نادى وأجلاع ميلها
وقد سخطت مني النوار الذي ارتضت ... به قبلها الأزواج خاب رحيلها
وإن امرأ أمسى يخبب زوجتي ... كساع إلى أسد الشرى يستبيلها
ومن دون أبوال الأسود بسالة ... وأيد طوال يمنع الضيم طولها
وما أنا بالنائي فتنعى قرابتي ... ولا بائع حقي الذي لا أقيلها
ولكنني المولى الذي ليس دونه ... ولي ومولى عقدة من يحيلها
فدونكما يا ابن الزبير فإنها ... مولعة يوهي الحجارة قيلها
وما خاصم الأقوام من ذي خصومة ... كورهاء مشنوء إليها حليلها
وإن أمير المؤمنين لعالم ... بتأويل ما وصى العباد رسولها
إذا فعرت عند الإمام فإننا ... نرى رفقة من ساعة يستميلها

ومضى طويلة ثم إن الفرزدق ولج يرحل النوار حتى قدمت مكة فاستجارت بزوجة ابن الزبير رضي الله عنهما واسمها خولة وقيل تماضر بنت منظور بن زبان بن سيار الفزاري ولما قدم الفرزدق مكة أشرف الناس إليه ونزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير ومدحه بقوله

أمسيت قد نزلت بحمزة حاجتي ... إن المنوه باسمه الموثوق
بأبي عمارة خير من وطئ الحصا ... وجرت له في الصالحين عروق
بين الحواري الأغر وهاشم ... ثم الخليفة بعد والصديق

وقال أيضا يمدحه

يا حمزَ هل لك في ذي حاجةٍ غَرِضَتْ ... أنضاؤه بمكانٍ غيرِ ممطورِ
فأنت أولى قريشٍ أن تكون لها ... وأنت بين أبي بكرٍ ومنظورِ
بين الحواريِّ والصدّيق في شُعَبٍ ... نَبَتْنَ في طيّبِ الإسلام والخِيَرِ

فكان كلما أصلح حمزة من شأن الفرزدق وبالنوار مع أبيه أفسدته بنت منظور لذلك فقال الفرزدق

أمّا البنون فلم تُقبل شفاعتُهم ... وشُفِّعت بنتُ منظورِ بنِ زبّانا
ليس الشفيعُ الذي يأتيك مؤتزرًا ... مثلَ الشفيع الذي يأتيك عُريانا

فبلغ ابن الزبير شعره ولقيه على باب المسجد وهو خارج منه فضغط على حلقه حتى كاد يقتله ثم خلّى سبيله وكان ابن الزبير رضي الله عنه أيّدًا شديد القوى ثم دعا النوار فقال إن شئتِ فرّقت بينكما وقتلته وأرحتُ المسلمين من شرّ لسانه وإن شئتِ سيّرته إلى بلاد العدوّ قالت ما أريد واحدة منهما قال فإنه ابن عمّك وهو فيك راغب فأزوّجه إياك قالت نعم فزوّجه إياها على عشرة آلاف درهم فقبل الفرزدق وسأل رجلا بمكة آخر يعينه فدلّ على سلم بن زياد بن أبيه وكان ابن الزبير قد حبسه فقال الفرزدق يمدحه

دعِي مُغلقي الأبواب دون نوالهم ... ومُرّي وسيري بي هبلتِ إلى سلم
إلى من يرى المعروف سهلا سبيله ... ويفعل أفعال الكرام التي تنمي

ثم دخل على سلم فأنشده الشعر فقال أعطيك ومثلها نفقة للنفقة وأمر له بعشرين ألفا فقبضها الفرزدق ودفع مهر النوار ودخل بها بمكة ثم عاد بها إلى البصرة وهما على بعير في محمل وكان الفرزدق يقول خرجنا متباغضين ورجعنا متحابين وقيل إنه لم يدخل بها بمكة بل ردّهما ابن الزبير إلى عامله بالبصرة فيقيما أمرهما عنده ولمّا تزوّج الفرزدق النوار كانت أبرّ أهله وتشبه بها لأنها كانت هي جملة الدين وكان هو فاسقا على نفسه فتزوّج عليها أزواجا بدويات يكيدها بذلك حتى كان منه فيهما ما نذكره قال الأصمعي تزوّج الفرزدق على النوار حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني فجفته النوار وأخذت بلحيته فجذبتها فخرج الفرزدق وهو يقول *

فأمست نوار التي تنتف لحيتي ... تنادي بعقرى لحيةٍ أخسئاش

كلتاهما أسدٌ إذا ما أُغضِبَتْ * وإذا رضينَ فهنّ خيرُ معاشرِ

فأرادوا تعشيتهما شرَّ رجل من عنزة وجعلوا أقرانه فجاءت جعدة الى النوار فقالت ما ترين الفرزدق وقد مشى الى ما وجد لأقرانه أسوة غيري وقالت النوار للفرزدق ويلك تزوجت أعرابية دقيقة الساقين بوالة على عقبيها على مائة بعير فقال الفرزدق يفضلها عليك ويعيبها بما ذهبا كانت في بيتهما أفقه *

تجارية بين السليل عروقها * وبين أبي الصهباء من آل خالد
أحق بإغلاء المهور من التي * ربت وهي تنزو في حجور الولائد

وفضلها عليها في شعر آخر فبكتته النوار أي عيرته فقال أنا أكفيكه وقال

ولستُ بمعطي الحكم عن شفّ منصبٍ * ولا عن بنات الحنظليين راغبِ
وهنّ كماء المزن يُشفى به الصدى * وكانت ملاحا غيرهن المشاربُ
وما عدلت ذات الصليب ظعينة * عتيبة والردف المقدم وحاجب

فأجابه الفرزدق فقال *

فنل مثلها من مثلهم ثم لمهم * بمالك من مال مراح وعازب
فلو كنت من أكفاء عذراء لم تكن * على دارمي بين ليلى وغالب
وإني لأخشى إن خطبت إليهم * عليك الذي لاقى يسار الكواعب
ولو تنكح الشمس النجوم بناتها * نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب

وفيما زاد في ذكره كان عيرا البتي بعزانة من أداوة مؤادته على نفسيهما فمنعته مرة بعد مرة وأتى بمليحة من عنزة فجاءت فقالت له أني أريد أن تعير لي فلان رأيتها متغيرة من خوف تحته بجمرة وقد عرف له حرارة هاداه فلما غلت برمتها وقبضت على كرة وهو يرى أن ذلك لشيء فحكمه بالموسى فقال الولد فقالت صبرا على ما من الكرام فرحبت محلك قد تزوج الفرزدق أيضا امرأة يقال لها حمينة من النمر بن قاسط هلاقة لبنت الحرث بن عباد القيسي وقد انتسبوا اليهم فقالت له النوار وما عسى أن تكون القيسية فقال الفرزدق *

أرتني نجوم الليل والشمس حية * كرام بنات الحرث بن عباد
نساء أبوهن الأغر ولم تكن * من الأزد في جاراتها ومراد
أبوهن الذي قاد النعامة بعدما * أبت وائل في الحرب غير تمادي

يعني بابيه الذي فداه النعامة الحرث بن عباد واراده فقوله * فمن يا قوم يبك
النعامة فيه نوع وسيأتي خبره ان شاء الله فلم تزل النوار ترفقه وتستعطفه
حتى اجابها الى طلاقها واخذ عليها ان لا تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج رجلا
بعده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له واخذت عليه ان يشهد الحسن البصري
على طلاقها فبعث فقال المدائني حدثني محمد بن روح العدوي عن ابي شفقل راوية
الفرزدق قال ما استصحب الفرزدق واحدا غيري وغير راويته الا حين عزم على طلاق
النوار وقد استصحبت النوار رجالا كثير من ابناء انهم كانوا يلوذون وربا لسواري
حتى قاموا من بين يدي الفرزدق واتينا الحسن رضي الله عنه في حلقته فقال له
الفرزدق يا ابا سعيد فقال له الحسن ما تشاء قال اشهد ان النوار طالق ثلاثا
فقال الحسن قد شهدنا قال ابو شفقل فلما انصرفنا قال لي قد ندمت فقلت له والله
اني لاظن ان دمك سيترقرق وانت تنظر فاشهدت والله لئن رجعت لترجمن باحجارك
فمضى وهو يقول.

ندمت ندامة الكسعي لما   غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها   كآدم حين اخرجه الضرار
فكنت كفاقئ عينيه عمدا   فاصبح ما يضيء له النهار
ولو اني ملكت يدي وقلبي   لكان لنا على القدر الخيار
وما فارقتها شبعا ولكن   رأيت الدهر ياخذ ما يعار

فمن هنا ضرب الناس المثل بالكسعي والفرزدق في الندامة ولما صرع كليمة
ابن عمير رضي الله عنه يوم الجمل وكان اول صريع في ذلك اليوم سمع وهو
يجود بنفسه يقول

ندمت ندامة الكسعي لما   رأت عيناه ما صنعت يداه

وفي الاستيعاب عن يحيى بن سعيد قال قال كلمة يوم الجمل

ندمت ندامة الكسعي لما   شريت رضى بني جرم برغمي

اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى وفي المقامات الحريرية قال الحرث بن همام فلما
رأيتنا صفر الكف في التيه: وصوت نمر التنبيه عليه: غشيتني ندامة
الفرزدق حين ابان النوار: والكسعي لما استبان النهار: وقال بعضهم في مثل

ثم نشر حبير الله كسرها: وتلاقى بالنثر والشعر أمرهما ؞ *

لئن نشز ثوبي من جاه ممـا ... وثوبي عليه لوعة حيث سار
فيغدو ولرحل أرض العراق ... يحن إليها حنين الحوار
ويا قل عودة أو يشتاقها ... اشتياق الفرزدق عودة النوار
(وكنت فتى من عوهق ثم أخفيا بها ... فقير حنين كما بز أبا الأفعى)

اللغة قوله وكنت فتى من عوهق في التعريف أعلاه العوهق بكسر العين وفتح الواو ويقال أعاهق زنير عوهقا بالفتح والسكون مرتا قالوا أعاهق بالألف إعاهقة وعوهق بالتشديد تعريفا أعلكاه العوهق ومن البدل واعتاق من مر أخذ كتعوق وأما اشتقاق بغناه سال العوهق قوله ثم أخفيا بها جمع خف بالضم ومن يجمع من سير النعيم وقد يكون للنعام وقيل لا يكون الخف إلا لهما وفي المصباح الخف الملبوس جمعه خفاف مثل كتاب وخف البعير جمعه أخفاف مثل قفل وأقفال ونحوه في الصحاح والقاموس وعليه فقول المحشي في البناء فيه

أنسا عمها فمعوكة وجعلها ... منكوحة وكم بعثها عـــزراء

ثم مع أن القياس معه جواز الأمرين في الجميع والله أعلم قوله كما بز أبا الأفعى الكعبر العنز بالمطلوب والأنوبا تشريك العرح والشرور وفي أنوكعج يا نوق آنفا وشيء ابيرا في حسن معجب وفي الفني الشيخ ذا عجبني بهونهو والله أعلم

الإعراب والتصريف قوله وكنت فتى من عوهق في جملة معطوفة على جملة جواب الشرط في البيت قبله وتشاركها في أنها من الجزاء من الجزم وكنت بفعل ماض ناقص مجزوم العين وجملة فتى من عوهق في خبرها واختلف النحاة في وقوع الفعل الماضي خبرا لكان والصحيح الجواز ومنهم من لم يشترط بعد كما هنا وإلا فهو جائز بلا خلاف وقوله عوهق فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير المخاطب العائد على المخاطب وخفي حنين فتعوله الثاني ومن أخفيا بها متعلق به وقوله كما بز أبا الأفعى حال من حنين وفيه مجيء الحال من المضاف إليه بدون شرطه وحكى ابن الشجري في أماليه عن الفارسي إجازته ويحتمل أن يكون حالا من ضمير المخاطب وحينئذ فيكون في الكلام تقديم وتأخير وهذا الذي قلناه فيه ما ورد على الاحتمال الأول وأما فيه من مزيد نكتة بلاغية ولا يخفى ما لم يكن كما بز أبا الأفعى نوادر على أخر

التعبير إن الآتية بعد فلعله المعاني فقوله وكنت من عمرهما في قال
الزمخشري في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس كان عبارة عن وجود الشيء في
زمان ماض على سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ
ونازعه أبو حيان وأن الصحيح أنها كسائر الأفعال يدل لفظ الماضي منها على الانقطاع
ثم قد يستعمل حيث لا انقطاع وفرق بين الدلالة والاستعمال انتهى كلامه وعلى كل
حال فيقال ما وجه تعبير الناظم بالماضي مع أن الجملة معطوفة على جواب الشرط وهو
مستقبل فحيث قال وسوف تعرفه فما المناسب أن يقول وتكون من عمرهما والجواب
أنه أبرز غير الحاصل في معرض الحاصل لما عد من الأسباب المتأخرة في قوله تعرف جاء
لامه إذا كثرت قبائح فيه وتهيأت أسباب حضوره حتى لم يتوقف في الدخول وكذا
هنا فإن أسباب عطب هذه النوق قد تيسرت وتوالت العادة على أنه لا بد من فوت
حتى جعل الجزم بذلك صحح التعبير بالماضي وأما حذف الفاعل من عمرهما وبناء
الفعل للمفعول فللعلم به إذ المعنى وستعمرهما يد الله عن هذه النوق الحية والخسران
حال كونك مرموقا مغرورا ساهيا نادما وهذا على أنه إذ يقول يا هادي أبا الأينق
على سبيل التهكم والسخرية كما نبهنا عليه والله أعلم البديع في كلام الناظم
منه الجناس بين أخفافها وأخفيه والحنين وحنين مثل يكون من قبيل الجناس التام والنفس
أبيه إذا قيل أو من قبيل التشبيه بالاستعارة ومن مقتضى كلامهم وقد سمى بعضهم هذا
بالمشوش لتعلقه بالترتيب له ومما يستشهد به لكلام الناظم قول الفقيه أبي
حنيفة المغربي وهو مليح إلى الغاية

رب خود عرفت في عرفات * سلبتني بحسنها حسناتي
حرمت حين أحرمت نوم عيني * واستباحت حماي باللحظات
وأفاضت مع الحجيج ففاضت * من جفوني سوابق العبرات
ولقد أضرمت على القلب جمرا * محرقا إذ مشت إلى الجمرات
لم أنل من منى منى النفس حتى * خفت بالخيف أن تكون وفاتي

والمناسب لكلام الناظم منه من قوله جمرا والجمرات والله أعلم

* خفي حنين وخفيه *

اختلفت الرواية في حنين المذكور في هذا المثل من هو فقال أبو عبيد كان حنين إسكافا من أهل

الحيرة فساومه اعرابي بخفين فماكسه فيهما حتى اغضبه ولم يشتر منه فغضب
حنين وتبع الاعرابي حتى اذا ارتحل تقدم امامه باحد الخفين وعلق احدهما على شجرة على
طريق الاعرابي ثم تقدم قليلا وطرح الآخر على قارعة الطريق ثم كمن حيث لا يراه احد
فجاء الاعرابي حتى اذا حاذى الخف المعلق بشجرة قال ما اشبه هذا الخف بخف حنين
ولو كان معه الآخر لأخذته ثم سار قليلا فعثر على الآخر مطروحا فندم على تركه في
الاول فنزل عن راحلته فعقلها واخذ الخف المطروح ثم رجع ليأخذ الخف الاول فخرج
حنين فاخذ الراحلة بما عليها وذهب بها ورجع الاعرابي الى حيه بالخفين فكان
قومه يقولون له بم جئتنا من سفرك فيقول جئتكم بخفي حنين فذهب قوله مثلا يضرب
عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة ومعنى الروايتين تتوافق في ان الخفين كانا جزاء
بالانوى على الاعراب لما ان حسبهما ثم وقال ابن السكيت عن ابي اليقظان كان حنين
رجلا شريفا ادعى انه ابن اسد بن هاشم بن عبد مناف فاتى عبد المطلب بن هاشم وعليه
خفان احمران فقال يا عم انا ابن اسد بن هاشم فقال عبد المطلب لا وثياب هاشم ما
اعرف شمائل هاشم فيك فارجع فرجع فقالوا رجع حنين بخفيه وزعم الشرقي بن
القطامي ان اهل الحيرة ان هاشم بن عبد مناف كان رجلا كثير التقلب في احياء العرب
للتجارات والوفادات على الملوك وكان نكح عبادية فكان اهل اهله انهم متى اتوا بمولود
معه علامة يعرفونها قبلوه وتكون علامة قبولهم اياه ان يكسوه ثيابا ويلبسوه
خفين ثم ان هاشما تزوج في حي من احياء اليمن وارتحل عنهم فولدت غلاما فسمته له
جدته لأمه حنينا وحملته الى قريش مع رجل من اهله فسأل عن بني هاشم من اهليهم
فاتاهم بالغلام وقال ان هذا ابن هاشم فطالبوه بالعلامة فلم تكن معه فلم يقبلوه
فرد الغلام الى اهله بغير زاد ولا كسوة فقالوا جاء بخفي حنين اي جاء وما نال حين جاء في خفي
نفسه ولو قبلوه لألبسوه خفي ابيه وقال غيره كان حنين رجلا عباديا من اهل
الحيرة وكان يتكسب بالنبيذ في علية بكنائس الكوفة وكان مغنيا ومنه الذي يقول

انا حنين ومنزلي النجف ... وما نديمي الا الفتى القصف

اقرع بالكأس ثغر باطية ... مترعة تارة واغترف

وكان من خبره انه دعاه قوم من اهل الكوفة الى الصحراء ليغنيهم فغنى معهم فلما
سكر سلبوه ثيابه وتركوه عريانا في خفيه فلما رجع الى اهله على تلك الحال قالوا

جاء حنين بخفيه ثم قالوا اخيب من حنين فصار مثلا لكل خائب وخاسر وقيل
كان حنين لصا قبيحا فاخذ وصلب فجاءت امه تبكيه وعليها خمار فانتزع عنها
ورجعت فقيل رجعت بخفي حنين اي رجعت منه بزايد وقد ذكر الشعراء خفي حنين
وضربوا بهما المثل في اشعارهم فمن ذلك قول بعض الشعراء

وما زلت اقطع عرض البلاد ... من المشرقين الى المغربين
وادرع الخوف تحت الدجا ... واستصحب الجدي والفرقدين
واطوي وانشر ثوب الهموم ... الى ان رجعت بخفي حنين

اللهم انا نسالك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ومدح ربيعة بن ثابت
الرقي يزيد بن حاتم المهلبي فقصر في حقه بعض التقصير فقال

اراني ولا كفران لله راجعا ... بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فعاد فعطف عليه وبالغ في الاحسان اليه فقال ربيعة يمدحه ويهجو يزيد
ابن اسيد السلمي وكان قد قصده

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والاغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى ... فتى الازد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله ... وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

وقال القاضي ابو حنيفة النعمان بن المنتفع الذكر

ايا مشبه البدر بدر السماء ... لسبع وخمس مضت واثنتين
ويا كاملا من جميع نعته ... شغلت فؤادي واسهرت عيني
فهل لي من مطمع ارتجيه ... والا انصرفت بخفي حنين

وقال الشيخ شهاب الدين التلمسي من قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم
وحلى فيهم فيها بغزل ازاء نسيب قائلا

بكيتك يا غزال الانس عمري ... وقد ربعت عليك الانس عيني
تبغتك عاين الفرقين سعيا ... الا رجع لابسا خفي حنين — وقال في
تعلمها ترى مثل الزمان بخلف عهدك ... فيجمع بين احبابي وبيني
وانتم يا حماة الشرق قبلي ... بنا رحلا الى حرم لمسعي

صلى الله عليه وعلى مومن وكريم .. ويعفو عنكم

لأنت أظلم من ابن ظالم * إن كنت من بعد هذا لم تفق

اللغة الظلم بالضم وضع الشيء في غير موضعه والمصدر الحقيقي الظلم بالفتح ظلمه يظلمه ظلما كضربه يضربه ضربا فهو ظالم وظلوم وظلمة كهمزة وتظلمه إياه وتظلم منه أحال الظلم على نفسه والظلامة كثمامة والمظلمة بفتح اللام على القياس والكسر أفصح ما تظلمه عند الظالم وهو اسم لما أخذ منك وفي المثل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم وفيه أيضا من أشبه أباه فما ظلم **الإعراب والتصريف** قوله لأنت أظلم اللام للابتداء كما في قوله تعالى لأنتم أشد رهبة والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وقوله من ابن ظالم يتعلق بأظلم وأصل ابن بنو بالتحريك بدليل جمعه على أبناء حذفت لامه التي هي الواو للاعتلال وكثرة الاستعمال وسكن أوله ثم جيء بهمزة الوصل توصلا إلى النطق بالساكن والتعويض عوضا من المحذوف والقياس في ظالم أن يكتب بدون ألف بعد الظاء المشالة لأن الاسم العلم إذا اشتمل على أربعة أحرف فأكثر وفيه ألف ساكنة وجب حذفها كصالح وحارث حيث لا لبس نحو عامر فإنه يلتبس بعمر إذا حذفت منه الألف فيجب إثباتها قوله إن كنت في إن حرف شرط وكنت فعله مجزوم المحل وهو ناقص والتاء اسمه ضمير المخاطب وخبره في الجملة بعده وقوله من بعد يتعلق به على الصحيح من أن الأفعال الناقصة يجوز تعلق الظروف والمجرورات بها ومن زعم أنها لا تدل على الحدث منع التعلق بها وعليه فالظرف هنا متعلق بالفعل بعده أعني قوله لم تفق وبعد من الظروف التي لا تتصرف ومن الأسماء التي تلزم الإضافة فإذا حذف المضاف إليه ونوي معناه كما هنا بنيت على الضم لشبهها بحروف الجواب في الاستغناء بها عما بعدها مع ما فيها من شبه الحرف في الجمود والافتقار وقيل في علة بنائها غير هذا وقوله هنا متعلق بتفق قوله لم تفق مفرع عليه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما تفرع عليه وتقدير الكلام إن كنت لم ترجع عن هذه الشرور بعد ما قلته عليك من ضروب الإعذار والإنذار أو بعد ما حل بنا من البلاء والرزء الكبار فأنت أظلم من ابن ظالم والله أعلم **المعاني** فصل الناظم هذه الجملة عما قبلها لأنها مستأنفة مقتضبة كما مر في الإعراب وأكد الحكم في قوله لأنت أظلم باللام لكون المخاطب غير مقر بظلمه بل هو جاحد له إما بلسان حاله أو بلسان مقاله ولك أن تدعي أن اللام هنا واقعة في جواب قسم محذوف تقديره

6

والله تعالى اعلم * ثم ذكر بعضهم انه لا معنى لي في هذا التقرير مع صحة الكلام بدون نعم وجعل اللام للابتداء وربما يؤيده ان افعاله قصر على انكار الكلم فيكون الحكم اقرع الى مزيد تاكيد واكثر كلام المعربين ان اللام في مثل هذا التركيب تتعين للابتداء والله اعلم واتى باداة الشرط في قوله ان كنت * مع انه جازم بان افعاله لا يرضى الاشتمال انقلاع على ما يقلع السركم من اهله كما مر في قوله وان ما دينا على اتفاقهما واعلم ان افعال الشرطية كما في التمهيد ان تكون لتعليق امر بغيره في الاستقبال وعليه محقق الجملتين معها ان تكونا فعليتين نحو ان يقم زيد يقم عمرو وقد تخالف ذلك في هذا الاصل في الكلام بل غرض مذكور في محلها وقد تستعمل مع الماضي القطعي نفيا بمكره وذلك في باب كان نحو قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية ومنه ما في التلخيص من التجاهل وشرع خبرها قد جردوا بلم التي تخص المستقبل ماضيا وحينئذ فمعنى قوله ان كنت من يعرف بها لم تزدروا ان كنت لم تعرف على الرغم فيما مضى لانه لو كان صدر منه رفق لاكتسب عليه انه مطلوب له في جميع الاوقات وخاصة له في سائر الحالات فليفهم والله اعلم * البديع في كلام الناظم منه جناس الاشتقاق ومنه كلامه ومنه التكرار قول الشاعر في خادم اسود فسمعوا بالكلم

يا قسمها في بغيها لونه * لم تخط ما اوجبت القسمة
بعلة من لونه مشتقة * والكلم مشتق من الكلمة

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة

* ذكر ابن ظالم المري وظلمه *

ابن ظالم هذا هو الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن الياس بن مضر احد فتاك العرب المشهورين وهما فاتكان في الجاهلية كلاهما سيد شريف احدهما هذا والاخر الحارث بن عوف ابن ابي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة في النسب المتقدم وكان من خبر الحارث ابن ظالم وفتكه الذي عنه الناظم بالظلم ان زهير بن جذيمة بن رواحة ابن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان النسب المتقدم كان سيد غطفان كلها وكانت له اتاوة على هوازن ياخذها منهم كل سنة بعكاظ وهو سوق العرب ايام الموسم فزهير هذا هو والد قيس بن زهير العبسي صاحب داحس التي

ذكر

ذكروا أن السنة أجحفت بزهير بعد كذا كذا سنة من السنين فأتته عجوز من هوازن
بسمن في نحي واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعت على الناس فذاق زهير السمن
فلم يرض طعمه فدعّ في صدرها بقوس كانت في يده فاستلقت على قفاها فبدت
عورتها فغضبت هوازن من ذلك وحقدت إليه مع ما كان زهير يسومهم قبل ذلك
من العسف فتآمروا واتفقت كلمتهم فعزم بينهم خالد بن جعفر بن كلاب العامري على قتل
زهير فانتدب لهم بذلك والتزم قتله ثم تطلب خالد زهيرا مدة حتى أخبر بأنه في إبل
له مع نفر من عشيرته قريبا من حي بني عامر فخرج خالد في فوارس من قومه حتى كبسوا
زهيرا على حين غفلة وحمل إليه خالد فاقتتلا مليا على ظهور فرسيهما ثم اعتنقا
وسقطا على الأرض وشد ورقاء بن زهير على خالد وهو فوق أبيه فضربه بالسيف
فلم يصنع شيئا لأن خالدا كان قد ظاهر بين درعين وحمل جندح بن البكاء وهو ابن
امرأة خالد على زهير فضربه بالسيف على رأسه حتى خالط دماغه فقتله وفر خالد
عنه وعادت هوازن مع خالد إلى منازلها وحمل بنو زهير أباهم إلى بلادهم فقال
ورقاء بن زهير في ذلك

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
إلى بطلين ينهضان كلاهما * يريدان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يميني يوم أضرب خالدا * ويمنعه مني الحديد المظاهر
فيا ليت أني قبل ضربة خالد * ويوم زهير لم تلدني تماضر
لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتني * فماذا الذي ردت عليك البشائر
فلا يدعني قومي صريحا لحرة * لئن كنت مقتولا وتسلم عامر
فطر خالد إن كنت تستطيع طيرة * ولا تقعن إلا وقلبك حاذر
أتتك المنايا إن بقيت بضربة * تفارق منها العيش والموت حاضر

وقالت امرأته وهي تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية تحرض بنيها على هوازن
بقتل زهير وإخوتهم من عبس

يا كيف تكفرنا هوازن بعدما * أعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما * جدع الأنوف وأكثر الأوتارا
وجعلت حزن بلادهم وجبالها * أرضا فضاء سهلة وعثارا

وجعلت منهن نساءهم وردا يا تميم • بقتل الملوك جئنا بها وبكارا

ثم علم خالد بن جعفر أن غطفان ستطلبه بسبب ما قدمناه وأن النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة فاستجار به كذا في كامل ابن الأثير والذي في الأغاني أن خالدا إنما استجار بالنعمان بن المنذر وفيها أيضا الأسود بن النعمان والله أعلم بحقيقة الأمر ولما انتهى خالد إلى النعمان قبله وأجاره وكان خالد قد أغار قبل مقتل زهير على بني يربوع ابن غيظ بن مرة رهط الحارث بن ظالم وهم في واد لهم يقال له حراض كعاب فقتل الرجال عشرا صرعى فيهم وبقيت نساء بني يربوع أيامى والحارث يومئذ غلام وكان لا يحلب الغنم فلما هلكت أزواجهن تكفل بهن عمرو الحارث فيبيت لهن عصا الشوك ويحلبن وهن يبكين أزواجهن والحارث يبكي لبكائهن فنشأ على البغض والحقد ثم لما كان من قتل خالد لزهير واستجارته بالنعمان ما ذكرناه جاء الحارث بن ظالم إلى بني زهير بن جذيمة وهم يجمعون لغزو بني عامر وساد بن هوازن فقال لهم اكفوني حرب هوازن وأنا أكفيكم خالد بن جعفر فقال له قيس بن زهير وكيف تصل إليه وهو في جوار النعمان بن المنذر فقال لأقتلنه ولو كان في حجره ثم أخذ فرسا من عتاق خيل بني مرة وامراده أتى النعمان فأعجبه وأقبل عليه ورفع منزلته قال أبو عبيدة ثم إن النعمان دعا يوما خالد بن جعفر في رهط من عشيرته والحارث بن ظالم وقدم لهم تمرا فجعل خالد يأكل ويلقي النوى بين يدي الحارث فلما فرغ القوم قال خالد أبيت اللعن انظر إلى ما بين يدي الحارث من النوى فما ترك لنا تمرا إلا أكله فقال الحارث أما أنا فأكلت التمر وألقيت النوى وأما أنت يا خالد فأكلته بنواه فغضب خالد وكان لا ينازع فقال أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرك وتركتك يتيما في حجور النساء فقال الحارث ذاك يوم لم أشهده وأنا مغني اليوم بمكانه فقال خالد فهلا تشكرني إذ قتلت زهير بن جذيمة وجعلتك سيد غطفان فقال بل أشكرك وأجزيك الغضب وقال الحيرانه عم الحفل كان النعمان فرقهم وحمل خالد ابن جعفر وأخيه عتبة قبة وأمر بهما يخفران كعادته وسار إليه فأقبل الحارث ومعه تابع له من بني محارب فأتى باب النعمان فاستأذن فأذن له النعمان وفرح به فدخل الحارث وكان من أحسن الناس وجها وحديثا وأعلم الناس بأيام العرب فأقبل النعمان عليه بوجهه وحديثه وبين أيديهم تمر يأكلونه فلما رآه خالد أقبل

النعمان

النعمان على الحارث فقال له ذلك فقال إيها أبا ليلى وهي كنية الحارث ألا تشكرني فقال
فيماذا فقال قتلت زهير ابن جذيمة بعده سيد غطفان وبين يدي الحارث تمرات فأخذ الرمح
فأخذ يضرب بيده وسقطت التمرات وجعل يرتعد ويقول أنت قتلته ونكس النعمان إلى
قلبه من الرمح فعذر خالدا بالغضب وقال اعتذر منه فإنه يقتلك وافترق القوم
وبقي الحارث عند النعمان فلما كان الليل أشرع خالد قبته عليه وعلى أخيه ونام
وانصرف الحارث إلى رحله فلما نامت العيون خرج شاهرا سيفه حتى أتى قبة
خالد فقطع شرجها بالسيف ودخل على خالد وهو نائم إلى جنب أخيه عتبة فأيقظه
فاستوى قاعدا فقال له الحارث يا خالد أظننت أن دم زهير كان سائغا لك وعلاه بالسيف
حتى قتله وانتبه عتبة فقال الحارث لئن نبست لألحقنك به وانصرف فركب فرسه
ومضى على وجهه وخرج عتبة صارخا حتى أتى باب النعمان فنادى يا سوء جواراه
فأجيب لا روع عليك فقال قد دخل الحارث على خالد فقتله وأخفر الملك فيه فوجه
النعمان فوارس في طلبه فلحقوه سحرا فعطف عليهم فقتل منهم جماعة وارتدع
القوم عنه وانصرفوا إلى النعمان فقال عبد الله بن جعدة الكلابي وكان يومئذ
مع خالد يعيب الحارث بن ظالم

يا حار لو نبهته لوجدته ** لا طائشا رعشا ولا معزالا
شقت عليه الجعفرية جيبها ** جزعا وما تبكي مقالا ضلالا

في أبيات أخر فأجابه الحارث بقوله

عمدا لعمرك نبهته فوجدته ** رخو اليدين مرفها كلا مكسالا
فعلوته بالسيف أضرب رأسه ** حتى اغل بشليله السربالا

ثم لحق الحارث ببني تميم ثم انتقل منهما إلى غيرهم مما بعد حروب كثيرة بين شيعة النعمان
وشيعة الحارث وكانت في قبائل العرب ولما أعيا النعمان أمره قيل له إنك لن
تصيبه بشيء أشد عليه من سبي جارات له من بلي وبلي حي من قضاعة فبعث
النعمان في طلبهن واستاقهن وأموالهن فبلغ الحارث ذلك فكر راجعا من وجهه
متزيدا وسأل عمن عدا بإبلهن من أعان عليه وكن يومين فيه فلما قرب منهن إذا إحداهن
تقول أيها اللعاع وكانت تغزل اللبن إذا حلبت احتلبت ودر ... عينها ملء
وأعطت برأسها ونفاجت تفاج البازل وثبت أحاليلها بالشخب

فجاء الحرث وقد النار يطلبانها فصاح فيهما ورع. وقال

إذا سمعت حنة اللقاح ** فنادي أبا ليلى ولا تراعي

في أبيات ثم قال خليا عنهما فعرف النار من كلامه والنار من الذي يطلب يكون من الجانب الأيسر فيتبع فقال الفحل وهو الذي يطلى بالدناءة أي الضرع ويكون من الجانب الأيمن والله ما من لك فقال الحرث إن النار من أعلم فرجعت فقال خليا عنهما واستنفرها رائده وانفرا لدهر قال أبو عبيدة ثم نحو الحرث ببلاده فوجد فيهم مختفيا وكانت أخته سلمى بنت كذا في نسخة سنان بن أبي حارثة المري وهو والد هرم بن سنان ممدوح زهير الشاعر فاستعان الحرث بسنان من بعض نسائه من غير أن تعلم أخته بذلك وأتاها به وكان عندها ولد الأسود بن المنذر فربته الملك
وزينته فقال لها الحرث يقول لك بعلك سنان ابعثي معي بابن الملك حتى استأمن به واتخذ به ومن أسرجه أمانه ثم لك فأعطي ذاك فزينته ثم دفعته إليه فأتى الحرث بالغلام ناحية من الشربة وهي موضع كانت بنو مرة تنزله فعلق رأسه بالسيف وردا أنه قد أخذ بثأره من آل النعمان حيث أغاروا على جاراته وقيل إن المقتول ولد النعمان لا ولد الأسود والله أعلم وقال الحرث في ذلك

فيا قاسمعا أخبركما إذ سألتما ** فحارب مولاه وثكلان ضائع
أخصيي حمار بات يكدم نجمة ** أتؤكل جاراتي وجارك سالم
فإن تك أذواد أصبن ونسوة ** فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم
علوت بذي الحيات مفرق رأسه ** وكان سلاحي تجتويه الجماجم
فتكت به فتكا كفتكي بخالد ** وهل يركب المكروه إلا الأكارم
بدأت بتلك وانثنيت بهذه ** وثالثة تبيض منها المقادم
حسبت أبا قابوس أنك مخفر ** ولما تذق ثكلا وأنفك راغم

قوله محارب مولاه يعني بذلك نفسه وهمه أي سنان بن أبي حارثة ومحاربته إياه هي قتله لابن الملك الذي كان في حجره وقوله وثكلان ضائع يعني به النعمان أو الأسود على الخلاف في ذلك وذو الحيات اسم سيفه ونسأل الله ما بين يدي الدوائر وعلى الأمر ما جرى فحكمه بين قبائل العرب يطول ذكرنا كل ما والحرث يتنقل في بلاد العرب وتطلبه قبيلة إلى أخرى قال أبو عبيدة وكان

عمرو

عمرو بن الإطنابة الخزرجي ملك الحجاز ولما بلغه قتل الحارث خالد بن جعفر وكان
خالد نديماً له غضب لذلك غضباً شديداً وقال والله لو لقيني الحارث خالياً
وهو يقظان لما تقدم إليه ولكنه قتله وهو نائم ولو أتاني لعرف قدره
وبلغ الحارث قوله فقال والله لآتينه في رحله فبلغ ذلك ابن الإطنابة
فدعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقينتيه فغنتاه بقوله

عللاني وعللا صاحبيا ... واسقياني من المروق ريا
إن فينا القيان يعزفن بالضر ... ب لفتياننا وعيشاً رخيا　أذان
قال أبلغا الحارث بن ظالم المو ... عد والناذر النذور عليا
إنما تقتل النيام ولا تقـ ... ـتل يقظان ذا سلاح كميا

فلما بلغ الحارث شعره ازداد حنقاً وغيظاً فسار حتى أتى يثرب بلاد الخزرج
ثم دنا من قبة عمرو بن الإطنابة ونادى أيها الملك أغثني وخذ سلاحك
فإني جار مكثور فأجابه وخرج إليه حتى إذا برز عطف عليه الحارث وقال أنا
أبو ليلى [illegible] كأنه قليلاً من الليل وأحس عمرو بالقتل عنه فقال يا حارث إني شيخ
كبير وإنه تعتريني سنة فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غد فقال الحارث هيهات
وقدحي بيدي في غمر [illegible] ولا ساعة ثم ألقى عمرو الرمح من يده وقال يا حار أتهم
أخبرك أن النعاس يغلبني فمن يسقيكم رمحي فلا كيف بك فقال أتنكره إلى غد
قال لا أفعل قال بل عني ذا أخذ رمحي قال خذه قال أخشى أن تعجلني عنه أو تفتك بي
إذا قاولته قال وذمة كلاهما لا أعجلك ولا أفتك بك حتى تأخذه فأرود ذمة
الإطنابة بذلك أخذه ولما أقاتله فانصرف الحارث وقال *

أعززنا في بلاده فيقتنيه ... قبل أن تنكر المنون عليا
ما أبالي إذا اصطبحت ثلاثاً ... أرشيداً دعوتني أم غويا
بلغتنا مقالة المرء عمرو ... بلغتنا وكان ذاك بريا
فهممنا بقتله إذ برزنا ... ووجدناه ذا سلاح كميا
غير ما نائم يعلل بالحلـ ... ـم معداً بكفه مشرفيا
فمننا عليه بعد علو ... بوفاء وكنت فيه وفيا

ولم يزل الحارث يتنقل في أحياء العرب إلى أن أراده [illegible] الحكام إلى أن قتله

غسان بالشام وهو يومئذ يزيد بن عمرو فاكرمه واجاره وكان للملك يزيد
ناقة محماة قد جعل في عنقها مدية وزنادا وملحا ليمتحن بذلك رعيته
فوحمت زوجة الحرث واشتهت شحم السنام فاخذ الحرث الناقة حتى اتى بها
بعض الشعاب فنحرها وحمل الى امرأته من شحمها ولحمها وفقدت الناقة
فطلبت فوجدت عقيرة بالوادي فارسل الملك الى كاهن يقال له الخمس التغلبي
يسأله عنها فذكر له ان الحرث نحرها فارسل الى امرأته بشيء من طيب تشتري به
من لحمها من زوج الحرث ففعلت وادركها الحرث وقد اخذت اللحم فقتلها
ودفنها في البيت فسأل الملك الكاهن عن المرأة فقال قتلها من نحر الناقة
واذا اكرمت ان تفتش بيته فمره بالرحيل فاذا رحل ففتشه ففعل الملك فلما
رحل الحرث جاء الكاهن ليفتش بيته فاحس الحرث بالشر فعاد الى الكاهن
فقتله واخذت وزعة الملك الحرث فاعتذر له بعذره فهم بقتله فقال انها
الملك انك قد اجرتني فلا تغدر فقال اذ غدرت بي مرة فقد غدرت بي مرارا
ثم قتله فكان الذي تولى قتله ابن الكاهن فقال ابن الكلبي لما قام ابن
الخمس الى الحرث ليقتله قال من انت قال ابن الخمس قال انت ابن شر الاسماء
قال وانت ابن شر الاسماء فقتله هذه رواية ابي عبيدة والبصريين واما
الكوفيون فلم يذكروا ان النعمان بن المنذر سوى انه قتله في خبر طويل وكان
امر الحرث بن ظالم قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بنحو عشرين سنة
او اكثر وقد علمت ان العرب انما ضربت به المثل في الفتك لا في الكلام كما فعل
الناظم لذكره اذ الفتك يستلزم الكلام غالبا مع ان الكلام فيه عليه
وايضا فقتله لولد الملك انما كان ركبهما ممضمضا ولذلك قال بعض اعمام
الحرث يعاتبه وينعى عليه قتله اياه

*

يا حارِ انك احيا من غضرة … كدرا واخو امر في البراءة ضال
قد كان بيتي فيكم بالبقاع فقد … احللته بيتين بين السيل والنار
وقد علمت باني لن يغنيني … مما فعلت سوى الإقرار بالعار
فقد عرفت على النعمان غالبة … في قتل طفل كمثل البدر معطار
فاعلم بانك منه غير منفلت … وقد عرفت على ضر غداة شار

وأخبار الحرث بن كلدة وماجرياته كثيرة وقد ذكرته العرب في أشعارها ولعلمه فيما نقل الناس كثيرة ذكر المؤلفون أن رجلا من قال للحرث بن كلدة فقال الغرز بلغني ان الحرث عمشت يوما فلا تبغ في ثوبه فنتروا من حينه اربعة أزرار وبعقات اربع اعين من عيون جلسائه فقال الحرث كلوا ومزامر اكاذيب العرب مثل قد يحكونه عن السلف وأشباهه والله أعلم *

* رفقا بها فقد بلغ السيل الزبى * واتسع الخرق على الراقع *

اللغة قوله رفقا بها الرفق قد تقدم وقوله فقد بلغ السيل الزبى هذا مثل مشهور والسيل في الأصل مصدر سال الماء يسيل سيلا اذا جرى فإذا كثر السيل على الماء نفسه كما سمّي بغيره من باب الكلأ والمصدر على اسم الفاعل سائل للاكتظار حقيقة عرفية فيه وقرأ ابن عباس قوله تعالى سال سيل بعذاب واقع بلفظ المصدر كالعدو بمعنى العادي ثم السيل انما يستعمل في الماء الكثيرة دون القليل والزبى بالزاي جمع زبية وهي حفرة تحفر للاسد في الموضع العالي وتغطى بشيء ويجعل عليها لحم فإذا جاء الاسد وثب ولعله سقط فيها قال الكميت

يا طيبي السهل والأجبال موعدكم * كمبتغي الصيد أعلى زبية الاسد

وفي الصحاح انما سميت حفرة الاسد بذلك لأنهم كانوا يحفرونها في موضع عال فأهل الزبية اذا الموضع العالي والسيل لا يصل اليه فإذا وصله كان جارفا مجحفا فإذا قيل بلغ السيل الزبى فمعناه ان الأمر قد بلغ غايته والقول قد اذى (؟) نهايته قال العجاج * فقد بلغ السيل الزبى فلا غير * أي فقد عظم الامر عن ان يغير ويصلح وتزبى فلان زبية اتخذها قال الراجز

وكنت بالداهي الزبي فدميرا * كمن تزبى زبية فاقتصرا

قوله واتسع الخرق على المرتق هذا أيضا مثل سائر والاتساع ضد الضيق يقال وسع المكان بكسر السين ووسع بضمها فهو واسع على الأول ووسيع على الثاني واتسع أي صار فيه سعة بفتح السين وقد تكسر والخرق بفتح الخاء الثقب في الثوب والحائط ونحوهما والجمع خروق مثل فلس وفلوس وهو في الأصل مصدر قولك خرقته خرقا من باب ضرب اذا قطعته ويقال خرقته تخريقا على سبيل المبالغة والمرتق اسم فاعل من الترتيق وهو المبالغة في الرتق وهذا لغة يقال رتقت الشق

رتلا من باب قتل اذا اسردته وافهمته بان تتوالى انسن ومنه قوله تعالى
كذا نثار تلنا بقتنفنا امما **الاعراب والتصريف** فقوله رفقا بها مفعول
مطلق عامله محذوف وجوبا واصل الكلام ارفق بها رفقا فحذف الفعل وناب
عنه المصدر وانما وجب حذف العامل لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه
والجملة لا محل لها من الاعراب لانها مستأنفة وكذا قوله قد بلغ السيل الزبى
لا محل لها من الاعراب ايضا لانها مستأنفة والف الزبى تكتب ياء على راي البصريين
لانها منقلبة عنها وتجوز اقالتها وقوله واتسع الخرق جملة ثالثة معطوفة
على التي قبلها وتاء اتسع بدل من الواو والاصل اوتسع فابدلت الواو تاء
لعسر النطق بحرف اللين الساكن مع تاء الافتعال لما بينهما من بعد المخرج ومنافاة
الصفة كما قال انزل اتصل واتعد وابد والله اعلم **المعاني** اشتمل البيت
على ثلاث جمل اما الاولى وهي قوله اتى الناظم بها مفصولة لما بينها وبين التي قبلها
من كمال الانقطاع بلا ايهام اذ هذه انشائية وتلك خبرية ولا يعطف الانشاء
على الخبر على الصحيح واما الثانية وهي قوله قد بلغ السيل الزبى فاتى بها
مفصولة مما قبلها لما بينهما من كمال الانقطاع ايضا فالعلة واحدة فان هذه
خبرية والاولى انشائية وايضا فبين كانها جملة قبلها فتكون جوابا عن سؤال
مقدر كانه قيل له لم امرت بالرفق بها فقال لانه قد بلغ السيل الزبى اي لانه
امر ما قد انتشر وبلغ ما قد افتر وتعدى قدرها وزاد النهاية والحد واما الجملة
الثالثة وهي قوله واتسع الخرق فانما وصلها بالتي قبلها لما بينهما من
التوسط بين الكمالين والجامع موجود كما لا يخفى والله اعلم وقد اشتمل كلام
الناظم على مثلين سائرين كما قلنا فاما الاول فقد تقدم فيه بيت العجاج وقال
ابن دريد في مقصورته

لست اذا ما بهظتني غمرة * ممن يقول بلغ السيل الزبى
وان ثوت تحت ضلوعي زفرة * تملا ما بين الرجا الى الرجا
نهنهتها مكظومة حتى يرى * مخضوضعا منها الذي كان طغى

وقال ابن الحسن حازم في مقصورته *

يا زمنا ضاق الشيء من بعده * فذكا راي ابن منه واختفى

فقد بلغ الحزام الطبيين وقد ... أفديك متى بلغ السيل الزبى
أناديك يا ذا من المثنى من بعد ما ... أذ قبيتهما عما عمرا عما برا

وحكى المبرد في كامله قال كتب عثمان بن عفان الى علي بن ابي طالب رضي الله عنهما حين أحيط به اما بعد فانه قد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الأمر بي قدره وطمع بي من لا يدفع عن نفسه *

فان كنت مأكولا فكن خير آكل ... والا فأدركني ولما أمزق

وأما المثل الثاني فأصله من قول أبي عامر السلمي وهو جد العباس بن مرداس رضي الله عنه *

لا صلح بيني فاعلموه ولا ... بينكم ما حملت عاتقي
سيفي وما كنا بنجد وما ... قرقر قمر الواد بالشاطي
لا نسب اليوم ولا خلة ... اتسع الفتق على الراتق

هكذا رواه القالي في نوادره وأنشد غيره وذكره في المحاضرات انه رجل من أهل عمان

لا نسب اليوم ولا خلة ... اتسع الخرق على الراقع
كالثوب اذا أنهج فيه البلى ... أعيى على ذي الحيلة الصانع

وكان ابن قلاقس يحب بعض الأحداث من كتاب الديوان فأخبر عنه أن غيره فقال يعرض عليه بغلطه ويعرض له بالشر عفا الله عنه *

يا عمرو قل للقمر الطالع ... اتسع الخرق على الراقع
يا فتنة الناظر قد حسنت في ... بعلتك هذا فتنة السامع
من أين ذا رسالة خاذل ... هل يغتني سيرتنا بايع
ما كان في المخدع من أمركم ... فانه في المسجد الجامع
يا أكول أكثر فيك من حامل ... مبغضة مكشوفة الطابع

(وهب الأير صار أيرا ولعا ... كشفنا فتيتنا فما خلا عرضه عرض)
(فما لك تعرض حملت من ... بجعر أفاده في ما في العشق)

اللغة قوله هب الأير صار أيرا قال الجوهري وتقول هب زيدا منطلقا بمعنى احسب يتعدى الى مفعولين ولا يستعمل منه ماض ولا مستقبل في هذا المعنى والذي جمع ... وغيره وقوله أيرا ان ... بعض العذار

وسكور الايد القوة قال الله تعالى والسماء بنيناها بأيد اي بقوة وقال
حسان رضي الله عنه يوم الخندق *

حتى اذا وردوا المدينة وارتجوا * قتل الرسول ومغنم الاسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم * ردوا بغيظهم على الاعقاب

وتقول آد الرجل يئيد أيدا وآدا قوي واشتد فهو أيد مثل سيد قال الشاعر

اذا القوس وترها أيد * رمى فأصاب الكلى والذرى

يقول اذا الله تعالى وتر القوس التي في السماء رمى كلى الابل واسنمتها بالشحم
يعني من النبات الذي يكون بالمطر وايده الله تأييدا قواه ونعم في قوله
وهما متنا متينا في المتن الكثير وقال ابن فارس المتنان مكتنفا الصلب من العصب
واللحم زاد الجوهري عن يمين وشمال ويذكر ويؤنث والمتن ايضا ما صلب من الارض
وارتفع والجمع متان كسهم وسهام ومتن الشيء بالضم متانة اشتد وقوي
فهو متين قوله ما خلا عن محمد ولي ما انفكت عنه تقول خلا فلان من العيب
اي برئ منه وخليت المرأة عن موانع النكاح اي عريت عنها والحجر فعل
من الحجر بالكسر وهو الستر والصلابة والحجر بالفتح من الرماح ما صلب منها
ويقال قد استحجر ورجل حجر اذا اتبعته بفتحة الضاد واذا ضممت كسرتها
وتقول للرجل الشجاع والفرس الجواد انه لحجر وحجر بالفتح كذا في الصحاح
وقال في الكشاف هو من كبر اي صلد واتلة وصلد والحجر وكانه ذو حجر فيما يعرض
من الات قال خفاف بن ندبة *

اذا ما استحمت ارضه من سمائه * جرى وهو مودوع وواع بمصدق

يقول اذا ابتلت حوافره من عرق اعاليه جرى وهو متروك لا يضرب ولا يزجر
ويصدقك فيما يعرض من البلوغ الى الغاية قوله فحما الظعن حملت في الظعن
بضمتين وسكون العين تخفيفا كما متنا جمع ظعينة وهي في الاصل اسم للهودج
كانت فيه امرأة او لا ويجمع ايضا على ظعائن واظعان ثم قيل للمرأة ظعينة
فعيلة بمعنى مفعولة لان زوجها يظعن بها فهو في الاهل وهي لها ما دامت
في هودجها ثم كثر توسع فيه ايضا حتى اطلق عليها وان كانت في بيتها لانها
بيوت الاحياء فما اتى ذلك قوله من مرة هو بكسر الميم وتشديد الراء قوة الخلق

ومِرّته مأخوذة من إمرار الحبل وهو فتله فتلا محكما وقوله تعالى شديد القوى
ذو مرة هو جبريل عليه السلام ومن شدته وقوته أنه قلع قرى قوم لوط
من الماء ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان
هبوطه على الأنبياء وصعوده في أسرع من رجع الطرف ورجل مرير أي قوي ذو
مرة والمريرة العزيمة قال الشاعر

ولا أنثني من طيرة عن مريرة ... إذا الأخطب الداعي على الدوح صرصرا

قوله بظعن الظعن بفتح العين وسكونها السير وفيه قوله تعالى يوم ظعنكم
ويوم إقامتكم بالوجهين في الراحلة مما تعتاد ركابا للسفر والسفر والنشر
والنهر وفي المصباح أن الظعن بالسكون مصدر وبفتحتين اسم مصدر ويتعدى بالهمز
وبالحرف فيقال أظعنته وظعنت به وفي تفسير البحر واعلم أن الظعن سير
البادية لنجعة أو حضور ماء أو طلب مرتع وقد يقال لكل شاخص لسفر ظاعن
وهو ضد المقيم قوله أودى وبما يقال أودى فلان أي هلك فهو مود وأودى
به الموت أي ذهب به وهو هنا كناية عن شدة التعب قوله في الغسق
هو بالتحريك ظلمة أول الليل وغسق الليل يغسق من باب ضرب غسقا وغسقانا
أظلم وقوله تعالى ومن شر غاسق إذا وقب قال الحسن أي الليل إذا دخل
وأدرك ويقال أيضا النجم وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت عينه إذا امتلأت
دمعا والله أعلم.

الإعراب والتصريف قوله وهب لأبي بيص
ابن أخ هب فعل أمر محذوف الفاء لا يتصرف بل يلزم صيغة الأمر وهو ينصب مفعولين
والأول مفعوله هنا ابن أخ وثانيهما متعلق الظرف قبله ومعناه احسب واعتقد
وقوله وهنا مثلا معطوف على المفعولين قبله ومثيلها نعت لمثل وجملة ما
خلا عن نصر نعت ثان أو حال منه وعن خلا متعلقة بنصر وأو وتكتب الياء
والنصر وهنا مصدر مضاف إلى شركه وهنالك قوله فما الظعن جملتان اعلم أن
هنا بحثا أهم مما أن ذكر الكتب الزائد التي بدأ الناظم في صدر البيتين شأنه
أن تكون الجملة الثانية منه استئنافية كما تقول ظننت أن زيدا قائم وعمرا الكوفي
لم يأته فما بالك هنا حال الزاد وفر أتاه وفي النهر البحر نسمات أن الورثة فلا بد
لعمر رضي الله عنه ذهب أن أبا بكر كان رجلا من اليمن الأمر تجمعنا من أوجه

الكلام الذي لا يكاد يعرف غيره والثاني ان ياتي بالجملة الثانية المعادلة لما هي خبر بعد
ما ان لفظة ما في قوله فما الكفر نافية وليست باستفهامية البحث الثالث ان
الفاء في قوله فما الكفر يمتنع ان تكون للعطف لان الخبر لا يعطف على الانشاء
على الصحيح ويمتنع ان تكون للسببية المحضة لان ما بعدها لا يصلح ان يكون
علة لما قبلها لانك اذا قلت اعتقد ان هذه النون لها قوة وصح على التيسير
لان النساء اللاتي عليهن لا امن تمر كان غيره فلتهم وحينئذ فما تخلص من هذا
الا امرين اما ان يقال ان الفاء ان تكون عاطفة الجمل على الانشاء تبعا لمن يقول
بجوازه وهذا ضعيف او يقال وهو الصواب انه راعى في الكلام جانب المعنى
دون اللفظ لان قوله ومن لا يرى من ابن التيسير في تاويل قولك نسلم ان هذه
النون لها قوة وجلالة على مراوغة الشيء ولا نسلم ان الكفر كذلك فليس
العطف في الجملة الاولى على كل من له ولا هو مقصود من الكلام كما هو واضح
وقد قرر الزمخشري وتبعه ابن هشام في المغني نحو هذا في قوله تعالى في البقرة وبشر
الذين امنوا وعملوا الصالحات عطفا على اعتبار الكلام من اولا تكذيبه فان
قلت اذا كان الامر كما ذكرت فما بال الشيخ عطف بالفاء ولم لا عطف بالواو
قلت الفاء هنا فصيحة مؤذنة بان في الكلام شرطا محذوفا تقديره ان كانت
النون لها قوة فليست الكفر كذلك والشرط محذوف عقب العطف بالمراد كما في
المغني وان كان العطف هنا هو المراد فقط ومن هذا الباب ايضا وهو مراعاة
جانب المعنى دون اللفظ ما ذكروه في نحو علمت ازيد عندك ام عمرو قال الفراء في
هذا الكلام صورته صورة الاستفهام ومعناه الخبر انه علمه واما المعنى علمت
الذي هو عندك من هذين الرجلين واستدل له بكلام سيبويه ثم قال واعلم
ان كلام العرب ثلاثة اقسام احدها ما تبعه اللفظ للمعنى وهو الاكثر
والثاني غلبة اللفظ للمعنى نحو اكثر ان تفعل اجمعوا على جوازه ومنع الاكثرون
اكثر قيامك والمعنى واحد لاشتمال ان تفعل على المسند والمسند اليه بخلاف
قيامك والثالث غلبة المعنى للفظ نحو مسألتنا غلب فيها جانب المعنى وان كان
اللفظ استفهاما فان كلام الفراء هنا فلعله فائدة نفيس وفيه شاهد لما قررناه
والله اعلم فقوله فما الكفر ما نافية والكفر خبر مقدم وجملة في محل

ع وليس المراد به الاستفهام لانه يستحيل
الا مستفهما عنه ع

النعت للشعر وما عطف عليه من النوق والغاير على المنعوت محذوف تقديره
جملتها على حذف قوله * وما شئت من حمية بمستباح * وقوله من مرهفة مبتدا
مؤخر ومن زائدة وبالشعر يتعلق بمرهفة وجملة أوفي بها في الغصون في محل النعت
للشعر والله أعلم **البديع** في كلام الناظم منه الجناس بين طائر وطائر
وبين الحتف وحتفي وبين الشعر والشعر ويصح أن يكون كلام الناظم من النوع المسمى
بالمذهب الكلامي وهو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام فهذا الحتف
منكشف عليه وبيانه أن الغادة ربما يقال لها بأن النوق لا توفي فيما من أوصاف
السير ولا معنى للنفي عن ذلك مع أن الله تعالى ما خلقها إلا للانتفاع بها
بالحمل والسير ونحو ذلك والله تعالى قد خلق لنا من الفوة والغصن ما تتقوى به
على فعل المشاق وكبير الغيابة وقد نبه بقوله تعالى في وصفها وتحمل أثقالكم
إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس الآية على هذا المعنى ولما كانت
هذه الحجة تحتاج إلى تحرير وتفصيل عدل الناظم عنها إلى غيرها وأجاب بإظهار
الاعتذار والتسليم في الكلام على طريقة أهل الجدل وانتقل إلى حجة لا تجري فيها
الحيلة ولا يمكن فيها سوى التسليم والاعتذار وسمى هذه الزفرة التي
إذ بينت في الذوق على سبيل الإجمال لا يمكن إنكارها أن حسنها في الشعر أي النساء
المحمولات عليها إذ لا حسن لمن على قدر أو صفة السير : ولا فوق لمن على قد اشتاقه
المشقة والعناء : لا سيما إذا كن شواكب : ومن ذوات الحجاب : فمن نشأن في منبت
التكريم : ونشأن بماء النعيم : كما قال تعالى أو من ينشأ في الحلية وهو في
الخصام غير مبين ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للغلام الذي كان يسوق
بهن فيسرع بهن ومعهن أم سليم كما في الصحيح ويحك يا أنجشة رويدا سوقك
بالقوارير وكنى صلى الله عليه وسلم عن النساء بالقوارير لأنهن يشبهنها
من الزجاج لضعف بنيتهن ورقتهن ولطافتهن وهذا من الاستعارات البديعة
لأن القوارير أسرع الأشياء تكسرا فأفادت الكناية من الحض على الرفق
بالنساء في السير ما لم تفده الحقيقة لو قال ارفق بالنساء مثلا فقد بان لك
وجه اشتمال كلام الناظم على المذهب الكلامي وهو من أنواع البديع وليس
ذلك محصورا في تركيب خاص ولا في صيغة دون أخرى ومن شواهده قول النابغة

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امرأ لي جانب ... من الأرض فيه مستراد ومذهب
ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم ... أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في مدحهم لك أذنبوا

يقول لا تعاتبني على مدحي آل جفنة المحسنين إلي والمنعمين علي كما لا تعاتب قوما اصطنعتهم إليهم بمدحهم لك فكما أن مدح أولائك لا يعد ذنبا كذلك مدحي لمن أحسن إلي وأما المعنى الذي أشار إليه الناظم فكثير ومنه قول أبي الطيب

أركائب الأحباب إن الأدمعا ... تطس الخدود كما تطسن اليرمعا
فاعرفن من حملت عليكن النوى ... وامشين هونا في الأزمة خضعا

يقول إن قدر ايقاع النوق في مشيهن بمنزلة المحبوبة فإنها لينة لطيفة رقيقة لئن تقع على الأذى ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه

* *

ما رحلوا يوم بانوا البزل العيسا ... إلا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الألحاظ مالكة ... تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
إذا تمشت على صرح الزجاج ترى ... شمسا على فلك في حجر إدريسا

(أسأت للغيد وللنوق ولي * إساءة بتوبة لم تمحي)

اللغة قوله أسأت للغيد الإساءة ضد الإحسان والغيد بكسر الغين المعجمة جمع غيداء وهي المتثنية لينا والذكر أغيد والمصدر الغيد بالتحريك وهو التثني وغيد كفرح مالت عنقه ولانت أعطافه والأغيد من النبات الناعم المتثني والغادة المرأة الناعمة اللينة والشجرة الغضة المورقة والنوق جمع ناقة وقد تقدم قوله بتوبة لم تمح التوبة الرجوع وفي عرف الشرع رجوع خاص وليس هذا محل بسط الكلام على حقيقتها وأركانها وقوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة يعني أن معظم أركانها الندم كقوله عليه السلام الحج عرفة ومحو الشيء إبطاله ومحوه حتى لا يرى له أثر يقال محاه يمحوه ويمحاه محوا فانمحى وامتحى والمحوة الريح التي تذهب بالغيم ويطلق المحال الذي خلا فيه

وفي تفسير البيضاوي أن الجملتين نعتهما أن البشيء حالا بعد حال ومنه المحاورة في الملة والمة
تعالى أعلم الإعراب والتصريف قوله أسأت للغير جملة من فعل وفاعل
لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة واللغير متعلق به وعينه في الأصل مضمومة
ولكنها كسرت لتسلم الياء وللثوب وتكون علامة وواو مضمومة في الأصل
أيضا حذفت الضمة للاستثقال وبقيت الواو ساكنة واللام في المواضع الثلاث
بمعنى إلى وقوله إساءة مفعول مطلق معمول لأسأت وجملة لم تجد نعت له
وبتوبة متعلق به ويرجع عليه المعاني قوله أسأت للغير إنما يصح هذه
الجملة عما قبلها لأنها مستأنفة استئنافا بيانيا فإنه لما وقع التسليم من
الناظم للحادي في أن الثوب لها فوت وحث على السير وتحمل مشاقه على الوجه الذي
قرره له وكان الحادي سأل وقال لم بقيت إساءتي مقصورة على الغير وقد
ما جاء به بقوله أسأت للغير وللثوب وللنفس إساءة ثم قد تعرفت أن الجميع
لم تجد منفعة دون آخر ويحتمل أنها متصلة لأنها كالبدل مما قبلها فإنه لما
سلم في الكلام السابق قوله الثوب وحث على الحادي في ثمرة الإثم أنه لم يكن منه إليه
إساءة وكان الواقع في نفس الأمر بخلاف ذلك واقتضى المقام التنصيص على حصول
إساءة الحادي للثوب ولغيره مما اقتضى تشكيكه ويدفع شغبه وقد انكشف
أتى بجملة أخرى أنكر على المقصود من الأولى وأشمل منها لما تضمنته من التفصيل
والتعميم فكأنه أضرب عن الكلام الأول وأبدل هذا عنه لكونه أوفى بتمام المراد
وأبلغ في دفع الشغب والعناد. ومن هذا ما قالوه في قوله تعالى واتقوا الذي أمدكم
بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون فإن المراد من الآية الكريمة التنبيه
على نعم الله تعالى والجملة الثانية أعني قوله تعالى أمدكم بأنعام الخ أوفى بتأدية
المراد من هذا التنبيه لدلالتها على النعم بالتفصيل من غير إحالة على علم المخاطبين
والله أعلم وإنما فرع الناظم رحمه الله الغير في الذكر اعتناء بشأنه ولأن
الإثم الذي ترتب على سوء الحادي قوي بالنسبة إليه أعظم ومن أجل التنبيه على
هذا المعنى وتحقيقه عمم تعلقا بالغير الذي هو وصف يقتضي المعرفة والمضاهاة
وحسن الحال على الوجه الأكمل فعمومها تعلقه في وجه تعين الإساءة إليه مع أنه
محمولة لا حاملة ومستقرة في الهوادج لا سائرة وكأنه ذات الكيف حيث شبه

النساء في الهوادج بالنور في الزمن المسموم حيث قال

سقاك وحيانا بك الله انما * على العيس نور والخدور كمائمه

وما حاجة الاظعان حولك في الدجا * الى قمر ما واجد لك عادمه

قال الواحدي في معنى البيت الاول لما جعل ابل الركب النساء نورا او زهرا اكماما بنى على ذلك الدعاء المناسب هذا التشبيه فقال سقاك وحيانا بك الله اي سقاك الله وحيانا الله بك فان النور انما تكون نضرته وحياته بالماء وقد جرت عادة الناس لا سيما في مجلس الانس ان يحيي بعضهم بعضا بالرياحين والازهار بان يناوله شيئا منها فمعنى حيانا بك الله جمعنا الله بك على حالة مفهومة كما يكون ذلك في الرياحين وقت الانس وانما جعلهن نورا لحسنهن وصفاء لونهن وطيب رائحتهن ببعض زيادة فشبههن بالنور لان المرفوع لعد وانفصلوا انما هو عرفيته ولا يشعر النظر به عليهما في الذكر الا الغير واخر نفسه لان ذلك الذي يحاله واشترى له عند وقوع المحبوبة واخفى بمكانه من الحب والهوى وكان من حقه ان لا يصرح بنفسه ولكنه غلب عليه الشوق واشتد عليه الوله حتى افشى سره واظهر امره ولهذا مفتقر الى استدلال في لا تكون تربية جريا على عادة المحبين المولعين والعشاق المستهترين بمحبوبهم يؤثرون المحبوب اذا لم يسعهم على حال من الاحوال ويوجبون له الثواب العظيم اذا سمع لهم بالوصال ويحكمون على الرقيب بغير ذلك كله ويجعلون دم الدمع شرع الهوى وحكم الغرام حسبما هو معروف من عادتهم ومذكور في اشعارهم واخبارهم والا فليس في الشرع وامر لعبد ذنب لا تكفره التوبة قال الزمخشري في قوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الاية من الاية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب جسيم ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا هو كلامه رحمه الله واعلم انه كان من حق الناظم ان يقول لا تمحو بدل قوله لم تمحو فيعمل بلا مكان لم وذلك لان غرضه وقصده الحكم

بالذنب الشاذ وذلك كغفارة له فهو كالمحقق المحتم فيستحق حكما يغفر به في
الحال ويستغفر من قوله في المستقبل وهذا المعنى انما يعتبر لا ذو رأي لان الغفر تقع
الماضي ولا تقع المستقبل عند الجمهور فتأمله والله اعلم اهـ

ولو لم يكن في حلم الاحنف * والحنق فلم ذا تغلي
حملت راسك على شفا القتا * فروعا بي حذار الابتر

اللغة قوله ولو لم يكن في حلم الاحنف الحب والمحبة ضد الكراهة وهي
ميل النفس بفكر فيما اي ما تراه حسنة او احسانه وضدها الكراهة وهي
نفرة النفس بفكر فيما ما تراه قبيحة او ضررا وكلام السادات الصوفية
رضي الله عنهم في حقيقة المحبة ومنشئها وثمرتها طويل عريض واحسن كلام
وقع لهم فيها كلام الشيخ ابي حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب المحبة
من الاحياء فليطالع فيه وتقول احببت فلانا فهو محبوب على غير قياس ومن
يقال محب على القياس قال عنترة *

ولقد نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

وقد يقال حببته فلا ثيا احبه بفتح الهمزة وكسر الحاء فهو محبوب وعليه
قراءة ابي رجاء العطاردي فاتبعوني يحببكم الله بفتح الياء المثناة تحت
وهذا شاذ لانه لا ياتي في المضاعف يفعل بالكسر الا ويشاركه يفعل بالضم
اذا كان متعديا ما خلا هذا الحرف والحلم بالكسر الاناة والعقل تقول منه
حلم الرجل بالضم اذا صار حليما وتحلم تكلف الحلم قال الشاعر

تحلم عن الادنين واستبق ودهم * ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

وقد مر ان من يقيس الحلم ويشير به واللاحنف والحنق يأتي فيهما قوله
حملت راسك على شفا القتا كل شيء حرفه وطرفه ومنه شفا الحفرة
للاحقها والجمع الاشفا كما تقول في الناس والشفوات ايضا وشفوة علم
للعقرب لا ينصرف والقتا جمع قتاة وهي الرمح ويجمع ايضا على قنوات وقنى
كقصي على وزن فعول قوله فروعا بي التروع التخويف والافزاع يقال روعته
فارتاع اي افزعته ففزع وتروع تفزع وحذار الابتر تقدم الكلام عليه
الاعراب والتصريف قوله ولو لم يكن جملة مستانفة ولو حرف شرط

بأن عُلِّقَ امتناع شيء لامتناع غيره ويكن مضارع كان هنا فهو مجزوم بلم مجزوم الفعل وقلبت اسمهما وذا تعلق خبرهما ويجب علم ما عنه يتعلق به وفيه تقديم معمول المضاف عليه ويجاب بأنه يتوسع في الظروف والمجرورات ما لا يتوسع في غيرها أو يجاب بأن المصدر هنا ليس في تأويل حرف مصدري وصلته حتى يمتنع التقديم إذ ليس المعنى على تجدد التعلق وحدوثه بعد أن لم يكن وإنما المعنى أن ذلك سجية له وخلق وغريزة فإن قلت إذا كان المصدر لا يؤول بالموصول والصلة لم يعمل قلت ذلك بالنسبة إلى غير الظروف والمجرور وأما فيهما فيكفيهما رائحة الفعل وأتى بما عنه مجردة من اللام لأنها فيه للنفي الصفة بذكرها معه وحذفها سيان وسكّن ياء النسب من المنفي للضرورة وهي ضرورة حسنة تستعمل في الفصيح من الكلام والمنفي بكسر الميم وفتح الفاء وسيأتي بيان المنسوب إليه وجملة حملت رأسه جواب الشرط وألف الشبا والقنا كلتاهما منقلبة عن واو ويكتبان بالألف وإنما قال أشبا القنا بالجمع فيهما قصد المبالغة في التهويل كقوله

أو عزّني بالسيف والله راحم ¤ رجلا ورجلي شثنة المناسم

فكأنه قال لولا أني مجبول على العلم والتعلق به لحملت رأسي على رؤوس الرماح وقوله مروّعا به حال من فاعل حملت وهو اسم مفعول لاعتماده على صاحب الحال والله أعلم علم البديع في كلام الناظم منه حسن التعليل وهو أن يدعي الشاعر لوصف من الأوصاف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي كقوله

ما به قتل أعاديه ولكن ¤ يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

فإن قتل الأعداء إنما يكون في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره هذا الشاعر من أن طبيعة الكرم قد غلبت على الممدوح ومحبته صدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعاديه وهذا المعنى موجود في كلام الناظم فإن نفيه من قتل الأعداء وحمل رأسه على رؤوس الرماح إنما هو لكونه لا قدرة له عليه لا لما ذكره من أن طبيعة العلم قد غلبت عليه حتى منعته من تناوله بالمرة والقتل لا يمكنه إلا بعده في هذا الأسلوب لما فيه من النكتة الحسنة فلله دره ما أبلغه وأعلى همته

وفي كلامه أيضا حسن الابتداع وموازنة تزين الشاعر إذا معنى اخترعه الغير فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحقه بوجه من الوجوه الزائدة التي توجب للمتأخر استحقاقه ومعنى المخترع إما باختصار لفظه أو قصر وزن أو عذوبة لفظ أو تمكين قافية أو تتميم نقص أو تحلية بضرب من البديع أو نحو ذلك كاتباع أبي نواس جريرا في قوله

إذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

فنقل أبو نواس المعنى من الفخر إلى المدح بقوله *

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

فزاد على جرير قصر الوزن وحسن السبك وإخراج الكلام من الكثرة إلى التعبير وأيضا فإن ذكر العالم في بيت أبي نواس أعم من ذكر الناس في بيت جرير وبيان حسن الاتباع في كلام الناظم من أنه عمد إلى معنى استعمله مسلم بن الوليد في مدحه ليزيد بن مزيد الشيباني فقال * يكسو السيوف نفوس الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل *

فنقله الناظم من المدح إلى التغزل الذي هو الثوب به وزاد له اللطافة باختصار اللفظ وحسن السبك والتصريح باشتمال عارضه من الرماح الذي هو النوع بالخلع من خلعها تيجانا لها ولم يكن فيه استعارة ثم تمم هذا المعنى بذكر البلاغة على حمل الرأس فوق الرماح وهو الترويع للأمثال. والتشبيه يزيد لمن خلقه من أشكاله. فجاء في ذلك من الغرابة والرشاقة وحسن السبك وجودة الرصف وبلاغة المعنى ما لا مزيد عليه حتى إن من سمع قوله مروعة به عد الآتي تكلم من وضع فيه دونه فلا كان أفصح لسانه وأعذبه. وأحلى شعره وأغربه.

ذكر الأحنف والمنقري وحلمهما

أما المنقري فهو أبو علي قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس واسمه الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي ثم السعدي ثم المنقري قال أبو الفرج الأصبهاني هو شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات مظفر في غزواته أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية وأسلم فحسن إسلامه ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه في حياته وعمر بعده زمانا وروى عنه عدة أحاديث وقال أبو عمر بن عبد البر قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وذلك

في سنة تسع فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هذا سيد اهل الوبر وكان عاقلا حليما مشهورا بالحلم قيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم المنقري وكان رجلا له قال رايته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه حتى اتي برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له هذا ابن اخيك قتل ابنك قال فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما اتمه التفت الى ابن اخيه فقال له يا ابن اخي بيسما فعلت عصيت ربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له آخر قم يا بني فوار اخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى امك مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة وبعضهم يزيد في هذه القصة ان قيسا لما رآه ولده قتيلا تمثل بقول الاعرابية التي قتل اخوها ابنها فقال

اقول للنفس تاساء وتعزية * احدى يدي اصابتني ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

وقول قيس رضي الله عنه لابن اخيه ورميت نفسك بسهمك ماخوذ من قول الشاعر

قومي هم قتلوا اميم اخي * فاذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمي

وبعضهم يقول ان الذي قتل ابن قيس كان اخاه اي اخا قيس وليس بصحيح وانما سري اليه الوهم من البيتين الذين تمثل بهما فظن انهما له وليس كذلك واعلم ان محل الاحتجاج لقيس واستشهاد كم منقبته في الحلم من هذه القصة هو انه تم جميع هذا الامر العظيم لم يحلل حبوته ولا قطع كلامه واما جرع اجزاء بالقصاص من ابن اخيه فليس له فيه كبير فضل وان كان له فيه خصوصية بدليل الشعر الذي انشد له آنفا بانه اذا افتخر من فريته فقد جمع على نفسه مصيبتين والى هذه المنقبة العظيمة اشار ابو تمام في بعض مراثيه بقوله

وجه قيس بالحلية في ابنه * فلم تبغ وجه قيس بن عاصم

ولقيس رضي الله عنه منقبة اخرى في الحلم ذكرها الشيخ ابو حامد الغزالي في كتاب آداب الصحبة والمعاشرة من الاحياء قال رحمه الله قيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل له فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادم له بسفود عليه شواء حار فسقط السفود من

برما

يرمينا على ابن له بعقوة فمات من مشيتنا الجارية فقال قيس لبنيه يسكن روع هذه
الجارية وابن العتق فقال لها انت حرة لا باس عليك وعن الهيثم بن عدي قال كان
قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فما بغى قوم قط الا قلوا وذلوا فكان
بعض بنيه يلطمه الرجل من قومه او غيرهم فينهى اخوته عن ان ينصروه واخبار
قيس بن عاصم واشعاره وحكمه ووصاياه كثيرة فمنها ما حدث به ابن الكلبي
عن ابيه قال كان بين قيس بن عاصم وعبدة بن الطبيب الشاعر ملاحاة فهجره
قيس ثم تحمل عبدة دما في قومه فخرج يسأل فيها تحملة فجمع ابلا ومر به قيس
ابن عاصم وهو يسأل في تمام الدية فقال فيم يسأل عبدة فأخبر فساق اليه الدية
كاملة من ماله وقال قولوا له ليستعين بما كان اليه وليسق هذه الى الحق فقال
عبدة اما والله لولا ان يكون ظلمي اياه بعقب هذا الفعل عارا علي لما قبلته
ولكنني انصرف الى قومي ثم اعود فامدحه ومضى بالابل ثم عاد من حينه فيما
قد مات رحمه الله فوقف على قبره وانشأ يقول *

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء ان يترحما
تحية من اوليته منك نعمة ... اذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

قول قال الجاحظ كان من ادركنا من اهل المعرفة بالشعر يقول ان عبدة بن الطبيب
فما كان قيس هلكه هلك واحد ارثى بيت قالته العرب ومما يتعلق بالبيتين
اللذين انشدناهما لقيس بن عاصم ما ذكره ابن خلكان قال كان لابي القاسم هبة الله
ابن الفضل المعروف بابن القطان البغدادي الشاعر المشهور مع ابي الفوارس
سعد بن محمد التميمي الشاعر المعروف بحيص بيص ماجريات منها ان الحيص بيص
خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين ابي الحسن علي بن طراد الزينبي فنبح عليه جرو
كلب وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فقتله فبلغ ذلك ابن الفضل
المذكور فنظم ابياتا وضمنها البيتين المذكورين وكتبها في رقعة وعلقها في عنق
كلبة لها جراء ورتب معها من يطردها حتى اوصلها الى باب الوزير كالمستغيثة
فاخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوزير فاذا فيها *

يا اهل بغداد ان الحيص بيص اتى * بفعلة اكسبته الخزي في البلد

هو الجبان الذي أبدى شجاعته | على جريح ضعيف البأس والجلد
وليس في بدنه ما أدريه به | ولم يكن بدواء عنه في القود
فانبسطت جعدة من بعد ما احتبست | دمع الأباطيل عن الزاهر النضر
أقول للنفس تأساء وتعزية | إحدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه | هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

والبيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم

قوم إذا ما جنى جانيهم أمنوا | من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

قال ابن خلكان وهذا التضمين في غاية الحسن ولم أسمع بمثله مع كثرة ما يستعمل الشعراء مثل ذلك **وأما الأحنف** فهو أبو بحر الضحاك وقيل صخر بن قيس ابن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاعس وبقية النسب تقدم في ترجمة قيس بن عاصم التميمي ثم السعدي وهو الذي يضرب به المثل في الحلم والأحنف لقب له لأنه كان أحنف الرجلين وهو أن تقبل إحدى الرجلين بإبهامها على الأخرى وكانت أمه ترقصه وهو صغير فتقول

والله لولا حنف في رجله | ما كان في فتيانكم من مثله

قال عبد الملك بن عمير قدم علينا الأحنف الكوفة مع مصعب بن الزبير فما رأيت خصلة تذم إلا رأيتها فيه كان ضئيلا صعل الرأس متراكب الأسنان مائل الذقن غائر العينين وكان إذا تكلم جلى عن نفسه وكان من سادات التابعين رضي الله عنهم أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد الفتوح واستوطن البصرة ووفد على عمر رضي الله عنه المدينة فعرف منزلته وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده إلى الأحنف بن قيس قال بينا أنا أطوف بالبيت في زمان عثمان رضي الله عنه إذ جاء رجل من بني ليث فأخذ بيدي فقال ألا أبشرك فقلت بلى فقال أما تذكر إذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومك بني سعد فجعلت أعرض عليهم الإسلام وأدعوهم إليه فقلت أنت إنه ليدعوهم إلى خير وما أسمع إلا حسنا فبلغت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للأحنف فقال الأحنف هذا من أرجى عمل عندي وكان الأحنف سيد قومه موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم روى عن عمر وعثمان وعلي رضي

الله

الله عنهم وروى عنه الحسن البصري واهل البصرة وشهد مع علي رضي الله عنه
وقعة صفين ولم يشهد وقعة الجمل فتلقاها مع احد وكان رئيسا مطاعا في قومه حتى
كان اذا غضب سل لغضبه مائة الف سيف من بني تميم لا يدرون فيم غضب وقيل
له بم سدت فقال لو ان الناس كرهوا الماء ما شربته وقال كنا نختلف الى
قيس بن عاصم نتعلم منه الحلم كما يختلف القراء الى العلماء ليتعلموا منه العلم
وخلا به رجل يسبه سبا قبيحا فقام الاحنف والرجل يتبعه فلما دخل الى قومه وقف
وقال يا اخي ان كان بقي من قولك فضلة فقلها الان لئلا يسمعك قومي فتؤذى وقال
له رجل والله لاشتمنك شتما يدخل معك في قبرك فقال الا في قبرك والله يدخل لا في قبري
واشرف عليه رجل وهو يعالج قدرا له يطبخها فقال الرجل

وقدر ككف القرد لا مستعيرها   يعار ولا من ياتها يتدسم

فقيل ذلك للاحنف فقال يرحمه الله لو شاء لقال احسن من هذا وقال ما احب ان لي
بنصيبي من الذل حمر النعم فقيل له انت اعز العرب فقال ان الناس يرون الحلم ذلا
وكان يقول رب غيظ تجرعته مخافة ما هو اشد منه وكان يقول من لم يصبر على
كلمة سمع كلمات وقال ثلاث خصال ما اقولهن الا ليعتبر معتبر ما دخلت بين
اثنين قط حتى يدخلاني بينهما ولا اتيت باب احد من هؤلاء يعني الملوك ما لم ادع
اليه وما حللت حبوتي الى ما يقوم الناس اليه وقال ما رددت عن حاجة قط
فقيل له ولم ذلك فقال لاني لا اطلب المحال وحكمه ومحاسنه كثيرة قال الجاحظ
قد ذكروا في الاشعار حلم لقمان بن عاد ولقيم بن لقمان وذكروا قيس بن عاصم ومعاوية
ابن ابي سفيان ورجالا كثيرين فما راينا مثل الاسم التزق بالحلم والتحم بالانسان وتمكن
على الالسنة كما راينا له نفسا للاحنف بن قيس ثم كان مع ذلك رئيسا في الكثير له
العسكر ولم يزل حاله عند الجماعة والعامة وعند السلاح والقتال وعند الخلفاء
الراشدين والملوك المتغلبين ولا حاله في حياته ولا بعد مماته الا مستويا ويمنع
ان يكون قد سبقت له من النبي صلى الله عليه وسلم دعوة وقال المبرد في الكامل
وقد عرضت على الاحنف سقطة في هذا الباب يعني باب الحلم وهي ان عمرو بن الاهتم
دس اليه رجلا ليسفهه فقال له يا ابا بحر ما كان ابوك في قومه فقال كان من وسطهم
لم يسدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانية ففطن الاحنف انه من قبل عمرو

ويقال ما كان زياد أبيت قال كانت له حرمة يمنع منها ويقري الضيفان ومن بكر أمتهم صلاحا
قلت وكذاك كان وكانت له سقطات غير مرة منها أنه أتاه رجل فلكمه فقال له لم
لكمتني قال جعل لي جعل على أن ألكم سيد بني تميم فقال الشقي بسيدهم وإنما سيدهم
حارثة بن قدامة فمضى الرجل إليه فلكمه فقطع يده فقال الناس إنما قطع يده الأحنف
وعلى كل حال فقد كان سيدا جليلا وسريا نبيلا وكانت وفاته بالكوفة سنة تسع
وستين من الهجرة وخرج مصعب بن الزبير في جنازته بغير إزار وهو أول أمير صنع
ذلك في جنازة كبير رحم الله الجميع بمنه *

(ويسرو بلا نعم عرقوب ولا * أمر حذوتك ولا تذر نبو)

اللغة قوله بلا نعم عرقوب مورد مثل على الخلف وأصله المثل السائر وهو
قولهم في الزعماء للخلف بالمواعيد وتحقيقه نعم عرقوب فالعرقوب النبات والشاذ قاله
الشيباني وقال غيره العرقوب هنا الذكر قال الراجز *

جارية ذات حر كالنوب ... ملمكم تستره بعرقوب
يشفي غليل الغزب المغلوب ... يا ليتني أوثبت فيه عرقوب

قوله كالنوب أي كالسنام وقوله تستره بعرقوب هو مرشح شبه الإزار والبلو
انجابي وعلى ذكر العرقوب فقد قال أبو عبد الله محمد بن داود رحمه الله

يؤمل طالب الدنيا أمورا ... يخيب بها لعمرك مثل عرقوب
يعد لزاده أشراكا وهما ... يعد إذا أتى برشوة عرقوب
أيطمع أن يصير به دليلا ... وقد نصب الشراك لأي عرقوب
ولو رزق القناعة كان حرا ... وكان كعاد منها رغم عرقوب
وإن قنعته مكتسل العوب ... فإن الطمع يرفع شر عرقوب
وما الإنسان في الدنيا وإن تم ... يعاجله الردى إلا كعرقوب

فعرقوب في البيت الأول هو عرقوب بن معلم الشيباني في الزي يقال فيه لاحر بوادي عرقوب
وهو قائل ومنها له عرقوب بن معلم داخ وهو صاحب عبد الله بن كامل الخزاعي
أحد قواد المأمون العباسي وفي البيت الثاني الحبل والنجم وأما عرقوب في الثالث
فمن أجزاء الفرس وفي الرابع بنت كعيب الراجحة وبه سمي الرجل وفي الخامس الذكر بمعنى
الذل والكذب وفي السادس الضيق قوله ولا أمر حذوتك الأمر هنا الخزي

يقال أمن كفرح أمنا وأمانا وأمنة فهو آمن وأمين كأمير وأمن ككتف وهذا أيضا
دعاء على المعاند وهو مستعمل في كلامهم جار مجرى المثل وكان كليب بن ربيعة
الوائلي الذي ذكرنا قد مر يوما بقبرة باضت في حماه فلما رأته رفرفت بجناحيها
وصرصرت فقال لها أمن روعك أنت في ذمتي ثم أنشأ يقول

يا لك من قبرة بمعمر ❊ خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري ❊

وفي المقامة التبريزية ان القاضي قال ان في زيد تيها لك انتزر في البيطاخ : وتستفرغ
حيث لا افراغ : اعزب عني لا نعم عوفك : ولا امن خوفك : فقوله وكان تزدنفو
يقال ازدنفو الرجل اذا تقدم واسرع او تملج فهو قد ازدنفو ومرة زدنفا كسفرجل
ويقال ذلنقفا بالقاف بدل الفاء اي مر سريعا قاله المجد والله اعلم المعنى
اشتمل البيت على اربع جمل اما الاولى وهي قوله فبسو ولفاء فيها للسببية
المحضة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر قال ابن هشام وقد تكلم على فاء السببية
المحضة ما نصه ويجب عندي ان يحمل على ذلك مثل انا اعطيناك الكوثر فصل لربك
وانحر ان شانئك هو الأبتر اذ لا يحسن عطف الإنشاء على الخبر ولا العكس ولا يحسن
استئنافهما فيشمل ذلك على زيادة تمامه فان قلت السببية في الآية كما مر لان
الأمر بالصلاة والنحر يحسن ترتبه على كرامة الله تعالى لنبيه عليه السلام
بالكوثر ولا كذلك ما هنا اذ لا معنى لتسبب الأمر بالسرور على التحذير ثم ترتبه عليه
قلت الأمر هنا ليس على حقيقته التي هي طلب الفعل على سبيل الاستعلاء وانما
هو تحذير لانها بصيغة افعل اذا استعملت في مقام يقتضي عدم الرضى
بالمأمور كانت للتحذير كما هنا وكما في قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون
بصير فان قلت اذا كان المقصود من الأمر هو التحذير فلم لا يجوز ان يراعى جانب
المعنى دون اللفظ وتكون الفاء عاطفة قلت مراعاة جانب المعنى دون
اللفظ قليل بالنسبة الى العكس ولا ضرورة تدعو اليه هنا والدور والتسلسل
عليه ويحتمل الجواز والله اعلم واما الجملة الثانية والثالثة اعني قوله
فلا نعم عوفك ولا امن خوفك فهما معترضتان بين الجملتين المتعاطفتين في عجز
البيت وصدره والفاء الداخلة عليهما اعتراضية وفيهما معنى التسبيب

لأن ما قبلها ومنه السهو علة لما بعدها ومنه الرضا بالمكروه وتحتمل الفاء
الزيادة بأن المعنى لا يختل بدونها وتفرعت عبارة الحريري أعزب عني للأنس بوقت
ومنه ما أملاه من إملاء اللسان وشاعر فصيح وهو يفتخر به في هذا الفن وقد أثبت هذه
الفقرة غير من يفتخر به من الأدباء فإن العماد الكاتب الأصبهاني للقاضي
الفاضل البيساني وقد ركب من شاء سر فلا كبا بك الفرس فأجابه القاضي الفاضل
بقوله دام علا العماد وهذا الكلام الذي جرى بين هذين الفاضلين من البديع
المسمى بالقلب وبعضهم يسميه ما لا يستحيل بالانعكاس وهو أن يكون الكلام
بحيث لو عكسته وبدأت بحرفه الأخير ثم الذي قبله إلى الأول كان الحاصل هو هذا
الكلام بعينه وأما الجملة الثالثة فهي معطوفة على التي قبلها لما بينهما من
التوسط بين الكمالين وأما الرابعة فهي قوله ولا تزرنهم فهي معطوفة على
جملة بشؤون البيت وما بينهما اعتراض كما مر والله أعلم **البيان** إسناد
فعل النعمة إلى العوام وفعل الأمر إلى الجنود كلاهما من المجاز في الإسناد المسمى
بالمجاز العقلي إذ الناعم والآمر صاحبهما لا هما ونظيره قولهم جد جده وقوله
تعالى فهو في عيشة راضية وأما الراضي صاحبها **البديع** في كلام الناظم
الجناس المضارع بين العوام والجنود إذ لم يتفقا إلا في حرف واحد وهو الأول
من كل منهما ومع ذلك فالحرفان متقاربان في المخرج وما كان بهذه المثابة فهو
الجناس المضارع ومنه قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله صلى
الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير وقول الحريري بيني وبين كني
ليل دامس وطريق طامس وفي كلام الناظم أيضا التشطير وهو أن يجزئ الشاعر
أجزاء البيت فيجعله أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت
كقول مروان بن أبي حفصة

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا — أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

قال ابن أبي الإصبع ما خالف قافية البيت من أسجاع التشطير إنما تكون
القافية كالسجع والأجزاء المسجعة بمنزلة حشو الفقرة لأن السجع يجمع حشو الفقرة
ولا يخفى وجود هذا المعنى في كلام الناظم بل بيته أحسن من بيت مروان المستشهد به
فإن مروان إنما راعى الموازنة بين الفواصل الثلاثة والناظم راعاها بين حروف التقفية

الثلاثة وبين الكلم المتخللة لها مع ما انضم الى ذلك من جزالة اللفظ وحسن
السبك وقصر الوزن وفوق كل ذي علم عليم

(ودع يسرق بعضها بعضا بقدر * ذا ولو جئنا بوجه غير هين)

اللغة قوله ودع معناه اترك قال في المصباح ودعته ادعه ودعا تركته واصل المضارع الكسر ومن ثم حذفت الواو ثم فتح لمكان حرف الحلق قال بعض المتقدمين وزعمت النحاة ان العرب اماتت ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل وقد قرأ مجاهد وعروة ومقاتل وابن ابي عبلة ويزيد النحوي زاد المجد ومن قراءته صلى الله عليه وسلم ما ودعك بالتخفيف وفي الحديث لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات اي تركهم فقد رويت هذه الكلمة عن افصح العرب ونقلت من طريق القراء فكيف تكون اماتة وقد جاء الماضي في بعض الاشعار وما هذه سبيله فيجوز القول بقلة الاستعمال ولا يجوز القول بالاماتة وقال في الصحاح وربما جاء في ضرورة الشعر ودعه فهو مودوع على اصله قال

ليت شعري عن خليلي ما الذي * غاله في الحب حتى ودعه

وقال خفاف بن ندبة

اذا ما استحمت ارضه من سمائه * جرى وهو مودوع وواعد مصدق

اي متروك لا يضرب ولا يزجر قوله يسرق بعضها بعضا السرق تقدم والبعض الطائفة من الشيء والجزء منه يقع على القليل والكثير والنصف فالثمانية بعض من العشرة وكذلك الخمسة والثلاثة قال ثعلب اجمع اهل النحو على ان البعض شيء من شيء او من اشياء وهذا يتناول ما فوق النصف كالثمانية فانه يصدق عليها انها شيء من العشرة كذا في المصباح ويشهد له قول الشاعر

داينت اروى والديون تقضى * فمطلت بعضا وادت بعضا

وفي شرح المرادي على الخلاصة ما نصه وعن الكسائي وهشام ان بعض الشيء لا يقع الا على ما دون نصفه ولذلك منعا ان يقال بعض الرجلين لك اي احدهما الخ واما قول الشاعر * لنعم البيت بيت ابي دثار * اذا ما خاف بعض القوم بعضا فلا يرد والمراد بالكلة التي يتقى بها البعوض وتسمى في عرف المغاربة بالناموسية نسبة الى الناموس الذي هو البعوض وبعض هنا معناه الطائفة من القوم

والبعض الذي عض البعوض يقال بعضته البعوض بعضا اذا عضته واصل
البعض القطع ومنه اشتق البعض الذي هو الجزء والبعوض فانه في الكثرة
ويقلل به القطع والعض وسمي ايضا بمعنى القطع قوله فقرئنا ولوجها
الدخول الغريب والولوج الدخول وهو الشيء في غيره يلج من باب وعد ولوجا دخل
فيه واولجته ايلاجا ادخلته وقوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل اي يزيد من هذا في ذاك ومن ذاك في هذا والوليجة بطانة الرجل وخاصته من الرجال
قوله بوعر فيهما الوعر الصعب وزنا ومعنى ومنه جبل وعر ومطلب وعر ضد السهل
وقد وعر المكان ككرم وفرح ووعد وعرا ووعورا ووعورة صعب مسلكه واوعر
القوم اذا وقعوا في وعر والضيق ضد السعة يقال ضاق الامر ضيقا كباع بيعا
والاسم الضيق بالكسر وقرئ قوله تعالى في ضيق مما يمكرون بالوجهين فهو ضيق كسيد
ويجوز تخفيفه كما في ميت وليس ونحوهما وهذا اعم من ضائق اذا اريد به الثبوت فاذا
اريد الحدوث قلت ضائقا كقوله في التنزيل وضائق به صدرك والله اعلم الاعراب
والتصريف قوله ودع جملة معطوفة على جملة سوف البيت قبله والفعل
مجزوم بالطلب وقد تقدم الكلام على تصريفه ومفعوله محذوف تقديره ودع السوق
فان قلت امر بالسوق ومعنى الحث امر بتركه هنا وهذا تناقض قلت المامور
بفعله سوق مكمل والمامور بتركه سوق مغير بدليل قوله فقرئنا ولوجها في
فلا تناقض بين مكمل ومغير وايضا فالامر بالسوق ليس امرا حقيقيا وانما
هو تمرين كما مر وقوله يسوق بعضها بعضا جملة مستانفة ولو جزم الفعل
في جواب الامر لصح وقرئ قوله تعالى فذروها تاكل في ارض الله بجزم تاكل على
انه جواب الامر ورفعه على الاستئناف او على انه حال وهي قراءة الكافة ذكره
ابن عطية ومثل عبارة الناظم قول الشاعر

وقال رائدهم ارسوا نزاولها * فكل حتف امرئ يجري بمقدار

فقوله نزاولها مرفوع على الاستئناف لان الغرض منه تعليل الارساء بالمزاولة
فكانه يقول ارسوا لاجل ان نزاولها وكذا قول الناظم ودع يسوق بعضها بعضا
اي اترك السوق لاجل ان يسوق بعضها بعضا في الحكاية وعرف الكل يعقب
وسوق بعضها بعضا كناية عن كونها متتابعة يعقب اخرها اولها

في ذلك أن يؤتى بها بدلا فما لو جمعهما الجاد وتوقى سوقهما بنفسه في الكلام
الوعر فإنهما تزدحم ويركب بعضهما بعضا من جهة ما ملكت أو عكست ثم الغرض
الأعظم للشاعر هو ترك السرو بالكلية إذ أنه لما علم من حال الجواد أنه
قد يشاح عليه تعلل له بأنه قد شارف الزحول في الوعر وشح له بفضل الجري
وقوله مفردا ولو جمعا في جملة مستأنفة والفاء سببية علة لمقدر كأنه قيل
ولم اخترت أن يسير بعضهما بعضا فقال لأنه مفردا ولو جمعا وقوله من عمر
يتعلق بالنوح وفاؤه لمزوجية ومن نعت لمحذوف أي بكاء وقوله غير نعت بعد
نعت وقد اشتمل بهذا الاعتراض على ما يحتاج إليه البيت من نكت المعاني وهي
التنبيه على ما فيه من المبالغة في التحزن حيث حزن مفعول لأجله ومنعوت وهي معلول
قوله مفردا ولو جمعا وفي إتيانه بغير بعد من عمر من الإيغال وهو من نكت الاكتفاء
وبعضهم يلحقه بالتذييل وحقيقته أن يختم الشاعر البيت بما يفيد نكتة يتم
المعنى بدونها كزيادة المبالغة في قول الخنساء *

وإن صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

فقولها كأنه علم واف بالمقصود أعني التشبيه بما يهتدى به إلا أن في قولها
في رأسه نار زيادة المبالغة وكذا قول الشاعر مفردا ولو جمعا من عمر كاف في
المقصود من التنبيه على معرفة البكاء الذي شارفت الرحول فيه ثم لم يكتف
الشاعر بذلك حتى زاد قوله غير منكر القافية أي تكثيرا أو غلوا في المعنى أن نقصه
بها الوزن عليه وقد حكي عن الأصمعي أنه سئل عن أشعر الناس فقال الذي يأتي
إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا أو ينقضي كلامه قبل القافية فإن احتاج
إليها أفاد معنى زائدا فقيل له نحو من فقال نحو الفاتح لأبواب المعاني ومثل
امرئ القيس حيث قال *

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

ومثله قول زهير *

كأن فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

فكلام امرئ القيس تم عند قوله الجزع وزيادة المعنى في قوله الذي لم يثقب
وكلام زهير تم عند قوله حب الفنا وزيادة المعنى في قوله لم يحطم ويثبت

الناظم لا يفهم من ابيات مولاه البحتري او من الا يقال الذي يقضي من حسنه وبدائع عقده العجب فانظر للعلامة اللغوي ابي بكر ابن القوطية الاندلسي من ابيات رائقة يصف فيها الورد والسوسن فقال وابدع

فمن فاسقيهما على الورد الذي نعما * وفاخر السوسن الغض الذي فيهما
كانما ارتضعا خلفي سما فما * فارضعت لبنا من اود الدهما
فشمام من كعنبر الكافورة الذفر * عن العقيق احمرارا اذا وما كلما
كان ذا الكلية نفثت بعنبرة * وذا اتى عن غزالة العبير قد لثما
اولا فذا انابيب اللجين وذا * حمر الغمام كسته الريح فافهم ما

فانظر اذا فاجتمع بعد البيتين الاخيرين من الابداع البديع تر العجب والله الفاتح ثم اعلم ان في قول الناظم فزدنا ولوجهنا فيه اشارة دقيقة ورمزا لطيفا الى انه فرغ ارب الخروج من الموضوع الذي كان فيه وهو فضاحة الجلاد في شان النور وعزم على الدخول في موضوع اخر وهو ذكر المحبوبة التي هي المقصود بالذات ووصفها بما سبق من الصفات :: واكثر هذا المعنى فهذا كذا يعقر من كونه يخفى ان الجلاد وفي ذلك نوع من حكم منزلة الجلاد عند ذوق المحبوبة والغض عن يده اذ منزلة الرا ابد اخفض لن عمي من منزلة الجلاد بلا نزاع واذا كان كذلك فلم تبق فائدة فيما فيه الجلاد والاشتغال فيها ورثه ومنازعته اذ الناظم قد ظفر بالمقصود او كاد :: حيث صار للمحبوبة من اكبر الادلة والرواد :: وهذا المعنى الذي اتفق للناظم هنا اخذ فهذا كذا في حسن التخلص الذي هو ان ينتقل من فن الى فن اخر مع رعاية المناسبة وهذا اخف من الذي اتفق للناظم بان يسمى براعة التخلص وهذا كما ذكروا في حسن الابتداء وبراعة الاستهلال بان الاول يشترط فيه ان يكون عذب اللفظ حسن السبك صحيح المعنى والثاني يشترط فيه ذلك ويزيد بكونه مشعرا بالمقصود فاعلم ذلك فانه دقيق وفي ارتباط الكلام في هذا البيت بعضه ببعض فلم تر ان نفصله واعتذب سهلة والله الموفق ولنتحرز واذا فانتهى

ذو حيرة بمهمات الكاسر * ...
ان غرت علقتها والزينا * جمعته من ذهب وورق
او هربت او ردتها من دمعي * نهر الابلة ونهر جليق

اللغة قوله ولتتخذني رائدا الاتخاذ التناول والاقتناء ونحوهما وقد يرد
للتصيير فمن الاول قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه ومن الثاني قوله
تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا اي صيره خليلا ومنه ما مثلنا واعلم ان الاتخاذ
وما يتصرف منه فاؤه تاء اصلية افتعال من تخذ يتخذ كعلم يعلم بمعنى
اخذ وقرئ قوله تعالى لتخذت عليه اجرا بالتخفيف اعني ثلاثيا ومن يرى انه افتعل
ثم ادغمت احدى التاءين في الاخرى فقال ابن الاثير وليس الاتخاذ من الاخذ
في شيء فان الافتعال من الاخذ ائتخذ لان فاءه همزة والهمزة لا تدغم في التاء
خلافا لقول الجوهري الاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة
وابدال الياء تاء ثم لما كثر استعماله بلفظ الافتعال توهموا اصالة التاء
فبنوا منه فعل يفعل وقال اهل العربية على خلافه والرائد المرسل في طلب الكلأ
يقال راد فلان الكلأ يروده رودا وريادا وارتاده ارتيادا اذا طلبه وفي قولهم في
المثل لا يكذب الرائد اهله اي انه وان كان كاذبا فينبغي له ان لا يكذبهم فانه
ربما اهلكهم واما الكلأ الذي يطلبه الرائد فهو العشب التي ترعى وذكر ابن
خلكان ان ابا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات وزير الخليفة المعتصم بالله كان في اول
امره من جملة الكتاب وكان احمد بن عمار بن شادي البصري وزير المعتصم فورد على المعتصم
كتاب من بعض العمال فقرأه الوزير عليه وكان في الكتاب ذكر الكلأ فقال له المعتصم
ما الكلأ فقال لا اعلم وكان قليل المعرفة بالادب فقال المعتصم خليفة امي ووزير
عامي وكان هو ضعيف الكتابة ثم قال انظروا من بالباب من الكتاب فوجدوا محمد
ابن عبد الملك الزيات فادخلوه عليه فقال له ما الكلأ فقال الكلأ العشب
على الاطلاق فان كان رطبا فهو الخلا فاذا يبس فهو الحشيش وشرع في تقسيم
انواع النبات فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده قوله فانني
ذو خبرة الخبر بالضم والخبرة بالكسر العلم واصله الامتحان ثم اطلق على
العلم لكونه ناشئا عنه يقال خبرت الشيء اخبره خبرا بالضم اذا بلوته
كاختبرته اختبارا فالاسم الخبرة بالكسر قوله بمبهمات الكلأ اي مغلقاتها
من قولهم ابهمت الباب اذا اغلقته والخبر اذا كتمته واستبهم الامر اشتبه
والكلام استعجم فلم يفهم والكمء جمع كمأة وهي معروفة تذكر في لغة نجد وتؤنث

وتؤنث في لغة الحجاز ومثله الطريق والسبيل والصراط والسوق ومن التذكير قوله
تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا قوله إن غرثت الغرث بالتحريك الجوع
وقد غرث بالكسر يغرث فهو غرثان من قوم غرثى وغراثى بكسر الثاء وبضمها مثل
حبالى وسكارى وامرأة غرثى ونسوة غراث وامرأة غرثى الوشاح دقيقة الخصر لا يملأ
وشاحها ويكنى به غرثان قوله علفتها والعلف مصدر يقال علفت الدابة أعلفها علفا من باب
ضرب إذا أطعمت البهيمة ما تعلفه من تبن وشعير ونحوهما واسم ذلك المعلوف علف
بالتحريك والجمع أعلاف وعلاف وعلوفة وقول الشاعر

علفتها تبنا وماء باردا ... حتى شتت همالة عيناها

يريد وسقيتها ماء قوله من ذهب وورق الذهب معروف والورق بكسر الراء وتسكن
تخفيفا الفضة المضروبة والرقة قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه بالوجهين
ويقال في الورق رقة كعدة والهاء عوض من الواو وتجمع على رقين كسنين ومنه المثل
إن الرقين تغطي أفن الأفين أي إن المال يستر عيوب الرجال ويحليهم بحلية
الكمال قوله أو صريت الصرى بفتح الصاد مقصورا العطش وقد صري يصرى صرى
من باب فرح فهو صر وصري وصريان وامرأة صريا وقوم صراة مثل [illegible]
ومعنى قوله أورده هنا الإيراد هو إتيان الماء وسواء ذلك الإبل وغيرهما من الحيوان
والورد ضد الصدر وهو من المشارب في الماء والوارد الذي يرد الماء خلاف الذي يصدر وورد البعير
الماء ورودا والاسم الورد بالكسر والمورد موضع الورود والإبل وحلول يأتي
الكلام عليهما **الإعراب والتصريف** قوله ولتمرن زائرا جملة معطوفة
على جملة دع في البيت قبله واللام لام الأمر ودخولها على فعل المخاطب المبني للفاعل
كما هنا قليل استغناء عنها بصيغة افعل قالوا ومنه لغة ردية وقال الزجاج
إنها جيدة ومن دخولها عليه قراءة عثمان وأبي وأنس رضي الله عنهم فبذلك
فلتفرحوا وفي الحديث لتأخذوا مصافكم وأهل الحجاز اللام الكسر وتسكن بعد الواو
والفاء تخفيفا كما هنا ومنهم من فتحها على الكسر قوله ولتمرن زائرا
فعل من أفعال التصيير ينصب مفعولين أي اجعلني زائرا ودليلا لك والياء بعد
زائرا يجب أن تفرق من النفع لأنها هو من أن الحكم ذي نعتهم الياء بعد
فاعل وتابع عامر في الوصية في بعض نسخه أبي الفتح بن جني أن الياء على الفارسي

دخل

وقال علي رجل من المتسمين بالعلم فاذا فيه بريده جزء مكتوب فيه قائل منقوله
بتفكير من غير تثبت فقال الشيخ ابو علي لذلك الشيخ هذا اخطأ من قائله اخطأ فلا تتبعن
اثر صاحبه وقال فان اضعنا حكموا ثنا في زيارة مثله وخرج من ساعته قوله
فانتفى ذو خبرة الفاء سببية والجملة مستانفة اذ لا يعطف الخبر على الانشاء
ولا العكس كما هو مذهب سيبويه ان ذو التي بمعنى صاحب ووزنها فعل بالتحريك
ولامها ياء وهو مذهب الخليل ان وزنها فعل بالاسكان ولامها واو وهو باب قوة وقال
ابن كيسان يحتمل ان يكون فعلا والراجح مذهب سيبويه قوله فيهما في الكرى
من اضافة الصفة الى الموصوف قوله ان عرفت علتهما شرط وجوابه والجملة
مستانفة لا محل لها من الاعراب قوله ولو جاء جمعته لو هنا شرطية استقبالية
بمعنى ان وحيث دخلت في التقرير على كان واسمها حين فعل الشرط وجوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه والتقدير ولو كان العلة جاء جمعته من مذهب وورد لعلته
به وفي الكلام مبالغة ونكتة هذا التركيب قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمان
ابن عوف اولم ولو بشاة وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الامة ثم ان
زنت فبيعوها ولو بضفير ومن ذهب وورد ولو هنا في مثل نصب على الحال منها
او من ضمير هذا المنصوب قوله ان صرفت اورد فيها شرط وجوابه ايضا والجملة
معطوفة على جملة الشرط قبلها من قوله فان وأو هنا للتفصيل ومراد بعني
متعلق به ومن ابتدائية ونعم الابلة مفعول ثان لاورد فيها ونعم حلو ومعطوف
عليه وهو فيه الضرورة ولا تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية اصلا وانما ذلك
في المعرب وفي من الكلام في ذلك والله اعلم **المعاني** قوله ولتميز
ان هذا الفن هو هذه الجملة بجملة البيت السابق لما بينهما من التوسط بين الكمالين
والطلب هنا يحتمل ان يكون من باب الالتماس لان مرتبة الناظم والعادي متساوية
في نفس الامر ويحتمل وهو الاقرب ان يكون امرا حقيقيا بان يكون بتمره ويتوعد بكون
الامر منه على حقيقته والاصوليون يسمون مثل هذا الطلب ارشادا لان المصلحة
فيه دنيوية قوله فانتفى ذو خبرة هذا الكلام علة للاتعاظ والعلية مستفادة
من الفاء وان وقعا والتفريع كما في البلاغة فعلمتها من ابن ادا الفاء فهو التسامح

واعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف ياتي كل ما قدرا

ومن انفراده أن قول الأخر

إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافا إن حراسنا أسدا

بنصب أسدا على أنها ناصبة للجزئين وهي لغة أيضا قوله تعالى اجعلني على خزاين
الأرض إني حفيظ عليم وهو في القرآن كثير بل لا يكاد يجمع فيه بين الفاء وإن وبه
تعلم أن ما ذكره ابن مالك من أن الفاء في نحو أتني فجاني أكرمك لا يحسن إسقاطها
فيستدرك عليه زيادة فيها غير جيد وحيث اجتمعتا في كلام تعاضدتا على معنى
التعليل ونكتة مرتبة عليه فيكون في الكلام فضل تأكيد ومزيد تكميل كما ذكره الزمخشري
في اجتماع الفاء وإذا الواقعتين في جواب الشرط في قوله تعالى فإذا هي شاخصة
أبصار الذين كفروا فانظره فإن قلت لماذا أكد أن حكم والغرض إنما هو خطاب
الزمن من كونه ذا خبرة أو لا خبرة له قلت هذا من باب إخراج الكلام عن مقتضى
الظاهر لنكتة قال في التلخيص وكثيرا ما يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر
فيجعل غير السائل كالسائل إذا قدم إليه ما يلوح له بالخبر فيستشرف له
استشراف الطالب المتردد فالناظم لما قدم قوله فقدتها ولوجهها برقع ضيع
وقال فيها ولم تحضرني إلا بيرا تنبه الجاهل بعض التنبه وحصل بباله أن هذا الكلام
لا يصدر إلا ممن له خبرة بالظروف ولكنه لم يجزم فيبقى متشوقا مثلما أخبر
فجاءه مؤكدا لذلك أي لا يجهل الناظم له ذلك وقال إنني ذو خبرة تامة وتنكير
خبرة للتعظيم أو للنوعية أي إنني ذو خبرة تامة لنسبة الغير وهذا نوع منه
بالنعت لما درج بين شرائب بالنوق والعرب تمدح بذلك وأل في الظروف للاستغراق
وقوله إن عزت علقتها أي الجميع فإذا الشأن لأن المطلع لما بين أن النوق
من يجوع وقد لا يجوع وقد تعطش وقد لا تعطش فإنما علم من حال الإبل من أنها في
ومتى شاءت ترعى وتشرب ومتى شاءت فلا تروح مع المساء إلا وقد ملأت أجوافها
بما تحتاج إليه من علف وماء وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث اللقطة
دعها فإن معها حذاءها وسقاءها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها
قال القرطبي في المفهم لما كانت الإبل مستغنية عن الحافظ والمتعهد وعن النفقة
عليها بما ركب في طبعها من الجلادة على العطش والجفاء عبر عن ذلك بالحذاء د
والسقاء مجازا وهو نعم فتتوسع في سيرها في مفازة بيماء ليس فيها شجر ولا ماء

فيحتاج

فيحتاج حينئذ الى من يفرق بينهما فيقول ان بين الزجر عنها وعكسها كلاهما مما
مشكوك فيه وصح التعبير بان الدالة على ذلك قال قلت عن الفعل الذي في
ان يكون مستقبلا لفعلها وتقضي بان يقع زيد يقع عمرو فيها بانه عبر
بالماضي لفعلها قلت كانه ابن زكري اعتمد في تعريف الفاصل لقوة الاسباب
المقتضية في حصوله فان زجر عنها وعكسها وان كانا مشكوكين لا في حالة الشك
من قوة الاسباب في حصولهما والله اعلم قوله ولو ما جمعته في الكتاب
مرجعية انه اتبع اولا ما الموصولة ثم عطف ثانيا بمن وجرورها والنكتة فيه
ان المعنى القواعد في صورتين فمتلقفين وعلماء رجعي من علم او لمن كان الذي هو
في التعبير بقيل نكر لما علم من ان ذكر الشيء بينهما ثم معنى ما وقع في التعبير
او لتنزيل الذي العلم به منزلة ما يقتضي من ان يكون الشيء يعد السرور والقلب الذي
من الانتشار فلا تعب والتنكير في ذهب وورد للتكثير وفي هذا تعريض بانه مقبول
عند الملوك يقبلونه من رفوع المنزلة عندهم اذ جمع الذهب الكثير والورد الكثير
انما يكون في العادة بحضرتهم والانقطاع اليهم لاسيما في حق الادباء والشعراء
كالناظم وسيأتي هذا المعنى عند قوله * ومن انا الا ابن ونا والذي *
انثنت والله اعلم **البديع** في كلام الناظم منه التسهيم ويسمى الارصاد وهو ان يجعل
قبل العجز من البيت اعني اخر كلمة منه ما يدل عليه اذا عرف الروي كقوله

احلت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حللته بمحلل * وليس الذي حرمته بحرام

ولا يخفى ان ابيات الناظم الثلاثة من هذا القبيل لان من سمع صدورها اعني
ما قبل الاخر منها وكان عالما بقافية الشعر اهتدى الى اواخرها وفي كلامه ايضا
التجريد ويسمى ان ينتزع الشاعر او الناثر من امر ذي صفة سواء كان واحدا او
متعددا امرا اخر مثله في تلك الصفة مبالغة لكمالها فيه كقولك لي من
فلان صديق حميم وقولك لئن لقيت زيدا لتلقين به الاسد ولئن سألت عمرا
لتسألن به البحر وكقول الشاعر

اعانق غصن البان من لين قدها * واجني جني الورد من وجناتها

وقول الاخر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

من وجه آخر في بلده ومن يسرك * تمرّ ومن لقيته دُرٌّ لمن تنكّس
والتجريد في كلام الناظم هو أنه جرد من كل مقلة من مقلتيه نهرا من الأنهار
المشهورة وهذا هو البديع في غاية الاقتدار على تجريد واحد تنتقل الحكمة بعد حبس
المقلتين والنهرين والمبالغة التي يذكر ونحا في التجريد معنى ما تقرر في الفصول
من أن الأمر والمشار به لا بد أن يكون حكمهما بالنسبة لما تقع عنه وانتزع منه
وهذا المعنى موجود في كل تجريد سواء كان بمن أو بالباء أو بغيرهما وفي كلامه
أيضا الإدماج وهو أن يضمن الشاعر مثلا كلاما سيق لمعنى معنى آخر على
وجه كأنه غير مقصود كقول أبي الطيب في وصف الليل *

أقلب فيه أجفاني كأني * أعد به على الدهر الذنوبا

فإنه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر ومنه أيضا قول عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا * وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع أمرنا إن المهم المقدم

فأدمج شكوى الزمان في ضمن التهنئة بالوزارة والإدماج في كلام الناظم هو أنه
أدمج وصف نفسه بالنجابة والصبابة في حمده ووصفها بحسن الرعاية والقيام
على الإبل على وجه عجيب وهو من الغريب وفي كلامه أيضا المبالغة وهو أن يدعي
الشاعر لوصف بلوغه في القوة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا لئلا
يظن أنه غير متناه فيه وتنحصر المبالغة في التبليغ والإغراق والغلو
فإن كان ممكنا عقلا وعادة فتبليغ وهو مقبول وإن كان ممكنا
عقلا لا عادة فإغراق كقوله *

ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا

ومن هذا القسم كلام الناظم فإنه ادعى أنه يعلق الثور ولغربته تألفه من
الذئب والغروق ويرده مما مر ادعيه مثل نشري الدابلة وحلبه وهذا مستحيل عادة
وإن يكن الوصف المدعى ممكنا لا عقلا ولا عادة فغلو كقول أبي نواس

وأخفت أهل الشرك حتى إنه * لتخافك النطف التي لم تخلق

وهو مردود وفي كلامه أيضا التنكيت وهو أن يقصد المتكلم شيئا بالذكر دون

غيره مما يشير بسره للنكتة ولولا هذا لكان التعبير الذي دون غيره خطأ عند أهل النقد كقوله تعالى وإنه هو رب الشعرى فإنه تعالى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم لأن من العرب من عبدها فكأنه تعالى يقول وإنه هو رب الشعرى التي ادعيتم لها الربوبية وكقول الخنساء *

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأبكيه لكل غروب شمس

ذكرت صخرا أخاها وقيدت مع أنها كانت تذكره في غير هذا الوقت إيذانا بوصفه بالشجاعة والكرم فإن طلوع الشمس للغارات وغروبها للضيفان كما قال ابن خميس والتنكيت في كلام الناظم هو أدق ما يبلغ بخصوص ذكر الأبلة وجلق وأركان العالم ما ثم أعظم منهما كالنيل والفرات فيظهر سبيل النكتة وسواء من بين الغوطة غير فاشتهر بين الأدباء أنهما من جنان الدنيا الأربع وقد ذكرهما في أشعارهم كما قال حسان رضي الله عنه

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

وقال شمس الدين ابن سري *

إذا ذكرت بقاع الأرض يوما ... فقل سقيا لجلق ثم رعيا
وقل في وصفها هي في سواها ... بما قايست من دين ودنيا

وقال أبو الحسن حازم في وصف نهر وأرجائها

ومازال للحسن نهر جلقها ... ونهر منها السلسال ينساب بردى
يكاد يغشي نورها من اجتلى ... ويخطف النور بها من اجتنى

وسنذكر الأبلة وجلق بأبسط من هذا وفي كلامه أيضا الكناية وفيه أيضا التشبيه والتلميح والسجع وغير ذلك مما يعلم بالتأمل قال رحمه الله الناظم وطيب ثراه

ذكر نهر الأبلة وجلق وما يتصل بهما *

قال العلماء جنان الأرض أربع غوطة دمشق وأبلة البصرة وشعب بوان وصغد سمرقند وكان أبو بكر الخوارزمي يقول قد رأيتها كلها فوجدت الغوطة أفضلها وأحسنها ولنذكر بعض ما للناس في وصف الجنان الأربع ونبدأ بذكر

جلق لترجيحهم اياها على اخواتها ثم نذكر الاقرب فالاقرب منها اما جلق
فهي كما في القاموس بكسرتين مشددة اللام وتفتح دمشق او غوطتها قال صاحب
نزهة المشتاق ومدينة دمشق من اجل بلاد الشام واحسنها مكانا واعدلها
هواء واطيبها ثرى واغزرها مياها واكثرها فواكه واعمها خصبا واوفرها
مالا واكثرها جندا واشمخها بناء ولها جبال ومزارع تعرف بالغوطة وطول
الغوطة مرحلتان في عرض مرحلة وبها ضياع كالمدن وذكر منها عدة ثم قال
وبها جامع قريب الشبه بجامع دمشق ثم قال ايضا ومياه الغوطة الجارية
بها تخرج من تحت الكنيسة ومن العين في اعلى جبل ينصب ماؤه منه كالنهر العظيم
له دوي مما يراه فلت ومنه دمشق الاعظم يسمى بردى ويجري وفي حواليه تتفرع
ذكره في شعر حسان رضي الله عنه وقد تقدم بعض ما قيل في دمشق وقال القزويني
قد رأيت من البقاع الاربع فكانت غوطة دمشق احسنها واحسنها ولم
اقيم فيها لرياضها المزخرفة بالانوار والازاهير وبين غدرانها المغمورة بطيور
الماء التي من احسن المزارع والكروم وبيرق لم اشبهها الا بالجنة او مثل
صورتها منقوشة على وجه الارض وقال الشيخ ابو العباس المقري في نفح الطيب
دمشق الشام ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام والادواح المتنوعة
والازواج المتفرعة حيث المشاهد المكرمة والمعاهد المحترمة والغوطة
الغناء والحديقة والمكارم التي تبارى فيها الجود شائقة ومرتفعة والاظلال
الوريفة والانهار العريقة والزهر الذي تخاله مبتسما والنور ربيعه
والقضبان الملد التي تشوق رائيها بجنة الخلد

بعث الزهر وفاح النشا يا * اين الحسن مصقول الاديم

ومن المدينة المستولية على البقاع المعمورات البقاع بالفضل والابداع

تزيد على مدن الديار كلها * دمشق التي راقت بحسن المشارب
لها في اقاليم البلاد مشارق * منزهة الاقطار عن مغارب

وقد كمل في وصفها ومدحها وقتال غيرهم

دمشق لدينا سرها ما سراتها * ويتبع الفيا سرع النتهوى
خلال بها رافت رآها بهارة خشنا * على حكم العموم او الخصوص

بستان زمرد نثرت عليه من الدنيا فوقه أنوار البلور وقال الحفيد

أيضا أما دمشق فجنة * لعبت بألباب الخلائق
لله فيها العجائب * حيث فيها خرت بحر والحدائق
والغوطة الغناء تحب * حفت بالورود وبالشقائق
والنهر صاف والنسيـ * ـم اللدن للأشواق سائق
والطير بالعيدان را * ـرت في الغنا أعلى الطرائق
وكأنما الأزهار حـ * ـلت حين عصر منور رائق
وكأنما الأفكار قد * كملت بما هز والخرائق
لا زال مغنانا مقصد * ناء امنا كل البوائق

وللعز أبي الفرج عبد الله بن أسعد الموصلي في مدح دمشق وقد كتب قصيدة بديعة يقول في تخلصها *

سقى دمشق وأياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها

ولم تمعز في الدار بانيها **وأما الأبلة** فهي بضم الهمزة والباء وتشديد اللام قال ابن خلكان هي بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة وهي في عراديها وهي من جنات الدنيا وأحد الجنان الأربع ويحكى أن بكر ابن النطاح الشاعر مدح أبا دلف العجلي ببيتين وهما *

يا طالبا للكيمياء وعلمها * مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن في الأرض إلا درهم * ومدحته لأتاك ذاك الدرهم

فأعطاه على البيتين عشرة آلاف درهم فاغتنمها قليلا ثم دخل عليه وقد اشترى بتلك الدراهم قرية في نهر الأبلة فأنشده *

بك ابتعت في نهر الأبلة قرية * عليها بناء بالرخام مشيد
إلى جنبها أخت لها يعرضونها * وعندك مال للهبات عتيد

فقال له أبو دلف كم ثمن هذه الأخت فقال عشرة آلاف درهم فدفعها إليه ثم قال له تعلم أن نهر الأبلة عظيم وفيه قرى كثيرة وكل أخت إلى جانبها أخرى وإن فتحت هذا الباب اتسع علي الخرق فاقنع بهذه ونصطلح عليها فدعا له وانصرف وقال الشيخ أبو منصور الثعالبي في ثمار القلوب وأما نهر

وبعده الدنيا الخ : هكذا بهامش التي نقلت منها بلفظ

الأبلة بشط البصرة وهو إليه من مياه دير النخيل والأترج والنارنج وسائر الأشجار وفيها من أصناف الزروع وأنواع الخضر ما لا يكاد يحصر أحسن منه وعليه من القصور المتناظرة والأبنية الرائقة ما تحار فيه الفكر وتقصر له النعوت

وفيه يقول ابن أبي عيينة

فيا حبذا نهر الأبلة منظرا … إذا مد في إبانه أو جزر

وقد أتى القاضي التنوخي بذكر نهر الأبلة في قصيدة وصف فيها بعض أنهار العراق

فقال

أحبب إلي بنهر معقل الذي … فيه لقلبي من همومي معقل

عذب إذا ما عب فيه ناهل … فكأنه في ريق حب ينهل

متسلسل وكأنه لصفائه … دمع بخدي كاعب يتسلسل

وإذا الرياح جرين فوق متونه … فكأنه درع جلاها صيقل

وكأن دجلة إذ تغطمط موجها … ملك يعظم خيفة ويبجل

وكأنه ياقوتة أو أعين … زرق تلألأ بينها ويوهل

عذبت فما ندري أماء ماؤها … عند المذاقة أم رحيق سلسل

ولها بمد بعد جزر ذاهب … جيشان يدبر ذا وهذا يقبل

وإذا نظرت إلى الأبلة خلتها … من جنة الفردوس حين تخيل

كم منزل في نهرها آلى السرو … ر بأنه في غيرها لا ينزل

وكأنما تلك القصور عرائس … والروض حلي فوقها وتسربل

غنت قيان الطير في أرجائها … هزجا يخف له الثقيل الأول

وتعانقت تلك الغصون فأذكرت … يوم الوداع وعيسهم تترحل

ربع الربيع بها فحاكت كفه … حللا بها عقد الهموم تحلل

مدبج وموشع ومسهم … ومحبر ومعين ومهلهل

فبذاك إذ عشنا وذا أن أودى … خير لبعضهم مرة ويقبل

وأما شعب بوان فقال ابن خلكان اللفظة الأولى منه بكسر الشين والثانية مفتوحة الباء مشددة الواو وهو منسوب إلى بوان بن إيران ابن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام وهو عند شيراز من جملة بلاد فارس قال أبو العباس المبرد كنت مع الحسن بن رجاء بفارس فخرجت إلى شعب بوان

فخرجت

بنفحات الورد فيه كأنها نفحة الكافور ورياض كأنها الثوب الموشى وماء منحدر كأنه سلاسل الفضة على حصباء كأنها حصى الدر فجعلت اطوف في جنباته وادور في عرصاته فاذا على بعض جدرانه مكتوب *

اذا اشرق المكروب من راس تلعة ... على شعب بوان افاق من الكرب
والهاه بطن كالحرير فمسه ... ومطرد يجري من البارد العذب
وطيب ثمار في رياض اريضة ... واغصان اشجار جناها على قرب
يدير علينا الكاس من لو لثمته ... بقبلته ما ذقت الخمر في الشرب
فبالله يا ريح الشمال تحملي ... الى شعب بوان سلام فتى صب

قال ابو العباس فاخبرت سليمان بن وهب بما رأيت فقال قد رأيت تحت منزله ابياتا

ليت شعري عن الذين تركنا ... خلفنا بالعراق هل ذكرونا
ام لعل المدى تطاول حتى ... قدم العهد بيننا فنسونا
ان فقدنا من الصفاء فانا ... لنحن في النوى كما عهدونا

ومن ابدع في وصف شعب بوان واتى فيها بفوق الغاية والاحسان ابو الطيب المتنبي وكان قد اجتاز به في طريقه الى ابي شجاع عضد الدولة ابن بويه صاحب فارس فقال من قصيدة يمدح فيها ابا شجاع المذكور ويصف الشعب وهي

مغاني الشعب طيبا في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها ... غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها ... سليمان لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى ... خشيت وان كرمن من الحران
غدونا تنفض الاغصان فيها ... على اعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الشمس عني ... وجئن من الضياء بما كفاني
والقى الشرق منها في ثيابي ... دنانيرا تفر من البنان
لها ثمر تشير اليك منه ... باشربة وقفن بلا اوان
وامواه يصل بها حصاها ... صليل الحلي في ايدي الغواني
ولو كانت دمشق ثنى عناني ... لبيق الثرد صيني الجفان
يلنجوجي ما رفعت لضيف ... به النيران ندي الدخان

يحل به على قلب شجاع ... ويرحل منه عن قلب جبان
منازل لم يزل منها خيال ... يشيعني إلى النوبندجان
إذا غنى الحمام الورق فيها ... أجابته أغاني القيان
ومن بالشعب أحوج من حمام ... إذا غنى وناح إلى البيان
وقد يتقارب الوصفان جدا ... وموصوفاهما متباعدان
يقول بشعب بوان حصاني ... أعن هذا يسار إلى الطعان
أبوكم آدم سن المعاصي ... وعلمكم مفارقة الجنان
فقلت إذا رأيت أبا شجاع ... سلوت عن العباد وذا المكان
فإن الناس والدنيا طريق ... إلى من ما له في الناس ثان

ثم مضى في المديح فلما عرض لنا في خلاله قوله ولكن الفتى العربي البيت يعني نفسه وقوله غريب الوجه يعني أنه أسمر وأهل الشعب بيض لأنهم من الفرس وهم عجم وقوله واليد يعني أن سلاحه الرمح وأسلحتهم القسي وقوله واللسان يعني أن لغته العربية ولغتهم الفارسية وقوله طبت فرساننا البيت يعني أن هذه الأماكن استمالت قلوب الفرسان والخيل التي تحتها وقوله ولو كانت دمشق في هذا تفضيل لدمشق على الشعب وقوله لبيق الثرد أي طيب الطعام وقوله يلنجوجي ما رفعت لضيف ما وافقه على العكس الذي توقد به النار يعني أن هذا الملك يوقد نيرانه للضيوف بالعود الهندي فافهم الكلام كله ولما نزل عضد الدولة بشعب بوان متوجها إلى العراق ومعه أبو الحسن السلامي الشاعر قال له قل في الشعب فقد سمعت ما قال المتنبي فيه فعاد إلى خيمته وعمل في ذلك شعرا فلم يأت بشيء **وأما سغد** سمرقند فإن قتيبة بن مسلم الباهلي أحد أمراء عبد الملك بن مروان وهو الذي فتح ما وراء النهر لما أشرف عليه من الجبل قال لأصحابه شبهوه فلم يأتوا بشيء فقال قتيبة كأنه السماء في الخضرة وكأن قصوره النجوم الزاهرة وكأن أنهاره المجرة فاستحسنوا هذا التشبيه وتعجبوا من حذقه وإصابته وبالله التوفيق *

رفقا بها شعيبعتا موارد ح * عرفت سماء كل برقشم و

من كل غيداء عروب بضة * رعبوبة عيطاء ذات رونق

خريدة ممسودة لي زفرة فيه * ومنادة بمثلها ند المعتنق

اللغتان قوله رفقه بها الرفق تقدم غير مرة وفي الحديث الصحيح من يحرم الرفق يحرم الخير وفي رواية ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما كان الرفق في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه قوله شفيعها مواهج الشفاعة هي الطلب للغير والوساطة له وقال غيره الدين الشفاعة ان يستوهب احد من غيره شيئا قالوا واصلها من الشفع الذي هو ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا فصار الشفيع له شفعا وفي المصباح شفعت في الامر شفعا وشفاعة طالبت بوسيلة او ذمام واسم الفاعل شافع وشفيع والجمع شفعاء مثل كريم وكرماء قوله مواهج جمع موهج وهو مركب من مراكب النساء يكون مقببا وغير مقبب قوله غرر سماء كان بدر السماء معروفة قال ابن الانباري تذكر وتؤنث وكل ما علاك فاظلك فهو سماء والجمع سماوات واسمية والبدر القمر ليلة كماله وسمي ليلة اربعة عشر وسمي به الاهل قمرا من قولك بدرت القمر بدرا من باب قتل فهو بادر وبدرا رابطة وسمي بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب وقيل سمي بدرا لتمامه وابدرنا فنحن مبدرون واراه الكلمة لنا البدر والمشرق المضيء قوله من كل غيداء الغيداء المتثنية لينا كالغادة وقد تقدم الكلام فيه وقوله عروب العروب من النساء المتحببة الى زوجها المستفرغة التبعل والجمع عرب بضمتين وسكون الراء تخفيفا وقرئ في قوله تعالى عربا اترابا بالوجهين قوله بضة البضة الرخصة البدن الرقيقة الجلد الممتلئة وسواء كانت ادماء او بيضاء والذكر بض قال الاصمعي البض الرخص الجسد وليس من البياض خاصة ولا بد من الرخوصة اي النعومة قوله رعبوبة الرعبوبة البيضاء الناعمة قوله عيطاء العيط بالتحريك طول العنق والذكر اعيط والانثى عيطاء وقال في الكافية العيطاء الطويلة قوله ذات رونق الرونق الحسن ورونق السيف ماؤه وحسنه ومنه رونق الضحى وغيره قوله خريدة الخريدة كما تقدم البكر

زمن الاقتناص ل

نادم

التي لم تكسر قال ابن هشام وعن ابن الأعرابي لؤلؤة خريدة لم تثقب قال وكل عذراء خريدة
وقيل الخريدة الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة والجمع
خرائد وخرد قال المبرد في الكامل وخبرت أن رجلا جاء بجارية عشوفية مطربة
بكلمها يوما على كنف الكريو فلم تكلمه بكثرة الحياء منها فقال لها
يا خريدة كنت أحسبك عروبا فإذا أنت تحفين وتشفيننا فقالت يا ابن
الخبيثة أتجمشني بالهمزة قوله تمخض بفتح النون وكسر الميم أي تجتلي
وقولها تجمشني من التجميش بالجيم في أوله والشين المعجمة في آخره وهو
المغازلة والملاعبة قوله مسودة المسودة المجدولة الخلق المسوفة
وفي الصحاح جارية حسنة الأسر والعصب والجدل والأرم أي الفتل فهي
مسودة ومعصوبة ومجدولة ومأرومة قوله زفرافة الزفرافة التي
كان الجادي يخرج وجمعها حشا وزفر أو الشراب وأتلألأ في منه أي جاء وذهب
وكل شيء له تلألؤ فهو زفراف قوله ومبتانة المبتانة التي فيها بثور
عن أخفيلم كذا في القاموس وعبارة الصحاح امرأة ومبتانة فيها بثور
وإناث قوله مثناة المثتو المثناة الكبيرة النعبير والرخو أو اللينة
في عملها ومتكفيها والمثتو اسم موضع الانثنا وهو المعر والحصر
والله أعلم **الإعراب والتصريف** قوله زفيا بها مفعول
مطلق ثابت بدلا من اللفظ بفعله محذوف عامله وعوبنا وقوله شجيمها
مراد جملة مستانفة لا محل لها من الإعراب وفيه حذف متعلق أي شجيمها
الشيخ وصرف مراد للضرورة وبعضهم يرون حذف هذا الجمع من باب
الاختيار وقوله عوض سماء في جملة في محل النعت لمراد وعوض من
أخوات كان محذوفة اللام واسمها ضمير المراد وسماء خبرها وهمزة
سماء منقلبة عن واو وقيل واسم فاعل نعت لبرد قوله من كل غبراء
بيان لكل برد وهو في محل النعت منه وغبراء ممنوع من الصرف نعت لمحذوف
أي فتاة غبراء وما بعدها من الصفات نعوت أيضا والإضافة في مثناة
إلى المثتو من باب إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها فهي لفظية
لا تفيد تعريفا ولا تخصيصا والله أعلم **المعاني** إنما نظر جملة

شجيمها

شفيعهما الهوادج من الفتى فيلثمها لما بينهما من كمال الانفكاك في بلاد ايعاج إذ
هما وفي الشفاعة التي والثانية خبرية وتنكير هوادج للتعظيم وإنما جعل الشفيع
من الهوادج فقط ولم يقل شفيعهما بدور ومثلا لأن ندرة الأرض فمن أجل
من أن يتشفع به إلى أيماء على سبيل الصراحة فتنكب ذكرهن واقتصر على
الهوادج كونها لهن من الابتذال وهذا كما يكنى عن تحية الملك بتقبيل حاشية
البساط قال المتنبي

تقبل أفواه الملوك بساطه ... ويكبر عنها كمه وبراجمه

والذي يرشح لك هذا المعنى هو أنه جعل تلك الهوادج سماء وجعلهن بدورا
لها وفي ذلك من التنويه بعلو الشأن وبعد القدر ما لا يخفى كما قال العباس بن
الأحنف

هي الشمس مسكنها في السماء ... فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع إليها الصعود ... ولن تستطيع إليك النزولا

وفي قوله من كل غبراء نوع اكتفاء لأنه أبهم أولا بقوله كل بدر مشرق ثم
ثانيا بقوله بدر وبدورهما وقد تقدم قريبا وجه النكتة فيه والله أعلم البيان
الشفاعة هنا مجاز عما اقتضاه حالهن من التعويق والحسن وقد مس
عليه من رفعة الشأن من أنه يجب أن يرتقين عن غاية الرفق ويسلك بهن
غاية الأدب في السوق كما في الحديث رويدك سوقك بالقوارير فقرب
من هذا المعنى قول من قال

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

فقد جعل الحسن شفيعا من غير أن يكون هناك شفاعة حقيقية وفي كلام
هذا الشاعر وكلام الناظم استعارة تخييلية مقابلة ويحتمل أن يكون
الشفاعة في كلام الناظم على بابها وأن ولي الحي بالأغلام فتجوز في إسناد
الشفاعة إلى الهوادج مجاز عقلي إذ الذي تصدر منه الشفاعة من صاحبها
أي من فوقها غررن سماء كل بدر مشرق فيه استعارة وتشبيه بليغ فالأول
فيها وأن يعبر عن النسوة بالبدور على سبيل الاستعارة المصرحة هي له
أن يشبه الهوادج بالسماء وإنما قلنا إن هذا تشبيه بليغ لأنه قد جمع فيه
بين طرفي التشبيه ولذلك لا استعارة وهذا أوان شرع في قوله حتى

ترشيح للاستعارة لأنه يلائم المستعار منه ومن أبلغ من الحقيقة والمجاز الا
حسبما هو مقرر في محله ونظيره من الاستعارة قول ابن زهير رحمه الله في
النافذ * وكأنه بها أرجل من قد كه شمسها سماها وما البيداء *
وقد وقع لشارحه ابن حجر رحمه الله في تقرير مدلول الاستعارة خلط فإنه لم
والذي أقوله أن البيت وقع في كلام الناظم من حسن التخلص فإنه كان
يتكلم مع الممدوح في سنا والشوق ويعبر في ذلك ما شاء واكتسب فيه غاية
الاكتئاب واستوفى الغرض منه على ما ينبغي ثم تخلص منه الى قول الغزل او التشبيب
على وجه جامع لما اشتركوا في حسن التخلص من غاية الملائمة بين
المنتقل عنه والمنتقل اليه وزاد بحسن السبك وجودة الرصف وسهولة
المخرج المصحوبة بالرونق الى المعنى المقرون بالاستعارة والتشبيه
وغير ذلك من النكت التي قد شرح بعضها واعلم ان من الشفاعة
التي تخلص بها الناظم ما أحسن من الشفاعة التي تخلص بها ابو الطيب في قوله

على الأمير يرى ذلي فيشفع لي * إلى التي تركتني في الهوى مثلا

بأنه جعل ممدوحه شفيعا إليه وأين المحبوبة وشفيعا له اليها وفاتت الافادة
محضة والمراد يكثر واما شفاعة الناظم فقد علمت على اي وجه ابرزها وفي اي
قالب افرغها فلله دره ما اعلى همته واقوم حشمته وفي كلامه ايضا الجناس
المضارع بين قوله وسعاداته وبهنائه فإنهما لم يفترقا الا في الحرف الاول منهما
وهما متقاربان في المخرج وما كان كذلك يسمى جناسا من المضارع ومنه قوله
تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وقد مر نظيره وقد استعمل كلام الناظم
عملا وعليا برجع كلمها او جملها الى تعريف البرق وصفاء النسيم ونضارة
الدوح وغضارة العيش وزمن الغضارة ومن أحسن ما قيل في ذلك قول ذي الرمة

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كإيماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

وقال ابو الطيب المتنبي

حسان التثني ينقش الوشي مثله * إذا مسن في أجسامهن النواعم
ويبسمن عن در تقلدن مثله * كأن التراقي وشحت بالمباسم

وقال الاخر ابن زريق بعدنا والظباء واعين الشادن وارتجنا بين الرواد في
ومشربا لمجاز بعد الوسوق * خلال وانجلاء عليها المكارف
واحسن من هذا كله قول ابن المعتز يصف امراة اغتسلت ثم ارسلت شعرها
على بدنها * نضت عنها القميص لصب ماء * فورد خدها فرط الحياء

وقابلت الهواء وقد تعرت * بمعتدل ارق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها * الى ماء معد في اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت * على عجل الى اخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على التداني * فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

وقل لربات الهوادج انجلى سرى * امنات من فزع وفرق
فانني اشجع من ربيعة * هامي الظعينة لدى وفق اللقى

قوله وقل لربات الهوادج الرب بالالف واللام لا يطلق الا على الله تعالى ويطلق على غيره مضافا وجمعه ارباب وربوب ورب كل شيء مالكه او مستحقه او صاحبه وربات الهوادج صواحبها قال حسان رضي الله عنه غير التضيرة ربة الخدر * اسرت اليك ولم تكن تسري
قوله انجلى الانجلاء والتجلي الانكشاف والظهور يقال اجليته فانجلى وجليته فتجلى والسين فيه بمعنى الفعل وتجلى لنا انكشف حال كل واحد منا لصاحبه
قوله امنات من فزع الامن ضد الخوف والاصل فيه ان يستعمل في سكون القلب يتعدى بنفسه كما هنا وفي التنزيل افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون واذا عدي بمن كقولهم امن زيد من الاسد فمعناه سلم منه والفزع والفرق كلاهما بمعنى الخوف قوله فانني اشجع الشجاعة شدة القلب عند البأس وقد شجع الرجل بالضم فهو شجاع وقوم شجعة وشجعان وتكسر له غلام وغلمة وغلمان ورجل شجيع وقوم شجعان مثل جريب وجربان وشجعاء مثل فقيه وفقهاء وامرأة شجاعة وقال ابو زيد سمعت الكلابيين يقولون رجل شجاع ولا توصف به المرأة قوله ربيعة هو رجل يانه خبرته وهامي الظعينة لقب له وقولهم في المثل احمى من مجير الظعن يريدونه

هذا الرجل فقوله لذو وفق اللفظ يعني وفق اللفظ في الاعراب والله اعلم
الاعراب والتصريف فقوله وقل لربات الهوادج جملة معطوفة على
قوله رفقا بها وقوله اجلبن الى اخر البيت جملة في محل نصب محكية بالقول
واللام في قوله لربات الهوادج تسمى لام التبليغ وهي الجارة لاسم السامع
لقول او ما في معناه كما في المغني ونظيره هذا التركيب فقوله تعالى وقال الذين
لا يومنون اعملوا على مكانتكم واللام في الهوادج للعهد الذكري كما في قوله تعالى فعصى
فرعون الرسول وقوله اجلبن فعل امر والياء فيه لام الكلمة والنون ضمير الربات
وذا امتات مرتع حال منه ويصح في هذا الوصف ان ينصب ما بعده لكونه اعتمد على
صاحب الحال الذي انه اضافه اليه كما اضيف فقوله تعالى هل هن كاشفات
ضره وممسكات رحمته وقد قرا ابو عمرو بالتنوين والنصب على الاصل فيهما فقوله
فانتجع مرتبعه ربيعة الفاء سببية والجملة مستانفة مرتبة على القول بالذي
وقوله صافي الصفيية نعت لربيعة والوصف هنا بمعنى الماضي فلهذا تعرف
بالاضافة ووقع جعله نعتا للمعرفة هذا اذا لوحظ فيه معنى الاشتقاق والاولى
ان يعتبر به هنا مجردا من لاحظ لعب كعاد الكلب وذا اكل الجرار جمع جيفة بدل
او عطف بيان ويصح فيه النصب اي الرفع او النصب وقوله لذو وفق اللفظ
هذا متعلق بانتجع والتقدير فانتجع عند اللقاء من ربيعة الصفرى صافي
الصفرى ويحتمل ان يكون متعلقا بصافي اما على جعله نعتا فظاهر واما على جعله
لقبا فبالتكلف تكلفه رائحة الفعل والله اعلم فان قلت بما وجه جمعه
بين لذو وفق وبينهما بمعنى واحد قلت لم يظهر لي وجهه غير ان الحالي ذكر
في مبحث الاضافة ان منها قسما تكون اضافته شبيهة بالمحضة وجعل
من ذلك اضافة المؤكد الى المؤكد فقال واكثر ما يكون ذلك في اسماء الزمان
نحو يومئذ وقد يكون في غيرها كقول الشاعر

فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه * سيرضيكما منها سنام وغاربه

اراد اكشطا عنها الجلد لان النجا هو الجلد كما هو فيخرج كلام الناظم
عليه ومثله قول زهير

فشد ولم تفزع بيوت كثيرة * لدى حيث القت رحلها ام قشعم

وجعود

وخفف الياء من اللغى للضرورة، واهلة لغة على وزن فعولة ثم وقع القلب
والادغام على قياس مبين في محله والله اعلم. المعنى فيه وصل جملة فعل
لربات الهوادج بجملة رفعها بما لها بينهما من التوسع بين الكلمتين وقسم الكلام
فيه غيرها، وتنكير مزن ومزن للتقليل والتكثير اخرى وبان بعض من ان جمعه بينهما
تكثير بالاجابة كقول عدي بن زيد العبادي

وقددت الأديم لراهشيه ⁂ والفى قولها كذبا ومينا

فالكذب والمين شيء واحد ومثل هذا يقال في جمعه بين لدن وانوق فان الذي
يشهد له الذوق ان احدهما كاف في الدلالة على المقصود ولا يحتاج المقام الى اكثر
منه وقوله فانني اشجع من ربيعة علة في قوله اذا قلت لك ما قلت لانني
اشجع من هذا وقد جرى الناظم رحمه الله في هذين البيتين على عادة العرب في كون
فتاكهم ولصوصهم كانوا يتعرضون للنساء بعضهم بعضا واقوالهم بالتشبيب والنسيب
وشبه العذارى لاسيما عند الرحيل والنجعة وفي شعر ربيعة الاتي ما يوضح لك ذلك
وفي هذا المعنى الذي سلكه الناظم يقول الهنا في الازهار

يا ظبية من دون رفع سجوفها ⁂ خوض القنا بالخيل تجري فداء
لو شئت عن الاحباب قلت تجلدا ⁂ امنن علي فهل تفي الا عزاء

وقال ابو الطيب

عدوية بدوية من دونها ⁂ سلب النفوس ونار حرب توقد
وهواجل وصواهل ومناصل ⁂ وذوابل وتوعد وتهدد

وقال ايضا

حبيب كان الحسن كان يحبه ⁂ فآثره او جار في الحسن قاسمه
تحول رماح الخط دون سبائه ⁂ وتسبى له من كل حي كرائمه
ويضحي غبار الخيل ادنى ستوره ⁂ وآخرها نشر الكباء الملازمه

فعز ووصفها باشد الحماية والمنعة وبانها في غاية النعمة والرفاهية
والدعة فجعل لها من غبار الخيل سترا ادنى ومن نشر الكباء اي عود البخور سترا
آخر يلازمها

ذكر ربيعة وحمايته للظعن

فذكر جماعة من العلماء والادباء كالمسعودي في مروج الذهب والاصبهاني
في الاغاني والميداني في مجمع الامثال ان ربيعة هذا قد قالوا او من قال منهم

ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة وبنو جذل الطعان بن فراس
ابن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة الكنانى ثم الفراسى كان عز بنى فراس ونفر
المغيرة بن شعبة انهم المشهورون بن قتله نبيشة بن حبيب السلمى فى يوم الكديد
اذ كان بنو سليم السبب فى قتله كما سيأتى وكان من خبره فى صحابة الشعر ما ذكره
المسعودى والاصبهانى من ان عمرو بن معدى كرب دخل على امير المومنين عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه فقبا وضعه فى قبائل اليمن وعما جما فى البشراة وكان
فى الرخاء وذاكره فى الحرب وسلاحهما اذ ان قال له عمر هل كععت يا ابا ثور عن فارس
لقيته قط قال نعم يا امير المومنين والله ما كنت لأستحل الكذب فى الجاهلية
فكيف استحله فى الاسلام ولقد خرجت يوما بجمعة من قومى خيلا زبيد مثل الكنبة
الغارة فأتوا على مرقلت على بنى البكاء فنالوا فغارا بعير على شرذمة كلب وقلة
سلب فقلت على من قالوا على هذا الحى من كنانة فنزل بلغنا ان رجالهم خلوف
قال فسرنا حتى اشرفنا على قوم سراة فقال عمر وما علمك بانهم سراة قال رأيت
مزاود خيل وقدورا مبتناة وقبابا حمرا مرادم ونعما كثيرا وشاء فعلمت ان
القوم سراة قال فما صنعت قال اعتكمنا خبيئة بغرما هو بنا السبى والمال وكان
منتبذا عن البيوت فلما انتهيت الى القبة كشفتها فاذا جارية مثل المهاة
فلما نظرت الى والى الخيل تعدو فى افراج امومن الى ذرعها بشفتيه وقالت
والكلياة فقلت وما لك فقالت والله ما على نفسى ابكى وانما ابكى على
اتراب فى قد القمر والفتى فأشبعن من تبعن وما هن بالترابد واشارت الى
واد هنالك وكان ذلك مكبرة فنهنا فقلت من للغنيمة من وراء غنيمة وركضنا
فرسى حتى اوفيت على النقا فاذا رجل جلد اصعب املد يخصف نعله والى
جانبه فرسه وسلاحه فلما رأيته علمت ان الجارية كانت تعنى بذلك ولما
نظر الى رقى بالنعل من يده ثم استوى على فرسه واخذ رمحه ومضى نحو الحى لا يحفل
بشىء فتفرقت اليه وكفقت اشمزله بالتريخ خفقا واقول يا هذا استاسر
فمضى غير مكترث حتى اشرف على الحى فاذا الخيل حاملة فى اكنافه فعطف على وهو يقول

قد علمت اذ منحتنى فاها ... وانبعثتنى نكرها رداها
انى ساحمى اليوم من حماها ... يا ليت شعرى ما الذى دهاها

قال فلقيته وانا اقول *

عمرو على بعد المراد مما معه ... جاب المفاوز وقفر بلادها

بالخيل يزجيها على وجهاتها ... حتى اذا اهل بما اهتوى اهلها

ثم حملت عليه وحمل علي فاشتبكنا فكنت اضربه احذر من غراب وفيهم فتى
اخف من سنور فدفع سيفه في قربوس سرجي فقطعه وقاتلته حتى هجم
على نسج الفرس ثم ثنى بضربة اخرى فاخطاني وقد زغت لها فوقع سيفه
على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل الى ظهر الفرس وصرت راجلا فقلت له ويحك
من انت فوالله ما ظننت احدا من العرب يجترئ على فعل هذا الا ثلاثة الحرث بن
ظالم للاسر والنجدة وعامر بن الطفيل للعجب والخيلاء وربيعة بن مكدم للحداثة
والباس فمن انت ثكلتك امك فقال بل انت ثكلتك امك من انت قلت انا
عمرو بن معديكرب فقال وانا ربيعة بن مكدم قلت يا هذا اني قد صرت راجلا
فاختر مني احدى ثلاث ان شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الاعجل منا
وان شئت اصطرعنا فاينا صرع صاحبه حكم فيه وان شئت فالسلم وانت
يا ابن اخي حدث وبقومك اليك حاجة قال ذلك اليك فاختر لنفسك فاخترت
السلم واخذت بيده حتى اتيت به اصحابي وقد حازوا النعم والسبي
فقلت هل تعلمون اني كععت عن احد من الابطال قط قالوا نعيذك بالله
من ذلك قلت فانظروا هذا النعم الذي قد حزتموه فخذوه مني غرامة ودعوا
فانه لهذا الفتى والله لا يوصل اليه بمكروه وانا حي فقالوا فما بالك
من فارس قوم اخسستنا حتى اذا هجمنا على الغنيمة الباردة اقعدتنا
عنها فقلت لا تزالون تمنون في ربيعة بن مكدم فلا اسميه الا بلغ في القوم
فقالوا وانه لهو قلت نعم فردوا جميعه فاذن لهم وسلمته فامن حربه
وامنت من غربه حتى هلك فما كان هذا شان المسعودي والاصفهاني والتنسي
في نظم الدرر والعقيان فهذا الخبر بالفاظ متقاربة وزاد المسعودي في غزاة
غزاها بنو كنانة بن يحيى العاص ان عمرو بن معديكرب اغار في غزوة الكبرى فاتى
في صناديد من فوارس بني كنانة فاخذ غنما لهم واخذ امراة ربيعة بن
مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان في بعير فركب في الطلب على فرس عري

ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه فلما نظر اليه قال يا عمرو خل عن الظعينة فلم
يلتفت اليه ثم اعاد عليه القول فلم يلتفت اليه فقال يا عمرو اما ان تقف
لي واما ان اقف لك فقال عمرو فر انصرف الفارة من امامها فقف لي يا ابن اخي
فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول

انا ابو ثور وفاق الزلق   تشتد بها بورد الا من فرق
اشد في القوم اذا احمر الحدق   اذا الرجال عمهم فوق الفرق
وهبرته بالسيف منا الحلق

حتى اذا ظن انه خالطه السنان اذا هو لبب لفرسه ومر السنان على
كتفي الفرس ثم وقف له عمرو فحمل عليه ربيعة وهو يقول

انا الكناني الغلام لا ابرح   كم من مزبر فزرة اني فانسرح

ثم قرع راسه بالرمح وقال خذها اليك يا عمرو فلولا اني اكره قتل مثلك لقتلتك
فقال عمرو والله لا ينصرف الا احدنا فقف لي فوقف له فحمل عليه حتى اذا
ظن انه خالطه السنان اذا هو حزام لفرسه ومر السنان على كتفي
الفرس ثم حمل عليه ربيعة فقرع راسه بالرمح ايضا ثم قال خذها اليك
يا عمرو ثانية وانما العفو مرتان وصاحت به امراته السنان للعدو ذكي
فاخرج ربيعة سنانا من سبخ ازاره كانه شعلة نار فركبه في الرمح فلما نظر
اليه عمرو وذكر الظعينة بلا سنان قال له يا ربيعة خذ الظعينة قال دعها
وانج بنفسك فقالت بنو زبيد نترك غنيمتنا لهذا الغلام فقال لهم عمرو
والله لقد رايت الموت الاحمر في سنانه وسمعت صريرا في تركيبه اياه
فقالت بنو زبيد لا يتحدث العرب ان قوما من بني زبيد فيهم عمرو بن معدي كرب
تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام قال عمرو انه لا طاقة لكم به وما رايت
مثله قط فانصرفوا عنه واخذ ربيعة الظعينة والغنيمة وعاد الى قومه
كلام المسعودي وفيه مخالفة لما مر ان عمرو قال فامر حربه وانثنى
حربه حتى ملك فالله اعلم وذكر الاصبهاني بسنده الى ابي عبيدة قال
خرج دريد بن الصمة الجشمي في فوارس من بني جشم بن بكر بن معاوية حتى اذا
كانوا بواد لبني كنانة يقال له الاخرم وهو يريد الغارة على بني كنانة

ورفع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة فلما نظر إليه قال للفارس من أصحابه دونكه فصاح به أن خل عن الظعينة وانج بنفسك فلحقه الفارس فصاح به وألح عليه فلما أبى أن يكف عنه ألقى زمام الراحلة وقال للظعينة

سيري على رسلك سير الآمن   سير رداح ذات جأش ساكن
إن انثنائي دون قرني شائني   وابلي بلائي واخبري وعاين

ثم حمل على الفارس فطعنه فصرعه وأخذ فرسه فأعطاه الظعينة فبعث دريد فارسا آخر لينظر ما صنع صاحبه فرآه صريعا فصاح به فتصام عنه فظن أنه لم يسمع فغشيه فألقى الزمام إلى الظعينة ثم حمل على الفارس فصرعه وهو يقول

خل سبيل الحرة المنيعه   إنك لاق دونها ربيعه
في كفه خطية مطيعه   أولا فخذها طعنة سريعه
فالطعن مني في الوغى شريعه

* *

فلما أبطأ الأمر على دريد بعث فارسا ثالثا لينظر ما صنعا فانتهى إليهما فرآهما صريعين ونظر إليه يقود ظعينته ويجر رمحه فقال له خل سبيل الظعينة فقال للظعينة اقصدي قصد البيوت ثم أقبل على الفارس فقال

ماذا تريد من شتيم عابس   ألم تر الفارس بعد الفارس
أرداهما عامل رمح يابس   من برز فيه للمنية يائس

ثم طعنه فصرعه وانكسر رمحه ثم إن دريدا ارتاب وظن أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل فلحق ربيعة ولم يبق معه رمح وقد دنا من الحي ووجد القوم قد قتلوا وهم من جشم فقال له دريد أيها الفارس إن مثلك لا يقتل وإن الخيل ثائرة بأصحابها ولا أرى معك رمحا وأراك حديث السن فدونك هذا الرمح فإني راجع إلى أصحابي فمثبطهم عنك فأتى دريد أصحابه فقال إن فارس الظعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحي ولا مطمع لكم فيه فانصرف القوم وقال دريد في ذلك

*

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله   حامي الظعينة فارسا لم يقتل
أردى فوارس لم يكونوا نهزة   ثم استمر كأنه لم يفعل
متهللا تبدو أسرة وجهه   مثل الحسام جلته كف الصيقل

يزجي ظعينته ويسحب رمحه … متوجها يمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مخافة رمحه … مثل البغاث خشين وقع الأجدل
يا ليت شعري من أبوه وأمه … يا صاح من يك مثله لم يجهل

وقال ربيعة في ذلك أيضا

إن كان ينفعك اليقين فسائلي … عني الظعينة يوم وادي الأخرم
إذ هي لأول من أتاها نهبة … لولا طعان ربيعة بن مكدم
إذ قال لي أدنى الفوارس ميتة … خل الظعينة طائعا لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه … عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم
وهتكت بالرمح الطويل إهابه … فهوى صريعا لليدين وللفم
ومنحت آخر بعده جياشة … نجلاء فاغرة كشدق الأضجم
ولقد شفعتهما بآخر ثالث … وأبى الفرار لي الغداة تكرمي

قال فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم أن أغاروا على بني جشم رهط دريد فقتلوا وأسروا وغنموا وأسروا دريد بن الصمة فأخفى نسبه فبينما هو عندهم محبوس إذ جاء نسوة يتهادين إليه فصرخت امرأة منهن وقالت هلكتم وأهلكتم ماذا جر علينا قومنا هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة ثم ألقت عليه ثوبها وقالت يا آل فراس أنا جارة له وهذا صاحبنا يوم الوادي فسألوه من هو فقال أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي فقالوا ربيعة بن مكدم قال فما فعل قالوا قتلته سليم قال فما فعلت الظعينة فقالت المرأة أنا هيه وأنا امرأته أنا ريطة بنت جذل الطعان فحبسه القوم وآمروا أنفسهم فقال بعضهم لا ينبغي أن تكفر نعمة دريد على صاحبنا وقال آخرون والله لا يخرج من أيدينا إلا برضى المخارق الذي أسره فانبعثت المرأة من الليل وبعثت تغني قومها وقالت

سنجزي دريدا عن ربيعة نعمة … وكل امرئ يجزى بما كان قدما
فإن كان خيرا كان خيرا جزاؤه … وإن كان شرا كان شرا مذمما
سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة … بإعطائه الرمح الطويل المقوما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه … وأهل لأن يجزى الذي كان أنعما

فلا تكفروه من نعماء جميلكم * ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فلو كان حيا لم يضق بثوابه * ذراعا غنيا كان أو كان معدما
ففكوا دريدا من إسار مخارق * ولا تجعلوا البوسى إلى الشر سلما

فاجتمع القوم فتعاونوا بينهم فأطلقوه وكسته ريطة وجهزته ولحق بقومه ولم يزل كافا عن غزو بني فراس حتى هلك **قلت** وفي هذا الخبر أن زوجة ربيعة ابن مكدم هي ريطة بنت جذل الطعان وهذا ينافي ما تقدم في نسبه من أن جذل الطعان هو علقمة بن فراس وهو جده الرابع أو الخامس ولعلهما انتسبتا إلى جدهما الأعلى فالله أعلم **وكان** من خبر مقتل ربيعة ما ذكره صاحب الأغاني وغيره عن أبي عبيدة قال قال أبو عمرو بن العلاء وقع تدارؤ بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فراس بن غنم فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم ثم إنهم ودوهما ثم ضرب الدهر من ضربانه فخرج نبيشة بن حبيب السلمي غازيا فلقي ظعنا من بني كنانة بالكديد ومعهن في ركب من قومه فلاقوا بهم نفر من بني فراس منهم عبد الله ابن جذل الطعان والحرث بن مكدم أبو الفارعة وقال بعضهم أبو الفرعة وأخوه ربيعة ابن مكدم فأقبل عمرو بن قيس يحمل في صفقة فلما رآهم ابن الفارعة قال إن هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم فقال أخوه ربيعة أنا أذهب حتى أعلم علم القوم وآتيكم بخبرهم فتوجه نحوهم فلما ولى قال بعض الظعن هرب ربيعة فقالت أخته أم عمرو بنت مكدم أين تنتهي نفرة الفتى فعطف وقد سمع قول النساء فقال

لتعلمن أنني غير فرق * لأطعنن الطعن ثم أعتنق
وأصبحنهم حين تحمر الحدق * عضبا حساما وسنانا يأتلق

ثم انطلق يعدو به فرسه وفي القوم فرسان أشعر لكيم فحمل عليه بعض القوم فاستطرد له في طريق الظعن وانفرد به رجل من القوم فقتله ربيعة ثم رماه نبيشة بن حبيب السلمي أو طعنه في عضده فأتى بفرسه فلحق بالظعن يستدمي حتى انتهى إلى أمه أم سيار فقال اشدي علي عصابة وهو يرتجز ويقول

شدي علي العصب أم سيار * فقد رزئت فارسا كالدينار
يطعن بالرمح أمام الأدبار

فأجابته أمه

إن بني ثعلبة بن مالك　　مرزأ أخيارنا كذلك
من بين مقتول وبين هالك　　ولا يكون الرزء إلا ذلك

قال أبو عمرو وشدت عليه أمه عصابة واستقى ماء فقالت لا فإنك إن شربت الماء مت فكر على القوم راجعا فجعل يشتد عليهم ويذب عن الظعن حتى أثخن فقال للظعن أوضعن ركابكن حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحي فإني لما بي وسأحميكن ميتا بأن أقف دونكن لهم على رأس العقبة وأعتمد على رمحي فإن فاضت نفسي كان الرمح عمادي فالنجاء النجاء فإني أرد بذلك عنكن وجوه القوم ساعة من النهار فقطعن العقبة ووقف هو بإزاء القوم على فرسه متكئا على رمحه ونزفه الدم ففاظ والقوم بإزائه لا يقدمون عليه فلما طال وقوفه في مكانه ورأوه لا يزول قال نبيشة بن حبيب إنه لمائل العنق وما أظنه إلا قد مات فأمر رجلا من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه فرماها فقمصت فزال عنه ربيعة ووقع لوجهه ميتا ويقال بل الرامي فرسه نبيشة فلما نحوا عنه وجدوا قتيلا فلحقوا الظعن وأخفقوا بسليم قال أبو عمرو بن العلاء فلا نعلم قتيلا حمى ظعائن غيره قال وإنه يومئذ لغلام له ذؤابة قال أبو عبيدة وبعضهم يزعم أن الفارعة أخت ربيعة بن مكدم فقتلوه ثم إن حفص بن الأخيف الكناني مر بجيفة ربيعة فعرفها فأمال عليها أحجارا من الحرة وقال أبو عمرو مر رجل من بني الحارث ابن فهر فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أهيلت على ربيعة فقال يرثيه ويعتذر أن يكون عقر ناقته على قبره وعيره من قريش وأسلمه من قومه فقال

نفرت قلوصي من حجارة حرة　　بنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فإنه　　سباء خمر مسعر لحروب
لولا السفار وبعد خرق مهمه　　لتركتها تحبو على العرقوب
فر الفوارس عن ربيعة بعدما　　نجاهم من غمة المكروب
يدعو عليا حين أسلم ظعنه　　فلقد دعوت هنالك غير مجيب
لا يبعدن ربيعة بن مكدم　　وسقى الغوادي قبره بذنوب

قال أبو عبيدة ويقال إن قائل هذا الشعر ضرار بن الخطاب الفهري وقال آخرون بل هو لحسان رثى بها ابن الانعكاري وكذا رثاه جماعة من أشراف العرب من قومه

وغيرهم

وغيرهم وقال عبد الله بن جزل الطعان في ذلك *

ألا لله درّ بني فراس * لقد أورثتم حربا وجيعا
غداة ثوى ربيعة في مكرّ * تمجّ عروقه علقا نجيعا
فلن أنسى ربيعة إذ تعالى * بكاء الشعر تدعو يا ربيعا

وقال ابنها يتوعّد بني سليم *

ولست لحاصن إن لم أزركم * كتائب من كنانة كالقريم
على قبّ الأياطل ضمرات * أضرّ بنيها علك الشكيم

وقال المبرد في الكامل روى ابن داب أن حسان بن ثابت اجتاز بقبر ربيعة بن مكدم فأنشد نفرت قلوصي من حجارة حرّة * الأثبات المتفرقة قال وكان الذي قتل ربيعة أهبان بن غادية الخزاعي وقيل يقول إنما قتله نبيشة السلمي وكان أهبان أخا نبيشة لأمه وكان قد نال ذلك زائرا فأغار ربيعة بن مكدم على بني سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل على ربيعة فقتله وحمل أخو ربيعة على أهبان فعانقه فعيي بنو سليم يقول حسان * نفرت قلوصي من حجارة حرة * لأن الحرة منازل بني سليم وفي مضر وقال ابن عبيد خزاعة يقول أهبان *

ولقد طعنت ربيعة بن مكدم * يوم الكديد بحربة فموسر
في عارض شرقت بنات فؤاده * منه بأحمر كالنقيع المجسر
ولقد تنبت سلاحه وجواده * لأخي نبيشة قبل لوم المحسر

وقال أخو ربيعة يجيبه *

فلات ابن غادية المنية بعدما * رفعت أشعلة نيله بالمطرد
قل لابن غادية المتاح لقتلنا * ما كان يقتلنا الوحيد المفرد

يريد أن أهبان بغيره من قومه في أعوانه وقال أيضا

فإن تزعم سليم بن منصور فإنه * بأسلم من منازلنا قريب

هـ كلام المبرد

وقد ربما يبدو إذا بن زرزر * رسيم إليه كما زاد تشوفي
لبنى وما إذ زبيب ما لبنى بها * عرفت هنا بما نعم فيا ذا أفلق

اللغة قوله ربما يبدو البدو الظهور يقال بدا الأمر بدوا إن نفر فغردا

أي كشف وأبرزته الكشف ته وفي قوله تعالى بادي الرأي بالياء أي في ظاهر الرأي
ومن همزه جعله من بدأ ومعناه أول الرأي فقوله اذا برزوا البروز الظهور
أيضا وعنا برزا لنا كشف ثيابه ونحو ما قبله تقدم فقوله رئيا مهموز
الرسكم ومن يخفف بابدال الهمزة ياء والكسبى والجمع ادراع وادراع على القلب
قال الأصمعي الادراع الكساء انما لعله البياض فالوشي تشكل الرفل فقوله
اليه كالرع تشوف الكبير معروف والتشوف منها بمعنى الشوق والاشتياق
ونحو نزوع النفس الى الشيء المشتها والتياه يقال شاقني حب كذا بشيء فتى ينزو
شاير وانا مشوق وشوقني اليه فتشوقت فقوله لبنى علم امراة واللبنى
في الاصل شجرة تنضح لبنا كثيف الرائحة فيسيل منها كالعسل يتعطر على
اعواده ما يوقد فيتبخر به والعامة تسميه حصى لبان وانما هو عسل اللبنى
التي هي شجرة من الشجر كما قلنا فنقلت العرب اسمها وجعلته علما
لبعض نسائها كما نقلت من الأعلام المنقولة فقوله وما ادراك ما لبنى الدراية
العلم مطلقا او نوع خاص من العلم يقال دريته ودريت به دريا ودراية
علمته ويتعدى بالهمزة فيقال ادريته به وقوله تعالى لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا ادراكم به أي ولا أعلمكم به على لساني فقوله بما عرفت صبابة
الصبابة رقة الشوق وحرارته يقال رجل صب أي عاشق مشتاق وقد صببت
يا رجل بالكسر كما حكت قال الشاعر * *

ولست تصب الى الكفا عينيك … اذا ما هريقت لم يكتئب

قيل ان الصبابة مشتقة من صب الماء وغيره من المائعات لان المحب ينصب شوقه
بشكل منصب دون غيره فقوله مغرما المغرم اسم للمحب المولع به من اغري
بالشيء بالبناء للمفعول اذا اولع به والتغرام الولوع والغرام الشر الدائم
والعذاب وقوله تعالى ان عذابها كان غراما قال ابو عبيدة أي هلاكا ولزاما
لهم فقوله ذا قلق أي صاحب اضطراب وانزعاج وذلك شان المحب وديدنه

الاعراب والتصريف فقوله في ثيابه يبرز ويجوز تشديد الباء من رئيا
وتخفيفها وقرئ بهما فقوله تعالى ربما يود الذين كفروا بالوجهين قال ابو حيان
اهل الحجاز يخففون ربما وتميم وقيس وبكر يثقلونها وفيها لغات اخر وسبعة الاصل

حرف جر ومعناه التقليل كما هنا ونازع ابن هشام في ذلك فقال انها للتكثير
كثيرا وللتقليل قليلا واذا دخلت ما الكافة عن عمل الجر وهيأتها للدخول على
الفعل وجب كونه ماضيا لفظا ومعنى واما قوله تعالى ربما يود الذين كفروا
فمؤول عند الجمهور وقال الفخر الرازي ما نصه قول النحاة انه لا يجوز
دخول هذه الكلمة على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلي وانما الرجوع
فيه الى النقل والاستعمال ولو انهم وجدوا بيتا مشتملا على هذا الاستعمال
لقالوا انه جائز صحيح وكلام الله اقوى واجل واشرف فلم لم يتمسكوا بوروده
في هذه الآية على جوازه وصحته ثم ذكر تأويلهم للآية قال ابن هشام وفيه
تكلف والدليل على صحة استقبال ما بعدها قوله

*

فان اهلك فرب فتى سيبكي   علي مهذب رخص البنان

ه فبان بهذا ان في كلام الله تعالى وكلام العرب ما يشهد لصحة كلام الناظم
وغاية ما يقال فيه انه قليل بالنسبة الى الماضي والله اعلم فقوله اذا ابرز
في كرم متعلق بيبدو وجملة يبرز في محل جر باضافة اذا اليها ولا تحتاج
اذا هنا الى تضمن معنى الشرط لان التقييد يفهم من قوله يبدو وقت بروز من في كفه
من شانه كيت وكيت ويجوز ان يضمن فيها معنى الشرط كثيرا وجوابها محذوف
لدلالة ما قبله عليه وفي كرم جار ومجرور يحتمل ان يتعلق بيبدو ويحتمل ان يتعلق
بيبرز وهو الأقرب من جهة المعنى وابتداء اقرب من جهة الصناعة ويصح ان يفرد
مع الأول مجرور لدلالة هذا عليه وقوله ربما فاعل يبدو والياء فيه
منقلبة عن الهمزة وفيه تخفيف ياء مخففة بخلاف ما لو كانت تخفيفا بابدالها
بين بين فان التخفيف ممتنع لما مر عنه فقوله ولتميز رايتا فقوله اليه
كما انه جملة في محل النصب لزيم وتشوقي فاعل حال واليه متعلق بحال
فيرجع عليه وفي متعلق بعد ابيضا وباؤه للمصاحبة كما في قوله تعالى وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به قوله ليس يصح ان يكون بدلا من ربما ويصح ان يكون
خبرا لمبتدا محذوف اي هو ليس وهذا ازكاها يا في بيانه في المعنى فقوله
وما اذ رأى ما ليس ما الأولى مبتدا وجملة اذ رأى خبره وقوله ما ليس جملة
من مبتدا وخبر محلها نصب على الاشتغال بمقتضى اذ رأى متعد الى مفعول

الشأن بالالغاء كما في قوله تعالى ولا أدراكم به فلما ونعت جملة الاستفهام
معلقة لفعل الدراية كانت في موضع المفعول الثاني المجرور بالباء والجملة
الكبرى معطوفة على الجملة الأولى الواقعة في صدر البيت والتعبير بمتى في
المحبوب المكني عنه بالريم لتشيء وأي شيء أعلمت ما الشيء فقوله فما عرفت مباني
جملة مستأنفة ونائب الفاعل في عرفت ضمير الناظم ومباني حال منه ومع ما
قال بعد ما لو قال فلم كذلك إذ لا مانع أن الفعل قد تعدى كما قيل فقال الشاعر

علي إذا ما زرت ليلى بخفية   زيارة بيت الله رجلان حافيا

المعاني فقوله في ما يبدو علة في قدر أي إنما طلبت الفلاة من لأنه
ربما يبدو أو جواب شرط مقدر أي فإذا الغلبين ما يبدو والفاء على هذا فصيحة
والفاعل في جانب يبدو من ما يقتضي التحقير وفي جانب تبدو الريم ما يقتضي
التقليل وهو يستلزم الشك عادة لأن كلا من منصبه والاشتغال بتمنعه وتعوقه
تعوقا زائدا على تعوق ثمن إذ هو واسطة العقد ومن الفلاة ومع البيضة بهر
من بمنزلة الملح ومن لغ بمنزلة الخرج وإن كان الجميع مهونا والكل مجموعا والتنكير
في ريم للتعظيم والمراد عظم المنزلة وعلو الرتبة والقصر المستفاد من تقديم
المجرور في قوله إليه كما في فهم تعبير لإزالة الشركة المحتملة ومثله يقال في
قوله فما عرفت مباني فإن الناظم رحمه الله تعالى أولع بها أولا إلا الحوار وكان
متبعا لركابهم في رحيل القوم ووقت تفقدهم وافتقد أنه تم ايهما لكونه
ذمتوا احتمل اقترانه أن يكون تفرقا من كلهم أو بعضهم وعلى احتمال البعض فلم يذر
على التعبير بمن هو فاعلم أن تعلوته إنما هو المحبوب الذي هو كالريم وهما
كان الريم أشرف الظباء وأحسنها إذ هو أنقى لونا البياض فيها كما مر بمعنى
لا معنى عليه منه أن محبوبته من أشرف أولاد الفتيات وأكثر حشمة
وأعظم منزلة ولما لم يكن في جعله ريما كمال البيان له وقد حصل المقصود من
معرفته أتبعه بالبيت الذي بعده فقال لبشرى وما أدراك ما البشرى وكأنه قيل
له من هذه الفتاة التي كنيت عنها بالريم فقال اسمها لبشرى فعبر عنها باسمها
العلمي وأفاد مع ذلك بين التصريح بعد أن أفاد ما بين الكناية ثم
حمل على نفسه بأنه ما معي ولعلها ما شوق بعيبها كلفه ومن الكتاب افتعل

المفاع

المقام ودعت اليه الحاجة والصناعة وعظم موقعه من هذا البيت الذي هو
تخلص الى الكلام من ذكر التغزل فتمم هذا الاكتفاء ثم انه جعل التشبيه في هواجسها
كالفجائي في تشبيه الغلام فكانه بذلك انما خيل لمن خيال وانما انسان العين
ولب الذئب وفريسة الغلب واما ما اشتمل عليه قوله وما ادراك ما التشبيه من
التفخيم لقدرها والتشويق بشأنها فشيء يدركه الذوق ولا يبتذل الى تحصيله
الفكر وقد قال الزمخشري في قوله تعالى وما ادراك ما الحاقة ما بمعنى واي شيء اعلمك
ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها يعني انها من العظم والشدة
بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك
ه وقوله بها عرفت هبا يعني اذ اشتهر بها وتخصص بالاضافة اليها
حتى صار لا يعرف عند الانتساب الا بها كما انتسب اليها جماعة من شعراء العرب
وتتيموا بعشق فقيس بن الملوح بليلى العامرية وقيس بن ذريح بلبنى الخزاعية
وعروة بن حزام بعفراء ومرقش باسماء وعمرو بن عجلان بهند وجميل ببثينة
وكثير بعزة وغيلان بمية وغيرهم ممن كان منهم وللذي كان يضاف الى اسم محبوبته
ويعرف بها فيقال كثير عزة وغيلان مية وغير ذلك وقد ذكر ابو الفرج الاصبهاني في
الاغاني عن عمر بن شبة ان كثير بن عبد الرحمن الشاعر المشهور وكان غاليا
في التشيع فاخبر عن قطام صاحبة عبد الرحمن بن ملجم التي اغرته بقتل علي رضي
الله عنه في فرقة خرجت الى الكوفة فاراد كثير الدخول عليها ليوبخها فقيل له
لا تردها فان لها جوابا قال بل واتاها فوقف على بابها فقرعه فقالت من
هذا فقال كثير بن عبد الرحمن الشاعر فقالت لبنات عم لها تنحين حتى يدخل
الرجل من بعد البيت واذنت له فدخل وتنحت من بين يديه فرءاها وقد ولت
فقال لها انت قطام قالت نعم قال صاحبة علي بن ابي طالب عليه السلام
قالت صاحبة عبد الرحمن بن ملجم قال اليس فيك قتل علي بن ابي طالب قالت بل
مات باجله قال اما والله لقد كنت احب ان اراك فلما رأيتك نبت عيني عنك
فما احلوليت في خلدي قالت والله انك لقصير القامة عظيم الهامة قبيح
المنظر وانك لكما قال الاول تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فقال كثير

رأت رجلا اودى السفار بجسمه … فلم يبق الا منظر وجناجن

فإن أنا معروف العطاء فإنني ... إذا أوزن الأقوام بالقذع وازن

وأخلي إذا استودعت غثني من أمانة ... إذا ما غبت الأشرار للسم ذائق

وقال الثعالبي أبو بكر أنت كثير عزة فقال نعم فقالت الحمد لله الذي فهم بك فقمرت لا تعرف إلا بأمرك فقال إني قد كذبت فوالله لتعرفن ما بين هذا وكان بينهما ذكر وقرب من المعلقة مجلسه **البيان** في كلام الناظم المجاز ودالك في المطلع فانه اسم الربح الذي هو الكثير على المحبوبة فهو استعارة تصريحية وفي قوله كما رب استعارة أخرى تصريحية تبعية فإنه شبه سرعة سيره لطلب ركاب المحبوبة بالكثير من جامع قطع المسافة بسرعة ثم اشتق منه كما رب على العلقة وعلى غير الناس رجل مسد بعينا رقبة كلما شمع ميتعة كما رأيته يقضي الجماد في سبيل العد ومما يقرب من كلام الناظم قول الأديب أبي عمر احمد بن دراج القسطلي

*

فمضيت سعيع النفس فيما وفادة ... رواحل لترداد الشرى وبكور

وكما رجناح البرء ومعتب بها ... جوانح من عمر البهاء وتكبير

وإسناده بعد الكبير إلى الشرو مجاز عقلي وإن جعل كلام الناظم من باب الاستعارة بالكناية بأن يكون شبه شرفه إلى المحبوبة بكلام في اجنحة تشبيهاً مضمراً في النفس واقتصر على ذكر المشبه الذي هو الشرو وأثبت له الكبير الذي هو من الملائم للمشبه به دلالة عليه كقول الشاعر

*

ولئن نطقت بشكر برك مفصحاً ... فلسان حالي بالشكاية أنطق

شبه الحال بإنسان متكلم فأثبت له اللسان ونحو تقدم نكهين له **البديع** في كلام الناظم منه النوع المسمى بالتكرار ذكره أصحاب البديعيات وهو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى لغرض من الأغراض كتأكيد المدح أو الذم أو التهويل أو غير ذلك فمن المدح قول البحتري

*

بالصريح الصريح والأروع الأر ... وع منهم وباللباب اللباب

ومن التهويل قوله تعالى الحاقة ما الحاقة الآية ومنه قول الناظم لبنى وقال ذا رأيها لبنى هذا ولا يخفى أن الناظم رحمه الله لم يكن له محبوبة اسمها لبنى ولا أتبع ركاب قوم ولا خاض هاديا وإنما هذا منهج

معروف للشعراء ذكر بعض من يستعملونه في قصائدهم ويحسنون فيه
مطالع مراثيهم وهو مختص بهم حسبما ياتي بيانه في محله ان شاء الله فان
قلت اليس ما اتى به بعض من وصف الخد والقد والمعصم والساق وغير ذلك
مما نهي عنه **قلت** لا وقد ذكر حجة الإسلام الغزالي وكفى به حجة في كتاب
السماع من الاحياء ما نصه فاما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود
والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر اوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح
انه لا يحرم نظمه وانشاده بلحن وبغير لحن وعلى المستمع ان لا ينزله على امرأة
معينة فان نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على اجنبية
فهو العاصي بالتنزيل واجالة الفكر فيه ه **قلت** وقد سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم قصيدة كعب بن زهير وقصائد حسان بن ثابت وكعب بن مالك
وغيرهم وفيها شيء كثير من هذه الاوصاف من ذلك على اباحته بالشرط
الذي ذكره حجة الإسلام والله اعلم واما اختيار تكرر محبوبته لبنى
دون ان يجعلها ليلى او غيرها من الاسماء التي وقع للشعراء التشبيب بها
فان لبنى من جملة نساء العرب المشهورات التي رويت اخبارها وسارت باشعار
هن ووقع الغناء بها والحديث عنها في مجالس الخلفاء والشعراء والادباء
وغيرهم فشهر حديث لبنى من شهير الحب : والشعر الذي قيل فيها ارق واحكم :
وقد استوفى خبرها ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني وهو مما ينبغي لكل من
رقت حاشيته ان يقف عليه ويتكلم فيه وحاصله ان لبنى كانت امرأة من خزاعة
وكان منزلها بالبادية فاتفق ان قيس بن ذريح الليثي انتهى يوما الى حيها وكان
شابا لم يتزوج بعد فمر امام خيمة امها وبقي يستسقي فبرزت جارية بكر فاستسقاها
فسقته ماء ومشت له فشرب حبها في ذلك الماء واستهام فؤاده وعلقت هي
به ايضا وكان ابوه من اهل المدينة المنورة ذا نعمة ذا مال كثير فسأله قيس
ان يزوجه من لبنى فابى عليه وقال ان في بنات عمك لمقنعا فازداد به الغرام
حتى اشتهر امره وضيق عليه واتصل خبره بالحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله
عنهما فسعى في امره حتى تزوجها وبقي معها ما شاء الله في اطيب عيش وانعم
بال ثم ان امه تشكت منها واغرت اباه بان يحمله على طلاقها فلم يزل

به أبوه عشق كلفهما وقد تمكن حب كل منهما من قلب صاحبه وبفارقته على كره
وحملها قومها اليمن وبقي قيس بن ذريح من الصبابة والتبريح على حالة يقصر
الجمل عن شرح بعضها سنين متكئا ولقد ثم زوجه أبوه بأحسن امرأة فزر
عليهما في أحياء العرب فلم ينتفع بذلك وزوج لبنى أهلها أيضا برجل آخر من
أهل المدينة فلم يكن زوجها ينتفع بها لما بهما من حب قيس واشتهر الحال على ذلك
إلى أن مات كل منهما شغفا بصاحبه وقيل إن قيسا تزوجها من له آخر بعد هلاك
زوجها الثاني لها واجتمع كل منهما بصاحبه وعسر عاذلهما بذلك والله تعالى أعلم

وتبسم بثغر أشنب وفم شهي * قد زان توردٌ من خد فيه تعشق
وناعم قد تكلّل وناعم * وحاجب قد تقوّس
ومعقب محمل ومعصم * مسوّر ومنثن مكمّر
ومقلة ترمي بقوس حاجب * لاحظها بسهمها المفوّق

اللغة قوله تبسم بثغر الشنب والسباء الأسر وقد سبيت العدو سبيا
وسباء إذا أسرته واستبيته مثله والمرأة تسبي قلب الرجل أي تأسره
وتأخذ بمجامعه والثغر المبسم ثم أطلق على الثنايا قاله في المصباح قوله
أشنب الشنب بالتحريك ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان الذكر أشنب
والأنثى شنباء قال الراجز *

وابأبي أنت وفوك الأشنب … كأنما ذُرّ عليه الزرنب
أو زنجبيل وهو عندي أطيب *

قال الجوهري سمعت الأصمعي يقول الشنب بردة الفم والأسنان فقلت إن
أصحابنا يقولون هو حدة الأسنان حين تطلع يراد بذلك حداثتها وطراءتها
لأنها إذا أتت عليها السنون احتكت فقال ما هو إلا بردها قال الجوهري
ويقوي قول ذي الرمة *

لمياء في شفتيها حوة لعس * وفي اللثات وفي أنيابها شنب

يزيد قول الأصمعي لأن اللثة لا تكون فيها حدة. وقال ابن سيده. قال الأصمعي
سألت رؤبة عن الشنب فأخذ حبة رمان وأومأ إلى بصيصها قوله
وفم شهي بكسر الشين وفتح الفم للذائذ موضع الرشف وهو المص وقد رشفه

يرشفه كنهره وضربه وان ترشفه اي امتصه وفي المصباح ان الرشف اخذ الماء بالشفتين وهو دون الجرع ومن ثم في المثل الرشف انقع اي اذا ارتشفت الماء قليلا قليلا كان اسكن والرشوف المرأة الطيبة الفم واليابسة الفرج قوله فرا اتروى من فرطه الغرقد مجمع الخمر قال ابن الاعرابي سميت بذلك لانها ترعد شاربها والقهوة الرائحة وانكر ابو عبيدة ان تكون سميت لذلك قال وانما من اسمها واعلم ان القهوة مؤنثة قال جرير

وانها في الحانوت جرة فوقها   بما سورة تمشي وتغدو بالنعا

والناس ربعها بصفة المذكر فيخرج على لغة التذكير في الخمر وهي قليلة قوله معتقة اي قديم والتعتيق من التحرير وعتق الشيء كرم ونحو عتاقة فرس وعتق عتيق وعاتق والمعتقة الخمر التي تركت زمانا حتى عتقت اي قدمت وحسنت والعاتق الخمر العتيقة كما مر ويقال هي التي لم يفض ختامها ومنه قول الشاعر

أو عاتق كدم الذبيح مدام *

قوله وناعم مشكل نعتا لمحذوف اي كفل او بدن ناعم والنعومة البشرة خلاف الخشونة ولينه نعم بالضم نعومة فهو ناعم لان ولمسه والمشكل اي ضخم عبل او مرتفع قال في القاموس المشكل الضخم من كل شيء والعريض الطويل والنبات الطويل البالغ العبل والبناء المشرف والمشكلة المرأة العظيمة والتشكيل مشي السمان والمرأة اختيالا قوله وفاحم حالك صفة للشعر يقال شعر فاحم اي اسود شديد السواد وقد فحم فحومة وفحومة مثل كالفحم وهو الحمرة الخالية وفحمة العشاء ظلمته والحالك المسرح يقال رجلت الشعر ترجيلا اذا سرحته سواء كان شعرك او شعر غيرك وربما كان فيه تكسر وتقول ترجلت اذا كان شعرك نفسك وشعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم ليس بجعد ولا سبط بل بينهما وهو المحبوب عند العرب لان الجعودة للعبيد من اولاد الحبشة والسودان والسبوطة للعبيد من اولاد العجم وشعر العرب بين ذلك قوله وحاجب مرفوع بالعطف على العطف بيره والعينين بيهجهما ووسعهما وقيل الشعر النابت على العظم يعني والجمع حواجب وترفيعهما وتحكيكهما وتحسينهما وهو التزجيج قال

اذا ما الغانيات برزن يوما   وزججن الحواجب والعيونا

اي رققن الحواجب وكحلن العيون قوله وعقب مجمل العقب بكسر القاف ويسكن

تخفيفا فوق الفرع ومن انثى كما في الصحاح والمصباح وغيرهما وعليه فينبغي
ما وقع في تذكير الناظم له وكانه راعى فيه معنى الثوب او العود اليه وقال في
المصباح في قول الشاعر * والعين بالاثمد الحاري مكحول * قيل ان العين
ق علامة للتانيث فيها فحملها على معنى الطرف والعرب تجترئ على تذكير المؤنث
اذا لم يكن فيه علامة تانيث وقلع معافة لبعض مذكر حكاه ابن السكيت وابن
الانباري وحكاه الازهري قريبا من ذلك وقولهم كف خضيب على معنى ساعد مخضب
لا كف قال ابن الانباري باب ذلك الشعر وعليه يخرج كلام الناظم رحمه الله و
ومعنى محجل ذو حجل بكسر الحاء وتفتح وهو الخلخال ومنه الغزل والتحجيل في الخيل
قوله ومعصم مسور المعصم بكسر الميم موضع السوار من الساعد ومسور ذو
سوار ككتاب وهو الدملج والجمع اسورة كارغفة وجمع الجمع اساورة وقرئ في
قوله تعالى فلولا القي عليه اسورة من ذهب بالوجهين وقد تحذف الهاء فيقال
اساور قال تعالى وحلوا اساور من فضة قوله وعنق مطوق العنق الرقبة وهو
مذكر واهل الحجاز يؤنثونه ويضمون نونه اتباعا وتميم بسكونها تخفيفا
ومطوق ذو طوق وهو الحلي الذي يجعل للعنق من فضة وغيرها وكل ما استدار
بشيء فهو طوق له والحمامة المطوقة التي على جيدها طوق ويقال لونها
وشبه بطوق عن الطوق ومثل بعض في جملة بسم ما شرد ورفرف وسياتي خبر له ان شاء
الله قوله ومقلة ترمي في المقلة على وزن غرفة شحمة العين التي تجمع
سوادها وبياضها والجمع مقل كغرف ومقلته اذا نظرت اليه قوله بقوس
حاجب القوس معروفة وهي مؤنثة الا انه التي يرمى عنها تذكر وتؤنث والجمع
اقواس وقسي على القلب قوله به حكمها اسم فاعل من حكمه وحكم اليه تحكما
نظر اليه بمؤخر عينيه بنحو لاحظ قوله بسهميها السهم والسهم واحد النبل
الذي يرمى به وقيل السهم نفس النصل وجمعه اسهم وسهام والسهم الذي
يجعل له فوق بالضم وهو موضع الوتر من السهم والجمع افواق وفوق واذا وضعت
السهم في الوتر لترمي به قلت افقته افاقة والافوق كالاحمر السهم المكسور
الفوق والله تعالى اعلم **الاعراب والتصريف** قوله تشبه بثغر
جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وهي اشبه للضرورة وجملة فراز ثغر

في محل النصب نعت لمرشف والفه منقلبة عن ياء فيكتب بياء وجملة قد في بقوس حاجب نعتا لمقلة والباء في بقوس للمجاوزة بمعنى عن كقوله تعالى فسئل به خبيرا او قال ابن مالك فيه للاستعانة لانهم كما يقولون رميت عن القوس يقولون رميت بها والمعنى واحد حكاه الفراء وفيه رد على الحريري في انكاره ان يقال رميت بالقوس الا اذا كانت القوس هي المرمية واضافة قوس الى حاجب بيانية كلجين الماء ولا حذف مفعول نرتمي واما قوله فسهمها المعرقون فالباء فيه للاستعانة ثم ان جعلنا الباء في بقوس للمجاوزة فسهمها يتعلق بنرتمي والضمير فيه يعود على المقلة وان جعلناها للاستعانة على راي ابن مالك فسهمها بدل اشتمال منه والضمير عائد على المبدل منه الذي هو القوس والله اعلم **المعاني** فقوله فشبه بثغر اشنب جملة مستانفة استينافا بيانيا فانه لما قال ليتني وما اذ رأى لتمني كأن سائلا سأله وقال فما عالمها وما صفتها فاندفع يذكر صفاتها وبعض صفاتها بقوله فشبه بثغر اشنب وكذا وكذا الى اخر الاوصاف الاتية وفي كلامه ايجاز الحذف حيث حذف الموصوف من نائبه وفاتحه **البيان** في كلامه استعارة مصرحة حيث اطلق الفرقد على ريقها لكونه يشفي عطشها ويقوم مقامها ويفعل فعلها والله اعلم **البديع** في كلام الناظم منه التورية وهي ان يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان احدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والاخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع من اول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك ولاجل هذا سمي هذا النوع ايهاما ومن ذلك قول ابي العلاء المعري

وحرف كنون تحت راء ولم يكن ... بدال يؤم الرسم غيره النقط

فمن يسمع هذا البيت يتوهم انه يريد براء ودال حروف الهجاء لانه ذكر بعضه من كسر الحروف واتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا المعنى القريب المتبادر الى الذهن والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب فمراده بالحرف الناقة وهو من النون تشبيه الناقة به في تقويسها وضمورها وبراء اسم الفاعل من برى اذا ضرب الرية وبدال اسم الفاعل من دلا اذا رفق في السير وبالرسم اثر السير وبالنقط المطر ومعنى هذا البيت ان هزال الناقة لضعفها واعيائها مثل نون

تمثال رجل يضرب رأسها وتلحق من فوقها في السير من غيره إلى غيره رمي ويوقع بها
ذا أراد غيرها المكن رشقها واجتماع هذا الذهاب دليل على حذف النافية ومن
التورية أيضا قول ابن الفقيه عيادا في ترجمة القفصي وهو يصف الربيع وقد وقع فيه
برد شديد مع أن فصل الربيع الذي تكون الشمس في أوله في الحمل شأنه الدفاء وعدم
البرد كأن كانون أهدى من ملابسه — لشهر تموز أنواعا من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرفت — فما تفرق بين الجدي والحمل

يعني كأن الشمس من كبرها وطول مدتها صارت خرفة قليلة العقل فنزلت في برج
الجدي أوان حلولها في برج الحمل فأراد بالغزالة معناها البعيد وهو الشمس
وقد قرن بها ما يلائم المعنى القريب من الملاعبة وكذا ذكر الجدي والحمل المراد بهما
معناهما البعيد وهما البرجان والقريب للجدي ولد المعز والحمل ولد الضأن إذا
علمت هذا فالتورية من كلام الناظم في قوس حاجب فإن له معنيين أحدهما
قريب وهو القوس الذي يرمى عنها والمعنى قوس مشهورة كانت لرجل من العرب
اسمه حاجب بن زرارة التميمي وستأتي قصته في محله وثانيهما بعيد وهو حاجب
العين وقوسه عبارة عن انعطافه واستقواسه وهو وصف حسن فيه فأراد
الناظم هذا البعيد وأوهم أنه يريد المعنى القريب الذي هو قوس حاجب المضروب
بها المثل ثم رشح ذلك الإيهام بقوله بذكر الرمي والسهم المعروفين اللذين
تلائم المعنى القريب فجاءت التورية في كلامه في غاية الحسن والرشاقة
كما ترى ولا يخفى ما في الأبيات الأربعة من فصاحة اللفظ وجودة السبك
والانسجام والسجع والموازنة والتلميح والتتميم وغير ذلك وكأن الناظم
حاذى بهذه الأبيات قول العجاج في جيميته المشهورة

أزمان أبدت واضحا مفلجا — أغر براقا وطرفا أبرجا

ومقلة وحاجبا مزججا — وفاحما ومرسنا مسرجا

وكفلا وعثا إذا ترجرجا *

وهذا قيل في الثغر وتشبيه النكهة على المعهود قوله في الكتيب

ثلاث تشابه عقدها وكلامها — ومبسمها الدري في الحسن والنظم

ونكهتها والمندلي وقرقف — معتقة صهباء في الريح والطعم

وقال النواجي

ذو مبسم سكري حلا ريقه ... أما ترى الأسنان والثغر قد كيفا
وعنده مشتر خال في الخد غدا ... له الشقيق شقيقا والهلال أخا

ومما قيل في نعومة البدن وحسن الأعطاف قول الأعشى

يكاد يصرعها لولا تشددها ... إذا تقوم إلى جاراتها الكسل
إذا تلاعب قرنا ساعة فترت ... وارتج منها ذنوب المتن والكفل

فانظروا إلى كلام العرب العرباء وفصاحة ألفاظهم وبراعة أوصافهم وقال آخر من المولدين

سألت النقا والبان زان يحكيان لنا ... معاطفه أو أردافه من قال مثله
فقال كثيب الرمل ما أنا ردفه ... وقال قضيب البان ما أنا قده

ومما قيل في سواد الشعر قول بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام فرعها ... وتغيب فيه وهو جثل أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليل عليها مظلم

وقال أبو الطيب

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معا

ومما قيل في الخدود قول عمر بن أبي ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم ... ورنوا بنجل للقلوب كوالم
حسن الأكمة عن سوالف عربية ... فكأنما تتضيف منه مواقع

ومما قيل في الساق قول الآخر

لو أنها إذ قام يكشف ما جرى ... عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا غرو إن قامت عليه قيامتي ... إن القيامة يوم كشف الساق

ومما قيل في العنق المكن قول أبي الطيب

ثمرتا الصدر مذ رأينا بدورا ... طلعتا في ترائب وعقود
راميات بأسهم ريشها الهدب ... تشق القلوب قبل الجلود

ومما قيل في أبرقين بقوس الحاجب قول مسلم بن الوليد

نبارز أبطال الوغى فنبيدهم ... ويقتلنا في السلم لحظ الكواعب
وليست سهام الحرب تفني نفوسنا ... ولكن سهام فوّقت بالحواجب

وقال آخر وأجاد

* *

وأحور ساج لم أكن قبل لحظه ... لأعلم ما وجدي بأحور ساجي
غدا موترا من حاجبيه حنيةً ... لها البلج الشفاف قبضة عاج

قال الشيخ أبو الغرناطي رحمه الله قد اتفق لهذا المعنى بإحكام تحقيق التشبيه بذكر الإيتار وتصوير البلج بصورة قبضة العاج ما بلغ به الغاية على قلة إصابة المتأخرين في التشبيه وغلوهم وأوبتهم من الإكثار فيه انتهى

وتمنع من نومها بجسمها ... ثلاثة مثل الأثافي في الرقي
صغار من عاج وقعب فضة ... من كلاب وبأظفر كالشفق

اللغة قوله تمنع من نومها المنع معروف واللمس اللمس وهو الإفضاء باليد إلى الملموس هذا أصله ثم شاع استعماله في مطلق ملاقاة جسم لآخر كما هنا وقوله تعالى ذوقوا مس سقر أي أول ما ينالكم منها كقولك وجد فلان مس الحمى والمسيس في كلام الفقهاء كناية عن الجماع وفعل الكل كقرع مسسته بالكسر أمسه بالفتح مسا ومسيسا من باب تعب اللغة الفصحى وحكى أبو عبيدة مسسته بالفتح أمسه بالضم من باب نصر قوله بجسمها قال في التهذيب الجسم مجمع البدن والأعضاء من الناس والإبل والدواب ونحو ذلك مما عظم خلقه وجسم بدنه وقال ابن دريد كل شخص مدرك فهو جسم ومن أدل على أنه يطلق على العظيم والضخم حيوانا كان أو غيره وجسم الشيء جسامة كضخم ضخامة وزنا ومعنى وجسم جسما كفرح فرحا كذلك فهو جسيم قوله مثل الأثافي جمع أثفية كأفقية وهي الحجر الذي يوضع عليه القدر وجمعه أثافي بالتشديد وأثاف بالتخفيف كما تقدم في الثالثة وقولهم رماه الله بثالثة الأثافي يعنون الجبل ثم صار كناية عن الداهية وذلك أنهم كانوا إذا لم يجدوا أثفية ثالثة أسندوا القدر إلى الجبل وعدلوها بالأثافي فيكون الجبل ثالثة الأثافي وقولهم بقيت من بني فلان أثفية خشناء أي بقي منهم عدد كثير والرقي الصعود ومؤمنة مبادرة عن مطلق السمو والنتوء قوله

حقان من عاج الخفار تثنية حق بضم الحاء وهو وعاء معروف يصنع من الخشب
وتتخذه النساء للطيب ونحوه والعاج قيل انه كالقيد ... ومقتضى
الصحاح والقاموس ان الحق جمع حقة بالهاء فقال في الصحاح الحقة
بالضم معروفة والجمع حق وحقق وحقاق ونحوه في القاموس وكلام العرب
يخالفه قال عمرو بن كلثوم في معلقته

وثديا مثل حق العاج رخصا * حصانا من اكف اللامسينا

وانشد سيبويه شاهدا على تخفيف كأن المشددة النون قول الشاعر

وصدر مشرق النحر * كأن ثدياه حقان

ومثله في كلام الناظم والعاج قال في المصباح انياب الفيل قال الليث
ولا يسمى غير الناب عاجا والعاج كعظم السلحفاة البحرية وعليه يحمل انه
كان لفاطمة رضي الله عنها سوار من عاج ولا يجوز حمله على انياب الفيلة
لان انيابها ميتة بخلاف السلحفاة والحديث حجة لمن يقول بطهارة العاج
قوله وقعب بفتح القاف القدح الضخم الجافي او الذي يروي الرجل يكون من الخشب
والجمع اقعب وقعاب وقعاب مقعب يشبه القعب قوله وباهر كالشفق
يعني احمر والشفق الحمرة في الافق من غروب الشمس الى وقت العشاء الآخرة واذا
ذهبت قيل غاب الشفق وقال الفراء سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب كأنه
الشفق كان احمر

الاعراب والتصريف قوله تمنع مس ثوبها
جملة مستأنفة وقيل على تمنع ثلاثة ومس ثوبها مفعوله ثم هو مصدر مضاف الى
فاعله وكل ما بالمفعول وجيء باللام مع المفعول تقوية للعامل الذي هو المصدر لانه
عمله انما هو بالحمل على فعله والتقدير تمنع الثلاثة التي تفسيرها ان يمس
ثوبها جسمها اي ان يلصق فيه ويقع عليه ولفظ تلمسه يكتب بلا الف بعد اللام
حسبما نص عليه علماء الرسم وقوله مثل الاثافي نعت للثلاثة والاثافي
مضاف اليه ما قبله وتخفيف الياء لغة فيه كما م وقوله في الرفع متعلق بدل
وخفف ياؤه للضرورة قوله حقان من عاج وقعب بفتحة بدل من ثلاثة بدل
مفصل من مجمل ومن عاج في محل النعت لحقان ومرجانية كقوله تعالى وحلوا
اساور من فضة قوله من نطام خبر مبتدأ محذوف دل عليه الكلام والتقدير وهيئته

أي بيانا ضد ميز كلا من قوله وبالكسر كالشفق جملة من مبتدا وخبر معطوفة على الجملة قبلها والمتعاطفتان معا في محل النعت او الحال من نعب بصفة لتصحيح بالاضافة ولا بد فيهما من ضمير يعود على المنعوت او صاحب الحال واما العائد من الجملة الاولى فالضمير المفرد مع المبتدا كما هو واما العائد من الثانية فمقدر والظاهر منه كالشفق على حذف قولهم السمن منوان بدرهم وسوغ الحذف وجعل المسوغ للابتداء بالنكرة ان تقدر صفة لها ويحتمل الكلام وجوها اخر من الاعراب هذا اظهرها والله اعلم **المعاني** قوله تمنع عن توسطها في هذه الجملة مشابهة استئنافا قد بيانيا وهي راجعة في المعنى الى جملة قوله تشبه بنفع اشباهه وانما فصلها منها لما بينهما من كمال الانقطاع لان الثانية كالتوكيد للاولى فان المقصود من كلتا الجملتين وصف المضروبة بالحسن وكأنه يقول سمي حسناء لمعنى حسنها وانما فرع قوله تمنع الى آخره وسر توسطها على ما عليه ابن سنوت ثلاثة لان الكلام مسوق لبيان منع غير توسطها بحسنها ولان انفعا عن فرا اهل الكلام جميع بالصفة وبالاجمال اولا وبالتفصيل ثانيا وما اتصل بذلك ومقتضى ترتيب الكلام ان يفرع التقسيم ثم يؤتى بعده بالجمل على لو عكس وقال تمنع ثلاثة من نعتها كذا ومن نعتها كذا ثم يذكر المفعول بعده الى لكان جاريا على الرضي وحسن التقسيم وفي كلامه الجناس حيث ابهم الثلاثة اولا ثم فسرها ثانيا ولا يخفى احتياج المقام اليه ومقتضى كلام العلامة الرشيد ان هذا الابهام والتقسيم من قبيل النوع المسمى بالتوشيع المستشهد له بقوله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم وتشب معه خصلتان الحرص وطول الامل بالاتفاق ومنه قوله ان في فلان ثلاث خصال حميدة الكرم والشجاعة والحلم ومقتضى كلام غيره ان التوشيع خاص بالمثنى كالحديث واما الجمع فيسمى باسم التقسيم واستشهد له بقول محمد بن وهيب في المعتصم

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ⁂ شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

وبقول محمد بن شهيد الغلابي

شيئان يحرق بالتشبيه عنهما ⁂ قلب الرخ يتوالد قلبي والقمر
وثلاثة بالنحو عرف عنهم ⁂ البحر والخليفة المعتصم والقمر

وكل من التوشيع والتقسيم يعرف في الكتاب وفي البديع والله اعلم البيان
في قوله ثلاثة مثل للانواع من التشبيه وبين وجهه بقوله في الرقة والرادة بعد البروز
والشهرة فالكلام الممزوج وارادة لازمه لا يرى هنا الملازمة ضعف وخفاء فان
الرقيق هو الصفيق في شعره وغيره والكلامة على شيوع التزيين وقد يعمها ويروم من
عن البدر مشهور في كلام الفصحاء وانتقال الذهن من المعنى اللغوي الى هذا المعنى
المقصود بالذات فيه فلق وعسر يستدعي الذوق والاستعمال وذلك مخل بالفصاحة
كما قال الراوي في قول العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ۞ وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

فانه جعل جمود العين كناية عن الفرح والسرور وهو استعمال مهجور والتلازم
بينه وبين المعنى الذي اراده خفي وفي قوله صفا من مزاج وصف بصفة استعارة
تخييلية فان الصفير عبارة عن التزيين والصفو عبارة عن الفرح والمراد من
اول هذا الكلام وصف هذه المحبوبة باليسر ونعومة البدن وخصب الاعضاء
والاطراف وانها مع ذلك صغيرة السن لان الذي لم تكمل ولم تتعلم ايدي
للاسن ويدان كانت ترتدي لها وقالت من شدة تمنع ان يلاقي الثوب شيئا من
بدنها كما هو شأن الابكار الكواعب الناهدات الثدي وقد قال ابن الكتيب
في هذا المعنى

ممنعة منعمة رداح ۞ يكلف لفظها الطير الوقوعا
تزيع ثيابها الأرداف عنها ۞ فيبقى من وشاحيها شسوعا
اذا ما استقبلت رايت لها ارتجاجا ۞ له لولا سنا عرفها نزوعا

قال ابن البناء في شرح هذه الابيات يقول ان ارادفها عظيمة شامخة من
بدنها تمنع ثوبها وترفعه فلا يلاصق جسدها حتى يكون بعيدا عن وشاحيها
والمعنى ان ارادفها تمنع الثوب ان يلاصق بدنها وقوله اذا ما استقبلت رايتها
ارتجاجا البيت الضمير في له للثوب ونزوعها بفتح النون كمقبور صفة للارتجاج
والمعنى اذا تبخترت ارتج بدنها والثوب حتى يكاد ينزع عنها ثوبها لولا سوالفها
يعني ان كيفية اللاذين في سار عرفها يمنعان نزع ثوبها ومثله ما قال بعض الكلابيين
أبت الغلائل ان تمس اذا مشت ۞ منها البطون وان تمس ظهورها

وأخذه بعضهم فقال

أبت الروادف والثديّ لقمصها ... مسّ البطون وأن تمسّ ظهورا
وإذا الرياح مع العشيّ تناوحت ... نبّهن حاسدة وهجن غيورا

وأما تشبيه الثديين بالحقّين فقد تقدم في شعر العرب القدماء فيه وتبعهم المولدون في ذلك فأحسنوا قال بعضهم

حقان من العاج قد ركبتا ... على قضيب حسن من المرمر
قشير الشعر كما ابتنهما ... بشبهه قساميه من عنبر

وقال ابن الرومي

صدور فوقهن حقاق عاج ... ودرّ زانه حسن اتساق
يقول الناظرون إذا رأوه ... أهذا الدرّ من هذي الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثديّ ... جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لا يعدّ لهن عيب ... سوى منع المحب من العناق

وقد تشبه الثدي بالرمان وبالتفاح ونحو ذلك ومن أحسن ما قيل فيه قول أبي إسحاق الصابي

ترفّق من الهوى حتى إذا ما ... برانى بي خوار الصدور
تكنّفني ذوو الإشفاق منهم ... ولاذوا بالدعاء وبالنذور
وقالوا للطبيب أشر فإنا ... نعدّك للمهم من الأمور
فقال شفاؤه الرمان مما ... تضمنه حشاه من السعير
فقلت لهم أصاب بغير علم ... ولكن ذا رمان النحور

وقال فيما يتعلق بذكر النحر والسرة ومنه من التشبيه الحسن

وتحت زنانير شددن عقودها ... زنانير أعكان معاقدها السرر

وحسب الأديب والشاعر أن يصف النحر والسرة فأما ما تحت ذلك فشأن أهل المجانة والخلاعة ولا يكاد يقع مثله من عربي ولا مولد حتى إن أهل الأشعار الملحونة والقصائد العامية يتحرجون من ذلك ويقع من بعضهم تكنية وقد روى الواقدي وابن الكلبي أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مخنث يقال له هيت بكسر الهاء وسكون الياء التحتية آخره تاء مثناة من فوق وقيل

ان الصواب في ضبطه هنب بهاء مكسورة بنون ساكنة ثم باء موحدة وكان يعدّ في غير
اولي الاربة فكان يدخل على نساء الصحابة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ذات يوم لمولاه عبد الله بن ابي امية المخزومي اخي ام سلمة رضي الله عنهما
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطائف
غدا فعليك ببادية بنت غيلان بن سلمة الثقفي فانها مقبلة ميفاء شموع نجلاء
ان قامت تثنت وان قعدت تبنت وان تكلمت تغنت تقبل باربع وتدبر بثمان مع
ثغر كانه الاقحوان وتدرك الرجال اعلاها قضيب واسفلها كثيب وبين فخذيها
كالاناء المكفوء فهي كما قال قيس بن الخطيم

*

تغترق الطرف وهي لاهية ... كانما شف وجهها نزف
بين شكول النساء خلقتها ... قصد فلا جبلة ولا قضف

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد غلغلت النظر يا عدو الله ما كنت احسبك
الا من غير اولي الاربة ثم نفاه النبي صلى الله عليه وسلم عن المدينة الى خاخ او
غيرها من اعمالها وحديث هذا المخنث مخرج في الصحيحين وابن حبان وليس فيه جميع
تلك الاوصاف وانما فيه انها تقبل باربع وتدبر بثمان وللتفسير بعض ما يحتاج
الى التفسير من تلك الالفاظ فقوله مقبلة يعني جميلة كانه يقال اي فيها حسنها
ومقبل على اعضائها والمبتلة ايضا التي لم يركب بعض لحمها بعضا ولا يوصف
بذلك الرجل والشموع المزاحة اللعوب وقوله وان قعدت تبنت التبني تباعد
ما بين الفخذين يقال تبنت الناقة اذا باعدت بين فخذيها عند الحلب وقيل تبنت اي
صارت كانها بنيان من عظمها وقوله وان تكلمت تغنت من الغنة لا من الغناء
اي في كلامها لين ورخامة تشبه صوت الظباء والعرب تعد الغنة اغن وقوله
تقبل باربع وتدبر بثمان يعني تقبل باربع عكن في بطنها وتدبر بثمانية اطراف هذه
العكن الاربع في جنبيها فان لكل عكنة طرفين وقوله تغترق الطرف اي تشغل عيون
الناظرين اليها عن النظر الى غيرها وقيل بل معناه انها تشغل الطرف بالطرف كله
وقوله شف وجهها نزف اي جهده يريد انها عتيقة الوجه دقيقة المحاسن ليست
بكثيرة لحم الوجه ولا متكلمته والنزف خروج الدم اي انها تضرب الى الصفرة ولا يكره ن
ذلك الا من النعمة والشكول الضروب والجبلة الكثيرة الغليظة والقضف النحافة

فأنكر اي قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر غلبتك النسا يا عمر والله وناهيك ا
عمر رضي الله عنه لم يكتف بالكلام حتى نبذ اي ابا ما في يده وكشف عن حقيقته
وقال اكثر احدا سبقه اي مثله من الشيخ وكشف من الحجاب ولما قال ابو الطيب

إني على شغفي بما في خمرها ❊ لأعف عما في سراويلاتها

والخمر بضم الخاء جمع خمار قال الصاحب بن عباد كانت الشعراء تصف المآزر تنزيها لألفاظها عما يستبشع حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع الى التصريح فقال وكثير من العهر عند احسن من هذا العفاف واما المتنبي في الطيب فيقول ايضا عنهما ولم يصرح فاين هذا كله من كلام الناظم رضي الله عنه واما قول الفرزدق في جارية له ❊

يا رب خود من بنات الزنج ❊ تحمل تنورا شديد الوهج
اقب مثل القعب اي مفلنج ❊ يزداد طيبا عند طول الهرج
مجتمعا بالذر اي مفج ❊

فمن مجونه التي كان يتحرزها في الشعر وغيره وقوله عند طول الهرج هو بسكون الراء الجماع ولنعرض عنا ان العلم اي با هو ابوه والله تعالى اعلم واحكم

وزاد مسك الغار ونفخ غيرنا ❊ حسنا وفرعهم بطيب عبق
وقلت افرا فيها ذوايب ❊ سود كقلب العاشق المحترق

اللغة قوله وزاد مسك الغار المسك طيب معروف فارسي معرب كانت العرب تسميه المشموم قال الشهاب الهيثمي وهو عند بعضهم افضل الطيب ولهذا ورد تطلبوا من القايم اطيب عند الله من ريح المسك ترغيبا في ابقاء اثر الصوم قال الفراء المسك مذكر وقال غيره يذكر ويؤنث وانشد ابو عبيدة على التانيث قول الشاعر ❊

والمسك والعنبر خير طيب ❊ اخذتا بالثمن الرغيب

قال السجستاني من انث المسك جعله جمعا فيكون تانيثه بمنزلة تانيث الذهب والعسل وقال الجوهري من انثه ذهب به الى ريح المسك يعني وهي مونثة وثوب مسك مصبوغ به ودواء ممسك مخلوط به وسياق الكلام في المسك باوسع من هذا ان شاء الله والغار رشاحة في البحر تماثل تمام البرلنزه والجمع غيلان والغيلة كالزغبة ورجل اغيل كثير الغيلان وامرأة غيلاء كذلك قوله ونفخ غيرنا النور بالفتح مشموم معروف يقال انه معرب واحدته وردة وبلونه قيل للاسد

ورد والعرب مهرى ومصرفها بين الكميت والاشقر ومنه قوله تعالى فكانت وردة
كالدهان اي حمراء قاله في مختصر العين نور كل شيء وردة الاكيد غلب على حمرة
المتعارف والجمع جمعه ورود وهو من المجمرات اي اليمني عن يمين الانف وشماله والجمرة
بكسر الميم سميت بذلك لانها توضع تحت الخد قوله وقد عم بطيب عبق العموم
الشمول والطيب ما يتطيب به والمراد هنا الامنه وعبق الطيب تضوع وسطوع
ريحه يقال عبق به الطيب عبقا كفرح حتى كما ظهرت ريحه بثوبه او بدنه فهو عبق
فاتوا ولا يكون العبق الا للرائحة الطيبة الزكية قوله وقبلت اقراطها ذوائب
التقبيل اللثم والقبلة اسم منه والاقراط جمع قرط وهو من الانسان معروف ولكونها
مزينة معروفا على قرطها وتعول العرب وضع قلاد قرطه في قرب اذا اقبل عليها
واخذ منها وله في العلم قرط اي سبق واهل القرط ما قرطته من امة والذوائب جمع
ذؤابة وهي الضفيرة من الشعر اذا كانت من سلة فان كانت ملوية فهي عقيصة
والذؤابة من العز والشرف وكل شيء اعلاه قوله كقلب العاشق المتشوق
والعشق افراط الحب وقيل اعجاب المحب بمحبوبه وقد يكون في عفاف وقد يكون في
دعارة وقيل العشق عمى الحس عن ادراك عيوب المحبوب وقيل هو
مرض وسواسي يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور
وهذا المعنى هو الذي قصد المتنبي بقوله

* وما العشق الا غرة وطماعة ‖ يعرض قلب نفسه فيصاب

يقال عشقه كعلمه عشقا بالكسر وعشقا بالتحريك فهو عاشق وهي عاشق
وعاشقة وتعشق تكلفه وكسكيت كثيره والعشقة محركة شجرة تخضر ثم تدق
وتصفر ومنها اشتقت العرب اسم العشق لما يبدو على العاشق من الاصفرار
والنحول والمتشوق اسم فاعل من الاشتياق او من شاق الامر او يقال اشتقته بالنار
فاشتق وانا محروق هو مشتق والله اعلم **الاعراب والتصريف**
قوله وزادة مسند اليه والجملة معطوفة على جملة تضوع في البيت قبله والف زاد
منقلبة عن ياء ومسند الفعل فاعله والياء منقلبة عن ياء ايضا بخلاف الفعل
الذي هو اخر الامر فان الياء منقلبة عن واو وقوله ورده خبر مقدم مفعول اول لزاد
وحسنا مفعوله الثاني وافرد الخبر على ارادة الجنس والا فهما خبران لكل شخص

قوله وقد عمّ بكيد جملة معطوفة على التي قبلها وقد فاعل عمّ ضمير المشيب ويحتمل ان تكون الجملة في محل نصب على انها حال من الفاعل وهو مشتد او من المفعول وهو ورده وقد فاعل عمّ ضمير المشيب على الاحتمال الاول او ضمير الورد على الثاني قوله وقبلك اقوامنا ذوائب جملة معطوفة على الجملة الاولى ايضا وذوائب فاعل قبلك وهو قد للضرورة واصله ذوائب بهمزتين في المفرد الذي هو ذؤابة كالالف التي في رسالة فقلبت الهمزة في الجمع لانهم استثقلوا ان تقع الف الجمع بين همزتين فابدلوا من الاولى واوا ويمتنع نقلهم الياء التي هي صورة الهمزة لانها تستثقل بين همزتين كما في عن قوله ولتحتف زائد البيت وسود نعت لذوائب قوله كقلب العاشق الكاف اسمية فيما يظهر صفة ثانية لذوائب او حال منها والاظهر ويحتمل ان يكون صفة لقلب ويحتمل ان يكون صفة للعاشق وقد قرئ قوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار بتنوين قلب فجبار صفة له وبالاضافة اي متكبر فجبار صفة لمتكبر والله اعلم **المعاني** في تنكير حسنا للتعظيم او للتكثير او لهما وكذا تنكير كئيب وذوائب وكان مقتضى الكلام ان يقول اسود كقلبي بالاضافة الى نفسه لان المراد بالعاشق نفسه لا غيره وانما ارتكب الاظهار ليستدل على نفسه بصفتي العشق والاحتراق واما فائدة التشبيه بقلوب العشاق والتسجيل عليهم لان العشق في اعتقاده فضيلة ومنقبة جليلة كما قال الشاعر

وما العشق في الانسان الا فضيلة ... يحسن اخلاقا له ويظرف
يعلمه من يهواه يطلب قربه ... فيكثر آدابا له وتلطف

وكلامهم في هذا المعنى طويل الذيل وقد كان كثير من شعراء العرب يتحلون بحلية العشاق وان لم يكونوا عشاقا في نفس الامر كما يحكى عن ابي ربيعة وكثير وغيرهما واما فائدة الاظهار التشكك وشرح انه الشاعر عن العلة بترجمة راجم او بورقته شعرا ويسعى في قضاء مراده على الوجه الاكمل الشاعر كما فعل الحسين رضي الله عنه في تزويج لبنى من قيس بن ذريح ثم انه اتى بالاسم الكلام مع قربه باللام التي للعهد العلمي وهو الذي تسميه النحاة الذهني اشارة ورمزا الى انه قد عرف بهذه الصفة وتقرر امره في الاذهان حتى صار مثلا ولكن العاشق انصرف الكامل اذ لا عاشق في العصر سواه وقد مر في هذا المعنى فيما مر من قوله لبنى وما اذ رأت

ما انتهى اليه من مراجعة والله تعالى اعلم **البيان** في اسناد فعل الزيادة
الى وجه الغزال مجاز عقلي كقول ابي نواس

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا

وليس لهذا المجاز فاعل حقيقي على مذهب الشيخ عبد القاهر الجرجاني وقال غيره
فاعله حقيقة هو الله تعالى وانما اسند الزيادة الى الوجه في كلام ابي نواس
والى وجه الغزال في كلام الناظم لكونهما سببا فيها واضافة وجه الى الغزال وورد
الى الخد من اضافة المشبه به الى المشبه وهذا اذا اريد بالوجه نفس الغزال وبالورد
نفس الخد واما اذا اريد بالوجه مجرد سواد الغزال وبالورد مجرد حمرة الخد فالكلام
من باب الاستعارة التصريحية وهو اقرب في الذكر وابلغ في المعنى ولانه اخص بقوله
فلا يحسن الاتيان بالواو تناسي التشبيه وهو قوله وقد همت بقطف عقرب
فيكون ترشيحا للاستعارة وفي قوله وقبلت اقدامها ذو اليد كناية لطيفة فانه
لما اراد ان يحقق شغفه بالقول المعبر عنه كنى عن ذلك بانه يصل الى قدميها
ويقبلهما من قيام كما كنوا عن طول القامة بقولهم فلان طويل النجاد وقال بعضهم
يتوعد زوجته بانه يتزوج عليها

اكلت ذ قال اني ارمي بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

فكنى عن طول رقبتها ببعد مهوى قرطها الذي هو الحلق ثم ان الناظم رحمه الله
عبر عن ملابسة الشعر للاقدام بالتقبيل وذلك استعارة تبعية في غاية الحسن
والرشاقة وسيأتي قال الناظم في ذلك ان شاء الله **البديع** في كلام الناظم
منه الاستطراد وهو ماخوذ من استطراد الفارس لقرنه في الحرب وهو ان يظهر
الفرار امامه كي يتبعه حتى اذا انفرد به عطف عليه وقتله بموضع لا يبين
الحرب والاستطراد في الاصطلاح ان يكون الشاعر في غرض من الاغراض ثم يخرج
منه الى غيره لمناسبة بينهما ولا بد من التصريح باسم المستطرد به بشرط ان لا
يكون قد تقدم له ذكر ثم يرجع الى كلامه الاول او يقطع الكلام فيكون المستطرد
به اخر ما يتكلم به وهذا هو الفرق بين الاستطراد والتخلص فان الاستطراد
يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول او قطع الكلام بعد المستطرد به والاعراض
عنه وهذا في التخلص فانه يشترط فيه ما تخلص اليه فالنوع الاول شاهد وارد في هذا

النوع وسار سير المثل قول السموءل *

وإنا لقوم لا نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول

فانظر كيف خرج من الفخر الى هجو مساوي القبيلتين ثم عاد الى ما كان فيه اولا فقال

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه *

إن كنت كاذبة الذي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام

فقد خرج من الغزل الى هجو الحارث بن هشام وتعييره بفراره يوم بدر على وجه لطيف

ومنه قول البحتري من قصيدة في وصف فرس *

كالهيكل المبني الا أنه ... في الحسن جاء كصورة في هيكل

ملك العيون فإن بدا أعطينه ... نظر المحب الى الحبيب المقبل

ما إن يعاف قذى ولو أوردته ... يوما خلائق حمدويه الأحول

وانما قال ما ان يعاف قذى لأن الفرس الكريم لا يشرب الماء الا كدرا حتى انه اذا كان صافيا كدره بيده ثم شربه واما الاستطراد في كلام الناظم فهو في قوله كغلب العاشق المجتر فانه كان في وصف المجترئة ثم استطرد منه الى وصف نفسه بالعشق المفرط وقد قدمنا ان العاشق قد غلب عليه وانتزع به حتى صار بمنزلة العلم له وبهذا الاعتبار يصح الاستطراد في كلامه ويتم معناه وفي كلامه ايضا التسهيم وهو ان يجعل المتكلم او الشاعر قبل العجز من الفقرة او البيت ما يدل عليه وقد شرحناه فيما سبق وهو في كلام الناظم في قوله وزاد فشذا الغزال فان هذا الكلام يدل على ان الآخر من البيت مولعة عبق وكذا الشاذ فان وصف الذوائب بالسواد يدل على ان آخر البيت ينبغي ان يكون لعكسه المجتري وفي كلامه ايضا ايهام التضاد وذلك في ذكر الغزال مع الغيم من قوله وقد عم فانه وان كان فعلا ماضيا لاكن صيغته موافقة لصيغة العم الذي هو اخو الاب فاوهم بذكره عمه مع الغزال انه يريد بالغزال اخا الام وفيه اخا الاب وفيما قلنا يندفع انه انما عنى بالغزال الشادن وبالغيم عم بعلى العموم الذي هو الشمول ومما يوافق كلام الناظم في هذا المعنى قول الصقلي *

بأبي من سبى الورى بمحيّا * يخجل البدرَ حسنُه حين تمّا
تمّه خالُه بحسنٍ بديعٍ * ولقد قلّ أن ترى الخال عمّا

وقال ابن عربي

كلما قلت قد بعدت غراما * دلّ قلبي عليك حسن دلالك
لك والله يا أخا البدر خدّ * تمّه بالجمال عنبر خالك

ومما قيل في تضوع ريح الخال وعبقه فيه قول محاسن الشواء

قالوا أصيبك قد تضوّع نشره * حتى غدا منه الفضاء معطّرا
فأجبتهم والخال يعلو خدّه * أوما ترون النار تحرق عنبرا

ومما قيل في حلّ الشعر وتقبيله الأقدام قول ابن مكر

ظباءٌ أعارتها المها حسن مشيها * كما قد أعارتها العيون الجآذر
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقبّلت * مواطئ من أقدامهن الضفائر

وقال الشيخ زين الدين ابن الوردي

كيف أنسى لشعرها حين تمشي * وهو كان الشجيع بين يديه
شعر الشَّعر أنه راح يجري * فرمى نفسه على قدميه

والشعر في هذا المعنى كثير وقد أشار الناظم إلى إقدامها تحب بقوله كقلب العاشق المجروح وربما كان فيه إيغال كقول الخنساء

وإن صخرا لتأتمّ الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

ومن أحسن ما وصف به إقدامها تحب قول أبي الطيب

من شاء فلينظر إليّ فمنظري * نذيرٌ إلى من ظنّ أن الهوى سهل
وما هي إلا لحظة بعد لحظة * إذا نزلت في قلبه رحل العقل
جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي * فأصبح لي عن كل شغل بها شغل
ومن جسدي لم يترك السقم شعرة * فما فوقها إلا وفيها له فعل

ولما أودعت في مقلتي من سقم * وأضرمت في مهجتي من حرق
ولا يزال في رياض حسنها * تسرح فكري ويجول رمقي

اللغة قوله لما أودعتنا أصل الإيداع الترك ثم استعمل في الاستحفاظ على وجه مخصوص فيقال أودعت زيدا مالا إذا دفعته إليه ليكون مخبوءا عنده كاستودعته

أي الإبل وذلك الجمل الذي يقعد وجمعها وداع واستقاها منها من الربعة التي هي الراحة
قوله في مقلتي المقلة بالضم شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها قوله من
سهر السهر الأرق وهو عدم النوم بالليل كله أو بعضه وقد سهر بالكسر يسهر
بالفتح فهو ساهر وسهران والسهر الدائم ورجل سهرة كهمزة كثير السهر وليل ساهر
ذو سهر قوله واقرحت في مقلتي الإقراح من أقرحه يقال قرحت البنان قرحا من
باب قرع وتقرحت واقرحت التعبت واقرحتها أنا أو قرحتها وقد منها بالتشديد
للمبالغة والضرام ككتاب اشتعال النار في الحلفاء ونحوها والضرام أيضا دق
الحطب الذي يسرع اشتعال النار فيه والضرمة بالتحريك السعفة أو الشيحة
في طرفها نار يقال ما بها نافخ ضرمة أي أحد وضرم الرجل كفرح اشتد جوعه والمهجة
دم القلب والروح يقال خرجت مهجته أي روحه قوله من جمر وهو جمع الجمرة
والإراء اسم بمعنى الإحراق وأما الوقود فهو ما توقد به النار إذ لبتها قوله في رياض خمشتها
الرياض جمع روضة وهي الموضع المعجب بالزهور ومستنقع الماء قيل سميت بذلك
لاستراضة الماء السائلة إليها أي لسكونها بها وأراض الوادي واستراض
إذا استنقع فيه الماء واستراض أيضا اتسع وانبسط ومنه يقال افعل ما دامت النفوس
مستريضة قوله يسرح بكسر السرح والسروح إهمال الماشية وتركها للرعي يقال
سرحت الإبل ونحوها سرحا من باب نفع وسروحا إذا رعت بنفسها وسرحتها
أنا يتعدى ولا يتعدى وسرحتها بالتشديد للمبالغة ويقال للمال الراعي سرح
تسمية بالمصدر قوله بكر الفكر بالكسر التفكر في الشيء والتدبر فيه وعلماء
الأصول يعرفونه بما كان تفكرا في المعقول فإن كان في المحسوسات فهو تخييل قوله
ويجول رمقي يقال جال الفرس في الميدان يجول جولا وجولانا قطع جوانبه والجول
بالضم الناحية وكأن المعنى أنه قطع الأجوال أي النواحي وجال القوم في الحرب
جولة جال بعضهم على بعض وجال في البلاد طاف غير مستقر فيه فهو جوال وأجلته
إذا جعلته يجول وأجال سيفه إذا لعب به وأداره على جوانبه والرمق بالتحريك
بقية الروح وقد يطلق على القوة ويأكل المضطر من الميتة ما يسد به الرمق أي ما
يمسك قوته ويحفظها والله أعلم **الإعراب والتصريف**
قوله كم أودعت في جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وكم خبرية وهي في محل

نصب مفعول مقدم باودعت وفاعل اودعت ضمير لبنى ومن سمعي تمييز لكم وكان من
حقه ان يتصل بها مجرورا باضافتها اليه الا انه لما انفصل عنها جر بمن البيانية
لئلا يلتبس التمييز بمفعول الفعل الفاصل بينهما قال سعد الدين في المطول واذا
فصل بين كم الخبرية وتمييزها بفعل متعد وجب الاتيان بمن لئلا يلتبس بمفعول ذلك
الفعل نحو قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وكم اهلكنا من قرية ومحل كم هنا
النصب على المفعولية ه قوله واضرمت في مهجتي جملة معطوفة على التي
قبلها بتقدير كم واعرابها كاعراب التي قبلها حذو النعل بالنعل قوله ومن
يزال في جملة معطوفة على جملة كم اودعت ولا يزال مضارع زال الناقصة واسمه
ضمير العذراء مستتر متوجهة اليه من جهة المعنى وجملة يشرح ذكر خبرها وذكر فاعل
يشرح على سبيل التنازع بينه وبين يزال فاعمل الاول في ضميره واستتر الثاني الذي
الظاهر بناء على جواز التنازع بين الفعل الناسخ وغيره وفي رياض حسنهما
يتعلق بيشرح قدم عليه والياء في رياض منقلبة عن واو كما في صيام وقيام
لانكسار ما قبلها قوله ويحول معنى جملة معطوفة على التي قبلها والله
اعلم **المعاني** انما فصل جملة كم اودعت من التي قبلها لانها مستانفة
استئنافا بيانيا فانه لما وصف الذوائب بانها كقلب العاشق المحترق قدر
سائلا سأله فقال فما بال قلبك محترقا وما سبب احتراقه فقال سببه انها
كم اودعت الخ وهو من الاستئناف على حد قوله

قال لي كيف انت قلت عليل * سهر دائم وحزن طويل

وانما وصل جملة ولا يزال الخ فيما قبلها لما بينهما من التوسط بين الكمالين والجامع
موجود اما باعتبار المسند اليه فهو في الجملة الاولى ضمير المحبوبة وفي الثانية
بكر الثنا ولا يخفى ما بينهما من الاتصال والملازمة اذ هو وهي كالشيء
الواحد وذكره متسلط عليهما وحاصل بينهما الاتحاد وابن ابي ليلى احدهما فسرا
فيه سواء معا كما قال

أريد لأنسى ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلى بكل سبيل

فالمناسبة حاصلة على الوجه الاتم والتقريب كله عنه واما باعتبار المسند
فلان ابداع السحر واخراج نار التشوق من المحبوبة فيما يشبه حال الذكر فيهما

اذ هي السبب في الجميع والمنشأ للكل فان قلت كيف تكون المناسبة حاصلة
بين الجملتين والأولى منهما قد دلت على الهم السهر وهما من لوازم الشوق والثانية
قد دلت على التنعم برياض حسن المحبوبة فعلى هذا التباين قلت كذا ثم
في الثانية تنعما اذ لا وقت دلت عليه وذلك ان حصول الفكر في محاسن
المحبوب لا يثمر الا تهييج اللوعة وايقاد نار الشوق لا سيما مع غيبة المحبوب
والحيلولة بينه وبين المحب كما هو حال الناظم وقد تقرر ان العشق مرض
وسواسي يجلبه المرء الى نفسه بتسليطه فكره على استحسان بعض الصور وانما
الذي يوجب التنعم هو النظر في محاسنه اي محاسن المحبوب حال الاجتماع
به والانفراد به مع ما يتبع ذلك من المحادثة وغيرها فما وجه المناسبة بين
هذا البيت والذي قبله من انه لما شرع بالاذاعة انه مع المحبوبة فيما مضى
اراد ان يسرحه معها فيما يستقبل فقال ولا يزال في رياض حسنها البيت يعني
ان اسباب الشوق وبواعثه لا زالت متجددة وان دواعي الغرام لا زالت مستمرة
حتى يكون ذلك منه بتمام رمقه فلا ينتهي امره الا بانقضاء الحياة فلا
كما قيل في السلوان محال فيه قلت ومن اين للناظم انه لا يسلو عن
هذه المحبوبة وان حبها لا ينمحي من قلبه الا بالموت والامر في ذلك ليس
اليه فان القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه سبحانه كيف يشاء

وما سمي الانسان الا لنسيه ... ولا القلب الا انه يتقلب

قلت لعله وازن نفسه واختبر ما يوجد منها راسخة في ارض المحبة ثابتة
العروق فيها مخيمة في وكنها عاكفة على بابها فايس من اقلاعها فتخلقه
بذلك وانكشف له ما به فصح له الجزم بذلك ومثل هذا داب العشاق فانك
تجدهم يخبرون عن انفسهم بانهم على ما هم عليه في المحبوب ولا يزولون ولو بعد لا يحولون
الموت وحصول الفوت قال قيس بن الملوح

ولو تلتقي اصداؤنا بعد موتنا ... ومن دون رمسينا من الارض سبسب
لظل صدى رمسي وان كنت رمة ... لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

وقال توبة بن الحمير

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت ... علي ودوني جندل وصفائح

لسلمت

لسلمت تسليم البشاشة أورقا * إليها فحيت من جانب الغصن هايج

والشعر حكاية مشهورة ليس هذا محل ذكرها **البيان** أي شدة الإيضاح والإظهار إلى المحبوبة مجاز عقلي إذ هي سبب فيهما لا غير وفي أوضحت وأظهرت استعارتان تصريحيتان لأن الإيضاح هو الاستعمال على وجه مخصوص والإظهار هو إيضاح البناء المستعار منه فالكلام والدوال على مدلول الشيء عن قرائن المحبوب في والثناء على مدلول أنه لم الثناء يعني بسبب الاشتياق والثناء مجاز استعار كما هو واضح وإضافة رياض إلى الحسن من إضافة المشبه به إلى المشبه أي أن يراد بالرياض نفس الحسن ويحتمل أن يكون المراد برياض الحسن وجهها وما يستحسن من أعضائها فيكون استعارة تصريحية أيضا وإنما جعل الوجه رياضا لأنه يتنعم به كما يتنعم بالرياض بل أعظم ألا ترى أنهم يشبهون كل عضو من أعضاء المحبوب وكل مستحسن من وجهه بجزء من أجزاء الرياض فيشبهون الخدود بالورد والعيون بالنرجس والثغور بالأقحوان والشعور بالآس والقدود بالأغصان وغير ذلك ومن هذا المعنى قول البحتري

ط *

وما قسمت على الأزهار تشابهت * أغصان قضبان ربيع وقدود
في حلتي حبر ووشي فالتقى * وشيان وشي ربى ووشي برود
وسفرن فامتلأت عيون وراعها * وردان ورد جنى وورد خدود

وقال فتح الله ابن النحاس

ط *

أنسيمت ما روضة بالشام بين إذا * سجمت عليها عيون العارض الهطل
شقت شقائقها أيدي الربيع وقد * ماست حدائقها كالشارب الثمل
يوما بأحسن من ورد الخدود على * بان القدود ولا من نرجس المقل

وفي قوله يسرح فكري استعارة تصريحية أيضا فإنه عبر عن تردد الفكر في معاني المحبوبة وهيامه بها بالسروح الذي هو شأن الحيوان السائم بجامع أن كلا منهما مرخى له العنان مطلق ونفسه في تلك الجنان وفي الفكر استعارة بالكناية حيث شبهه بحيوان من الحيوان الذي شأنه أن يسرح في الرياض تشبيها مضمرا في النفس وأثبت له السروح الذي يلائم المشبه به وقد قدمنا في هذا الكتاب أن التصريحية قد تكون قرينة للمكنية على مذهب

التخشع والتحقير ومنه قوله تعالى ينقضون عهد الله وكل ما في ربع قوله يسرع بكم يفرق في قوله ويحول ويخفى عن قيا بحره والله اعلم البديع في قوله كم او دمنا البيت الترصيع وهو ضرب من السجع وهو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت او فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها من عجزه وهو ماخوذ من مقابلة جواهر العقد وترصيعه بها ومن امثلته التي في الكتاب العزيز قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ومنه قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريري في المقامات فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وقال الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

من غاص بحر ازار العضب ملتحف * وسار من بغبار الحرب ملتثم

والترصيع في كلام الناظم كما ترى والله اعلم ا *

ولا تسل عما أبث من حزن * وما تريد من دموع حرفي

يوم اشتكى كل ما في قلبه * يجيبه بكثرة بما لقي

فالحزن من يشكو الهوى لمن جفا * ومن لرفع حجبه لم يرم

اللغة قوله ولا تسل السؤال الاستعلام والسؤل بالضم كقفل ما يسأله الانسان ومنه قوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى وتساءلوا سأل بعضهم بعضا قوله عما ابث بث السر افشاه واذاعه يقال بث الرجل الحديث اذا اذاعه ونشره وبث الشكوى ان الحزن في النواجم فهم فيها وبثثته سري اي اظهرته له والمعتمد عليه قوله من حزن الحزن الهم وهو ضد الفرح والحزن من عشر او حزن فتقول منه حزن الرجل بالكسر فهو حزين مثل تعب ومنه قيل للنساء المتغيم المتنش جو فقال عمرو بن زيد

ثم كان المزاج ماء سحاب * لا حموي اجن ولا مطروق

قوله وما تريد من دموع الذارفة الصب ذرفت العين والدمع وغيرهما ذريفا من باب ضرب انصب وارفتنه انا صببته ويستعمل بالهمزة والفاعل ذريف والمفعول مذرى وقد تبدل الهمزة ماء فيقال ميرفته وما في نعاريفه على ذلك قوله حرفي هو بالتحريك جمع حرفة وهي من العيش سواد نما الا عكس وجمعها حرف كما نكون به ادناكم واحرا وحرا او قال ابن دريد

فالعين بعدهم كأن حداقها * سملت بشوك فهي عور تدمع

وهو والذي قبله التنكير تعريضا سرده قوله يوم اشتكى كل الشكاية الاخبار بسوء
الحال يقال شكوت فلانا شكوا وشكاية والاسم الشكوى والفعل كتشكيته
اذا اخبرت عنه بسوء فعله بك وشكا الرجل فلانا واشكيته اي ازلت شكايته
فالهمزة للسلب مثل اعربته اذا ازلت عربه اي فساده قال الراجز

تمد بالاعناق او تلويها * وتشتكي لو اننا نشكيها

وفي التعريف شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء في جباهنا
فلم يشكنا اي لم يزل شكوانا قوله جا في قلبه القلب الفؤاد وقد يعبر به عن
العقل قال الفراء في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل قوله
حبيبه الحب بالكسر المحبوب كالبذر بمعنى المبذور والذبح بمعنى المذبوح والحب
والحبيب كالخدن والخدين وزنا ومعنى والجمع احباب كالاخدان قوله بكربه
الكرب الغم وقيل هو اسم جامع للمصر لا يثنى ولا يجمع لانه في الاصل مصدر
قال الله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وقد قيل الكرات وقوله بما لقي اي من مكابدة
الشوق ومقاساة الهجر قوله فما عذر من يشكو الهجر العذر بالضم معروف وجمعه
اعذار وعذره يعذره من باب ضرب نصره وهو عذرا ومعذرة صرف عنه اللوم فهو
معذور اي غير ملوم قوله لمن جفا الجفاء بالفتح والمد خلاف الصلة وهو ايضا
ما اشتد من السمن وماخوذ من جفاء السيل بالضم وهو ما ينفيه السيل وقد يكون مع بغض
وقد جفوت الرجل اجفوه بالواو ولا تقل جفيته قوله وهو لرفع جفنه في جفن
العين محركا وربما عن الغلاء ما واسعها وهو مذكر ومثله جفن السيف وهو غلافه
وجمعه اجفان والله اعلم الاعراب والتصريف قوله ولا تسل وجفون
جملة معطوفة على جملة كم اودت بعث فإن قلت كيف صح عطف الانشاء على
الخبر والعكس منعه قلت سيأتي ان المقصود من هذا النهي التحويل للطلب
الكف عن السؤال والانامة وتسل مجزوم بلا وهو اصله اذ يكون اصله تسأل بالهمز
فنقلت حركتها الى الساكن قبلها ثم حذفت تخفيفا واصلها اذ يكون اصله تسال بالالف
ساكنة كيخاف وهي لغة فيه ثم حذفت الالف لعروض التقاء الساكنين فصار تسل ووزنه
تفل وقوله تعالى سأل سائل فقراءة المدنيين يحتمل ان يكون من هذه اللغة ويحتمل

ان يكون من التذييل الذي هو من انواع الاطناب بكثرة وقوله فيما اتى يتعلق به وما موصولة واتى صلتها والعائد محذوف اي اتيته ومن جور بيان لما في محل الحال منها وهو على تقدير مضاف اي من خبر جور اذ الجور نفسه لا يوتى وانما يوتى خبره ووصفه قوله وقد تبرم شرع من هنا في الشكوى على المؤمل قبله وهو في فاعل تبرم قوله يوم اشتكى ظرف كلا ظرفي يتنازعه كل من اتى وتبرم فاعمل الآخر فيما في فيه ثم حذف لكونه فضلة واعمل الآخر في الكلام المتنازع فيه والتقدير وما تسل عما اتيته فيه اي في اليوم وما تبرم فيه، وفتحة يوم يحتمل ان تكون اعرابا ويحتمل ان تكون بناء وهذا الثاني هو المختار لمشاكلة الظرف لما أضيف اليه في الحكم الذي هو البناء ومنه قول النابغة *

على حين عاتبت المشيب على الصبا ... وقلت ألما أصح والشيب وازع

والف اشتكى اصلها الواو لانها اشتكاكت اذ الياء لعين ووقوعها خامسة في الفعل فتكتب بالياء وكل فاعل اشتكى وتنوينه عوض عن المضاف اليه اي اشتكى كل واحد منا وما في قلبه متعلق باشتكى والفاء زائدة في المفعول كقوله

هن الحرائر لا ربات أحمرة ... سود المحاجر لا يقرأن بالسور

لان فعل الشكاية يتعدى بنفسه وفي التعريف ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا ويحتمل ان تكون للظرفية لما في الشكاية من معنى التكلم ونحوه كقولك تكلمت بكذا وتكلمت به ويحتمل على بعد ان تكون للسببية والله تعالى اعلم قوله بحبه يتعلق باشتكى ايضا والباء فيه بمعنى في اي كل منا اشتكى في حبه ما يجده من الهم من اجله وقوله بكربه يتعلق باشتكى ايضا وهو على تقدير مضاف اي بالاشارة بكربه والباء فيه للآلة وقوله بما يلقى بدل مما في قلبه واللقاء بدل من الجملة اي الموصول محذوف اي بما يلقيه قوله ما عذري جملة من مبتدا وخبر مستانفة قوله من يشكو المجروح موصول في محل جر باضافة عذر اليه ولا ثراه اي يعذر او يشكو لانها ليست هي جمع قوله لمن جفا يتعلق بيشكو واللام بمعنى الى وجملة ومن لم يرع جفنه في محل الفاعل بيشكو ولم يرع مفعول لم يرع بعهد واللام فيه تقوية للعامل الضعيف بالتاخير كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون والله اعلم **المعاني** قوله ولا تسل في

هذا الكلام صورته صورة الطلب والمقصود منه تعظيم الأمر وتهويله كما في قوله
تعالى ولا تسأل عن أصحاب الجحيم قال الزمخشري قيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار
من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه
ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله
ولا تكلفه ما يضجره أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع
وإضجاره فلا تسأل ومنه قول ابن المعتز

وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فقوله مما أتى مرجو كان يقتضي الظاهر أن يقول فيه شيء بلفظ الماضي وكذا
قوله وما قربت لأن هذه الشكاية كانت بعد رحيل المحبوبة مع قومها وانقضاء ما
يمنعه أن حبيب يتعذر الاطلاع بها ومن هنا اقتفى الناظم في آثارهم ولزم حادي عيسهم
وكان من أفراد معه قد تقدم شرحه فالمقام للمضي كما عرفت لكنه عبر عنه بصيغة
المضارع حكاية للحال واستحضارا لتلك الصورة في ذهن المخاطب حتى كأنه يشاهدها
ويزداد تعجبا منها على حد قوله تعالى والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا
قال الزمخشري رحمه الله فإن قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما
بعده قلت ليحكي الحال التي يقع فيها إثارة الرياح للسحاب وتستحضر تلك
الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع
تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا

بأني قد لقيت الغول تهوي * بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه
يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجيب من جراءته على كل هول
وثباته عند كل شدة اهـ ومنه يفهم معنى كلام الناظم ويعرف مغزاه وفي
الكلام التفات بسبب الانتقال أولا بالأمر من التقسيم ثانيا في غير ورود مثله
والمقام يقتضيه وتنكير حور وقوم للتكثير والتعظيم والأقرب أن يكون في حور
للتعظيم وفي قوم للتكثير فقوله فأعذر من يشكو الجوى الاستفهام هنا للإنكار
إذ أي شيء ممن عذر من يشكو هواه ولومه :: ومن خبر فكره من حوله :: فسل

لا عمدة له في موضع ارادة فائدة :. واقتصاره على مجرد احد معانيه :. فان ارادة التصنع عليه لا تقع :. وسواء من الشكل عند مختبريه منه واهمه :. وقد قال الشاعر

اذا بان محبوب وعاش محبه * فذاك كذوب في الهوى غير صادق

وقوله لم يعقبا البين اي ادمنه حقيقة الجفاء والا فلم يرد له في البيت فلعله من ان كلا منهما شكا لحبيبه ما لقيه من اجله فمراده في اتلاف يكن من احدهما جفاء لصاحبه وحينئذ فلا مراد بالجفاء هنا ما شافه الافراد :. من حروف الغراء بلا اختيار :. ولا يحتاج ان يعتذر بجعله مفعولا به اذ هو في معنى اللازم والمعنى لم يحصل منه الجفاء والله تعالى اعلم ومما قيل في التوديع بالاشارة ما حكاه الاصمعي قال سمعت اعرابيا يتغنى بشعر ءاخر ويقول شيعنا الحمى بعد المقام :. وفينا ادوية للسقام :. فاشرنا بالعيون الى السلام :. وخرست الالسن عن الكلام :. وقال الاخر

ولما التقينا والغرام يزيننا * ونحن كلانا في التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يجري بيننا * تسارق منا نظرة ونسارق
فلا تشكلا ما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا انا مشوق وشائق

وقال

جري ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وقال ابن الخطيب في المعنى الا انه افرد نفسه بالشكوى دون المحبوبة

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عنا ظلت ابكي وتبسم
فلم ار بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلي ميتا يتكلم

وقال غيره

لما وقفنا للوداع وهالنا * كنا نحذر من الفراق مخيفا
نثروا على ورد الشقائق لؤلؤا * ونثرت من فوق البهار عقيقا

وقال ابن ابي حصينة الحلبي

ولما وقفنا للوداع وقلبها * وقلبي يفيضان الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعي * عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

والشعر في هذا المعنى كثير ومما قيل في الاقتطاع في غرض الحبيب ومن معنى قوله ما عز من يشكو الهوى والبين فذا قيس بن الملوح *

إذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا
(ءاهِ على ذكر ليالٍ سلفت * في معمعٍ كالبارق المؤتلقِ
في معمرٍ كنا به كنخلتي * حلوانَ في وصلٍ بلا تفرّقِ)

اللغة قوله ءاهِ على ذكر ليالٍ ءاهِ من كلمة بالمد وكسر الهاء لالتقاء الساكنين كلمة تقال عند التوجع وقد تقال عند الاستغراب وفيها لغات وقد أوّه الرجل تأويها وتأوّه تأوّها اذا قال آه والاسم منه الآهة بالمد كالآية قال المثقب العبدي إذا ما قمت أرحلها بليلٍ * تأوّه آهة الرجل الحزينِ قوله سلفت أي مضت يقال سلف سلوفا مرّ فهو مضى وانقضى فهو سالف والجمع سلّف وسُلّاف مثل خدم وخدّام ثم جمع السلف على اسلاف كسبب واسباب قوله كالبارق المؤتلق يقال برقت السماء بروقا وبرقانا لمعت أو جاءت ببرق والبرق واحد البروق والبارق سحاب ذو برق والمؤتلق اللامع يقال ائتلق البرق ائتلاقا وتألّق التألّق لمع فهو مؤتلق ومتألق قوله في معمر كنا به المعمر المنزل الذي لا يزال القوم اذا انتأوا عنه رجعوا اليه وعمرت بمكان ركزت الغنيمة به وعمل به فهو اي لغاء له وقرأ ابي خراش الهذلي رضي الله عنه *

فليس كعهد الدار يا أمّ مالكٍ * ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

أي ليس الامر كما عهدت ولكن جاء الاسلام فهدم ذلك وفي ان كرم العهد من الايمان رأي رعاية المودة قوله كنخلتي حلوان اما نخلتا حلوان فسيأتي ذكرهما الحديث
وأما حلوان فهو بلد مشهور من سواد العراق وهي آخر مدن العراق وبينها وبين بغداد نحو خمس مراحل وهي من طرف العراق من جهة الشرق والقادسية من طرفه من جهة الغرب قيل سميت باسم بانيها وهو حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وقيل والزمخشري ام القبائل من مضر والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله ءاهِ على ذكر ليالٍ جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وءاهِ اسم فعل بمعنى اتوجع والعهد منقلبة عن واو وعلى ذكر ليال متعلق به وعلى تعليلية كهي في قوله تعالى لتكبروا الله على ما هداكم وليال اسم منقوص اصله ليالي بالياء جمعا على غير قياس فاستثقلت حركة الياء وان كانت فتحة لكونها نائبة

زم ... نامي

عن الكسرة في ممنوع الصرف مجرورة ثم حذفت الياء استثقالا ثم عوض عنها
التنوين كجوار وغواش وجملة سلبت في صفة الليال وقوله كالبدور المؤتلق صفة
ثانية او حال منها ويجوز ابدال همزة المؤتلق واوا من جنس حركة ما قبلها تخفيفا
قوله في مغمر يتعلق بسلبت وجملة كنا به صفة له وقوله كمختلس خبر كان
وان كان الكاف تحتمل الحرفية والاسمية وقوله في وصل يتعلق بما دلت عليه
الكاف من التشبيه ويحتمل ان يكون خبرا ثانيا لكان او حالا من اسمها وقوله بلا
تعرون نعتا لوصل والله تعالى اعلم **المعاني** انما فصل جملة ذا الخ عما قبلها
لما بينهما من كمال الانقطاع بلا ايهام ولانه لا جامع بينهما اذ موضوع الكلام
المتقدم غير موضوع هذا لانه كان يخبر عن حاله مع المحبوبة يوم الرحيل ويصف
ما اتفق له في ذلك المشهد انما برز المؤلف الحكيم بتذكر ما مضى له معها قبل
ذلك من العيش الرضي والوصل الهني في الزمان الوضي والعصر الوطي
ومن كلامهم ذكر ما فات يكدر اللذات فقطع ما كان فيه من الوصف وصرح
متوجعا ونادى متفجعا دالا على ذكر ليالي هذا الكلام انشاء فيما يظهر
وليس بخبر اذ لا نسبة له في الخارج فتعين الفصل والله اعلم وتنكير ليالي
للتعظيم او للنوعية لانها كانت في صفوة الدهر مواسم وبمنزلة الاعياد منه
والمواسم وكذا تنكير مغمر يحتمل المعنيين وقوله كالبدور المؤتلق معناه
انها سريعة الذهاب قليلة اللبث والبدور يحتمل ان يراد به البدر نفسه ويحتمل
ان يراد به السحاب ذو البروق وكلاهما يضرب به المثل في سرعة الانصرام وفي
امثالهم سحابة صيف عن قليل تقشع ومن كلامهم اقبال الدنيا كلمة ضيف
او سحابة صيف او زيارة طيف ومعنى قوله في وصل بلا تعرون في وصل
لم تتخلله فرقة ولا كدر مفاد له بعد صفة لان النكرة في سياق النفي تعم
والله تعالى اعلم وهذا قيل في استقصار ايام الوصال قول ابي تمام

ولقد اراك فهل اراك بغبطة — والعيش غض والزمان غلام
اعوام وصل كان ينسي طولها — ذكر النوى فكانها ايام
ثم انبرت ايام هجر اردفت — نحوا اسى فكانها اعوام
ثم انقضت تلك السنون واهلها — فكانها وكانهم احلام

وقال ابن الكيب

ومن عجب الدنيا لمن ليلا تقلبت ... على عينه حتى يرى صدقها كذبا
وكيف التذاذي بالأصائل والضحى ... إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبا
ذكرت به وصلا كأن لم أفز به ... وعيشا كأني كنت أقطعه وثبا

وحكى ابو محمد اسماعيل بن الشيخ ابي منصور الجواليقي النحوي اللغوي المشهور قال كنت في حلقة والدي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرؤون عليه فوقف عليه شاب وقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم افهم معناهما واريد ان تسمعهما مني وتعرفني معناهما فقال قل فانشد

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها ... وهجره النار يصليني به نارا
فالشمس بالقوس امست وهي نازلة ... ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

قال ابو محمد فلما سمعهما ابي قال يا بني هذا شيء من علم النجوم ومعرفة سيرها لا من صنعة اهل الادب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة واستحيى الشيخ ان يسأل عن شيء ليس عنده منه علم فقام وآلى على نفسه ان لا يجلس في حلقة حتى ينظر في علم النجوم ويعرف كيفية سير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس ومعنى البيتين المشار اليهما ان الشمس اذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول لانه آخر فصل الخريف واذا كانت في آخر الجوزاء كان الليل في غاية القصر لانه آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول وان زارني كان الليل عندي في غاية القصر والله اعلم

ذكر نخلتي حلوان وما قيل فيهما

قال الشيخ ابو منصور الثعالبي في ثمار القلوب نخلتا حلوان كانتا بعقبة حلوان من غرس الاكاسرة يضرب بهما المثل في طول الصحبة وقرب المجاورة وقد اكثر الشعراء من ذكرهما فمنهم مطيع بن اياس وحكى الاغاني عن مطيع قال كانت لي بالري جارية ايام مقامي بها مع سلم بن قتيبة وكنت اتستر بها وكنت اتعشق امرأة من بنات الري قد كنت نازلا الى جنبها في دار لها فلما خرجنا بعت الجارية وبقيت في نفسي علاقة من المرأة التي كنت اهواها فلما نزلنا عقبة حلوان جلست مستندا الى احدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمان
ولعمري لو ذقتما ألم الفرقة أبكاكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أن نحسا سوف يلقاكما فتفترقان

فقال لي سلم وذلك بين منزل الأبيات في جاريتي فاشتهيت أن أخرج فيه فقلت نعم فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعهما فلم يلبث أن ورد كتابه أني قد ابتعتهما فقدرتنا ولهما الرجال وقد عزفت نفسي عنهما فأقام في نعمة الذي في نعيم وكذ والله ما كان في نفسي منهما شيء ولو كنت أحبهما لم أبال إذ وقعت إلي من تركتهما ولهما ولوددنا لهما المؤمنين كلهم. وعن عبد الله بن أيوب قال حدثني المديني أن الرواة أعلمنا من قبل أبيه أن جعفر المنصور وكان بعقبة حلوان استطاب الموضع فتغدى ودعا بحسنة جاريته فقال لها أما ترين طيب هذا الموضع غنيني فيه فإني أحب أن أشرب هاهنا أقداحا فأخذت مخصرة كانت في يدها وأوقعت على مخدة وغنته

أيا نخلتي وادي بوانة حبذا إذا نام حراس النخيل جناكما
فطيبكما أربى على النخل بهجة وزاد على طول الفتاء فتاكما

هكذا في الأغاني والذي في مجمع الأمثال أن المهدي ومر تحت النخلتين للشرب وغناه المغني

أيا نخلتي حلوان بالشعب إنما أشذكما عن نخل جوخى شقاكما
إذا أخرجا وزدنا الثنية لم نزل على وجل من سيمتنا أو نراكما

فقال أحسنت والله فيما قلت إذ نبهتني على هذا والله لا أقطعهما أبدا ولأوكلن بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييت ثم أمر بأن يفعل فلم يزل الأمر في حياته على ما رسمه إلى أن مات وقيل إن الذي نهاه عن قطعهما هو والد أبو جعفر المنصور لما بلغه قوله لأقطعنهما ثم لما كانت خلافة الرشيد خرج إلى طوس من وجهه الأول فهاج به الدم بحلوان فأشار عليه الطبيب بأكل جمار فأحضر دهقان حلوان وطلب منه جمارا فأعلمه أن بلده ليس بها نخل ولكن على العقبة نخلتان فأمر الرشيد بقطع إحداهما وأتي بجمارها فأكل منه وراح فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأخرى قائمة

وإذا

المتواريد أن ميزل تكون النخلتان العيرى بينهما فقال لها وكذا لي فانشد ثم أبيات مطيع حتى انتهت إلى قوله * أسعداني وأيقنا أن نحسا * سوف يلقاكما فتفترقان * فقال أحسنت

وزاد على القافية مكتوب

أشعراني يا نخلتي حلوانِ * وارثيا لي من ريب هذا الزمانِ

الأبيات بالفتح الرشيد وقال يعز علي أن أكون فرقت بينكما ولو كنت سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو تخلف الذي زاد في الأبيات فجففت النخلة المقطوعة فلم تلبث ما جنبتها أن جفت أيضا وبطلتا وفيها قالت الشعراء في نخلتي حلوان فمن ذلك قول حماد عجرد

جعل الله نخلتي قصر شيرين فداةً لنخلتي حلوانِ
جئت مستشعرا فلم تشعراني * ومطيع بكت له النخلتانِ

وأنشد محكمة عن حماد بن إسحاق الموصلي من أبيه لبعض الشعراء ولم يسمه

أيها العاذلان لا تعذلاني * ودعاني من الملام دعاني
وابكيا لي فإنني مستحق * منكما بالبكاء أن تسعداني
وأنا منكما بذلك أولى * من مطيع بنخلتي حلوانِ
فهما تجهلان ما كان يشكو * من جواه وأنتما تعلمانِ

والشعر في ذلك كثير والله أعلم

ولنا به ما نشتهي من لذة * وعفة في نيل عيشة عفو
إذ ما كان السعود في مساعدا * وغفلة الرقيب ذات تعني
والبوح فيهما وسلاف عزة * يقنع من لبنى إذا لم نلتقي

اللغة قوله نلنا به أي النيل بلوغ المقصود وقد نال فلان من أقرانه ومن مطلوبه أي أدرك ما أراد ونال خيرا ينال نيلا من باب فرح نيلا إصابة ويتعدى بالهمزة إلى الثاني فيقال أنلته مطلوبه فناله قوله ما نشتهي الشهوة اشتياق النفس إلى الشيء والجمع شهوات وقد شهيه كرضيه وشهاه كدعاه واشتهاه وتشهاه أحبه ورغب فيه وشيء شهي مثل لذيذ وزنا ومعنى قوله من لذة اللذة بالفتح نقيض الألم قاله في القاموس وللمتكلمين في تحقيقها كلام ليس هذا محل بسطه وقد لذ الشيء يلذ من باب تعب لذاذا ولذاذة بالفتح فيهما فهو لذيذ أي شهي بين اللذ واللذيذ واللذة ولذة أنا ألذه وجدته كذلك يتعدى ولا يتعدى وتلذذت به والتذذت بمعنى واستلذذته عددته لذيذا قوله وعفة

الدعة بفتح الدال الراحة والسعة في العيش وقد ودع ككرم ونصر دعة
بالفتح فيهما وسكن فهو وادع ووديع وقال الشلار المكادع وادعا اي من غير كلفة
ورجل متودع اي صاحب دعة وراحة ومتيقظ بالمودوع اي بالسكينة والوقار
قوله في ظل عيش قال ابن قتيبة يذهب الناس الى ان الظل والفيء بمعنى واحد
وليس كذلك بل الظل يكون غدوة وعشية والفيء لا يكون الا بعد الزوال فلا
يقال لما قبل الزوال فيء وانما سمي ما بعد الزوال فيئا لانه ظل فاء عن جانب
المغرب الى جانب المشرق والفيء الرجوع وقال ابن السكيت الظل من الطلوع الى
الزوال والفيء من الزوال الى الغروب وقال ثعلب الظل للشجرة وغيرها بالغداة
والفيء بالعشي فتأمل وقال رؤبة بن العجاج كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه
فهو ظل وفيء وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل ومن هنا قيل الشمس تنسخ الظل
والفيء ينسخ الشمس قاله في المصباح والظل ايضا العز والمنعة على الاستعارة
وانا في ظل فلان اي في كنفه واظلني الشيء غشيني اودنا مني حتى القى علي
ظله وقولهم تركته ترك الظبي ظله مثل يضرب للرجل النفور لان الظبي اذا نفر
من شيء لا يعود اليه ابدا والعيش الحياة والطعام وما يعاش به ومن اين
المراد هنا وقد عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة واعاشه الله وعيشه
الحياة والعيشة قوله في غبط نال الا هم في عيشة غبط في عيش واسع وقال ابن
الاعرابي غطاء في غبطاء اي منصب قوله ازمانا ركاز السعد الازمان جمع زمن
كسبب واسباب ومن الوقت قل او كثر ويقال زمان بالضم وجمعه ازمنة وازمن
كازمنة وافلس ولقيته ذات الزمين كزبير تريد بذلك تراخي الوقت كما يقال
لقيته ذات العويم اي بين الاعوام والسعد هنا بمعنى السعادة ضد الشقاء
وتكون في الدين والدنيا وقد سعد كعلم وعني سعدا وسعادة فهو سعيد ومسعود
واسعده الله فهو مسعود ولا يقال مسعد واسعده اعانه كساعده ولبيك
وسعديك اسعادا لك بعد اسعاد قوله ومعناه الرقيب يعني الحارس والحافظ
يقال رقبته ارقبه من باب نصر حرسته فانا رقيب ورقبته وارتقبته انتظرته
والاسم منه الرقبة بالكسر وجمع الرقيب رقباء ورقيب النجم الذي يغيب
بطلوعه مثل الثريا رقيبها الاكليل اذا طلعت الثريا عشاء غاب الاكليل

وإذا طلع الإكليل عشاء تغابت الثريا فوله ذات يحنو الحنو بالتحريك انحناء
العور والكثر ما غمضة او الا يلتقي شفرا عينيه على حدقته ويكون ذلك بقبضهما
وانفساحهما وقد يكون كفرح ونصر يفعل باخوي العين وتخفيفها والعين الخفاء العوراء
كالنا خوة وقد يخرب اذا غمضه لمنع عورتها فوله سلام عزة السلام التحية
وهو اسم مصدر سلم سلاما ككلم كلاما والسلام من اسماء الله تعالى والسلام
ايضا شجر بالبادية قيل لأعرابي السلام عليك فقال الجمجمة عليك قيل له ما
هذا الجواب قال انهما شجران مران واذ جعلت على احدهما فجعلت عليك الاخر
والغرة بفتح الغين واللبنى بضم اللام كلاهما علم امرأة وقد جمع الراجز بينهما في قوله

هل على غرة الرحمن ذو ابتسام * لبنى وهل على خال اللاتفا الاخر
من الحرائر لا ربات اخمرة * سود المحاجر لا يقرأن بالسور

الإعراب والتصريف فوله تلنا بها جملة في محل النعت او الحال
من بعض بني قبلاء وألف تال منقلبة عن ياء وحذفت لالتقاء الساكنين
والباء في به ظرفية والضمير للمصدر وما تستهي مفعول تلنا وعائد الموصول محذوف
والتقدير ما تشتهيه وفوله من لذة بيان لما في محل الحال منه ومدعة معطوف
عليه ومن حرف ابتداء التي سبق الواو وقد يعوض عنها هاء التأنيث فوله في
محل عيش متعلق بتلنا ويجوز ان يكون ظرفا مستقرا في محل النعت للذة ومدعة
اي كائنين في محل عيش ويجوز ان يكون ظرفا لغوا متعلقا بلفظيهما على سبيل
التنازع فوله اذ ما ركان السعر ظرف متعلق بتلنا ويحتمل ان يكون متعلقا
بمحذوف تقديره كان ذلك اذ ما ركان السعر فحذف ث كعادتهم ان يخبروا عن
امر ويصفوا حاله ثم يقولوا ايام كان كذا وكذا او غداة كان كذا او عشية او نحو
ذلك فإن كان في الكلام ما يصلح للعمل في الظرف فذاك والا قدر له عامل من جنس
ما يقتضيه المقام وجملة كان السعر في محل جر باضافة اذ ما اليه وفتحة النون
منه تحتمل البناء والاعراب حسبما مر عند قوله يوم اشتكى كل البيت فوله
ومقلة الرقيب في جملة في محل الحال من اسم كان او من ضمير المتكلم المجرور باللام
ويحتمل ان تكون معطوفة على معمولي كان من عطف الجمل لما قررت بحر مرفوع على الاهمال
اي واو منصوب على الحال فوله والنوى فرحان في جملة معطوفة على جملة اذ قاله

كأن الشعر أو على جملة لكنايه والشرط كذلك يتعلق بهما وهو وقوله فإن قوي أبيه
عن ياء وسلام عزة اسمها وجملة يقنع من لبنى خبرها والكلام على تقدير مضاف
أي يقنع من سلام لبنى وقوله إذا الخ نلتو كذلك متضمن معنى الشرط يتعلق بيقنع
وجواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدم عليه والتقدير إذا الخ نلتو بسلام عزة
يقنع من سلام لبنى والله أعلم **البيان** قوله في ظل عيش ففيه استعارة
بالكناية فإنه شبه العيش الهني بقصر شامخ أو روض يانع . في ظل وارف
وكنف واسع . بحيث يجمع كل من يأوي إليه ويقيه حتى من حر الشمس الذي هو
أدنى المؤذيات في عرف العادة وطوى ذكر المشبه به ورمز له بالظل الذي هو من
خواصه فجاء الكلام مشتملا على استعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييلية
كقول أبي ذؤيب الهذلي

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

قوله ذا عمر ترشيح للاستعارة إذ معناه الواسع وهو يلائم المشبه به
وإسناده إليها عزة أي الشعر مجاز عقلي وهو استعارة بالكناية أيضا وقوله
تهيدا قوله ومقلة الرقيب ذات الخ هذا من باب التمثيل ويسمى الاستعارة
التمثيلية وحقيقتها اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه
التمثيل للمبالغة كقولهم للمتردد في أمر إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى وهو مجاز
في المركب كما ترى ومنه كلام الناظم فإن المراد من قوله ومقلة الرقيب ذات الخ
أنه لما أن وصال المحبوبة كان قد حصل له في زمان والرقيب فيه مغلوب عليه
مقهور متمرغ جبينه فكأن تكلم في منزلة النكير والشكف . يذرع المسح وبالكل يرى له
من الأسماء: وقد شاع من كلامهم قد مقلة عين فلان إذا أتيت بما يشجيه ويرمد له
ويؤذيه وتقول نسا من فلان أي معارضه فكنت شجى في حلقه وقذى في عينيه
لا تريد أنك أغمضته بشيء ولا أنك أصبت عينه بآفة وإنما تريد أنك كبته
وقهرته فصار حاله حال من يصيبه الشجى والقذى **واعلم** أن الذين يقع منهم
التحسر ويحذرون عليهم عيشهم في المحبوب ثلاثة أصناف العاذل والواشي
والرقيب وبينها ولاء الثلاثة فرق ولكل واحد خاصة ورسم فالعاذل هو اللائم
هو الذي يلوم المحب ويعذله إما على علاقة قلبه وشغل فكره بما يهيم به غرامه

من افرد دينه ودنياه من غير تعرض للمحبوب بخير ولا شر وانما امرهم على العذل فمن النصيحة والكف عن الشفقة بخلاف ما هم مشغوفون فاما ان يكون العذل للمحب وعذله اياه لحسن الظن على ذلك المحبوب لما اختص به من صفات الجمال وخصال الكمال واما ان يكون العذل للمحب على علاقة قلبه بمحبوب غير مرضي الفعال الا لرقاقة وجهه اذ قبح فعاله قد ذهب بحسن الوجه فقبح الفعال كما قال ابو الطيب

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن في فعله والخلائق

واما ان يكون اللوم العذل لكونه لم ير المحبوب ولا شاهد من حسن صورته وجميل فعاله ما يعذر به المحب وهو بحيث لو راه لعذر المحب وعذره وساعده في محبته نكرا له كما قال الاخر

لو راى وجه حبيبي عاذلي * لتفاصلنا على وجه جميل

واما الواشي فهو اشر على المحب من العذال لان الواشي يسعى بين المتحابين بالنميمة ويثير البغضاء والمنافرة والفرقة وانما سمي واشيا من الوشي وهو الرقم لانه يزين الباطل ويبرزه في صورة الحق ويحسن القبيح ويقبح الحسن حرصا على قبول قوله والوصول الى غرضه فيستميل المحبوب بما يزخرف له من الاقاويل ووجوه التاويل كما قال الاخر

قلت للامين الذي قبح الغشـ * ـش كلام الوشاة ما ينبغي لك
قال قول الوشاة عندي صحيح * قلت اخشى يا عمر ان يستميلك

فالعذال امره اخف وحاله ايسر لانه يلقي الى المحب ما يلقيه على جهة [illegible] النصيحة وقلما يقبل ذلك منه اذ الحب الغالب والحب املك واما الرقيب فهو المتسلط على المتحابين المعترض بينهما بالفعل والقول المريد لان لا يكون بينهما وصل ولا يجتمع لهما شمل فهو مشغب اوقاتهم ومنغص لذاتهم والمتسلط عليهم لا يغيب عنهم ولا يفارقهم [illegible] فالواشي بين العذال والرقيب وقد يغيب عن الواشي ويعلم نقله فلا يسمع قوله وتعكس عليه اغراضه وشان الرقيب اشد وامره اعظم واما قول من قال

احب الرقيب لان الرقيب * يكون اذا كان حبي معي
واهوى العذول لتكراره * حديث الحبيب على مسمعي

فهذا قد اجتمع له الطمع في جنب الذلة وأحب حضور الرقيب لحضور المحبوب إذ أن
الرقيب لملازمته له يحضر حيث يحضر ويغيب حيث يغيب فحضور الرقيب لا لذاته
بل لما يلزم على حضوره من حضور المحبوب وأصرح في المعنى الشطر الثاني فإنه يهوى العذول
ويرضى بعذله لأن عذله على حبه يستلزم ذكر المحبوب فيجتمع له العذل في جنب لذة
سماع ذكر المحبوب والتعريف عنه وهذا الحكم دائم يدل على الائتلاف والمحبة لغيره
في الحب والخروج عن المعتاد فيه وهو ينكر ذلك قول الآخر

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم

وقرره أبو الطيب هذا المذهب بقوله

القلب أعلم يا عذول بدائه ... وأحق منك بجفنه وبمائه
فومن أحب لأعصينك في الهوى ... قسما به وبحسنه وبهائه
أأحبه وأحب فيه ملامة ... إن الملامة فيه من أعدائه

وقد ألف بعض المتأخرين كتابا سماه الحكم العادلة في العذول والرقيب
والواشي والعاذل، فما ذكره أي الترتيب المتقدم ومن أن تقدمهم على المحبين
الرقيب ثم الواشي ثم العاذل فالرقيب أشرهم على الإطلاق ولذا اختتمه الناظم
من بينهم ووقع هنا له غاية التنقيح. فكريم الكناية والتصريح. وأما قوله والبدر
فإنما رسائل عذلي البيت فمعناه أنه لما غاب الشمس وانكسف البدر ما يتعلل
من الحبيب فإن منهن منزلة وأحكم منهما رتبة ومن عذله وفي هذا تلميح إلى قصة
قيس بن ذريح وهو كما قال في الأغاني أنه لما طال على قيس ما به من حب لبنى
بعد فراقه إياها أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة فلعله أن
يسلو بها عن لبنى فدعاه أبوه إلى ذلك فأبى عليه وقال

لقد خفت أن لا تقنع النفس بعدها ... بشيء من الدنيا وإن كان مقنعا
وأزجر عنها النفس إذ حيل دونها ... وتأبى إليها النفس إلا تطلعا

فأشار عليهم أبوه بمشاورته عليه فأتوا فجزله بالتخييم في أحياء العرب والنزول عليهم
فلعله يرى منهن امرأة تعجبه فأقسم عليه أبوه أن يفعل فسار حتى
نزل بحي من فزارة فرأى جارية حسناء قد حسرت برقع خز عن وجهها وهي كالبدر
ليلة تمه فقال لها ما اسمك يا جارية قالت لبنى فسقط على وجهه مغشيا عليه

فنضحت على وجهه ماء وأفاق مما كان عراه ثم قالت ان لم يكن هذا قيس بن ذريح
انه لمجنون فأفاق فنسبته فانتسب فقالت قد علمت انك قيس ولكن نشدتك
بالله وبحق لبنى الا اصبت من طعامنا وقربت اليه طعاما فاصاب منه
باصبعه وركب فاتى على اثره اخ لها كان غائبا فرأى مناخ ناقته فسألهم عنه
فاخبروه فركب حتى رده الى منزله وحلف عليه ليقيمن عنده شهرا فقال له لقد
شققت علي ولكني سأتبع هواك والعذري يزداد اعجابا بحديثه وعقله
وروايته فعرض عليه الصهر فقال له يا هذا ان فيك لرغبة ولكني في شغل
لا ينتفع بي معه فلم يزل يعاوده والحي يلومونه ويقولون قد خشينا ان يصير
علينا بفعلك سبة فقال دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام فلم يزل به حتى
اجابه وعقد الصهر بينه وبينه على اخته المسماة لبنى وقال له انا اسوق عنك
صداقها فقال انا والله يا اخي اكثر قومي مالا فما حاجتك الى تكلف هذا انا
سائر الى قومي وسائق اليك المهر ففعل واعلم اباه الذي كان منه فعمد
بسره وساق المهر عنه ورجع الى العذري حتى ادخلت عليه زوجته فلم يروه
عشر ليال ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف ولا نظر اليها واقام على ذلك اياما
كثيرة ثم اعلمهم انه يريد الخروج الى قومه اياما فاذنوا له في ذلك فمضى
لوجهه الى المدينة وكان له صديق من الانصار بها فاتاه فاعلمه الانصاري
ان خبر تزوجه قد بلغ لبنى فغمها وقالت انه لغدار ولقد كنت امتنع من اجابة
قومي الى التزويج فانا الآن اجيبهم ثم تزوجت ولم ينتفع كل منهما بصاحبه الذي
تزوج والحب في ذلك يعذران واعلم ان رواة الحديث والشعراء اختلفت في هذا
المعنى الذي هو التسلي بمحبوب عن آخر فمنهم من رأى ان المحب اذا تعذر عليه
امر محبوبه فليعمد بنفسه في التسلي عنه بالمرأة او استبدال غيره به فان النفس
اذا الفت التنقل من حال الى حال واستبدال محبوب بآخر ربما تسلت عن الجميع
وكان هذا رأي من ليس براسخ في المحبة ولا هاد والمودة ذات حقيقتها ولهذا
ذهب ابو تمام اذ يقول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل

ومن أحسن ما قيل في النسيب قول عمر بن أبي ربيعة

آلآن إذ زال الركاب تباعدت   إذا انبتّ حبل أن قلبك طائر
أفق قد أفاق العاشقون وفارقوا الـ   ـهوى واستمرّت بالرجال المرائر
زع النفس واستبق الحياء فإنما   تباعد أو تدني الرباب المقادر
أمت حبها واجعل قديم وصالها   وعشرتها أشباه من لا تعاشر
وهبها كشيء لم يكن أو كنازح   به الدار أو من غيبته المقابر
وكالناس علقت الرباب فلا تكن   أحاديث من يبدو ومن هو حاضر
فإن أنت لم تفعل ولست بفاعل   ولا قابل نصحا لمن هو زاجر
فنفسك لم عينين جنت الذي ترى   وبكما وعت أمر الغي إذ انت سادر
وقد مل إلا أن تقضي حاجة   بين وقفر دعته المنادر

قال الحرمي أخبرني أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال أجمع من له علم بالشعر بالحجاز أن شعر عمر بن أبي ربيعة هذا أجود شعر قيل في مفارقة الأحباب وقوله من يبدو ومن هو حاضر يعني ساكن البادية وساكن الحضر وقوله عينين جنت الذي ترى قال الزبير معناه جنت معاينة ما ترى فقال ثعلب وأنا أقول إن عينين بدل من نفسك وأم في قوله إذ أنت سادر فتفكهة وسادر معناه لاهٍ وأكثر الشعراء يأبون أن يكون النساء يحببن غير أخر نا بعضا في قلع عزو والحب من القلب قال دعبل

وما أبى إلا جماحا فؤاده   ولم يسل عن ليلى بمال ولا أهل
تسلّى بأخرى غيرها فإذا التي   تسلّى بها تغري بليلى ولا تسلي

وقال البحتري

وقالوا تجنبها تعز فاجتنبتها   زمانا فما أسلى فؤادي التجنب
وقالوا تغرب ينتفي الحب أو يمر   عماه له قلبي باختلاف التغرب

وهو مأخوذ من قول ابن الدمينة

وقد زعموا أن المحب إذا دنا   يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا   على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع   إذا كان من تهواه ليس بذي ود

وقد يجمع الله الشتيتين قال الحكم بن عمرو الثقفي قال خرجت منهزما فرأيت بامرأة

بكعشر

بكسر الهمزة وسكون الميم كالمقعة بلد. جاريتين اختين لم ار كهما لهما وكهن جمالا
وكسوتهما واحسنت اليهما قال ثم حججت من قابل وفعلت مثل ذلك وقد اغتللت ونصل
خضابي فلما مررت بأم ... اذا امرأتهما قد جاءت فسألت سؤال منكر قال فقلت
فلانة قالت فدتك أبي وأمي وانت تعرفني وأنكرتني قال فقلت الحكم بن قنبر فقالت
فدتك أبي وأمي رأيتك عام أول شابا باسوفة وأراك العام شيخا مثلكا وفي دون
هذا ما تنكر المرأة صاحبها فأرسلتها مثلا قال قلت ما فعلت أختك فتنفست
الصعداء وقالت قدم علينا ابن عم لنا فتزوجها وخرج بها فذاك حيث تقول

اذا ما قطننا نحو نجد واهله * فحسبي من الدنيا قطوعي الى نجد

قال قلت أما انه لو ادركتها لتزوجتها قالت فدتك أبي وأمي ما يمنعك من
شقيقتها وشريكتها في حسنها وجمالها قال قلت يمنعني من ذلك قول كثير

اذا وصلتنا خلة كي تزيلها * أبينا وقلنا الحاجبية أول

فقالت كثير بيني وبينك اليس الذي يقول *

هل وصل عزة الا وصل غانية * في وصل غانية من وصلها خلف

قال الحكم فتركت جوابها وما يمنعني من ذلك الا العي

ولو والله لو حلت ديار قومها * واحتجبت عني بباب مقفل
لزرتها والليل جون مسدل * وجئتها لم يحتمل بازري
معي ثلاثة تفي صاحبها * تالله تكرني الوفاية تفي

اللغة قوله والله لو حلت في المحلول النزول حللت البلد وبه حلولا من باب قعد
نزلت به والمحل بفتح الحاء موضع الحلول وفيه لغة بالكسر حكاها ابن القطاع
وقوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله ليس من هذا وانما المعنى حتى يبلغ المكان الذي
يحل نحره فيه قوله ديار قومها اي منازلهم والدار المحل الذي يجمع البناء والعرصة
جمعها ديار ودور وادور على القلب والقوم جماعة الرجال ليس فيهم امرأة
قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نساء من نساء وقال زهير

وما ادري وسوف اخال ادري * اقوم آل حصن ام نساء

وانما خص القوم بالرجال لانهم قوام على الشيء اذا ... به واعتنى بامره والرجال
قوامون على النساء كما في الآية الكريمة قوله واحتجبت بمعنى الاحتجاب

الاستثناء وقوله بباب مغلق يقال اغلقت الباب اذا اجعلت عليه الغلق بالتحريك وهو ما يشد به الباب فيغلق كمكرم وتغلقت الابواب شدد للكثرة وغلقته غلقا من باب ضرب لغة ردية متروكة حكاه ابن دريد عن ابي زيد قال ابو الاسود الدؤلي في رديئها * ولا اقول لقدر القوم قد غليت * ولا اقول لباب الدار مغلوق قوله لزرتها الزيارة القصد وقد زاره يزوره زورا وزيارة قصده فهو زائر وزور تسمية بالمصدر وقوم زور كذلك والمزار يكون مصدرا ويكون اسم موضع الزيارة قوله والليل جون حالك الجون يطلق بالاشتراك على الاسود والابيض وهو من اسماء الاضداد والمراد هنا الاول وجمعه جون بالضم وحالك شديد السواد ويقال بالتشديد اللام وقد حلك كتعب حلوكة اشتد سواده واحلولك مثله ويقال في الالوان اسود حالك واحمر قانئ واصفر فاقع واخضر ناضر وابيض ناصع قوله وجفنها لم يكتحل بالنوم الجفن غطاء العين من اعلاها واسفلها وهو مذكر وجمعه اجفان وجفون ومثله جفن السيف وهو غلافه والاكتحال استعمال الكحل في العين كالتكحل وآل النوم بالتحريك السهر بالليل كالايتراق وقد ارق كفرح فهو ارق واروقه الهم وارقه كذا بالتشديد اسهره قوله تفي حاجتها الوفاية الحفظ ومنه التقوى التي هي في اللغة الحذر وفي عرف الشرع امتثال المامورات واجتناب المنهيات والله اعلم

الاعراب والتصريف قوله والله لو علمت جملة قسم مستانفة لا محل لها من الاعراب ولو حرف شرط للتعليق في الماضي فعل شرط ان وعلمت فعل الشرط وديار قد مر انه مفعوله وياء ديار منقلبة عن واو لوقوعها عقب كسرة واصبحت جملة معطوفة على جملة الشرط ومعنى وبباب مغلق يتعلقان به والباء منقلبة عن واو وقوله لزرتها جواب لو والشرط وجوابه جواب القسم قوله والليل جون حالك جملة في محل الحال من فاعل زرتها قوله وجفنها لم يكتحل بالنوم جملة معطوفة عليها قوله تفي ثلاثة جملة حالية من فاعل الزيارة ايضا وثلاثة يكتب بدون الف بعد اللام وجملة تفي حاجتها نعت لثلاثة وفاء الفعل اعني تفي محذوفة تخفيفا لكونها واوا وقعت بين ياء وكسرة في بناء الـ المضارع مبدوا بالياء وحمل المبدو بغيرها عليها كما هنا قوله ما لم تكن جملة نصب على المفعولية المطلقة من تفي وما نكرة موصوفة ولم تكن صفتها ونون الوقاية

اسم

اسم نكرة وجملة تقع في آخر البيت خبر عنه والعائد من الصفة إلى الموصوف محذوف
والتقدير من ثلاثة تقع هي فيها وفائدة لم تكن من الوقاية تفيد تقييدا ونكتة هنا
التركيب قوله تعلق بأنت أعنيه عن أنه لا أعنيه أحدا ويحتمل الكلام غير هذا من
الإعراب وما ذكرناه أظهر والله أعلم **المعاني** إنما فصل جملة القسم عما
قبلها لما بينهما من كمال الانقطاع بلا إيهام لأن القسم إنشاء وما قبله خبر
وإنما أقسم على الزيارة وأكد مضمونها بما فيها من التغرير والمخاطرة بالنفس فهي
مظنة بالاستبعاد والإنكار فالتأكيد مستحسن أو واجب على قانون في جليه
وقوله الوحدة فيها ترقية فيها الأربعة فيه ترتيب الشرط بأفعل التفضيل كما في
قول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وتقديره أن
الخوف وعدمه نفيها لذكر عدمه أبعد عن عدم المعصية من وجوده فوقع الربط
به إشارة إلى أن عدم المعصية من صهيب حاصل على كل حال وهكذا تقول في كلام الناظم
أن حلول المحبوبة بدار فوقها ودونها مما تستبعد عنه نفيها وكلاهما بعيد
من وقوع زيارة الناظم لها لأنه لا بد أن يكون لها من يمنع عنها ويمنعها لما هي
العادة ولكن زيارته لها وهي بدار فوقها وتحتها أهلها وعشيرتها مع تحققهما
بالأسوار والأستار أبعد وأغرب فربط الشرط بهذا الأبعد ليعين أنه يزورها
على كل حال لأنه إذا كان يزورها في هذه الحالة الصعبة فلأن يزورها في غير هذا
أولى وأحرى وفي كلام الناظم الإطناب حيث ذكر الثلاثة أولا مجملة ثم بين هذا بعد
بما سيأتي والله أعلم **البيان** في تعبير الناظم بالاكتحال في جانب الأرق انتقاد
من جهة أن الأرق عدمي فلا ينبغي ذلك وإنما المعروف استعمال الاكتحال في
جانب النوم فقط في حديث الأبطح من قول عائشة رضي الله عنها فبكيت تلك
الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم فالتعبير بالاكتحال في جانب النوم
حسن واقع في محله ومعناه مجاز وهو استعارة تبعية تبعية بخلاف استعماله
في الأرق فإنه وإن ساغ بوجه تكلف فلا يحسن حسن الأول وذلك لأن التقابل بين
النوم والأرق من باب تقابل العدم والملكة فالنوم ملكة والأرق عدمها فلا يقسم
وفي إسناد الوقاية إلى الثلاثة مجاز عقلي وفي تفريع والله أعلم **البديع**.
في كلام الناظم منه التقسيم وهو كما عند ابن حجة الحموي أن يأتي الشاعر في بيت

يعني لا يشتغل الفهم بفرقة معناه دون تقسيمه الا في بيت آخر او في بقية البيت ومن شواهده قول محمد بن وهيب في المعتصم

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

ومن احسن شواهده واقبحها بكلام الناظم قول الشنفرى في لاميته

واني كفاني فقد من ليس جازيا * بحسنى ولا في قربه متعلل
ثلاثة اصحاب فؤاد مشيع * وابيض اصليت وصفراء عيطل

وفي كلامه ايضا الاقتباس من علم النحو فانه تكلم بنون الوقاية واشار الى حكمه وذلك اصطلاح خاص بالنحاة **فان قلت** الاقتباس لا يكون الا من القرآن او من الحديث **قلت** ذكر العلماء انه ينبغي ان يلحق بهما كلام من يتبرك به من الصحابة والتابعين ونحوهم رضي الله عنهم **وذكر** الشيخ ابو علي اليوسي في زهر الاكم ان بعضهم زاد الاقتباس من علم الفقه وزاد آخرون الاقتباس من سائر العلوم وذكر من ذلك جملة وافرة فانظره وبعضهم يسمي الاقتباس من الفنون توجيها والخطب سهل ومن احسن ما قيل في التوجيه بنون الوقاية قول امين الدين ابي الحسن علي الشليماني

أضيف الدجى معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

واعلم ان الناظم رحمه الله كان يتكلم في فن الغزل وقد اجاد في ذلك ما شاء والآخر يتكلم في فن الحماسة والتلصص والغارة والافتراس وذلك منهج معروف للشعراء يتشبهون فيه بفتاك العرب وشجعانهم في ارتكابهم الاخطار وفتكهم الصرامة والفتك في زيارة صواحباتهم ومعشوقاتهم راغبين في لذاتهم والتصرف معهن وذلك مذكور في اخبارهم معروف في اشعارهم من ذلك ما حكاه ابو عبيدة قال كان توبة بن الحمير العقيلي ثم الخفاجي وهو صاحب ليلى الاخيلية كثير الغارات على بني الحرث بن كعب وخثعم وهمدان وكان يزور نساء منهم فيتحدث اليهن وقال في ذلك

ولو ان ليلى في ذرى متمنع * بنجران لالتفت علي قتودها
ايذهب ريعان الشباب ولم ازر * غرائر من همدان بيضا نحورها

قال ابو عبيدة وكان توبة ربما ارتفع الى بلاد مهرة فيغير عليهم ويمر ببلاد مهرة

وبلاد عقيل وعبارة منكرة لا يفهم معناها الكثير وكان يحمل مزاد الماء فيزن منه على
مسيرة كل يوم مزادة ثم يقيم عليهم فيكلفونه فيركب فيهم المفازة وانما كان يحمل
حمارة القيظ وشدة الحر فإذا ركب المفازة رجعوا عنه وكان كثيرا ما يزور طاعـ
ليلى الأخيلية ويبيت عند زوجها فجنبه وقد شكوه من بني الأدلع فرصدوه وعزموا
على قتله بغدران شكوه او السلكة ربابا احمر دقة فلما علمت بذلك ليلى
خرجت وهي سافرة حتى جلست له على طريقه فلما رآها سافرة فطن لما
أرادت وعلم انه قد رصد وانها سفرت لذلك فركض فرسه ونجا وفي ذلك يقول

وكنت اذا ما جئت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها
على دماء البدن إن كان بعلها * يرى لي ذنبا غير أني أزورها
وأني اذا ما زرتها قلت يا اسلمي * فهل كان في قولي اسلمي ما يضيرها

وكان بعض بني دارم يزور خلة له في بني عجل فترصدوه واسروه فقال يتشوق
ويستعطفهم * وقائلة ما باله لا يزورنا * وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل
وقد ادركتني والحوادث جمة * اسنة قوم لا ضعاف ولا عزل
فان ينعش الله الفتى بعد عثرة * ويصطنع الحسنى سراة بني عجل
فاطلقوه ومن احسن ما قيل في الزيارة واحسنها قول ابي الطيب

كم زورة لك في الأعراب خافية * أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

قال الثعالبي في اليتيمة هذا البيت أمير شعر ابي الطيب وقد جمع فيه بين الزيارة
والانثناء وبين السواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والاغراء ولي وبي
وقال ابن البقاء اجمع الحذاق بمعرفة الشعر ان لابي الطيب نوادر لم تتفق لغيره
وهي مما يفخر عربي بمثلها هذا البيت والله اعلم *

(وسيف كصمصامة عمرو بلا ثمن * لا ينثني بيلب ولا درق)

اللغة قوله سيفا السيف معروف قال الجوهري واسماؤه تنيف على الالف
فانا ذكرتها في الروض المسلوف زايد ما تفرق عند غيري ولم تزل تقطع
جلبات الرجوع اليها قوله كصمصامة عمرو الصمصامة في الأصل السيف الصارم
الذي لا ينثني كالصمصام والمراد به هنا سيف معروف يأتي ذكره وقيل قوله

2 العقول

زهر الآداب　و2　ناعم

بأن البتر القطع أو وقع استعمال وشيعا بأبرق بتار فأقطع قوله لا ينتفي أي
لا ينفك منه بيلب وفي رواية اليلب بالتحريك جمع الدروع اليمانية كانت تتخذ
من الجلود يخرز بعضها إلى بعض وهو اسم جنس الواحدة يلبة قال عمرو بن كلثوم

علينا البيض واليلب اليماني ... وأسياف يقمن وينحنينا

وقيل اليلب كل ما كان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد ومنه قيل للدرق يلب
قال الشاعر ⁕ عليهم كل سابغة دلاص ⁕ وفي أيديهم اليلب المدار ⁕
واليلب في الأصل اسم للترس الجلد قال أبو دهبل الجمحي

درع دلاص شكها شك عجب ⁕ وجوبها القاتر من سير اليلب

قوله جوبها يريد الترس والقاتر الذي في الجسد التقدير وافق الزرد وهي الحلق
واحدتها زردة كقصب وقصبة وتجمع أيضا على زرد وزراد والله أعلم

الإعراب والتصريف قوله شيئا مفعول وما عطف عليه بعد
بدل من ثلاثة وكذا صمصامة عمرو في محل الصفة له والصمصامة علم فإضافته
لما بعده الخامس بعد سلبه العلمية لئلا يجمع بين تعريفين على معرف واحد قوله
بأن صفة ثانية لشيئا وجملة لا ينتفي بيلب صفة ثالثة أو حال منه وأصل ينتفي
ينتفي بالنون لأنه من النفي فأبدلت تاء وأدغمت في تاء الافتعال كما في
اتعد واتسع والله أعلم **ذكر عمرو وصمصامته**

أما عمرو فهو أبو ثور عمرو بن معدي كرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن
زبيد الأصغر وهو منبه بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زبيد الأكبر بن
الحرث بن صعصعة بن سعد العشيرة بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن
كهلان بن سبإ المذحجي ثم الزبيدي الفارس المشهور والبطل المذكور صاحب الغارات
والوقائع في الجاهلية والإسلام قال ابن عبد البر قدم عمرو بن معدي كرب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد زبيد فأسلم وذلك في سنة تسع
وقال الواقدي في سنة عشر وقد روي عن ابن إسحاق وبعض أهل المغازي مثل ذلك
وعمر عمرا طويلا وشهد عامة الفتوح بالعراق مع أبي عبيد بن مسعود ثم مع
سعد بن أبي وقاص من زمن عمر رضي الله عنه وشهد القادسية مع سعد وهو ابن
مائة وعشر سنين وكان له في ذلك اليوم اليد البيضاء والبلاء الحسن والذكر

المشهور حمل على فيل الأعاجم وعليه رستم كبير جيش الفرس فجزم عمرو عرقوبه
وسقط الفيل إلى الأرض ونزل رستم وتمت الهزيمة على جموع الفرس وكان الفتح
الذي لا كفاء له وعن إسماعيل عن قيس أن عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد بن
أبي وقاص إني قد أمددتك بألفي رجل عمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد الأسدي
فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئا وأخبار عمرو في الشجاعة يطول ذكرها
قال أبو عبيدة عمرو بن معدي كرب فارس اليمن وهو مقدم على زيد الخيل في البأس
والنزال وعن أبي اليقظان قال عمرو بن معدي كرب لو سرت بظعينة وحدي على
مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها ما لم يلقني حراها أو عبداها فأما
الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب وأما العبدان فأسود بني
عبس يعني عنترة بن شداد والسليك بن السلكة وكلهم قد لقيت فأما عامر بن
الطفيل فسريع الطعن على الصوت وأما عتيبة بن الحارث فأول الخيل إذا أغارت
وآخرها إذا آبت وأما عنترة فقليل الكبوة شديد الكلب وأما السليك فبعيد
الغارة كالليث الضاري قالوا فما تقول في العباس بن مرداس فقال أقول فيه ما قال في

إذا مات عمرو قلت للخيل أوطئي … زبيدا فقد أودى بنجدتها عمرو

واختلف في وفاة عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه والصحيح أنه مات في آخر
خلافة عمر رضي الله عنه ودفن بروذة بين قم والري من عراق العجم على قارعة
الطريق فقالت امرأته الجعفية ترثيه

لقد غادر الركب الذين تحملوا … بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا
فقل لزبيد بل لمذحج كلها … فقدتم أبا ثور سنانكم عمرا
فإن تجزعوا لا يغن ذلك عنكم … ولكن سلوا الرحمن يعقبكم أجرا

وأما صمصامة عمرو فقال الثعالبي في ثمار القلوب صمصامة عمرو بن معدي كرب
أشهر سيوف العرب وبها يضرب المثل في كرم الجوهر وحسن المنظر والمخبر والمضاء
والتصميم وكان عمرو وهو فارس اليمن حسن الاستعمال له في الجاهلية كثير الغناء
به في الإسلام وفيه يقول من شعر له

سنانا ذا أزرق لا عيب فيه … وصمصاما يصمم في العظام

وفي كامل المبرد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه لبعض اليمانية لكم

من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن السيوف صمصامها يعني سهيلا من النجوم
والركن اليماني من الكعبة والصمصامة عمرو بن معديكرب وتمثل بالصمصامة من
المتقدمين نهشل بن حري الدارمي يرثي اخاه مالكا وكان قد استشهد يوم صفين
مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه

أخ ماجد لم يخزني يوم مشهد … كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه
أغر كمصباح الدجنة يتقي … قذى الزاد حتى تستفاد أطايبه

وكان عمرو قد وهب الصمصامة لخالد بن سعيد بن العاص لما بعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم عاملا على اليمن وقال عمرو في ذلك شعرا

خليل لم أخنه ولم يخني … إذا ما صاب أوساط العظام
حبوت به كريما من قريش … فسر به وصين عن اللئام
وودعت الصفي صفي نفسي … على الصمصام أضعاف السلام

ثم صار الصمصامة بعد خالد الى اخيه سعيد بن العاص وشهد به يوم الدار مع
عثمان رضي الله عنه حين حصر فوجد سعيد جريحا وفقد منه السيف والغمد ثم
وجد الغمد فلما قام معاوية جاء اليه اعرابي بالسيف بغير غمد وسعيد حاضر
فقال سعيد هذا سيفي فجحد الاعرابي مقالته فقال سعيد الدليل على انه سيفي
ان تبعث الى غمده فتغمده فيه فيكون كفافه فبعث معاوية الى الغمد فاتي به
من منزل سعيد فاذا هو عليه فاقر الاعرابي انه اصابه يوم الدار فاخذه
سعيد منه واثابه فلم يزل عنده ثم حتى اصعد المهدي العباسي من البصرة فلما
كان بواسط بعث الى ال سعيد فيه فقالوا انه للسبيل فقال خمسون سيفا قاطعا
اغنى من سيف واحد فاعطاهم خمسين الف درهم واخذه هكذا في الاغاني وقال
في المقامات لم يزل الصمصامة في ال سعيد الى ايام هشام بن عبد الملك فاشتراه
خالد بن عبد الله القسري بمال خطير وانفذه الى هشام وقد كان كتب اليه فيه
فلم يزل عند بني مروان حتى زال الامر عنهم ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدي
فلم يجدوه وجد الهادي في طلبه حتى ظفر به وعن الهيثم بن عدي ان موسى الهادي
اشترى الصمصامة بمال جزيل وكان رمزا وشعارا لبني العباس كفا واكثر ثم شعراء
مجرده وجعله بين يديه وقال لحاجبه ائذن لمن بالباب من الشعراء فدخلوا عليه

ودعا

وقديما يكتحل فيه بريح من العنبر وقال الهمز قولوا في هذا السيف فقال الثعالبي
في الثمار فقالوا واكثروا ولم ياتوا بكلام برا حتى قام ابو العز الحميم وانشأ يقول

حاز صمصامة الزبيدي من بين ... جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا ... خير ما اطبقت عليه الجفون
اخضر اللون بين حديه برد ... من ذباح تميس فيه المنون
اوقدت فوقه الصواعق نارا ... ثم شابت به الزعاف القيون
فاذا ما سللته بهر الشمس ... ضياء فلم تكد تستبين
ما يبالي من انتضاه لضرب ... اشمال سطت به ام يمين
يستطير الابصار كالقبس المشتعل ... ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجاري ... في صفحتيه ماء معين
وكأن المنون نيطت اليه ... فهو من كل جانبيه منون
نعم مخراق ذي الحفيظة في الروع ... يعصي به ونعم القرين

قوله من ذباح بضم الذال المعجمة نبت قاتل لسميته وقد جاء في الشعر كثيرا
وقوله اوقدت فوقه الصواعق نارا قال الجاحظ يزعم كثير من الناس ان بعض
السيوف من خبث نار الصواعق وذلك في اقوال العرب شائع وقوله يعصي به
من فتح الصاد مضارع عصيه بالكسر اذا ضربه بالسيف فقال العلامة في الحبث
والكحل ماء في نفسه واستبعد السرور فامر له بالمكحل والسيف فلما خرج من عنده
قال للشعراء الحقكم فتم من اجل قبلكم والمكحل فعن السيف غناء وما اشتراه الاماد
منه بمال جزيل وقال المسعودي في مروج الذهب اشتراه منه بعشرين الفا وذكر
ابو هلال الحاجب صاحب منازل الفضل ان ابا ميد الهيثم وقال غيره بل هو ابو الهول فهو
انقاد الى وقع هذا السيف ابيات

كأن على متنيه امواج لجة ... تقاصر في ضحضاحها وتطول
كأن صغار الذر كسرى فوقه ... فرور جراد بينهن ذحول
حسام غداة الروع ماض كانه ... من الله في قبض النفوس رسول

واما ابن يامين فقال فيه

نعم كان المنايا اخرجت معه ... في كل لحظة فمن رآه عن الفقر

امضى من الاجل القاضي وانفذ من * جار القضاء واهدى من سنا النجم
وذكر السهيلي في الروض ان الصمصامة وذا الفقار سيفي النبي صلى الله عليه وسلم كانا معا من حديدة وجدت في الجاهلية مدفونة عند الكعبة فصنع منها ذو الفقار والصمصامة وقيل انهما معا من الاسياف الخمسة او السبعة التي اهدتها بلقيس الى نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام والله اعلم وذكروا ان بعض ملوك الهند اهدى الى الرشيد سيوفا قلعية مع نقبا بسراح فلما حضرت الرسل بين يديه ونشروا الحديد وعرضوا السيوف وعرف من الجودة سيوفهم اراد الرشيد ان يغرب عليهم فدعا بالصمصامة ووصف تلك السيوف وجعل يقطعها بالصمصامة كما يقطع الجريد الخشب والرسل ينظرون ويعجبون منه الخ فقال الواثق وصل الصمصامة الى الخليفة المتوكل ومن بعده الى غلامه باغر التركي فكان من قدر الله ان قتله به وعند باغر انقطع خبره كذا في شرح الزيدونية والله تعالى اعلم

(ومن جنى في فؤاد ابن احمد * مقبلة فاسمع قرا ابن زدون)

اللغة قوله ومن جنى الجنب شق الانسان وغيره ولكل شيء جنبان ومنها جنبا البطن اي كشحه والجمع جنوب مثل فلس وفلوس والصاحب بالجنب صاحبك في السفر وقيل المرأة منه والجار الجنب بضمتين جارك من غير قومك قوله فؤاد ابن احمد مهجته الفؤاد القلب وهو مذكر والجمع افئدة وفي القاموس الفأد التحرق والتوقد ومنه الفؤاد للقلب مذكرا وهو ما يتعلق بالمريء من كبد ورئة وقلب قوله قرا ابن الازدي القرا بالقصر الظهر كالقفا وزنا ومعنى والله اعلم

الاعراب والتصريف قوله ومن جنى فؤاد الخ جملة معطوفة على قوله سيف كصمصامة عمرو وقد اتى الناظم بجانب المعنى وتوسيع الجملة في مفرد يراد المعنى وفؤاد مثل فؤاد ابن احمد مفعول به والمعاطيف الثلاثة بدل من ثلاثة حسبما مر ومن نكرة مبهمة لا يتبين معناها الا بما بعدها اي انسان فلما كانا كما مثلنا او ما يقوم مقام ذلك كقوله تعالى عوان بين ذلك وجنبي مثنى مضاف الى ياء المتكلم وقوله فاسمع قرا ابن الازدي نعتا لابن احمد مقول وهو وصف بمعنى المفعول بمعنى جعله نعتا للمعرفة والف قرا منقلبة عن واو ويكتب بالالف والله اعلم

البيان قوله ومن جنى فيه الكناية على حد قول زياد الاعجم

إن السماحة والمروءة والندى   في قبة ضربت على ابن الحشرج

فانه لما اراد ان يثبت لابن الحشرج هذه الصفات كنى عن ذلك بان جعلها في قبة مضروبة عليه ولا شك ان الانسان اذا اثبت في مكان الرجل وحيزه فقد اثبت له ونحوه قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ومثله كلام الشاعر فانه لما اراد ان يثبت لنفسه الاتصاف بالشجاعة والصرامة كنى عن ذلك بكون فؤاد ابن ابي مغراء بين جنبيه اذ يلزم من كونه بين جنبيه ان يكون مثله في الشجاعة والمضاء ثم الكلام على معنى التشبيه اي وبين جنبي فؤاد مثل فؤاد ابن ابي مغراء والله اعلم وكان ابو عبد الله احمد بن ابي فنن مولى بني هاشم اسود مشوه الخلق جبانا وكان قد افتقر فقالت له زوجته يا هذا ان الادب اراه قد سقط نجمه وطاش سهمه فاعمد الى سيفك ورمحك وقوسك وادخل مع الناس في غزوة ثم عسى الله ان ينفلك من الغنيمة شيئا فقال في ذلك ط *

انيلي حمني فقد كلفتني شططا   حمل السلاح وقول الدارعين قف
امن رجال المنايا خلتني رجلا   امسي واصبح مشتاقا الى التلف
تمشي المنايا الى غيري فاكرهها   فكيف امشي اليها بارز الكتف
حسبت ان نزال القرن من خلقي   وان قلبي في جنبي ابي دلف

فبلغ ذلك ابا دلف العجلي فبعث اليه بالف دينار وقيل انه احضره وقال له كم املت زوجتك ان يكون رزقك فقال مائة دينار فقال وكم املت ان تعيش قال عشرين سنة قال لك ما املت زوجتك في مالنا دون مال السلطان واعطاه اياه وقوله فاكفأ قدر ابن ازرق ومعناه فاكفأ كقدره وهو عبارة عن استيصال شأفته واخماد نار فتنته ونزعته والعرب تقول على سبيل التمثيل كفأ فلان قدر فلان اذا اهلكه واباده والكافئة الكفء المصيبة التي تاتي على الاخضر والمال ومنه قوله تغلي تكفئ ان يفعل بنا ما فعلت ابنة ذي دامية تغلي فقال الكفء وقال ابن قتيبة فقد ما الرجل هو مغفور اذا احنث فقال كفئ لما نقا ان اشته وتهتكه والله اعلم

ذكر ابن ابي صفرة وابن الازرق وبعض اخبارهما

اما ابن ابي صفرة فهو ابو سعيد المهلب بن ابي صفرة واسمه ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الازد الصفري الازدي

ثم العتكي البصري امير كبير مشهور بالذكر شجاع جواد نشأ بالبصرة في دولة آل
ابي سفيان ثم استعمله مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في خلافة اخيه
عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ثم ولاه عبد الملك خراسان وقتال الخوارج
على ما سيأتي ومدوا امر الغز الركب من ابن الجرير وكانت قبل ذلك من ابن نسب وكان
يقال ساد الاحنف بحلمه ومالك بن مسمع بمحبة العشيرة وقتيبة بن مسلم بدهائه وساد
المهلب بهذه الخلال كلها وقال ابو عمر ابن عبد البر المهلب بن ابي صفرة من التابعين
روى عن سمرة بن جندب وعبد الله بن عمر وروى عنه ابو اسحاق السبيعي وسماك بن
حرب وغيرهما وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلة وموثقة ليس به باس
واما من عابه بالكذب فلا وجه له لان صاحب الحرب يحتاج الى المعاريض والحيلة
فمن لم يفهم فهما عن هذا كذبا وكان شجاعا ذا رأي في الحروب خطيبا ومن اتى حمى البصرة
من الازارقة بعد ان جلا اكثر اهلها عنها الا من لم يكن له قوة على الشخوص حتى قيل
بصرة المهلب واما ابن الازرق فهو نافع بن عبد الله بن الازرق بن قيس الحنفي راس
الخوارج واليه تنسب الازارقة منهم لغلوهم في مذهبه قال المبرد كان نافع مع هذا
شجاعا مقدما في فقه الخوارج وله مع ابن عباس رضي الله عنه مسائل كثيرة
يأتي ذكر جملة منها ان شاء الله واعلم ان من الخوارج المشهورة اربع
الازارقة اصحاب نافع المذكور وهم اصحاب الشوكة والجم منهم وان كان في كلهم
شوكة وكان رأي نافع البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم والاستعراض وقتل
الاطفال واستحلال الامانة لانه يراهم كفارا والفرقة الثانية النجدية
ويقال لهم النجدات وهم اصحاب نجدة بن عامر الحنفي كان مع نافع بن الازرق
ففارقه في خرافة في مذهبه كما تقدم ومما خالف فيه الازارقة في جميع ما ذكرناه
والفرقة الثالثة الاباضية وهم اصحاب عبد الله بن اباض التميمي وهم
يرون ان المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين فلا ينتهون الى الراي الاول ولا يبلغون
عند الثالثة ولا يحرمون مناكحة المسلمين ولا موارثتهم ومما هم للاول اقرب الى السنة
من غيرهم ومما ولاء البيهسية اصحاب ابي بيهس هيصم بن جابر الضبعي والفرقة
الرابعة الصفرية قيل نسبوا الى عبد الله بن صفار التميمي السعدي وقيل الى زياد
ابن الاصفر وقيل الى صفرة الوانهم لما نهكتهم من العبادة وهم اقرب للاباضية

الذي في البصرة فإن الاباضية اشد على البصرة منهم وربما اختلفت بهم الآراء بعد
ذلك اختلافا فاحشا وكانوا قبل هذا الابتداء على رأي واحد يختلفون الا في الشيء
من الفروع حتى حدثت البدعة من ابن الازرق واصحابه بسببه فافترقوا وحدث
بينهم في ذلك مكاتبات ذكرها المبرد في كامله فليستكشف هناك وقال الجاحظ فمن
علمنا ان استقامة البصرة والشراة عمت في جميع اصناف الخوارج وتفرقهم فيما
انما هو بسبب الديانة لانا نجد عبيدهم ومواليهم ونساءهم يقاتلون مثل قتالهم
ونجد السجستاني منهم والجمحي واليمامي ومنهم عربي والعراقي كلهم في القتال والصبر
سواء وفي ثبات العزيمة وشدة الشكيمة متكافئين فيما سبق حالة لهم في البصرة
مع اختلاف انسابهم وبلدانهم ففيه دليل على ان الذين سموا منهم سموا القرشي
بالقتال هم فلف وهذا وزن ابن النحيب بسببها عنهم بقول

خرواجز ركم من خارجي مزاوله * مغرجا ذرعا في كتيبته انتصرا

وكان ابتداء امر ابن الازرق فيما حكاه هذا الزبير خروج ابن الازرق والمذكور لما
رجع من عند ابن الزبير بمكة ولم يجد عنده بعض مراده ووقع الخلاف بينه وبين
اصحابه في اقدام بنوول الاهواز واصحابها لا يعتمد الا البيات وقد كان فتشككا في
ذلك فقال له ان اقعد ان كنت قد كفرت بعد ايمانك وشككت فيه فرجع
فلتدد ومحوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم
تغنم المسلمين امهاتهم لعين لهم واخرج النساء والصبيان كما قال نوح عليه
السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فقبلني قولها واستعرض الناس
وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء والولدان وجعل يقول ان هؤلاء اذا
كبروا كانوا مثل آبائهم وكلما وقع بلدا فعل مثل هذا به الى ان يجيبه اهله
ويدخلوا في ملته فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبي الخراج حتى عظم امره
واشتدت شوكته وتبعه اكثر اهل السواد فارتاع لذلك اهل البصرة ومشوا
الى الاحنف بن قيس فشكوا اليه امرهم وقالوا ليس بيننا وبين القوم الا ليلتان
وسيرتهم كما ترى فقال لهم الاحنف ان سيرتهم في مصركم ان ظفروا به مثل سيرتهم
في سوادكم فجدوا في جهاد عدوكم وحرضهم فاجتمع اليه عشرة آلاف في رجل
في السلاح فاتاه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب المعروف ببه وكان يومئذ

في البصرة وسألهم أن يقدم عليهم أميرا فاختاروا لهم مسلم بن عُبَيْس بالعين المهملة
والباء الموحدة بصيغة التصغير وكان فارسا شجاعا عابدا فسار بالناس حتى
انتهى الى الموضع المعروف بدولاب فخرج اليهم نافع بن الازرق وكان في نحو الستمائة
من أنجادهم فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت
الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعمد فقتل في المعركة ابن عبيس امير اهل
البصرة وابن الازرق امير الخوارج فعجب الناس من ذلك وان الفريقين تضاربوا
حتى قتل منهم خلق كثير وقتل رئيسا العسكرين وكان ذلك في جمادى الاخرة سنة
خمس وستين من الهجرة ثم أمّرت كل فرقة عليها اميرا وعاودوا القتال فانهزم
اهل البصرة وتبعهم الخوارج فالقوا انفسهم في دجيل فغرق منهم خلق كثير جلهم
من الازد وفي ذلك يقول شاعر الازارقة

شيوخ الازد طافية لحاها تزعزعها بكثرته دجيل

وقلق اهل البصرة لذلك وعظم فيهم الرعب فبينما هم كذلك اذ ورد المهلب
ابن ابي صفرة متوجها الى خراسان وقد كتب له ابن الزبير بعهده عليها فلما
مر بالبصرة قال الاحنف لوجوه الناس والله ما للخوارج غير المهلب فكلموه
في هذا فقال هذا عهدي على خراسان وما كنت لأدع امر امير المومنين يعني عبد الله بن
الزبير فاتفق اهل البصرة مع الاحنف على ان يفتعلوا كتابا عن ابن الزبير يأمره
فيه بقتال الخوارج واتوه بالكتاب فلما قرأه قال والله ما اسير اليهم حتى
تجعلوا لي ما غلبت عليه وتعطوني من بيت المال ما اقوى به وانتخب من
فرسانكم ورجالكم من شئت فأجابوه الى ذلك كله بيعة من يومه وسمع بخبر مسيره عليهم
المهلب وسار الى الخوارج فكان النصر عليهم في كل مرة قاتلهم وبلغ ابن الزبير
افتعال الكتاب فلم يقل شيئا واقره على ذلك ثم ان المهلب اخذ بالحزم في القتال
واعمال الرأي والمكيدة ولذلك واذكى العيون واقام الحرس وخندق وعلى الخندق وكانت
الازارقة اذا ارادوا ان يبيتوا عسكر المهلب وجدوا امرا محكما وحرسا يمنعهم فحاربهم
مدة طويلة يناكرهم بالقتال ويخادعهم به حتى قتل ابن الزبير رضي الله عنه
واستولى عبد الملك بن مروان على العراق واجتمع امر المسلمين عليه والمهلب
في قتال الازارقة ثم ان عبد الملك بعث الحجاج على العراق وضبطه اللام وشد

عضد المهلب بما احتاج اليه من مال ورجال حتى بلغ من ابادة الازارقة وتشريدهم مراده بعد اقامته في قتالهم قريبا من عشرين سنة واستقصاء ذلك وتتبعه يطول قيل للمهلب ما اعجب ما رأيت من قتال الازارقة قال رأيت رجلا منهم يقاتل احدهم في الحرب فيمشي في الرمح الى من طعنه وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى وللمهلب كلام محفوظ وحكم ماثورة ولما حضرته الوفاة وهو مقيم على خراسان جمع بنيه وعشيرته وكانوا كلهم ابطالا انجادا اكرما ودعا بسهام محزومة ثم قال اترونكم كاسريها مجتمعة قالوا لا قال افترونكم كاسريها مفترقة قالوا نعم قال هكذا الجماعة فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وكانت وفاته سنة اثنتين وثمانين على ما في تاريخ الكبير وقيل في سنة ثلاث بعدها وقد علمت مما نقلناه ان المهلب لم يكن قاتل نافع بن الازرق لان مقتله كان في وقعة دولاب وهي متقدمة على ولاية المهلب وانما قاتل شيعته وحزبه من بعده حتى افناهم وعن هذا المعنى عبر الناظم بقوله فانجع فل ابن الازرق حيث ما بينا اه قيل ولما مات المهلب رثاه نهار بن توسعة الشاعر المشهور بقوله

الا ذهب الغزو المقرب للغنى ... ومات الندى والجود بعد المهلب

اقاما بمرو الروذ لا يبرحانها ... وقد غيبا عن كل شرق ومغرب

وبقيت الرياسة في آل المهلب دهرا طويلا الى اواسط دولة بني العباس وكانوا معروفين بالشجاعة والجود مضروبا بهم المثل في ذلك قال ابن خلكان اجمع اهل التاريخ انه لم يكن في دولة بني امية اكرم من بني المهلب كما لم يكن في دولة بني العباس اكرم من البرامكة وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة

نزلت على آل المهلب شاتيا ... بعيدا عن الاوطان في الزمن المحل

فما زال بي اكرامهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم اهلي

وقد ضرب بهم المثل الاشعر بن حمراة في قوله من جملة قصيدة

لنيرانه في الليل اذ تحرق ... على الضيف ان ابكى واني تلهب

وما ضر من يغشو الى ضوء ناره ... اذا هو لم ينزل بآل المهلب

وقد انعقد لي من قصيدة قلتها في بعض كبراء العصر قائله

ليت المهالبة الأنجاد قد سمعوا ... او البرامكة الأمجاد قد علموا

يزرون ان مجازا فابد ذكرهم * منذ اشتغى وانت الآمل بعزمهم
وفرس كلاحق او داحس * يوم الرهان رشا ولم يلحق

اللغة قوله وفرس الفرس معروف يقع على الذكر والأنثى ولا يقال للأنثى فرسة وتصغير الفرس فريس وان اردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن ابي بكر بن السراج ومما كبر سنه ومما يضرب لاثنين يستبقان الى غاية فيستويان وهذا التشبيه في الابتداء لان النهاية يخطئ فيها الشاعر بدون مقالة وجمع الفرس افراس وراكبه فارس اي صاحب فرس مثل لابن وتامر ويجمع على فوارس وهو شاذ لا يقاس عليه لان فواعل انما هو جمع فاعلة مثل ضاربة وضوارب او جمع فاعل اذا كان صفة للمؤنث مثل حائض وحوائض او ما كان لغير الآدميين مثل جمل بازل وجمال بوازل وحائط وحوائط فأما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه الا فوارس وهوالك ونواكس فاما فوارس فلانه شيء لا يكون في المؤنث فلم يخف فيه اللبس واما هوالك فانما جاء في المثل يقال هالك في الهوالك فجرى على الاصل لانه قد يجيء في الامثال ما لا يجيء في غيرها واما نواكس فقد جاء في ضرورة الشعر قال ابن السكيت اذا كان الرجل على ذي حافر برذونا كان او فرسا او بغلا او حمارا قلت مررنا بفارس على بغل ومررنا بفارس على حمار قال الشاعر

وإني امرؤ للخيل عندي مزية * على فارس البرذون او فارس البغل

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير لا اقول لصاحب البغل فارس ولكني اقول بغال ولا اقول لصاحب الحمار فارس ولكني اقول حمار والفراسة بالفتح والفروسة بالضم والفروسية بزيادة الياء الحذق بركوب الخيل والنظر بأمرها وقد فرس الرجل بالضم يفرس قال ابن كثير وليس كل من ركب الفرس له حكم الفروسية عند العرب ولا كل فارس عندهم من اقتدر على الجلاد على الفرس واشتهر بالشجاعة كعمرو بن معدي كرب وربيعة بن مكدم وعنترة بن شداد وملاعب الاسنة واضرابهم من فرسان العرب وقال الشاعر

لعمر ابيك الخير اني لخادم * لضيفي واني ان ركبت لفارس

فلم ينفرد بنفس الركوب * قوله يوم الرهان هو بكسر الراء مصدر قولك راهنت فلانا على كذا رهانا ومراهنة اذا خاطرته ويكون ذلك في المسابقة على الخيل

غلاديا

على البنا وقد يكون في غير ما فوقه شاذ ولم يلحق السماع والقياس والامر وغيرها
الفرس شاذ واني كلفا والشاذ والشيء تنزيلا شاذ وكذلك القوم شاذ واذا استفتهم
قال امرؤ القيس *

فالقيت في فيه اللجام فبذنه * وقال صحابي قد شأونك فاطلب

وتشادى وما بينهما تنبيه ثمر والله اعلم

الاعراب والتصريف

قوله وفرس معطوف على شيئا مما تقدم وقوله كلاهما اوفى اعسر في محل الصفة
له وقوله شاذ وله يلحق جملة من مبتدا وخبر صفة ثانية لفرسا او حال منه ويجوز
ابدال همزة شاذ الفا من جنس حركة ما قبلها كما في راس وباس ونحو الرمان كحرف
يتعلق بمحذوف نعت عليه ويحتمل ان يكون متعلقا بالاستقرار حال الامر اخص والله
اعلم *

ذكر لاحق واعوج وما يتعلق بهما

اما لاحق فقد ذكر في القاموس انه اسم لعدة افراس كانت للعرب والذكر المشهور
منها وهو المراد هنا فرس كان لبني غني بن اعصر وهو الذي عناه النابغة بقوله

فيهم بنات العسجدي ولاحق * ورقا مراكلها من المضمار
يتحلب العضيض من اشداقها * ثم اقتيادها من الحجار

وقال النابغة يذكر بني اسد *

فعودا على آل الوجيه ولاحق * يقيمون حولياتها بالمقارع
تجررن ارسانا كهول متونها * بايدي كهول غادرات الاشاجع

وفي كلامه اضافة آل الى ما لا يعقل وهو مما يزعم بعضهم كما عكسه شعيتة كما سبق قبل
من الافراس كانت معكمة عندهم قال ابو عبيدة الوجيه ولاحق والغراب
والمذهب ومكتوم كلها كانت لغني وفي ذلك يقول طفيل الغنوي

بنات الوجيه والغراب ولاحق * واعوج تنمى نسبة المتنسب

واعوج الذي ذكر قال الواحدي هو فحل كريم كان لبني هلال بن عامر قيل لصاحبه
ما رايت من شدة عدوه قال ضللت في بادية وانا راكبه فرايت سربا قطا يقصد
الماء فتبعته وانا اغض من لجامه حتى توافينا على الماء دفعة واحدة وهذا
اغرب شيء يكون فان القطا شديد الطيران وهذا قصر الماء اشترك فيه انه اكثر شيء
ما كان عاديا حتى قال كنت اغض من لجامه ولولا ذلك لكان يسبق القطا وانما قيل

تعلى

له الأعوج لأنه كان صغيرا وقد جاءتهم غارة فهربوا منها وكتموه في خرج وحملوه
لعدم قدرته على المشي لصغره فاعوج كتفه من ذلك فقيل له الأعوج وأما داحس
فهو لبني قيس بن زهير بن جذيمة العبسي يضرب به المثل في الشؤم لما جرى
بسببه من الفتن والحروب بين العرب وكان من خبره ان امه كانت فرسا لقرواش
ابن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع يقال لها جلوى وكان ابوه فرسا لحوط
ابن ابي جابر بن اوس بن حميري بن رياح بن يربوع يقال له ذو العقال بضم العين وتشديد
القاف وانما سمي داحسا لان بني يربوع احتملوا ذات يوم سائرين في نجعة لهم
وكان ذو العقال مع ابنتي حوط بن ابي جابر يجنبانه فمرتا به على جلوى فرس قرواش
وهي تريد في يوم الورد بوطء الرمال المهملة المشتهية للفحل فلما انتشا ما الفرس
صهل وودى فضحك شباب من الحي فاستحيت الفتاتان فارسلتاه فنزا على جلوى فـ
وافق قبولها فاعقت ثم اخذه لهما بعض رجال الحي فلحق بهما حوط وكان رجلا
سيء الخلق فلما نظر الى عيني فرسه قال والله لقد نزا فرسي فاخبراني ما شانه
فاخبرتاه الخبر فنادى يا لرياح وقال والله لا ارضى ابدا حتى اخذ ماء فرسي
فقال له بنو ثعلبة والله ما استكرهنا فرسك وما كان الا منفلتا فلم يزل
الشر بينهم حتى عظم فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا دونكم ماء فرسكم فسطا
عليها حوط وجعل يده في ماء وتراب ثم ادخلها في رحمها ودحس بها حتى ظن انه
قد نشف الرحم واخرج الماء وقد اشتملت الرحم على ما فيه فنتجها قرواش مهرا فسماه
داحسا لذلك والدحس ادخال اليد بين جلد الشاة ولحمها للسلخ وخرج كانه
ابوه ذو العقال وفيه يقول جرير

ان الجياد يبتن حول قبابنا * من آل اعوج او لذي العقال *

فلما نظر اليه المهر وشاع مع امه في المرعى رآه بنو رياح فقال احدهم هذا ابن
فرسي واخذه فقالت بنو ثعلبة يا بني رياح الم تفعلوا فيه اول مرة ما فعلتم
ثم هذا الان فقالوا هو فرسنا ولن نترككم اذ نقاتلكم عليه او تدفعوه الينا
فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا اذا لا نقاتلكم وانتم اعز علينا من ذلك هو فداكم
ودفعوه اليهم فلما رأى ذلك بنو رياح قالوا والله لقد ظلمنا اخوتنا مرتين
ولقد حلموا وكرموا فارسلوا به اليهم مع لقوحين فمكث عند قرواش ما شاء الله

وخرج

7

وخرج أجود خيول العرب، ثم إن قيس بن زهير العبسي أغار على بني يربوع فلم
يصب أحدا غير ابنتين لقرواش ومائة من الإبل، وصادف القوم خلوفا فلم يشهد
من رجالهم غير غلامين من بني أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع فجالا في متن الفرس
من ترقيه وهو مقيد بقيد من حديد فأعجلهما القوم عن حل القيد واتبعوهما فكفهم بالغلامين
فكع حتى نجوا به، فلما رأى قيس ذلك رغب في الفرس فقال لهما لكما حكمكما وادفعا
إلي الفرس فقالا أو فاعل أنت قال نعم، فاستوثقا منه على أن يرد ما أصاب
من قليل وكثير ويطلق لهما ابنتين فيفعل فدفعا إليه الفرس، فلما رأى ذلك أصحاب
قيس قالوا له أصبنا مائة من الإبل وامرأتين فعمدت إلى غنيمتنا فجعلتها في فرس
لك تذهب به دوننا فعظم في ذلك الشر حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائة من الإبل
فلما جاء قرواش قال للغلامين أين الأزنميين أين فرسي فأخبراه، فأبى أن يرضى أن
يدفع إليه فرسه فعظم في ذلك الشر حتى تنافروا فيه فقضي بينهم أن ترد
البنتان والنفل إلى قيس بن زهير ويرد عليه الفرس، فلما رأى ذلك قرواش رضي
بعد اللتي واللتيا وانصرف قيس، ومن هنالك داحس، وكان يزعم من قال لا على بني بدر
من فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر، وكانت
لبني بدر خيل كريمة إلا أن خيل قيس بن زهير أكرم منها، فكان حذيفة بن بدر يجد في
نفسه من ذلك، إلى أن وقعت المراهنة في خبر طويل بين بعض آل قيس بن زهير وبعض
آل حذيفة بن بدر، وراهن قيس على داحس وراهن حذيفة على الغبراء بن سير لسبق
وجعلوا الرهان مائة ناقة ومنتهى الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين يوما، ثم
أرسلاهما من رأس الميدان، فأكمن حمل بن بدر أخو حذيفة في بعض الشعاب التي كانت
في طريقهم شبانا من فزارة وقال لهم إن جاء داحس سابقا فردوا وجهه عن الغاية
فلما نفذا برزت الأنثى على الفحل أولا فقال حمل بن بدر سبقتك يا قيس فقال قيس
رويدا يعدوان الجدد وترشح أعطاف الفحل، فأرسلها مثلا، فلما أفضيا من الجدد
إلى الوعث برز داحس على الغبراء فقال قيس جري المذكيات غلاب فأرسلها مثلا
فلما شارف داحس الغاية رده ناس من الفتية ولطموا في وجهه وردوه حتى برزت
عليه الغبراء فتشرى الشر بين قيس وبني بدر بسبب ذلك، وفي ذلك يقول
قيس بن زهير من قصيدة له

* * *

وما لاقيت من حمل بن بدر ... وإخوته على ذات الإصاد

هم فخروا علي بغير فخر ... وردوا دون غايته جوادي

ثم إن حذيفة بن بدر بعث ابنه مالك بن حذيفة إلى قيس بن زهير يطلب منه السبق فزعم أنه لم يغضب قيس وتناول رمحا فطعنه به فدق صلبه ورجعت الفرس عاير إلى حذيفة فاجتمع الناس وحملوا دية مالك مائة ناقة عشراء وزعموا أن الربيع بن زياد العبسي حمل وحده فحملها في ماله ثم إن حذيفة بعد أخذه دية ابنه أصاب مالك بن زهير أخا قيس بن زهير نازلا بموضع يعرف بالشربة وكان مالك متزوجا أخت حذيفة وهي أم قرفة التي يضرب بها المثل في العز والمنعة فيقال أمنع من أم قرفة وكان يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين فارسا كلهم محرم لها كذا قال ابن دريد في شرح المقصورة وفي مجمع الأمثال أن أم قرفة كانت زوجة مالك بن حذيفة فهي أم حذيفة بن بدر وهكذا مالك بن زهير دس إليه من قتله وفي ذلك يقول عنترة بن شداد العبسي

* *

فلله عينا من رأى مثل مالك ... عقيرة قوم أن جرى فرسان

فليتهما لم يجريا نصف غلوة ... وليتهما لم يرسلا لرهان

فقالت بنو جذيمة لحذيفة فقالوا ردوا علينا ما لنا إذ قتلتم مالكا فأبى حذيفة أن يرد عليهم شيئا من الدية وكان الربيع بن زياد العبسي نازلا فيهم فقال لهم بئس والله ما فعلتم فبلغتم الدية ثم غدرتم فقالوا لولا أنك جار لقتلناك وكانت خفرة الجار ثلاثا فقالوا له ثلاثة أيام واخرج عنا فخرج وكان الربيع ممن يسمى هو وإخوته بالكملة وأمهم فاطمة بنت الخرشب الأنمارية أنمار بغيض لا أنمار بجيلة وهي إحدى المنجبات وهي التي قيل لها في النوم فيما زعم أبو عبيدة أعشرة هدرة أحب إليك أم ثلاثة كعشرة فلم تقل شيئا فعاد لها في الليلة الثانية فلم تقل شيئا فقصت رؤياها على زوجها فقال لها إن عاد لك الثالثة فقولي ثلاثة كعشرة فولدت ثم كلهم غاية أنس الفوارس وعمارة الوهاب والربيع الكامل وسئلت فاطمة عن بنيها أيهم أفضل فقالت الربيع لا بل عمارة لا بل أنس ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ولما خرج الربيع بن زياد عن بني بدر كان بينه وبين قيس بن زهير عداوة على درع غصبها الربيع

ثلاثة كعشرة فولدتهم

منه فلما اخافته ذبيان اصطلح مع قيس وقال في ذلك *

فان تك حربكم امست عوانا * فاني لم اكن ممن جناها
ولكن ولد سودة ارثوها * وحشوا نارها لمن اصطلاها
فاني غير خاذلكم ولكن * سأسعى الآن اذ بلغت مداها

ثم تناهضت ذبيان وعبس للحرب وعلى بني ذبيان حذيفة بن بدر وعلى بني عبس الربيع بن زياد فالتقوا يوم المريقب واقتتلوا وسمي بذلك للموضع الذي كانت فيه الوقعة وكثرت فيه فتكات عنترة بن شداد وفيه يقول قصيدته المشهورة التي اولها * يا دار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي وقال ايضا * ولقد علمت اذا التقت فرساننا * بلوى المريقب ان ظنك احمق ثم اجتمعت عبس وذبيان واحتفلوا والتقوا بذي حسى وهو واد في الصفاء من ارض الشربة فانهزمت بنو عبس وخافت الا تقوم بجموع بني ذبيان واتبعوهم حتى ادركوهم فقالوا لهم اما التفاني او تقيدونا من قتلى يوم المريقب فاشار قيس بن زهير وكان ذا امية على الربيع بن زياد الا يناجزهم وان يعطوهم رهائن حتى ينظروا في امرهم فتراضوا ان تكون رهائنهم عند سبيع بن عمرو احد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فدفعت اليهم عبس ثمانية من الصبيان وانصرفوا وتكاف الناس وكان رأي الربيع مناجزتهم وفي ذلك يقول

اقول ولم املك لقيس نصيحة * ارى ما يرى والله بالغيب اعلم
اتبقي على ذبيان من قتل مالك * وقد حش جاني الحرب نارا تضرم

ومكثت رهائنهم عند سبيع حتى حضرته الوفاة فقال لابنه مالك بن سبيع ان عندك مكرمة لا تبيد ان انت احتفظت بهؤلاء الاغيلمة وكاني بك لو قد مت اتاك خالك حذيفة وعصر لك عينيه وقال هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليه فيقتلهم ثم لا تشرف بعدها ابدا فان خفت ذلك فاذهب بهم الى قومهم فلما ثقل سبيع جعل حذيفة يبكي ويقول هلك سيدنا فوقع ذلك من قلب مالك فلما هلك سبيع اطاف حذيفة بابنه مالك حتى اختدعه عن الصبيان ودفعهم اليه فاتى بهم موضعا يسمى اليعمرية وجعل يبرز كل يوم غلاما فينصبه غرضا للسهام ويقول ناد اباك فلا يزال يرميه والصبي ينادي

زعم ابا قبنان

اباه حتى يموت فذلك النبل فقال الحارث بن زهير منهم نادِ اباك فجعل ينادي يا حماراه
خلا فيا عليهم وكراهة ان يحمل اباه على المكروه وقال الابن جنيبة عمرو بن عمرو
الاسلع نادِ جنيبة وكان رضيعة ابيه فجعل ينادي يا حمراه باسم ابيه حتى قتل
وقتل الصبيان كلهم ولم تزل ذبيان تستعر بينهم والرقاء تكثر الى ان اتفقوا الى
جانب جفر الهباءة واقتتلوا من بكرة حتى انتصف النهار وحجز الحر بينهم
وكان حذيفة بن بدر يحرق الركض فخذيه فقال قيس بن زهير يا بني عبس ان حذيفة
رجل محرور وانه ثقيل وانه مستنقع الآن في جفر الهباءة فعليكم به فخرجوا وقصوا
اثره وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه فنزل عنه ووضع رجله على حجر مخافة
ان يعرف اثره ثم شد الحزام فوضع صدر قدميه على الارض مع قوله فعرفوا اثر
المنقاء فرس حمل بن بدر فقال قيس هذا اثر المنقاء فقفوا اثرهم حتى وافوهم
بالهباءة مع الظهيرة فبصر بهم حمل بن بدر وهو في النهي فقال لهم من ابغض الناس
اليكم ان يقف على رأسه قالوا قيس بن زهير والربيع بن زياد فقال هذا
قيس والربيع فلم ينقضِ كلامه حتى وقف قيس واصحابه على شعب الجمع وقيس
يقول لبيكم لبيكم يعني الصبية الذين قتلهم حذيفة بالنبل وفي النهي يومئذ
حذيفة وحمل ابنا بدر ومالك اخوهما وورقاء بن بلال وحنش بن عمرو فوقف
عليهم شداد بن معاوية وهو والد عنترة فحال بينهم وبين خيلهم ثم تواقف
فرسان بني عبس فقال حمل ناشدتك الرحم وقيس يقول لبيكم لبيكم فعرف حذيفة
انه لن يدعهم فانتهر حملا وقال اياك ومأثور القول وقيل ان حملا هو الذي قال
لحذيفة ذلك فان سلمنا مثلنا بين انك تقول قولا تنتفع به وتقتل فيبقى عليك
عاره ولا تنتفع به والعامة تقول في هذا الذي يموت لا يترحم وقال حذيفة
لقيس لئن قتلتني لا تصلح غطفان بعدها ابدا فقال ابعدها الله ولا اصلحها
ثم جاءه قرواش بن هني وكان حذيفة قد رباه فاستحيى منه ونزع له بمعبلة
فقصم صلبه وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الاسلع فضربا عليه وقتل
الربيع بن زياد حمل بن بدر واستصغروا عيينة بن حصن وقيل اجل اباه حصن في
حذيفة فخلوا سبيله وقال قيس بن زهير يرثي حمل بن بدر

تعلم ان خير الناس ميت * على جفر الهباءة لا يريم *

ولولا

ولولا ظلمه ما زلت أبكي — عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر — بغى والبغي مرتعه وخيم
أظن الحلم دل علي قومي — وقد يستجهل الرجل الحليم

في أبيات أخر، وقتلوا حذيفة بن بدر كما قتل حمل بالهباءة وقطعوا مذاكيره وجعلوها في فمه وقطعوا لسانه وجعلوه في استه وفي ذلك يقول زبان بن زياد وكان يعير حذيفة على شربه

وإن قتيلا بالهباءة في استه — صحيفته إن عاد للظلم ظالم
متى تقرؤوها تهدكم من ضلالكم — وتعرف إذا ما فض عنها الخواتم
فإن تسألوا عنها فوارس داحس — ينبيك عنها من رواحة عالم

فلما أصيب أهل الهباءة استعظمت غطفان قتل حذيفة فالتفوا على ابنه حصن بن حذيفة وقيل على ابنه عيينة بن حصن وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وكان من المؤلفة قلوبهم وكان يسمى الأحمق المطاع فعرفت عبس أنه ليس لهم مقام بأرض غطفان فخرجوا إلى اليمامة فنزلوا على أخوالهم من بني حنيفة مدة ثم انتقلوا إلى بني سعد بن زيد مناة بن تميم فمكثوا فيهم مدة من الزمن ثم أرادوا الغدر بهم فشعرت بنو عبس بهم فقوضوا أبنيتهم ليلا وقدموا ظعنهم أمامهم ووقفت الفرسان بموضع يقال له الفروق فقاتلوا بني سعد ومن لافهم حتى خلوا سبيلهم فساروا ثلاثة أيام بلياليها حتى قالت بنت قيس بن زهير يا أبت أتسير الأرض فقال إن قد جهدنا وقال إن يتبعوا فإنا قوم وأبلى عنترة يوم الفروق بلاء حسنا شهد له فيه بالنجدة والبسالة وسئل بعد ذلك عن ذلك اليوم وكان قد اجتمع عليهم جميع عدوهم كم كنتم فقال كنا مائة لم نقل فنضعف ولم نكثر فنتكل ثم كانت بينهم حروب أخر وأيام معروفة كيوم شعواء ويوم فكم وغيرها مما يطول ذكره فكانت الحرب قد استمرت بين عبس وذبيان في شأن داحس أربعين سنة إلى أن اصطلح بينهم الحارث بن عوف بن أبي حارثة وهرم بن سنان ابن أبي حارثة المريان في خبر طويل وفي ذلك يقول زهير في معلقته

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله — رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما — على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

ولما اصطلحت عبس وذبيان انتقل قيس بن زهير الى عمان وذلك لانه في وجه من قتلت اباه واخاه ابن اخته فمات غريبا وفي المستقصى ان قيس بن زهير اصابته الفاقة والاحتياج فكان ياكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر احدا بحاجته وفي كتاب العادم والبالغ للشريشي بن المغاربية شيء من هذا قال

فان قيس بن زهير كلفا * ومن يكن الشر له شغفا
فرد القوم وما اعطوه * شيئا وقد وافقه اندر اوله
وقال لنفسه رضيت بالذل * وخضعت كالبهمة للاكل
حتى بدا بان يموت جوعا * جميع الطعام والينبوعا
ومات جوعا ورثته النابغة * وذكرت ما كان فيه شارعه

﴿تقدح نيران الحباحب عرا * بل بمنزخبب وكلس﴾

اللغة قوله تقدح في قدح النار استخراجها من حجر الزناد بضرب حجر عليه وتلك الحجر يقال لها المقدحة بكسر الميم وذلك الحجر القداح والقداحة بتشديد الدال وقد قدح النار يقدحها قدحا من باب نفع او ضرب وقولهم في المثل اقدح في اقدح لك اي كن في ذكر لك وقيل بين في حاجتك حتى اشعر بها كانه رد الى لقبك النار استنباطا فالمعنى قال له اقدح ما شئت حتى احمل لك غرضك فقوله الحباحب جمع حباحب وهو معروف ويكون للفرس وغيره من الدواب سمي بذلك لانه يجمع الارض بسرعة وكثرة عليها وقد استعاره الشاعر للفرس فقال

كما بدع الوليد حتى رايته * على البكر يمريه بساق وحافر

وقوله بمنزخبب وكلو اما الخبب فهو بالتحريك ضرب من العدو وهو ان ينقل الفرس ايامنه جميعا واياسره جميعا وقيل هو ان يراوح بين يديه ورجليه وقد خب الفرس يخب بالضم خبا وخببا وخبيبا واخبه صاحبه وجاء يخب يعني فيسير على خيولهم وخب النبات اذا طال وارتفع والبحر اذا اضطرب واما الكلو فهو بالتحريك ايضا وهو جري الفرس لا ينتهي الى غاية يقال كلا الفرس كلفا او كلو كما يقال شنو شنوا قال الشاعر

جرى كلفا حتى اذا قيل سابق * تداركه عرق اللئام فبلدا

ابا عزاء

الاغراب والتصحيف فقوله تقدح نيران الحباحب جملة في محل الصفة او الحال من فرس في البيت قبله ونيران الحباحب مفعول تقدح وحوافره فاعله والياء في نيران منقلبة عن واو لوقوعها ساكنة عقب كسرة كما في ميزان وبابه وقوله حوافره ينشد بسكون هاء الضمير للوزن وهي لغة قال برهان الدين الجعبري هي لغة قيس وقال غيره هي لغة بني عقيل وبني كلاب ومنهم وانشد سيبويه

أو مُعْبَرُ الظهر يُنبي عن وليته * ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا

وانشد ايضا

فما له من مجد تليد وماله * من الريح حظ لا الجنوب ولا الصبا

وقال بعض بني عامر

انا ابن كلاب وابن أوس فمن يكن * قناعه مغطيا فإني لمجتلى

وقال آخر

إما تقود به شاة فتأكلها * او ان تبيعه في بعض الأراكيب

انشده في العمدة وهو كثير وانما وصف الناظم الفرس بكون حوافره تقدح النار حالة عدوه لصلابتها وشدة ركضها وذلك محمود في الخيل كما قال الله تعالى في وصفها والعاديات ضبحا فالموريات قدحا الآية وقال الشاعر

متى ما تقع أرساغه مطمئنة * على حجر يرفض او يتدحرج

وقال آخر ومنه اخذ الناظم

اذا افترشت خيلنا آثارهم بجنبه * عجاجا وبالكرار نار الحباحب

ومن احسن ما قيل في وصف الفرس بهذا المعنى وغيره وهو من النوع المسمى بالاستطراد قول ابي تمام

وسابح هطل التعداء هتان * على الجراء امين غير خوان
اظمى الفصوص ولم تظمأ قوائمه * فخل عينيك في ظمآن ريان
فلو تراه مشيحا والحصى زيم * تحت السنابك من مثنى ووحدان
ايقنت ان لم تثبت ان حافره * من صخر تدمر او من وجه عثمان

ذكر نار الحباحب وما قيل فيها

نار الحباحب تضرب مثلا للشيء الذي لا حاصل تحته ولا نفع وراءه قالوا

اخلف من نار الحباحب واكذب من نار الحباحب وقال بعض المولدين

من يولنا منة فتلك لعمري اغاية * شيمت لغدار من عمل الطلاب شمرله

واضعف من نسج العناكب عقدة * واضيع من نار الحباحب وده

وفي تفسيرها اقوال فقال ابن الكلبي كان الحباحب رجلا بخيلا وفي القاموس انه من محارب وكان لا يوقد نارا الا بليل مخافة ان يراها من ينتفع بضوئها او يقتبس منها فاذا احتاج اليها اوقدها ثم اذا ابصرها مبصر اطفاها وكان لا يوقد الا بالحطب الشخت لئلا ترى فتضرب العرب المثل بناره وذكروها عند كل شيء لا ينتفع به قال ابو عمرو الشيباني نزل الفقهاء في بعض اسفاره بامراة من محارب فقيس فنسبها فقالت انا من قوم يشترون الفخر من الجوع قال ومن هؤلاء قالت محارب ولم تعرف قبائل عندها بالشرف والنبل فقال اويها قصيدته التي اولها

تأتك بليلى نية لم تقارب * وما حب ليلى من فؤادي بذاهب — الى ان

قال فاقبلت في خير وريح تلفني * وفي كل مسساة غيم ذات كواكب

الى حيز يوري نوقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب

فلما تنازعنا الحديث سألتها * من الحي قالت معشر من محارب

من المشتوين القد مما تراهم * جياعا وريف الناس ليس بعازب

فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن * علي مبيت السوء ضربة لازب

الا انما نيران قيس اذا اشتووا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

وقال غير ابن الكلبي الحباحب النار التي تورى بها الخيل بسنابكها من الحجارة واحتج بقوله تعالى فالموريات قدحا وعليه مشى صاحب الكشاف وممن مراده ثم وقيل الحباحب لص من اللصوص كان يوقد نارا ضعيفة وكذلك نيران اللصوص ضعيفة وقيل الحباحب ذباب يطير في الظلام قدر الذبابة وله جناح يحمر اذا طار به يتراءى من البعد كانه شرارة نار وقال ابن الاعرابي ابو حباحب ذويبة مثل الجندب فيها خضرة وصفرة ورقطة يقول لها الصبيان اذا راوها ابو حباحب اخرجي بردتي يا ابا حباحب فتنشر جناحيها كذا في شرح البردة لابن مسلح اللخمي وقال الجاحظ نار الحباحب هي كل نار تراها ولا حقيقة لها عند التماسها كالنار المنقدحة من حوافر الخيل اذا وكثت الحصا الصغار والجلاميد الكبار

قال النابغة في وصف الثور

تقد السلوقي المضاعف نسجه * وتوقد بالصفاح نار الحباحب

وكالريح في مهبوبه والسمع في * ذنوبه وكالمها في قبشي

بذي أجوس في خلال دورها * وانثني كالنار والمتلي

اللغة قوله كالريح في مهبوبه الريح معروفة وسميت بذلك لأن الغالب
عليها الإتيان في هبوبها بالروح والراحة وانقطاع هبوبها يورث الغم والكرب قاله
في الزاهر وقال في المصباح الريح الهواء المسخر بين السماء والأرض ثم قال والريح
مؤنثة على الأكثر فيقال هبت الريح وقد تذكر على معنى الهواء فيقال هب الريح وهب
الريح نقله أبو زيد ه‍ **قلت** وعلى هذه اللغة درج الناظم فلذا أعاد الضمير
عليه مذكرا ويصح أن يكون الريح في كلامه جمع ريحة وهي لغة في الريح فيكون من الجمع
الذي يفرق بينه وبين مفرده بسقوط التاء كما في نخل ونخلة ولا شك أن فيه لغتين
التذكير والتأنيث قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل منقعر وقال كأنهم أعجاز نخل
خاوية ويؤيد هذا أنه قال بعد وكالمها في قبش وهو من هذا القبيل أعني أنه
جمع مهاة ومهبوب الريح ومهبها ومصبها زمن هبوبها وهبها نقلا والهبوب كالمهبور
الريح المثيرة للغبار كالهبوبة قوله والسمع في ذنوبه السمع بالكسر سبع
مركب وهو ولد الذئب من الضبع يقال إنه لا يعرف الأسقام والعلل ولا يموت حتف
أنفه كالحية وإنما يموت بآفة من الآفات وليس في الحيوان شيء عدوه كعدو
السمع لأنه أسرع من الطير ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعا ويضرب به المثل
في قولهم أسمع من السمع ولذلك اشتق له اسم منه قال الشاعر

تراه حديد الطرف أبلج واضحا * أغر طويل الباع أسمع من سمع

قوله وكالمها في قبش المها جمع مهاة وهي البقرة الوحشية والقبش بالتحريك
العدو والنشاط وقال أبو عمرو القبش انتشار النفير والعدو قوله بذي أجوس
العدو والاجتياس بالجيم والسين المهملة بمعنى طلب الشيء بالاستقصاء
والتردد خلال الدور والبيوت وقت الغارات والنهب قوله خلال دور ربما يعني
ما بينها وحواليها وهو جمع خلل كجبال جمع جبل وقيل هو مفرد كحجاب وحجاز وقد
قرئ قوله تعالى فجاسوا خلال الديار بالجيم والحاء كما قرئ خلال بالإفراد والجمع

واختلفت عبارات المفسرين في معناه فعن ابن عباس رضي الله عنه ان معناه فتشوا خلال الديار وقال ابو عبيدة فطلبوا من فيها وقال ابن قتيبة عاثوا وافسدوا وقال الزجاج كانوا يطوفون خلال الديار هل بقي احد لم يقتلوه قال الجوهري في الجوس من التردد والطلب وذلك محتمل لكل ما قالوه قوله وانثني كالبارق المتلو الانثناء الرجوع والانعطاف والبارق المتلو تقدم الكلام عليه والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله كالبرق في مسلوبه صفة او حال من فرس كالبرق قبله وياء البرق منقلبة عن واو وفي مسلوبه متعلق بالكاف بما فيها من معنى التشبيه قوله والسمع في ثوبيه معطوف عليه بتقدير الكاف وكانهما في بشر معطوف كذلك والف انهما يحتمل ان تكون منقلبة عن واو وتكتب الفا ويحتمل ان تكون منقلبة عن ياء وتكتب ياء فقد سمع في جمعها صوات وصيات قوله بها اجوس جملة مقتضبة افاد بها المقصود من انتقاء منزل العرس واختيار ويحتمل ان تكون صفة لدا او حالا الا كالتي قبلها وتقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة الحصر وفي خلال دور ومنا يتعلق به ايضا ومعنى قوله اجوس ومن في بالمكتب في مع الكثرة رجوعها الى الاصل كما هي جيما من قال

أفي الحق أني مغرم بك هائم * وأنك لا خل هواك ولا خمر

والاقعود في غنى عنها بدليل الآية الكريمة ومنها اقتبس الناظم ويجوز ان يكون من جيما ايضا بانه يبالغ في تعقيب دور منزل المحبوبة والتولع بها والمبالغة لغرضه ونجيبه بها في بيتها وهو معمر يا رجم نكتة ما قيل به في قوله تعالى وقال اركبوا فيها وان كان يحتمل فيه والله اعلم وقد وصف الناظم رحمه الله البرق باوصاف متعددة واراد بقوله كالبرق في مسلوبه البيت انه يشتمل ضروبا كثيرة من السير وانواعا متباينة من العدو وتارة يمر مر الريح وتارة يثب وثوب السمع واخرى يمرح مرح الكبش وفي المثل انشط من كبش مع انه قد فرح به من كونه يفرح الناس بعودا مرة عند القبة والكلوف مشتق كما قال امرؤ القيس في وصف فرسه

على متنكل يعطيك قبل سؤاله * افانين جري غير كز ولا واني

بتامل ما اشتملت عليه لفظة افانين مما لو عدد كان كثيرا وما اقترن به من جميع

(هنا)

افنان الجودة كمن عدا ابن غير كلب ولا مثلة لم يعن عند الكزازة والعري
وهما اكبر عيوب الخيل وفي كلامه اشارة بديعة واما تشبيه الفرس في عدوه
بالريح فهو كثير ومن احسن ما قيل في ذلك قول ابي تمام الاندلسي

وأقب تنفر البروق إذا جرى — من غيظها حسرى بارق تتلمس
ملك الرياح قوائما يجري بها — فيكاد يأخذ غاية من قسور

وقال ايضا

وممتن ريح تسبق الريح إن جرت — وما خلت أن الريح ذات قوائم
له في الجري شبه أي كل غاية — كأن له فيها نفوذ عزائم
وهمة نفس نزهته عن الونى — فيا عجبا حتى العلا في البهائم

وهذا باب واسع وكلام الناس فيه كثير وقد ورد في بعض الاحاديث ان الخيل
مخلوقة من الريح وفي تاريخ نيسابور للحاكم ابي عبد الله في ترجمة ابي جعفر
الحسين بن محمد بن جعفر الزاهد العابد انه روى باسناده عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله ان يخلق الخيل
قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائي ومذلة لاعدائي
وجمالا لاهل طاعتي فقالت الريح اخلق يا رب فقبض منها قبضة فخلق منها
فرسا وقال جل وعلا خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم
محتازة على ظهرك وبوأتك سعة من الرزق وايدتك على غيرك من الدواب وعطفت
عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب واني
ساجعل على ظهرك رجالا يسبحوني ويحمدوني ويهللوني ويكبروني ثم قال صلى الله
عليه وسلم ما من تسبيحة وتحميدة وتهليلة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعه
الملائكة الا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة خلق الفرس قالت يا رب
نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك ونهللك ونكبرك فماذا لنا فخلق الله تعالى لها
خيلا بلقا اعناقها كاعناق البخت يمد بها من يشاء من انبيائه ورسله قال فلما
استوت قوائم الفرس في الارض قال الله تعالى اني اذل بصهيلك المشركين واملأ
منه آذانهم واذل به اعناقهم وارعب به قلوبهم قال فلما عرض الله
تعالى على آدم كل شيء مما خلق قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس
فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا ابد الآبدين ودهر

الرايح من وقوفه في مروج الذهب وفي شفاء الصدور عن ابن عباس رضي الله عنه
بعين هذه اللفظة وتفسيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اراد الله
تعالى ان يخلق الخيل اوحى الى ريح الجنوب اني خالق منك خلقا فاجتمعي فاجتمعت
فامر جبريل عليه السلام فقبض منها قبضة ثم قال الله عز وجل هذه قبضتي
ثم خلق منها فرسا كميتا ثم قال الله عز وجل خلقتك فرسا وجعلتك عربيا
وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق والغنائم تقاد على
ظهرك والخير معقود بناصيتك ثم ارسله فصهل فقال الله عز وجل يا كميت
بصهيلك ارهب المشركين واملأ مسامعهم وازلزل اقدامهم ثم وسمه بغرة وتحجيل
فلما خلق الله آدم قال يا آدم اختر اي الدابتين احببت يعني الفرس والبراق
قال والبراق على صورة البغل لا ذكر ولا انثى فقال آدم يا رب اخترت احسنهما
وجها وهو الفرس فقال الله تعالى يا آدم اخترت عزك وعز ولدك باقيا ما بقوا
وخالدا ما خلدوا قال ابن عباس فذلك الوسم فيه وفي ولده الى يوم القيامة
يعني الغرة والتحجيل قال المسعودي عقب هذا الخبر وعقب اخبار تتعلق بالعتق
والنسناس ونحوهما ولولا ان المؤلف ما كتب ليلا ما ذكرت هذه الاخبار يعني
لضعفها وقال الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله في جواب له مضمنه ان الخيل
قد خلقت قبل آدم عليه السلام فانه وقد جاء عن وهب بن منبه ـــو
الاسرائيليات ان الخيل خلقت من ريح الجنوب وذلك لا ينافي ما قلناه
ولكن لا نلتزم صحته لانا لا نصحح الا ما صح لنا عن الله عز وجل ورسوله صلى
الله عليه وسلم وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه ان الخيل كانت
وحوشا وان الله تعالى ذللها لاسماعيل عليه السلام وذلك لا ينافي ما
قلناه لجواز ان يكون خلقها قبل آدم عليه السلام اذ كانت تركب في وقت
ثم توحشت ثم ذللت لاسماعيل عليه السلام وليس في ذلك عن النبي صلى
الله عليه وسلم ولا عن الصحابة رضي الله عنهم دليل قاطع مما قلناه
من دلالة القرآن والذي قيل من ان اسماعيل عليه السلام اول من ركبها
امر مشهور ولكن اسناده ليس بصحيح حتى نلتزمه وقد قلنا انا لا نلتزم
الا ما صح عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هـ كلام السبكي

واستمرت على وحشيتها الى عهد اسماعيل عليه السلام اولا

رحمه الله ومراده بدلالة الفحوى ان الآيات الثلاث دلت على ان الارض وما
فيها مخلوق للادمي وذخر لبنيه إكراما لهم ومن كمال الإكرام وجوده قبلهم من
ذلك قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وما اشبههما والله اعلم

(وفي رتبة الزباء خلف فيهما وكعفيص شغفها للنقص)

في تانيث

اللغة الزباء منها امرأة بالخبر بها ومن الازب اي كثير الشعر وكذلك
كانت هذه المرأة فانه كان وجهها شعر تستجيبه اذا مشت واذا ارسلته غطى
بدنها وبذلك لقبت بالزباء وعلى هذا فلعلها ممدودة كحمراء تانيث الاحمر وقال
البكري ان الف الزباء مقصورة قال وقرره العلماء المرجيد لانها تانيث زبان
الاسم المستعمل فاما زباء ممدودا فانما هو تانيث الازب ولم يستعمل اسما وانما
هو صفة للكثير شعر البدن قال والشاهد فيهما قلنا قول عدي بن زيد *
* فاقبلت في ذرا بيها كانها * تكرزنا بعاملة جنينا   انتهى
وحكى الشريف الغرناطي في شرح المقصورة القولين فقال والزباء تمد وتقصر
فمن مد جعل مذكرها ازب مثل احمر وحمراء ومن قصر جعله زبا مثل غضبان وغضبى
وقرره الشيخ ابو علي اليوسي وجه القصر وجزم بانه ممدود وان من قصره
من الشعراء فانما قصره للضرورة والاصل في الاشتراك الزالة انتهى كلامه في
زهر الاكم قوله وكعفيص شغفها للنقص بكسر القاف اسم رجل يانه خبره
ايضا والنقص بالتحريك شرب في الارض له مخلص الى مكان اخر وفي المثل ضل
دريص نفقه يضرب لمن يعنى بامر نفسه وتعزب عنه حجته فيبحث عنها مما يعنيه اعاجة
والدريص كزبير ولد الارنب واليربوع ونحوهما والنافقاء احدى جحرة اليربوع
يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه فاذا اتي من قبل القاصعاء ضرب
النافقاء برأسه فانتفق اي خرج منها وتابوا اذا الخرجة نافقاء ومنه اشتقاق ق
المنافق في الدين وهو الذي يكتم الاسلام ويظهر الكفر عياذا بالله انتهى اعراب
والتصريف قوله فان تك الزبا الغاد جميعا ابعث عن شركه مقرر
فانه لما افسم ليرون تشبه على كل حال وقعة ثلاثة من افرد عمرو عند كل
شركة كانه قال واذا كان الامر على ما وصفت لك فان تك الزبا خلفت فيهما
كان حرف شرك وتك فعل الشرط مجزوم بالسكون على النون وحذفت تخفيفا

والجمهور من النحاة يشترطون كون محذوفها الابتداء ساكنا واللام تحذف كقوله
تعالى لم يكن الذين كفروا وخالفهم يونس بن حبيب فأجاز الحذف في ذلك متمسكا
بنحو قوله * فإن لم تك المرآة أبدت وسامة * فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم *
واختاره ابن مالك وعليه مشى الناظم هنا وفي بعض النسخ من قوله فإن يك الشيخ عن
غير البيت وحمله الجماعة على الضرورة واسم تك ضمير للشيخ والزباء خبر معا على
حذف مضاف أي مثل الزباء وتفرع الكلام في وجه نعم وقوله دخلت فعل ماض جواب
الشرط وقوله وفيهم شغفا للانتقام والواو عاطفة وفي داخلة في التقرير على
الفعل معطوفا على الجواب وكفيهم حال من فاعله ابن مفرق ضمير الناظم والكاف
اسمية أي مثل فيهم وعين الفعل محذوفة لالتقاء الساكنين وأصلها النون والأنف
من الشرور والتنغير يتعلق بشفيتها واللام بمعنى إلى وبين فيهم مهمل وفيهم شبه
هنا من الاستغراق

ذكر قصير والزباء وما كان من أمرهما *

الزباء امرأة من بقية عمالقة الشام من أهل بيت عاملة منهم ومعنى
الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة من ولد السميدع بن هوبر العملاقي
الذي قتله يوشع بن نون صاحب موسى عليهما السلام وكانت سلف الزباء يملكون
جزيرة الموصل ومشارق الشام وكان الاسماء ذم الطويلا إلى أن افتص الملك أبا
عمرو بن الظرب منهم وملك الزباء وكان من فعالها بالتفخيم بفتح الفاء وهو
مقصورا بجزيرة مشهور وهو الذي عناه عدي بن زيد بقوله

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور

وقوله جذيمة الأبرش صاحب الحيرة والعمالقة وهو جذيمة بفتح الجيم وكسر الذال
المعجمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بضم العين المهملة وبالثاء المثلثة
ابن عبد الله بن زهران بن الأزد ينتهي نسبه إلى كهلان بن سبأ قال ابن هشام وهو
أول ملك كان بالحيرة من العرب وأول من نصب المجانيق وأول من أوقد الشموع وكان بعد
عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وملك ستين ثم اختلفت عبارات المؤرخين بمويتا
في مدة ملكه من الستين سنة إلى مائة وقال الكلبي كان جذيمة من أفضل ملوك
العرب رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم نكاية وأول من استجمع له الملك بأرض

العراق

العراق وضم اليه العرب وغزا بالجيوش وكان به برص وكنت العرب عنه
فقالوا الوضاح والابرش اعظاما له وكانت منازله ما بين الحيرة والانبار
وهيت وعين التمر ونواحيها وكانت تجبى اليه الاموال وتفد عليه الوفود اكان
فلان وكان ملك العرب بارض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب بن حسان بن
اذينة العمليقي من عاملة العمالقة فكانت بينه وبين جذيمة حروب فقتل جذيمة
عمرا وانهزمت عساكره وعاد جذيمة سالما وملكت بعد عمرو ابنته الزباء
واسمها نائلة كذا عند الطبري وقال ابن دريد اسمها ميسون وقيل اسمها الفارعة
وكانت جنود الزباء من بقايا العماليق وغيرهم وكان لها من الفرات الى تدمر
ولما استجمع امرها واستحكم ملكها اجمعت على غزو جذيمة تطلبه بثار ابيها
فقالت لها اختها زبيبة تصغير زينب على الترخيم وكانت عاقلة ان غزوت
جذيمة فانما هو يوم له ما بعده والحرب سجال واشارت بترك الحرب واعمال
الحيلة فاجابتها الى ذلك وكتبت الى جذيمة تدعوه الى نفسها ليتزوج بها
وتصل ملكها الى ملكه وقالت فيما كتبت انها لم تجد ملك النساء الا قبيح
السماع وضعفا في السلطان وانها لم تجد لنفسها ولا لملكها كفؤا غيره فلما
انتهى اليه كتاب الزباء استخفه ما دعته اليه ورغب فيما اطمعته فيه فجمع
اليه ثقاته وهو ببقة من شاطئ الفرات فعرض عليهم ما دعته اليه واستشارهم
فاجمع رايهم على ان يسير اليها ويستولي على ملكها وكان فيهم رجل يقال له قصير
ابن سعد من لخم وكان ابوه سعد قد تزوج امة لجذيمة فولدت له قصيرا فقالوا لم
يكن قصيرا وانما سمي به فقط وكلامهم كلام المبرد في الكامل انه كان قصير القامة
فلا نعلمه تكلم على الطول والقصر وما قيل فيهما فلان ما نعمه وقد يقال الكيس
في الفقر وقد قيل في ضمن قصير وكبيرة ومكره ما ساد به المثل ولما استشار جذيمة
بطانته واجمعوا على ما اجمعوا عليه خالفهم قصير وكان رايه حازما ايما عند
جذيمة فقال راي فاتر وغدر حاضر فذهبت مثلا ثم قال لجذيمة الراي ان تكتب
اليها فان كانت صادقة فلتقبل اليك والا فلا تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت
اباها فلم يوافق جذيمة ما اشار به قصير وقال لا ولكنك امرؤ رايك في الكن
لا في الضح فذهبت مثلا ودعا جذيمة ابن اخته عمرو بن عدي اللخمي فاستشاره فشجعه

على الخميس وقال الزباء رأيه فذهب مع الزباء فلو ذرا أو لم هذا زوا معك فاكنا عمه فقال قصير لا يطاع لقصير أمر فذهبت مثلا واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه وجعل عمرو بن عبد الجن التنوخي مقعده على جنوده وخيوله وسار جذيمة في وجوه أصحابه فأخذ على شاطئ الفرات من الجانب الغربي فلما نزل الفرضة دعا قصيرا فقال ما الرأي يا قصير فقال قصير ببقة تركت الرأي فذهبت مثلا قال وما ظنك بالزباء قال القول رداف والحزم عثراته تخاف فذهبت مثلا واستقبلته رسل الزباء بالهدايا والألطاف فقال يا قصير كيف ترى قال خطر يسير في خطب كبير فذهبت مثلا وستلقاك الخيول فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة وإن أخذت جنبتيك وأحاطت بك من خلفك فإن القوم غادرون بك فاركب العصا فإنها لا يشق غبارها فذهبت مثلا وكانت العصا فرسا لجذيمة لا تجارى فإني راكبها ومسايرك عليها فلقيته الكتائب والخيول فحالت بينه وبين العصا ويقال إن قصيرا عرضها له فشغل بنفسه عنها وقيل إنه منع من ركوبها بحضرة الجمع فركبها قصير ونظر إليه جذيمة موليا على متنها يتقطع السراب دونها فقال ويل امه حزما على متن العصا فذهبت مثلا وقال أيضا ما ضل من جرت به العصا فذهبت مثلا وجرت به إلى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت أرضا بعيدة فبنى عليها برجا يقال له برج العصا وقال أبو عبيدة والأصمعي انطلقت ثلاثين ميلا ثم وقفت فبالت فبنى على ذلك الموضع برجا يسمى برج العصا وقالت العرب خير ما جاءت به العصا مثلا تضرب وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيول حتى أدخلوه على الزباء فلما رأته تكشفت له فإذا هي مضفورة الإسب وقيل بالمضفورة شعر العانة والفرج فقالت له يا جذيمة أداب عروس ترى فذهبت مثلا فقال جذيمة قد بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى فذهبت مثلا وفي بعض الروايات أنها قالت له أشوار عروس ترى فقال جذيمة بل متاع فاجرة بظراء فقالت والله ما ذاك من عدم مواس ولا من قلة أواس ولكنها شيمة من أناس والمواسي بفتح الميم جمع موسى الآلة المعروفة والأواسي بفتح الهمزة الأطباء ثم قالت لجواريها خذن بعضدي سيدكن ففعلن ثم دعت بنطع فأجلسته عليه وأمرت برواهشه فقطعت وأمرت بطست من ذهب فأعدته لدمه قيل لها ولا

بأن

بأن يزينه ففعل مرارا وذلك بأن سقته الخمر حتى غرقت منه فأخذها وكانت
الملوك لا تقتل بضرب الأعناق والذي فعل بالزباء رقة تحت صب الحلي وإنما عرفت
الكشت لزوجه لأنه قد قيل لها إن قطر من دمه شيء في غير الكشت طلب بدمه
ولا بد فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه فكتب به على رخام القصر فقالت
لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله فذهبت مثلا ولما
هلك جذيمة جعلت الزباء دمه في ربعة لها وخرج قصير من الحي الذي ملكت العصا
بين أيديهم حتى قدم على عمرو بن عدي وهو بالحيرة فوجده قد اختلف هو وعمرو
ابن عبد الجن التنوخي فمشى قصير إلى ابن عبد الجن فقال له أطلب بدم ابن عمك والا سبت
به العرب فلم يفعل بذلك وإنما جعله ابن عمه مع أنه تنوخي وجذيمة أزدي لما قر
لأن تنوخ عرب فيها من بطون الأزد وغيرهم وإنما قيل لهم تنوخ لأنهم اجتمعوا فتنخوا
بالبحرين بغير ابتغاء بغت نكث بالعرب وتحالفوا على التناصر وأقاموا هناك فسموا
تنوخ من ذلك والتنوخ بالضم الإقامة ولما يئس قصير من عمرو بن عبد الجن
مشى إلى عمرو بن عدي وابن أخت جذيمة فقال له هل لك في أن أصرف إليك الجنود
على أن تكلف بثأر خالك فأنعم له بذلك فأتاهم فألان الجند واستمالهم بالمال
فانصرف إليه منهم بشر كثير وتصاف العسكران للقتال ثم اصطلحوا على تمليك عمرو
ابن عدي وانقاد إليه عمرو بن عبد الجن ولما تم الأمر على ما ذكرنا قال قصير لعمرو
ابن عدي انتهز فيها وعرفه من أمر الزباء فقال وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب
الجو فذهبت مثلا وكانت الزباء قد سألت كاهنة لها عن أمرها وهلاكها فقالت
أرى هلاكك بسبب غلام مهين غير أمين اسمه عمرو بن عدي ولن تموتي بيده ولكن
حتفك بيدك ومن قبله يكون ذلك فحذرت عمرا واتخذت نفقا من مجلسها الذي كانت
تجلس فيه إلى حصن لها في داخل مدينتها وقالت إن فجأني أمر دخلت النفق إلى حصني
وفي الأغاني أن الزباء كانت من أحزم الناس مخافة أن تغزو فلما ولي العرب
فاتخذت لنفسها نفقا في حصن كان لها على شاطئ الفرات ثم سكرت الفرات في
وقت قلة الماء وبنت أزجا من الآجر والكلس متصلا بذلك النفق وجعلت نفقا
آخر في البرية متصلا بمدينة أختها ثم أجرت الماء عليه فكانت إذا خافت
عدوا دخلت النفق ثم دعت رجلا مصورا حاذقا فجهزته وأحسنت إليه

وقالت له سر حتى تقدم على عمرو بن عدي متنكرا فتتصل بحشمه وتخالطهم وتعلمهم
بما عندك من علم التصوير ثم اثبت لي عمرا معرفة جالسا وقائما وراكبا ومتفضلا
ومتسلحا بهيئته ولبسته ولونه ثم اقبل الي فانطلق المصور حتى قدم على
عمرو بن عدي وصنع ما امرته به الزباء وعاد اليها بما ارادت من ذلك وارادت ان تعرف
عمرو بن عدي فلا تراه على حالة الا عرفته وحذرته وقال قصير لعمرو بن عدي
اجدع انفي واضرب ظهري ودعني واياها فقال عمرو ما انا بفاعل وما انت لذلك
اهلا فقال قصير خل عني اذا وخلاك ذم فذهبت مثلا قال عمرو فانت ابصر فجدع
قصير انفه وضرب ظهره وخرج كانه هارب الى الزباء فقالت العرب لامر ما
جدع قصير انفه وفي ذلك يقول المتلمس *

ومن طلب الاوتار ما حز انفه * قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

ثم سار قصير حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فامرت به فادخل
عليها فاذا امرؤ مجدوع الانف مضروب الظهر فقالت ما الذي ارى بك يا قصير
قال زعم عمرو اني غررت خاله وزينت له المسير اليك وما لاتك عليه ففعل بي
ما ترين فاقبلت اليك وعرفت اني لا اكون مع احد هو اثقل عليه منك فاكرمته
واصابت عنده بعض ما ارادت من الحزم والراي والتجربة والمعرفة بامور الملك
فلما عرف انها استرسلت اليه ووثقت به قال لها ان لي بالعراق اموالا
كثيرة وطرائف وثيابا وعطرا فابعثيني لاحمل اليك من طرائف العراق وصنوف
ما يكون بها من التجارات فتصيبين ارباحا وبعض ما لا غنى بالملوك عنه فسرحته
ودفعت اليه اموالا وجهزت معه عيرا فسار حتى قدم العراق واتى الحيرة
متنكرا فدخل على عمرو بن عدي فاخبره الخبر وقال جهزني بصنوف البز والامتعة
لعل الله يمكن من الزباء فتصيب ثارك وتقتل عدوك فاعطاه حاجته وكان
اكثر ما يكون ثيابا من العراق والتمر انصرفا بها وكان يعجبها كثيرا فرجع قصير الى الزباء
بما معه من الطرائف فعرضه عليها فاعجبها ما رات وسرها وازدادت به
ثقة وجهزته ثانية باكثر مما جهزته به في الاولى فسار حتى قدم العراق وحمل
من عند عمرو حاجته ولم يدع طرفة ولا متاعا قدر عليه الا ساقه اليها ثم عاد
الثالثة فاخبر عمرا الخبر وقال له اجمع لي ثقات اصحابك وجندك وهيئ الغرائر

والمسوح وقيل اتخذ الجوالق وأدخل رجالا في الغرائر وشد أفواهها من داخلها وحمل على كل
بعير رجلين في غرارتين وجعل معقد رؤوسها من داخل وقال لعمرو إذا دخلت
مدينة الزباء فاقعد على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل
المدينة فمن قاتلهم قتلوه وإن أقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف
ففعل عمرو ذلك وحمل الرجال في الغرائر بالسلاح وسار يكمن النهار ويسير
الليل وكانت الزباء قد وصف لها بعضهم على ما قيل فصارت تطلع أخباره في
منامها فسألت عنه فقيل لها إنه قد أخذ على طريق الغوير فقالت عسى
الغوير أبؤسا فذهبت مثلا قال ابن الكلبي والغوير ركية ماء معروفة لبني
كلب ولما قارب قصير قريبا من مدينة الزباء تقدم إليها فأعلمها كثرة ما حمل
من المتاع والهدايا وسألها أن تخرج فتنظر إلى ما جاءها به وقال قد جئت بما صاء
وصمت فذهبت مثلا ثم خرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في
الأرض من ثقل أحمالها فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا ... أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا ... أم الرجال جثما قعودا

وفي بعض الأمثال أنها قالت ثلاثة أشطار فأجابها قصير في نفسه بقوله

* بل الرجال جثما قعودا *

وقيل إن الشعر مصنوع ومنسوب إليها ثم دخلت الإبل المدينة حتى كان آخرها هما
بعيرا مر على بواب المدينة وكانت بيده منخسة فنخس بها الغرارة فأصابت
خاصرة الرجل الذي فيها فضرط فقال البواب بالرومية ما معناه الشر الشر فلما
توسطت الإبل المدينة أنيخت ودل قصير عمرا على باب النفق الذي كانت الزباء
تدخله إذا ما جاءها أمر وكانت قد أرته إياه قبل ذلك وخرجت الرجال من
الغرائر وصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق
وأقبلت الزباء تريده فأبصرت عمرا فإذا هو على بابه فعرفته بالصورة التي
صورت لها فمصت خاتما كان فيه سم وقالت بيدي لا بيد عمرو فذهبت
مثلا وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وماتت وهذا معنى قول الناظم رحمه
الله وكفعلها شقتها للنفق واعلم أن في سياق الحكاية بعض اختلاف لأن عمرا

منه قد كهم ابنه الاشج والاشعث والسيد المعروف وقد قتل عمرو الزباء اخذا بثار
خاله من قد بينّا ثم عاد الى العراق وحكم فيه وما بنته الملوك ورتّب
ببلاد الزباء عاملية بعد ان عاد بالسبي فيقال انه اول من سبى فسبى في العرب
من غنائم الروم وعمرو بن عدي هذا هو جد ملوك الحيرة من آل المنذر على ما عليه
جمهور الاخباريين قال ابو عبيدة فذكروا الاوتار في الجاهلية ثلاثة سيف
ابن ذي يزن الحميري وقصير بن سعد اللخمي وبيهس الفزاري الملقب بنعامة وسيأتي
ذكره ان شاء الله

(وقد حماها كليب بلسه جساس ربح زاهر بالكرم)

اللغة قوله وقد حماها كليب الحماية المنعة والنصرة تقول حميته حميا وحماية اذا منعت عنه ونصرته ومنه زجاجة الحفيفة وحامي الزمار بكسر الذال المعجمة وحامي الحميا بالتصغير اي يحمي حوزته وما يليه واحميت المكان بالالف جعلته حمى لا يقرب ولا يجترأ عليه قال الشاعر

ونرعى حمى الاقوام غير محرم ... علينا ولا يرعى حمانا الذي نحمي

وفي الحديث لا حمى الا لله ولرسوله وسمع الكسائي في تثنية الحمى حموان بالواو وقال والوجه حميان والحمية كعطية الانفة وفلان احمى انفا من فلان اي امنع لما وراءه منه وكليب بالتصغير اسم رجل يأتي خبره قوله بلسه جساس ربح الربح معروف وجمعه ارباح ورباح ورجل رابح اي صاحب ربح ومعنى كونه جساسا انه يبحث عن الخفايا ويكشفها حتى يعلم ما يبهم من جس الاخبار وتجسسها اي تتبعها ومنه الجاسوس لانه يتتبع الاخبار ويبحث عن بواطن الامور قوله زاهر بالكرم والزهر بسكون الهاء المهملة وتحريكها النور على كل ريحان ونحوه للترف والانتشار وقد زهر زهرا فيقال نبت زاهر وازهر والزهر بالتحريك النور من زهور وكل نوع من يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وربما قالوا ازهار والزهر موضع الزهر وازهر لما زهر اي انه لا يخفى عليه شيء من احواله ولا تفوته وقيل للاعرابي ابن زيد يعني ابا مجاهد فقال تعالى ما يكون من غيره لكنه اخبر به الاعراب والتصريف قوله وقد حماها كليب جملة معطوفة على جملة الشرط قبله ومن السمع شرطه مبتدأ وحماها

وبفعل الشرط مجزوم المحل وفاعله ضمير عمرو ومفعوله ضمير للنبي وقيل الخبر بفعل الشرط وعدله لانه اسم تام وبفعل الشرط مشتمل على ضمير او بفعل الجواب وعدله لان الفائدة به تمت او بمجموعهما والصحيح الاول وانما توقفت الفائدة على الجواب من حيث التعليق فقط لا من حيث الخبرية والفاء هنا منقلبة عن ياء لانها تكتب الفاء العرفوعهما حشوا بسبب اتصال الضمير المفعول بها وقوله ككليب حال من ما عن جهة ت والكاف اسمية ويحتمل ان يكون مفعولا مطلقا بفعل حذف مع موصوف ومضاف والتقدير ومن جملة ما جمعانية مثل جماية كليب والاول اولى لكونه اقل تقديرا فقوله فله جساس رغم جملة في محل جزم جواب الشرط لا فيه انما بالفاء وله خبر مقدم وجساس رغم مبتدا مؤخر وهو من اضافة الصفة اي المرغوم اي رغم جساس وقوله راضيا بالكره حال ثانية لرغم وال في الكره للاستغراق والله تعالى اعلم البيان في قوله جساس رغم استعارة بالكناية فانه شبه الرغم في حال تعوده في اعضاء المقعور به ووصوله اي مقاتله من قلب وكبد ونحوهما بجاسوس يدخل ان ذكر العدو ويتغلغل فيه لتحصيل الاخبار والبحث عنها ورمز لذلك بذكر التجسس الذي هو عبارة عن التعود كما قررنا فهو ايضا استعارة اصلية في المصدر تبعية في الوصف وقد قدمنا ان الاستعارة التصريحية قد تكون قرينة للمكنية كما في قوله تعالى ينقضون عهد الله ومنه ما هنا وقوله راضيا بالكره ترشيح للاستعارة والمراد بالكره هنا كره الحياة من البدن كما قال الشاعر ومنه اخذ الناظم رحمه الله

فسن الضرب بنا في الكره شيوخكم ... حتى عن قرن سادة الازواج

والشاعر بني اي من المعنى من زيد الخيل الطائي رضي الله عنه حيث يقول

واسمر من يوم يبري ما رايته ... بحيث اذا الحربه بالحقائق

وتبعه ابو تمام فقال

كأنها وهي في الاوداج والغة ... وفي الكلى تجد الغيظ الذي تجد

من كل ازرق نظار بلا نظر ... الى المقاتل ما في متنه اود

وقال ابو الطيب

يسابق يشتفي منا بالعبادة ... الييه كانهما في رهان

يري هزه عنا مضانه العلق ... اذا كنت في مبتدا الذاري

وقال ابن دريد

أبيض كالملح إذا انتضيته ... لم يلق شيئا حده إلا فرى

يري المنون حين تقفو إثره ... في ظلم الأكباد سبلا لا ترى

وفي كلام الناظم مجاز لغوي فإن المراد بقوله فلا جساس من رمح أن له كطعنة أن لا نفس الرمح وفيه أيضا تورية فإن لفظ جساس له معنيان قريب وهو أنه علم على الرجل الذي قتل كليبا كما سيأتي وبعيد وهو الجاسوس الذي يبحث عن الأخبار وإنما كان الأول قريبا لشهرته لا سيما عند الأدباء والناظم رحمه الله أراد المعنى البعيد كما قررناه في الاستعارة وأوهم أنه يريد القريب وتمنى بذكر كليب والرمح والزهد بالكروق والله تعالى أعلم

ذكر كليب وجساس وما كان من أمرهما

أما كليب فهو وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل التغلبي ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار وأما جساس فهو جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وفيه اجتمع نسبه مع كليب وكان من خبرهما أن كليبا كان قد عز وساد في ربيعة حتى ضرب المثل بعزته فقيل أعز من حمى كليب وقاد معدا كلها يوم خزازى وفض جموع اليمن فاجتمعت عليه معد كلها وجعلت له قسم الملك وتاجه وإتاوته فغبر بذلك حينا من الدهر ثم داخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وحش أرض كذا في جواري فلا يصاد ولا يورد أحد مع إبله ولا يوقد نار مع ناره ولا يمر أحد بين يديه ولا يحتبي في مجلسه ولا يتكلم فيه إلا بإذنه وفي ذلك يقول أخوه مهلهل يرثيه بعد مقتله

نبئت أن النار بعدك أوقدت ... واستب بعدك يا كليب المجلس

وتكلموا في أمر كل عظيمة ... لو كنت شاهد أمرهم لم ينبسوا

أي لم ينطقوا وفي مجمع الأمثال أنه كان إذا مر بروضة أعجبته أو غدير ارتضاه كنع كلبا في ربوة فوابيته ثم رمى به مناله بحيث بلغ عواؤه كان حمى لا يرعى وكان اسم كليب وائلا كما قلنا فلما حمى كليبه المذكور الكلأ قيل

لعز

أعز من كليب وائل بالإضافة ثم غلب هذا الاسم عليه حتى كثر له اسمه ومر يوماً بقبرة وهي تنزع من العصافير وقد باضت فلما رأته صفقت بجناحيها وصرصرت فقال لها أمن روعك أنت في ذمتي ثم أنشأ يقول

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري *

وذلك أن الكلام إنما يضعف ويتغشى في الخصب والأمن وبعضهم يروي هذا البيت لطرفة بن العبد وكانت بنو جشم رهط كليب وبنو شيبان رهط جساس أخلاطاً في دار واحدة إرادة الجماعة ومخافة الفرقة وتزوج كليب جليلة بنت مرة بن شيبان وهي أخت جساس بن مرة ثم إنه حمى أرضاً من العالية في أنف الربيع فكان لا يرعى فيها إلا إبله وإبل جساس للمصاهرة التي بينهما ثم إن البسوس بنت منقذ التميمية من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وهي خالة جساس زارت أختها أم جساس ومعها جار لها من جرم يقال له سعد بن شمس ومعه ناقة له اسمها سراب كذلك وهي التي يضرب بها المثل في الشؤم فيقال أشأم من سراب كما يضرب بالبسوس فيقال أشأم من البسوس لأنهما كانتا سبب الحرب بين الحيين بكر وتغلب ابني وائل فخرجت سراب في إبل جساس حتى دخلت الحمى فيقال إنها وطئت بيض القبرة وكسرته ويقال إن كليباً أتى الحمى فرأى سراب فأنكرها إذ لم يكن يعرفها قبل ذلك فسأل عنها فقيل له إنها ناقة لجار جساس فقال أو يبلغ من قدره أن يجير دون إذني وكان لا يجير أحد إلا بإذنه يا غلام ارم ضرعها فرماها بسهم فانتظم ضرعها وقيل في سبب رميه إياها غير هذا فولت الناقة وضرعها يشخب دماً ولبناً حتى بركت بفناء صاحبها فلما نظر إليها صرخ وا ذلاه فسمعته البسوس فخرجت فلما نظرت إلى الناقة ضربت بيدها على رأسها ونادت وا ذلاه ثم أنشأت تقول

لعمري لو أصبحت في دار منقذ * لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار غربة * متى يعد فيها الذئب يعدو على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل * فإنك في قوم عن الجار أموات
ودونك أذوادي فإني عنهم * لراحلة لا يفقدوني بنياتي

ولما سمع جساس قولهما سكّنهما وقال إنهما الجمل ليعقرنّ غدا جملٌ أعظم من
أعظم عقرا من ناقة جارتي يريد بذلك كليبا فبلغ كلامه كليبا فظنّ أنه يعني
فحلَ إبله الذي كان يُدعى عُلَيّان بضم العين المهملة وتشديد الياء فقال دون
عُليان خرطُ القتاد فأرسلها مثلا يعني أنه دون سبيل جساس إلى الوصول إلى
ذلك الفحل ثم إن الحيّين انتجعوا فمرّت بنو بكر على نهي يقال له شُبَيث بالتصغير
فنفاهم عنه كليب وقال لا تردوه منه فكذلك ثم مرّوا على نهي آخر يقال له الأحصّ
فنفاهم عنه أيضا فمضوا حتى أتوا غدير الذنائب فنزلوا عليه وتبعهم كليب
في بني تغلب حتى نزلوا معهم فمرّ جساس بكليب وهو واقف على غدير الذنائب فقال
فقال له طردتَ أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا فقال كليب ما
منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون فقال جساس هذا كفعلك بناقة جاري
فقال أوَقد ذكرتها أما إني لو وجدتها في غير إبل مرة لاستحللت تلك الإبل بها
فعطف عليه جساس فرسه وطعنه بالرمح فأنفذ حضنيه إلى جنبيه ووجد
كليب طعم الموت فقال يا جساس اسقني ماء فقال هيهات تجاوزت شُبَيثا
والأحصّ ويروى أنه قال له ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدت قبل الآن
ما عندي منه وكان مع جساس رجل من عشيرته يقال له عمرو بن الحارث بن ذهل
فقال له كليب يا عمرو أغثني بشربة ماء فنزل عمرو عن فرسه وتقدم إليه
فاحتزّ رأسه فقيل

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقد عبر جساس من يومئذ بعامه الزمان وطالع الغبار ورجع مسرعا إلى أهله
فقالت أخته لأبيها حين رأته وقيل إن لجساس لشأنا فخرج جاءه خارجة ركبتاه
وكان من ركبتيه وضع لا يكشفهما له فقال أبوه أما والله ما خرجت إلا لأمر عظيم فلما
انتهى إليه قال له ما وراءك يا بني قال ورائي أني طعنت طعنة لتشغلن
بها بنو وائل رقصا قال أقتلت كليبا قال نعم قال وددت أنك وإخوتك
متم قبل هذا ما بي إلا أن تتشاءم بنا وائل ثم نظر جساس إلى أخيه نفلة بن مرة
وهو عاشر عشرة إخوة كانوا له فقال له

فإني قد جنيت عليك حربا * تغصّ الشيخ بالماء القراح

مِن كَبْرَةٍ حتى ما يَنْفَعُ مِنْسـا * فَبِتُّ تَسَبَّبْتُ بِالأَخِ غَيْرِ صالِحِ

فأجابه نخلة بقوله

* * *

فإن تَكُ قد جَنَيْتَ عَلَيَّ حَرْبًا * فَلا وانٍ ولا رَثُّ السِّلاحِ

سأَلْبَسُ ثَوْبَها وأَذُودُ عَنِّي * بها عارَ المَذَلَّةِ والفِضاحِ

ثم إن مرة بن ذهل دعا قومه إلى نصرته فأجابوه وشحذوا السيوف وقوموا الرماح وجعلوا الأسنة وتهيئوا للرحلة إلى جماعة قومهم وكان همام بن مرة وهو أخو جساس ومهلهل بن ربيعة وهو أخو كليب قد تصادقا وتآخيا وتعاهدا أن لا يكتم أحدهما صاحبه من أمره شيئا فاتفق أنهما كانا ساعة قتل كليب يشربان فبعث جساس إلى همام جارية له تخبره الخبر فانتهت إليه الجارية وأسرت إليه بالخبر فقال له مهلهل ما أسرت إليك الجارية فجمجم عليه فذكره العهد الذي بينهما فقال أخي جساس قتل كليبا فقال مهلهل است أخيك أضيق من ذلك وسكت همام وأقبلا على شربهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الحذر فلم تلبث الخمر أن صرعت مهلهلا فانسل همام وأتى قومه وقد قوضوا الخيام وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا فرجع كل منهم وفشا مقتل كليب وأفاق مهلهل فسمع الخبر والتفت عليه وجوه تغلب بخيلها ورجلها ومهلهل هذا اسمه عدي بن ربيعة ولقب مهلهلا لأنه أول من هلهل نسج الشعر أي رققه وحسنه وهو أول من قصد القصائد وقال فيها الغزل وعني بالنسيب من شعره وهو خال امرئ القيس ابن حجر الكندي ومنه ورث إجادة الشعر وكان أيضا كثير المحادثة للنساء حتى كان أخوه كليب يسميه زير النساء والزير هو الكثير من محادثة النساء ويكثر زيارتهن والزائر لهن فقال بعد مقتل كليب والحرب بينهم

* *

فَلَوْ نُبِشَ المَقابِرُ عن كُلَيْبٍ * فَيُخْبَرَ بالذَّنائِبِ أَيُّ زِيرِ

بِيَوْمِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقَرَّ عَيْنًا * وكَيْفَ لِقاءُ مَنْ تَحْتَ القُبُورِ

ولما اجتمعت عليه بنو تغلب قال لا تعجلوا على قومكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط منكم من أشرافهم حتى أتوا مرة بن ذهل وهو في ناد من قومه فقالوا له إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة وقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وإنا نعرض عليكم خلالا أربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع إما أن تحيي لنا كليبا

وأما ان تزوع الينا جساسا فنقتله به فانه لم يقصر من قتل قاتله وأما
ان تزوع الينا هماما فنقتله وكان اشرف بني مرة. وأما ان تقيدنا من نفسك
فان ربيعة وفات كريمه بسكت مرة. وقد حضرت وجوه بكر بن وائل فقالوا له تكلم
غير مخذول فقال اما احياء كليبا فلست بقادر عليه وأما جساس فغلام حدث
كعر كعنة على فرس وركب فرسه فلم ادر اي ارض قصد وأما همام فانه ابو عشرة
واخو عشرة وعم عشرة. وكلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره وأما انا
فهل تزيد الخيل على ان تجول جولة فأكون اول قتيل فما اتعجل من الموت ولكن لكم عندي
خصلتان اما احداهما فهؤلاء بنيّ الباقون فعلقوا ايهم شئتم بنسعة في رقبته
فاقتلوه بصاحبكم وأما الاخرى فاني ادفع اليكم الف ناقة سود الحدق وحمر
الوبر فغضب القوم وقالوا انا لم ناتك لترذل لنا بنيك ولا لتسومنا
اللبن فتفرقوا ووقعت بينهم حرب البسوس المشهورة التي دامت بين بكر وتغلب
اربعين سنة وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بنحو مائة سنة
ولما رجع القوم الى مهلهل واخبروه بما رد عليهم مرة جز شعره وقصر ثوبه وهجر
النساء وترك الغزل وحرم الشراب والقمار وشمر لحرب بني بكر وكانت بينهم
وقائع يطول ذكرها اعظمها خمس يوم عنيزة ويوم واردات ويوم العصيبات
ويوم قضة ويسمى يوم التحالق ويوم قتل جساس ثم بعد جساس فلاء والاق الحي
وقد اسرفوا على التفاني. واختلف في مقتل جساس فقيل ان بني تغلب لما كلبوه اشد
الكلب فقال له ابوه مرة الحق باخوالك بالشام فامتنع فالح عليه وسيره سرا
في خمسة نفر وبلغ الخبر مهلهلا فندب له ابا نويرة التغلبي في ثلاثين فارسا
من شجعان قومه فساروا مجدين فادركوا جساسا فعطف عليهم وقاتلهم فقتل
ابا نويرة واصحابه حتى لم يبق منهم سوى رجلين واصيب جساس بجراحة مات
منها واصيب اصحابه معه فلم يسلم منهم سوى رجلين ايضا فعاد كل واحد من
السالمين الى اصحابه فلما سمع مرة بقتل ابنه جساس قال انما يحزنني ان لم يكن
يقتل منهم احدا فقيل له انه قتل بيده ابا نويرة رئيس القوم وقتل معه خمسة
عشر رجلا ما شركه احد منا في قتلهم وقتلنا نحن الباقين فقال ذلك مما يسكن
قلبي عن جساس. وقيل ان جساسا ءاخر من قتل في حرب البسوس وكان سبب قتله

ان اخته جليلة كانت تحت كليب كما قلنا فلما قتل كليب عادت الى قومها وهي حامل
ونشبت الحرب وكان من الامر بينهم ما كان ثم عادوا الى الموادة فولدت جليلة غلاما
فسمته هجرس بن كليب ورباه خاله جساس وكان لا يعرف ابا غيره وزوجه ابنته
فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام فقال له البكري ما انت بمنته حتى نلحقك بابيك
فامسك عنه ودخل على امه كئيبا فسالته فاخبرها الخبر فلما اوى الى فراشه ونام
الى جنب زوجته وضع انفه بين ثدييها وتنفس تنفسة نفخ ما بين ثدييها من حرارتها فقامت
الجارية فزعة ودخلت على ابيها فاخبرته الخبر فقال ثائر ورب الكعبة وبات جساس
على مثل الرضف حتى اذا اصبح دعا هجرس بن كليب فقال له انما انت ولدي وانت مني
بالمكان الذي تعلم وقد زوجتك ابنتي وكانت الحرب بيننا وبين قومك في ابيك
زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رايت ان تدخل فيما
دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق معي حتى ناخذ عليك مثل ما اخذ علينا وعلى
قومك فقال هجرس انا فاعل ولكن مثلي لا ياتي قومه الا بلامته فحمله جساس
على فرس واعطاه لامة ودرعا فخرجا حتى اتيا جماعة قومهما فقص عليهم جساس
ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية ثم قال وهذا الفتى ابن اختي
قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد اخذ هجرس بوسط
رمحه ثم قال وفرسي واذنيه ورمحي ونصليه وسيفي وغراريه لا يترك الرجل
قاتل ابيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه فكان اخر قتيل
في بكر بن وائل فقال البراذين تيم وائل الكبر وقد كان الحارث بن عباد فارس بكر ورئيسها
وقيل له فارس النعامة وهي فرسه وكان قد اعتزل حرب البسوس وقال هذه ناقة
لي فيها ولا جمل فارسلها مثلا فقيل له ان مهلهلا قد كاد يفني قومك فارسل
الى مهلهل ابنه بجيرا وقيل هو ابن اخته وقال قل لمهلهل ابي او خالي يقرئك السلام
ويقول لك قد علمت اني اعتزلت قومي وخليتك واياهم وقد ادركت وترك وقتلت
قومك فانشدك البقية منهم فاتى بجير حتى وقف على مهلهل وهو في نادي قومه
فقال له خالي يقرئك السلام فقال له مهلهل ومن خالك يا غلام وهم بقتله فاتح
فقال له امرؤ القيس بن ابان التغلبي مهلا يا مهلهل فان اهل بيت هذا قد اعتزلوا
حربنا ولم يدخلوا في شيء مما نكره والله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسال

عن خالد ويروى عن خاله بالمهملة وكان من فرسان العدا فقتل بعد امرؤ القيس
المذكور فقتله الحارث بن عباد بيوم قضة فلم يلتفت مهلهل الى قوله وشن عليهم
هجمة هلكته بالدرع وقال بؤ بشسع نعل كليب فقال الغلام ان رضيت بهذا
بنو تغلب رضيت فلما بلغ الحارث بن عباد مقتل بجير قال نعم القتيل قتيلا اصلح
بين بكر وتغلب وباء بدم كليب فقيل له ان مهلهلا لما قتله قال بؤ بشسع نعل
كليب فلم يصدق وارسل الى مهلهل يقول ان كنت قتلت ابني بكليب فقد رضيت فقال
مهلهل انما قتلته بشسع نعله فعندها غضب الحارث ونادى في قومه بالرحيل وانشا
يقول قربا مربط النعامة مني * لقحت حرب وائل عن حيال

قربا مربط النعامة مني * ان بيع الكرام بالشسع غالي
قربا مربط النعامة مني * لبكاء الشيوخ والاطفال
قربا مربط النعامة مني * لحنين النساء واي عوال
قربا مربط النعامة مني * شاب راسي وانكرتني رجالي
قربا مقاد فرس بابي بجلال * عن بساتين يبتدر وثب السعالي
لا بجير اغنى قتيلا ولا رهط * كليب تزاجروا عن ضلال
لم اكن من جناتها علم الله * واني بحرها اليوم صال

والنعامة فرسه وهذا الشعر من قصيدة له تشتمل على نحو مائة بيت كرر منها
قربا مربط النعامة مني في نحو خمسين بيتا منها قاله ابن بدرون ثم نهض بحرب
تغلب فالح عليهم حتى اباد ربيعة وفر مهلهل حتى ملك غريب الدار وكان اول يوم
شهده الحارث بن عباد من ايامهم يوم قضة فلم تقم لبني تغلب بعده راية وكانت
الغلبة قبل ذلك انما تكون لهم حتى اشرف مهلهل بقتل بجير فانعكس الامر عليهم
وفي ذلك يقول ابن الانباري في كتاب العلادم والبلاغم *

لا تحرج الخصم في امر احد جميع ما تكرهه من حاجه
ان مهلهلا اذ تعدى الحدا وجاء في قتل بجير لدا
واخرج الحارث لا في شرا وعم من اقرانه فاجرا

ثم ان مهلهلا لما سئم الحرب قال لقومه قد رايت ان تبقوا على انفسكم وقومكم
فانهم يبشرون صلاحكم وقد اتت على حربكم اربعون سنة وما لمتكم على ما كان

من كليبكم بوتركم فلو مرقت مثل السنور في رقاعية عيش لكانت تمل أن من كثر لها وبكيه وقرحى الحيارى وثكلت الأمهات ويتم الأولاد ونائحة لا تزال تصرخ ودموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن وسيوف مشهورة ورماح مشرعة وإن النفوس ستبق حقود إليكم غدا بمودة منهم ومن أصيبت فلما إذا فما تكذيب نفسي أن أقيم فيكم ولا أستطيع أن أنكر أني قاتل كليب وأنا سائر إلى اليمن وفعل وفارقهم ثم سار إلى اليمن ونزل في جنب وهم حي من مذحج فخطبوا إليه ابنته فمنعهم فأجبروه على إنكاحها وساقوا إليه صداقها جلودا من أدم فقال في ذلك

أعزز على تغلب بما لقيت * أخت بني الأكرمين من جشم
أنكحها فقدها الأراقم في * جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبانين جاء يخطبها * ضرج ما أنف خاطب بدم

الأراقم بكر من جشم تغلب يعني حيث بعدت الأراقم ومن عشيرتها تزوجها رجل من جنب بأديم وقوله بأبانين تثنية أبان وهما جبلان أبان الأسود وأبان الأبيض واحدهما هو المذكور في قول امرئ القيس

كأن أبانا في أفانين ودقه * كبير أناس في بجاد مزمل

ثم إن مهلهلا عاد إلى ديار قومه فلقيه عمرو بن مالك بن ضبيعة البكري بنواحي هجر فأخذه أسيرا وأحسن إساره فمر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر وكان حريفا لمهلهل فأهدى إليه وهو أسير زقا من خمر فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا بكرا وشربوا عند مهلهل في بيته وقد أفرد له عمرو بيتا يكون فيه فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب فسمع ذلك عمرو بن مالك فقال إنه لريان والله لا يشرب عندي ماء حتى يرد زبيب يعني جملا كان له وكان زبيبا وأن الرماس من أجواد هجر فبر عنى بها ولا يرد إلا خمسا فأكثر في حمارة القيظ فطلب ركبان بني مالك زبيبا وهم حراص على أن لا يهلك مهلهل فلم يقدروا عليه حتى هلك مهلهل عطشا وكانت ابنة خال مهلهل وهي ابنة المجلل التغلبي زوجته فأرادت أن تأتيه وهو أسير فقال يذكرها

طفلة ما ابنة المجلل بيضا * ء لعوب لذيذة في العناق
فاذهبي ما إليك غير بعيد * لا يؤاتي العناق من في الوثاق

ضربت حرزها التي وقالت يا عمرو يا للغر وفتية الا وافي

فلما بلغها ما صنع بيه ثم تابته حتى ماتت وقد ذكروا في موت مهلهل وجها آخر وهو انه كان فراسا وخرف وكان له عبدان يخدمانه فملا منه فخرجا به يريدان سفرا فلما كانا به في بعض الفلوات عزما على قتله فلما عرف ذلك كتب على قتب الرحل وقيل اوصاهما بذلك

له *

من مبلغ الحيين ان مهلهلا لله دركما ودر ابيكما

ثم قتلاه وعادا الى اهله وبنيه فقالا ان سيدنا قد هلك وانشدا هذا الشعر فبكى بعضهم ولده وقال ما كان مهلهل ليقول هذا الشعر الذي لا معنى له وانما اراده

من مبلغ الحيين ان مهلهلا امسى قتيلا بالفلاة مجدلا
لله دركما ودر ابيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فحبسوا العبدين وقرروهما فاقرا بقتله فقتلا به والقول الاول اصح والله تعالى اعلم

لا يبرح منها وان تحصنت بالأبلق الفرد ويا لخورنق
ويبرح منها وان عذت في ذيل الحسام والسنان الأزرق

اللغة قوله لا يبرح منها اي لا براز ولا محالة وبه يستعمل الا مقرونا باداة النفي ويقال البرح بالضم العرض قوله وان تحصنت التحصن التحرز والامتناع بالحصن وهو بالكسر كل موضع حصين لا يقدر عليه لارتفاعه والابلق الفرد والخورنق يأتي ذكرهما قوله وان عذت في ذيل الحسام اصل الذيل ان يكون للثوب يقال ذال الثوب ذيلا اذا طال حتى مس الارض ثم اطلق على طرف الثوب الذي يلي الارض وان لم يمسها تسمية له بالمصدر ثم توسع فيه حتى اطلق على طرف كل شيء والحسام السيف القاطع من حسمت الشيء فانحسم قطعته فانقطع وحسمت العرق قطعته ثم كويته بالنار لئلا يسيل دمه وقولهم حسما للباب اي قطعا للوقوع فيه قطعا كليا وقوله تعالى وثمانية ايام حسوما اي لا فيها حسمت كل خير واستاصلت كل بركة قوله والسنان الازرق سنان الرمح نصله اي حديدته التي تركب في راسه وجمعه اسنة والازرق الشديد الصفاء قال ابن السكيت نصل ازرق وبين الزرق اذا كان شديد الصفاء ويقال للماء الصافي ازرق قال امرؤ القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ** ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والعرب تصف الحديد الصافي بالزرقة كما تصفه بالخضرة ومنه كتيبة خضراء لما يعلوها من سواد الحديد وقال أبو الطيب في وصف السيف

يلقاك مرتديا بأحمر من دم ** ذهبت بخضرته الطلى والأكبد

البيان في كلام الناظم الكناية وذلك أنه كنى عن كثرة الحرس بعثور بذيله بقوله وإن عثرنا في ذيل لأن ذلك لا يكون في العادة إلا من كثرتهم وقعودهم بكل من حضر وكأنه يقول لا بد من أن نعوج عليهما في أعراقهما ولو كثر الحرس حولهما وهما حتى أني لا أخشى أن أراهم ولا أهاب أن أمر على أسلحتهم والله أعلم ومما ذكره الناظم قول توبة بن الحمير

ولقد أراني لليلى في ذرى متمنع ** بحيث لا تبعث علي نفورها

أيذهب ريعان الشباب ولم أزر ** غرائر في دهماء بيضا نحورها

وقال ابن خفاجة ومنه أخذ الناظم

وجئت ديار الحي والليل مشرف ** مخيم ثوب الأفق بالأنجم الزهر

أشيم بها برق الحديد وربما ** عثرت بأطراف الردينية السمر

وفي كلام الناظم من البديع المعنوي المسمى بالتكرار وهو تفريع

ذكر الأبلق الفرد والخورنق وما يتعلق بهما

أما الأبلق فهو حصن السموأل بتيماء وسمي أبلق لأنه في بادية تبوك من أعمال الحجاز وادع به الإنسان من حجر أبيض وتكون على نشز تصعد كثير الشعاع وهذا الحصن هو الذي يضرب به المثل في العز فيقال أعز من الأبلق الفرد ومثله حصن آخر كان للملك بدومة الجندل يقال له مارد وغزتهما الزباء فعجزت عنهما فقالت تمرد مارد وعز الأبلق فذهبت مثلا واختلف فيمن بنى الأبلق الفرد فقيل بناه نبي الله سليمان عليه السلام وفي ذلك يقول الأعشى

أرى عاديا لم يمنع الموت ماله ** وورد بتيماء اليهودي أبلق

بناه سليمان بن داود حقبة ** له أزج صم وطي موثق

يوازي كبيرات السماء ودونه ** بلاط وداراة وكلس وخندق

وإنما قال أزج صم كما يقال دار بلاقع وبرمة أعشار وثوب أسمال وقيل بناه

عادِيًا اليهودي وهو السموأل الذي اشتهر بالوفاء وعُرف بهذا الحصن وهذا هو
الصحيح لأنه توارثه عن آبائه وفي ذلك يقول

بنى لي عاديا حصنا حصينا ... وماءً كلما شئت استقيت

قال الخفاجي قال ابن قتيبة أحبت العرب أن تشارك العجم في البنيان وتنفرد بالشعر فبنوا غمدان وكعبة نجران وحصن مارد والأبلق الفرد وغيرها من البنيان وكان حصن مارد مبنيا بحجارة سود وكان الأبلق الفرد مبنيا بحجارة سود وبيض والأبلق في لسان العرب ما فيه سواد وبياض وقيل إنما قيل له الأبلق لأنه بني بالحجارة المختلفة والكلس أيضا وقيل لأنه كان يرى به من بعد لون الحجارة وبياض الكلس فقيل له أبلق وسياق خبر السموأل مستوفى في محله إن شاء الله وقد اتفق لي التمثل بالأبلق الفرد في أبيات من قصيدة قلتها في بعض كبراء العصر وهي

أأقصد غيره للذي لا يرى له ... مقاما وقد بان عيّ فاه ولا عيي
وأترك من قد أكبر الأبلق ذكره ... وكان له أن حل في معالي الشعر
يحل من إذا جار زنده وكل نبي ... من الحي فرا مستبيت في الأبلق الفرد

وأما الخورنق فهو قصر قديم كان بظاهر الحيرة التي كانت دار ملك اللخميين من آل المنذر وبينها وبين الكوفة نحو ثلاثة أميال ولفظ الخورنق فارسي معرب وأصله خورنكاه فقال ابن قتيبة وتفسيره الموضع الذي يأكل فيه الملك ويشرب وكان الذي بناه هو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس ابن عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ملك الحيرة من قبل الأكاسرة فأما عمرو بن عدي المذكور في هذا النسب فهو ابن أخت جذيمة الذي تقدم ذكره في خبر الزباء وأما امرؤ القيس ابنه فهو الأول منهم وهو أول من تنصر من ملوك اللخميين وكان يقال له البدء بشكور الزمان وعناه الأول في الرياسة وأما امرؤ القيس الثاني فهو الأشعل فهو الذي يلقب بالمحرق لكونه أول من عاقب بالنار وقيل لعمرو بن هند المحرق وأما ابنه النعمان فهو باني الخورنق كما قلنا ويقال له النعمان الأكبر ويعرف بالأعور وبابن الشقيقة وهي أمه امرأة من شيبان وإنما حققت هذا لأنه موضع فيه الغلط كثير للاشتباه مع تكرار الأسماء في عمود النسب وكان السبب في بنائه الخورنق أن يزدجرد الأثيم بن سابور ذي الأكتاف أمر ملوك الحيرة السياسا يغ

لما ولد له ابنه بهرام جور اخبره منجموه بنقلته الى بلاد دون وسعادة جده وعظيم شأنه
وصيرة الملك اليه بغير محنة وشدة وطول اغتراب وانه ينشأ بين امة نائية
ذات همم عالية واحساب زاكية ونفوس ابية وانه يتيمنا وان ملكه من قبل
كبرائهم فأجال يزدجرد فكره في حضانة اهل الامم ومزايا اخلاقهم فرأى ان العرب ازكى الامم
بتلك الاخلاق وانتهى وحقق له التجربة ووقع اختياره عليهم فاستدعى النعمان بن
امرئ القيس في جماعة وافرة من رؤساء العرب وسادتها وكلمهم وبحثهم واختبرهم
فلم ير بدا من تقليد النعمان عليهم فانعم اليه بذلك فتوجه وملكه على العرب
وسلم اليه ابنه بهرام جور وجعل اليه حضانته وامره ان يتقدم به الى بلاده
فانطلق به النعمان واشترى له اربع نسوة حميريات صحيحات الجسوم ذكيات العقول سليمات
الاعمار وسنيات الاخلاق وامراتين من العرب وامراتين من الفرس فاجرى عليهن
ما يحتجن وقد احتفل بالحيرة فبنى له الخورنق فكان فيه من هنا لما اتفق عليه من طيب
هوائه وفضيلة مائه واحسن القيام على بهرام حتى كان من امره ما كان وكان
الذي تولى بناء الخورنق رجلا يقال له سنمار وهو الذي يضرب مثلا للمكافأة على
الاحسان وكان روميا من الاهل مشهورا باتخاذ المصانع والقصور وبناء القصور
للملوك فبنى هذا القصر في مدة عشرين سنة كان يبني مدة ويغيب مدة ليتمكن
البنيان فلما فرغ منه وصعد عليه النعمان ومن معه ورأى البر والبحر ورأى صيد
الظباء والضباب ومن الحيتان ومن الكمء وسمع اصوات الملاحين في الشط
وغناء الجواري في القصر اعجبه حسن البناء وطيب موضعه فقال سنمار عند
ذلك متعجبا فاليه باعجب وحسن الصنعة لو علمت انكم توفونني اجرتي وتصنعون
بي ما استحقه لبنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت فقال النعمان وانك
لتبني ما هو افضل منه ولم تبنه ثم امر به فطرح من اعلى الجوسق وفي بعض الروايات
انه قال له اني لاعرف في هذا القصر ذكر من اركانه موضع حجر لو زال لتداعى
القصر اجمع فقال له اما والعهد لا تدل عليه احدا ابدا ثم رمى به من اعلى القصر
فقالت الشعراء في ذلك اشعارا كثيرة فمنها قول سليط بن سعير

جزى بنوه ابا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار

وقال عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي وكان اهدى الى الحرث بن مارية الغساني

اثراً حسناً واثنى عليه وكان جميلاً بهياً فاعجب به واختصه وكان المهلب ابن
مستتراً في بني عبدود بن كنانة من كلب فنهشته حية فكتب الى خالد انهم اغتالوه
فقال العنبري العذري جئت بها ولكن القوم فقال انهم قوم اخوان البشر في عليهم فضل
في نسب ولا حسب فقال انا نتهم بعضهم ان لا تفعلوا فعلتم فقال له رجل منا مرحبا بك
اقرحا له دونه عقابك وحجا ابنيه شراحيل وعبد الحرث فكتب معهما الى قومه

جزى الله جزاء الله شر جزائه — جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة — يعلي عليه بالقراميد والسكب
فلما رأى البنيان تم سموقه — وآض كمثل الطود والباذخ الصعب
وظن سنمار به كل حبوة — وفاز لديه بالكرامة والقرب
رمى بسنمار على ام راسه — وذاك لعمر الله من اعظم الذنب

قيل ان النعمان جلس يوما في مجلسه من الخورنق فاشرف على النجف وما يليه من البساتين والانهار في يوم من ايام الربيع فاعجبه ذلك فقال لوزيره هل رأيت مثل هذا المنظر قط قال لا لو كان يدوم قال فما الذي يدوم قال ما عند الله في الآخرة قال فيم ينال ذلك قال بترك الدنيا وعبادة الله فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح وخرج فارا بنفسه ولم يوقف له بعد على خبر وكان من اول ملكه الى وقتنا هذا نحو ثلاثمائة سنة وكان دين النصرانية قد شاع يومئذ في ابنه بلاد وكثرت الرهبانية في اهله ودخل فيه لذلك حتى ترهب فيمن ترهب والله لا يضيع اجر من احسن عملا وفي الاغاني عن خالد بن صفوان بن الاهتم التميمي المشهور قال اوفدني يوسف بن عمر على هشام بن عبد الملك في وفد اهل العراق قال فقدمت عليه وقد خرج متبديا في اهله وحشمه وغاشيته وجلسائه فنزل بارض قاع صحصح : منيف افيح : في عام قد بكر وسميه : وتتابع وليه : واخذت الارض فيه زينتها : على اختلاف الوانها : من نور ربيع مونق فهو في احسن منظر : واحسن مختبر : بصعيد كان ترابه قطع الكافور : قال وقد ضرب له سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر قد صنعه له باليمن فيه فسطاط فيه اربعة افرشة من خز احمر مثلها مرافقها وعليه دراعة من خز احمر مثلها عمامتها وقد اخذ الناس مجالسهم قال فاخرجت راسي من ناحية السماط فنظر الي شبه المستنطق فقلت اتم الله

عليك يا أمير المؤمنين نعمه وسوغكها بشكرك وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشدا :
وعاقبة ما تؤول إليه حمدا : وأخلصه لك بالتقوى وكثره لك بالنماء : ولا كدر عليك
منه ما صفا : ولا خالط سرورك الردى فقد أصبحت للمؤمنين ثقة ومستراحا :
إذ يفزعون في أمورهم : وإليك يفزعون في نكباتهم : وما أجد يا أمير المؤمنين
جعلني الله فداك شيئا هو أبلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك لما من الله عز وجل
علي به من مجالستك والنظر إلى وجهك من أن أذكرك نعم الله عليك وأنبهك لشكرها
وما أجد يا أمير المؤمنين في ذلك شيئا هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك
فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته به فاستوى جالسا وكان متكئا ثم قال هات
يا ابن الأهتم قال فقلت يا أمير المؤمنين إن ملكا من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامنا
هذا إلى الخورنق والسدير في عام قد بكر وسميه : وتتابع وليه : وأخذت الأرض فيه
زينتها : من نور ربيع مونق فهو في أحسن منظر : وأطيب مخبر : بصعيد كأن ترابه
قطع الكافور : حتى لو أن قطعة ألقيت فيه لم تترب وكان قد أعطي بسطة
اليسر مع الكثرة والغلبة والقهر فنظر فأبعد النظر ثم قال لجلسائه لمن مثل
هذا هل رأيتم مثل ما أنا فيه لأحد ومثل ما أعطيت أحدا مثل ما أعطيت قال وعنده
رجل من بقايا حملة الحجة والمضي على أدب الحق ومنهاجه قال ولن تخلو الأرض
من قائم لله بحجة في عباده فقال أيها الملك إنك سألت عن أمر أفتأذن لي بالجواب
عنه قال نعم قال أرأيت هذا الذي أنت فيه أشيء لم تزل فيه أم شيء صار إليك
ميراثا وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك قال كذلك هو قال فلا
أراك إلا أعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلا وتغيب عنه طويلا وتكون غدا
بحسابه مرتهنا قال ويحك فأين المهرب وأين المطلب قال إما أن تقيم في ملكك فتعمل
فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرك وأمضك وأرمضك وإما أن تضع تاجك وتخلع
أطمارك وتلبس أمساحك وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك قال فإذا
كان السحر فاقرع علي بابي فإني مختار أحد الرأيين فإن اخترت ما أنا فيه كنت
وزيرا لا يعصى وإن اخترت فلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقا لا يخالف قال
فقرع عليه بابه عند السحر فإذا هو قد وضع تاجه وخلع أطماره ولبس
أمساحه وتهيأ للسياحة فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما قال خالد

ابن صفوان فبكى والله هشام حتى اخضل لحيته وبل عمامته وامر بنزع ابنيته ونقل قرابته واهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ولزم قصره فاقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا ما اردت الى امير المومنين افسدت عليه لذته ونغصت عليه مادبته فقال اليكم عني فاني عاهدت الله عز وجل ان لا اخلو بملك الا ذكرته الله تعالى وقرا لهم عدي بن زيد العبادي في رايته المشهورة بحادثة العظة وغيرها فقال

*

أرواح مودع أم بكور ... أنت فانظر لأي ذاك تصير
قال وتقول العداة أودى عدي ... وعدي بسخط رب أسير
أيها الشامت المعير بالدهر ... أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيام ... بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من ... ذا عليه من أن يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك انوشر ... وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم ... لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة ... تجبى إليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا ... فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك ... عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشرف ... يوما وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يملك ... والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة ... حي إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمة ... وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف ... فألوت به الصبا والدبور

وقال الأسود بن يعفر فيما يقرب من هذا المعنى

*

نام الخلي وما أحس رقادي ... والهم محتضر لدي وسادي
من غير ما سقم ولكن شفني ... هم أراه قد أصاب فؤادي
إن المنية والحتوف كلاهما ... يوفي المخارم يرقبان سوادي
ولقد علمت لو ان علمي نافعي ... إن السبيل سبيل ذي الأعواد

ماذا أؤمل بعد آل محرق — تركوا منازلهم وبعد إياد

أهل الخورنق والسدير وبارق — والقصر ذي الشرفات من سنداد

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم — ماء الفرات يجيء من أطواد

أرض تخيرها لطيب مقيلها — كعب بن مامة وابن أم دواد

جرت الرياح على محل ديارهم — فكأنما كانوا على ميعاد

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة — في ظل ملك ثابت الأوتاد

فإذا النعيم وكل ما يلهى به — يوما يصير إلى بلى ونفاد

عن الأصمعي قال تقدم رجل من أهل البصرة من بني دارم رهط الأسود بن يعفر الى القاضي سوار بن عبد الله ليقيم عنده شهادة فصادفه يتمثل ببعض الأبيات المذكورة ثم أقبل على الدارمي فقال له أما تروي هذا الشعر فقال لا قال أتعرف من يقوله قال لا قال رجل من قومك له نباهة وقدر فقال أحمقه لا ترويها ولا تعرف قائلها يا مزاحم أثبت شهادته عندي فإني متوقف عن قبوله حتى أسأل عنه فإني أظنه ضعيفا

ص

فيا كلفتي بالمنى من قربها * بالغت في صيانة العرض النقي

ذات بغيت مثل ما كنت فلا * زلت بغيض مضجعي ومصرعي

اللغة قوله فيا كلفتي بالمنى الكلف بالتحريك الولوع بالمطلوب وقد كلف به كفرح والكلفة ما تكلف به وكلفه تكليفا ورجل مكلف صاحب ذلك في الحرب وغيرها مما لا يمل والقدر الذي كلف به والمنى جمع منية بالضم ويكسر وهي ما يتمناه الانسان كالأمنية قيل مأخوذ من المنا بفتح الميم والشد وهو القدر لأن صاحبه يقدر حصوله قوله بالغت في صيانة في المبالغة في الشيء بذل المجهود فيه وقد بالغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد ولم يقصر والصيانة الحفظ وقد صانه صونا وصيانا وصيانة فالفاعل صائن والمفعول مصون على النقص قوله العرض النقي أما العرض فبالكسر وهو موضع المدح والذم من الانسان وقد يراد به النسب والحسب والدين وسائر ما يحمد الانسان فيه نفسه ويعيب وقيل رغبة النفس في انه يحامي من أن يشتم أو يعاب قوله فلا زلت بغيض البغض بالضم ضد الحب والبغضة بالكسر والبغضاء شدته وقد بغض الرجل بالضم بغاضة أي صار

بغيضا وبغّضه الله إليّ تبغيضا فأبغضته أي مقته وكرهته فأنا مُبغِض
بالكسر وهو مبغَض بالفتح والنسبة غير هذا الباب. فقوله مضجعي وهو في المصباح
كمقعد موضع الضجوع وهو وضع الجنب على الأرض لنوم ونحوه وقد ضجع كنفع
ضجعا وضجوعا فهو ضاجع كالضجيع والضجيع الذي يضاجعك في حالتك فعيل
بمعنى فعيل على حد النديم والجليس بمعنى المنادم والمجالس وقال حسن الضجعة بالكسر
أي حسن هيئة الضجوع كالجلسة والركبة. فقوله وهي في النمرق والنمرقة بضم النون
والراء وسادة صغيرة وقد تكسر وتفتح وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل
نمرقة وجمع النمارق نمارق وقوله تعالى ونمارق مصفوفة قال الكلبي وسائد مصفوف
بعضها إلى جانب بعض أينما أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند إلى أخرى والله
أعلم. **الإعراب والتصريف** فقوله فإن يقع في الفعال مما كعدة
وفيها معنى السببية وأن حرف شرط ونقع فعل الشرط مجزوم المحل وبالنفي يتعلق
به والفعل غريّا متكتب ياء وقوله من قد يعما بيان للمنى أي فالمنى الذي هو
من بها كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومن هذا تعرف أن معنى لا تفرد من إعراب
أن الجار والمجرور يكون بعد المعرفة حالا منها وقوله بالفتح في صيانة في جواب
الشرط والياء في صيانة منقلبة عن واو لانكسار ما قبلها كما في صيام وقيام
والنفي صفة للعرض وأصله نقيو كتكتيف وزنا ومعنى اجتمعت الواو والياء
وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء التي قبلها ثم
خففت لأجل القافية. فقوله وإن بقيت في جملة معطوفة على التي قبلها ومثل قد
كنت حال من ضمير الفاعل وما موصول حرفي تشتمل مع ما دخلت عليه بمصدر أي مثل
كونك في حالتك الأولى ويحتمل أن تكون موصولة اسمية بتقدير مضاف أي مثل
الكون الذي كنته ونظيره من قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا وقول ابن مقبل العجلي

يا ليت من يمنع المعروف يمنعه ... حتى يذوق رجال مثل ما صنعوا
وليت رزق رجال مثل نائلهم ... قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا

فقوله فلا زلت جملة في محل جزم جواب الشرط لاقترانها بالفاء وكان مقتضى
الكلام أن يقول فلن تزال لأن المراد الإخبار عما يصير إليه حاله في المستقبل
لكنه أبرزه في صورة الدعاء لأنه أبلغ في الدلالة على هذا المراد كما ستقف عليه

منقلبة

واما

وانما قلنا انه ذو دعاء لأمرين احدهما انه قرنه بالفاء ثانيهما انه لم يكرره
لامر آخر وهو ان النفي عن الفعل إذا كان ماضيا لفظا ومعنى وقد دخلت عليه
لا النافية وجب تكرارها كقوله تعالى فلا صدّق ولا صلّى كما ان النفي عنه ايضا ان
جوابا لشرط اذا كان دعاء لا منفيا بلا استغنى عن الثناء وقد اجتمع الامران في قول الحطيئة

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا * وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعمى عليهم جزوا بها * وان انعموا لا كدروها ولا كدّوا

انشا ميزه في عجز البيت الثاني ولما قرن الناظم الجواب بالفاء ولم يكرره عليه
مثله علمنا انه قصد به الدعاء وقد صرح ابن هشام في المغني بان المسوغ لعدم
تكرارها في قول ذي الرمة * ولا زال منهلا بجرعائك القطر * انما هو قصد
الدعاء وقوله بغيض مضيعي اي مبغضه ومضيعه ثم حوّل عن اسم فاعل الى فعيل كنذير من انذر
وسميع من اسمع قال عمرو بن معدي كرب

امن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني واصحابي هجوع

البيان في قوله العز ذل النفي استعارة تصريحية فان الاستعارة التحقيقية انما
تكون في الشيء المحسوس كالثوب ونحوه فاما استعمالها في العرض الذي هو معنى من
المعاني فهو استعارة واراد بها البراءة مما يشين ويعيب كما قالوا في فلان عرض
دنس اذا كان معيبا ونقيضه قال بعضهم في بخيل

خوان للطعام يلوح فيه * وعرض مثل منديل الخوان

واراد الناظم رحمه الله بصيانة العرض نفيه عن الارتباط بالعقاب عند تمكنه
من المحبوبة والخلوة بها وانه يقتصر من زيارتها على الفكاهة تارة والشكوى اخرى
ونحو ذلك مما يجري بين المحبين امثال العذرة وطهارة الذيل ومثله كانت عادة الكثير
من عشاق العرب حسبما هو مذكور في اخبارهم قال توبة بن الحمير

عليّ دماء البدن ان كان بعلها * يرى لي ذنبا غير اني ازورها
واني اذا ما زرتها قلت يا اسلمي * فهل كان في قولي اسلمي ما يضيرها

روي ان ليلى الاخيلية وهي المقصودة بهذا الشعر وفدت على الحجاج بعدما
كبرت واسنت فاكرمها الحجاج وزاد نعامها وقال في جملة ما قال لها يا ليلى ان شبابك
قد ذهب واضمحل امرك وامر توبة فاقسم عليك الا ما صدقتني هل كانت بينكما

ريبة قط أو خنا كان في ذلك قط قالت لا والله إنه الأمين إلا أنه قال لي ليلة
وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع بها لبعض الأمر فقلت له

وفي حاجة قلنا له لا نبح بها * فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا الموت وعن أيوب بن عباية قال سعت أمة لبثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما إن جميلا عندها الليلة فأتياها مشتملين على سيفين فرأياه جالسا حجزة منها يحدثها ويشكو إليها بثه ثم قال لها يا بثينة أرأيت ودي إياك وشغفي بك ألا تجزينيه قالت بماذا قال بما يكون بين المتحابين فقالت له يا جميل أهذا تبغي والله لقد كنت عندي بعيدا منه ولئن عاودت تعريضا بريبة لا رأيت وجهي أبدا فضحك وقال والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه ولو علمت أنك تجيبينني إليه لعلمت أنك تحبين غيري ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي ولو أطاعتني نفسي لهجرتك هجرة الأبد أو ما سمعت قولي *

وإني لأرضى من بثينة بالذي * لو استيقن الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى * وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي * أواخره لا نلتقي وأوائله

قال فقال أبوها لأخيها قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها فانصرفا وتركاهما وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي قال بينا أنا في الشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال هل لك في جميل نعوده فإنه عليل فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه فنظر إلي وقال يا ابن سهل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا إله إلا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل قال أنا قلت له والله ما أحسبك أن سلمت وأنت تشبب منذ عشرين سنة ببثينة قال لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها لريبة فما برحنا حتى مات وقال محمد بن أحمد بن جعفر الأهوازي مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه فدخل عليه عباس بن سهل الساعدي وذكر القصة والله

أعلمهم بالهوى. وفي محاضرات الراغب قال الزبير كان الرجل إذا عشق جارية
وراسلها سنة رضي بأن يمضغ علكًا مضغته بعد اللقاء والآن يريد أن يشيل
رجليها كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة. وقريبه وفي المستطرف عن محمد بن
يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل إذا أحب الفتاة يطوف حول
دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار
واليوم يشير إليها وتشير إليه ويعدها وتعده فإذا التقيا لم يتشاكيا
حبا ولم ينشدا شعرا بل يقوم إليها ويجلس بين شعبها كأنه أشهد على نكاحها
أبا هريرة. ومما قيل من الشعر في العفاف قول إبراهيم بن محمد المهلبي

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني ... منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت به وحدي فيقنعني ... منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم ... وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا إتيان معصية ... لا خير في لذة من بعدها سقر

وقال غيره

فقالت بحق الله إلا أتيتنا ... إذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت وما في القوم يقظان غيرها ... وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه ... جميعا ولم أقلب لها كف لامس

وقال ابن ميادة

موانع لا يعطين حبة خردل ... وهن دوان في الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن في اللهو ريبة ... كما كرهت صوت اللجام الشوامس
بيض غرائر ما هممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا ... ويصدهن عن الخنا الإسلام

وقول الناظم رحمه الله فلا زلت بغيض مضجعي أراد به أنه لم ينل مراده من
وصل المحبوبة وهو الغرض منها على الوجه الذي ذكرنا لا يطيب له مضجع ولا يهنأ له
قرار وكانت العرب إذا كان لها مطلب أو ثار قبل تحصيله وهموا على السعي في تحصيله
حرموا النساء والخمر على أنفسهم حتى يدركوه وذلك مشهور عنهم مذكور في
أشعارهم وأخبارهم قال الأخطل

قوم اذا حاربوا شدّوا مآزرهم * دون النساء وإن باتت بأطهار

يكنى بالمآزر عن منع النفس بالرغبة على نفسه بأن لا يلابسه مضجع ولا يصحب له مضجع ومراده عدم غشيان النساء وتركهن بالغزو والله اعلم

وأشن كل غارة شعواء على * من يحميها في مذنب وقليب
وفي خميس من خيار يعرب * ذوي رماح وخيول شزب
من أسرتي بني ملوك يعصمهم * الأروع الميمون عمرو ومن يفي

(اللغة) قوله أشن كل غارة أي تفرق سننت الغارة على وجهها بالسين المهملة اذا ارسلتها ارسالا من غير تتابع فاذا صببته صبا قلت شننته بالمعجمة وكذا تقول في التراب ونحوه ومنه قولهم شن عليهم الغارة اذا فرقها عليهم من كل وجه قال مالك الأشتر النخعي

بقيت وفري وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافي بوجه عبوس
إن لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

وفي جعل الشن بالمهملة لما تفرق فيه وبالمعجمة لعكسه مناسبة بين اللفظ والمعنى كالنضح بالحاء المهملة والنضخ بالمعجمة فان الأول للرش والثاني للجريان وهو اكثر ومنه قوله تعالى فيهما عينان نضاختان وهذا من باب إمساس الالفاظ اشباه المعاني ومنه هو احد اقسام الجناس وهو الجناس المضارع لتقارب الحرفين في المخرج دون الأول ومنه القضم والخضم فان الأول لليابس كالحب ونحوه والثاني للفواكه الرطبة كالبطيخ ونحوه وفي المثل تبلغ الخضم بالقضم أي ان الشبعة قد تنال بالأكل باطراف الأسنان ومنه ايضا الفصم والقصم بالفاء والقاف وهو كثير في كلام العرب وتتبعه يطول والغارة الشعواء الفاشية التي تاتي من كل ناحية من قولهم شجرة شعواء اذا كانت منتشرة الأغصان قوله في مذنب وقليب أما المذنب بالكسر فقال في الكفاية الجماعة من الخيل تجمع للغارة وفي الصحاح ما بين الثلاثين الى الاربعين واما القليب ففي الكفاية ايضا الكتيبة العظيمة وفي الصحاح الجيش قوله وفي خميس الخميس الجيش وسمي بذلك لأنه خمسة من المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة ويعرب ابو قبيلة وبانه خبره قوله من أسرتي أسرة الرجل بالضم رهطه ماخوذ من الأسر وهو الشد والتوثيق لأنه يتقوى بهم ويشتد عضده بهم قال جميل

أنا جميل في السلام من معشر * في الأسواق انمعراء والعيس الأشر

وقوله تعالى وسيرد نار الشربين إذ أحكمنا ربكم مقاصليهم بالأعقاب ومنه يا سيم لأنه يريكم بالإسفار ومنه الفجر قوله من شاعره ومن صفي الشاعر من الاشعار ما بين الجزمور الكب ومنه الزراع وأما الجزم كجلس وهم وهو موصل الزراع من العضد والله أعلم **الإعراب والتصريف** قوله أشر كل عادة شغلوا جملة مستأنفة استئنافا بيانيا فيا بانه تما دعا بار لا يزال بغيظ مفجعه كان قائلا قال له فما تصنع إذا قال أشر كل عادة وألف عادة منقلبة عن واو وقوله شغلوا نعت لها وقصره ضرورة وقوله على من يحيهما متعلق بأشر ومن موصولة وجملة يحيهما صلتها وكان من حقه أن يقول يحيهما بالياء بعد الميم لأنه مرفوع لكنه اكتفى بالكسرة عن الياء وهي لغة هذيل قال الفراء سمعت العرب تقول لا أدر ولعمر وأنشد ابن الأنباري وغيره لأبي خراش الهذلي

ولا أدر من ألقى عليه رداءه * سوى أنه قد سل عن ماجد محض وقال

آخر ليس تخفى يسارتي قدر يوم * ولقد تخف شيمتي إعساري وقال

آخر كفاك كف ما تليق درهما * جودا وأخرى تعط بالسيف الدما

قال ابن الأنباري وهي لغة مشهورة عندهم في عاشهم إليها رغبة الاختصار والإيجاز إذ كانت الكسرة من قبل الياء تجزئ عنها في الدلالة عليها ومؤدية عنها قلت وقد قرئ بذلك في مواضع كثيرة من قراءة أهل القرآن ومع ذلك فلا أرى للناظم رحمه الله شاهدا فيه لأن جميع ما استشهدوا به واقع في آخر الكلمة لم يتصل به شيء ومثنا فيه اتصل بالفعل ضمير المفعول وتحصنت به الياء ومعلوم أنهم يحذفون الأطراف أحكاما ما به يحذفونها الأوساط من أجل أن الأطراف معرضة للزوال فكانت تعتريها وحولها كثيرا من التغيير قوله في مغنب ونبيلو حال من فاعل أشر ولا يصح أن يكون حالا من فاعل يحيهما لأن عطف ما بعده عليه يمنع من ذلك قوله من حيا دبيغ ما بيان لخميس وذو رماح نعت لخيار لأن إضافته إلى ربيع غير محضة وقوله شبو نعت لخيول وهو بضمتين جمع شبوب وهو لغة في شابوب كصبور وغفور وغفر تقول في جمعهما صبر وغفر وقد قال كرقة *

ثم زادوا أنهم في قومهم * غفر ذنبهم غير فخر — وقال أيضا
نمسك الخيل على مكروهها * حين لا يمسكها الا الصبر *
وقال سعد بن معاذ للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر إنا لصبر في الحرب
صدق في اللقاء فقوله من اسرتي بيان لحيا ربيعة ولا يحسن ان يكون بدلا منه من
حيث المعنى لأن المبدل منه في نية الطرح وما جيء به للثناء والمدح لا يكون كذلك
وقوله بني ملوح حال من اسرتي فقوله في الروع في جملة معطوفة على جملة اشم
وفي اللقاء معنى السببية وفي قوله الروع في تشبيه بأنه مستعار للحرب والعشيم
مسموع الكلمة عند ربها متبوع العقب منها والاختصاص بالعشيرة والتغني بما من
شأن العرب وذلك موجود في أشعارهم لا يكاد يفي وفي التنزيل في صواحب جمل
فليدع ناديه سندع الزبانية وإنما ضرب بهما عن الشاعر والمرمى لأنه لأشد
الروع للإنسان من صدر المتصل به وقد قال الحريري عن ابي زيد وقد تفرع إلى
النفاة يشكون وجده مع اتخذ الروع لما من بيننا نعا واحنى عليها من جناحنا وتقول
الحكماء البدن كله بجميع أعضائه آلة للنفس تصرفها في جلب ما ينفعها
ودفع ما يضرها فإذا كانت الأعضاء كلها آلة فمن الروع شيء في تصرفها
ولهذا المعنى أي لكنه في التشبيه بالشاعر والمرمى ومع غيرهما من الاعضاء
لأن الدال والمستعر من الصياد بمنزلة والشاذ من الارتعاد وقيل أبو الحسن ومن مثل
خرج من قرن الحماسة الى قبر الفخر والله الموفق *

* ذكر يعرب بن قحطان وتحقيق أمره *

اعلم أن أمة العرب تنحصر في ثلاث طبقات إرم وقحطان وعدنان فأما
إرم فهم أبناء سام بن نوح عليه السلام وتحته شعوب شتى منهم عاد بن عوص
ابن إرم وعبيل بن عوص بن إرم وثمود بن كاثر بن إرم وجديس بن كاثر بن إرم وطسم
ابن لاوذ بن إرم وعمليق بن لاوذ بن إرم وغيرهم وقيل إن لاوذ من أبناء سام
لصلبه ومتى قالوا فيقال لهم العرب العاربة أي الذين انبعثت ألسنتهم
بالعربية فأتوا بذلك من باب التوكيد بما يشتق من المؤكد كقولهم ليل أليل
وظل ظليل ويقال لهم أيضا البائدة لأنهم بادوا وانقرضوا في الزمن الأول
ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد وأما قحطان فمعروف في قول الأكثر أن ابن عابر

في المثل

ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وعابر هو هود عليه
السلام في قول جمهور النسابين من العرب ولذا يقال لقحطان بن هود فقال المتنبي
إن التمر ابتلوا بالذي لحيه له * من روع وقحطان بن هود له اهل
وانكر ان هودا عليه السلام من عرب إرم ثم من شعب عاد منهم بدليل قوله تعالى
والى عاد اخاهم هودا وقيل ان قحطان من ولد اسماعيل عليه السلام والاصح ما
قيل في نسبه انه قحطان بن الهميسع بن تيمن بن قيذار بن نبت بن اسماعيل عليه السلام
والقول الاول اصح وعمود نسب ابن عقب نوح عليه السلام مذكور في التوراة على
سبيل التفصيل ولما ذكر عابر بن شالخ لم يذكر له الا ولدين وهما فالغ ويقطان
ولم يذكر له ولدا اسمه قحطان واجيب بان يقطان هو قحطان الا ان العرب
عربته قال ابن خلدون والمحققون على ان يقطان هو قحطان الا ان العرب عربته هاكذا
وايضا فقد ذكر في موضع آخر من التوراة ان عابر قد ولد بنين وبنات سوى الولدين
المذكورين وايضا فقد ذكر ان حضرموت وسبا وغيرهما من قبائل اليمن من ولد
يقطان فصح انه قحطان اذ لا خلاف ان قحطان هو ابو اليمن كلهم ويقال لهم العرب
المتعربة وهم الذين دونوا اللسان وانزلوا بجزيرة العرب من بني ارم بن سام
وكان لهم بها دولة عظيمة وملك ضخم ومنهم التبابعة والاذواء والاقيال
وتفرع قحطان شعبان عظيمان وهما حمير وكهلان ومنهم ايضا جرهم الا انهم
انقرضوا بعد اسماعيل عليه السلام ولما تكلم ابن قتيبة في كتاب المعارف
على قحطان بن عابر قال قد نشأ وابنه يعرب بن قحطان اول من تكلم بالعربية ونزل
ارض اليمن فهو ابو اليمن كلهم وهو اول من حياه ولده بتحية الملك انعم صباحا
وابيت اللعن قال ومن ولد ارفخشذ ايضا يقطان بن عابر وهو ابو جرهم وجرهم
هو ابن عم يعرب وكان نشأ معهم من سكن اليمن وتكلم بالعربية ثم نزلوا مكة دون وقال
ابن سعيد جرهم امتان امة كانت على عهد عاد وامة من ولد جرهم بن قحطان قال
ومنهم الامة الثانية هم الذين بعث اليهم اسماعيل عليه السلام وتزوج فيهم
ه قال ابن هشام وكان يعرب يسمى اليمن وبه سميت اليمن بهذا قالنا فيهم رحمه الله
من عرب اليمن ثم من حمير منهم ببلدالك قال من اشرفني واما عدنان فقد اجمعوا
على انه من ولد اسماعيل عليه السلام وانما الخلاف فيما بين عدنان واسماعيل

من الآباء ممن فعلل إلى الأربعة ومن كثر إلى الأربعين وليس تتبع ذلك من غرضنا
وبنوه يقال لهم العرب المستعربة وتسمى الزبراوية ثم اللغة المحلاة الفصحى والعربية
الأفصح والملة الناسخة والدولة الراسخة بمحمد صلى الله عليه وسلم وأعظم
شعوب عدنان وأشهرها ربيعة ومضر ومن مضر تناسلت أجداد النبي صلى الله عليه
وسلم وبلغتهم نزل القرآن ونطقت السنة والآثار ويقال من العرب صبغة رابعة
يسميهم ابن خلدون العرب المستعجمة وعنى بهم عرب هذا الجيل الموجود بأكناف
المشرق والمغرب فلما كان لسانهم الذي نزل به القرآن ووقع به الإعجاز قد
استعجم وتغير إعرابه وإن كانت أصول مفرداته لا زالت على وضعها الأول استحقوا
أن يوصفوا بالعجمة وسميناهم المستعجمة ثم اعلم أنه ورد أن أول من تكلم بالعربية
إسماعيل رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ويقول الزبير بن بكار في كتاب
الأنساب له من حديث علي رضي الله عنه وروى الشيرازي في الألقاب بسنده
إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن أول من فتق الله لسانه بالعربية إسماعيل
عليه السلام وهو ابن أربع عشرة سنة وورد في أحاديث أخر كما في الصحيح
وغيره أن إسماعيل تعلم العربية من جرهم حين نشأ فيهم وأصهر إليهم وقال
جمهور الأخباريين أن يعرب بن قحطان هو أول من تكلم بالعربية وعليه اقتصر
في الصحاح وحكاه في القاموس بقيل وقال ابن دريد في كتاب الوشاح أول من تكلم
بالعربية يعرب بن قحطان ثم إسماعيل عليه السلام وقال الهمداني يعرب بن قحطان
أول من نطق بهذه العربية المحضة فقصر وميز ورفع ونصب وخفض وقال ما بلغ
واختصر ما أوجز وأشار إلى المعنى وحذف واشتق اسم العربية من اسمه وتكلم بلسانه
أبوه قحطان بن عابر وأخي عمر وإخوته وأولاد سام كافة ومنه أول من الحجر
والأحجار وصار بأرض نجد وشتا بسعد اليمن ونقل الكافة من رواة الأخبار
أن بني إرم من عاد وثمود والعماليق وغيرهم كانوا عربا وأنهم تكلموا بهذه العربية
وغيرها قبل جمهورة آل قحطان بها فقال الجوهري وعلّم الله لسان العربية عادا
وثمود وعبيل وطسم وجديس وأميم وعمليق وهم العرب العاربة وقال ابن خلدون
فذلك للعرب جيلا آخر ومن العرب العاربة ومنهم تعلم قحطان تلك اللغة العربية
ضرورة ولا يمكن أن يتكلم بها من ذات نفسه وقال في موضع آخر وثبت أن قحطان

كان يتكلم بالعربية وانه لغيرها من الاجيال قبله وكانت لغة بنيه ه‍ فهذه
الاحاديث والآثار متعارضة في الظاهر **والجواب** ان يقال اول من تكلم
بالعربية المحضة بالنسبة الى عربية ادم ونحوه ما قالوه في عربية اسماعيل
بالنسبة الى عربية جرهم **قال ابن حجر** في فتح الباري اولية اسماعيل عليه السلام
في العربية بحسب الزيادة في البيان لا الاولية المطلقة فيكون بعد تعلمه اصل
العربية من جرهم الهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها قال ويشهد
لهذا ما حكاه ابن هشام عن الشرقي بن قطامي ان عربية اسماعيل كانت افصح
من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم قال ويحتمل ان تكون اولية اسماعيل
في العربية بالنسبة الى بقية اخوته من ولد ابراهيم عليه السلام ه‍ فتكون عربية
ادم على هذا منحطة عن درجة الفصاحة والخلوص بكثير فلما جاء يعرب زاد في
فصاحتها وخلوصها بعض الشيء فلما جاء اسماعيل عليه السلام كمل خلوصها
ووصلت في الفصاحة والبلاغة الى حد لا تمكن الزيادة عليه فالعربية نوع
تحته ثلاثة اصناف عربية ادم وعربية قحطان وعربية عدنان وهي عربية
اسماعيل التي نزل بها القرآن فحيث قيل ان عادا وثمود والعماليق وسائر بني
ادم كانوا يتكلمون بالعربية فهو صحيح بل ينبغي ان يحمل على انهم كانوا ولكن
كانت عربيتهم تباين عربية من اتى بعدهم من بني قحطان بعض المباينة وحيث
قيل ان اول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان فهو صحيح ايضا بمعنى انه تصرف فيها
تصرفا لم يكن لمن تقدمه من بني ادم مع عدم خروجه عن قانونهم بالكلية وهكذا
يقال في عربية اسماعيل عليه السلام ومن علم سر الله في الوجود وتبدل احوال
الامم وانتقال عوائدها وتنقلها على تعاقب الازمان والاعصار والاجيال لم
ينكر ما قلناه واقرب شاهد عليه هذه اللغة التي نتكلم بها اليوم فانا
نسميها عربية ولا يخفى ما بينها وبين عربية عدنان التي نزل بها القرآن
الا انها لما كانت متفرعة منها ومحولة عنها سميت عربية وتسميتها بهذا
الاعتبار صحيح لانها عينها الا انه ذهب اعرابها فهكذا يقال في الاصناف
الثلاثة المتفرقة ويفهم من كلام المصنف الذي نقلناه ان عربية ادم كانت
غير معربة بل مبنية او موقوفة كهي في لغتنا اليوم لانه زعم ان يعرب اول من

ونصب وخفض بانكار ان علمهم من ذلك الله تعالى وباهر حكمته وقضائه في خلقه
ثم تطورت هذه اللغة في اطوار مختلفة وكانت في اول امرها موقوفة ثم اعربها
يعرب بن قحطان ثم من بعده اسماعيل عليه السلام حتى وقع بها الاعجاز ثم عادت
الى الحالة التي برئت عليها وهذه سنة الله في خلقه فان كل ما كان من عالم
الكون والفساد لا بد له ان يعود الى الحالة التي برئ عليها في الغير او بعد حين
وهو مقتضى دوران الفلك وتوالي الحركات واذا تاملت بعين البصيرة وجدت ذلك
شهيرا وقد دل عليه الكتاب والسنة وكلام الحكماء والعلماء وههنا بحث
وهو ان عادا من عرب بائدة فتكون لغتهم على هذا موقوفة والذي نقله المفسرون
والمؤرخون من اشعارهم في قصة هلاكهم بالريح يقتضي ان لغتهم كانت معربة
والجواب ان تلك الاشعار المنسوبة اليهم لم تثبت من طريق صحيح وهذا
بعيد فان الائمة قد تلقوها اليك بالقبول ونقلوها في تفاسيرهم وتصانيفهم
منسوبة اليهم او يقال ان عادا افترقت عادين الاولى وعاد الثانية فالاولى هي
عاد ارم والثانية هي التي اهلكت بالريح وقد قال بهذا جمع من المفسرين ويشهد
لهذا قوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى وايضا فان عادا الذين اهلكوا بالريح
ذكروا في قصتهم انهم بعثوا الى مكة يستسقون لقومهم وسمعنا الا ان اسم الله
تعالى السحابات الثلاث فاختاروا منها سحابة العذاب حسبما هو مبسوط في القصة
وهذا يقتضي انهم كانوا بعد ابراهيم عليه السلام لانه الذي بنى مكة وعمرها
ولده اسماعيل من بعده وللشيخ ابي العباس السجلماسي صاحب الذهب الابريز
عن شيخه ابي فارس عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه في هذه القصة كلام عجيب
من طريق الكشف فانظره **واعلم** ان هذه اللغات انجر بنا الكلام اليها
بالوضع وعلم الله وراء ذلك كله هذا وقد ذكر الشيخ ابو عبد الله
الشكيري في كتاب اللباب وغيره خبرا عن وهب بن منبه في كيفية حروف اللغة
العربية في بني قحطان وتلقنهم اياها فان صح كان فيه شاهد للاشعري والجمهور
في قولهم ان وضع اللغات بالوحي والتوقيف وخلاصته ان الناس من عهد ادم
الى نوح عليهما السلام انما كان لسانهم السريانية غير ان ادم وحده كان
يتكلم بجميع اللغات ولما بعث الله نوحا عليه السلام انزل عليه بعد

الكوفيان فيما انزل الصحيفة م نعتة فيها حروف مقطعة مثل كـــــــذا
سلـ دال اللا ل ار ل لا اللا اللا و وال م لا ى كـ ه و او او ال ع ل م ر ا ه
م ا ـ ا ر ف س ط لا اللا اللا و ال ع ر ه ر ا ل ح ك ى م ح ك م ا ل ح ى
ا ر ف 2 و م ا ر ل ا د ا ل ع ن ك س ا ل ر ح ا ر و ك د ر ا ن س ر و ا ر و ح ك م
ف 2 د ر ى ل ا د م ا ل س ر 2 ط ا ر و ع ا د ل د ا ل س ر ا ر و ع د د م اللا و ا ن
و و د ا ل و ا د ا ر ع د اللا م ح م د ا ا ل ع د ل و ا ل د ا ر ى و ر ا ل
و د ا ر و ه ر ص ر د ى و ر اللا 2 م ا ر و ع ا ر ل ا و ا ر ك ه و ر ا ل س ر و د ا ر ا لا ا ر ه ل ا ن
د ى د ع د ه و ا ر ك ح ا ر ف ا لا ه و ع د ه س ر ه د ا لا ه د ا ل ح ى قال
وهب بن منبه بهذه الصحيفة اول ما انزل الله من الكتاب العربي ولم تشتمل على
جميع الحروف العربية وانما انزل فيها ما على هود كما سيأتي ولم يفهمها فرخ عليه
السلام لكونها ليست بلغته وقراءة هذه الصحيفة مثل كذا شهد الله انه
لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
حكم الغش الفشوم انه اذا اعتكر الزمان وكثر الشرار وحكم بغير بينة ادام الشيطان
وغلب هذا الشأن وعبدت الاوثان وبعث الله محمدا بالفرقان ليأتي بغير المن هدان
وينصر دين الايمان زمانه اوان ظهور الشوك ان لا انه نبي بعده ولن يبلغ
الله وعزه شهد الله بالقمو فبقيت الصحيفة عند نوح عليه السلام الى ان
حضرته الوفاة فقال يا رب ما اصنع بالصحيفة التي اودعتنيها فاوحى الله
اليه على لسان جبريل عليه السلام انها كنز من كنوز الجنة وامره ان يدفعها الى سام
بن نوح عليه السلام فيه منهم فتولاها وليحفظها وليتمتع بها فكان ذلك الى
ان خرجت النفس منه على سلم فاودعه ابنه فكانت عنده حتى مات ثم صارت الى
ابنه ارفخشد ثم الى ابنه شالخ ثم ابنه عابر وكل يوصي بها من بعده من يليه ان يعمل
بها وانما ذلك اتباعا لوصية نوح عليه السلام فبقيت عند عابر زمانا ثم
رفع منامه كان بابا من السماء فانفتح ونزل منه ملك فاخذ سرابل واطلقه ثم
شق صدره واخرج قلبه فغسله ثم رده والحق عليه فعاد صحيحا من غير الم
فلما انتبه عابر اخلفه وخشية شرابه واعتزل اخوته وقومه وامتنع من
الاكل والشرب فنكر له اهله وعشيرته وظنوا انه قد خولط ثم اتاه الملك مرة

اخرى مناقتا وقال له اخذ الصحيفة التي عندك فاخذ ما فيها الى اخر اسم
الله انه لا اله الا هو وبقي فيها حتى اتى على اخرها وعاد رسمه الملك بعد
مرات حتى حفظها فانتبه عابر وقد ازداد دهشة وهم ان امر قومه وجعل يفكر
فيما علمه الملك في نومه وجعل الملأ يتبعونه ويحرسونه لانهم ظنوا انه قد
خرف وبقي بينهم يتوارى عنهم والصحيفة في يده يتدبر ما فيها وقد تلا الاسم في
التي بعد لغته ثم اتاه الملك ليلة ثالثة فقال له ما في الصحيفة فتلاها
بها فقال له تدبر بعقلك مخارج الحروف من فيك وشفتيك واسمع كل حرف بما
يعطيك لسانك عند التكلم به فلم يزل يتدبرها حتى سهل عليه امرها
وفهمها كلها وقيل ان شق هذه كان بعد تلقينه الحروف وان الملك امره ان يسمي
ابنه هودا عليه السلام بان الله قدر ان اولاد ذريته باللسان العربي وعلمه
ما في الصحيفة ثم ولد هود عليه السلام كان اتيا تلاه فافهمه شيئا
فانطلق لسانه بتلك الاحرف التي في الصحيفة وسهل عليه التكلم بها وصار
يتكلم بلغتها فصار وهب ثم انزل الله بعد موت عابر على ابنه هود صحيفة
اعلمه فيها بمكان البيت الحرام وامره ببنائه وانزل عليه فيها ما بقي من تمام
الحروف العربية مذكورة ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن
ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي وبعد هذه الاحرف كتابة اخرى يقول فيها
يا هود ان الله تعالى فرق اولاد ذريتك بتيسير الكلام وسيكون لولدك يعرب
استكماله وفضله وتفضيله على الخلق حتى يختم الله الامر بنبوة محمد صلى
الله عليه وسلم الذي يخرج من صلب اخيه فالغ ثم صار بنو عابر ومنهم يتكلمون
باللسان العربي وانتشر في غيرهم ثم اتي هود في النوم فقيل له اذا انبعث ريح
الجنوب لاحد من ولدك فليتبعها وليقف حيث تنقطع به فان لله في ذلك حكمة
هو مخفيه فوجد منها حظه يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام فانتقل بعشيرته
وذويه فاتبعها حتى انتهت به الى ارض اليمن وبها سميت يمنا لان اسمه في هذا
الجيل يمن وانما قيل له يعرب لجري اللسان العربي على لسانه ولسان ولده اكثر من
غيره وترك سائر الالسن من السريانية والعبرانية وغيرهما فنزل يعرب اليمن
وبها بنو هود قبائل عاد وغيرهم من بقي ارم فجمع رئيسهم وصاهرهم ووالى فيما فيهم

ثم كثر بنوه بجبال اليمن فاستولى عليه وتغلب به على قبائل عاد فابادهم الى
ان اهلك الله بقيتهم بالريح وتمهد له الملك باليمن وغلب على الكثير ممن جاوره
من الامم واجلى بني حام الى جهة المغرب قلت الاقرب ان هودا المذكور في هذا
النسب غير نبي قوم عاد المذكور في القرآن وبه يندفع ما يلوح فيه من التعارض
والتناقض والله اعلم قالوا ويعرب اول من قال اما بعد واول من قال الشعر
ومن شعره قوله

انا ابن قحطان الهمام الافضل ... لست بشكاك ولا بزمل
لما فلجت باللسان المسهل ... جسرت والامم في تبلبل

في ابيات اخر فيها البشارة بظهور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن خلدون كان
يعرب بن قحطان من اعاظم ملوك العرب يقال انه اول من حياه قومه بتحية الملك
قال ابن سعيد وهو الذي ملك بلاد اليمن وغلب عليها قوم عاد وغلب
العمالقة على الحجاز وولى اخوته على جميع اعمالهم ه ثم توارث بنو يعرب
الملك من بعده الى ان انتهى منهم الى حمير وبنو حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن
قحطان ومن حمير كانت التبابعة والله وارث الارض ومن عليها وبنو عابر
القحطانيين واعلم ان ما وقع في خبر وهب بن منبه من ان عابر هو اول من نطق العربية
وانتقل لسانه بعد ما خالف لما يقوله بنو اسرائيل من ان عابر اول من نطق
بالعبرانية قالوا ولذلك اشتق اسمها من اسمه والذي يظهر والله اعلم ان الخلاف ى
في حال وان اللغة التي نطقها عابر على لسان الملك كانت غير متمحضة لمحضة
العبرانية ولا لمحضة العربية بل وسطا بينهما بدليل انها لم تكن مشتملة على جميع
لحروف العربية فلذا عمت كل طائفة ان تلك لغتها مع انها اصل لهما ثم
تمحضت العبرانية في فالغ وبنيه وتمحضت العربية في قحطان وبنيه حسبما مر
من ان يعرب هو الذي اعرب الكلام واشتقت العربية من اسمه او اشتق اسمه
من اسمها والذي يؤيد هذا ان الائمة قد نصوا على ان العربية والعبرانية والكنعانية
والسريانية اخوات قال في القاموس الكنعانيون امة تكلمت بلغة تضاهي
العربية اولاد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ه وقال السهيلي كثيرا ما يقع
الاتفاق والتقارب بين اللسان السرياني والعربي الا ترى ان ابجع

تفسيره اب رحيم وكذلك قال غيره في العربية والعبرانية وانهما متغايرتان
واحداهما متفرعة عن الاخرى قلت وقد اختبرت انا ذلك بوجه رأيته صحيحا
ورأيت اللغتين معا تشتركان في كثير من المواد والكلم غير ان العربية زادت
بمزية الاعراب وبفصاحة الالفاظ ونقصت منه الحروف واتفقا معا رجعا وتاملت
الكثير من الفاظ العبرانية فوجدتهم كثيرا ما يبدلون الكاف في العربية بالخاء ويبدلون
الذال المعجمة بالزاي فيقولون في الذكر مثلا الزخر وفي البركة البرخة وفي المذبح المزبح
فيبدلون الذال زايا ويزيدون الياء ولا شك في تقارب هذه الحروف في المخرج
ورأيتهم ايضا يفخمون بالالف في الاسماء نحو النوار فيقولون في سلام شلوم وفي حمار
حمور ومثل هذا وقد تبين بهذا ان اللغات كانت في القديم قليلة الاجناس متقاربة
الاصول ثم تشعبت انواعها وكثرت اجناسها الى ان كادت تخرج عن الحصر ويكفيك
والله اعلم ان بني سام وهم سكان المشرق كانت لغتهم اصلا واحدة ثم تنوعت
الى انواع وان لغة بني حام وهم سكان المغرب اصلها اخر ولغة بني يافث وهم
سكان الشمال اصلها ثالث وبين الحد الذي ذكرناه من ان العربية والعبرانية
والكنعانية والسريانية اخوات ويشهد له ايضا الاختبار فانه ليس بين
العربية والعبرانية من التغاير والبعد ما بين العربية وبين لغات البربر مثلا
ان في حروفها ولا في موادها ولا في ابنيتها وصيغها فان لغة البربر شديدة
البعد من العربية من كل وجه بخلاف لغات اجناس البربر فيما بينها فانها وان كانت
متغايرة في الجملة لا كثيرا عند التأمل ترجع الى اصل واحد فيفهم كل واحد منهم
بعضهم عن الاخر لغته وان لم يتيسر التكلم بها وهكذا القول في لغة البربر وزناتة
وهم سكان المغرب مع لغة مرجا وغيرهم من امم السودان فانها كثيرا ما تتفق
في الابنية والمواد فيشهد لذلك الاختبار الصحيح والتامل الصادق وقد طال
الكلام في هذا الفصل لانا اردنا به فتح باب التفكر والتامل لمن يشاء ممن يشتد
الى التبصر في اسرار الموجودات والله الهادي الى الصواب ومن اياته خلق
السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين

(وسل ابن خلدون علينا قبلنا * بمصر فانه من تمصر)

(اللغة قوله قبلنا بمصر اي قبلنا مغروسا سمي بذلك لانه من يحيل الشمس

عند كل منهما وقيل لانه عوض من همز الكلمة والنسبة اليه بنيّ على القياس وبنائيّ بالالف على غير قياس وعلى من ادعى ان الياء من قبل ان احد منهما وهو الاسم تخفيفهما واقتصر عليه كثيرون وبعضهم ينكر التثقيل ووجهه ان الالف دخلت قبل البناء لتكون عوضا عن التثقيل وعليه فلا تثقل لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه والثاني التثقيل لان الالف زيدت بعد النسبة فينبغي التثقيل الدال على النسبة تنبيها على جواز حذفها فقوله مآثر جمع مأثرة كمكرمة وزنا ومعنى سميت بذلك لانها تؤثر اي تنقل ويتحدث بها وحديث مأثور ينقله خلف عن سلف واثارة من علم اي بقية منه وكذا الاثرة بالتحريك فقوله لم يمحقوا اي لم يمحق يقال محقه يمحقه محقا من باب نفع اذا ابطله ومحاه حتى لم يبق له اثر والله اعلم

الاعراب والتصريف

فقوله سل ابن خلدون جملة طلبية لا محل لها من الاعراب لانها مستانفة وسل فعل امر محذوف العين اصله اسأل فنقلت حركة الهمزة الى الساكن قبلها ثم حذفت تخفيفا واستغني بها اي بالحركة عن همزة الوصل وقال فكرب يقال سأل يسأل مثل ان الاسن يزاد وسال يسال مثل خاف يخاف والامر منه سل مثل خف وبهذه اللغة قرأ نافع وابن عامر سال سائل كقال قائل وابن خلدون وفي قوله ويجوز فيه الصرف لانه قال له بعض النحويين وعدمه لانه قاله بعد ان جعله من شبه العجمة قال معناه في التصريح ووقع في لامية الشيخ ابي القاسم الشاطبي لفظ ابن خلدون مصروفا تارة وممنوعا اخرى ويقال ايضا خلدون ويخلدون مع الغلبة كحمدون من حمد ونحوه من الصرف بناء على راي الفارسي في اعتبار مثل الزيادة تيرون فيما يأتي على المختار اخذا بالمذهب هذا بربعه ان وجه الصرف من المختار وقوله علينا يريد عندنا بل ان الشرا قد تصرف منه يتعدى بعن لكنه اخاع على مقام عن لانها ترد بمعنى عند كما قال الشاعر

اذا رضيت علي بنو قشير — لعمر الله اعجبني رضاها

وقال الاخر

* في ليلة لا نرى بها احدا — يحكي علينا الا كواكبها

وقيل ان الشاهد في البيتين ان الاول ضمن رضي معنى عطف والثاني ضمن يحكي معنى ينم وعليه فلينكر ما وجه كلام الشاطبي فقوله فلنا يبين البناء سببية ولنا خبر مقدم ويمين يتعلق بالاستقرار العامل في الخبر ومثله ومثل مؤخرا وجملة الخ ورد

وقيل إن هذا الجمع يجوز صرفه في الاختيار كقوله تعالى سلاسلا وأغلالا وقال ابن الحاجب * والصرف في الجمع أتى كثيرا * حتى ادعى قوم به التخييرا

وجملة لم تمح نعت لدفاتر والله أعلم **البيان** استعار الناظم رحمه الله السؤال لابن خلدون لما لقيه كتابه وكذا يقال في قوله الآتي وسل سليمان الكلاعي به لأن العبارة إنما هي دالة بما لقيه كتابها مثل العبارة إنما هي دالة بأخبار ما مشافهة لو كانا حيين ولهذا قال بعضهم في وصف الكتب

لنا جلساء لا نمل حديثهم ... ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى ... وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
ولا غيبة نخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا
فإن قلت أحياء فلست بكاذب ... وإن قلت أموات فلست مفندا

ويقرب من هذا المعنى قول الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخشاب البغدادي النحوي ملغزا في الكتاب

وذي أوجه لكنه غير بائح ... بسر وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه ... فتسمعها بالعين ما دمت تنظر

وأحسن منه قول الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن عاشر الأنصاري الفاسي ملغزا في الكتابة

لله في خلقه من صنعه عجب ... كادت حقائق في الوجود تنقلب
كلم بغير ترو للآذان تسمعها ... حكما بها ما هجروا المعاد معبوا

وإنما خص الناظم رحمه الله هذين الكتابين من بين سائر كتب التواريخ والسير لأنهما عمدتا كتب العبر ورتاد بيان التاريخ والله تعالى أعلم

ذكر تبابعة اليمن وبعض أخبارهم

قد قدمنا أن يعرب بن قحطان أول من ملك اليمن وأنه انتزعها من يد بقية قوم عاد وغيرهم من العرب العاربة الذين هم بنو إرم بن سام ثم توارث الملك بنوه من بعده فملك بعده ابنه يشجب بن يعرب ثم ملك بعده ابنه عبد شمس بن يشجب وهو سبأ وإنما قيل له سبأ لأنه أول من سن السبي وبنى مدينة سبأ وسد مأرب وجلب إليه سبعين نهرا وسيلا وإليه السيول من أمد بعيد ثم ملك بعده ابنه حمير بن سبأ

ودشي

ورثى اباه بقوله

عجبت لتوبيخ ماذا افعل   وسلكما ان عز لما كيف انتقل
فاسمت ملككم في هما بعدنا   وسمت للامر لما تنزل

وبني كهويلة وبقي في حمير من آل ابي العرنجج كسعد جاد ومعناه العتيق وهو اول من توج
بالذهب من ملوك اليمن وانما قيل له حمير لكثرة لباسه الثياب الحمر وهو اخرج
ثمود من اليمن الى الحجاز ثم ملك بعده ابنه وائل بن حمير وتغلب اخوه مالك بن حمير
وهو ابو قضاعة على عمان فكانت بينهما حروب ثم ملك بعده ابنه السكسك بن
وائل فحارب قضاعة ابن مالك صاحب عمان الى ان تغلب عليها ثم ملك بعده ابنه
يعفر بن السكسك وخرجت عليه الخوارج وحاربه مالك بن الحاف بن قضاعة وكانت
الفتنة بينهما الى ان هلك يعفر وخلف زوجته حاملا بابنه النعمان المعروف
بالمعافر بن يعفر بضم الميم ومعنيه المعافر بالفتح الذي متوحش من بين الناس وقد وثب
على ملك اليمن رجل من حمير يقال له عامر ذو رياش واغتصب بشأن زوجة يعفر وانها
حامل فطلبها فهربت الى بعض المغارات فاخبره بعض الكهان بمكانها فبعث من
اتاه بها وقد ولدت النعمان فاراد قتله فقيل له انه صبي مما تتخوف منه
فحبسه عنده ووضع عليه الحرس الى ان بلغ النعمان فبلغ الرجال وعقل امره
وعرف محله من قومه فقال يخاطب نفسه

اذا انت عافرت الامور بهمة   بلغت معالي الاكثرين المعافل
فاما حياة المرء تلقاه عاجلا   واما تراث الارض عن ملك وائل

في ابيات اخر وبهذا البيت سمي المعافر لقوله اذا انت عافرت الامور بهمة
فاجابه بما تقدم بقوله

الا ايها الراجي بابن خطة   صبرت على خسفها من الزلازل
فيا ملك في الدنيا حياة تطلبها   وهل لي عنها معيبة زال ملك بائل

في ابيات اخر ايضا فابقى النعمان بالفرج فلما كان المساء كر في جماعة من
حمير فحبس النعمان وكانوا قد سئموا ملكة ذي رياش فاخرجوا النعمان واخذوا على
ذي رياش فقبض عليه وسجنه واستقل بملكه وتراث ابيه وبقي ذو رياش في السجن
حتى سمع انه قيل ان مرة ايدقا حية في بير ... فلسعته فمات وعاش

النعمان ذو مزن الكويلا ولما حضرته الوفاة قال لقومه لا تدفنوني معكم فيفسد عليكم
ملككم فنحتوا له اسطوانة وادخلوه فيها فيما يقال الى مغارة فتحت ببعض
جبال اليمن في خلافة سليمان بن عبد الملك فألفي فيها اسطوانة مكتوب عليها
بالرصاص وحولها ذهب وجوهر وسلاح فانهي امرها الى سليمان فامر بكسرها
فوجد داخلها شيخ قاعد وعند راسه لوح من رخام منقوش فيه بالحميرية انا الملك
النعمان المعروف بالمعافر يعرف ذو مزن الكويلا ولم يكن بد من الموت فجروا نه وليعتبر
في قال ابن خلدون وكان من قبله من تقدم من اهل الدول انهم يدفنون موتاهم بموجودهم
من ذهب وغيره لعلهم كانوا يعتقدون الرجعة او نحو ذلك ثم ملك بعده ابنه
السمح بن المعافر فاضطربت احوال حمير وصار ملكهم طوائف الى ان استقر في
الحرث الرائش ومن اول التبابعة ويقال بل ملك في مرتبة الملوك شداد بن عاد العادي
وهو شداد بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير من اقرب ما قيل في
نسبه وعلى كل حال فهو حميري النسب واجتمع له الملك وغزا البلاد الى ان بلغ اقصى
المغرب وبنى المدائن والمصانع وابقى الاثار العظيمة وكان فيه عظيم قوة وبسطة
في الجسم وكان يلوي الحديد بيديه ويجيء بالاسير فيحز ميتا ومن الملوك من اراد او لعل
به العاقبة والقصاص يذكرون عنه امورا مستحيلة في العادة كبناء ارم ذات
العماد قرينة فاختص بها الجنة المزعومة بها بعد الموت وجعلها لبنة من ذهب
ولبنة من فضة واجرى الانهار في قنوات الفضة الى غير ذلك مما تحيله
العادات وجوده على وجه الارض ويغلطون في نسبه فيجعلونه من عاد ارم
الذين اهلكهم الله بالريح وكل ذلك باطل وانما شداد بن عاد ملك من ملوك
حمير اعطي قوة في الجسم وبسطة في العمر وتمكنا في الارض اكثر ممن تقدمه من
ملوك قومه فحصلت له الشهرة بذلك ونسب الناس اليه كل غريب وقد
عرفت الصواب في ذلك والله اعلم ثم ملك بعده اخوه لقمان بن عاد
وليس بلقمان المذكور في القرءان ولا بلقمان صاحب النسور الذي تضرب العرب المثل
بحكمته ويتمثلون كثيرا بكلامه فيما اقتضاه الله فان المذكور في القرءان حبشي من الحبشة
وكان مملوكا لرجل من بني اسراءيل على عهد داود عليه السلام فاعتقه
سيده وصاحب النسور نسبه في عاد ارم وكان في وفد عاد الذين قدموا مكة

يستشعرون لغزوهم وخيم لغمار من فتنهم في كهول الحمير فاختار حمير سبعة انسر
وأما لقمان الذي كان لا فناء فيه فهو من حمير كما علمت والأسماء تترادف ويقع
الغلط ولا غلط بعد هذا ثم ملك بعدهما أخوهما ذو شدد بن عاد ويقال أنه عمر
مائتين وبعضهم يقول شديد بن عاد والله أعلم بحقيقة الأمر ثم ملك بعده
ابنه الحارث بن ذي شدد ويقال له الرائش وهو أول التبابعة ويقال أن الحارث
الرائش هو ابن قيس بن صيفي بن سبإ الأصغر وإنما قيل له الرائش لأنه راش الناس سر
بالغنائم ويقال أن اسمه بالعكاكة وفي عصره مات لقمان ذو النسور ثم ملك
بعده ابنه الصعب بن الحارث ويقال هو ذو القرنين قيل هو المذكور في القرآن ونقل
ابن سعيد أن ابن عباس سئل عن ذي القرنين المذكور في القرآن فقال هو من حمير
قال ابن العزاء وهذا مما يقوي أن الصعب المذكور لأنه كان ملكا حكيما ثم
ملك بعده ابنه أبرهة بن الصعب وهو ذو المنار لأنه أول من ضرب المنار على
طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع ثم ملك بعده ابنه افريقش بن أبرهة
وقال ابن حزم هو افريقش بن قيس بن صيفي أخو الرائش على ما مر فيه من الخلاف
وهو الذي ساق البربر من أرض كنعان إلى افريقية بعد ما أوقع بهم يوشع بن
نون صاحب موسى عليهما السلام وبه سميت افريقية ولما سمع كلام البربر
ورطانتهم قال ما أكثر بربرتكم فسموا البربر والبربرة في لغة العرب هي
اختلاط الأصوات غير المفهومة ومنه بربرة الأسد ثم ملك بعده أخوه
عمرو بن أبرهة وهو ذو الأذعار لأنه سبى قوما وحشية الأشكال وجوههم
في صدورهم فذعر الناس منهم وقيل لأنه حمل النسناس إلى أرض اليمن فذعروا
منه فقال صاحب التيجان ونجم أن حمير خلعته وملكت عليها شرحبيل بن عمرو من
ولد يعفر بن السكسك وكان بينه وبين عمرو ذي الأذعار حروب ثم ابنه
الهدهاد بن شرحبيل من بعده وابنته بلقيس بنت الهدهاد من بعده وهي صاحبة
سليمان عليه السلام بقيت كلمته على أن يتزوج بها ثم قتلته بحيلة واحترقت
على ملكه ثم ملكها سليمان عليه السلام على اليمن إلى أن توفي ثم ابنه رحبعم
ابن سليمان كذلك ثم اجتمعت حمير من بعده على مالك بن عمرو ويقال هو ابن عمرو
ذي الأذعار وقيل هو من ولد يعفر بن السكسك ويقال له ناشر النعم لإنعامه

على الناشر وزعم أهل اليمن أنه غزا أرض المغرب فبلغ وادي الرمل ولم يبلغه أحد قبله ولم يجد فيه مجازا لكثرة رمله فعبره جماعة من أصحابه فلم يرجعوا فأمر بصنم من نحاس فنصب على شفير الوادي وكتب على صدره بالخط المسند هذا الصنم لناشر النعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب وأنكر ابن خلدون وجود هذا الوادي بأرض المغرب. قلت ولعل المراد به رمال الصحراء التي بين أرض السودان وأرض البربر فإنها رمال عظيمة تجمعها الرياح حتى تكون أمثال الجبال ثم تنقلها إلى جهة أخرى فيضل الركب العظيم فيها ويهلك ولا يتأتى السير فيها إلا لمن كان معتادا لها خبيرا بها ثم ملك بعده ابنه شمر يرعش بن ناشر النعم سمي بذلك لأنه كان به ارتعاش وقيل هو شمر بن افريقش وخرج نحو العراق ثم توجه يريد الصين فدخل مدينة الصغد وراء النهر وهدمها فقالت العجم شمر كند أي شمر خرب فلما ثم أعيدت فبقي ذلك الاسم عليها ثم عربته العرب فقالوا سمرقند وإسكان الميم وفتح الراء لحن كما في القاموس ثم ملك بعده ابنه زيد بن شمر وهو تبع الأقرن لشامة كانت في قرنه ثم ملك بعده ابنه كلكي كرب بن زيد كيكرب وكان مضعفا لم يغز قط إلى أن مات ثم ملك بعده ابنه أبو كرب أسعد بن كلكي كرب وهو تبع الآخر لأن كل من مضى من هؤلاء الملوك طاعنا إلى الرايش كان يلقب بتبع وهي سمة لمن ملك منهم حمير وحضرموت وهذا الأخير هو المراد بقوله تعالى أهم خير أم قوم تبع لأنه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وهو القائل

*

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عم

وهو أشهر التبابعة وأخباره مذكورة في السير يضيق عنها المحل ثم ملك بعده ابنه حسان بن أبي كرب وهو الذي أوقع بجديس وقتل زرقاء اليمامة ثم قتله أخوه عمرو بن أبي كرب بمداخلة حمير له في ذلك لأنهم سئموا الغزو معه كأبيه ولما عزموا على قتله خالفهم ذو رعين من أقيالهم ونهاه فأبى وكتب ذو رعين صحيفة وأودعها عمرا فلما قتل عمرو أخاه حسانا بالموضع المعروف بالبوع برحبة مالك بن كهو ورجع بجيشه إلى اليمن فسلط الله عليه

السهر حتى اشرف على الهلاك فجمع العرافين واصحاب التجربة فقالوا له ما
قتل احد قريبه على الملك الا سلط الله عليه السهر ولم ينتفع بملكه فجعل
يقتل كل من اشار عليه بقتل اخيه حتى خلص الى ذي رعين فقال له احضر الصحيفة
التي عندك فاحضرها فاذا فيها

ألا من يشتري سهرا بنوم ... سعيد من يبيت قرير عين

فاما حمير غدرت وخانت ... فمعذرة الاله لذي رعين

فعرف صرفه وعذره ثم ملك عمرو بن ابي كرب ومرج امر حمير وتفرقوا وملكهم ملوك
في غير بيت المملكة وتداولتهم ثوار الى ان اجتمع امرهم على ذي نواس من ولد ابي كرب
اسعد والكلام في انه ليس ولدا له لصلبه خلافا للاخباريين ومن تبعهم فانهم يذكرون
بين ابي كرب وبين البعثة اكثر من الف سنة على ما يؤخذ من كلام ابن الاثير وذو
نواس كان بعد عيسى بكثير بدليل انه قتل اهل نجران على النصرانية وكانوا قد
اخذوها عن اتباع اتباع عيسى عليه السلام والكلام في ان ذا نواس كان قبل
البعثة بنحو مائتي سنة تزيد قليلا او تنقص قليلا لان دين النصرانية لم يفش
في الامم الا بعد مضي اكثر من ثلاثمائة سنة من رفع عيسى عليه السلام وقول
ابن خلدون انهم اتفقوا على ان ذا نواس كان ولد ابي كرب لصلبه فيه نظر كبير ومن
ذكر المسعودي بينه وبين ابي كرب اربعة اباء والحق انهم اكثر من ذلك والله
اعلم بحقيقة الامر وذو نواس هذا هو صاحب الاخدود المذكور في القران وكان
متدينا بدين اليهودية فاتصل به ان اهل نجران اخذوا بدين النصرانية فحفر
لهم الاخدود واحرقهم بالنار ثم فرق بينهم فيها وافلت منهم رجل يقال له دوس
ذو ثعلبان فقدم على قيصر صاحب الروم وبث اليه بدين النصرانية واستنصره
على ذي نواس واراه نسخة من الانجيل قد احترق بعضها فكتب له قيصر الى النجاشي
بان ينصره فبعث معه النجاشي سبعين الفا من الحبشة فاستولوا على اليمن
وهلك ذو نواس غريقا في البحر لما رأى الدبرة عليه وعلى قومه واستقر ملك
الحبشة باليمن نحو سبعين سنة ومن امرائهم ابرهة الحبشي صاحب الكعبة بالفيل على
عهد عبد المطلب بن هاشم ولما ملكه الله واهلك جنده بالطير الابابيل
كما قصه القران ولما طال البلاء على اهل اليمن بجور الحبشة وعسفهم خرج

منهم سيف بن ذي يزن الحميري من بيت ذي اليمن الملك وبقية ذلك السلف فتكالح
على ملوك الحبشانيا وشكا اليهم فلم يشكه احد سوى كسرى انوشروان ملك الفرس
فبعث معه جيشا من اهل فارس فقتلوا الحبشة في كل وجه وولوا سيف بن ذي يزن
على اليمن فبقي عليها نحو اربع سنين ثم اغتالته جماعة من ابناء الحبشة كان
اتخذهم خرقة فاخذوا بثار ابائهم منه وانقرضت بهلاكه دولة حمير
والتبابعة وبقيت اليمن في يد الفرس حتى جاءهم الاسلام والى الله عاقبة
الامور **واعلم** انا قد قدمنا في سرد هذه الدولة العظيمة والمملكة القديمة
وتجوزنا فيها حسب الكفاية وانما المقصود شرح بعض الالفاظ التي اشار
اليها الناظم رحمه الله **قال** ابن خلدون وكان هؤلاء التبابعة ملوكا عربا
في عصور متعاقبة واحقاب متطاولة لم يضبطهم الحصر ولا تقيدت منهم الشوارد
وربما كانوا يتجاوزون ملك اليمن الى ما بعد عنهم من العراق والهند والمغرب
تارة ويقتصرون على يمنهم اخرى فاختلطت اخبارهم واتفقت اسماء كثير من
ملوكهم ووقع اللبس في نقل ايامهم ودولهم فاذا عرض لك ما يخالف ما
رسمناه فالعلة فيه ما ذكره ابن خلدون وغيره انا تحرينا فما رايناه اقرب الى
الصواب والله الموفق **التعريف بابن خلدون وذكر بعض احواله**
هو ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد ثلاث مرات ابن الحسن بن خلدون الحضرمي
يتصل نسبه بوائل بن حجر احد اقيال اليمن واحد الصحابة الوافدين على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودعا له فقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده
الى يوم القيامة وكان بيت بني خلدون باشبيلية ثم تحولوا عنها الى تونس عند
ما غلب عليها الجلالقة في اواسط المائة السابعة وولد ابو زيد هذا
في تونس غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ونشأ بها مكبا على
تحصيل العلم ثم بعد ما عقل افتتاء الوضء بل قرأ القرآن بالقراءات السبع
ثم برواية يعقوب وحفظ الشاطبيتين ومختصر ابن الحاجب الاصلي والفرعي
وحفظ دواوين الشعراء الستة وحماسة الاعلم وشعر حبيب وكثيرا من
شعر المتنبي وسقط الزند وبعض اشعار كتاب الاغاني وفقه العربية وتفقه
بشيوخ تونس منهم قاضي الجماعة ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري

وأخذ عن جماعة من شيوخ فاس حين قدموا تونس صحبة السلطان أبي الحسن المريني
ثم ولي كتابة العلامة عن السلطان أبي إسحاق الحفصي صاحب تونس باستبداد
أبي محمد بن تافراجين إياه بذلك ثم انتقل إلى فاس وكتب عن سلطانها أبي عنان المريني
وأدناه لمجلسه ثم سعي به عنده فاعتقله نحو السنتين إلى أن مات أبو عنان
وولي بعده السلطان أبو سالم فاستخلصه وكتب عنه السر والإنشاء مدة ثم ولاه
خطة المظالم ثم انتقل إلى الأندلس بعد مهلك أبي سالم فقدم غرناطة فأكرمه
سلطانها أبو عبد الله ابن الأحمر المدعو الغني بالله ورفع منزلته وكان الوزير
يومئذ لسان الدين أبو عبد الله ابن الخطيب فأكرمه من كرامته وبره فاغتبط
به ثم توجه بعد مدة إلى بجاية فولي الحجابة بها لسلطانها أبي عبد الله بن أبي
زكرياء الحفصي إلى أن هلك ثم تنقلت بابن خلدون الأحوال إلى أن عاد إلى فاس
ثم إلى الأندلس ثم إلى تلمسان ثم لحق بأحياء العرب وأقام عند أولاد عريف أربع
سنين وهجر السلطان وتخلى عن شواغله وشرع في تأليف تاريخه المشهور المسمى
بكتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن
عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر وأملى جله من حفظه ثم احتاج إلى تنقيحه
وتصحيحه من الدواوين والدفاتر التي لا توجد إلا في الأمصار رجوعا إلى السلطان
مقبلا على العودة إلى تونس فقدمها وأكرمه سلطانها أبو العباس أحمد بن محمد
الحفصي وكان له عند السلطان المذكور من أوفر الأسباب في جمع ذلك الكتاب
إلى أن أكمله ثم حدثت بينه وبين الشيخ أبي عبد الله ابن عرفة إمام الجامع بتونس
وشيخ الفتيا بها نفرة فكان ذلك باعثا له على الرحلة إلى المشرق وركب البحر
من تونس منتصف شعبان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ودخل مصر فأقبل عليه
سلطانها الملك الظاهر برقوق أول الملوك الجراكسة وولاه قضاء المالكية مرارا
ثم عزله بعد مدة ثم حج البيت بعده وعاد إلى مصر فتلقاه السلطان المذكور بالمبرة
والعناية وأجرى عليه الجراية ولزم ابن خلدون كسر بيته وعكف على بث العلم
وتدريسه وتلمذ له جماعة من أعلام مصر منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني شارح البخاري
والدماميني شارح المغني وغيرهما وولي القضاء وعزل عنه مرارا إلى أن مات
قاضيا فجأة يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ثمان وثمانمائة غير معزول

الصّلات على الجملة وأمّا حالته فقد ذكر ابن الخطيب في الإحاطة ما ملخّصه انتقل
سلف ابن خلدون من إشبيلية عند نباهة وتغيّر وشهرة عند إقعاد ثبتها فاستقرّوا
بتونس وكانوا سكنوا على حشمة وسراوة ورسوم حسنة وأمّا المترجم به فهو رجل
فاضل حسن الخلق جمّ الفضائل باهر الخلال رفيع القدر ظاهر الحياء أصيل المجد
وقور المجلس خاصّي الزيّ عالي الهمّة عزوف عن الضيم صعب المقادة قويّ الجأش طامح
لقنن الرياسة خاطب للحظّ متقدّم في فنون عقلية ونقلية متعدّد المزايا سديد البحث
كثير الحفظ صحيح التصوّر بارع الخطّ مغري بالتجلّة جواد حسن العشرة مبذول
المشاركة مقيم لرسم التعيّن عاكف على رعي خلال الأصالة مفخر من مفاخر التخوم
المغربية ثمّ ذكر نشأته في قراءة العلم وما اتّصل بذلك وأمّا تآليفه فمنها
التاريخ الكبير الذي تقدّمت الإشارة إليه وإيّاه فسّر أنّه وشرح البردة
وتعليقه على المنطق وتلخيص المحصّل في علم الأصول للفخر ابن الخطيب الرازي وغير كثير من كتب
ابن رشد وألّف كتابا في الحساب وشرع في أصول الفقه وغير ذلك وتآليفه كلّها
في غاية الجودة وحسبك ما أبداه من غرائب العلوم ودقائق الفنون في الجزء
الأوّل من تاريخه وأمّا نثره وسلطانياته المسجّعة فخلّج بلاغة ورياض فنون
ومعادن إبداع وأمّا نظمه فبغاية في الجودة والبراعة رحمه الله ونفعنا به

وسل سليمان الكلاعي كم لنا * من خبر يغنيك والمغازي
ويوم بدر وحنين وتستر * كذا والسّير وبني المصطلق

الإعراب والتصريف قوله وسل سليمان جملة معطوفة على التي
قبلها وسليمان يكتب بدون ألف بعد الميم لأنّ الأعلام متى زادت على ثلاثة أحرف
وفيها ألف كسليمان وإبراهيم وحارث وخالد وجب حذف الألف فيها ما لم يكن لبس كعامر
فإنّه يلتبس بعمر أو يحذف منه حرف آخر كداود فإنّه قد حذفت منه الواو فلو
حذفت الألف أيضا لوقع فيه إجحاف والكلاعي نعت لسليمان وخفّف ياء النسب
للضرورة وهي ضرورة حسنة والمسئول عنه محذوف أي عمّا لنا بدليل ما تقدّم في سؤال
ابن خلدون وقوله كم لنا من خبر جملة من مبتدأ وخبر فمحلّها نصب بالسؤال وتعليق له
عنه بيان لما قبلها ويجوز أن تكون سادّة مسدّ المسئول عنه لأنّ العامل علّق عنها
بما تضمّنته من اسم الاستفهام وإنّما صحّ التعليق بفعل السؤال وإن لم يكن قلبيا.

لانه يستلزم ذلك لان السؤال معناه الاستفهام وهو طلب قال السمين وابن مالك
ومن ثم الحقوه بافعال القلوب في التعليق منهما نحو تفكر وابصر وسأل واستنبأ ثم مثل
سأل بقوله تعالى يسألون أيان يوم الدين فان قلت كيف تكون جملة الاستفهام
سادة مسد المسؤول عنه ولا معنى لتعليق السؤال فيها قلت يجاب عنه بما أجيب
به عن تعليق العلم بالاستفهام في قولك علمت أزيد عندك أم عمرو من انه على حذف
مضاف وان المراد علمت جواب هذا الكلام فكذا هنا أي في كلام الناظم وان معناه
سل عن جواب كم لنا وكم اسم استفهام مبتدأ والمراد منه التكثير ولذا حسن له ومن خير
تمييز له وبحنين يتعلق بالاستقرار العامل في الخبر وحينئذ وبين خبر شبه الاستفهام
قوله ويوم بدر يجوز جره بالعطف على لفظ حنين ويجوز نصبه على المحل وفيه بالعطف
على محله ومن ذلك جاز الفارسي في قوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة
أن يكون يوم القيامة عطفا على محل هذه وحنين مصغر [illegible] قال الجوهري يذكر
ويؤنث فان قصدت به الموضع ذكرته وصرفته كقوله تعالى ويوم حنين وان قصدت
به البقعة أنثته ولم تصرفه كقول الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الأبطال

قوله وتبوك مخفوض كذلك وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث كذا قال
النووي وتعقب بأنه سهو لأن علة منعه كونه على وزن الفعل والمذكر والمؤنث في
ذلك سواء قال الجوهري ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى قوما من أصحابه يبوكون
حسي تبوك أي يدخلون فيه القدح ويحركونه ليخرج الماء فقال ما زلتم تبوكونها
بوكا فسميت تلك الغزوة غزوة تبوك وهي تفعل من البوك قوله وبني المصطلق
الطاء فيه بدل من التاء في الافتعال وما تصرف منه تبدل تاؤه طاء اثر حروف
الاطباق وهي الصاد والضاد والطاء والظاء لتحصل التناسب بين الحرفين
صفة ومخرجا والله اعلم ومقصود الناظم رحمه الله بهذا الكلام الافتخار
بما كان للانصار رضي الله عنهم من المشاهد العظيمة والمقامات الجميلة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغازيه وفتوحاته لانهم من الازد ونسب الازد
في كهلان بن سبأ والناظم رحمه الله حميري النسب كما قيل وحمير وكهلان هما
الشعبان اللذان ترجع اليهما انساب عرب اليمن كما مر فافتخاره بهم من جهة الجنسية

صحيح والله اعلم

ذكر مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتوحاته *

اعلم انه لما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم واكرمه بالنبوءة
اولا وبالرسالة ثانيا اقام بمكة ثلاث عشرة سنة يعبد الله تعالى ويدعو
الناس الى عبادته ويبشرهم الى توحيده صابرا على اذاهم محتسبا فيما ناله
منهم ثم لما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة امره الله تعالى بقتال
من اعرض عن الله ورد عليه كرامته وكان اول ما نزل في ذلك قوله تعالى اذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال الشيخ ابو حيان
الماذون فيه محذوف اي في القتال لدلالة قوله يقاتلون عليه وعلل الاذن بانهم
ظلموا فشمر صلى الله عليه وسلم لما امر به وتاهب من جهاد عدوه وقتال الشيطان
وحزبه وكتب الكتائب وبعث البعوث وجهز السرايا في النواحي وباشر بنفسه
الى ان كانت غزوة بدر الكبرى التي اظهر الله بها الدين واعز الاسلام والمسلمين
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعترض عير ابي سفيان بن حرب فالتقاه فنجا
السيف وسمعت به قريش فخرجت لتخلصها من يده فكان اللقاء على بدر قال
تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد وبدر قرية مشهورة على نحو اربع مراحل
من المدينة الى جهة مكة قال النووي في معجم ما استعجم على نحو ثمانية وعشرين
فرسخا نسبت الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر اسم بير
هنالك ويوم بدر هو يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وكان خروج رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليها يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان على راس
تسعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وكان القتال يوم الجمعة لسبع عشرة خلت
من رمضان المذكور فامكن الله رسوله من عدوه فقتل منهم سبعين واسر سبعين
ثم كانت غزوة السويق يوم الاحد لخمس خلون من ذي الحجة على راس اثنين وعشرين
شهرا من الهجرة وسببها ان ابا سفيان بن حرب لما رجع من بدر نذر ان لا يمس النساء
والدهن حتى يغزو محمدا وانه خرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى
واتى العريض من المدينة على ثلاثة اميال منها والنخل وقتل رجلا من الانصار وحليفا له
هنالك ورجع عودة على بدئه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه

في طلبه في مائتين من المهاجرين والأنصار فجعل أبو سفيان وأصحابه يطرحون
جرب السويق تخففا وكانت عامة أزوادهم فلم يدركهم النبي صلى الله عليه
وسلم وسميت الغزوة لذلك السويق وهو قمح أو شعير يقلى ثم يطحن فيتزود به
وربما لت بسمن أو عسل ثم كانت غزوة أحد التي محص الله فيها المسلمين
يوم السبت لإحدى عشرة خلت من شوال سنة ثلاث من الهجرة استشهد فيها سبعون
من الصحابة منهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فرأت في نيرانها راغرت
بنا رهنا من المسلمين وذكرتهم بيوم بدر وجزع المسلمون لذلك فأنزل الله تعالى
أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها يعني يوم بدر قلتم أنى هذا الآية وقتل
من المشركين يوم أحد ثلاثة وعشرون رجلا ثم كانت غزوة بني المصطلق وتسمى
غزوة المريسيع يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس من الهجرة والمصطلق
بطن من خزاعة واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن لحي وجذيمة بالجيم والذال المعجمة
مصغرا وإنما قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى في خزاعة
وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار قد جمع
لحربه فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في بشر كثير حتى وافاهم على الماء بالمريسيع وهو ماء
لخزاعة على مسيرة يوم من الفرع بضمتين وبين الفرع والمدينة ثمانية برد فنصر
الله نبيه على الحارث وجمعه فقتل منهم في كل وجه وسبى النساء والذرية وغنم
النعم والشاء ولم يستشهد من المسلمين إلا رجل واحد وفي هذه الغزوة أصاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المذكور
وتزوجها ومن على قومها فأطلق سبيهم وفيها قال عبد الله بن أبي المنافق
لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وفيها نزلت آية التيمم وقال أهل
الإفك في عائشة رضي الله عنها ما قالوا فبرأها الله وكمل بها كما سبق في
الغزاة ثم كانت غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب في شوال سنة خمس أيضا
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق شامي المدينة من طرف الحرة
الشرقية إلى طرف الحرة الغربية ولم يكن من مكايد العرب وإنما أشار به سلمان
الفارسي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنا إذا حوصرنا خندقنا علينا
فاستحسنه النبي صلى الله عليه وسلم وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين

وسببها أن نفرا من يهود بني النضير حملتهم عداوة النبي صلى الله عليه وسلم
على أن خرجوا حتى قدموا مكة فاستنفروا قريشا على حرب النبي صلى الله عليه
وسلم ووعدوهم على أن يكونوا يدا واحدة عليه حتى يستأصلوه ثم أتوا غطفان
من قيس عيلان ووعدوهم على مثل ذلك وفعلوا مثله في كل من أجابهم من قبائل
العرب فخرجت قريش بمن أجابها وغطفان بمن اتبعها حتى نزلوا بمجمع السيول
حول المدينة في عشرة آلاف فسميت غزوة الأحزاب لتحزبهم وحاصروا النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى بلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون
ووقع قتال يسير ومراماة بالنبل ثم إن الله أوقع الخلاف بينهم وبعث عليهم
ريحا في ليلة ظلماء فرقت جمعهم بعد نحو عشرين يوما من قدومهم وذلك قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم
ريحا وجنودا لم تروها الآية ثم أوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم إثر ذلك
ببني قريظة فأفنى جل رجالهم قتلا ونساءهم وذراريهم سبيا ثم كانت
قضية الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة صالح فيها النبي صلى الله
عليه وسلم قريشا على وضع الحرب بينهم عشر سنين بعد ما صدوه عن البيت
فقضى عمرته من العام القابل وهي عمرة القضاء ثم كانت غزوة خيبر خرج
إليها صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم سنة سبع فحاصرها بضع عشرة ليلة
إلى أن فتحها وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة
إلى جهة الشام وقسمها صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ثم ساقى أهلها عليها
بالنصف قال ابن عمر رضي الله عنه ما شبعنا حتى فتحنا خيبر وقالت
عائشة رضي الله عنها لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر وفي هذه الغزوة
اصطفى النبي صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير
من السبي ثم أعتقها وتزوجها وفيها حرم لحوم الحمر الأهلية وفيها سمته زينب
بنت الحرث اليهودية في ذراع الشاة فبقي أثر تلك الأكلة به إلى أن كانت منه
منيته صلى الله عليه وسلم ثم سار إلى وادي القرى ففتحه وصالحه وصالحه أهل
تيماء على الجزية وكانت هذه البلاد كلها لليهود ثم قفل صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة مؤيدا منصورا ثم بعث جيشا فيه ثلاثة آلاف مقاتل إلى مؤتة

من ارض الشام فقاتلوا الروم والمتنصرة من العرب فاستشهد امراء الجيش
الثلاثة وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة وتحاجز
الناس واخذ خالد بن الوليد الراية ورجع بالمسلمين الى المدينة ثم نهض
صلى الله عليه وسلم الى فتح مكة ففتحها في رمضان سنة ثمان من
الهجرة. وكانت قريش قد نقضت الصلح الذي عقدته مع النبي صلى الله
عليه وسلم بالحديبية فامكن الله منهم وكان هذا الفتح سبب انقياد العرب
كلها للدخول في دعوته فهو الفتح الاعظم المراد بقوله تعالى انا فتحنا
لك فتحا مبينا الاية وبقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وبقوله تعالى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الاية وبه انقطعت الهجرة قال
صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ولما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من فتح مكة سار الى حنين بالتصغير وهو واد قرب
ذي المجاز بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفة وتسمى غزوة هوازن
وذلك انهم لما سمعوا بفتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة اجتمعوا هم
وثقيف وتعاقدوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رئيسهم في
ذلك مالك بن عوف النصري من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن فخرج اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست خلون من شوال
في اثني عشر الفا من المسلمين فوصل الى حنين ليلة الثلاثاء فالتقوا العدو
فاوقع بهم بعد ان جال المسلمون جولة ورجعوا على اعقابهم حتى لم يبق مع
النبي صلى الله عليه وسلم الا نفر من اصحابه واهل بيته وهو يقول انا النبي
لا كذب. انا ابن عبد المطلب. ثم وجه سرية نحو اوطاس لبعض فل هوازن
الذين تجمعوا فيها وحصل النصر التام والفتح العام ثم توجه صلى الله عليه
وسلم نحو الطائف بعد ان جمع غنائم هوازن وتركها بالجعرانة فحاصر ثقيفا
بالطائف ثمانية عشر يوما ثم افرج عنهم وعاد الى الجعرانة فقسم غنائم
هوازن واعطى المؤلفة قلوبهم حتى عمرتهم واغنتهم وعاد الى المدينة بعد
مغيبه عنها شهرين ونصفا فلما دخلها بعث البعوث ووجه السرايا
وتردد عليه الوفود واصفقت العرب على الدخول في دعوته وتسللوا من كل جهة

الى تلبيته ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى تبوك غازيا بني الاصفر يوم
الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة في نحو ثلاثين الفا وتبوك موضع معروف
بالشام واول الشام بينه وبين المدينة اربع عشرة مرحلة ومنه الى دمشق احدى
عشرة مرحلة وتسمى غزوة العسرة وهي المرادة بقوله تعالى لقد تاب الله
على النبيء والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الآية قال
الزمخشري كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة
من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة السنخة وبلغت
بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها
الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان
من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ونجم النفاق وفيه كشف
من كان يخفيه ولذا سميت الفاضحة واقام صلى الله عليه وسلم على ماء تبوك
بضع عشرة ليلة ثم انصرف راجعا ولم يلق كيدا بعد ان صالح صاحب ايلة
وصاحب جرباء واذرح وصاحب دومة الجندل على الجزية وهي آخر غزواته
صلى الله عليه وسلم ثم كانت حجة الوداع سنة عشر من الهجرة وفيها نزل
قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا ثم كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة
خلت من ربيع الاول سنة احدى عشرة فهذه مشاهير غزواته صلى الله
عليه وسلم قد ذكرناها بحسب الامكان ورتبناها على ما مشى عليه في الخلاصة
والدنا رحمه الله رتبها بحسب ما سمح له النظم وقد عرفت الصواب في
ذلك وعدة غزواته التي خرج فيها بنفسه سبع وعشرون غزوة على ما
عليه اصحاب المغازي والسير قاتل في تسع منها وهي التي اعز الله بها
الدين واظهر بها الاسلام والمسلمين وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه
من قصيدة يذكر فيها مآثر قومه وما اكرمهم الله به من نصرة نبيه صلى
الله عليه وسلم

وكنا ملوك الناس قبل محمد * فلما اتى الاسلام كان لنا الفضل
واكرمنا الله الذي ليس غيره * الاها بايام مضت ما لها شكل

بنصر

بنصر الإله والرسول ودينه — وألبستماه اسما مضى ماله مثل

أزاليك فوزي خير قوم بأسرهم — فما كان من خير يفوق له أصل

ومن طويلة وله أشعار أخر في هذا المعنى يطول جلبها وعن الهيثم بن عدي أن
الأنصار حضروا باب معاوية رضي الله عنه وهو خليفة فاستأذنوا عليه
فخرج حاجبه وهو سعد بن أبي درة عنده ومن كان بالباب من الأوس والخزرج فليس خلل
وشكا أن يقول الأنصار وكان ذلك بحضرة معاوية وعمرو بن العاص رضي
الله عنهما فكتب النعمان بن بشير رضي الله عنه وأنشأ يقول

يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا — نسب نجيب به سوى الأنصار

نسب تخيره الإله لقومنا — أثقل به نسبا على الكفار

إن الذين ثووا ببدر منكم — يوم القليب هم وقود النار

وقام مغضبا فانصرف فبعث معاوية فرده وترضاه وقضى حوائجه وحوائج
من كان معه من الأنصار **قلت** وكفى الأنصار شرفا قول الله تعالى فيهم
والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم الآية فليس بعد ثناء الله ثناء وليس
بعد ذكره ذكر والله تعالى أعلم **التعريف بأبي الربيع الكلاعي رحمه الله**
هو الشيخ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان الكلاعي
البلنسي الحافظ المشهور عرف بابن سالم ينتهي نسبه إلى ذي الكلاع الحميري
وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكتب إليه صلى الله عليه وسلم مع جرير
ابن عبد الله البجلي فأسلم وخرج مع جرير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبلغهم اي
خبر وفاته وهم بالطريق فرجع ذو الكلاع ثم وفد على عمر بعد ذلك قال ابن
عبد البر ولا أعلم لذي الكلاع صحبة أكثر من إسلامه واتباعه النبي صلى الله
عليه وسلم في حياته ولكنه أحد الوفود عليه والله أعلم وكان القائم بأفق
معاوية في حرب صفين وقتل قبل انقضاء الحرب ففرح معاوية بموته لأنه بلغه
أنه عازم على التشغيب عليه لتحققه أن عليا رضي الله عنه بريء من دم
عثمان رضي الله عنه وعن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل وكان من أفضل أصحاب
ابن مسعود قال رأيت ذا الكلاع في المنام في ثياب بيض في أفنية الجنة فقلت
ألم يقتل بعضكم بعضا فقال بلى ولكن وجدنا الله واسع المغفرة وأما المترجم

لها وعند كافة من لقيه من العلماء بصقع الاندلس الشرقي فيها وكتبه للحديث مبرزا
في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لأحكام أسانيده ذاكرا لرجاله ريان من
الأدب كاتبا بليغا خطيبا فخطب بجامع بلنسية واستقضي بها فعرف بالعدل
والجلالة . وكان مع ذلك من أولي الحزم والبسالة . قال تلميذه أبو عبد الله
ابن الأبار وإليه كانت الرحلة في عصره للأخذ عنه والسماع منه وكان يحضر
الغزوات ويباشر القتال بنفسه ويبلي البلاء الحسن وكانت ولادته في
خارج مرسية سنة خمس وستين وخمسمائة وأخذ عن أبي القاسم ابن حبيش وأكثر
عنه وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي بكر ابن الجد وأبي محمد الحجري وغيرهم وأخذ
عنه أبو عبد الله ابن الأبار وأبو عبد الله بن عز الله وأبو الحجاج ابن حكم
وابن الغماز وغيرهم ممن يطول ذكرهم وله تآليف عديدة منها كتاب الاكتفاء
في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء ومن المعتني للناظم ومصباح الظلم في الحديث
والأربعون عن أربعين شيخا لأربعين من الصحابة والأربعون السباعية والسباعيات
من حديث الصدفي وحلية الأمالي في الموافقات العوالي وتحفة الوراد ونجعة
الرائد والمسلسلات في الإنشادات وميدان السابقين وحلبة الصادقين
المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته كنية
زوجه من الصحابة والإعلام بأخبار البخاري الإمام والمعجم في مشيخة أبي القاسم
ابن حبيش وبرنامج رواياته وجنى الرطب في سني الخطب ونكتة الأمثال ونفثة
السحر الحلال وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح وامتثال المثال في
ابتداع الحكم واختراع الأمثال ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل
بطريقة أبي العلاء المعري في ملقى السبيل وصفة تنبيه اللمح واللاحق المبتكر مائة مسألة
ملغزة ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم في مثال النعل النبوية
على لابسها أزكى الصلاة والتسليم قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثر والنظم
لكان أحسن وله كتاب الصحف المنشرة في القطع العشرة وديوان رسائله سفر
وديوان شعره سفر وأشعاره كثيرة جيدة على طريقة أهل الأندلس لا نكمل نقله
واستشهد رحمه الله في وقيعة أنيشة على ثلاثة فراسخ من بلنسية ضحى يوم
الخميس الموفي عشرين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة ولم يكمل رحمه الله

متفرقا أقام الصغير زمنا أي الكبار ومقبلا عليهم والرواية ببرك ومعنى يبدد
المتمرين أمر الجنية يعبرون عشرين فتركها بر أنه منتسبا بركة الله مضجعه وكان ذا بما
يقول أن قد تعاطى عمره سبعة عشر سنة لمن يبارى أما في صغره فكان كذلك وزناه التميزه
انما يكن ابن عشر العقد ابن الدبار بقصيدته التميمية الشهيرة التي يقول في أولها

أيام أشكو لدى القلادة والمكارم * تفرّ بالحراء الغنا والصوارم

ليس يحرق ثم زدت فخرا * بأدب العمر وحسن منهجي

وزان علمي أدب فلن ترى * من شعره كشعري المنتقى

اللغة قوله بيض يحرق الفخر بالشكر وعدله والافتخار التمدح بالخصال والمناقب
من حسب ونسب وغير ذلك إما في المتكلم أو في آبائه وقد يحرق بيض فخرا وفخرا مرتا
نفع كما فيحرف وتفاخروا فخر بعضهم على بعض وقام فى فعلهم له وفاخرا فاخرتي
بالفخر فنخرته من باب نصر أي غلبته قوله بأدب العمر قال أبو زيد الأنصاري
الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل والجمع
آداب مثل سبب وأسباب والمراد به هنا علوم خاصة تتعلق بلسان العرب وما يتبعها
وايامها ولاها وجمع الى ذلك والعمر الكثر كما نعيتر وقد عمر يعمر من باب ترب
وقرب عمارة وعمورة والعمير العلو اه أبوا وكل ناضر فهو عمر كالشباب
وغيره قوله كشعري المنتقى التمتيو التحسين وقد نمقت الشيء تنميقا حسنته وزينته
ونمقت الكتاب كذلك كتبته كتابة حسنة قال النابغة *

كأن مجر الرامسات ذيولها * عليه حصير نمقته الصوانع

الاعراب والنحو بيت قوله بيض يحرق جملة مستأنفة وقيل بيض بمعنى
على الفعل المتفرع ذكر بيض و تقرير المعمول يوذن بالحصر وقوله ثم زدت
بعده جملة معطوفة عليه وعبر بثم المقتضية للتراخي لأن فخره بالشعر إذا
وشرفه بيض يكون مصحوبا به من حين يولد كما قال المتنبي في مرثية صبي من أبناء
الملوك

ومثلك لا ينكى على قدر سنه * ولكن على قدر المخيلة والاصل

وفخره بنفسه يكون بعد بلوغه مبلغ الرجال واكتسابه حميد الخصال قال الشاعر

اذا بلغ الفتى عشرين عاما * ولم يفخر فليس له افتخار

وقوله زدت فعل وما عمل وهو مجزوم العين أصلها ياء انقلبت ألفا ثم حذفت

لانتفاء الساكنين وبادٍ يتعلق به أو بمحذوف والغض نعت له ومن مجاز عن كونه
متقنّعا مزويّا عن أهله مع سيلان دمعه وانقياده كالصبي وجوده في جنة واستمتاعه
بنكته وعيونه عند الحاجة إليه وأراد بحشو المنكر ما أوقعه من ذلاقة اللسان
وفصاحة الجنان وجودة الفيض الريان من ماء الفصاحة والبيان فقوله وزان
على أن جملة معطوفة على التي قبلها وألف زان منقلبة عن ياء والأولى أن يكون زان ج
بالعلا مؤخرا وعلى مقدم للتفرقة ولكثير من باب ما يجب فيه تقديم الفاعل على
مفعوله للتشبيه كما ضرب موسى عيسى أي زان الأدب زاينا للعلم من الشأن وإن
كان كل منهما يزين الآخر ومنه قول الأديب محمد بن مخلد من قصيدة يمدح بها يوسف بن
أبي الفتح * شيئان عز في الكفاية عنهما * عتب الحبيب وعهد أيام الصبا
وثلاثة فركاب عرف نسيمها * زمن الربا فرح وخلق يوسف والقبا
علاقة الآداب وقراءة شعاره * لعلومه أضحت كمرآة أقزعبا
فقوله فلن تره جملة معطوفة كالتي قبلها والفاء سببية ولن حرف ينفي
المستقبل والمعبر بتأكيد نفيه ولا تأبيده خلافا للزمخشري وتره منصوب بها وأصله
تراه كيمنع ثم قلبت الياء ألفا بعد استثقال الحركة عليها ونقلت حركة الهمزة
الى الساكن قبلها وهو الراء ثم حذفت تخفيفا بعدها وتره يحتمل أن تكون بصرية
فمن بعدها نكرة موصوفة وجملة شغلها كشعري في محلها ويحتمل أن تكون علمية
فمن مفعول أول والجملة مفعول ثان ويجوز أن تكون نعتا لمن والمفعول الثاني محذوف أي
موجودا وأمثلها في قوله فلن ترى عالما لم يفخر به وأحر بعينه وإنما أفاده من تبع
منه الرؤية والله تعالى أعلم قال الشيخ أبو علي اليوسي رحمه الله في حواشيه
ما ملخصه الإنسان قد يفتخر بنسبه وهذا هو الفخر العظامي لأنه افتخر بالعظام
الرفات وقد يفتخر بنفسه أي بالخصال التي اتصف بها والدرجة التي نالها في
الدين والدنيا وهذا هو الفخر العصامي وهو مأخوذ من قول عصام حاجب النعمان بن
المنذر نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والإقداما
وصيرته ملكا هماما *
والناس في ذا الأمر مختلفين في هذا المعنى فقوم يفتخرون بآبائهم ويعتنون بذلك كقوله
أنا ابن من يغنيك مخبره وخبره * أبو له منذر ماء السماء

وقال

وقال العرجي وهو من ذرية عثمان بن عفان رضي الله عنه

كأني لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتي في آل عمرو

وقال الفرزدق

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ولما انشد حسان رضي الله عنه النابغة قوله

ولدنا بني العنقاء وابني محرق * فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

قال له النابغة افتخرت بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدك في أشياء أخر انتقدها عليه
فهذا مذهب العرب وهو الافتخار بالآباء وقد ذمه النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بالآباء الناس بنو
آدم وآدم من تراب الحديث **قلت** وهذا مثال العامة من افتخر على شرف
آبائه تغذ بعظمهم وقوم يفتخرون بأنفسهم وهذا النوع كثير أيضا لأنه طبع
للآدمي لا يكاد يسلم منه أحد ولا يحصر ما وقع فيه من كلام الناس نظما ونثرا
ومن أبدع ما ورد في هذا المعنى قول السموأل

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

القصيدة المشهورة وقول الفرزدق

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما * يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

وغير ذلك ثم إن كثيرا من الناس لا يلتفتون إلى النسب ولا يقيمون للمفتخر به وزنا
كما قال الحريري

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه * على ما تجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما * فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وقال الآخر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

إلى غير ذلك مما لا يحصى واعلم أن شرف النسب فضيلة قال تعالى وكان أبوهما
صالحا وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بنت حاتم إن أباها كان يحب مكارم
الأخلاق ووصف الإنسان بشعبه من الشأن في النسب زيادة فضيلة فإلغاء
النسب رأسا جهل والافتخار عليه عجز والصواب ما قال أبو عامر بن الكتيبل

وإني وإن كنت ابن سيد عامر ... وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمنكبي

ومثله قول الآخر

لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوما على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال الخليفة الراضي بالله العباسي

لا تعذلي كرمي على الإسراف ... ربح المحامد متجر الأشراف
أجري كآبائي الخلائف سابقا ... وأشيد ما قد أسست أسلافي
إني من القوم الذين أكفهم ... معتادة الإخلاف والإتلاف

فهذا وأمثاله الفخر العالي البنيان المتأسس على ذكاء قلت ومن أبين ما سلكه الناظم رحمه الله حيث قال بهمة حزت ثم زدت بمجد الآباء. البيت واعلم أن الناس في هذا الباب ثلاثة رجل كان أصيلا ثم قام هو أيضا بتشييد بنيانه وتمهيد بستانه كالذي قبله فهو أكرم الناس وأولاهم بكل فخر ورجل لا أصل له ينتمي إليه ولا حسب يعرج عليه ولكن انتهض في اقتناء المعالي واقتناص المفاخر حتى استمر بمحاسن الخلال وصار في عداد أهل الكمال وانتشر لسان حاله

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرت لا بجدودي

فهذا حري أن يشرف بنفسه وأن يشرف به من بعده وأن يكون هو أساس بيته وعمود نسبه ورجل له أصل وفرع شرف ثم لم يجدده وهو إما أن يقصر عن أمثاله فلم يبن ولم يهدم مع أنه في الحقيقة من لم يكن في زيادة فهو في نقصان وهذا لا فضيلة له إلا بمجرد النسب والفخر العظامي كما مر وإما أن يهدمه فلا نسبة خير ما كان عليه سلفه فهذا بمنزلة من يهدم الدار ثم يحرث البقعة فما أقبحه فهذا مذموم فما جنى على نفسه وفيما جنى على حسبه ونسبه. هـ كلام الشيخ اليوسي رحمه الله باختصار

(فإن مدحت فمديحي يشتفى ... به كمثل العسل المشرق)
وإن هجوت فهجائي كالشهاب ... يقذف في العلو ومثل الشرق

اللغة قوله فإن مدحت المدح الثناء على الشيء بما فيه من الصفات الجميلة

خلقية كما قالوا واختلفوا فيه وسواء كان الفرح أعظم من الحزن لأن الحزن لا يكون إلا باختيا رية
وقد فرحته فرحا من باب نفع والفرح والفرحة والاسم الفرحة ما يفرح به قوله يستشفى
به الشفاء الدواء وجمعه أشفية وشفاه الله من مرضه شفاء بالمد أبرأه
واستشفى من طلب الشفاء واستشفى بكذا تداوى به قوله مثل العسل الذي
أما العسل فهو معروف يذكر ويؤنث واختلف الناس في حقيقته وكيفية تكونه
قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره ما ملخصه رأيت في كتب الطب أن الله
تعالى يحدث في الهواء في بعض الليالي طلا لطيفا يقع على أوراق الأشجار فبعضه
يقع أجزاء لطيفة متفرقة على الأوراق وأزهار وبعضه يقع أجزاء كثيرة
مجتمعة محسوسة وهذا الثاني هو الترنجبين فإنه طل ينزل من الهواء ويجتمع على
أطراف الأوراق في بعض البلدان وذلك محسوس وأما الأول اللطيف فهو الذي
ألهم الله النحل أن تغتذي به فتلتقطه من أطراف الأوراق والأزهار فتتغذى
به حتى إذا شبعت التقطت باقيه بأفواهها وذهبت به إلى بيوتها فتدخره لقوتها
في زمان البرد وأيام الشتاء حتى يتغذى به وهذا للذي فيما يجتمع من ذلك الطل
في بيوت النحل حتى يصير كثيرا هو العسل ومن الناس من يقول إن النحل تأكل من
الأزهار اللطيفة والأوراق العطرة فيستحيل ذلك في بطونها عسلا ثم تقيئه في بيوتها
فذلك القيء هو العسل والأول أقرب عقلا واستقراء فإن طبيعة الترنجبين قريبة
من طبيعة العسل في الطعم والشكل ولا شك أنه طل يحدث في الهواء ثم يقع على
الأوراق والأزهار فكذا هنا وأيضا فنحن نشاهد أن النحل يتغذى بالعسل ولذلك إذا
أخذنا الشمع من بيوتها نترك لها منه بقية تتغذى بها فعلمنا أن ذلك غذاؤها
انتهى بيسير قوله تعالى يخرج من بطونها شراب فيه تفسيران أحدهما أنها البطون المتعارفة
وهذا على أن العسل قيء ثانيهما أن البطون أفواهها لأن كل تجويف في البدن يسمى
بطنا وهذا على أن العسل هو الطل الذي تحمله إلى بيوتها وقد تعقب كلامه
الشيخ علاء الدين البخاري بما ينبغي الوقوف عليه قوله المروي في المتفق من أنه
لما يزده إلا ضعفا وزد فيه أنه صحيحة وإلا فورود البينة قوله وأن يعرف الطب
والصفاء ثلث إلا غرائزه كرمها بالناس بالشيخ والشيخ مقصورا أما ينسب في
الطلو من حكيم وغيره وقد سئل به كذا في شيئا قال الشيخ عمر

مَن يكرني بسيفي كنت منه * كالشجا بين حلقه والوريد

قوله ومثل الشر هو بالتعريف الغصة في الحلق ومن شرق ومن بريقه اي غص بريقه

قال عدي بن زيد *

لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

الإعراب والتصريف قوله فإن مرضت جملة معطوفة على التي قبلها والفاء سببية وان حرف شرط ومرضت فعل الشرط مجزوم المحل وجملة فمن يشتفي به جوابه وهي في محل جزم به فمن اتصل بالفاء وايف يشتفي منقلبة عن ياء ونائب الفاعل هو الجار والمجرور وقوله كمثل الغص حال من النائب والكاف زائدة قوله وان غصصت جملة معطوفة على التي قبلها واعرابها كاعرابها وقوله كالشجا خبر عن محذوف وجملة تقع في الحلق حال منه او صفة له لان المراد منه الجنس فهو في معنى النكرة كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني *

وهذا الوجه اولى لسلامته من التقديم والتأخير ويجوز ان يكون خبر المبتدأ هو جملة تقع وكالشجا حال مقدم عليه فرع عليه وهذا الوجه انسب باعراب البيت الذي قبله ومعنى وقوع الشجا في الحلق على هذا انه يعترض فيه غصة تفعل فعل الشجا والياء منقلبة عن واو ويكتب الياء قوله ومثل الشر معطوف على قوله كالشجا فعلى انه خبر فمثل المعطوف عليه مرفوع وعلى انه حال فمثل منصوب والله اعلم ومناسبة البيتين لما قبلهما من هذا الشاعر ...

وان ابتلاه فمنه يشتفي بها وهو على مذهبه الله عليهم

والمراد من هذا الشرح بالفصاحة والتنزه على الكلام والتصرف في فنون الشعر حسنها وقبيحها لما قال الله تعالى في وصف الشعراء الم تر انهم في كل واد يهيمون الاية ومن اكثر هذا المعنى بقوله بقدر ما زين الشعر عضى بعض الابيات السنة

واعلم ان الشعر مكروه لانه اما غيبة او قدح وكلاهما حرام بالكتاب والسنة والاجماع واذا كان يطلق الكلام بما يسوء المسلم حراما فكيف بالشعر المتكلم به الذي يحتال صاحبه على ترويجه وتحسينه بالمبالغة في تزويقه فينبغي التنزه عن مجالس الزور وتداوله امثال الاجيال والعصور نسأل الله السلامة والعافية ولغزه كوابعا بكم ابن عساكر في تاريخ دمشق حسبما نقله ابن خلكان في ترجمة ابي

في الحسين ابن منير الشاعر قال حدثني الخطيب السديد ابو محمد عبد القاهر بن عبد
العزيز خطيب حماة قال رايت ابا الحسين ابن منير الشاعر في النوم بعد موته وانا على
حافة بستان من ربعة فسالته عن حاله وقلت له اصعد الي فقال ما اقدر من رائحتك
فقلت تشرب الخمر فقال شر من الخمر يا خطيب فقلت ما هو فقال تدري ما جرى علي
من شعري الغضابر الذي قلت في مثالب الناس فقلت له ما جرى عليك منها فقال لساني
قد طال وثخن حتى صار مد البصر وكلما قرأت قصيدة منها صارت كلابا تتعلق بلساني
وابصرته حافيا عليه ثياب رثة الى غاية وسمعت قارئا يقرأ من فوقه لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل الآية ثم انتبهت مرعوبا اهـ اللهم يا خالق الطول
والعرض ومن بيده ملكوت السموات والارض اغفر لنا ما اجترحناه من الزور والنقل
والعرض ولا تفضحنا يا مولانا يوم العرض هـ قال ومن ثم خبر بعض الشعراء
للهجاء ويلتمس له مخرجا يوم سوقهم في بعض الاخبار وذلك من تدبير ابناء هل
بالجزاء الجزاء جمع ذلك ان الخليفة المتوكل قال لابي العيناء الى كم تمدح الناس
وتذمهم فقال ما احسنوا واساءوا وذلك دأب الله عز وجل في خلقه رضي عن
عبد فمدحه فقال نعم العبد انه اواب وغضب على آخر فزناه فقال وكيف
زناه قال انه قال في الوليد بن المغيرة عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدخيل في القوم
وليس منهم ثم انشد

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا * ولم أذمم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه * وشق لي الله المسامع والفما

وغير بعيد ان عبد الله بن المعتز اراد جعل الاثم انما يترتب على المدح دون الهجو فقال

وقالوا في الهجاء عليك اثم * وليس الاثم الا في المديح
لاني ان مدحت مدحت زورا * واهجو حين اهجو بالصحيح

وما زان الشعر عصى غير بعقر * لكما عني في عيصي وعنصري
وان يكن سيفا مصلتا ولقد * ابى فيا ذاك بمنا و عنفسي

اللغة قوله في عيصي وعنصري العيص والعنصر الاصل والحنق بالتحريك الغيظ او
شدته ومن حنق عليه حنقا كفرح فرحا واحنقه غيره فهو حنق كرم كرم قالت
قتيلة ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق

قوله سيفا معنى التحلية التزيين بالحلي بفتح فسكون وهو ما يتزين به من الذهب
والفضة كذا في الكشاف وقال الجوهري هو ما يتزين به من مصوغ المعدنيات او الحجارة
وحلية السيف زينته قال ابن فارس ولا تجمع والحلية ايضا الصفة وهي ماخوذة من
الاول وقد تجمع على حلى بكسر الحاء وضمها مع القصر قوله ابلى نجاده في نجاد
السيف حمائله والفتح وبالكسر وقصر عمائقه معا نفعه وعنا فاذا همه وانثنى فعاد
ماخوذ من العنوان اذ المتعانقين يجعل كل منهما يديه خلف عنق صاحبه ويضمه اليه
والمتعانقة اللام اغفرته بجزو منه والله تعالى اعلم **الاعراب والنحوي**
قوله قال يا ايها الشيخ في جملة معطوفة على التي قبلها والفاء سببية وان حرف شرط
وتبدي فعل الشرط مجزوم بالسكون على النون المحذوفة تخفيفا وقد تقدم ان حذفها مع
ملاقاتها للالف التي يعرف مذهب يونس وتبعه ابن مالك وعند الجماعة انه يجوز الا
اذا لقيها متحرك كقوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها وما ورد على خلاف ذلك
ضرورة كقوله * فان لم تك المراة ابدت وسامة * فقد ابدت المراة اجمعة ضيغم
والشعر اسم تكن وجملة عصي خبرها والياء منقلبة عن ياء وتكتب كذلك
وجملة تبدي لا محل لها جواب الشرط والالف للاطلاق منقلبة عن واو وفي عصي وهو
متعلق بيعلو بتقدير مضاف اي في حالتي عيني وجنون والنكرة فيه ضمير جارية فقوله
وان يكن شيبا جملة معطوفة على التي قبلها اعرابها كاعرابها ومحلى نعت السيف
وهو اسم مفعول اصله محليا كمعطي تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت الفا
فاجتمع ساكنان الالف والتنوين فحذفت الالف وتكتب بالياء لانها منقلبة عنها
وجملة فلقد ابلى في جواب الشرط واللام في لقد جواب قسم مقدر تقديره والله لقد
قال ابن هشام في المغني وحيث قيل لئن فعلت او لقد فعل او لئن فعل ولم تتقدم جملة
قسم فثم جملة مقدرة نحو لاعذبنه عذابا شديدا ولقد نصركم الله ونحو لئن
اخرجوا لا يخرجون معهم وقوله ابلى فعل ماض والالف منقلبة عن ياء ونجاده مفعول
مقدم وعينا وما عطف عليه وهو في مضاف اليه ما قبله والله اعلم **البيان**
في كلام الناظم رحمه الله الاستعارة بالكناية حيث جعل الشعر شخصا فلا تتصور
منه الكامة والعصيان كما تتصور من العقلاء واضمر التشبيه ورمز له ببعض لوازمه
وهما ايضا مجازان عن شموله نظم الشعر عليه وصعوبته على غيره كالارادة في قوله

مثم

تعالى جدارا يريد أن ينقض وقد مثّل الزمخشري بجعل الاستعارة التخييلية قرينة للمكنية كما مثلنا وفي قوله وان يكن شيئا التشبيه البليغ إذ لا هو وان يكن مثل شيء، وقوله أبلى نجاده ترشيح للتشبيه وهو أيضا كناية عن رسوخ قدمه فيه والعدل له منزلة الجبال كقول عمرو بن معدي كرب في الكناية عن طول زمنه الحرب واعتياده لها *

أعاذل إنما أفنى شبابي ... وأقرح عاتقي حمل النجاد

مما كان التشريك في الانعام **البديع** في كلام الناظم منه الغزل المسمى بالكناية والعضبا ومن هذا استشهد أبو العلاء المعري من قول أبي الطيب المتنبي يصف نفسه بالعفاف *

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر ... ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

قال إنما أراد أبو الطيب أن يقول يرد يدا عن ثوبها وهو مستيقظ بحيث تكيفه الكناية في قافية البيت فلم يكفه الوزن مع الأخ لقافية فاه روجعلها مكان مستيقظ لما فيها من معنى اليقظة وزيادة فإنها عند التجنيس المقلوب من قادر وراقد وعمدته الكناية في راقد ومستيقظ فلم ينقل ثبته عن معنى من يعني وقد بحث معه الشيخ زكي الدين ابن أبي الأصبع بما فيه ضعف فانظره وبيان هذا المعنى في كلام الناظم أنه أراد أن يقول في هيفهو وغم في ان الهيف هو من الناظم وان يقابله حقيقة هو الغم فلما لم يساعده الوزن والقافية عدل إلى الكناية عنه التي تعنا بها العضب وأفاد معا مفاد يجعله من ذلك شبيه الجبال وكقوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم فإن الرحمة تستلزم اللين الذي هو ضد الشدة كما أن الغنى يستلزم الغم الذي هو ضد الناظم حتى يحصل الا تتقابل بين مبادئ طبقا فلم يخل كلام الناظم من معنى من يعنى كما ترى وفي قوله عنا ق
عنفي جناس الاشتقاق وهو كما ترى والله أعلم وآل البيت الأول من كلام الناظم مأخوذ من قول أبي تمام يمدح مقرا المبارك *

لقد حل من غدا آل يمين بعزمه ... فوالله يشعر لو ترى من ماجد بنا
اذا ما عمت من آل معا أو سما لنا ... الكا عمت بتي عقبا يسوس عزبا جمى

ومن هذا المعنى ما روي أنه قيل لأبي العتاهية كيف تقول الشعر فقال ما أردته

فهو الذي قبله في قوله فالأرض وإن لا الأرض والبيت الثاني مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

أرى المجد سيفا والقريض نجاده ... ولولا نجاد السيف لم يتقلد

وعند جمال الذات للسيوف جمالها ... تحلت بأبكار الثناء المخلد

وإن كان الناظم جعل الشعر نفس السيف والمجد جعله نجاده ألا ترى فالمعنيان متغايران وسيأتي للناظم هذا المعنى في قوله وهو للمجد نجاد سيفه البيت والله أعلم

وإن يكن بردا فقد هززت به ... معتجرا دون جميع السوق

وإن يكن تاجا فقد زاد سنا ... جبين من حل بفرق تعرفي

اللغة قوله وإن يكن بردا البرد بالضم ثوب مخطط يجمع في القلة على أبرده وأبراد وفي الكثرة على برود والبردة بالهاء كساء أسود مربع تلبسه الأعراب قوله معتجرا الاعتجار لف العمامة على الرأس قاله في الصحاح وقال غيره الاعتجار بالعمامة ونحوها أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يجعل منها شيئا تحت ذقنه وفي الاعتجار بالبرد يقول الراجز

جاءت به معتجرا ببرده ... سفواء تردي بنسيج وحده

قوله سفواء أي بغلة خفيفة سريعة قوله دون جميع السوق هو جمع سوقة بالضم وهو خلاف الملك من الناس وليس المراد به ما كان من أهل الأسواق خاصة بل كل من عدا الملك فهو سوقة قال نهشل بن حري

ولم تر عيني سوقة مثل مالك ... ولا ملكا تجبى إليه مرازبه وقال

زهير يا حار لا أرمين منكم بداهية ... لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وهو يطلق على الواحد والمثنى والمجموع بلفظ واحد قالت بنت النعمان بن المنذر

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

أي نخدم الناس وربما جمع على سوق كما فعل الناظم وكما قال زهير

يطلب شأو امرئين قدما حسنا ... نالا الملوك وبذا هذه السوقا

قوله وإن يكن تاجا التاج للعجم كالعمامة للعرب ولذا يقال العمائم تيجان العرب وتوج فلان إذا سود وإنما لأنه يلبس التاج حينئذ كما يقال في العربي

عمم

تميم وقال المتنبي يمدح سيف الدولة وهو عربي النسب *

وفي صورة الرومي ذي التاج ذلة   لأبلج لا تيجان إلا عمائمه

قوله فقد زاد سنا السنا بالفتح ضوء البرق ونحوه كما تقدم وبالمد الرفعة والشرف وقد قرئ قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار بالقصر وبالمد والمراد هنا الأول قوله جوهرا قال في القاموس الجوهر من كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به قلت ولعل هذا المعنى هو المراد هنا وقد غلب الجوهر في عرف الناس على الحجر الذي يتكون في جوف الأصداف البحرية قالوا إن مطرا ينزل في بعض أيام السنة فتطفو الأصداف على وجه البحر وتفتح أفواهها تعرضا لذلك الماء فإذا أصابها شيء منه انطبقت عليه ثم غاصت به إلى قعر البحر فيتكون في بطونها جوهرا فما كان منه صغيرا فهو اللؤلؤ وما كان منه كبيرا فهو الدر وإذا أصابت القطرة نطفة واحدة تكونت في جوفها حتى تكون كالجوهر الدر وهي اليتيمة لأنها لا نظير لها وفي هذا المعنى يقول الشاعر *

أرى الإحسان عند الحر دينا   وعند النذل منقصة وذما

كقطر الماء في الأصداف در   وفي بطن الأفاعي صار سما

قوله بموقف فيه الصدر المجلس ومقعد وسكن الراء حيث يضطر الشعر فقد قال الأخطل * فكلفتها قلبت لما تكلفت * ولا يغني تعرف الحشار

الاعراب والتصريف قوله وإذا بكى تنزيله جملة شرطية معطوفة على التي قبلها وقوله تقدمت به جوابها واسم بكى ضمير الشعر وبرد خبرها واسم تقدمت ضمير الناظم ومعتمرا خبرها وبه يتعلق به فرع عليه قد وبكى يتعلق به أو بتقدمت وجميع الشروط نظائر البيت ما قبله قوله وإذا بكى تاجا جملة شرطية معطوفة كالتي قبلها والألف التاج منقلبة عن واو ووزنه فعل الكلمة والألف زاد منقلبة عن ياء وسنا مفعوله والألف منقلبة عن واو ويكتب ألفا وجوهر مفعول ثان له وقد عمل بحرف متعلق بزاد وجملة حال في محل جر بإضافة مدائحها وما بعدها ضمير يعود على التاج وبذوي فيه كذلك متعلق بحال والعقد العلم ولا يخفى ما في كلام الناظم رحمه الله من التشبيه والتشبيه وفي قوله دون جميع الشروط تعريض بأنه منزل من الشعر في منزلة الملك وهم منه بمنزلة

الربعية وهذا كقول ابي العلاء المعري

أتمشي القوافي تحت غير لوائنا * ونحن على قوالها أمراء

ويقرب هذا المعنى من كلام الناظم قوله بعد وان يكن تاجا ؛ فان التاج لا ينبغي الا للملك كما مر وكلام الناظم رحمه الله ماخوذ من قول الامام الشافعي رضي الله عنه * عني يوافيك القريض وذكره * وعلي اكليل الكلام وتاجه

ترد على روض الربا ازهاره * ويرق في نادي الندى ديباجه

ومن قول ابي تمام رحمه الله في وصف الشعر

كالدر والمرجان الف نظمه * بالشذر في عنق الكعاب الرود

كشقيقة البرد المنمنم وشيه * في ارض مهرة او بلاد تزيد

وان يكن حديقة فبكمامة * نزهت فيها ناظري وحرفي

وان يكن ثمرا فقد غصت على * جوهره وكنت نعم المقتفي

اللغة قوله وان يكن حديقة الحديقة البستان يكون عليه حائط فعيلة بمعنى مفعولة لان الحائط احدق بها اي احاط ثم توسعوا حتى اطلقوا الحديقة على الروضة ذات الشجر وان كانت بغير حائط وفي التنزيل وحدائق غلبا وقال ابن الانباري في كلام العرب اشياء تختلف اسماؤها باختلاف اوصافها فمن ذلك انهم لا يقولون للبستان حديقة الا اذا كان عليه حائط ولا لما اعد لتقديم الطعام عليه مائدة الا اذا كان عليها طعام ولا للقدح كاس الا اذا كان فيه شراب ولا للبئر ركية الا اذا كان فيها ماء ولا للدلو سجل الا وفيها ماء ولا يقال لها ذنوب الا اذا كانت ملأى ولا للاناء كوز الا اذا كانت له عروة ولا للمجلس نادٍ الا وفيه اهله ولا للسرير اريكة الا وعليه حجلة ولا للمرأة ظعينة الا ما دامت راكبة في الهودج ولا للبيت خدر الا اذا اشتمل على امرأة ولا للقدح سهم الا اذا كان فيه نصل وريش ولا للكبو معزى بكسر الميم الا ما دامت فيه العربة ولا للشجاع كمي الا اذا كان شاكي السلاح ولا للقناة رمح الا اذا ركب فيها السنان ولا للثوب مجسد الا اذا كان مصبوغا ولا للسرب نفق الا اذا انفرق فيه النار ولا للبيت معرس الا اذا كان فيه عاملها ولا لماء الفم رضاب الا ما دام في الفم ولا للمرأة عانس ولا عاتق الا ما دامت في بيت ابويها

قوله نزهت بيهما؛ قال ابن السكيت ومما يضعه الناس في غير موضعه قولهم
خرجنا نتنزه اذا خرجوا الى البساتين قال وانما التنزه التباعد عن المياه والارياف
ومنه قيل فلان يتنزه عن الاقذار وينزه نفسه عنها اي يباعدها عنها ويقوله
في القاموس وزاد واستعمال التنزه في الخروج الى البساتين والخضر والرياض
غلط قبيح وقال ابن قتيبة ذهب بعض اهل العلم في قول الناس خرجوا يتنزهون
الى البساتين انه غلط وهو عندي ليس بغلط لان البساتين في كل بلد انما تكون
خارج البلد فاذا اراد احد ان ياتيها فقد اراد البعد عن المنازل والبيوت ثم كثر
هذا حتى استعملت النزهة في الخضر والجنان هذا لفظه وهو يفيد كلام الناظم
وقال ابن القوطية وجماعة نزه المكان بضم نزاهة من باب تعب ونزه بالضم
نزاهة فهو نزيه قال بعضهم معناه انه ذو الوان حسان وهو شاهد لكلام
الناظم قوله خائض وصف اسم الخائض فهو في الاصل ما يتكلم به القائل من خير
او شر وقال الجوهري الخائض المتاجر وجمعه خواض والناظم اراد به الفكر والبال
نفسه لانه محل لدلالات الوارد وبه يقوى واما الغرف فهو جمع غرفة وهو من
الغير سواه هنا قوله وان يكن فهذا البحر معروف وجمعه ابحر وبحور وبحار سمي
بذلك لاتساعه ومنه فرس بحر اذا كان واسع الجري قوله فقد غصت على
جوهره الغوص في الماء النزول الى اسفله لاستخراج ما فيه من لؤلؤ ونحوه وقد
غاص يغوص فهو غائص وغواص مبالغة فيه ومنه قيل غاص فلان على المعاني
كانه بلغ اقصاها حتى استخرج ما بعد منها قوله وكنت نعم المنتقي الانتقاء
الاختيار والشيء المنتقى المختار والمنتقى المختار وتفاوتت الاشياء وتفاوته بالضم
فيما اختياره **الاعراب والتصريف** قوله وان يكن حديقة جملة
شرطية اعرابها كاعراب الجمل التي تقدمت وقوله فطالما جواب الشرط
وطال الفعل لا فاعل له لانه مكفوف بما الزائدة ولذلك صح دخوله على
الفعل ويكتب متصلا بها وقد تقدم الكلام فيه من هذا الكتاب قوله وكنت
نعم المنتقي كان ناقصة واسمها ضمير الناظم وجملة نعم المنتقي من الفعل
والفاعل خبرها والمخصوص بالمدح محذوف هو الضمير المتقدم المعمول لكان وانه يجوز
دخول الناسخ على المخصوص اذا تقدم كقول الشاعر *

زعم الابتداء

نام

إذا أرسلوني عند تعفير حاجة * أمارس فيها كنت نعم الممارس

الإيصال في كلام الناظم التشبيه والترشيح كالأبيات المتقدمة وفيه المجاز المرسل حيث أطلق لفظ الغمام على البنان نفسه من حيث انه محل له كما هو في مجاز مرسل علاقته المحلية وفي قوله نزهت فيها خاطري وغصت على جوهره استعارتان مصرحتان أصليتان في المصدر تبعيتان في الفعل وذلك انه عبر عن أعمال الفكر في معاني الشعر وتسليط الفكر عليها واستخراج نكتها بتنزيهه إياه في روضها وغوصه في بحرها وذلك استعارة كما لا يخفى والله أعلم ومن تشبيه الشعر بالرياض قول البحتري

ألست الموالي فيك نظم قصائد * هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما

ثناء كأن الروض منه منورا * ضحى وكأن الوشي منه منمنما

ومن هذا المعنى قول أبي الطيب في الرئيس ابن العميد

فقطف الرجال القول قبل نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

فهو المتبع بالمسامع إن مضى * وهو المضاعف حسنه إن كررا

وهو كثير ومن تشبيهه بالبحر قول السري الموصلي يصف شعره

أنقاكما كالدر في أسلاكه * لا بل تزيد عليه في لألائه

من كل رائعة الجمال كأنما * جاد الشباب لها برونق مائه

والشعر بحر عزت الغمر دونه * وتنافس الشعراء في حصبائه

ومثله أيضا كثير ومن كلام أبي علي الحاتمي في رسالته التي شرح فيها ما دار بينه وبين أبي الطيب المتنبي ما صورته وكان يعني أبا الطيب يخيل إليه أن الأدب مقصور عليه وأن الشعر بحر لم يرد غيره ماءه وروض لم يرد نواره سواه ه

وما أنا إلا ابن ونار الزنج * فريدك لم من أمثالي مرفوع

الإعراب والنص فيها أصل ما أن تكون للاستفهام عن النسبة وقد تستعمل في النفي مجازا كما هنا وكما في قوله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وأنا مبتدأ وابن الكمال للنفي السابق وابن ونار خبر المبتدإ ونار كان رجلا وزن فعال بفتح ومعروف ويكون الناظم منعه من الصرف ضرورة كقول العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه

*

6

لفاعل إذا كان بعد هل وان بكسر الهمزة وما حرف لا محل اهل وما ذكر هنا حرف نفي قال بعضهم ناظما الها

وما

وان الا وما وهل لنفي ثمرها .. إذا أتاك حرف الا بعدها ه

ه/

وما كان كعمر ونحوها بسن ✱ يصرف ان يرد اسم جنس

يمنع من ذا اسم من الصرف للاضافة الوزن او يفيد أن الناظم حذف تنوينه للاضافة به
حذف التنوين في كثير الاضافة من قرأ قل هو الله احد الله باسقاط التنوين من احد
ورفع الجلالة وكقول الشاعر

فالفيته غير مستعتب ✱ ولا ذاكر الله الا قليلا

باسقاط تنوين ذاكر ونصب الجلالة وان كان وزنا على وزن فعلان فهو ممنوع من الصرف
للوصف الاصلي وزيادة الالف والنون واجمعا جاريا في حسنا على انه من العشر
اذ هو الخير وكذا انما يرد فان قلت منع الصرف في الوصف الذي على وزن فعلان
مشروط بان يكون مؤنثه على فعلى كسكران وسكرى اما اذا كان مؤنثه على فعلانة
كندمان وندمانة فهو مصروف ومن اين لنا ان يونث ونان مختوم بالالف بالتاء
حتى يمنع من الصرف قلت بان سكران اوسع من باب ندمان والحمل على الاوسع اولى
عند جهل الحال اذ هو من الغالب والله اعلم والاختيار ان الاغلب كونه على وزن
فعال من الكلام فسمي الونان في اللغة من الضارب بالعود ومن الصبح ومن
آلة تتخذ من صفر وتجعل في الاصابع ثم يضرب بعضها على بعض على كيفية مخصوصة
وتعرف عند المغاربة بالصنوج والونان ايضا الضعيف قال الفقيه ابو عبد الله
الخبير الونان لقب لبعض اجداد الناظم رحمه الله وبه اشتهر سلفه وكان يقال
لهم اولاد الونان قال ولم ادر ما سبب تلقيبهم بهذا اللقب ه قوله اي فريد
في نعت لابن ونان قوله كم من ايسر كم من اخبر به ومن قبائل قريش وفراح عمدا
الناظم عمدا لما من الصرف حيث اعمل فيما ما قبلهما ولبس فيهما قبل وكان جر
قال المرادي وحكى الاخفش ان بعض العرب يجزم انعا ما على كم الخبرية فقيل لا يقاس
عليه والصحيح جواز القياس عليه لانها لغة ه ومن يستند الناظم وعلى هذه
اللغة بنى المرادي اعرابه كم في قوله عز وجل الم يروا كم اهلكنا بالفعل
بعده وتبعه على ذلك ابن عصفور وقال ان ذلك جاء على لغة ردية حكى الاخفش
عن بعضهم انه يبدل ملكت كم عبيد فيخرجها عن الصدرية وانكر ابن هشام
في المغني تخريج كلام الله تعالى على هذه اللغة الردية ووجه الآية بما ينبغي الوقوف
عليه وقوله من اصير تمييز كم والاكثر في تمييز كم الخبرية ان يكون مجرورا باضافتها

الشيء لأكثر جزئه من الكلام مثله كثير ايضا كقوله تعالى وكم من قرية اهلكناها وقوله من تعتفي نعت للأمين واصله مُعتفيٌ على وزن مفتعل استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم حذفت الياء للساكنين ومعناه الذي نفع الغدر والعلا في الرتبة معتزا وفي اتيان الناظم بالعبارة المذكورة تاكيد للنسبة وتحقيق لها مع ما في قل من معنى التحقيق حتى قال جماعة من النحاة انها بمعنى قد ايضا وان الاستفهام مستفاد من الهمزة المقدرة ومعنى ما قاله الناظم رحمه الله كأنه كرر الجملة مرتين وقال انا ابن ونان انا ابن ونان وفي ذلك من الاشادة باسمه والتنويه بمنزلته ما لا يخفى وقد ارتكب التصريح باسمه جريا على عادة كثير من الشعراء والمؤلفين وقد ذكر الشيخ ابو علي اليوسي في فهرسته لذلك بواعث تنبغي من اجلها وايضا فهو داخل في قبيل الفخر حسبما نبهنا عليه سابقا وذلك يقتضي الاشادة باسمه ونسبه على ما هو معروف من عادة العرب وامثال الصناعة الادبية وليس ذلك بامر عندهم حسبما نوضح ذلك في محله ان شاء الله تعالى

التعريف بابن الونان ناظم هذه الارجوزة

هو الفقيه الاديب ابو العباس احمد بن محمد بن محمد بن الونان الحميري النسب التواتي الاصل الفاسي الدار والمولد والمنشأ كان سلفه بقصور توات وهو بلد بصحراء المغرب الاقصى اختطته زناتة يشتمل على قصور عديدة ذوات نخيل وانهار وتملكه بعد زناتة بنو معقل من عرب الصحراء وفيهم كان سلف الناظم ثم انتقلوا الى بادية فاس وسكنوها قال ابو عبد الله الجبري وما زالوا ينتسبون الى حمير فلعل اركان منتسبهم في النسبة الى حمير هو كونهم من بني معقل فبنو معقل قد تردد كلام ابن خلدون فيهم فمنهم من جعلهم من معقل قضاعة وعليه فهم من حمير بناء على ان قضاعة من حمير لا من معد ومنهم من جعلهم من معقل مذحج وعليه فهم من كهلان وهذا الثاني هو الراجح عنده على انه ذكر ان فيهم قبائل اخر صاروا في عدادهم وليسوا من نسبهم انظر ما حققناه من ذلك في كتابنا طلعة المشتري في النسب الجعفري وان كان منتسبهم في النسبة الى حمير غير ذلك فالله اعلم بنسبهم وافتخار الناظم بالانصار يقتضي انه من كهلان لان نسب الانصار في كهلان كما هو وان كان يصح له الافتخار بهم من حيث اجتماع الجميع في القحطانية لكهلان وحمير والله اعلم

قال أبو عبد الله الحريري كان سلف الناظم بفاس يزعمون أولاده انقرضوا لا يبقى منهم
ابن بن الله حتى كثر أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي ومدح
الممدوح بمنزلة الازدجرارة والد الناظم بأبي الشمعون وتعلقت به منزلة الكنية وكان
علما عليه فكان لا يزعمون يعرف ذلك إلا بها ولذلك لما نظم ولده أبو العباس
منزلة الازدجرارة ونظر فيها أمير المؤمنين المذكور وتعذر عليه الوصول إليه تحيّن
خروجه في بعض الأيام واعترضه في موكبه وصعد نشيدا عاليا من الازهر ونادى بأعلى
صوته * يا سيدي سبطة النبي * أبو الشمعون إلى * فوقف أمير المؤمنين
قدس الله سره وأمر بإحضاره بعد بلوغه إلى منزله بحضرة وأنشد الازدجرارة المذكورة
فوقعت من أمير المؤمنين الموقع وأحسن إجلاله ورفع منزلته قال وكان الناظم على
ما بلغني شاعرا ماهرا .: وجهلا ساهرا .: ذا وجه وأجداده .: وفي جنة وفلادة .: وبديهة
بارعة .: وفكرة للأفكار المعاني بارعة .: وكان حسن النظم متناثرا .: لا يخاف جواده
لسانه عثارا .: ألقت إليه الصناعة الشعرية زمامها .: وحوقت إليه أحكامها .:
ووقفت عليه نصفها وإتمامها .: حتى هاز في عصره فكنيتها وإمامها .: مبرزا على
أبكار الكلام وبرسانه .: فأمر ... بإكتناله وإحسانه .: وكان مع
ما خوله من الاكتنار وابن حسان .: مولعا بالتجنيس بين اللسان .: متعجبا بشعره ونثره .:
مزموما بأدبه ونعوب بكره .: ذا همة بنفسه كل مذهب .: لا يخبر عما اعتاده من
ذلك المذهب .: ريان من الفصاحة العربية .: متمكن من العلوم العربية .: كاللغة
والنحو والتصريف والبيان والعروض والقوافي ونقد الشعر عارفا بأيام العرب
وأنسابها .: والمغازي والسير والتواريخ آخذا لها عن أربابها .: أخذ عن جماعة
من شيوخ فاس كالفقيه العلامة أبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس وفارس المعقول
والمنقول أبي حفص عمر بن عبد الله الفاسي وشيخ الجماعة أبي عبد الله محمد التاودي
ابن سودة المري وخاتمة المحققين أبي عبد الله محمد بن الحسن بناني وغيرهم من أهل هذه
الطبقة وأخذ الشعر والأدب عن والده فإنه كانت له في ذلك اليد الطولى
كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله ومن شعر الناظم في السمعون والترفع عن أخذ الزكاة

أما الزكاة فما زالت نفسي تأنف أن * يلوث الكف من أوساخها فنسى
كأن فضة أموال البرية لي * دون الذهاب من الأموال أو فلس

وأكثره الرزم البقيّ انكسره ✦ حتى كأن بيانا من النعمة البرهن

وقال في الاعتذار عن تخلف كبراء العصر عن أدباء زمانهم وهو معنى غريب

فلا عجب في عجز الكرام بقصرهم ✦ عن أوحد الشعراء ليس بعار
لم يشتموا ابن النوال وإنما ✦ جمد الندى لبرودة الأشعار

ومن شعره في أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله وقد أوقع بطائفة من أهل الريف

سعد الذي أدى لخليفة كما بعدا ✦ وسعى بحرمته السعيد له وابتدر
لم يشتر الأخبار منهم بعده ✦ نبذ الإله فانتدى والشر يعقبه حسر
كبغاة أهل الريف لا فرق بينهم ✦ غير ولا أشقى بلاد بهم المكر
شقت عصى الإسلام منهم فرقة ✦ سلكت الغرور برأيها نهج الغرر
ملوا عن النهج السوي ببغيهم ✦ فسطا بهم سيف الإمام وما انتصر
البغي عليهم من هووا عن نشبه ✦ ما كاد يمحو العين منهم والأثر
كثروا عيانا فيهم وزادوا وإنه ✦ خابت كفوفهم تناد والأوزر
كمدت بقتلهم البلاد من الأذى ✦ ولكم بهم فركان فيما من فرر

وله في مدحه قصيدة أخرى من بحر البسيط على روي الدال يذكر فيها فتح ثغر الجديدة من يد البرتغال ويصف القتال وهي طويلة وله فيه أخرى من بحر الطويل على روي الهاء يعارض بها قصيدة عمرو بن معلم في عبد الله بن طاهر وهي مشهورة ومن مدحه فيه أيضا قوله

✦ ✦

ولما رأيت البحر في الجود آية ✦ ومن جوده الدر النفيس المعلق
سألت بمن يأخذ علمه الندى ✦ فقال أمير المؤمنين محمد

فهذا ما ذكره أبو عبد الله الجيد من الشعر بعد بالناكم مع زيادة يسيرة ولم يذكر له مولدا ولا وفاة ولم نقف نحن على شيء من ذلك وإنما وقفت له على رسالة كتب بها إلى شيخ عصره ووحيد دهره أبي عبد الله محمد المصطفى بن الصالح الشرقي صاحب ذخيرة المحتاج ؞ في الصلاة على صاحب اللواء والتاج ؞ نفعنا الله به وما سلك به ونصها بعد الفواتح والمعارف ؞ وعنصر المجد التالد والطارف ؞ وينبوع العلم النافع ؞ ومطلع أنوار المعارف الساطع ؞ مجمع المحاسن الإنسانية ؞ ومنبع المواهب الإحسانية ؞ نعمة الله تعالى على الجيل وقدوة أهل العلم

مهم

والتحصيل، نجم الهداية والرشاد، وكعبة الفضلاء والزهاد، خديم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وآله، ومحبه المقتدي به في أقواله وأفعاله، سليل أيمة
الدين والشرف، وقدوة أهل السلوك والاقتراف، ومرآة عين الأخيار يجب به
الابتداء، سيدنا وسندنا، وقدوتنا وعمدتنا، الذي جاء وأسرارُه ومنحه، أبا
المحاسن والمكارم سيدنا ومولانا المعطي، لا زال ظاهرا بكل خير يشفع ويعطي،
ولذا أخذنا الله تعالى أن ضيّعنا من حضرتكم وأحبابنا وشركائنا، وسلام على سيادتكم
الكاملة، وأمجاد تلك الفاضلة، ما حكم قلم في ذكرها بين حكمها، ونداء من حكم
للدار شفيعا وذكرها، وبعد تقبيل يديكم الكريمتين، وتمريغ الخد عليهما مرتين،
فإني ممن لم يبت حب شريف وسرور مع تتوالى وتزيد، وبيننا عن الرؤية وحمد السعيد
وكذلك محبنا وخديمكم وصهركم سيدي محمد الكانوني وعمنا أنا ومن شاكلنا الذي
قد أمنا من غفلة القلب، وسوء الكسب، والكسل والتفريط في كل ما عن الرب،
وقد تشفعنا الذي بدر خير له المحتاج، وبحبيبه في الصلاة على صاحب اللواء والتاج
أن تجود علينا بالشفاء والفلاح، وماذا على الله من يوفر حاجة نرجو بقاءها لنا
من حاج، ونحوه بنا إلى سلوك طريق القرب الواضح المنهاج، ونرغب إلى سيدنا أن
يجبر خاطرنا ويؤنس ذاكرنا، بكتاب بخط يده الكريمة، يكون لنا من سوء العواقب
حرزا وتميمة، متضمنا للدعاء الصالح، الذي هو المغنم المبارك والمتجر الرابح،
وإن الكاتب لصفاته مدرك الشكور، والمنشئ للمنظوم منها والمنثور، كلما مع في
حضور الفقير من الله ببركتك والغفران ذو معاد، وسوسة الباطن ونزغات
الشيطان، فإن القلب أشرق المواطن، وقد خفت على حاله فروسا وشتما زجه
في الباطن، فادع الله لي سيدي أن يفرغني من مكرمه وحباله، وبم شيء من كيده
ووباله، وكتب عبيد ربه أحمد بن محمد الونان، عامله الله بالعفو والغفران
مستعطفا لكم بعد أبيات، على ما سمحت به القريحة في منزل الأفنا كتومى

سطعت لكم في غربتنا أنوار ... فالليل أجمع من سينا لنا نار
وجريت بفضلك مستغيثا في الورى ... وبه غدت تتحرك الشعار
وقدمتكم فمن الذي أقوامنا ... بكمال تلك الشمس الذي يشتار
يا سيدي المعطي الذي أسلافه ... لا ريب فيهم أنهم أخيار
ولهم من الأنوار بشرها ... ومناقب ما إن لها إنكار

يحمي الكانون بيت محبة * وتشوقوا عن منك مـــزار
فيقول حبيبي في النيروز البديع * ويزال يعيد لي تذكار الأوطار
جرت بي عوائد التي تختارهما * فأتيني أجمع في الذي تختار
لا تنسني إني لكم مشتوق لا * ننسى لدي وإنما لك الأقطار
وبريد نسيمها لكم من أرض مصر * حملت رسالته لك الزوار
دفعا للوشاة بيالهمه وبه * تغدو على الأعداء منه النار
منه شكاية عاجز عن عذره * ولأنتم الأقمار والأنوار
وإذا كرهت وجئتم تتعللوا * فعلي عذلكم لا على الأعذار
وعليك ألف تحية مسكية * ما غردت في روضها الأطيار

قلت وهذا قطع الناظم عن حاله واغنى الناس عن التعريف به حيث قال

وأحق من حلي بالأستاذ والشيخ الفقيه العالم المحقق
وبالحبر الشهير والأديب والخطيب والبليغ المطلق
واعلم الناس بذور مدينة * سيار في مغرب ومشرق
بالشعر والتاريخ والأمثال والأنساب سل تحقق — ع والأمثال

اللغة قوله أحق من حلي الأحق بالشيء الأولى به من غيره تقول هذا حقيق بكذا أي جدير به وهذا أحق منه أي أجدر وأولى وفي المصباح فقولهم هو أحق بكذا يستعمل بمعنيين أحدهما اختصاصه بذلك من غير مشاركة نحو زيد أحق بماله أي لا حق لغيره فيه والثاني أن يكون أفعل تفضيل فيقتضي اشتراكه مع غيره وترجيحه عليه كقولهم زيد أحسن وجها من فلان ومعناه ثبوت الحسن لهما وترجيحه للأول قاله ابن زهير وغيره ه **قلت** وهذا الثاني هو المراد من كلام الناظم وقوله من حلي يقال حليت فلانا بكذا تحلية إذا ذكرت حليته أي صفته التي هو عليها أو لم يكن عليها وإنما قلتها زعما وهو مأخوذ من الحلي الذي يتزين به من ذهب أو فضة فلذا ينبغي أن يكون لفظ التحلية خاصا بالصفة المحمودة ولا يستعمل في غيرها إلا مجازا قوله بالأستاذ هو بضم الهمزة وبالذال المعجمة لفظة فارسية عربتها العرب ونقل عن العز بن عبد السلام العالم بالشيء الماهر فيه ذكره الزرقاني في شرح لغات الشفاء قالوا والسين والذال المعجمة لا يجتمعان في كلمة عربية وقال أبو البقاء

في شرح ديوان المتنبي الاستاذ كلمة ليست بعربية وانما تقال الصاحب هنا عن
كالفقيه والمقرئ والمعلم وهي لغة اهل العراق ولم اجدها في كلام العرب وأهل الشام
يسمون المقرئ استاذا اه قلت وهي في عرف المغاربة خاصة بالمقرئ وربما اطلقوه
على الشيخ المقتدى به قوله والشيخ هو في لسان العرب من دخل في سن الشيخوخة وهو
ما بعد الكهولة فما جاوز الخمسين الى منتهى العمر واستعمل في العرف بمعنى الامام المقتدى
به والماخوذ عنه وما اشبه ذلك وكانه لوحظ فيه ما اقتضته الشيخوخة وكبر
السن من مزيد التوقير وفي الصحاح والقاموس وشيخته دعوته شيخا للتبجيل قوله
الفقيه هو من قام به الفقه ملكة له والفقه لغة الفهم قال ابن فارس وكل علم
بشيء فهو فقه قال الفيومي وقال اعرابي لعيسى بن عمر شهدت لك بالفقه
وشرعا العلم بالاحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد كالعلم بان النية في
الوضوء واجبة وان الوتر مندوب وان تبييت النية شرط في الصوم وان الزكاة
واجبة في مال الصبي وغير واجبة في الحلي المباح وان القتل بمثقل موجب للقصاص
ونحو ذلك من مسائل الخلاف بخلاف ما ليس طريقه الاجتهاد كالعلم بان الصلوات
الخمس فريضة وان الزنى محرم والاحكام الاعتقادية كالعلم بان الله تعالى واحد ثم
ونحو ذلك من المسائل القطعية فلا تسمى معرفة ذلك فقها لان معرفة ذلك يشترك
فيه الخاص والعام والفقه بهذا التعريف لا يتناول الا علم المجتهد ولا يتم في ذلك
عرف اختصاص الوقف على الفقهاء بالمجتهدين لان المرجع في ذلك الى العرف وهذا
اصطلاح خاص قوله العالم هو في الاصل وصف لمن قام به العلم اي علم كان
وخصه العرف بمن كان يفسر علما واحدا فاكثر من علوم الشريعة او ما يوصل اليها
من علوم لسانها فلا يقال للكاتب مثلا والمهندس وانما سبق في العرف بما ليس
قوله المحقق هو اسم فاعل من حققت الشيء اذا تيقنته والتشديد فيه للمبالغة
والا فيقال حققته حقا ثلاثيا من باب قتل بمعنى تيقنته ويجوز ان يكون من حققته
اذا احكمته واتقنته ومنه ثوب محقق اذا كان محكم النسج قال الشاعر

تسربل جلد وجه ابيك انا * كفيناك المحققة الرقاقا

قوله والمحدث هو العالم بفن الحديث وهو علم يعرف به اقوال الرواة الكلام
الرسول صلى الله عليه وسلم واخباره واصناف المرويات من ذلك وشروطه

الاقبال لانه فيها وقيل فيه غير هذا من العبارات فقوله والاديب هو العارف
بفن الادب قال ابن خلدون هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها
وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور
على اساليب العرب وما يتوقف عليه ذلك من محفوظه ومفهومه فاذا ارادوا حد
هذا الفن قالوا الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف
قال وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم ان اركان هذا الفن اربعة دواوين
ادب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ
وكتاب النوادر لابي علي القالي ثم رجح كتاب الاغاني عليها كلها واثنى عليه غاية
بالكمال ونقل الشيخ ابو علي اليوسي في محاضراته عن الحسن بن سهل قال الآداب عشرة
فثلاثة شهرجانية وهي ضرب العود واللعب بالشطرنج واللعب بالصوالجة
وثلاثة انوشروانية وهي الطب والهندسة والفروسية وثلاثة عربية وهي
الشعر والنسب وايام الناس والعاشر مقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه
الناس بينهم في المجالس وهذا عاشرها ونقل ايضا هذا الكلام ابو القاسم الراغب
في محاضراته الا انه جعل الشهرجانية انوشروانية وبالعكس والله اعلم وقال
الشيخ العارف بالله ابو العباس احمد زروق في الفائدة العاشرة من شروح الحكم قال
ابو نصر السراج الناس في الادب على ثلاث طبقات اهل الدنيا واكثر ادابهم
في البلاغة واخبار الملوك واشعار العرب واهل الدين واكثر ادابهم في رياضة
النفوس وتاديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات واجتناب
الشبهات والمسارعة الى الخيرات وخصوص اهل الدين واكثر ادابهم حفظ القلوب
ومراعاة الاسرار واستواء السر والعلانية اه فقوله والمجيد هو اسم فاعل
من اجاد الرجل اجادة اذا اتى بالجيد من قول او فعل فقوله والبليغ هو من كانت
البلاغة ملكة له وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع كونه فصيحا فقوله
المفلق هو اسم فاعل من افلق الشاعر اذا اتى بالفلق بكسر الفاء وسكون اللام
وهو الامر العجيب والداهية قال الجاحظ يقال للشاعر المجيد فحل وليس
دونه مفلق ثم شاعر ثم شويعر ثم شعرور وزاد في القاموس ثم متشاعر فقوله
والقلم النامي بدون مرية اي بغير شك واذ قلنا بان الجر على ذلك مع انه في الاصل

كذوى لا يتصرف لأنه استعماله بمعنى غير كقوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما
دون خمس اواق صدقة اي في غير خمس اواق فقوله سيان شرق ومغرب ومشرق واما
سيان فمعناه مثلان اي مستويان وهو تثنية سيّ كمثل وزنا ومعنى قال الحطيئة

فاياكم وحية بطن واد * هموز الناب ليس لكم بسيّ

اي بمثل يريد تعظيمه وعينه في الاصل واو خلافا لصنيع الصحاح والمصباح واستغنوا
بتثنيته عن تثنية سواء فلم يقولوا سواءان الا شذوذا كقوله

فيا رب ان لم تقسم الحب بيننا * سواءين فاجعلني على حبها جلدا

وشرق في كلام الناظم خبر مقدم وشرق في مغرب ومشرق مبتدأ مؤخر فقوله بالشعر يتعلق
باعلم وهو على حذف مضاف قيل اي بصفة الشعر وهو علم يعرف به كيفية نظم الشعر
وترتيبه والاقتدار على انشائه على قانون البلاغة وهو نقد الشعر وهو مع شيء
من رديه وعلله بكتاب العمدة لابن رشيق فان ذلك الكتاب هو الذي انفرد بهذه
الصناعة واعطاها حقها ولم يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله وامتحن ابن
خلدون في تحليل صناعة الشعر من الكتاب الاول من تاريخه فانه اجاد الى الغاية
قوله والتاريخ هو في الاصل مصدر ارخت الكتاب وغيره اذا جعلت له تاريخا
اي وقتا معلوما يضبط زمان انشائه وكتبه وفيه لغتان ارخت بالواو بدل الهمزة
وقد ارخته بالهمزة رباعيا وارخته ثلاثيا ولفظ التاريخ معرب واصله بالفارسية
ماه روز فماه هو الشهر وروز هو اليوم اي تعيين الشهر واليوم فلما عربته العرب غيروا
المضاف اليه على الاصل قيل ان العرب نقلت الكلمة فكانه روز في الفم فارخ
بصيغة اسم مفعول الثلاثي ثم شذذوه وتصرفوا فيه بسائر الابنية انتهى بمعية
وفي التاريخ من جليل الفوائد جمع الفوائد من معرفة الناس تكلما وتكرما وهو
جدير بالمدح خلافا لمن جعل ذمه وانكرها بذمه ولنا فيه كتاب جليل سميناه كتاب
الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى والاخبار جمع خبر واخبار فكثيرة قد تبعث لعبرة
قوله والامثال هو جمع مثل بالتحريك وهو القول السائر المشبه مضربه بمورده
وعلم الامثال علم شريف الغاية لا تتم لغة اللغوي ولا نحو النحوي ولا ادب
الناقد الا به والمعاملة به كانه لم يتم له حظ الادب ولا له مساس بكلام العرب
قال ابراهيم النظام يجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام ايجاز اللفظ

وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية هو نهاية البلاغة. وقال ابن المقفع إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث. قوله والأنساب جمع نسب بالتحريك وعلم الأنساب من العلم الغريب للعرب الذي توفرت دواعيهم عليه وانصرفت عنايتهم إليه وذلك أن حاجتهم إليه ضرورية لا يمكنهم العيش بدون معرفة أنسابهم والاحتماء بقومهم وعشائرهم إذ ذاك هو حامل لهم ورازقهم وسورهم وحصنهم ومن لا نسب له معروف ولا عشيرة يذب عنه فهو مأكول مالك من جنبه حتى يحتمي بغيره ممن له قبيل وعشيرة يعتز بها. ولما كان حفظ النسب عندهم من ضروريات الحياة بخلاف غيرهم من الأمم الذين كانوا يضبطهم أعمالهم وتحميهم الأسوار ولما كانوا في غنى عن حفظ النسب والاعتصام به ولذلك لما جاء الإسلام وانتقلت أمة العرب إلى الحضر والأمصار وضبطتهم الدول والحكام كغيرهم من الأمم ضاعت أنسابهم تابعهم من أقبائه فهو فوق ما قال ابن خلدون وما لخصه كره مالك رحمه الله الرفع في الأنساب وقال من أين يعلم ذلك ونقله ابن أبي زيد في الرسالة وعليه درج كثير من علماء السلف وذهب كثير من أئمة المحدثين والفقهاء إلى جواز الرفع في الأنساب ولم يكرهوه محتجين بعمل السلف وأن الحاجة داعية إليه في كثير من المسائل الشرعية مثل التعصيب في الإرث والولاية في النكاح والعاقلة في الديات والعلم بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه القرشي الهاشمي الذي هاجر من مكة إلى المدينة وتوفي بها وحكم الخلافة عند من يشترط فيها القرشية وكذا من يفرق في الحرية والاسترقاق بين العرب والعجم فهذا كله يدعو إلى معرفة الأنساب ويؤكد فضل هذا العلم وأما ما روي من أن علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر فقد ضعف الأئمة رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم والحق في أمثال أن كل واحد من المؤمنين ليس على الخلاف في أن الأنساب العربية التي يذكر الشرع إلى مع منها لا يخفى الاشتغال بها لدعوى الحاجة إليها في الأمور الشرعية كما مر وفي الأمور العادية كثبوت اللحمة الطبيعية التي تكون بها المدافعة والمطالبة ومن الحاجة التي دعت العرب في الجاهلية إلى حفظ أنسابهم كما ذكرناه أولا ومنفعة ذلك في إقامة الملة والملك ظاهرة وروي عنه صلى الله عليه وسلم

أنه قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم وآفات الأنساب العبيرة
الغيسرة المعرفة التي لا تنبني عليها ثمرة دينية ولا دنيوية فالاشتغال بها مما
لا يعني ومن جملة كراهية مالك رحمه الله لذلك والله أعلم قوله والآثار جمع
أثر بالتحريك وهو الحديث إما قولا أو فعلا عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أثر
من السلف المقتدى بهم وقد خص بعض الفقهاء هذا الاسم بالموقوف على الصحابة
رضي الله عنهم فأما الحديث فيعمهما وبمقتضى علم الحديث اسمه من ابن بكر والأكثر
من ابن يوضع ويعرف كيف وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نضر الله
امرءا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه
رواه الشافعي والبيهقي قوله شرف تحمد وأصل الكلام شرف محمد ذكرت له فخيم
بالصدر وتشهيره ويحذف السبب وأقام المسبب مقامه والله أعلم وفي كلام
الناظم من البديع التغاير وهو أن يقال التركيب وقد مر لنا أعلم أن الناظم رحمه
الله قد مدح نفسه بما لا مزيد عليه ومدح الإنسان نفسه مستقبح شرعا وطبعا
قال الشيخ أبو حامد الغزالي في كتاب آفات اللسان من الإحياء مدح الرجل
نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد
آدم ولا فخر أي لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم
وقيل لحكيم ما الذي لا يحسن وإن كان حقا قال مدح الرجل نفسه وقال معاوية
لرجل من سيد قومك قال أنا فقال لو كنت كذلك لم تقلها وقد صرحوا بأن بعض هذه
الأمور يغتفر في الشعر لأن الشعر له طريقة مخصوصة فيجوز فيه ما لا يجوز في
النثر كما سنبينه في محله إن شاء الله على أن بعضهم قد اعتذر عمن مدح
لنفسه حتى في غير الشعر فقيل للأستاذ أبي زكرياء أعجبت قال أعجبت والتي
أعرف الناس وأشعر الناس وآداب الناس فقال السائل أشكلت حتى يقول
الناس ذلك فقال إنا منذ ثلاثين سنة انتظر الناس أن يقولوا فلم يقولوا
ومدح أعرابي نفسه فعوتب في ذلك فقال أأكله إليكم إذا لا تقولونه أنا
قلته وهذا العذر يعذر الناظم فإنه كان رحمه الله نادرة الزمن في الشعر
والبلاغة والأدب بحيث لم تسمع الأذان بمثله منذ أعصار ومع ذلك فلم يوجد
من يعتني بأخباره ولا بالتعريف به كما ينبغي حتى إننا بحثنا عن مولده ووفاته

بلغ تعظيم بها بعضها عما وراء ذلك من جمع ديوان شعره وشرحه مثلا ومن
ذلك ابن للأقوال شيئا من العلم ومنثور الحكم ومن شعراء ابناء الزمان في المعارف ومن
ينتمي اليها ولكنه د زاد الطيب حيث قال

ومما كنت في ابتداء وفي وكفى * ان النفيس غريب حيثما كانا

وقد احسن ابن الرومي في الاعتذار عن قرحه لنفسه حيث قال

وعزيز على مرحى لنفسي * غير أني جشمته للدلالة
ومن عيب يكاد يشغله فيه * كل حر يرى بنظم حالة

ويستزل ذا الحسود اذ * يطمع في بحر الفضا بالغرر
وقل له اذا اشتكى من نصب * انت الذي سلكت نهج الزلل
وقفت في الحيرة في هذا السبيل * تمت بغيظك وبالحزن اشرق

اللغة قوله الحسود صيغة مبالغة من الحسد وهو تمني زوال النعمة عن المحسود وانتقالها الى الحاسد أو تمني زوالها فقط وقال الشيخ ابو حامد الغزالي رضي الله عنه اذا انعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني والحسد مذموم في لسان الشرع ولسان الحكماء والأدباء وقد بين قال ابن المرحل في نظم الفصيح لفظ الغبطة ومعناها بقوله

وقد غبطت المرء في أحواله * اغبطه بالكسر في استقباله
اعني تمنيت لنفسي مثل ما * له دون ان يسلب تلك النعما

قوله يطمع في بحر البيت الطمع بالتحريك العز بالمطلوب وطمعت بالفتح من باب فرح اذا وجد ثقلا والخبر له الله بعزوه والطمع له به تطمع اذا امكنه منه ورجل طمع صاحبه ولعله في الحديث قوله بالغرر هو بالتحريك مصدر غرر في الماء يغرر وكفرح يفرح اذا رسب فيه فهو غرر وغارر وحكي في البداع عن

الخليل ان الغرق وهو الراسب في الماء من غير موت فان مات غرقا فهو غريق مثل كريم هذا كلام العرب وعليه يقول الفقهاء لانقاذ غريق او اريد الاخراج من الماء فهو كما ترى او اريد خلاصه وسلامته من الهلاك فهو مجاز لان الميت لا تمكن سلامته قاله في المصباح قوله من دنس الذي فسر بالتحريك الوسخ في الثوب ونحوه وقد دنس دنسا من باب فرح وعوده دنس وقد دنسه تدنيسا بعل بعض ما يشينه ويستعمل في العرض مجازا قوله نبع الذي هو النبع بفتح فسكون الخروج كالنبوع بفتح النون والنبعان بكسرها وقد نبع الخروج نبوعا وفهم واستنبا كنا نبع ونبعته انا وانبعته او نحوه يستعملان الا زميرو متعديين قوله ودفق في الجزولي خاصي اسرائيل فها وزنا وتعديت في الجزولي خاصي الاسرو الجزولي الا فراد والنصا بالكسر والحر سل خصيتي الحيوان من عنبر ومرسى ونحوهما بمتوخص يعيل المعنى ويفعل قوله فثبت بغيظكم الغيظ الغضب المحيط بالكبد وهو اشد الغضب وفي التنزيل قل موتوا بغيظكم وهو مصدر غاظه اذا اغضبه فالفاعل غائظ والمفعول مغيظ قالت قتيلة تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

ما كان ضرك لو مننت وربما منّ الفتى وهو المغيظ المحنق

وحكى ابن خالويه ان ابن الاعرابي كان يقول جاء في كلام العرب ان يغاظ فهو ايش الفاد والكسائي فلا يحكي من يفعل هذا في موضع هذا وينشد

ان الله اشكو من خليل اوده * ثلاث خلال كلها لي غائض

بالضاد ويقول هكذا سمعته من فصحاء العرب ه وفي المصباح ولا يكون الغيظ الا بزهول مكروه ان المغتاظ وقد يطلق الغيظ مطلقا الغضب في حق الانسان فيقال اغتاظ من الشيء كما يقال اغضب من الشيء وكذا عكسه قوله وبالربو اشر والربو بالكسر ما بين الفم والسرة به الغمص في الحلق وزنا ومعنى والله اعلم

الاعراب والتصريف

قوله ببشرى الباء بمهملة بحيث عرشه معرفة يقال اذا عرفت منزلتي في العلم والادب ببشرى والشرى المتعلقة بالفعل للتوكيد والقياس تركيبها الفا كما في قوله عز وجل لنسفعا بالناصية وليكونا من الصاغرين لان نون التوكيد الخفيفة تبدل في الوقف الفا وقد عسرت الحكم انه تراعى فيه حالة الابتداء وحالة الوقف فما اثبت فيهما اثبت في الخط

وقد لا قبله بعلاوة المنبكم فإنه تراعى فيه حالة الوصل ما قبله والمقصود نعت لاسم الإشارة أو بدل منه وقوله أنه يكبو في محل المفعول الثاني لبشر على تقدير باء الجر أي بأنه يكبو في وحذف الجار مع أن وأن مطرد وقوله بالعرى متعلق بيكبو وفي بحر اسمها متعلق به أو بالعروة وفيه للإفادة الوزن وقصر الحمراء ضرورة وقوله وقوله في جملة معطوفة على التي قبلها واللام في لأدم التبليغ وقدم الكلام فيهما وقوله إذا اشتكى ظرف متعلق بقل ولا يحتاج الى نية معنى الشرط وجملة اشتكى في محل جر بإضافة إذا إليها وألف اشتكى واو في الأصل لأنها من الشكو لكنها استحالت الى الياء لوقوعها خامسة في الكلمة ثم قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجب كتبها بالياء لاستحالتها كما قلنا وجملة أنت الذي سلكت في في محل نصب محكية بالقول والتي بعدها من المذكورات كذلك الا غائبا ويلاحظ مع ان العائد على الموصول غائبا نظرا الى المبتدا كقول علي رضي الله عنه * انا الذي سمتني امي حيدره * وان لا كثر وانه فيه كما في التسهيل وشرحه للدماميني اذا عاد الضمير الى الموصول بعد أن في كلام على مثلا انا الذي سمته امه حيدرة وفي كلام الناظم انت الذي سلك نهج الزلل والوزن يساعده قوله وقفت في الجزولية خاص اسم جملة معطوفة على جملة الجملة قبلها والتقدير انت الذي سلكت نهج الزلل وانت الذي تجاوزت وتعديت في جراءتك وبغيك ما هي الأسى وفرق النعمة في المنعوم على حد قول الشاعر
ولو ارى اسيرا بما [illegible] دارة * ودار بها على حضر فوت المشترى لها
قوله ثمت بغيته الفاء استئنافية على رأي من اثبته والجملة لا محل لها من الإعراب وجملة وبل … ومعطوفة عليها والله اعلم **المعاني** في قوله تبشر بقدوم ان الفاء فصيحة وقوله ذا المسوة وصل اسم الإشارة بكاف الخطاب ايذانا ببعد منزلته وانحطاطها اما حسا او معنى كما يقال ذلك اللعين بعل كرا والعرض … في المجالس وقوله انت الذي القصر المستفاد من تعريف الجزئين قصر قلب لان هذا الشيخ لما اشتكى من عار الشيب وتألم منه ادعى حاله انه مظلوم وان الغير جنى عليه اذ الشكاية الحقيقية انما تصدر من المظلوم فقلب الناظم عليه اعتقاده وقال له بل انت جنيت على نفسك وسلكت نهج الزلل بما جنيت مما لا تقدر على معالجته ولا رادة هذا المعنى قدم

الناظم المسند إليه على المسند وأتى بالخبر مؤخرا لا بالجملة الفعلية حتى كان
الإخبار وقع بما وقع ما في ذلك من تقوية الحكم بتكرر الإسناد وقوله وقفت
في الجزء لا خاصي أسد فالذي في مثل الفلو خاصي الأسد يضرب مثلا لمن يقدم على
الأمر العظيم ويمكن رده إلى الرجل الكبير فيقال أجرأ من خاصي الأسد ولا شك
أن من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وعرضها للتلف وفي حديث علي رضي الله عنه
أن رجلا تزوج بابنة عم له وكانت خنثى فرفعت على جارية لها فأحبلتها
فقال علي رضي الله عنه للزوج من أصبتما بعد أحبالها الجارية قال نعم
فقال إنك لأجرأ من خاصي الأسد وقوله فمت بغيظك جملة دعائية قال
الزمخشري في قوله تعالى قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى
يهلكوا به وقوله ولا بريوا شره دعاء أيضا وهو مأخوذ من قولهم في المثل
شر وقلان من يبغه اه أمره أي شيء إلى نفعه لأن دين الإنسان أقرب شيء
إليه والله تعالى أعلم البيان البشارة والكفر في كلام الناظم كلاهما
مجاز عما يسوؤه ويولمه فهما استعارتان تهكميتان كقوله تعالى فبشرهم بعذاب
أليم وكقولك رأيت أسدا وأنت تريد جبانا على سبيل التهكم أو التمليح وإضافة
بحر إلى الهجاء من إضافة المشبه به إلى المشبه ويجوز أن يكون من باب الاستعارة
التخييلية كما قيل به في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل وقد مر الكلام فيه
وقد جعل الناظم الهجاء بحرا كما جعله أبو تمام سورا وخندقا في قوله

سر حيث شئت من البلاد فلي بها * سور عليك من الهجاء وخندق

وذكر الغرق ترشيح أو مجاز عن تكاثر الهجو لديه وترادفه عليه حتى يغمره ويفعل
به فعل الماء بالغريق وهو الكناية وفي قوله من شر شر استعارة تهكمية لأنه
أراد به ما يلحق المهجو من عار الهجو وفضيحته وقوله أنت الذي سلكت في ترشيح
أو استعارة تمثيلية بأن شبه حاله في تعاطيه ما لا يقدر عليه بحال من سلك
نهج الزلق وهو الكناية أيضا وفي قوله وقفت في الجزء لا خاصي أسد التشبيه
وقد مر التنبيه عليه وفي كلام الناظم من البديع الاقتباس والتلميح وكلاهما
كما مر والله أعلم ذكر خاصي الأسد وما قيل فيه *

قال في مجمع الأمثال يقال إن حمارا كان يصيد فأتاه الأسد فقال له ما الذي ذلل
لك هذا الثور حتى يطيعك قال إني خصيته وما الخصاء قال أن ترضخ أركه فرضخنا قال
منه الأسد ففعل ذلك فغلم ذلك فسره وثاقا وخصاه فقيل أجرأ من خاصي الأسد
وقال الشيخ اليوسي في زهر الأكم تزعم العرب أن خاصي الأسد رجل مر به الأسد
في جبل يصيد ثورين بادنين فقال له يا حراث ما أسمن ثوريك فيم أسمنتهما فقال
الحراث إني خصيتهما فسمنا فقال الأسد فهل لك أن تخصيني عسى أن أسمن سمنهما
قال نعم فأمكنه الأسد من نفسه فتمكن الحراث عليه وخصاه فقالوا أجرأ من خاصي الأسد
وقد يسيل حتى رقي ربوة فأقعى عليها حزينا يتفكر في الحراث فبينما هو كذلك
إذا بثعلب قد مر به فقال له ما لي أراك حزينا يا أبا الحارث فذكر له ما فعل به الحراث
وما دهمه من ألم الخصاء فقال له الثعلب هل لك في أن تأتي الحراث وأستدرجه
عسى أن تمكنك منه فرصة فتأخذ بالثأر منه قال نعم فراح الأسد وأتى بخطى الثعلب
وجعل يراوغ الحراث ويطمعه به فتبعه الحراث طمعا وفرقه به فرقا حتى بكسرها
فأتى الأسد وهو على تلك الهيئة فوائم فأقعى معه على الرابية يتشاكوان بينهما وقد فتنا
به حين أتى الحراث حتى مرت بهما نعجة فقالت لهما ما لكما على هذه الرابية
فأخبراها خبرهما فقالت لهما أنا آتيكما به فاستدرجته حتى أدخلته في أتبعه فجاءت
التيه وتقابل الحراث فنفقها حتى إذا دنت منه فنفرت عليه وأخذ عودا أجر به
في استعمالها إرسالها فجاءت إلى الأسد والثعلب ومر في شر من حالهما فرش العود
في جرحها ومنعها وانفلتا عن الحيوان فبينما هم جلوس على الربوة يتشاكون إذ جاءت
امرأة الحراث بغذائه فتغدى الحراث ورفع رجليها وجعل ينكحها وهو ينظر
تلك الحيوانات فقال الأسد ما ترون هذا المشؤوم يفعل بتلك المسكينة والله
إني لأظنه يخصيها فقال الثعلب ما أظنه إلا يكسر عظمها فقالت النعجة
لا والله بل يدخل في استها عودا فكانت النعجة أخبر من الأسد ومنا وقيل
إن خاصي الأسد من الأصبغ التي يفترش من براثنه حكاه البكري عن قاسم بن
ثابت والله أعلم ه

وقل للذي قد عاد يا خيبة الرجا * ذا الأعذار في اللسان العربي
تكلفت بالزور إذا كنت تدعي * أن البلا موكل بالمنطق

ولم تخف من شاعر فيما انتضى * سيف الهجا فرى حبال العنق

اللغة فقوله يا خبّ الخبّ بفتح الخاء المعجمة الخبيث الخدّاع وفي الحديث
المؤمن غرّ كريم والفاجر خبّ لئيم وفيه أيضا لا يدخل الجنة خبّ ولا متكبر ولا خائن
ولا سيئ الملكة فقوله ذا الأفعوان هو بضم الهمزة والعين ذكر الأفاعي كالثعلبان
لذكر الثعالب والعقربان لذكر العقارب قال الكمال الدميري كنية الأفعوان أبو حيان
وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة وهو الشجاع الأسود يواثب الانسان ومن شأن
الحيات فقوله تكلفت بالزور أي بالكذب وهو مأخوذ من الازورار الذي هو الانحراف
وزور فلان كلامه زخرفه وقد ورد من الوعيد في قول الزور ما هو معروف وحسبك أن الله
تعالى قرنه بعبادة الأوثان في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول
الزور فقوله أما كنت تعي الوعظ يعني كأنه مشتق من الوعاء الذي هو الظرف
لأن من حفظ مسألة في ذهنه فكأنه جعلها في وعاء بل قالت الحكماء ان في الدماغ
بطنا يسمى الحافظة لأنه المحفوظات وقال الزمخشري كل ما حفظته في نفسك
فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته كقولك أوعيت الشيء في
الظرف **قلت** ومنه قول عبيد بن الابرص

الخير يبقى وإن طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

قوله فيما انتضى يقال نضوت السيف من غمده وانتضيته اذا سللته وقوله
فرى حبال العنق أي فقطعها يقال فريت الأديم اذا قطعته على وجه الاصلاح وأفريته
اذا قطعته على وجه الافساد وقال الزمخشري في الأساس يقال فريت وما فريت
أي قطعت وما أصلحت وقال في المصباح وأفريت الأوداج بالألف قطعتها وشققتها
في الصحاح وعليه فعلى الناظم مؤاخذة والله أعلم **الاعراب والنحو** بحث
قوله وما الذي دعاك الى ما فعلته وما اسم استفهام أشرب معنى التعجب
مبتدأ والموصول وصلته خبر له ويحتمل العكس وجملة النداء معترضة بين
المجرور ومتعلقه وذا الأفعوان نعت لذا الاشارة أو بدل منه وفي الأصل نعت
للأفعوان والعربون نعت للشاعر وجملة تكلفت بالزور نعت ثانية فهو نعتان فيكيف
المناكب وتوبيخه فقوله أما كنت تعي الهمزة للاستفهام الانكاري وما نافية
وكان واسمها وجملة تعي خبرها وقوله أن الابتلاء موكل بالمنطق مقول تعي محل جملة

المفعولية فان قصدت المعنى فتحت همزة ان وكان معنى ثبت حينئذ نعلم وتتيقن
وان قصدت اللفظ كسرت الهمزة وثبت على بابه من الحكاية قاله ابن هشام فما كان
من الجمل من هذا الباب فانه بعد الفعل في محل نصب اتفاقا ثم قال البصريون
النصب بقول مقدر وقال الكوفيون بالفعل المذكور لانه المعنى وقصر الباء ضرورة.
قوله ولم تقع من شاعر جملة معطوفة على جملة تكلفت بالزور ويجوز ان تكون
معطوفة على جملة ما كنت فهي مدخولة للهمزة. قوله مهما انتفى جملة في محل
النعت لشاعر ومهما اسم شرط وقد استعملها الناظم هنا بمعنى الظرف قال في
شرح الكافية جميع النحويين يجعلون ما ومهما مثل من في لزوم التجرد عن الظرفية
مع ان استعمالهما ظرفين ثابت في اشعار الفصحاء من العرب وانشد ابياتا منها
قول حاتم الطائي

* * *

وانك مهما تعط بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

والمحققون على خلاف ذلك قال الزمخشري هذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها
من لا يد له في علم العربية فيضعها في غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول
مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب
فيفسر مهما تاتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر
وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه وقرره بدر الدين
ابن مالك فاستدل به وانه من الاثبات وقال لا ارى في هذه الابيات حجة لانه يصح
تقديرها بالمصدر وعلى رأي ابيه يكون معنى كلام الناظم ان وقت انتفى سبق
الهجاء فرضي وعلى رأي الابن والجمهور يكون معناه اي انتفاء انتفى والكلام في
بساطتها وتركيبها وما يتفرع على ذلك يذكر في محله وآلى انتفى اصلها الواو
ثم صارت ياء لوقوعها خامسة كما مر غير مرة وقصر الهجاء ضرورة وآلى جرى
منقلبة عن ياء وتكتب كذلك والله اعلم **البيان** في قول الناظم الاقعاد
استعارة تهكمية لانه اراد به نفسه والشيع الذين يشمتون الشاعر المتكيس
باللحية والاقعى يحتمل ان كلا منهما اذا الهجاء بلسانه لا يكتفي وقد رقية لرايه
هذا بقوله وذاك بسمه وقد منه من الالفاظ الشاعر بعض رضي الله عنه

والشاعر المتكيس اسوة شانع * والشيع منه لعانة وجماعة

وشهور أن ابن مالك

وعداوة الشعراء داء معضل * ولقد يهون على الكريم علاجه

وقوله في اللسان الحر يحتمل ان يكون بفتح الفاء وكسر الراء صيغة مبالغة ومعناه كثير الفرح او الفطن او الفصيح فيكون قد جعل اللسان سيفا قاطعا كما قال حسان رضي الله عنه * *

لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء

ويحتمل ان يقرأ بفتح الفاء والراء فعلا فيكون الفرق بمعنى المفروق كالقبض بمعنى المقبوض والنقض بمعنى المنقوض ومركبه وقد شاع في كلامهم فلان يفري اللسان ويشققه اذا كان فيه فصاحة وجزالة قال ابو تمام * *

راضني في الثناء ما بقيت لي * بفلقة من لساني المفتوق

وهذا الاحتمال اولى لانه يلائم ما قبله اذ لسان الافعال كذلك مرق في نفسه لا امر مع ذلك فيه للمعنى المراد من الاول فيكون ترشيحا للاستعارة كقول زهير

لدى اسد شاكي السلاح مقذف * له لبد اظفاره لم تقلم

والشاهد في عجز البيت واضافة سيف الى الفصاحة من اضافة المشبه به الى المشبه او من باب الاستعارة التخييلية كجناح الذل فيجوز ان يكون اراد بالسيف نفس اللسان والاضافة لشبه الملك فيكون استعارة تصريحية وذكر الفرق ترشيح وفي قوله قبال العتو استعارة تصريحية ايضا لانه اراد به الغضب او العدو والتي تسمى الاوداج من حيث ان الاعضاء تربط بعضها كما تربط بالحبال وفي كل من قرب يكتنفان صفحتيه من مقدمهما بدار من الرأس الى الوتين ومن تشبيه الوريد بالحبل قول رؤبة يصف رجلا شديدا غضبا *

غضبان تلقاه عند الغضب * كأن وريديه رشاءا خلب

يعني كأن وريديه حبلان والرشاء الحبل او حبل البئر وفي التنزيل ونحن اقرب اليه من حبل الوريد

ذكر أول من قال البلاء موكل بالمنطق

اعلم ان اول من قال البلاء موكل بالمنطق ابو بكر الصديق رضي الله عنه فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال حدثني علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وانا وابو بكر معه حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر وكان رجلا نسابة فسلم فردوا

عليه السلام فقال ممن القوم فقالوا من ربيعة قال وأي ربيعة أنتم أمن هامها أم من
لهازمها قالوا من هامتها العظمى قال وأي هامتها العظمى أنتم قالوا ذهل الأكبر
قال أفمنكم عوف الذي كان يقال فيه لا حر بوادي عوف فقالوا لا قال أفمنكم جساس
ابن مرة حامي الذمار ومانع الجار قالوا لا قال أفمنكم بسطام بن قيس ذو اللواء
ومنتهى الأحياء فقالوا لا قال أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها فقالوا
لا قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة فقالوا لا قال أفأنتم أخوال الملوك
من كندة فقالوا لا قال أفأنتم أصهار الملوك من لخم فقالوا لا قال فلستم ذهلا الأكبر بل
إنما أنتم ذهل الأصغر فقام إليه غلام من القوم حين بقل وجهه فقال

إن على سائلنا أن نسأله * والعبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا إنك قد سألتنا فلم نكتمك شيئا فمن الرجل فقال أبو بكر من قريش فقال بخ بخ
أهل الشرف والرياسة فمن أي قريش أنت قال من تيم بن مرة فقال الفتى أمكنت الرامي
من سواء الثغرة أفمنكم قصي بن كلاب الذي جمع الله به القبائل من فهر فكان يدعى
مجمعا قال لا قال أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
قال لا قال أفمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذي كأن وجهه قمر يضيء في
الليلة الظلماء الداجية قال لا قال أفمن المفيضين بالناس أنت قال لا قال أفمن
أهل الندوة أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة
أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية أنت قال لا واجتذب أبو بكر زمام ناقته فرجع
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغلام

صادف درّ السيل درّا يدفعه * يهيضه حينا وحينا يصدعه

أما والله لو ثبتّ لأخبرتك أنك من زمعات قريش أو ما أنا بدغفل قال فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت لأبي بكر لقد وقعت من الغلام على باقعة
قال أجل إن لكل طامة طامة وإن البلاء موكل بالمنطق. قلت شرح هذا الخبر
وما اشتمل عليه من النكت والتلميحات يطول والغلام المذكور هو دغفل بن
حنظلة السدوسي النسابة المشهور أسلم وعاشر الخلفاء معاوية رضي الله
عنه من بعده وأعجب معاوية بعلمه وقال له بم أدركت هذا العلم فقال
بلسان سؤول وقلب عقول وهو أحد العضين تثنية عض بكسر العين المهملة وبالضاد

المعجمة ومنه الرامية من الرجال قال في القاموس والعضان زيد بن الكيس النمري ودغفل بن حنظلة الذهلي كانا عالمي العرب بحكمها وآدابها هـ وقال الفقعسي

احاديث من انباء عاد وجرهم * يثورها العضان زيد ودغفل

وقتل دغفل في وقعة دولاب قتلته الخوارج وقيل اول الذي قال البلاء موكل بالمنطق هو النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك المسعودي في مروج الذهب وجعل ذلك من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم التي لم يسبق اليها وذكر من الجملة وامثاله فليتشكر منها وقيل هو من كلام عبيد بن شرية الجرهمي الذي عاش ثلاثمائة سنة وادرك الاسلام فاسلم والصحيح الاول وقد نظم الشاعر ذلك فقال

احفظ لسانك ان تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

والكلام في التحرز من اللسان وآفاته شهير في الكتاب والسنة وكلام السلف وكلام الادباء والحكماء ومن اراد شيئا من ذلك فعليه بكتاب آفات اللسان من الاحياء للامام الغزالي رضي الله عنه فانه جمع فاوعى ومن الطف ما قيل في ذلك قول بعضهم رحم الله امرءا اطلق ما بين كفيه وامسك ما بين فكيه والله تعالى اعلم

* * *

ولتق نفسك بكفيك ولا * تسم بصحيح النطق بالتمشدق

من الخير لك واستمع الى * نصح الحكيم الناصر المشفق

اللغة قوله فلتق نفسك الوقاية الحفظ وقد وقاه الله الشر وقاية بالكسر حفظه والوقاء مثل كتاب كل ما وقيت به شيئا وروى ابو عبيد عن الكسائي الفتح في الوقاية والوقاء وحقيقة النفس الانسانية مما تعددت فيه المقالات وكثرت فيه الجدالات وتشعبت فيه الضلالات فرقا وحزبا الى ان انتهت اقوالهم فيها الى زهاء الف قول وما يعقلها الا العالمون قال الله تعالى قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا واحسن من تكلم في ذلك من المتاخرين الشيخ الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في رسالته المسماة بالنفخ والتسوية فينبغي لمن سمت همته الى الوقوف على الحقائق ان ينظر في ذلك الكتاب ففيه من العجب العجاب قوله بكفيك تثنية كف وهي من الانسان معروفة وقال الازهري الكف الراحة مع الاصابع سميت بذلك لانها تكف الاذى

عن الضرر قوله ولا تشمت بفتح التاء وضم الميم من قولك شمته شماتة اذا فرحت
لما به واذليته ايلاما واصله من شوم السلعة عند المبايعة والتشمير بالميم
كلمة مولدة وانما العربية المحفوظة التشمير وبشين الذال بالميم في الصحاح وغيره
المتشير والذي يليق شرفه للتفصيح قوله نصح الحكيم النصح بالضم معروف والاسم
النصيحة يقال نصحت فلانا ونصحت له يتعدى بنفسه وباللام ومنه في لغة
القرآن قال تعالى ونصحت لكم واشتقاق النصيحة اما من النصوح وهو الخلوص
قال الاصمعي الناصح الخالص من العسل وغيره مثل الناصع واما من النصح بفتح
وسكون وهو الخياطة قال الغيران لذا ابن هلال في النصيحة التلفيق بين الناس من
النصح وهو الخياطة وذلك انه يلفق بين المتباعدين والحكيم المصيب في اقواله
وافعاله وللناس في تفسير معنى الحكمة كلام طويل يخرجنا التتبع له عن المقصود
والآن فرق ما قلناه قوله الجاحد هو الجماد والمتفرق السائغ المجير واما المعنى
بعد تفريق الكلام عليه والله اعلم معنى الكلام يقول اذا كنت ايها
العاجز لا تقوى على المعارضة ولا تجد سبيلا الى المناقضة فترك المحاولة
احرى لك مما تروقه من معارضة السيف بالعصا واتفاقك بالخضوع ابقى
عليك مما تريده من مقاومة الشهب بالحصا اذ لا شيء انفع للعاجز من القاء
السلاح ومن رأى اغرب للضعيف من ترك الفخار والجماح كما قال ابو الطيب

اغر واراها من خضوع ويكما عنوا * فما الجيش عنتر ردة غرب القبائل

والاتيان بالكفين في كلام الناظم كناية عن الذلة والخضوع اذ شان الذليل
العاجز ان يتقي من يصول عليه بيديه ويدفعه عنه براحتيه فالكف والكمة
بنت الاجم وقد تمثلت به فاطمة الزهراء رضي الله عنها يوم وفاة ابيها
صلى الله عليه وسلم

* *

قد كنت لي جبلا ألوذ بظله ... فتركتني أمشي بأجرد ضاحي
فاليوم أخضع للذليل وأتقي ... منه وادفع ظالمي بالراح

ثم قال فاترك ما انت عليه مما يضرك واقبل على استماع ما يرشدك ولا يبغي لك
مما اتلوه عليك من انواع الامثال والحكم التي ارتجت على حكم لقمان ومن مثلها
تعلم ابنائهم رحمه الله في مراتبهم والامثال فقال

*

لِفِكْرٍ هَذَّبَتِ الطِّبَاعَ مَا بِهَا * حِكَمٌ وَآدَابٌ تُعْتَبَرُ

وَمُعَاشِرُ النَّاسِ بِمَشْرَبٍ حُلْوٍ * تُحْمَدُ عَلَيْهِ زَمَنَ التَّعَثُّرِ

اللغة قوله فكر هذبت الطباع أصل التهذيب التنقية وأصله من قولهم هذبت النخلة إذا نقيت عنها الليف ويقول ثم قالوا رجل مهذب إذا كان مطهر الأخلاق ومنقحها قال النابغة * ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب والطباع بالكسر السجية التي جبل عليها الإنسان وهو ولعله مفرد يجمع على طبع بضمتين ككتاب وكتب وليس الطباع جمعا للطبع كما زعمه من نص عليه ابن القطاع وغيره ونقل أبو البقاء عند قول المتنبي * لها

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

أنه قرئ عليه وتأبى الطباع بالتاء الفوقية فأنكره وقال إنما أقول هكذا يعني أنه إنما قال ويأبى بالياء التحتية لأن الطباع عنده مذكر وقوله تحمد عليه زمن التعثر فعل مضارع مبني لما لم يسم فاعله مجزوم في جواب شرط مقدر وزمن التعثر ظرف متعلق به والله أعلم **معنى الكلام** يقول إذا أو عنيت فيما أو هيئت به ما يحتاج إليه العقلاء المتنافي منه الاستماع :: بفكر هذبت الطباع :: متحليا بالآداب والفضل متخلقا بأخلاق أهل الكرم والبذل :: ما بكما حكم جامعة وآداب مقترفة كرائق الزاين وفواكه البساتين فإن خير العلم ما عوضه به وقد قيل العلم أكثر من أن تحوي فخذوا من كل شيء أحسنه ونكتة ما قال وينسب إلى علي رضي الله عنه

ما حوى العلم جميعا أحد * لا ولو مارسه ألف سنة

إنما العلم بعيد غوره * فخذوا من كل شيء أحسنه

وقيل ما ينتفع بالعيون والقلوب ما تشمر لا يبثهما فلعله الحمل إذا أمنت ثم تعانا فعه وقال ابن عباس رضي الله عنهما العلم كثير فعوا أحسنه أما سمعتم قول الله تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقال الشاعر

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم * في العين فضل ولكن ناظر العين

وذلك أنه لا يكون أديبا حتى يجمع المثل السائر والبيت النادر والحكاية المعجبة والنكتة المطربة والحكمة الجامعة والفائدة النافعة وقال يحيى بن خالد انتقوا من كل فن طرفا ثم اجعل شيئا مما ذاك وأكرمه

ان تكون عدوا لشيء من الادب وقيل اذا اردت ان تكون عالما فاقصد فنا واحدا
واذا اردت ان تكون اديبا فخذ من كل فن وقيل من لم يعلم الا فنا واحدا من العلم
سمي المتفنن من العلماء قال في ارشاد القاصد اعلم انه لا شيء ولا واحد من
العلوم من حيث هو علم بضار بل نافع ولا شيء من الجهل من حيث هو جهل بنافع بل
ضار لان في كل علم منفعة اما في امر المعاد او المعاش او الكمال الانساني وانما
يتوهم في بعض العلوم انه ضار او غير نافع لعدم اعتبار الشروط التي تجب
مراعاتها في العلم والعلماء فان لكل علم حدا لا يتجاوزه وذا موضع يذكر بعده
قلت ومن الكلام على فضل العلم من حيث هو علم لا يتصور فيه الا النفع
فان العلم اشرفه وكذا فضله لان الجهل يكفي بكونه ضارا وانما ورد في بعض العلوم
انها ضارة حتى قيل نعوذ بالله من علم لا ينفع فهو باعتبار خارج وعلى جهة معينة من فقد شروطه او وجود
ذريعة اقتضى الشرع سدها او نحو ذلك اما اذا اجتمعت الشروط وانتفى التشويش
من نحو شيء بعدم نفع المكروه او المحرم فلا باس حينئذ بتعاطيه اي علم كان بل قد يجب
كالسحر فانه حرام ومع ذلك قد قالوا انه يجب تعلمه في بعض الاحيان كما لو
كثر ساحر في بعض الافاق رواه عن ابن بردة ان الولاية فلو لم يوجد منا من
يدري السحر ويعرف ما دونه ويفرق بينه حتى يتمكن من ابطاله لعجز اهل من جنس علمه
لربما اغلبهم ذلك الساحر الا ترى ان من معجزات اكثر ان معجزة موسى عليه
السلام من قبيل السحر انما هو لانه لما جمع السحرة الماهرين في تلك الصناعة
فانهم والله اعلم عرفوا انه اذا سمعت بمثله لتعاطي فنون كثيرة فاياك
ان تتعاطى اكثر منها فانك في وقت واحد كما يفعله المتعاطون من اهل الزمان
فتجد من يتعاطون درس الفقه في الصباح ودرس النحو في المساء وذلك مخل
في التعلم والتعليم وقل ان يحصل طالب العلم في ذلك على طائل او تستحكم له فيه
ملكة ومن احد الاسباب الموجبة لقلة العلم في زماننا وانحطاط اهله بل من اعظمها
ومنها ايضا الاقبال اكثر على درس كتب المتاخرين وهجر كتب المتقدمين فان في ذلك
من الضرر على طلاب العلم ما الله اعلم به ولو اراد الله تعالى بالناس خيرا
لهجروا هذه الكتب المتاخرة ورجعوا الى كتب السلف ولا يكون ذلك الا بفضل
الله سبحانه والكلام هنا طويل الذيل وما احوج الناس الى تاليف يكشف

بعض من ميل العقل ويشرح لبعض منزل الفضل مع ان جلها يدرك بالتجربة والعـ
ـادة الى الصواب فتبصر قال البناني رحمه الله وعاشر الناس بحسن خلق لانه
بانه يلائم الخير كله وتتبع مبلغ ان الله تعالى اثنى على نبيه به فقال وانك لعلى
خلق عظيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله
وحسن الخلق وقال اسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان
فقال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقال
صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وقال صلى الله عليه
وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال صلى الله عليه وسلم
يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق يا رسول الله قال ان تصل من قطعك
وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال
زدني قال خالق الناس بخلق حسن نقله في الاحياء وقد ينبغي ان ثمرة حسن الخلق
الالفة وانقطاع الوحشة والذكر بحسن بعد المعرفة واستجلابا الرحمة بعد الغفلة
الى الدار الآخرة فاذا نشأ عن حسن العشرة علم ينتفع به الى آخر المعاشرين فتلك
المعرفة الجارية والعمل الدائم كما قال صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم
انقطع عمله الا من ثلاث منها علم ينتفع به في صدور الرجال وقال مغشي فوق الناصح
رحمه الله تعالى بعد كلامه بما ينبغي واعلم انه تبين في علم الاخلاق ان الفضائل
الانسانية التي هي الفضائل اربع وهي العلم والشجاعة والعفة والعدل
وما عداها فهي فروع عنها وترجع اليها فالعلم فضيلة النفس الناطقة
والشجاعة فضيلة النفس الغضبية والعفة فضيلة النفس الشهوانية والعدل
فضيلة التنسيق بين تلك القوى الثلاث بحسن علام في الجميع والنفس الناطقة
اشرفها فتفضيلها اشرف وعليك بكتاب رياضة النفس من الربع الثالث من
الاحياء ففيه الشفاء من كل داء والله تعالى اعلم *

ولا تصاحب من يزري لنفسه * فعلا بلا فصل وعين المتغفي
وكل من تيسر له عليك فبس * بفضل فلا تكمده بالتحسر

فعنى الشيئين كلامه وما ذكر فيهما يفهم ان قولهم في المثل المشهور ولا تصحب

من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له وقال جعفر البرمكي في معناه ومنه اخذته

تذلل لمن إن تذللت له * يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزل * على الاصدقاء يرى الفضل له

وأما قوله وغيره المتقي فهو كقول صاحب الحكم العطائية رضي الله عنه لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله وانظر كتاب آداب الصحبة من الاحياء تستفد وأما قوله وكل من ليس له عليك من فضل اثبت فهو من تتمة المعنى المتقدم ورفع الهمة فضله وهو محمود شرعا وطبعا لا سيما على ابناء الدنيا فقد قال علي رضي الله عنه ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله وورد من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه وقال بعض الحكماء ما رايت متكبرا الا تحول داؤه بي يعني انه يتكبر عليه ويتكبر ذلك الجاهل المحال فقال رحمه الله

لم الق مستكبرا الا تحول لي * عند اللقاء له الكبر الذي فيه
ولا حلا لي من الدنيا وزينتها * الا مقابلتي للتيه بالتيه

ومن كلامهم الجوع خير من الخضوع ولقد اجاد الشيخ ابو الحسن بن ابي الصقر الواسطي واحسن حيث قال *

كل رزق ترجوه من مخلوق * يعتريه ضرب من التعويق
وانا قائل واستغفر الله * مقال المجاز لا التحقيق
لست ارضى من فعل ابليس شيئا * غير ترك السجود للمخلوق

وفي الاحياء ان التواضع وسط بين طرفين فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى خساسة ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم واحب الامور الى الله اوسطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فسبيله في امثاله التواضع ان يتواضع للاقران ومن قرب منهم

فماله التواضع المحمود في مماسير العادة ان قارنه حتى احب الخمول وانتهى انتشار
تفرقهم في ذكره النفحات وليبرع نفسه اذ ليس للمومن ان يذل نفسه الى ان يعود الى
الوسط الذي هو الصراط المستقيم ه فاحفظها والله الموفق *

اللغة (ونحو قد سهم النميري جبر * لكسر والعلياء لم يوفق)

قوله ونحو قد سهم النميري تقول فوقت السهم تفويقا اذا جعلت له فوقا وهو المحز الذي يجعل فيه الوتر واذا وضعت السهم في الوتر لترمي به قلت افقته افاقة واما السهم فهو واحد النبل وقيل السهم نفس النصل والنميري نسبة لقبيلة والكسر جمع كسرة معروفة تذكر وتؤنث وهي هنا مجاز عن وجود الشيء واسبابه والعلياء فعلاء من العلو وهي في الاصل وصف للمنزلة العالية حسا او معنى ثم كثر استعمالها في الخصلة المحمودة حتى انها تصفت بالاسماء والتوفيق خلق القدرة واكثر الاصحاب خلق القدرة على الطاعة وضده الخذلان وهو خلق القدرة على المعصية وقال امام الحرمين التوفيق خلق الطاعة لا خلق القدرة عليها والله تعالى اعلم الاعراب قوله ونحو قد فعل امر مؤكد بالنون الخفيفة وتكتب بالالف مراعاة لحالة الوقف كما مر عند قوله فبشر ذا الحب المسعود ٭ وقوله جبر لكسر والعلياء ٭ اللام تعليلية وفي الكلام حذف وتقديم وتاخير والتقدير ونحو قد سهما مثل سهم النميري لاجل رقي من لم يوفق لسلوك كسر والعلياء والله اعلم ومعنى الكلام من هنا ايضا من معنى ما تقدم من الحث على رفع الهمة والترغيب فيما عن سفساف الخسية واسبابها وفي جمع الجوامع وذو النفس الابية يربا بها عن سفساف الامور ويجنح الى معاليها واصله الحديث الشريف ان الله يحب معالي الامور ويكره سفسافها رواه البيهقي في شعب الايمان والطبراني في الكبير والاوسط ومعنى قول الناظم سهم النميري اي سهما مثل سهم النميري في كونه لا يخطئه ولا يزال به حتى يصرعه على ما يأتي بيانه فان قد نزله على الدنيا الموت او قرب من الحياة بعد حياته كالعدم ولهذا قيل

اخو العلم حي خالد بعد موته * واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يعد من الاحياء وهو عديم

ومما ذكره الناظم انما هو مقتضى المبالغة الشعرية والا فكلام في ان احرز ابشر

القتل بسبب شغفهم بالسماحة وقال أبو الطيب ومن الأمثال السائرة في علو الهمة
والزهادة بالنفس كل قرعب

عجبت لمن له قد وحد ✱ وينبو نبوة القضم الكهام

ومن يجد الطريق إلى المعالي ✱ فلا يذر المطي بلا سنام

ولم أر في عيوب الناس شيئا ✱ كنقص القادرين على التمام

وقال قبل هذا

وآنف من أخي لأبي وأمي ✱ إذا ما لم أجده من الكرام

ذكر النميري وسهمه

أما النميري فهو أبو حية الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نمير بن عامر بن صعصعة النميري الشاعر المشهور كان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وقد مدح الخلفاء منهما جميعا وكان فصيحا مقصدا راجزا من ساكني البصرة قال ابن رشيق في العمدة كان أبو حية النميري من أحسن الناس شعرا مرتفعا بالعزة وقد أخذ عنه كثير التعصب له والرواية عنه وفي الأغاني كان أبو حية أهوج جبانا بخيلا كذابا معروفا بذلك أجمع وكان أبو عمرو بن العلاء يقدمه وقيل إنه كان يصرع وسيأتي بعض أخباره في الهوج والجبن وأما سهمه المضروب به المثل فهو ما حكى عن نفسه تبجحا فقال عن لي ظبي يوما فرميته فراغ عن سهمي فعارضه السهم ثم راغ فعارضه فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبانات ومن كذبه في السهم أيضا أنه قال يوما رميت والله ظبية فلما نفذ سهمي عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لي فعدوت خلف السهم حتى قبضت على قذذه قبل أن يدركها ه‍ قلت ومن هنا أخذ المتنبي قوله يصف رجلا بجودة الرمي

يكاد يصيب الشيء من قبل رميه ✱ ويمكنه في سهمه المرسل الرد

وينفذه في العقد وهو مضيق ✱ من الشعرة السوداء والليل مسود

وقد ضرب المثل بسهم النميري خليل بن أيبك الصفدي في قوله

وشادن راق عرق الصبا ✱ شممت منه عرقة كاسيه

أميل عنه خوف عشقي له ✱ وطرفه يتبعني رميه

كأن قرابه كنبيه ✱ وكزته سهم أبي حيه

وقد تبع الحريري في ذلك ابن نباتة على عادته حيث قال

ويديع الجمال لمن يريد تجرهي ... مثل الغمام به وإن كثرت غيره
كلما حدث عن مقاله اقتادني ... سهم الغفلة كسهم التبذير

ومثله في أشعار المولدين كثير ومن أخبار أبي حية في الكذب ما حدث به عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال كان أبو حية النميري من أكذب الناس حدث يوما أنه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله فيأخذ منها ما شاء فقيل له يا أبا حية أرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا تصنع بها قال أبعدها الله إذا ومن أخباره في الجبن ما حدث به ابن قتيبة أيضا قال كان لأبي حية سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه وبين الخشبة فرق وكان من أجبن الناس قال جار له دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصا فأشرفت عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية وهو واقف في وسط الدار وهو يقول أيها المغتر بنا المجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذي سمعت به مشهورة ضربته لا تخاف نبوته اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك إني والله إن أدع قيسا تملأ الأرض عليك خيلا ورجلا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها فبينما هو كذلك إذ خرج الكلب فقال الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفانا حربا وقال سلمة بن عياش لأبي حية أتدري ما يقول الناس قال وما يقولون قال يقولون إني أشعر منك قال إنا لله هلك والله الناس ونوادر أبي حية كثيرة انتهى

ألغاز وافعل بمن ترتاب منه مثل فعل المتلمس اللبيب الحزور
الفتى الصحيفة بنهر حيرة ... وقال يا ابن سيد الزعر وابن ري

اللغة قوله ترتاب من الارتياب الشك والتهمة يقال ارتبت فيه بمعنى شككت وإذا قلت ارتبت به أو منه فمعناه اتهمته وتهمته مثله وهو المراد هنا والاسم الريبة بالكسر والمتلمس يأتي ذكره واللبيب العاقل وجمعه ألباء وهو من اللب بالضم وهو العقل وإذا أعلم أن أصله من لب الشيء وقد لببت يا رجل بالكسر تلب لبابة أي صرت ذا لب وحكى يونس لببت بالضم وهو نادر لا نظير له في المضعف والحزور بكسر الزاي المعجمة الغلام وقد حزور الصبي إذا قارب الحلم والحمل يحزور حزورا وحزاورة إذا اشتد بدنه وحزور بالكسر حزورا لغة قوله الفتى الصحيفة

قال في القاموس الصحيفة الكتاب والجمع صحائف وصحف ككتب نادر لأن فعيلة لا تجمع على فعل قوله ينهمر حين لا انهمر الماء انصب والمتسع والجمع نهر بضمتين وأنهر والنهر بالفتح لغة والجمع أنهار مثل سبب وأسباب ثم أطلق النهر على الأخدود مجازا للمجاورة فيقال جرى النهر وجف النهر كما يقال جرى الميزاب والأصل جرى ماء النهر قاله في المصباح والميزاب بكسر الحاء المهملة بلا معروف بالة خبرة قوله أرعد وأبرق يقال رعدت السماء وبرقت بلا ألف إذا رعدت وبرقت قال ابن أحمر

يا جل ما بعدت عليك بلادنا * وطلابنا فابرق بأرضك وارعد

وسيأتي شعر المتلمس في هذا المعنى وأما أبرق وأرعد رباعيا فقد أنكره الأصمعي إلا في الرعود والبروق وأجازه غيره نقل الفارابي في نوادره عن أبي حاتم قال قلت للأصمعي أتقول في التهدد أبرق وأرعد فقال لست أقول ذلك إلا أن أرى البرق وأسمع الرعد قلت فقد قال الكميت

أبرق وأرعد يا يزيد * فما وعيدك لي بضائر

قال الكميت من فصحاء أهل الموصل ليس بحجة والحجة الذي يقول يعني المتلمس

إذا جاوزت من ذات عرق ثنية * فقل لأبي قابوس ما شئت فارعد

قال أبو حاتم فأتيت أبا زيد فقلت له كيف تقول من الرعد والبرق وفعلت السماء فقال رعدت وبرقت قلت من التهدد فقال رعد وبرق وأرعد وأبرق فأجاز اللغتين جميعا وأقبل أعرابي محرم فأردت أن أسأله فقال لي أبو زيد دعني فأنا أعرف بسؤاله منك فقال يا أعرابي كيف تقول رعدت السماء وبرقت أو أرعدت وأبرقت فقال رعدت وبرقت فقال أبو زيد فكيف تقول للرجل من هذا فقال أمن الجخيف تريد والجخيف التهدد فقال نعم فقال أقول رعد وبرق وأرعد وأبرق قلت ومن علمت أن كلام الناظم جار على المتفق عليه والله أعلم **الأعراب والتصريف**

قوله وافعل من تراب ومنه جملة معطوفة على ما قبلها وافعل مفعول أتى ومن تراب منه متعلق به والتاء في تراب منقلبة عن ياء وقوله مثل يفعل المتلمس مفعول مطلق معمول لأفعل وهو على حذف مضاف أي فعلا مثل فعل المتلمس واللبب والمجد نعتان للمتلمس والمجد ومنهما صيغة مبالغة كحذر في حذار قال الشاعر

حذر أمورا لا تضير وآمن * ما ليس منجيه من الأقدار

قوله

فقوله انفس التصغيرية جملة مفسرة لفعل المتلمس كقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب فجملة خلقه تفسير لمثل آدم ويحتمل ان تكون مستأنفة استئنافا بيانيا كأنه قيل ماذا فعل فأجاب بقوله الفعل التصغيرية كقوله تعالى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم كأنه قيل ماذا قال في وسوسته فقيل قال يا آدم وعلى كل حال فلا محل لها من الاعراب ويجوز ان تكون بدلا من فعل المتلمس على رأي من أثبت بدل الجملة من المفرد فهي حينئذ في محل جر والالف منقلبة عن ياء فتكتب ياء وقوله بنفسي هي الخ فصلا وفصلها البيت وجه لعلكم الحيرة من آل منذر والاقحوان فيه لازمة لكونها فارقة وضعفها كالسمرة وجملة وقال في ابن منذر كوفية على جملة الفعل وحرف لفظة منذر على أخرى التعبير فيها قال في الخلاصة

وجمعا في العادة تذكيرا سبق * ومجمة كمنذر والمنع احق

ويجوز كسر التنوين من منذر على اصل التقاء الساكنين وضمه اتباعا لثالث ما بعده ومن العين من أن عمر وقد قرئ قوله تعالى من أن اشكر ونحوه بالوجهين والله اعلم

* ذكر الحيرة وما قيل فيها *

الحيرة بالكسر بلد قريب من الكوفة والنسبة اليها حيري على القياس وسمع حاري على غير قياس وفتحها خالد بن الوليد صلحا في زمان ابي بكر رضي الله عنه ثم كان فتح السواد في زمان عمر رضي الله عنه والحيرة كانت في الجاهلية دار ملك اللخميين من آل المنذر قيل انما سميت حيرة لان ابا كرب اسعد تبعا لما غزا المشرق ومر بارض الحيرة تحير عسكره هنالك فخلف بها قوما من الازد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فاقاموا هنالك وبنوا الاطام وانضم اليهم غيرهم فسميت الحيرة ويقال لها البيضاء قال ابو العلاء الاسدي وقد حلق صاحب الشرطة راسه

وبالحيرة البيضاء شيخ مسلط * اذا حلف الايمان بالله برت
لقد حلقوا منها غدافا كأنه * عناقيد كرم اينعت فاسبكرت
وظل العذارى يوم تحلق لمتي * على عجل يلقطنها حين خرت

وقال الآخر

فيا لهفتا اين الغرور انصرافي * هل ترى اليوم غير ملك فان
اين رب السدير والحيرة البيضاء اين صاحب الايوان *

قال الشريف الغرناطي في شرح احما زميلة ولا يبعد ان تكون سميت حيرة اشتقاقا من قولهم
حورت الثياب اذا بيضتها ومن محاسن الحيرة الخورنق الذي بناه النعمان الاكبر
على ثلاثة اميال منها في جهة الشرق وقد مر ذكره والسدير نهر بناحيتها وقيل
السدير قصر عظيم في بريتها بناه بعض الملوك اللخميين وفي ذلك يقول الاسود بن يعفر

ارض الخورنق والسدير وبارق … والقصر ذي الشرفات من سنداد

وبارق موضع هنالك وسنداد نهر معروف او قصر ايضا وفي الاغاني عن سليمان بن بشر
قال كان بعض ولاة الكوفة يخرج الى الحيرة في ايام بني امية فقال له رجل من اهلها وكان
عاقلا لا كثر بها اتعيب بلدة يضرب بها المثل في الجاهلية والاسلام قال وبماذا تمدح
قال بصحة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها تصلح للخف والظلف سهل وجبل
وبادية وبستان وبر وبحر محل الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم وقد قبحتها
اصلحك الله فقبّحا فرجعت منقلبا وزرتها متفضلا فاما رتك مكثرا قال فكيف نعرف ما
وصفتها به من الفضل قال بان تصيرني ثم ادع ما شئت من لذة العيش فوالله لا
اجوز بك الحيرة فيه قال فاصنع لنا صنيعا واخرج من قولك قال افعل وصنع لهم طعاما
واطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها من ظباء ونعام وارانب وحبارى
وسقاهم ماءها في قلالها وخمرها في آنيتها واجلسهم على رقمها وكان يتخذ بها من
الفرش اشياء كثيرة ظريفة ولم يستخدم لهم حرا ولا عبدا الا من مولديها ومولداتها من
خدم ووصائف كانهم اللؤلؤ لغتهم لغة اهلها ثم غناهم حنين الحيري ومتومغر وشهور
واصحابه في شعر عدي بن زيد العبادي شاعرهم واعشى همدان لم يتجاوزهما وحياهم
برياحينها ونقلهم على خمرها وقد شربوا بعد اكلهم ثم قال له هل رأيتني استغنيت
على شيء مما رأيت واكلت وشربت وافترشت وشممت وسمعت بغير ما في الحيرة
قال لا والله ولقد احسنت صفة بلدك ونصرته فاحسنت نصرته والخروج مما
ضمنته فبارك الله لكم في بلدكم ه وقد خرجنا الى الحيرة اليوم وما بقي من قصورها
قصور بائرات وبيع للنصارى وقاله الرشاطي

ذكر المتلمس وصحيفته

اما المتلمس فهو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دوفن بن حرب بن وهب
ابن جلي بن احمس بن ضبيعة وهو الاضجم بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الضبعي
الشاعر وانما لقب بالمتلمس بصيغة اسم الفاعل لقوله من قصيدة *

فهذا أوان العرض حيّ ذبابه * زنابيره والأزرق المتلمس

والعرض وادٍ باليمامة، وهو من ضبيعة أضجم بالضاد المعجمة والجيم كما ذكرناه في نسبه، وفي الضبيعات في العرب أربع: ضبيعة أضجم بالإضافة وهو ابن ربيعة بن نزار ومنهم المتلمس كما ذكرنا، وضبيعة بن قيس بن ثعلبة ومنهم صاحبه وابن أخته طرفة بن العبد الشاعر المشهور، وضبيعة بن الحارث بن ربيعة، وضبيعة بن عجل بن لجيم، وكانت ضبيعة قيس قد قتلت علقمة بن زرارة التميمي فقتل حاجب بن زرارة أشيم ابن شراحيل القيسي الذي يقال له مأوى الصعاليك بأخيه علقمة وقال في ذلك

فإن تقتلوا منا كريمًا فإننا * أبأنا به مأوى الصعاليك أشيما

قتلنا به خير الضبيعات كلها * ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما

وكان المتلمس قد نشأ في أخواله من بني يشكر ويقال إنه ولد فيهم وساكنهم حتى كادوا يغلبون على نسبه، وهو أحد الثلاثة المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنهم أشعر المقلين وهم المتلمس والمسيب بن علس وحصين بن الحمام، وقال ابن فضل الله في حقه هو رجل نبيه الذكر معروف بصحيفة الغدر وهو الذي يضرب المثل بصحيفته. قلت وإليه الإشارة بقول الناظم الكتب الخاذ، ومن جيد شعره قوله

ألم تر أن المرء رهن منية * صريع لعافي الطير أو سوف يرمس

فلا تقبلن ضيمًا مخافة ميتة * وموتن بها حرًّا وجلدك أملس

فمن حذر الأوتار ما حز أنفه * قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

وقوله لكل قوم سلم يرتقى به * وليس إلينا في السلالم مطلع

ويهرب منا كل وحش ويتقي * إذا وحشنا وحش البلاد فيرتع

وقوله لحفظ المال خير من فناء * وسير في البلاد بغير زاد

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

إلى غيره إلى ما يطول ذكره، وأما صحيفته فكان من حديثها ما حكاه المفضل الضبي وغيره قال: كان عمرو بن هند الملك وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وماء السماء أمه وفي زمانه ولد النبي صلى الله عليه وسلم، كان رشح أخاه قابوس بن المنذر ليملك بعده وهما معًا ابنا هند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار، ولما كبر قدم عليه المتلمس وابن أخته طرفة بن العبد فجعلهما في صحابة قابوس وأمرهما بلزومه

وكان قابوس شابا يعجبه اللهو وكان يركب يوما للصيد فيركض ويتصيد وهما
معه يركضان حتى يرجعا عشية وقد لغبا ثم يكون قابوس من الغد في الشراب فيقفان
بباب سرادقه الى العشي وكان ذلك دأبهما معه حتى كان قابوس يوما على الشراب
فوقفا ببابه النهار كله ولم يصلا اليه فضجر طرفة وقال

ليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور
من الزمرات اسبل قادماها ... وضرتها مركنة درور
يشاركنا لنا رخلان فيها ... وتعلوها الكباش فما تنور
لعمرك ان قابوس بن هند ... ليخلط ملكه نوك كثير
قسمت الدهر في زمن رخي ... كذاك الحكم يقصد او يجور
لنا يوم وللكروان يوم ... تطير البائسات ولا نطير
فاما يومهن فيوم نحس ... تطاردهن بالحدب الصقور
واما يومنا فنظل ركبا ... وقوفا ما نحل ولا نسير

البيت الاول من هذه الابيات مخروم بالراء المهملة والرغوث المرضع والمراد هنا
الشاة او الناقة بدل الاول قوله تخور لان الخوار صوت البقر وبدل الثاني قوله
وتعلوها الكباش والزمرات القليلات الصوف او الشعر وقادماها خلفاها مما
يليها وضرتها بفتح الضاد المعجمة ضرعها ومركنة ذات اركان وجوانب ودرور ذات در
اي لبن والرخلان ولد الرخل وقوله ما تنور اي ما تنفر والنوك الحمق والكروان بكسر فسكون
جمع كروان بالتحريك والحدب بالتحريك ما ارتفع من الارض وهم من كل حدب ينسلون
يقول ليت لنا بدل هذا الملك شاة قليلة الصوف ضعيفة الحركة يضعفها
ولدان حتى لا يكون فيها خير وكان عبد عمرو بن بشر الضبعي ابن عم طرفة وهو وكان
من سادات زمانه ومن اكرم الناس على عمرو بن هند فشكت اخت طرفة يوما اليه
شيئا من زوجها عبد عمرو فعاتبه طرفة ووصفه في شعره وكان سمينا بادنا فقال

يا عجبا من عبد عمرو وبغيه ... لقد رام ظلمي عبد عمرو فانعما
ولا خير فيه غير ان له غنى ... وان له كشحا اذا قام اهضما
تظل نساء الحي يعكفن حوله ... يقلن عسيب من سرارة ملهما
له شربتان بالعشي واربع ... من الليل حتى آض سخدا مورما

ويشرب

ويشرب حتى يغمر المحض قلبه   وإن أعطه أترك لقلبي مجثما

قوله فانعم أي بالغ وأحسن وهو وصف للكشح أي الخصر والعسيب جريدة النخل المستقيمة الدقيقة التي كشط خوصها وملهم قرية باليمامة كثيرة النخل وسار قتادة الكرم ومن فيها والشمر بالفتح الورع وقيل السلا الذي يخرج مع الولد فعرد وصفه بصفة النساء وشبهه بزبده في نعومته بالورم والسلا المنتفخ وهو يحرم خبيث قسم ان عمرو ابن هند خرج يوما الى الصيد ومعه عبد عمرو فرموا اتانا حمارا فعقره وقال لعبد عمرو انزل فاذبحه فنزل وعالجه فاعياه فضحك منه عمرو بن هند وقال لقد ابصرك طرفة فزرة الحبر قال وان له كشحا اذا قام اهضما ويقال انه دخل معه الحمام وتجرد فرآه كشحه فقال له ذلك فأنف عبد عمرو وقال ابيات اللعن ما قال فيك اقبح قال وما قال فانشده: ليت لنا مكان الملك عمرو: الابيات المتقدمة فقال عمرو ما اصدقك عليه وقد هرقوه بالهنا ولكن خاف ان تدركه الرحم فبنزرله بمكث حين ثم دعا المتلمس وطرفة لانه خاف ان يذكر بطرفة وحده فيتهمه المتلمس وقيل ان المتلمس كان قد هجاه ايضا فقال لهما لعلكما قد اشتقتما الى اهلكما ويسركما ان تنصرفا قالا نعم فكتب لهما الى ابي كرب عامله على هجر وقيل اسمه يجمع ازد البحرين كما في القاموس ان يقتلهما واخبرهما انه قد كتب لهما بحباء ومعروف واعطى كل واحد منهما شيئا فخرجا وكان المتلمس قد اسن فمرا بنهر الحيرة على غلمان يلعبون فقال المتلمس لطرفة هل لك ان نستفتح ما في كتابينا فان كان فيه ما نحب مضينا له وان كان شرا اتقيناه فابى طرفة عليه فاعطى المتلمس كتابه بعض الغلمان فقرأه عليه وكانت الكتابة اذ ذاك قليلة في العرب بالحيرة لمكان الملك بها فقال الغلام ثكلت المتلمس امه فيقال انه اخذه منه بذلك وانتزعه منه ورمى به في النهر ثم قال لطرفة تعلم والله ان الذي في كتابك مثل الذي في كتابي فقال طرفة ليس اجترأ عليك فما كان ليجترئ علي وابى ان يطيعه ومضى المتلمس من فوره حتى لحق بملوك غسان بالشام وقال في ذلك اشعارا منها قوله

اذا جاوزت من ذات عرق ثنية   فقل لابي قابوس ما شئت فارعد

وقال ايضا من ابيات

واذا هلكت ودون بيتي غارة *   فابرق بارضك ما بدا لك وارعد *

وهذا معنى قول الناظم رحمه الله وقال يا ابن هند إن عمرو أبرق :: وقال ابن مروان النحوي في ذلك

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله ... والزاد حتى نعله ألقاها

ومضى يظن بريد عمرو خلفه ... خوفا وفارق رحله وقلاصها

ولما اتصل خبر طرفة بعمرو ابن هند وخاف منه بالحيرة أقسم أن لا يطعم الخبز من حب العراق أبدا فقال المتلمس

آليت حب العراق الدهر أطعمه ... والحب يأكله في القرية السوس

أغنيت شأني فأغنوا اليوم شأنكم ... واستحمقوا في مراس الحرب أو كيسوا

وقال أيضا في نصيحته لطرفة وعدم قبول طرفة لنصيحته

من مبلغ الشعراء عن أخويهم ... نبأ فتصدقهم بذاك الأنفس

أودى الذي علق الصحيفة منهما ... ونجا حذار حبائه المتلمس

ولقد نصحت له بمرد نصيحتي ... وجرت له بغير السعادة أنحس

ومن الفصيدة ترود على وجوه منها ما حكاه عمير راوية الأعشى قال حدثني الأعشى قال حدثني المتلمس قال قدمت أنا وطرفة بن العبد على عمرو ابن هند وكان طرفة غلاما معجبا تائها فجعل يتخلج في مشيته بين يديه فنظر إليه نظرة كادت تقتلعه من مكانه وكان عمرو لا يتبسم ولا يضحك وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة لشدة ملكه وملك ثلاثا وخمسين سنة وكانت العرب تهابه هيبة شديدة وهو الذي يقول له الزماني الجعلي

أبى القلب أن يأتي السدير وأهله ... وإن قيل عيش بالسدير غرير

به البق والحمى وأسد خفية ... وعمرو ابن هند يعتدي ويجور

قال المتلمس فقلت لطرفة حين قمنا يا طرفة إني أخاف عليك من نظرته إليك مع ما قلت لأخيه قال كلا فأمر لنا بكتاب إلى المكعبر وكان عامله على البحرين وعمان فكتب لي كتابا ولطرفة كتابا فخرجنا حتى إذا هبطنا بنجف الركاب من النجف إذا أنا بشيخ عن يساري يتبرز ومعه كسرة يأكلها ويقصع القمل فقلت تالله إن رأيت شيخا أحمق وأضعف كاليوم فقال وما تنكر قلت تتبرز وتأكل وتقصع القمل قال أخرج خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا وأحمق مني والله حامل حتفه

بيمينه لا يدري ما فيه وتبرّز وأخرج داءً وأدخل غذاءً وأقتل أعداءً وأحمق مني
الذي يحمل حتفه على كتفه قال فنبّهني وكأنما كنت نائما فإذا أنا بغلام من أهل
الحيرة يسقي غنيمة له من النهر فقلت يا غلام أتقرأ قال نعم ففككنا ولقنته الكتاب
فقرأه فإذا فيه باسمك اللهم من عمرو بن هند إلى المكعبر إذا أتاك كتابي هذا مع
المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فألقيت الصحيفة في النهر وفي ذلك أقول

ألقيتها بالثني من جنب كافر ۞ كذلك يُلقى كلُّ قطٍّ مضلِّلِ
رضيتُ لها بالماء لما رأيتها ۞ يجول بها التيار في كل جدول

وقلت يا طرفة إنما معك والله مثلها قال كلا ما كان ليكتب بذلك في عقر دار
قومه فأتى المكعبر فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا ه وقيل إنه أبى أن يقتله وكتب
إلى عمرو بن هند ابعث قاتل الرجل فإني بعثت إلى عاملك من يتكفل ديته فبعث رجلا آخر
من عبد القيس يقال له ابن ريشة وقيل أبو منذر بن عمرو كهرمة في كيفية القتل فاختار
بفصد الأكحل ونُزف دمه حتى مات طرفة فقالت أخت له ط *

أبا منذر كانت غرورا صحيفتي ۞ ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ۞ حنانيك بعض الشر أهون من بعض

يشير إلى فصد الأكحل وقال البحتري ط *

ولقد سكنت إلى الصدود من النوى ۞ والشري أري عند أكل الحنظل
وكذاك طرفة حين أوجس ضربة ۞ في الرأس هان عليه فصد الأكحل

ورثته أخته لأبيه وهي خرنق بنت هفان القيسية فقالت *

عددنا له ستا وعشرين حجة ۞ فلما توفاها استوى سيدا ضخما
فجعنا به لما رجونا إيابه ۞ على خير حال لا وليدا ولا قحما

وصحيفة المتلمس في الأمثال مشهورة وفي الأمثال مضروبة بصحيفته قديما وحديثا ووقع ذكرهما
في سنن أبي داود في آخر كتاب الزكاة وذلك أن عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس
التميمي قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه فأمر لهما صلى الله عليه وسلم
بما سألا وأمر معاوية فكتب لهما بذلك فأما الأقرع فأخذ كتابه فلفّه في عمامته
وانطلق وأما عيينة فأخذ كتابه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم مكانه فقال يا محمد
أتراني حاملا إلى قومي كتابا لا أدري ما فيه كصحيفة المتلمس فقال النبي صلى الله عليه

وسلم من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار فقالوا يا رسول الله وما يغنيه قال قدر ما يغديه أو يعشيه وكان الفرزدق قد قدم المدينة وأكثر شيئا من الشعر والمجانة فقال جرير إليك شعرا بهجاء أهل المدينة إلى مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة من قبل معاوية فقالوا إنه ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وقد أوجب على نفسه الحد فقال مروان لست أنا أحده ولكن أكتب إلى من يحده ثم كتب له إلى بعض عماله بصحيفة يأمره أن يحده ويسجنه أو يحبسه أنه قد كتب له بجائزة ثم ندم مروان ووجه له سفيرا عنه يقول إني قد قلت شعرا فاسمعه

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ... إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينة إنها مرهوبة ... واعمد لمكة أو لبيت المقدس
وإذا اجتنيت من الأمور عظيمة ... فخذن لنفسك بالرقاع الأكيس

قوله فاجلس أي اقصد الجلساء وهي نجد وسميت بذلك لارتفاعها لأن الجلوس في اللغة هو الارتفاع ولما وقف الفرزدق على الأبيات فكر فيما أراد مروان فرمى بالصحيفة وقال

يا مرو إن مطيتي محبوسة ... ترجو الحباء وربها لم ييأس
وحبوتني بصحيفة مختومة ... يخشى علي بها حباء النقرس
ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن ... نكراء مثل صحيفة المتلمس

قوله يا مرو مرخم وقيل إن الفرزدق فكر للصحيفة من قبل نفسه وقال الأبيات فأجابه مروان بأبياته والله أعلم وكان للقاضي شريح ولد يختلف إلى المؤدب ويترك الديوان وذهب يلعب مع الصبيان بالكلاب فكتب شريح معه إلى المؤدب

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها ... يبغي الهراش مع الغواة الرجس
فليأتينك غاديا بصحيفة ... كتبت كمثل صحيفة المتلمس
فإذا أتاك فعضه بملامة ... وعظنه موعظة اللبيب الأكيس
وإذا هممت بضربه فبدرة ... وإذا بلغت بها ثلاثا فاحبس
واعلم بأنك ما فعلت فنفسه ... مع ما يجرعني أعز الأنفس

ولشريح مع ولده قصة أخرى تشبه هذه وهي أنه جاءه ذات يوم من المكتب مضروبة

رحلا له وكان ابتداؤه يوم خميس فسأله ابو عمرو الشيباني فقال انما كانت صبيانا معلمين اى علمني فى يوم خميس المؤدب على رجلى فقال شعرا

عجبت لأيام الخميس وجورها ... ومن فعلة تشتد منها المسامع
اذا اذنبت ابنا تعاقب ارجل ... كرب النجم يكرى غيره وهو راتع

ومن التخميس عشر وكان يغدو بن الربيع فى علق جارية وكلتهما سبع سنين بين اربعا جامعة وقاله واخوانه ملكها بما خافت عند ستة اشهر وماتت فقال فيها اشعارا كثيرة منها قوله

حتى اذا بتر الإيسار وانبعثت ... للموت فى رد بلت ذبول الغرس
وتمكلت منها ما سر وجمها ... وعلا الانين تحته بتنفس
رجع الطبيب مكاما معى يا شاكيا ... رجع الطبيب مكاما مع المتلمس

واشعار الأدباء فى هذا كثيرة ومن قوله فى المعنى وما يتعلق بها تفهم معنى كلام الناظم وان مراده الحث على الحزم والاحتياط وان الثقة بكل احد عجز والاستنادة الى كل وعد ونحوه فى الغرور وان تستشهد له بكلام الحكماء والأدباء ربما يحوا والله اعلم ثم

ولا تعد بوعد عرقوب اخا ... وفيه وعدا سمعه لى بابك بلى
سح باذرع افق فى الغيث وقد ... ترك بقله غسيل العلس

اللغة قوله ولا تعد بوعد عرقوب ان الوعد يستعمل فى الخير والشر قال الفراء يقال وعدته خيرا ووعدته شرا قال الشاعر

ان عليك الخل حين ممطل ... ولا تعد الى الشر والخير فيقبل

فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا فى الخير الوعد والعدة وفى الشر الايعاد والوعيد قال عامر بن الطفيل

وانى وان اوعدته او وعدته ... لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

وعرقوب بضم العين يأتى خبره وقوله وفيه وعا سموءل الوفاء ضد الغدر يقال وفى بعهده واوفى به لغتان بمعنى وقد جمع الشاعر بينهما فقال

اما ابن طوق فقد اوفى بذمته ... كما وفى بقلاص النجم حاديها

والوعد منه وفى والجمع اوفياء مثل غنى واغنياء والسموءل يأتى خبره والابلق هو الابلق الفرد الحصن المشهور بتيماء وقد مر ذكره قوله سح باذرع افق فى الغيث

حتى

الشح بتثليث الشين البخل مع حرص وقد شح يشح كمل يمل وزنا ومعنى وفي لغة من
باب قتل وضرب فهو شحيح وشحاح كسحاب وقوم أشحة وأشحاء وتشاحوا إذا شح
بعضهم على بعض والأدرع بالدال المهملة جمع درع بكسر فسكون من آلة الحرب التي
تلبس في الحرب من الحديد قال الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام وعلمناه صنعة
لبوس لكم ليحصنكم من بأسكم وهي مؤنثة وقد تذكر وتجمع على أدرع شذوذا وتجمع
في القلة على أدرع وأدراع كما تكون في الثلاثي وفي الكثرة على دروع وأما درع
المرأة وهو قميصها فمذكر وامرؤ القيس اسم الشاعر المشهور قال في القاموس هو
الملك الضليل سليمان بن حجر رامح لواء الشعراء إلى النار وقيل في اسمه غير ذلك
والقيس في اللغة الشدة بمعنى امرئ القيس رجل الشدة وقيل القيس اسم صنم
ولذلك كان الأصمعي يكره أن يروي قوله * عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل *
ويقول يا امرأ الله فانزل قوله وقد ترد تجلله في الجمل الأول ومنه في الأول فقد
تجلله أبواه أو لدا قال الأعشى

أنجب أيام والداه به * إذ نجلاه فنعم ما نجلا

وغسيل بمعنى مغسول والعلق بالتحريك الدم عامة وقيل الشديد الحمرة منه وقيل
الغليظ المتجمد واحده علقة قال الله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة أي دما غليظا
متجمدا والله تعالى أعلم **الإعراب والتصريف** قوله ولا تعد جملة
معطوفة على التي قبلها ولا ناهية وتعد مجزوم بها وفاؤه محذوفة لأنه لو كان
المضارع مبدوءا بالياء لكانت الواو التي هي الفاء تقع بين عدوتيها وكذلك
حذفت تخفيفا ثم طرد ذلك الحكم في سائر أفعال المضارع وفي الأمر والمصدر
المكسور الأول قال في الخلاصة

فا أمر أو مضارع من كوعد * احذف وفي كعدة ذاك اطرد

وقوله بوعد عرقوب على تقدير مضاف ومضموم أي بوعد مثل وعد عرقوب
وأما مفعول تعد محذوف بدلالة الكلام عليه أي أحدا فقوله وبه زد يا سموءل
جملة معطوفة كذلك وبه متعلق بفعل أمر من الوفاء يعني على عهد واسم لزيادة فاء بسمه
ولامه بالأفعال المذكور في تعد وبالجزم ويجب وعلته ذكرنا في باء السكت كي
يجب الوقوف عليه بها ولا تجعل عليها علامة الشكول لأنه لا ينطق بها وصلا

وانفاعو

وايضا عندي ان الحكم يعتبر فيه حال الوقف وان الحكم يعتبر فيه حال الوصل كما
بيناه سابقا وهذا الفعل من جملة الافعال التي تعين بالاعلال على حرف واحد
من عين الكلمة وقد انهاها ما بعضهم الى عشرين فعلا وحكم كتابتها والوقف عليها
هو ما قررناه وقد اشار في المقدمة الى مسئلة الوقف بقوله

وقف بها السكت على الفعل المعل … بحذف اخر كاعط من سال
وليس حتما في سوى ما كع او … كيع مجزوما فراع ما رعوا

وقوله وفا سموءل على تقدير مضاف ومن هو ايضا اي وفاء مثل وفاء السموءل
وقصره ضرورة كقوله

فنحن مثل الناس الذين تعرفونه … واهل الوفا من حادث وقديم

وجه السموءل من الضرورة كقوله

رايت سموءلا واتيت بغلا … فكان سموءل كغزا العيون

وانما ضرورة لان الياء لازمة من فارسنه وضعه ولا تفارقه الا في نداء او اضافة
كقوله انك يا سموءل ابن عاديا … كقلك الفرد افسى كما ويا
وبالايلوح في محل الجر من سموءل قوله شح بادرع امرئ القيس جملة تحتمل ان تكون
تفسيرا للوفاء والسموءل او بدلا منه او مستانفة استينافا بيانيا كما مر مثله في
قوله النفل التحقيقية بنحو حين اه وجملة قوله وقد تبرا بحبله تحتمل الحالية والعطف
وتفسير الفعل وحال من الفاعل والله اعلم **ومعنى الكلام** ان الحث على تجنب
الكذب والغدر والتمسك بالوفاء وبالعهد وهذا الرجز وان كان مطلوبا فعله مع كل
احد فطلب الاخ في كلام الناظم ليس المقصود منه الاخ في النسب او في الدين بل اعم
من ذلك وانما ذكر لفظ الاخ ترقيقا عليه وترغيبا في تحصيل الاخصال التي هي من
الفضائل التي تجر اليها كل الموعود فيها الخ ولا خفاء بدلالة الشرع والطبع على
مطلوبية ما اشار اليه الناظم وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسماعيل عليه السلام
بقوله انه كان صادق الوعد وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه انه وعد صاحبا
له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي الصحيحين عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث اذا احدث كذب

وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان، فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة يعظم صاحبها في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون، ويقال الوعد وجه والإنجاز محاسنه والوعد سحابة والإنجاز مطرها، وقالوا ثلاث خيم في وعد مشكوك والإنجاز من يومكم، وقالوا إخلاف الوعد من أخلاق الوغد، وقال صالح التميمي

إذا اجتمع الآفات فالبخل شرها ... وشر من البخل المواعيد والمطل

وما خير في وعد إذا كان كاذبا ... ولا خير في قول إذا لم يكن فعل

والشعر في هذا المعنى كثير

ذكر عرقوب ووعده المكذوب

اختلف الناس في عرقوب هذا من كان فقيل كان من أهل خيبر وقيل كان من الأوس وقيل هو عرقوب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وبنو سعد يقولون هو منا والصحيح أنه من عمالقة الحجاز من بني عبد شمس بن ثعلبة منهم وهو عرقوب بن معبر وقيل ابن سعد بن أسد أكذب أهل زمانه أتاه أخ له يسأله ثمرا من ثمره تمر نخلة من نخله فقال له إذا أطلع النخل فأتني فلما أطلع قال إذا أبلح فلما أبلح قال إذا أزهى فلما أزهى قال إذا أرطب فلما أرطب قال إذا صار تمرا فلما صار تمرا جزه ليلا ولم يعطه شيئا فضربت العرب المثل به في إخلاف الوعد والكذب فقالوا أخلف من عرقوب وأكذب من عرقوب فقال المتلمس فيما هجا به عمرو بن هند

فطردتني حذر الهجاء ولا ... واللات والأنصاب لا تئل

أدنى الحلول ومثل من حسبا ... في الناس من عمروا ومن جهلوا

من كان خلف الوعد شيمته ... والغدر عرقوب له مثل

وقال جبيهاء الأشجعي

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وقال آخر

وأكذب من عرقوب يثرب لهجة ... وأبين شؤما في الحوائج من زحل

والشعر في هذا كثير فقال التبريزي الناس يروون يثرب في هذا البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وإنما هو بالمثناة والراء المفتوحة موضع قرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ابن الكلبي قلت وقاله أيضا أبو عبيدة وقد نوزعا في ذلك فقال ابن دريد اختلفوا في عرقوب فقيل هو من الأوس فيصح على هذا أن يكون بالمثلثة والمكسورة وقيل هو من العماليق

فيكون بالمثناة والمفتوحة لأن النعمان التي كانت من اليمامة في دار ويشرب
مناديك فلان وكانت النعمان التي أيضا بالمدينة هـ وقاله أيضا انما يكون أبو الخطاب
ابن دحية ذكره ابن هشام في شرح الكعبية **ذكر السموءل ووفاءه**
هو السموءل بن غريض بن عادياء بن حيّاء اليهودي صاحب الحصن المعروف بالأبلق
الفرد بتيماء المشهور بالوفاء وقال عمر بن شبة هو السموءل بن عادياء ولم
يذكر غريضا ومن الناس من قيل نسبه في غسان وقيل هو من ولد الكاهن بن هارون
ابن عمران عليه السلام وأمه امرأة غسانية وكان الأبلق الفرد لجده عادياء
واحتفر فيه بئرا روية عذبة وقد ذكرته الشعراء من ذلك قوله يذكر بناء جده له

بنى لي عاديا حصنا حصينا * وماء كلما شئت استقيت

وكانت العرب تنزل به فيضيفها وتمتار من حصنه وتقيم هنالك سوقا كذا في
الأغاني وما ذكره من أن بني الأبلق الفرد هو عادياء جد السموءل أو أبوه
مشكل مع ما ذكروه من أن الزباء غزت ماردا والأبلق فعجزت عنهما فقالت
تمرد مارد وعز الأبلق لما علم من أن عصر الزباء متقدم على عصر عادياء بكثير
فالصواب القول بأن الذي بناه سليمان عليه السلام ويكون نسبة البناء ثانيا
الى عادياء على معنى أنه أصلحه أو زاد له تحصينا أو ما أشبه ذلك والله أعلم
وكان السموءل من شعراء الجاهلية المجيدين وله في الحماسة اللامية المشهورة
التي يقول فيها

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

وأما وفاؤه المضروب به المثل فكان من حديثه أن امرأ القيس الشاعر المشهور
كان ابن ملك وهو حجر الأصغر بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر الأكبر وهو آكل
المرار الكندي فملك على بني أسد بن خزيمة وعسفهم وظلمهم بذلك برهة من الدهر
ثم ثاروا عليه فقتلوه في خبر طويل واتصل خبر مقتله بابنه امرئ القيس
وهو باليمن وكان أبوه قد طرده لأنه أنف من قوله الشعر والغزل واشتغاله
بذلك وكانت الملوك تأنف من ذلك فكان امرؤ القيس يتنقل في أحياء العرب
يتصيد ويشرب الخمر على الغدران ومعه جماعة من صعاليك العرب وذؤبانها الى
أن أتاه خبر مقتل أبيه وهو باليمن كما قلنا فشمر للأخذ بثأر أبيه وسار الى بكر

وتغلب فاستنصر بهم على بني أسد فنهضوا وساروا معه فأوقع ببني كنانة يظنهم
بني أسد فكره من كان معه ذلك وتفرقوا عنه حتى بقي في نفر يسير وألح المنذر
ابن ماء السماء في طلبه وكان عمرو بن سلامة فجعل يستجير بأشراف العرب
ويتنقل فيهم إلى أن أداه ذلك آخرة المطاف إلى عمرو بن جابر بن الفزاري فطلب منه الجوار
حتى يرى ذات غيبه فقال له الفزاري يا ابن حجر إني أراك في خلل من قومك وأنا أنفس
بمثلك من أهل الشرف وأهل البادية أهل وبر ليست لهم حصون تمنعهم وبينك
وبين اليمن ذؤبان قيس أفلا أدلك على رجل من شأنه كيت وكيت وذكر له السموأل
وأثنى عليه بعشر الجوار وأنه في حصن حصين وحسب كبير فقال له امرؤ القيس
وكيف لي به قال أوصلك إلى من يوصلك إليه فصحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له
الربيع بن ضبيع الفزاري ممن كان يأتي السموأل فيحمله ويعطيه فلما صار إليه قال
له الفزاري إن السموأل يعجبه الشعر فقل فيه شعرا فقاله وأنكر أبو الفرج في
الأغاني أن يكون امرؤ القيس قال في السموأل شعرا قال وإن الشعر الذي نسب إليه
في ذلك مصنوع لا يشبه شعر امرئ القيس ثم مضوا حتى قدموا على السموأل
وكان مع امرئ القيس أدراع خمس كانت لأبيه الفضفاضة والضافية والمحصنة
والخريق وأم الذيول كانت الملوك من آل آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك ومعه
بنته هند وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث وسلاح ومال كان بقي معه
وفي كامل ابن الأثير أن الدروع كانت مائة فلعل الخمسة كانت أفضلها وأشهرها
وتعبير الناظم بجمع القلة كما مر في القول الأول فلما قدموا على السموأل عرف
لهم حقهم فأنزل المرأة في قبة من أدم وأنزل القوم في مجلس له براح فكان عنده
ما شاء الله ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام
ليوصله إلى قيصر ففعل واستصحب معه رجلا يدله على الطريق وأودع بنته وماله
وأدراعه السموأل ورحل إلى الشام وخلف ابن عمه يزيد بن الحارث مع ابنته هند ومضى
حتى انتهى إلى قيصر فقبله وأكرمه وضم إليه جيشا كثيفا فيه جماعة من أبناء
الملوك يتوجه بهم إلى ملك أبيه ثم أفسد عليه أمره الطماح الأسدي وسعى به عند
قيصر بما كان سببا في هلاكه في خبر مشهور وكان المنذر بن ماء السماء قد وجه من
قبله الحارث بن ظالم المري وأمره أن يستنقذ ودائع امرئ القيس وماله من السموأل

وقيل ان الذي غزاه الحارث بن ابي شمر الغساني وانه جاءه بنفسه حتى نزل على السموأل في حصنه فامتنع السموأل من دفعها اليه وتحصن في حصنه وكان له ابن قد يفع وخرج الى قنص له فلما رجع اخذه الحارث اسيرا ثم قال للسموأل اتعرف هذا قال نعم هذا ابني فقال اما ان تسلم ما قبلك واما ان اقتله قال شأنك به فلست اخفر ذمتي ولا اسلم مال جاري فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه بنصفين وهو ينظر ثم انصرف عنه ثم ان السموأل وافى الموسم بما كان عنده من الدروع والمال فاسلمه الى ورثة امرئ القيس وقال في ذلك من قصيدة *

وفيت بأدرع الكندي اني ... اذا ما خان اقوام وفيت
واوصى عاديا يوما بأن لا ... تهدم يا سموأل ما بنيت
وقالوا انه كنز رغيب ... ولا والله اغدر ما مشيت
بنى لي عاديا حصنا حصينا ... وماء كلما شئت استقيت

وقد ذكر الاعشى هذه القصة في شعر له وذلك انه كان قد هجا رجلا من اشراف كلب بن وبرة فاتفق ان الكلبيين اغاروا على قوم فيهم الاعشى فاسر الاعشى في نفر منهم وهو لا يعرفه ومر في طريقه بشريح بن السموأل فاكرمه شريح وهو في جماعة الاسرى فناداه الاعشى من بينهم ومتعلقا به في شعر من جملته قوله

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار
اذ سامه خطتي خسف فقال له ... قل ما تشاء فاني سامع حار
فقال غدر وثكل انت بينهما ... فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل اسيرك اني مانع جاري

وهي طويلة وقوله اذ سامه حار يعني يا حارث فرخمه فلما سمع شريح شعر الاعشى اتى الكلبي وقال له هب لي هذا الاسير المضرور فقال هو لك فاطلقه وقال له اقم عندي حتى احبوك فقال الاعشى ان من تمام صنيعك الي ان تعطيني ناقة ناجية وتخليني الساعة فاعطاه ناقة فركبها ومضى من ساعته وبلغ الكلبي ان الذي وهب لشريح هو الاعشى فارسل الى شريح ابعث الي الاسير الذي وهبت لك حتى احبوه فقال قد مضى فارسل الكلبي في اثره فلم يلحقه وحكى الكندي في كتابه اخبار الامم ان بعضهم قال حدثنا ولي المهلب بن عبد الله امارة مصر

من قبل المامون فخرج به اهل مصر من ابراهيم بن نافع الكلاء وكلفه المكلف فلم
يقدر عليه واتهم بان جمعا من اعيان مصر وكان مبيرة بن مسلم صاحب
شركة مصر وكان يعرف ان المكان الذي اختفى فيه ابراهيم الكلاء وكانت ودايع
عنده فسعي بمبيرة الى المكلف فاحضره وقال له ادفع الي ما اودعه عندك
ابراهيم والا احرقت الذي فيه عيناك فانكر فامر به فضرب خمسمائة وجيعا وهو
لا يزيد الا انكارا فلما صار على المكلف جهوده وخشي عليه التلف تركه
ثم لما سكن عن ابراهيم الكلاء بعث اليه مبيرة بماله مع بعض التجار فقال
في ذلك سعيد بن عنين

*　　*

لعمري لقد اوفى وزاد وفاؤه　　مبيرة في الكلاء وفاء السموأل
وقاه المنايا اذ اتته بنفسه　　وقد برقت في عارض متهلل
(ومثل جار ليس في جوده لا　　تطمع به ان لم تكن بالاحمق
واحمد جليسا للاحتفاظ سراه　　وكابن شور لم ترز من مطرق)

اللغة قوله ومثل جار الجار يطلقون ويراد به الحميم الذي يحمي غيره ايضا
يومنه مما يخاف ويطلقون ويراد به المستجير وهو الذي يطلب الامان والمراد هنا
الاول والجار ايضا الحليف والجار الناصر وكلا معنا يصح ارادته هنا والابو
ذراه يا في خبر له قوله لا تطمع به فالاقرب في القاموس طمع فيه وبه كفرح طمعا وطماعا
وطماعية حرص عليه فهو طمع وطامع قوله ان لم تكن بالاحمق الحمق فساد العقل
فلانة الانثى وحمق يحمق من باب تعب وحمق بالضم فهو احمق والانثى حمقاء
والحماقة اسم منه قوله واحمد جليسا في المجلس الجليس كالنديم بمعنى
المنادم والكليم بمعنى المكالم وابن شور كناية خبره قوله لم ترز من مطرق قال
يقال اطرق الرجل اذا سكت فلم يتكلم واطرق ارخى عينيه ينظر الى الارض
واذا وضع راسه ... بالارض فالوا اطرق اطراق الشجاع قال المتلمس

فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى　　مساغا لناباه الشجاع لصمما

ومما اطرق قول المتنبي

*　　*

واطراق طرف العين ليس بنافع　　اذا كان طرف القلب ليس بمطرق

الاعراب والتصريف قوله ومثل جار لا بد ذراد جملة معطوفة على

التي قبلها ومثل مجرور المفرد يفسره ما بعده من باب الاشتغال او لتقدير جر واتى له مثل جار لابي دواد لا تطمع به ويجوز رفعه على انه مبتدا وجملة لا تطمع به خبره والاول ارجح لان الفعل طلبي ولانه عطف على جملة فعلية والقافية منقلبة عن واو ولانه من الجوار ومنع بعضهم ابي دواد من الصرف ضرورة كقول العباس بن مرداس رضي الله عنه

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع

وجملة لا تطمع به لا محل لها من الاعراب لانها مفسرة قوله ان تذكر الخ جملة شرطية حذف جوابها لدلالة ما تقدم عليه وادخل الفاء في ان ارادة في خبر كان المنفية على سبيل الغلط ومنه قول الشنفرى

وان مدت الايدي الى الزاد لم اكن * باعجلهم اذ اجشع القوم اعجل

قوله واخر جليسان جملة معطوفة على ما قبلها وجملة لا ينقاد شره في محل النعت لجليس قوله وكابن شور الواو داخلة في التقدير على لم ترى وهي استئنافية على راي من اثبتها وليست عاطفة لان الخبر لا يعطف على الانشاء ولا حاجة فيه لتقدير الجملة باداة الاستفهام وترى يحتمل ان تكون بصرية فمن يكرم مفعولها وكابن شور حال منه قدم عليه والمسوغ لمجيء صاحب الحال نكرة تقدم النفي ويحتمل ان تكون علمية فمن يكرم مفعولها الاول وكابن شور مفعولها الثاني ومن زائدة والله اعلم

معنى الكلام يقول ان هذا الزمان قد قل خيره وكثر شره وتفاقم ضرره واستحكم شره وابناؤه اشباه له ومن يشابه اباه فما ظلم فاذا اصبت جليسا يكف عنك الاذى ويصرف عن مجلسك هجر اللغا فاحمده واشكر يده عليه واثن عليه اليوم فما قدر تمني نفسك بانك تجد جارا مثل ابي دواد او ترى جليسا مثل ابن شور وهذا الجمال جاء من هذا الكلام حسب حالك :: ولا تشغل به يوما بالك :: **ومما ورد** في آداب المجالسة قوله صلى الله عليه وسلم المجالس بالامانات وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لجليسي علي ثلاث ان ارميه بطرفي اذا اقبل واوسع له اذا جلس واصغي له اذا حدث وقال ابو تمام مستشعرا لما اهمله الناس منهم

من لي بانسان اذا اغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * اخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصغي للحديث بطرفه * وبسمعه ولعله ادرى به
والصواب والمعروف ما قاله ابو الطيب *
اعز مكان في الدنى سرج سابح * وخير جليس في الزمان كتاب

ذكر جار ابي دؤاد وابن شور وما كان من امرهما

اما جار ابي دؤاد فهو كعب بن مامة الايادي الجواد المشهور وكان اذا جاوره رجل قام بكل ما يصلحه واهله وحماه ممن يريده وان هلك له بعير او شاة او عبد اخلفه عليه وان مات وداه فجاوره ابو دؤاد الايادي الشاعر فجعل ذلك به فكان كعب يفعل به ذلك ثم اقتدى بجوده وصار يفعل بمن جاوره مثل ما كان يفعل به كعب فضربت العرب المثل به في حسن الجوار فقالوا كجار ابي دؤاد قال قيس بن زهير

اطوف ما اطوف ثم آوي * الى جار كجار ابي دؤاد

وقال طرفة بن العبد *

اني كفاني من امر هممت به * جار كجار الحذاقي الذي اتصفا

الحذاقي بضم الحاء المهملة وبالذال المعجمة والقاف هو ابو دؤاد واسمه حارثة بن الحجاج قال الميداني نسبه الى حذاقة بطن من اياد وقال الجوهري معناه الفصيح اللسان ومعنى اتصفا صار موصوفا في الجود يعني كعبا وقال بعض المولدين

فزعمت عرضي تلمه البلاد * ولو انني ابو دؤاد الايادي

وما ذكرناه من ان جار ابي دؤاد هو كعب بن مامة هو الذي ذكره غير واحد وفي الاغاني ان جار ابي دؤاد هو الحرث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وكان ابو دؤاد في جواره فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير فغمس الصبيان ابن ابي دؤاد فيه فقتلوه فخرج الحرث فقال لا يبقى صبي في الحي الا غرق واغرمهم ابو دؤاد فودى ابن ابي دؤاد عشر ديات فرضي وفيه قول ابي دؤاد *

ابلغ الانس لا يجوز منا السرا * عن دم النذر عليها النذار

والله اعلم واما ابن شور فهو القعقاع بن شور احد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة كان رئيسا جوادا يضرب به المثل في حسن العشرة وكرم المجالسة فكان اذا جالسه احد وعرفه بالقصد اليه جعل له نصيبا من ماله واعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا ودخل القعقاع على معاوية

رضي الله عنه ومجلسه غاصٌّ باهله فلم يجد مقعدا فوسع له بعض جلسائه
حتى جلس بجنبه ثم امر معاوية للقعقاع بمائة الف درهم فقال القعقاع لجليسه
اقبضها فلما قام ليذهب قال له الرجل خذ مالك فقال ما دفعته اليك وانا اريد
ان استرجعه منك كذا في الثمار وفي شرح المقامات للشريشي عن ابي عبيدة ان القعقاع
كان من جلساء معاوية رضي الله عنه فاهديت الى معاوية هدايا يوم المهرجان
فيها جامات ذهب وفضة فدفعها الى جلسائه ودفع الى القعقاع جام ذهب وفي القوم
اعرابي الى جنب القعقاع فدفع اليه الجام فاخذه الاعرابي ونهض ينشد

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقوا بخير * وعند الشر مطراق عبوس

وهذا معنى قول الناظم لم نروه من شعره وقال المبرد وحدثني التوزي ان رجلا جالس
قوما من بني مخزوم من بني المغيرة فاساءوا عشرته وسعوا به الى معاوية فقال

شقيت بكم وكنت لكم جليسا * فلست جليس قعقاع بن شور
ومن جهل ابو جهل اخوكم * غزا بدرا بمجمرة وتور

نسبة الى التوضيع يعني التخنث وكان ابو جهل يرمى بذلك والله اعلم

ونحن كنوع البعير او عشوة عن * تعيب الورى والنمر لا نحتسي
ونلتذ التمر من الهرم ترا الـ * ـرزقا بعيب نفسك المحتسي

اللغة قوله ونحن كنوع البعير النوع هو النعاس وحقيقته استرخاء اعصاب
الدماغ من كثرة الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس
راسا والبعير وعشوة ياتي خبرهما والورى الخلق يقال ما ادري اي الورى هو اي
اي الخلق هو والنمر الشراب الراجح من كرمه دار عنقاد الغرب فالاول في القاموس
قوله ونلتذ التمر البقر بالتحريك مثل العير والجمع ابقار ومنه البقرة رايته
والبعير خلاف الفرير والهرم والرزقاء ياتي خبرهما والله تعالى اعلم **الاعراب**
والنحو فيه قوله ونحن كنوع البعير جملة معطوفة على ما قبلها ونحن مبتدأ اوله
بفعل فيه قوله النوع بمنزلة وقيل مكسورة بوزن العلم فيقلب حركة الواو التي هي
عين الكلمة الى الثاء التي هي فاؤها وكرهت بمنزلة الواصل لما تشتغل به وقلبت
الواو الفا لتحركها اصالة وانفتاح ما قبلها عروضا ثم حذفت لالتقاء الساكنين

فصار نعم على وزن فَعْل فوله كنوع العنبر مفعول مطلق على تقدير موصوف اي نوعا
مثل نوع العنبر ولفظة عنبر ان كان عجميا فمنع الصرف فيه كما مر وان كان عربيا
فمنع الكلام من منع الصرف فيه ضرورة وقد استعمله غير الناظم من المولدين ممنوعا
من الصرف كالناظم والف الوزن منقلبة عن ياء فتكتب بياء وان كن مفعولا مقدم فمتعلق
قوله ولتنشا ابتهج والجملة معطوفة كذلك والفاء في ولتنشا لام الامر ومضارع مجزوم
بها وحذفت نونه تخفيفا واسمها ضمير المخاطب وابتهج من ابتهج خبرها وفتح
لبكا الزرقاء ضرورة ومن الصحيح خلافا للنحاة في منعه فتح ما له فيما يوجب مد لا
غير مفعلة افعل كما هنا ورده مذهب الفراء بان المسموع في اشعار العرب خلافه وقد
من نكد له **ومعنى الكلام** يقول اتقوا على المشكين عن عيوب الناس ولا تكن
فيهم سوءة ابا ان الكلام الكذب الحديث فما زلت الا الذي بحثت عن العيوب فابحث عن عيوبك
الراسخة في نفسك . فيها ما يشغلك عن عيوب ابناء جنسك . وان عيب فيك
والكفر لانه تغفل عن التفكر في عيوبك المحققة وتبحث عن عيوب غيرك المكنونة
او المشكوكة وذلك علامة الغرور والكبر والرضى عن النفس عافانا الله بمعافيه
واعاننا على اهلاكهما بمنه وامين رحم الله من قال

لا تلتمس من عيوب الناس ما ستروا ... فيكشف الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ... ولا تعب احدا منهم بما فيكا

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الآية فسوء الظن
والتجسس والغيبة كلها حرام بنص القرآن ومعنى التجسس ان تطلع على عباد الله تحت
ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنه
كان اسلم لقلبه ودينه ومنشا ذلك سوء الظن بعباد الله عياذا بالله وفي
الحديث قالوا يا رسول الله لا يسلم منها احد من الطيرة والحسد والظن فما نصنع
قال صلى الله عليه وسلم اذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ واذا ظننت فلا تحقق
رواه الطبراني وابن ابي الدنيا ومنه اقتبس الناظم قوله والظن لا تحقق قال
الغزالي رضي الله عنه ليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان
لا يقبل التاويل فعند ذلك لا يمكنك الا ان تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده
بعينك ولم تسمعه باذنيك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي

ان تكذبه فانه افسق الفسقة وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا اه وقال ابو الطيب

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته * واصبح في ليل من الشك مظلم

ذكر نوم الفهد وعيوبه وما يتعلق بهما

اما الفهد فهو حيوان معروف يتخذ للصيد وزعم ارسطو انه متولد بين النمر والاسد ومزاجه كمزاج النمر وفي طبعه مشابهة لطبع الكلب في ادوائه ودوائه وفي طبعه الغضب وذلك انه اذا وثب على فريسة لا يتنفس حتى ينالها فيحمى لذلك وتمتلئ رئته من الهواء الذي حبسه فاذا اخطأ صيده رجع مغضبا وربما قتل سائسه وفيه مع ذلك حنو وشفقة على نوعه يقال ان الفهدة اذا اثقلها الحمل حن عليها كل ذكر يراها من الفهود ويواسيها من صيده فاذا ارادت الولادة هربت الى موضع قد اعدته لذلك وان الفهود المسنة التي تعجز عن الصيد لانفسها تجتمع على فهد فتي فيصيد لها كل يوم شبعها وكبار الفهود اقبل للتأديب من صغارها واول من صاد بالفهد كليب وائل واول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية واكثر من اشتهر باللعب به ابو مسلم الخراساني واما نومه الذي اشار اليه الناظم فقال الجاحظ الفهد انوم الخلق وليس نومه كنوم الكلب لان الكلب نومه نعاس واختلاس والفهد نومه مصمت وليس شيء في جسم الفهد الا في جسمه ومقداره الا والفهد اثقل منه واحطم لظهر الدابة ولذا قالوا انوم من فهد واثقل رأسا من فهد وفي الرجل يمدح اذا اشبه الفهد في نومه وتمرده وفي حديث ام زرع من قول المرأة الخامسة زوجي ان دخل فهد وان خرج اسد ولا يسأل عما عهد قال النووي رحمه الله تعالى تصفه اذا دخل البيت بكثرة النوم والغفلة في منزله عن تعهد ما ذهب من متاعه وما بقي وشبهته بالفهد لكثرة نومه يقال انوم من فهد وهو معنى قولها ولا يسأل عما عهد اي لا يسأل عما كان عهده في البيت من ماله ومتاعه ويحتمل انها تصفه بالتغافل لا بالنوم الحقيقي لان كثرة النوم مذمومة ومن لم تفسره به بل قدحه قال الراجز

لست بأكال كأكل العبد * ولا بنوام كنوم الفهد

وقال جميل ابن معمر

ونمت كنوم الفهد عن ذي حفيظة * اكلت طعاما دونه وهو جائع

وقال ابن الرومي

رأينا نومكم عن كل خير * كنوم الفهد لا يغني كراه

وأما عبود فحكى الفراء عن المفضل بن سلمة فقال كان عبود عبدا أسود حطابا فغبر في محتطبه أسبوعا لم ينم ثم انصرف وبقي أسبوعا نائما فضرب به المثل في ثقل النوم وطوله وقال الشرقي بن القطامي من أهل ذلك أن عبودا تماوت على أهله وقال اندبوني لأعلم كيف تندبونني إذا مت فتسجى ونام فندبته أهله فإذا هو قد مات وفي القاموس عبود كتنور رجل نوام نام في محتطبه سبع سنين وفي حديث مرسل أن أول الناس دخولا الجنة عبد أسود يقال له عبود وذلك أن الله عز وجل بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به أحد إلا ذلك الأسود وإن قومه احتفروا له بئرا فألقوه فيها وأطبقوا عليه صخرة فكان ذلك الأسود يخرج فيحتطب فيبيع الحطب ويشتري به طعاما وشرابا ثم يأتي إلى تلك الحفرة فيعينه الله تعالى على تلك الصخرة فيرفعها ويدلي له ذلك الطعام والشراب وإن الأسود احتطب يوما ثم جلس ليستريح فضرب بنفسه الأرض شقه الأيسر فنام سبع سنين ثم هب من نومته وهو لا يرى أنه نام ساعة من نهار فاحتمل حزمته فأتى القرية فباع حطبه ثم أتى الحفرة فلم يجد النبي فيها وقد كان بدا للقوم فيه فأخرجوه فكان يسأل عن الأسود فيقولون لا ندري أين هو فضرب به المثل لمن نام طويلا وممن ضرب المثل بنوم عبود ابن عبد الله بن حجاج حيث قال

فقوموا فابتلوا الكتف * فنوم عبود عندكم حرام

ذكر الهدهد والزرقاء وغيرهما

أما الهدهد فهو طائر معروف ذو خطوط وألوان كثيرة ويذكر عنه أنه يرى الماء في باطن الأرض كما يرى الإنسان في باطن الزجاجة وزعموا أنه كان دليل سليمان عليه السلام على الماء ولهذا السبب تفقده لما فقده وضرب به المثل في شدة الإبصار فقيل أبصر من هدهد وفي الكامل للمبرد وشعب الإيمان للبيهقي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس رضي الله عنه فقال يا ابن عباس سليمان عليه السلام مع ما خوله الله من الملك وأعطاه كيف عني بالهدهد مع صغره فقال له ابن عباس رضي الله عنهما إنه احتاج إلى الماء والهدهد كانت له الأرض كالزجاج فقال

ابن

ابن الأزرق فقال فكيف يبصر الماء من تحت هذه الأرض ولا يرى الفخ إذا غطي
له بقدر أصبع من تراب. وقال ابن عباس رضي الله عنه إذا نزل القضاء عمي البصر
وهذا من جواب ابن عباس من أن ذلك خاصية في جميع أفراد الهدهد وفي نوادر الأصول
ما يقتضي أن ذلك إنما كان خاصا بهدهد سليمان عليه السلام ويرد من كلام من
أمر أمر والله أعلم. وزرقاء اليمامة امرأة من جديس من العرب العاربة وقيل
من طسم وإنما كانت متزوجة في جديس وذكر الجاحظ أنها كانت من بنات لقمن بن عاد
وأن اسمها عنز والأزرق وكانت من زرقاء وكانت الزباء زرقاء وكانت
البسوس زرقاء والعرب تتشاءم بالزرق لنزوله ميمنة ولأنه من صفات العجم والروم
قال في الشرح العراقية ويعرف الأزرق وكانت الزرقاء تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة
أيام وتبصر الشعرة البيضاء في اللبن الحليب واسمها اليمامة بنت مرة وبها سميت بلدها
اليمامة لأنها صلبت على بابها كما سيأتي ثم أضيفت إليها فقيل زرقاء اليمامة
واسم البلد في القديم جو وربما قيل زرقاء جو قال المتنبي *

وأبصر من زرقاء جو لأنني * إذا نظرت عيناي ساواهما علمي

ومما يؤثر من شدة بصر الزرقاء ما ذكره أبو حاتم قال إن زرقاء اليمامة كانت لها
قطاة فمرت بها ذات يوم سرب قطا يطير بين جبلين فقالت *

ليت الحمام ليه * ونصفه قديه * إلى حمامتيه * تم الحمام مايه

ومرادها بالحمام القطا ثم نزل منه فاتبعوا ذلك القطا فوقع في شبكة
صياد فعدت وقال الأصمعي عرضت على الماء فوجدت ستا وستين فعرف بذلك
أنها حسبتها وجه تذكرها في أنها تمنت أن يكون لها ذلك السرب ونصفه مع ذلك
وذلك ثلاثة وثلاثون فالمجموع تسع وتسعون فإذا زيدت عليه حمامتها كان الحمام مائة
وقد ذكر النابغة هذه القصة في قوله يخاطب النعمان بن المنذر

احكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت * إلى حمام شراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق وتتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * إلى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما حسبت * تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة فيها حمامتها * وأسرعت حسبة في ذلك العدد

وقوله احكم ليس من الحكم الذي هو القضاء وانما المراد كن حكيما وفصيحا فيما تحكم به كفتاة الحي وهي الزرقاء والثمد الماء القليل وقوله جانبا بفتح الراء ناحيتا جبل وقوله مثل الزجاجة اي مقلة صافية لم يصبها رمد فكم وفي الشعر من الغلات نبه عليها الادباء وتركنا ذكرها اختصارا واما قتل جديس كلها في خبرها في شرحه ان شاء الله خرج رجل منهم حتى اتى حسان بن تبع الحميري بصنعاء وهو احد التبابعة اليمنيين فذكر لهم ما فعلتم فاستغاثه على جديس فاجابه الى ذلك وسار معه حتى اذا كانوا من جديس على ثلاث ليال نظرت الزرقاء على منار كان لها لتنظر من اتاها الجيش وكان الكشمي قد قال لهم ان الزرقاء تبصر على ثلاث ولكن ليقطع كل رجل منكم فرع شجرة ويجعله امامه لتلتبس عليها فلما راتهم قالت يا قوم قد اتتكم الشجر او لقد اتتكم حمير فلم يصدقوا بقولها فقالت على مثال رجز

أقسم بالله لقد دب الشجر * او حمير قد اقبلت شيئا تجر

فلم يصدقوها فقالت احلف بالله لقد ارى رجلا ينهش كتفا او يخصف نعلا وكان كذلك فلم يلتفتوا اليها ونظرت الى عمير فزعم من الجيش فقالت الغيث او فتى لرمه :: من راع في غنمه :: فارسلتها مثلا وقال لها قوم اخرجت وما حرثوا على حالهم حتى صبحهم حسان بجيشه فاجتاحهم واخذ الزرقاء فقلع عينيها فاذا عروق عينيها سود من الاثمد وكانت اول من اكتحل به وصلبها على باب المدينة فمن يومئذ سميت جو اليمامة والله اعلم وقد ذكرت الشعراء هذه القصة من ذلك قول الاعشى

ما نظرت ذات اشفار كما نظرت * يوما ولا نظر الذيبي اذ سجعا
قالت ارى رجلا في كفه كتف * او يخصف النعل لهفي اية صنعا
فكذبوها بما قالت فصبحهم * ذو آل حسان يزجي السم والسلعا
فاستنزلوا اهل جو من منازلهم * وهدموا شاخص البنيان فاتضعا

والذيبي المذكور في هذا الشعر هو سطيح الكاهن وذو آل الفخام وفتها الذي بذي يزن التي تستعملها حمير في لغتها ومنه اذواء اليمن وآل الرجل اتباعه اي اتباع حسان والسم معروف والسلع بالتحريك شجر مر او سم وهما مجاز عن الحيرة والهلاك والله اعلم

اللغة (وذكر كميت واسطي غفلة * عن شتم ضارع وعتب سفيه)

الواسطي نسبة الى واسط وهي مدينة بالعراق بناها الحجاج بن يوسف في وسط المسافة بين البصرة والكوفة فمنها الى كل واحدة منهما خمسون فرسخا وبذلك سميت واسطا قوله عن شتم ضارع الشتم السب والاسم الشتيمة والضارع الذليل وقد ضرع له يضرع بالفتح فيهما ذل وخضع فهو ضارع وضرع ثم على جموع ضرع من باب ظرف لغة وتضرع الى الله ابتهل والجمع اضرعني له الحاجة اذا ذللتني واخضعتني قوله وعتب سفيه يقال عتب عليه عتبا ومعتبا من باب ضرب وقتل لامه في تسخط فهو عاتب وعتاب والسفه بفتحتين والسفاهة ضد الحلم والسفيه الجاهل وقد سفه في القاموس **الاعراب** قوله وذكر كميت واسطي جملة معطوفة على التي قبلها والكاف في قوله كميت زائدة وغفلة تمييز ويحتمل ان تكون حالا كما قيل بزائدة في قولهم خرج زيد شيئا او شتم ضارع وعتب سفيه كلاهما مصدر مضاف الى الفاعل والله اعلم **معنى الكلام** يقول اذا شتمك دني فلا تشاتمه واذا خاصمك لئيم او سفيه فلا تخاصمه فذلك ابقى لمروءتك واصون لعرضك واتبع للقرآن قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما **وروي** ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه شتمه رجل بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت فقال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس عند مجيء الشيطان وشتم سفيه حكيما وهو ساكت فقال له اياك اعني فقال الحكيم وعنك اعرض وقال رجل للاحنف ان قلت واحدة لتسمعن عشرا فقال انت ان قلت عشرا لم تسمع واحدة وقالوا من سكت عن جاهل فقد اوسعه جوابا واوجعه عتابا وقال الشاعر *

ولقد امر على اللئيم يسبني * فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

غضبان ممتلئا علي اهابه * اني وربك سخطه يرضيني

وقال غيره

لا ترجعن الى السفيه جوابه * ان جوابك عينه عيبا كها

بمشي بمركبه تبري جيفة * تركه النتنا ما اردت حراكها

ذكر غفلة الواسطي والسبب فيها

قال المبرد في قولهم تغافل كأنك واسطي أصله أن الحجاج كان يسخر أهل واسط في البناء فكانوا يهربون وينامون وسط الغرباء في المسجد فيجيء الشرطي ويقول يا واسطي فمن رفع رأسه أخذه فلذلك كانوا يتغافلون وقيل إنما يتغافلون بواسط ومثلها أن الحجاج لما بنى ما كان قد فرغ منه حتى كان يعاقب من أحدث في شوارعها وأزبالها فاتفق أن أعرابيا دخلها فبال في بعض أزبالها فحبسه الحجاج ونسيه فمكث في السجن اثنتي عشرة سنة حتى مات الحجاج فأخرج من كان في سجنه من أرباب الجرائم وفيهم الأعرابي فقيل له ماذا تبلك فقال بلت في ربض واسط وانطلق يعدو ويقول

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وبلنا لا نخاف عقابا

وأغض على رجلي سليك مقاربا * من فرط كل خنثو وسفور

اللغة قوله وأغض على رجلي سليك الغض هنا الخفض وفي المصباح غزا في مشيه غزوا قارب الهرولة وعدا وهو الجري ومنه غزاء على بعد ال ويتعدى بالهمزة فيقال أغزيته فغزا والسليك يأتي خبره والخنثو كجعفر الثقيل البطيء والسنفور كجعفر الكذاب **الإعراب** قوله وأغض على رجلي سليك جملة معطوفة على التي قبلها وأغض فعل أمر وعلى رجلي سليك على تقدير مضاف وهو صفة أي على رجلين مثل رجلي سليك وحده لفكه السليك من الذئب واللذع ومترجمها بن قلال

إني وقتلي سليكا ثم أعقله * كالثور يضرب لما عافت البقر

والثور يضرب والله أعلم **فمعنى الكلام** من هذا من تتمة ما قبله أن لما أوصاه بأن لا يشانهم فيما ذكر نهاهم ذميما أمره هنا بأمر أحوك وهو الفرار منه حتى لا يصل إليك وإن تصل إليه ولا يعثر عليك ولا تراه عينه وقد قالوا مباشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرين السوء وقال ابن السماك كتب صاحب لنا أما بعد فإن الناس كانوا دواء يتداوى به فصار داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد وقال الشاعر

تجنب أبناء الزمان واخشهم * كما تختشي الضراغم والسبنتى

وخالطهم وزايلهم حذارا * وكن كالسامري اذا لمستا

وقال اخر

من حمد الناس ولم يبلهم * ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحدة مستانسا * يوحشه الاقرب والابعد

ومن كلام ابي الدرداء رضي الله عنه وجدت الناس اخبر تقله اي فقولا بينهم عند تجربتهم اخبر تقله ونظم ذلك بعضهم على سبيل التلميح فقال

ليت شعري كيف الملام من الناس وقد قرا المجبول باب اعتدائي
قلت لما بلاهم عن خبر * رضي الله عن ابي الدرداء

* ذكر السليك وخبره *

هو السليك بن عمرو بن يثربي بن سنان بن عمير بن الحارث وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم الشاعر ثم المقاعسي وقيل في نسبه غير هذا والصحيح ما ذكرناه ويعرف بالسليك بن السلكة كحمزة وهي امه وكانت امة سوداء وفيها سواد ابنه السوداء ويعرف ايضا بسليك المقانب وهو شاعر جاهلي فارس وهو من ذؤبان العرب وصعاليكهم العداءين الذين كانوا لا يلحقون ولا تعلق بهم الخيل مثل المنتشر بن وهب الباهلي واوفى بن مطر المازني وعمرو بن براق والشنفرى وتأبط شرا والشنفرى واضرابهم ولا يكون المثل في العدو الا بسليك من بينهم والعرب تزعم انه كان يعرف معرفة بعينها اربع وعشرون خطوة ويكون ايضا احد اغربة العرب في الجاهلية اي سودانهم وهم عنترة بن شداد وخفاف بن ندبة وابو عمير بن الحباب والسليك هذا وهؤلاء الاغربة الاربعة الذين استثناهم عمرو بن معدي كرب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال لو سرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها ما خفت ان اغلب عليها ما لم يلقني حراها او عبداها وقد تقدم ذلك في ترجمة عمرو بن معدي كرب

حكى المنتجع بن نبهان قال كان السليك الشاعر اذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه فاذا كان الصيف وانقطعت غارة الخيل اغار وكان ادل من قطاة فيجيء حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مضر بل على اليمن فاذا اخفق اغار على ربيعة وكان يصير الكباد على رجليه وكان يقول اللهم انك تهيئ ما شئت لمن شئت اذا شئت اللهم اني لو كنت ضعيفا لكنت عبدا ولو كنت امرأة لكنت امة اللهم اني اعوذ بك من الخيبة فاما الهيبة فلا هيبة وذكروا انه املق

حتى لم يبق له شيء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب
بإبله حتى أمسى في ليلة مقمرة باردة فاشتمل الصماء وهو أن يرد فضل ثوبه على
عضده اليمنى ثم ينام عليها فبينما هو نائم إذ جثم عليه رجل ثم قال له استأسر
فرفع السليك رأسه وقال إن الليل طويل وأنت مقمر فذهبت مثلا ثم جعل الرجل يلهزه
ويقول يا خبيث استأسر فلما آذاه أخرج السليك يده فضم الرجل ضمة ضرط
منها فقال السليك أضرطا وأنت الأعلى فذهبت مثلا ثم قال له السليك من
أنت فقال أنا رجل افتقرت فقلت لأخرجن فلا أرجع إلى أهلي حتى أستغني قال فانطلق
معي فانطلقا فوجدا رجلا قصته مثل قصتهما فاصطحبوا جميعا حتى أتوا
الجوف جوف مراد الذي باليمن فإذا نعم قد ملأ كل شيء من كثرته فهابوا أن يغيروا
فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب فقال لهما السليك كونا قريبا حتى آتي الرعاء
فأعلم لكما علم الحي أقريب هو أم بعيد فإن كانوا قريبا رجعت إليكما وإن كانوا بعيدا قلت
لكما قولا أومي إليكما به فأغيرا فانطلق حتى أتى الرعاء فلم يزل يستنطقهم حتى
أخبروه بمكان الحي فإذا هو بعيد إن طلبوا لم يدركوا فقال السليك للرعاء ألا أغنيكم
قالوا بلى فرفع عقيرته يتغنى ويقول .

يا صاحبي ألا لا حي بالوادي ... إلا عبيد وآم بين أذواد
أتنظران قليلا ريث غفلتهم ... أم تغدوان فإن الريح للعادي

الآمي جمع أمة والريح ههنا مثل الغلبة فلما سمعا ذلك أتياه فأطردوا الإبل
فذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوهم وحكى أبو عبيدة عمن حدثه عن أبي بكر بن
وائل أراد الغارة على بني تميم فعرفت ذلك بعضها فأبصرت السليك فقالوا إن
علم بنا السليك أنذر بهم فبعثوا فارسين على جوادين يريغان السليك فبصراه
فلما بصر بهما خرج يمحص كأنه ظبي وطارداه سحابة يومهما فلم يستطيعا له غبارا
فقالا هذا النهار ولو جن عليه الليل لفتر فجدا في طلبه فإذا أثر بوله في الأرض
وإذا به قد رغى في الأرض وخدها فقالا قاتله الله ما أشد متنه ولعل هذا كان من
أول الليل فلما أمسيا تبعاه حتى أصبحا فإذا به قد عثر بأصل شجرة فندر منها
كمكا رفزيه وندرت قوسه فوجدا قصدة منها قد ارتزت في الأرض فنشبت
فقالا قاتله الله أخزاه الله فما رأينا أشد منه ولن نتبعه أبدا وانصرفا عنه وتم

الى

إلى قومه فأنذرهم فكذبوه لبعد المسافة فقال

يكذبني العمران عمرو بن جندب * وعمرو بن سعد والمكذب أكذب
ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها * كراديس يهديها إلى الحي موكب
كراديس فيها الحوفزان وحوله * فوارس همام متى يدع يركبوا

فصدقه قوم فنجوا وكذبه الباقون فوردت عليهم الجيش فاكتسحهم قال المبرد وحدثني التوزي قال سألت أبا عبيدة عن مثل هذا من الأخبار من أخبار العجم فقال إن العجم تكذب فتقول كان رجل ثلثه من نحاس وثلثه من رصاص وثلثه من ثلج فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه وكان السليك قد نزل على قوم من كنانة ضيفا فأكرموه وجمعوا له إبلا كثيرة وكان قد أسن وشاخ وانتقص عدوه فقالوا له إن رأيت أن تريَنا ما بقي من عدوك فعلت قال نعم ابغوني أربعين شابا وائتوني بدرع ثقيلة فاختاروا من شبابهم أربعين أقوياء عدائين وأتوه بدرع كما وصف فلبس الدرع وعدا عدوا وسكنا وقال للشبان الحقوني فعدوا خلفه جهدهم فلم يلحقوه حتى غاب عنهم ثم عاد إلى القوم يجري وعرقه والدرع عليه وكان سبب قتله ما حكاه الجمحي قال إن السليك لقي رجلا من خثعم ومعه امرأة له فأخذه فقال له الخثعمي أنا أفدي نفسي منك فقال له السليك ذلك لك على أن لا تخيس بي ولا تطلع على أحد من خثعم فحالفه على ذلك وخلف بعدله امرأته رهينة ورجع إلى قومه فوجد معها السليك وجعلت تقول العز خثعم فأتى أخاهم بعليها فيقول

وما خثعم إلا لئام أذلة * إلى الذل والإسخاف تنمي وتنتمي

وبلغ خبره شبل بن قلادة وأنس بن مدرك الخثعميين فخرجا إلى السليك فلم يشعر إلا وقد كمنا له في الجبل وليس له كبير إلى العدو فقال

من مبلغ قومي أني مقتول * يا رب قرن قد تركت مجدول
ورب زوج قد نكحت عطبول * ورب عان قد فككت مكبول

ثم عطفا عليه فقتلاه وفي ذلك يقول أنس بن مدرك الخثعمي

إني وقتلي سليكا ثم أعقله * كالثور يضرب لما عافت البقر
غضبت للمرء إذ نيكت حليلته * وإذ يشد على وجعائها الثفر

يقول إني لما قتلت سليكا صار الثأر بها يلزمني فكان حالي فيه كحال من يضرب الثور

فيقال البقر تشرب وتزعم العرب ان الجن تركب الثور عند الماء فيمتنع البقر من
الشرب فكانوا يضربون الثور لذلك قال

لكالثور والجني يركب ظهره * فما ذنبه ان عافت الماء مشربا

وذكر ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني من اخبار السليك شيئا كثيرا ونقل عن المفضل
قال كان السليك من اشد رجال العرب وانكرهم واشعرهم وكانت العرب تدعوه
سليك المقانب وكان ادل الناس بالارض واعلمهم بمسالكها واشدهم عدوا على
رجليه لا تعلق به الخيل وكان يقول اللهم انك تهيئ ما شئت لما شئت الى اخر
ما تقدم انظر بقية كلامه ومن شعر السليك قوله

الا عتبت علي فصارمتني * واعجبها ذوو اللمم الطوال
فاني يا ابنة الاقوام اربي * على فعل الوضي من الرجال
فلا تصلي بصعلوك نؤوم * اذا امسى يعد من العيال
ولكن كل صعلوك ضروب * بنصل السيف هامات الرجال
اشاب الراس اني كل يوم * ارى لي خالة وسط الرحال
يشق علي ان يلقين ضيما * ويعجز عن تخلصهن مالي

قوله واعجبها ذوو اللمم الطوال اي لانه لم تكن له لمة طويلة لانه كان
اسود ابن امة كما مر وقوله فلا تصلي اي فلا تتصلي قوله يشق علي البيت انما
توجع لما فيه لانهن كن اماء والله اعلم

انتهى النصف الاول بحمد الله
تعالى وعونه ويتلوه الثاني
أوله قوله
وكن نريم
القرقريس
تنج

74
2
148

74
22
1148
48
1628

74
23
1212
41
8
1702

74
15
320
75
4
1110

74
25
1320
45
8
1850

من [illegible] عبد ربه [illegible]
ابراهيم [illegible]

الجزء الثاني من زهر الأفنان من حديقة ابن الونان

للفقيه العلامة الأديب أبي العباس سيدي أحمد بن خالد
الناصري السلاوي على منظومة العلامة
الشهير سيدي أحمد بن محمد الونان
رحمه الله
[illegible]
وآمين
ام

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* ﴿وذكر نديم الفرقدين تنغص من منغص ومن كدر والرنق﴾ *

اللغة قوله ذكر نديم الفرقدين نديم الذي يجالسك على الشراب
وينادمك عليه جمعه ندام بالكسر وندماء ككرام وكرماء ويقال للعبيد
ايضا ندمانا قال

اذا كنت ندماني فبالاكبر اسقني * ولا تسقني بالاصغر المتثلم

وجمعه ندامى والمنادمة مشتقة من الندامة لان معاقر الخمر اذا سكر
تكلم بما يندم عليه وحسبك بقصة جذيمة الابرش شاهدا عليه وقيل
من المدامنة لانه يدمن الشرب مع نديمه والقلب في كلامهم كثير كجذب وجبذ
وضب اللحم وخضرو ونحو ذلك والفرقدان كوكبان يدوران على القطب الشمالي
فربما عنه يضرب بهما المثل في طول الصحبة قال الشاعر

وكل اخ مفارقه اخوه * لعمر ابيك الا الفرقدان

قوله تنغص من منغص التنغيص التكدير يقال نغص الله عليه العيش تنغيصا
اي كدره وتنغصت عيشته اي تكدرت ونغص الشراب نغصا من باب فرح
اذا لم يتم ونغص زيد نغصا اذا لم يتم مراده وكذلك البعير اذا لم يتم
شربه قال لبيد

فارسلها العراك ولم يذدها * ولم يشفق على نغص الدخال

قوله ومن كدر والرنق الكدر والمعاجلة والرنق بالتحريك كدر قوله رنق
الماء بالكسر اي كدر وزنا ومعنى ورنقته انا ترنيقا وارنقته كدرته وعيش
رنق اي كدر والله اعلم الاعراب والتصريف قوله وذكر نديم الفرقدين
امر وقوله تنغص من منغص جوابه مجزوم بحذف آخره واصل كدر وكدورة بالنمز

على وزن فعول فمن ابدل الهمزة واوا وادغمت الواو في الواو تخفيفا ويجوز
ابقاؤه على اصله من الهمز الا ان التخفيف افصح والله اعلم فمعنى
الكلام هنا اقترح في البيتين السابقين مجانبة الاشرار وكان ان خيار
الذين ترتضي صحبتهم اقل من القليل بالنسبة اليهم بشهادة قوله صلى الله
عليه وسلم كما في الصحيحين وغيرهما الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة لاسيما
هذا الزمان الذي لا ترفع الشكوى منه الا الى الله اقترح علينا بالتخلي عن الناس
والانعزال عنهم جملة اذ لا فائدة في الاخالة على ما تقدم وجوده او تعذر
واذا كان الانسان اليوم فاخ في الله صالح الاحوال يدل على الله تعالى بفعله
ومقاله فذلك من باب خرق العادة فليهمل الغفلة كثيرا على فوات وكلام الناس في
هذا كثير ولقد اجاد ابو الطيب في قوله

ولما صار ود الناس خبا * جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت اشك فيمن اصطفيه * لعلمي انه بعض الانام

ولقد اصاب ابن خزيمة عن زين بن نصر لمنادمته بكلام منه البيت فاستمعه فريدا
وذكر في الاحياء ان بعض الاعراب كان يلازم شجرا ويقول مع نديم فيه ثلاث
خصال ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتمل مني وان عربدت عليه
لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء وقال ابو الحسين احمد
ابن فارس اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة

وقالوا كيف حالك قلت خير * تقضى حاجة وتفوت حاج
اذا ازدحمت هموم الصدر قلنا * عسى يوما يكون لنا انفراج
نديمي هرتي وانيس نفسي * دفاتير ومعشوقي السراج

واعلم ان الناس اختلفوا في ايهما افضل الخلطة ام العزلة وقال الشيخ
ابو حامد الغزالي في الاحياء ان الخلطة افضل بشرط ان تسعى في افاتها فان
وجدت افاتها او بعضها كانت العزلة افضل ثم ذكر فوائد العشرة مفرعة على طلب
العلم وهذا هو الذي يفهم من كلام الناظم فانه علل العزلة بالنجاة من نقص
ومن كدر الزمان وفيه خز منه انه مع الامن من ذلك لا داعي الى العزلة والله اعلم

ثم ذكر نديم الفرد [illegible] افراد

بن بني الله فرقدين منذ من جذيمة الوضاح الذي قتلته الزباء وقد مر خبره في
ذلك وأما منادمته للقمر فرقد وكان السبب فيها أن جذيمة المذكور كان قد
تكبر واتخذ صنمين يقال لهما الضيزنان يستسقي بهما ويستنصر على أعدائه
وكانت إياد فرقا فخرج فوج منهم من الحجاز وانتشروا فيما بين البحرين والكوفة
وتمكنوا فيما يلي الحيرة وكثروا بعين أباغ فخرج جذيمة غازيا لهم وكان فيهم
غلام يقال له عدي بن نصر اللخمي نشأ في أخواله من إياد وكان له جمال وظرف
وهو جد الملوك اللخميين أصحاب الحيرة فنزل جذيمة بساحتهم فبعثت إياد نفرا
منهم الى صنمي جذيمة فسقوا سدنتهما الخمر وسرقوهما فأصبحا فيهم فبعثت إياد
الى جذيمة تقول إن صنميك أصبحا فينا زهدا فيك ورغبة فينا فإن عاهدتنا
ألا تغزونا رددناهما عليك فقال جذيمة وتعطوني أيضا عدي بن نصر فأعطوه
وانصرف عنهم وضم عديا الى نفسه وولاه شرابه وأمر مجلسه
وكان لجذيمة أخت تسمى رقاش بكرا فأحبت عديا وأحبها فراسلته وسألته
أن يخطبها من جذيمة فقال لا أجترئ على ذلك فقالت له إذا سقيت القوم
فامزج لهم وأعرق للملك أي امزج له قليلا فإذا أخذت الخمر منه
فاخطبني إليه فإنه يزوجك فأشهد القوم إن فعل ففعل الغلام وخطبها
فزوجه جذيمة وأشهد عليه وانصرف الى بيتها فعرس بها من ليلته فقالت ادخل بأهلك
فلما أصبح غدا على جذيمة متضمخا بالخلوق فقال له ما هذه الآثار يا عدي
قال آثار العرس قال وأي عرس قال عرس رقاش فنخر وأكب
الى الأرض ورفع عدي جراميزه فلما أفاق جذيمة طلبه فلم يجده وأرسل جذيمة
الى أخته يقول

حدثيني رقاش لا تكذبيني ... أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبد ... أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت له بل أنت زوجتني امرأ عربيا حسيبا ولم تستأمرني في نفسي ويقال
أنها أجابته بقولها

أنت زوجتني وما كنت أدري ... وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا ... وتماديك في الصبا والمجون

نم

ثم نقلها جذيمة إليه وحصنت في قصره وقد اشتملت على حمل وأتت بعمرو بن
نصر فقال ابن الأثير إنه رجع إلى أبيه فكان فيهم فخرج يوما مع فتية متصيدين
فرمى به فتى منهم بين جبلين فتكسر فمات وأقسم جذيمة بعد هذه الواقعة أن لا
ينادم إلا الفرقدين فكان يشرب كأسا ويصب لهما كأسين وبعد انقضاء مدة
الحمل بأشهر ولدت غلاما فسمته عمرا ورشحته حتى إذا ترعرع حلته وعممته
وألبسته حلة فاخرة ثم أزارته خاله فأعجب به وألقيت عليه محبة منه
وخلطه بولده وقيل إنه لم يكن له ولد فتبناه ثم إن جذيمة خرج في سنة
قد أكلأت فبسط له في روضة وخرج عمرو في غلمة يجتنون الكمأة فكانوا إذا أصابوا
كمأة طيبة أكلوها وإذا أصابها عمرو خبأها ثم أقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم
ويقول

هذا جناي وخياره فيه ... إذ كل جان يده إلى فيه

فالتزمه جذيمة سرورا به وتفرس فيه النجابة فحلاه بحلي من فضة فكان أول
عربي لبس الطوق ثم إن الجن استطارته فطلبه جذيمة في الآفاق زمانا فلم يقدر
عليه وأيس منه إلى أن أقبل رجلان من قضاعة من بلقين يقال لهما مالك وعقيل
ابنا فارج بن مالك فأقبلا من الشام يريدان جذيمة وقد أهديا له تحفا فلما
كانا بواد في السماوة نزلا يتغديان ومعهما قينة يقال لها أم عمرو فنصبت قدرا
وهيأت لهما طعاما فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى أشعث أغبر قد ساءت
حاله وطالت أظفاره فجلس منهما مزجر الكلب فمد يده فناولته
القينة كراعا فأكلها ثم استزادها فقالت لا تطعم العبد الكراع فيطمع في
الذراع فأرسلتها مثلا ثم سقتهما من شراب كان معها وأوكأت زقها فقال عمرو
ابن عدي

صددت الكأس عنا أم عمرو ... وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصبحينا

ويروى صبنت بدل صددت والبيتان المذكوران ويروى هذا الشعر أيضا لعمرو بن كلثوم
التغلبي ويقال إن عمرو بن كلثوم أدخله في شعره ويروى أيضا لعمرو بن معد كرب
والله أعلم فقال له الرجلان من أنت فقال لهما إن تنكراني فلن تنكرا نسبي أنا عمرو
ابن عدي اللخمي ابن أخت جذيمة فقاما إليه فغسلاه وأصلحا من شأنه وقلما
أظفاره وقصا من لمته وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا ما كنا لنهدي إلى الملك

ضربةً من أنفس عندك ولا مرّ علينا أحسن منظرًا من ابن أخته فزده الله
عليه ففرح به حتى إذا وفد أبناء الملوك بشّروه به فسُرّ به سرورًا عظيمًا
وضربه إلى أمّه فبعثت معه حفدة يقومون عليه في الحمّام حتى إذا خرج ألبسته
من كرائم ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقًا من ذهب لنذرٍ كان عليها ثمّ
أدخلته على خاله فلمّا رأى اللحية والطوق في عنقه قال شبّ عمرو عن الطوق
وروى ابن هشام أنّ أمّه أرادت أن تعيد عليه الطوق فقال لها جذيمة كبر عمرو
عن الطوق فأرسلها مثلًا وأقام عمرو مع خاله جذيمة وحمل عنه عامّة أمره
حتى كان من أمره مع الزبّاء ما كان فأخذ عمرو بثأره وقتلها كما مرّ فتنبّه
عن آلك مشتوقين وأمّا مالك وعقيل فإنّهما لمّا أتيا جذيمة بابن أخته قال
لهما احتكما فقالا احتكمنا أن ما بقيت وبقينا فقال لكما ذاك فنادماه أربعين منادمة
سنة فما أعادا عليه حديثًا حدّثاه به فهما ندمانا جذيمة المضروب بهما المثل
في طول الصحبة وإيّاهما عنى متمّم بن نويرة بقوله

وكنّا كندماني جذيمة حقبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكًا ... لطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا

وسيأتي هذا البيت بأطول من هذا إن شاء الله وقال أبو خراش الهذلي يرثي أخاه عروة

تقول أراه بعد عروة لاهيًا ... وذلك رزءٌ لو علمتِ جليلُ
فلا تحسبي أنّي تناسيت عهده ... ولكنّ صبري يا أميم جميلُ
ألم تعلمي أن قد تفرّق قبلنا ... نديما صفاءٍ مالكٌ وعقيلُ

وقال بعض المولّدين

نحن كنّا في الشباب ... مثل ندماني جذيمه
فأتى الدهر بيوم ... دونه يوم حليمه
تقرع الأيّام حتى ... في المروءات الغريمه

ويقال إنّ جذيمة سكر مرّة أخرى فقتلهما وبنى عليهما الغريّين تثنية غريّ كغنيّ
بناءٌ كان بكربلاء قريبًا من الحيرة وقيل إنّ صاحب الغريّين هو المنذر بن ماء السماء
والله تعالى أعلم

أو كمن كعب وضبٍّ مع من ... عملت فلبه امتلأ بالحنين

ثمت لا تعجل وكن ابكما من * غراب نوح او كعبد الموسيقى
مغن لنا ان كان لنا ويعذر عما * حاجتها يثبت بركة الفلوس

اللغنا قوله وكن كعبد هو صفة في العقد والضبط ليلة الكلام فيهما قوله
امتلا بالحمول الا امتلاء مفرد وبالحمو بالتعريب الغيبة اوشرته قوله ثمت
لا تعجل من ثم العاطفة وفيها لغات اربع ثم وثمت لغة الفه وان وفيه بالتاء بدل
التاء وثمت بتاء التانيث الساكنة التي تلحق الافعال
وثمت بتحريكها بالفتح كما تلحق به النازكم وعليها
قول الشاعر * ولقد امر على اللئيم يسبني * فمضيت ثمت قلت لا يعنيني
ما ذكرنا انشدنا الجوهري قوله وكن ابكما من غراب نوح قال الشيخ الدميري رحمه الله
اعلم ان الابكم الذي ولد اخرس ويقال بكم بضم الكاف بكما وبكامة وانبكم بمعنى
اسرع ثم يقال لمن انبكم منه فان كان رعونة من البلادة يعيش انقهاقها وان كان من
الرياضي يعمي حاير انظرا عند سيبويه في هذا الموضع ونوح عليه السلام هو نوح
ابن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ ومعناه ادريس عليه السلام بن يرد بن مهلاييل بن قينان
ابن انوش بن شيث بن ادم عليه السلام وفي هذه الاسماء اختلاف في الضبط
وبعض الحروف لانها اعجمية الوضع بكثر تغيير بها قوله او كعبد الموسيقى اوعد
بفتح الميم بكسر بسكون اسم رجل يا فم له واما الموسيقى فمعناه المغني نسبة الى
فن الموسيقى الذي هو هنا بمعنى الاوتار قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل
ابن عمر الحجاري ثم المصري في كتابه الموضوع في صناعة الاوتار الموسوم بسفينة
الملك بعد ان ذكر ان الموسيقى اسم للاجزاء الاربعة الرياضية فاتحة وفي التحكيم لغتان
احداهما موسيقى بياءين تحتيتين بينهما قاف مكسورة والاخرى موسيقى بحذف الياء
الاولى وعلى كل من اللغتين مع بضم الميم وسكون الواو وكسر السين المهملة كلمة
يونانية معناها علم النغمات والاوتار وان الناظم رحمه الله لما نسب اليه
حذف الياء الاخيرة منه تخفيفا لمن لا يمكنه النطق بالياء والنسب كما حذف الاولى على احدى
اللغتين لان الوزن لا يستقيم الا بذلك والله تعالى اعلم الاعراب والتصريف
قال وكن كعبد وصف في جملة معطوفة على التي قبلها وقوله مع من متعلق
بكن ابكما والتشبيه على احد القولين في كل منهما ومن موصولة وقلبه مبتدأ وجملة امثلا

بالنصب خبره والجملة الكبرى صلة الموصول والرابط هو الضمير المضاف اليه قلب وقوله عليك جار ومجرور متعلق بلا تسلط او بالتصق وابدل همزة اقتلى الفا ساكنة للضرورة وهو ابدال شاذ لان الهمزة متعاصية بالحركة والقياس فى كيفية تخفيف الهمز ان الهمزة اذا كانت ساكنة فكيفية تخفيفها بابدالها حرفا ساكنا من جنس حركة ما قبلها واذا كانت متحركة فكيفية تخفيفها بالتسهيل بين بين هذا على سبيل التقريب ويتشعب على ذلك اقسام وفروع تذكر فى محلها ويجاب عن الناظم رحمه الله بان الهمزة لما كانت طرفا سهل عليه تغييرها بان سكنها اولا اجراء للوصل مجرى الوقف ثم ابدلها ثانيا وهذا مقيس فقوله نعت لا تحمل جملة معطوفة على التى قبلها وجملة وكرابها خبر معطوفة عليها فقوله او كعنبر الموسق منعوت ونعته وحذف التنوين من عنبر لالتقاء الساكنين قال الناظم فى الكامل وليس بالوجه وانما يحذف من الحروف لالتقاء الساكنين حروف المد واللين فاما التنوين فانما جاز فيه ذلك لانه نون فى اللفظ والنون تدغم فى الياء والواو وتزاد كما تزاد حروف المد واللين ويبدل بعضها من بعض فشبهوها بها وتبدل الالف من التنوين وتبدل فى النسب اى صنعاء وبهراء صنعانى وبهرانى وتبدل النون من الياء الثانية ومثل هذا من الشعر

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

وقال

ذاك حميد الذى امج داره ... اخو الخمر ذو الشيبة الاصلع

وقرأ بعض القراء قل هو الله احد الله الصمد كل ذلك انشده باختصار فقوله ضحى لنار جملة مستانفة استينافا بيانيا كانه قيل فما بعل عنبر فقال اضحى لنار كما لبا وان الف اضحى عن ياء وتكتب كذلك وكما لبا حال من فاعل اضحى ولنار يتعلق به قوله وبعد علام جواب عما فى الواو داخلة فى التقرير على الجملة وبعد علام كم يتعلق بجاء وحذف همزة جاء التى هى فى الكلمة ضرورة ومن حذفها شاذ وانما تحذف من الهمزة بقيا من اذ التقتا همزة اخرى موافقة لها فى الحركة نحو جاء اجلهم عند من قرأ ابو عمرو ونافع من رواية قالون عنه وابن كثير من رواية البزى عنه بحذف الهمزة من جاء ويجاب عن الناظم بانه اجرى الوصل مجرى الوقف فسكن ثم ابدل ثم حذف لاجتماع المثلين على قاعدة من وقف حمزة وهشام فى الهمز المتطرف

الواقع في القرآن وإليه أشار أبو القاسم الشاطبي رحمه الله بقوله

وبدله مهما تطرق مثله * ويغضي أو يمضي على الجمر أكوة *

فائدة في المستطرف مما نقله تقدمت امرأة إلى قاض فقال لها جامعك شهودك فسكتت فقال كاتبه إن القاضي يقول لك جاء شهودك معك فقالت نعم ثم قالت مثل ما قال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعمشت عيناك حتى غمشت عن لبك ما رأيت شيئا يفضح من الأحياء غيرك هـ وحملته حب حال من على جاه وعزة العلم فيقول أي حملها في العزم العلو والله أعلم

معنى الكلام يقول إذا غاضبك سفيه فلا تغضب وإذا حاول من ابتذل فلا تفعل إذ ليس ذلك من شأن الأخيار ولا من طبع ذوي الأقدار بل الرأي في ذلك أن تذكره حتى تكفه به وأن تلاينه حتى تتمكن منه قال المتنبي

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس حرة * بلغت من العلياء كل مكان

وضرب الناظم المثل لذلك بالضب والعقرب وبما يومئ إليها بالمكر كما سيأتي فإن قلت فما بال الناظم ضرب المثل لذلك بالضب والعقرب وهما من أخس الأشياء **قلت** هذا نحو الأمر الذي أنكره اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم حين تلا عليهم قوله تعالى وإن يسلبهم الذباب شيئا الآية وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت الآية وقالوا ما يشبه أن يكون هذا كلام الله تعالى لأنه ذكر أحقر الأشياء فأنزل الله تعالى إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وأنكر الكشاف ولا يبعد أن يريد الناظم بالحية إذا ما ولت المكر هذا التدبير وإن غلب على هذا البعد فتربص في عملك وتأن في أمرك حتى تكفه به وتتمكن منه **قال** صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب وقالوا الثبات يكسر الوثبات وقالوا العجول مخطئ وإن ملك والمتأني مصيب وإن هلك وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فإنها تكنى أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويمضي قبل أن يجرب ولم تصحب هذه الصفة أحدا إلا صحب الندامة وجانب السلامة **قلت** ويكفي في قبح

العجلة وحسبك في التأني ان تعلم ان العجلة طبع النار التي هي عنصر الشيطان والتأني طبع التراب الذي هو عنصر الانسان وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان واستثنوا من ذلك امورا يطلب فيها التعجيل منها التوبة ورد المظالم والصلاة في اول الوقت على تفصيل مذكور في كتب الفقه وبذل الزكاة عند حلول الحول وما يخاف من فواته وتجهيز الميت وانكاح البكر وقرى الضيف وفطر الصائم واوبة المسافر وقضاء الدين والله اعلم

ذكر الضب والعقرب وما قيل فيهما *

الضب حيوان معروف قيل انه يعيش سبعمائة سنة ولا يشرب الماء والعرب تضرب به المثل في اشياء كثيرة منها الخداع قالوا اخدع من ضب قال الحيراني قال بعض اصحاب المعاني العرب تذكر الضب والعقرب وغيرهما في مجاز كلامها على طريق الاستعارة فاما الضب فانهم يقولون فلان خب ضب فيشبهون الحقد الكامن في قلبه الذي يسري ضرره بخروج الضب في جحره واما العقرب فانهم يقولون سرت عقارب فلان وفلان تدب عقاربه اذا اخبر بمكان شره قلت الظاهر ان هذا المعنى هو الذي قصد الناظم وايضا فان العرب تزعم ان بين الضب والعقرب الفة تاتي الى جحره فتذب عنه قال المبرد في الكامل العرب تزعم انه ليس من ضب الا وفي جحره عقرب فهو لا ياكل ولد العقرب وهي لا تلسعه فهي مسالمة له وهو مسالم لها فلما يحش جاء المحترش وادخل يده في جحره لسعته العقرب قال الشاعر

وان الضب ذو دهي ومكر * كما اليربوع والذيب اللعين
يرى من ذاته من ذي دبيب * ويأمن شيل بارقة حتوب
ويدخل عقربا تحت الذنابى * رواغ المحترش اسير كمين

وقال آخر *

واخدع من ضب اذا جاء حارش * اعد له عند الذنابة عقربا

ومما يناسب من حكايات العقرب ما ذكره ابن خلكان قال كنا في دار نصر ابن جلاج الشلمي عقارب اذا لسعت قتلت بركاهيه لتمرا في بعض المنازل فلسعته عقرب في مذاكيره فقال نصر فيه شعرا *

ودار اذا نام سكانها * اقام الحدود بها العقرب

اذا عقل الناس عن عيوب نفسهم * فان عقولا ربما تتغرب
فلا تأمنن شرى عقرب * بليل اذا الغرب المغرب

فـــي غراب نوح وفند ونظيرهما *

أما الغراب فقال العلماء بالسير لما استقرت السفينة على الجودي بعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الارض هل جفت أم لا فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فضرب المثل ببكيه ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح عليه السلام أن الماء قد ذهب ودعا على الغراب فقلت رجلاه وخاف من الناس فلذلك لا يألف البيوت واذا وقع لا يلبث أن يطير وطوقوا الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمن فمن ثم ألفت البيوت وقال الجاحظ فزعمت العرب وأن غراب والشعراء على أن الحمامة هي التي كانت دليل نوح عليه السلام ورائده وهي التي استجعلت عليه الطوق الذي في عنقها وعند ذلك أعطاها الله تلك الزينة ومنحها تلك الحلية بدعاء نوح عليه السلام ه قلت ارسال نوح عليه السلام للغراب أولا وللحمامة ثانيا مذكور في التوراة بالخبر وجميع وأشعار العرب في ذلك كثيرة يطول جلبها وأما فند فهو أبو زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ونشأ بالمدينة وكان خليعا متهتكا ومن أحذق المغنين المجيدين وكانت عائشة مولاته أرسلته ليأتيها بنار فخرج لذلك فلقي عيرا تخرج الى مصر فخرج معها فلما كان بعد سنة رجع فأخذ نارا ودخل على عائشة وهو يعدو فعثر وسقط منها وتبدد الجمر فقال تعست العجلة فأرسلها مثلا ومن ذلك صار فند لسبب الذي ذكرناه كثيرا ما يضرب به المثل وقيل أبطأ من فند كما قيل أبطأ من غراب نوح وقال بعض الشعراء في رجل كان مثل فند في ذلك الحال

ما رأينا لسعيد مثلا * اذ بعثناه يجي بالمشملة
غير فند بعثوه قابسا * فثوى حولا وسب العجلة

المشملة بكسر الميم كساء دون القطيفة يشتمل به والله أعلم

أو خزيتنا ربه ذكر كمن انثى * بالجيش خلف شجر فيه ورد

اللغة فقوله وخذ بثأرك الثأر الدم والطلب به وقاتل حميمك والمرأة
منا الأول وثأرت القتيل وثأرت به من باب نفع اذا قتلت قاتله فقوله
كمن أثر بالحبشي حاثيا أي مغرور والحبشي الجمع الكثير السائرون لحرب او غيرها من
جاش البحر والقدر وغيرهما يجيش جيشا وجيوشا وجيشانا غلى والشجر معروف
وكذا النور والله اعلم **الاعراب والتصريف** فقوله وخذ
بثأرك جملة معطوفة على ما قبلها ولعل خذ امر وهو احد الافعال الثلاثة
التي حذفت عن فائها من حيث ان فاءها همزة ساكنة ولم يتوصلوا اليها
بهمزة وصل مضمومة بل حذفوا فاءها الساكنة فقالوا في الامر من اخذ يأخذ
ويأكل التي من علم وزن ينصر خذ وكل تخفيفا لكثرة استعمالهم لهما
وكان مقتضى قياس نطقها من ماء ان يقال أؤخذ وأؤكل بهمزة وصل مضمومة
مع همزة ساكنة هي فاء الكلمة ولعلة التقاء همزتين همزة ساكنة فيجوز النطق
بها كذلك كالرأس والبأس ويجوز تخفيفها بابدالها الفا ساكنة من جنس
حركة ما قبلها وبه قرأ ابو عمرو من رواية السوسي عنه فيما سكن من همزات الفاء
على تفصيل مذكور في محله فقوله وكن كمن اثر جملة اخرى معطوفة كذلك
وبالحبشي متعلق بأثر وحاثيا حال من فاعل اثر وقد ورد نعت للشجر والله
اعلم **معنى الكلام** هذا ايضا من معنى ما تفرع لان يتبارى الجيش
خلف الشجر ضرب من المكر والخديعة والامر في قوله وخذ بثأرك للاباحة
كقوله تعالى كلوا من الطيبات لان الانسان فيه كلمة مخير ان شاء اخذ بثأره
منه وان شاء ان يعفو عنه والعفو افضل للتقوى فلا يكن العفو سببا لمزيد جراءة
الجاني وتمرده والا وجب الا تتقلع حينئذ وقد قال ابو الطيب *

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقد مدح الله تعالى عباده المؤمنين بقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وانتصر
منهم بقوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون وقال العلماء ان المرء
في الانتصار منزل بمنزلة الذي كما قررناه فتمم قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
فمن عفا واصلح فأجره على الله الى قوله ان ذلك لمن عزم الامور وليس بعفو

مدى الله مدى وليس وراءه بيانه بيان وتعيين على المعتني بقول اهل الشأن بعض والناظر في اصولها مراجعة فالاقلاع عن البرين الرازي في منزلة الاية الكريمة والله اعلم

ذكر طسم وجديس وملكهما *

طسم وجديس قبيلتان من العرب العاربة اما طسم فهم بنو لاوذ بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام واما جديس فهم بنو كاثر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام فهما ابنا عم وقيل انهما اخوان كلاهما ولد لاوذ ولما تبلبلت الالسن وتفرقت الامم بعد سقوط صرح بابل ومنه المراد بقوله تعالى فأتى الله بنيانهم من القواعد في قول جماعة من المفسرين نزلت طسم وجديس ارض اليمامة من اعمال الحجاز واسمها يومئذ جو وكانت من افضل البلاد واكثره نخيلا واعمها نفعا فعمروا بها دهرا طويلا وكثرت طسم وصار الملك فيهم الى ان ملكوا عليهم عملوق بن جديس وكان ملكا على القبيلتين معا فعظم امره وقويت شوكته وكان عملوق هذا غشوما لا ينهاه شيء عن هواه مع اضراره وعسفه بجديس وفرضه اياهم فلم يزل يعمه ذلك حتى اتته امراة من جديس يقال لها هزيلة بنت مازن مع زوج لها اسمه ماشق وكان قد فارقها واراد اخذ ولدها منها فابت عليه فترافعا الى عملوق ليحكم بينهما فقالت المراة ايها الملك هذا ابني حملته تسعا، ووضعته دفعا، وارضعته شبعا، ولم انل منه نفعا، حتى اذا تمت اوصاله، واستوفت فصاله، ودنا فصاله، اراد ان يأخذه مني كرها، ويتركني بعده ولها، فقال الرجل قد اخذت المهر كاملا، ولم اصب منها طائلا، الا وليدا خاملا، فافعل ما كنت فاعلا، فامر الملك ان يقبض الولد منهما فيجعل في غلمانه وقال لهزيلة ابغيه ولدا، واجزيه هجرا، ولا تنكحي احدا، فقالت اما النكاح فبالمهر، واما السفاح فبالقهر، وما لي فيهما من امر، فلما سمع ذلك عملوق امر بان تباع هي وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى هزيلة عشر ثمن زوجها فانشأت تقول *

أتينا اخا طسم ليحكم بيننا * فأبرم حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا * ولا فهما عند الحكومة عالما
ندمت فلم اقدر على متزحزح * واصبح بعلي في الرأي نادما

فبلغ عمليقا فنزل بمن يليه فغضب وأمر ألا تتزوج امرأة من جديس وتهدى إلى زوجها إلا بعد أن يحمل إليه فيفتضها قبل زوجها فلقوا من ذلك بلاء وذلا كثيرا ولم يزل يفعل ذلك بهم حتى تزوجت الشموس وهي عفيرة بنت عفار الجديسية وهي أخت الأسود بن عفار سيد جديس يومئذ وكبيرها وهو الذي انتقل إلى جبل طيء فقتلته طيء وسكنوا الجبل من بعده فلما كانت ليلة زفافها انطلقوا بها إلى عمليق لينالها قبل زوجها على عادته ومعها القيان يغنين ويقلن

ابدي بعمليق وقومي فاركبي * وبادري الصبح لأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلبي * فما لبكر عنده من مهرب

بغير أنها أخت سيدهم فإذا كانت هي يفعل بها ذلك فغيرها أولى فلما أدخلت على عمليق افترعها وخلى سبيلها فخرجت عفيرة على قومها في دمائها شاقة جيبها عن قبلها وعن دبرها ودمها يسيل وهي في أقبح منظر وتقول

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس
يرضى بهذا يا لقومي حر * أهدى وقد أعطى وسيق المهر
لخوضه بحر الردى بنفسه * خير من أن يفعل ذا بعرسه

وامتنعت من الدخول إلى زوجها وقالت تحرض قومها

أيجمل ما يؤتى إلى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الدماء فتاتكم * صبيحة زفت في النساء إلى البعل
فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تغب من الكحل
ودونكم طيب العروس فإنما * خلقتم لأثواب العرائس والغسل
فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا * ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فلو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقر بذا الفعل
فموتوا كراما وأميتوا عدوكم * ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
ولا تجزعوا فالحرب بالقوم إنما * تقوم بأقوام كرام على رجل
فيهلك فيها كل نكس مواكل * ويسلم فيها ذو النجابة والفضل
وإلا فخلوا بطنها وتحملوا * إلى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللموت خير من مقام على الأذى * وللبين خير من مقام على الذل

فلما سمع الأسود أخو مناذر ذلك وكان صبيرا مكافحا فيهم قال الغزو يا معشر
حمير إن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم إلا بما كان من قتلهم صاحبهم
علينا وعليهم ولولا عجزنا وإدهاننا ما كان له فضل علينا وعليكم ولو
امتنعنا لكان لنا منه النصف فأطيعوني فيما آمركم به فإنه عز الدهر وذهاب
الغمر واقبلوا رأيي وإن اتكأت على سيفي حتى يخرج من ظهري وكانت جديس
قد حميت مما سمعوا من قول الشموس فقالوا نطيعك ولكن القوم أكثر وأقوى
قال فإني صانع للملوك وقومه طعاما فإذا حضروا فإذا جاؤوا متفضلين
في الحلل والنعال أخرجنا إليهم بأسيافنا فانفردت أنا بالملك وانفرد كل رجل
منكم برجل منهم فقالوا افعل ما بدا لك واجمع رأيهم على ذلك فقالت
الشموس لأخيها الأسود لا تفعل فإن الغدر عار وعاقبته بوار ولكن
كاثروا القوم في ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما فقالوا لا ولكن نمكر بهم فيكون
ذلك أمكن من نواصيهم فقالت الشموس في ذلك شعرا تنهاهم عن الغدر
فلم يلتفتوا إليها ثم إن الأسود صنع طعاما كثيرا وأمر قومه فأخذوا
سيوفهم ودفنوها في الرمل حيث أعدوا الطعام وكان ذلك بظاهر البلد
ثم قال لهم إذا أتاكم القوم يرفلون في حللهم فخذوا سيوفكم ثم شدوا عليهم
حتى يأخذوا مجالسهم وابدؤوا بالرؤساء فإنكم إذا قتلتموهم لم تبالوا
بالسفلة ولم نكن نعد ذلك منهم فقال تكرموننا فقالوا نفعل ثم دعا الأسود
عمليقا ومن معه من رؤسائه كلهم بالضيافة فأسرعوا إجابة دعوة الأسود
فلما توافوا إلى المجلس وثبت جديس فاستلوا سيوفهم من الرمل وشدوا
على عمليق وأصحابه فما استبقوا منهم أحدا إلا قليلا ثم مضوا إلى ديارهم فنهبوها
وقال الأسود في ذلك شعرا أبيات كثيرة ليس ذكر بعضها وقتل عمليق وبهم تركته
أجمعين ثم إن بقية طسم فروا إلى حسان بن أسعد أبي كرب أحد التبابعة من حمير
وذلك أن رياح بن مرة الطسمي أخا اليمامة الزرقاء نجا من الوقعة فقصد
حسان المذكور واستغاث به وكان قد فر بشرا في جبل وترك رفقته فجعل عليهما
طينا رطبا وحملها معه واستصحب معه كلبة فلما قرب من صنعاء كسر يد
الكلبة ونزع الطين من الجبل فمر حتى حضرة تبع ودخل على حسان واستغاثه

واخبره بما صنعت جديس بقومه فقال له الملك لله ابوك ومن انت فاجابه
فقال جئت ابيت اللعن من ارض جديس ومن عند قوم انتقم منهم قاتلي فيتهمك
من اخوانك انا رياح بن مرة الطسمي غشتنا جديس الى مدينة لهم فاجبناهم
متفضلين في الحلل وقد اعدوا لنا السلاح عند رجعانهم فجاذفنا قتلا فيهم حتى
هربنا حفاة فما بالكلب ذي ولا الترك سلفت فروحك ابيت اللعن فنزوا فقطعوا
ازواقنا وسفكوا دماءنا ومنالهم مع ذلك بالنعم ذو ورد تبر وشيد وعنبر
وفيهم امرأة لم تطلع الشمس على مثلها حسنا وجمالا ونعومة وبزرقة
عينين فقال حسان امن بلدك جئت بمنزلة الجزيرة ومنزلة الكلبة وكانت حمير
من شيمتها الغزو مع ملوكها قال نعم فقال حسان ان كنت صدقت فلقد جئت من
ارض قريبة وعدل النطق ثم نادى في حمير بالمسير واعلمهم بما صنع بطسم
فقالوا من يعادي ابيت اللعن قال جديس قالوا قاتلنا في ذلك من ارب
ثم اخواننا فلا نغير بعضنا على بعض ولم يعرف حسان اتفاق الملك فقال حسان
فمن ابى فمسيرا رايتم لو كان منا مثلكم ما رضينا حتى نرد دماءكم وما
علينا في حكم الا ان ينصف بعضنا من بعض ويقطع رؤوسا ثم قالوا ان قد
امرنا ابيت اللعن فمرنا بما احببت فامرهم بالمسير اليهم فتجهزوا وسار حسان
بجيشه يقدمهم رياح بن مرة حتى اذا كانوا من اليمامة على ثلاث قال رياح
ابن مرة لحسان ابيت اللعن ان لي اختا متزوجة في جديس ليس على الارض ابصر
منها انها لتبصر الراكب على مسيرة ثلاثة ايام واني اخاف ان تنذر القوم
بك والراي ان تامر كل رجل من اصحابك ان يقتلع شجرة من الارض فيجعلها
امامه ثم يسير فامر بهم حسان بذلك فجعلوا ثم ساروا وكان اسم اخت رياح
اليمامة بنت مرة وهي الزرقاء وقيل هي من جديس وقيل اسمها عنز وانها من
ولد لقمان بن عاد والصحيح الاول فصعدت على منارها فابصرت الشجر مقبلة
فارتابت وقالت يا جديس لقد سارت اليكم الشجر او لقد اتتكم حمير فقالوا وما
ذاك قالت ارى شجرا من ورائها بشر واني ارى رجلا من خلف شجرة ينهش
كتفا او يخصف نعلا وكان كذلك فكذبوها فقالت في ذلك

اني ارى شجرا من خلفه بشر * وكيف تجتمع الاشجار والبشر *

في ابيات اخر تحرضهم فيها على الثبات فأهملوا قولها وأقبل حسان حتى اذا كان
من جو على مسيرة ليلة عبأ جيشه ثم صبحها فاستباح اهلها من جديس
فأبادهم قتلا وسبى نساءهم وصبيانهم وفر الاسود بن غفار فنزل بجبلي
طيء حتى قتلته طيء بعد حين ولما فرغ حسان من جديس امر باليمامة بنت مرة
وكانت زرقاء فنزعت عيناها فاذا في داخلهما عروق سود فسألها عن ذلك
فقالت حجر اسود يقال له الاثمد كنت اكتحل به فيقال انها اول من اكتحل به فاتخذه
الناس كحلا بعد ذلك وامر حسان باليمامة فصلبت على باب مدينة جو فمن يومئذ
سميت المدينة باليمامة وكان حسان قد حمل في جملة السبي امرأة من جديس اسمها
عنز ومن غير الزرقاء لم ير مثلها جمالا وكمالا ومن اجل ذلك عليها رياح بن
مرة فلما قرب اليها الجمل لتركبه لم تدر كيف تركبه فحملت في الهودج والكعث
بالغزل وهما ملومة بالنذور فقالت

شر يوميها واغواه لها * ركبت عنز بحدج جملا

تقول الشر اي في حين عرضت للسباء وقال حسان في شأن القصة

اخلق الدهر بطسم حللا * مثل ما اخلق سيف خللا
كان طسم وجديس اخوة * هما جناها فيهما فاقتتلا
فبغى الملك على هذا فلم * ارض منهم ما فعلا
ولقد اعجبني قول التي * ضربت للقوم شيئا مثلا
نزلت عنز واشرفت راكبة * فوق صعب لم يقتل ذللا
شر يوميها واغواه لها * ركبت عنز بحدج جملا
وحملنا بعدها اخرى على * فاكر الناب بين ملاء ان يرحلا
خشيرا لمركب نفسه سفرا * ومعره صفحتيه ما انتقلا

يعني بالاخرى اليمامة وقال رياح بن مرة يذكر اخذه بثاره

غدرا قيس من جديس بكم * ان طسما لما ترات تريس
فأتيناهم بيوم كيتوم * تركوا فيه مثل ما تركوني
ليت طسما على منازلها تعـ * ـلم اني قضيت عني ديوني

وقد ذكر شعراء العرب هذه القصة وضربوا المثل بالزرقاء في اشعار كثيرة منها

قول النمر بن تولب وتمشي الزرقاء عمشا

وقتلهم عمرو غداة نبيته * من بعد مرء في العجاء ومشيع
فلانت ارزن رجلا يقلب نعله * تقليب فيه وحمل له ومشيع
ورأت مفرقة الخميس ودونها * ركضا الجياد الى الصباح بتبع

(وانتهز الفرصة مثل بيهس * وبالحروب قتم العداة شرد)

اللغة قوله وانتهز الفرصة في اصل الفرصة بالضم النوبة الشرب تعاورها القوم الماء القليل اذ يجعلون لكل منهم نوبة فيقال يا فلان جاءت فرصتك اي نوبتك ووقتك الذي تستقي فيه فيسارع اليها والانتهاز الانتهاض ومعنى انتهز فلان الفرصة اي انتهض اليها فبادرها واغتنمها فاعلة في الماء ثم توسع فيه فاستعمل في كل ما يمكن متأتي فيه نحو ما يخاف فواته في وقت ما ومثل بيهس بالخبر قوله وبالحروب جمع حربة بالضم الشفرة وبنو قتيم بكسر الميم وتجمع على حرب بالضم والكسر على التغيير وفي القاموس الحربة مثلثة الميم وقوله قتم العداة بالضم جمع عاد بمعنى العدو والاسم العداوة هو العداوة وقوله شرد فيه قطع وفرق اذ التشريد تقطيع اللحم وتفريقه ومنه اشلاء التشريد وفي ثلاثة معان يوم النحر سميت بذلك لان لحوم الاضاحي تشرق فيها اي تفرد وتشرع وقيل في وجه تسميتها غير هذا والله اعلم **الاعراب**

والتصريف قوله وانتهز الفرصة في جملة معطوفة على ما قبلها والفرصة مفعول انتهز ومثل بيهس حال من فاعله قوله وبالحروب في الواو واخلة على الفعل في آخر البيت ومن شرد وبالحروب متعلق به وقتم العداة مفعوله والف العداة عن ياء فتكتب ياء والف العداة عن واو فتكتب الفا لذلك ولو فيه حشوا والله تعالى اعلم **معنى الكلام** هذا كالاستثناء مما تقدم بانه لما امره بالتأني في قوله فمن به تعجل البيت اراد هنا ان التأني مطلوب قال في جمع بصاحبه الى حد التفريط والتواني وتضييع الفرص فالتأني محمود والتواني مذموم قال علي رضي الله عنه انتهزوا هذه الفرص فانها تمر مر السحاب ولا تطلبوا اثرا بعد عين وكان عمر رضي الله عنه احوذيا نسيج وحده قد اعد للامور اقرانها وقال الفارسي بادر الفرصة قبل ان تصير غصة

وكانوا من العجز ان تترك العقوبة حتى تفوت ومن العجز ان تطلبها وقد فاتت
وفي مثل هذا العاجز يقول الشاعر

وان امرءا تلقاه ممضيا عن العزم منه ✱ حتى اذا فات امره عاتب القدرا

وقال آخر

تتبع المرء بعد الفوت تغرير ✱ وتركه مقبلا عجز وتقصير

وقال آخر

وخير الامر ما استقبلت منه ✱ وليس بان تتبعه اتباعا

ومن كيس واما قوله وبالحرى تجنب الغرارة شيم ومعناه انك اذا اكثرت العفو واشتد العزم منه منكرا وميلا وان تميل وتعفو عن العقوبة لزنيه وان تنقم عليه وهذا رأي يسلكه الشعراء والادباء ويعدونه من الحزم والاصابة في الرأي واياه اراد المتنبي بقوله

ومن عرف الايام معرفتي بها ✱ وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به ✱ ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

وهذا رأي من يوجد فيه نكير الشرع وان العقوبة انما تكون على قدر الجناية من غير زيادة وان نقصها لان اخذ المتعدي العدل وسواه ظلم واسراف والله لا يحب المسرفين قال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين نزلت في المثلة وقال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله وهذا في الكتاب والسنة كثير وقد يقتضي الحال الا يتمادى في العفو الكامل والابلاغ في نكايته وليس ذلك من الاسراف الذي يقصد له ما اوله الشعراء ومن هذا المعنى ايضا ما ذكره الفقهاء من ان الامام اذا اتي به يعزر في عفوه وعقابه بحسب اجتهاده وان زاد على الحد او اتى على النفس وليس ذلك من الاسراف ايضا بل هذا مقتضاه الحال والحكمة الشرعية والوجه السياسة والعدل الذي لا تقوم السماوات والارض الا به وهذا يحتمل تطويلا وبابه واسع ومرجعه الى قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور ويكاد يلتحق بما قرره الفقهاء في هذا المعنى مثل القرافي وغيره

والمقصود منه درء المفسدة وجلب المصلحة مع مراعاة الشرع في كيفية الدرء والجلب والله الموفق

ذكر بيهس وقصته

قال المفضل كان من حديث بيهس أنه كان رجلا من بني فزارة بن ذبيان بن بغيض وكان سابع سبعة إخوة فأغار عليهم ناس من أشجع بينهم وبينهم حرب وهم في إبلهم بموضع يقال له الأثلاث ويقال إن إخوة بيهس خرجوا مغيرين على بني ضبيعة فلقيهم القوم من أشجع فقتلوهم إلا بيهسا وكان أصغرهم وكان يحمق فأرادوا قتله ثم قالوا وما تريدون من قتل هذا يحسب عليكم برجل ولا خير فيه فتركوه فقال دعوني أتوصل معكم إلى أهلي فإنكم إن تركتموني وحدي أكلتني السباع وقتلني العطش ففعلوا فأقبل معهم فلما كان من الغد نزلوا فنحروا جزورا في يوم شديد الحر فقالوا أظللوا لحمكم لا يمل أخي به ييبس أو لا ينتن فقال بيهس لكن بالأثلاث لحم لا يظلل يعني لحم إخوته فأرسلها مثلا فقال أحدهم إني به سمع من هذا إلا تنبيها فأرى يوشك أن يكون من ورائه شر فاقتلوه فقال زعيم القوم أيعز علينا مثل ذا بقتيل فتركوه وجعلوا يشتوون من لحم الجزور ويأكلون فقال أحدهم ما أطيب يومنا وأخصبه فقال بيهس لكن على بلدح قوم عجفى فأرسلها مثلا ثم انشعب طريقهم فجاء أمه فأخبرها فقالت له أين إخوتك أمروا وأتاك معهم فقال بل صرعوا وأخبرها بما كان فقالت ما جاء بك من بين إخوتك فقال بيهس لو خيرت لاخترت فأرسلها مثلا وكانت أمه تبغضه وتحب إخوته ثم إنها عطفت عليه ورقت له فقال الناس لقد أحبت أم بيهس بيهسا فقال بيهس ثكل أرأمها ولدا أي إنما عطفها عليه ثكلها بولديها ولولا ذلك ما أحبته فأرسلها مثلا ثم إن أمه جعلت تعطيه بعد ذلك ثياب إخوته فيلبسها ويقول يا حبذا التراث لولا الذلة فأرسلها مثلا ثم إنه أتى على ذلك ما شاء الله فمر بنسوة من قومه يصلحن امرأة منهن يردن أن يهدينها لبعض القوم الذين قتلوا إخوته فكشف ثوبه عن استه وغطى به رأسه وقيل إنه تجرد وجعل يرقص مع النساء فقلن له ويحك ما تصنع يا بيهس فقال *

البس لكل حالة لبوسها * إما نعيمها وإما بؤسها

فأرسلها

فارسلها مثلا ثم ان امه نسيا امر كنانة وغمه بما يصنع له كلما فلا يجعل ياكل
ويقول حبذا كثرة الايدي في غير طعام فارسلها مثلا فقالت امه لا يطلب
هذا بثار ابدا فقالت الكنانية لا تامني الاحمق وفي يده سكين فارسلتها مثلا
ثم انه ذات يوم بينما هو يرعى غنما له سائرا في المفازة اذ اخبر ان نفرا في غار
يشتكون فيه قرة اقتلة اخوته وهم عشرة فعقلوا ابلهم على فم الغار وطلبوها
وشربوا منها حتى سكروا فنهض زوجي ببالح فترك غنمه وجاء يتحرى الخبر فاستطلع
واتى خاله الذي في الحي يقال له ابو حنش وكان من انجب العرب اي اشجعهم
فلبا فقال له هل لك في غار فيه ظباء لعلنا نصيب منها شيئا ويروى انه
قال له هل لك في غنيمة باردة فارسلها مثلا فقال نعم قال فتنكب قوسه وتقلد
سيفه وخرج معه وراءه ثم جاء بيهس بابي حنش حتى اقامه على فم الغار
ثم دفعه فاذا هو في وسطهم ثم قال ضربا ابا حنش فلما علم ابو حنش انه قد
تورطهم وانه لا ينجيه الا الضرب اعمل سيفه فيهم يقول بعضهم ان ابا حنش
لبطل فيقول ابو حنش مكره اخاك لا بطل فارسلها مثلا ويروى اخاك على لغة
القصر ويروى اخوك على لغة الاعراب بالحروف فما زال بيهس وابو حنش يقتلانهم
حتى فرغا منهم ورجعا بالسلاح بهم الى الحي وعرفت العرب شهامة بيهس
وصرامته وانه ادرك ثاره وفي ذلك يقول المتلمس

ومن طلب الاوتار ما حز انفه * قصير وخاض الموت بالسيف بيهس
نعامة لما صرع القوم رهطه ۞ تبين في اثوابه كيف يلبس

قوله نعامة يعني بيهسا وكان يلقب نعامة قيل انه كان طويل الرجلين
وراسه اقصر ليلا فقالت نعامة والله فقال نعامة عرفني نسامها القته
وقيل لانه كان اصم والعرب تصف النعام بالصمم لانه مصلم الاذنين ويزعمون
ان النعامة ذهبت تطلب قرونا فقطعوا اذنيها ولهذا سموا الذكر ظليما يعنون
انه ظلم بقطع اذنيه والله اعلم

لو كان فيهم حي كرثومة * وليمة شهيرة كالفلق
يوم ملاكه بالي فروة ۞ تعرف كل ذات اربع لغى

اللغة قوله كرثومة الوليمة اسم لكل طعام يتخذ لجمع وقال ابن فارس هي

كطعام العرس وأولم زيد صنع وليمة وفي الحديث أولم ولو بشاة. وقد جمع بعضهم أسماء الولائم فقال

وليمة إعذار وخرس ولادة ... عقيقة مأدوبة نقيعة فادع
وضيمة حذاق والبناء وكيرة ... عذيرة خرس مأدبات المكارم

قوله كالفلق مصدر بالتحريك ضوء الصبح وفي المثل أشهر من فلق الصبح فإن المراد بمعنى الفلق يكون بمعنى مفعول كأنه من مفلوق الصبح والأصل من الصبح المفلوق أي إن الله تعالى فالقه وإن جعلت الفلق الصبح نفسه كما قال ذو الرمة

حتى إذا ما انجلى عن وجهه فلق ... هاديه في أخريات الليل منتصب

فلا إضافة في المثل باختلاف اللفظين قوله يوم ملاكه قال في القاموس ملكها ملاكه وملاكه بكسرهما ويفتح الثاني تزوجها أو عقد لها وأملكه إياها زوجه إياها ولا يقال ملكت بها. اه وقال في المصباح ومنه يقال أملكت بالمرأة على لغة من قال تزوجت بالمرأة اه وعليه عبارة الناظم وأتى بمزولة بالفاء يحبهما قوله عرقت كل ذات أربع يقال عرقب الدابة إذا قطع عرقوبها وهو العصب الغليظ المؤتر يكون في رجلي الدابة بمنزلة الركبتين في يديها قال الأصمعي كل ذي أربعة عرقوباه في رجليه وركبتاه في يديه والله تعالى أعلم **الإعراب**

قوله وكابن قيس الواو داخلة على محل الأمر محذوف وأسمعا خمس أيما كتب ومعمولها خبر مقدم وكابن قيس حال من اسمها وبعض جار ومجرور متعلق بمرجأ ومنه تقديم معمول خبر كان عليها ومرجأ من **قال** الله تعالى وأنفسهم كانوا يظلمون قوله وليمة مفعول مطلق وشهيرة صفة له وكالفلق صفة ثانية قوله عرقب كل ذات أربع جملة مستأنفة استئنافا بيانيا كأنه قيل ما كانت وليمة ابن قيس فقال عرقب كل ذات أربع ويوم ملاكه ظرف متعلق بعرقب وفيه مزولة متعلق بملاكه أي يوم تزوجه بها وجملة لعين في آخر البيت نعت لذات أربع والعائد محذوف أي لفيها على حد قوله

حميت حمى تهامة بعد نجد ... وما شيء حميت بمستباح

معنى الكلام من هذا أيضا من معنى ما قبله وأن الإنسان إذا ظفر بعدوه بالغ في تنكيله ولا يرعى شيئا من التمثيل به ومن تفريع ما فيه وأن المثلة حرام حتى

في قول الكفار وكتبه بغير همز وما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين
ما فعل كما في الصحيح الا انهم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله
ورسوله كما قال ابو قلابة وايضا فقد قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة وايضا فهو قضية عين
لا يقاس عليها والله اعلم *

ذكر ابن قيس وقصته

اما ابن قيس فهو الاشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن
ربيعة بن معاوية بن الحارث الاصغر بن معاوية بن الحارث الاكبر بن معاوية بن كندة
الكندي الصحابي الشجاع الرئيس المشهور يكنى ابا محمد قدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم سنة عشر في وفد كندة وكان رئيسهم قال ابن عبد البر كان
الاشعث بن قيس في الجاهلية رئيسا مطاعا في كندة وكان في الاسلام وجيها
في قومه الا انه كان ممن ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم راجع الاسلام
في خلافة ابي بكر رضي الله عنه واتي به ابو بكر اسيرا فدار بينه وبين ابي بكر
كلام فقال له الاشعث استبقني لحربك وزوجني اختك ففعل ابو بكر وقال ابن
الاثير قال له ابو بكر ما تراني اصنع بك قال تحتسب بي خيرا فتطلق اساري وتقيلني
عثرتي وتفعل بي مثل ما فعلت بامثالي وترد علي زوجتي وقد كان خطب ام فروة
اخت ابي بكر اختا ابي بكر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم تأخر العقد قال
فان فعلت ذلك تجدني خير اهل بلادي لدين الله فحقن دمه ورد عليه اهله ثم
خرج من عند ابي بكر ودخل السوق فاخترط سيفه ثم لم تلقه ذات اربع الا عقرها
من بعير وبقرة وغير ومضى من خلفه ان ابي ردد ارتد فسار الناس حتى اتوا الى ابي بكر
فقالوا ارتد الاشعث مرة ثانية فبعث ابو بكر رضي الله عنه اليه فاشرف
من السطح وقال يا اهل المدينة اني غريب ببلدكم واني والله لو كنا ببلدنا لاولمنا
فاجتزروا من جزر الثمار ونصاد فواقد الاقمار وليغد على من كان له قبلي حق
فلم تبق دار من دور المدينة الا دخلها من ذلك اللحم ولا رؤي يوم اشبه بيوم
الاضحى من ذلك اليوم فضرب اهل المدينة به المثل فقالوا اولم من الاشعث
ثم شهد الاشعث اليرموك بالشام والقادسية وسار بعد الى العراق مع سعد
ابن ابي وقاص وشهد الكوفة وشهد صفين مع علي رضي الله عنه ومات بعد ذلك

فأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل كانت وفاة
الأشعث سنة اثنتين وأربعين والله أعلم وفي وليمة الأشعث يقول الشاعر

لقد أولم الكندي يوم ملاكه ... وليمة حمال لثقال العظائم
لقد سل سيفا كان مذ كان مغمدا ... لدى الحرب منه في الطلى والجماجم
فأغمده في كل بكر وسابح ... وعير وثور في الحشا والقوائم
فقل للفتى الكندي إما لقيته ... نميت بأسنى مجد أولاد آدم

وقال الأصبغ بن حرملة الليثي فتسميكما لعزل الحماقة التي يعقد بها
أبو بكر مع الأشعث

أتيت بكندي قد ارتد وانتهى ... إلى غاية من نكث ميثاقه كفرا
فكان ثواب النكث إحياء نفسه ... وكان ثواب الكفر تزويجه البكرا
ولو أنه يأبى عليك نكاحها ... وتزويجها منه لأمهرته مهرا
ولو أنه رام الزيادة مثلها ... لأنكحته عشرا وأتبعتها عشرا
فقل لأبي بكر لقد شنت بعدها ... قريشا وأخملت النباهة والذكرا
أما كان في تيم بن مرة واحد ... تزوجه لولا أردت به الفخرا
ولو كنت لما أن أتاك قتلته ... لأحرزتها ذكرا وقدمتها ذخرا
فأضحى يرى ما قد فعلت فريضة ... عليك فلا حمدا حويت ولا أجرا

وقد أخطأ هذا القائل وحمله على ذلك غلوه في الجاهلية والصواب ما فعله
أبو بكر رضي الله عنه فإنه تألف به جماعة كثيرة من قومه فأدخلهم إلى
الإسلام وحببه إليهم ولأن يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس

ولا ترع وإن قد رثت حيلة ... فعتر أجل عسكر مذمنسر

اللغة قوله حيلة الحيلة بكسر الحاء الحذق في تدبير الأمور وهو تقليب
الفكر في العواقب حتى يهتدي إلى المقصود واحتيال طلب الحيلة قوله فهو أجل
عسكر العسكر الجيش والكثير من كل شيء فارسي معرب وعسكر القوم تجمعوا والموضع
معسكر بفتح الكاف قوله مذمنسر قال ابن الأعرابي نسر الشيء كسره ثم
قطعه وكذلك دمرته وأنشد لمجبر بن خالد

نزبرهم بضع اللحم للسباع والنسرى ... وبعضهم تغلي بذم مناقعه

الاعراب والتصريف قوله ولا تدع للاناة حيلة وتدع مجزوم بعد
وحيلة مفعوله وياؤه منقلبة عن واو لانه من التحول وان قدرت جملة شرطية
معترضة بين العامل ومعموله وجوابها محذوف لدلالة ما تقدم عليه قوله
فمن اجل ذا الفاء تعليلية اي لاجل ذا الاجل ومن مبتدا واجل خبره **فمعنى
الكلام** يقول العاقل ينبغي له ان يستعمل الحيلة مع عدوه وان كان قادرا
على ان يتمكن منه بقتال ونحوه فان الحيلة من مواهب الاراء المحكمة
ومن حسنة فانه يستنتج بها مكنون الاحوال وكتاب الحيل معروف البخاري
في صحيحه للرد على ابي حنيفة لانه كثير اما يستعمل الحيلة في فتياه مع انه
قد وجد فيها ما يخالف الشرع من عند البخاري رحمه الله لبيان ذلك **وقد**
سئل بعض الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث **وكان** صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها **وكان** يقول الحرب خدعة **وقال تعالى** واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة الاية فقوله ما استطعتم يشمل كل ما سوى في مقدور
البشر من عدة واله وحيلة وغير ذلك **قال** المولى ابو السعود اي من كل
ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة
بالرمي ولعل تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر لانافته على نظائره من
القوى ومن امثال العرب رب حيلة انفع من قبيلة وقيل اذا لم تغلب فاخلب
وقال بعضهم كن بحيلتك اوثق منك بشدتك وبحذرك افرح منك بنجدتك فان
الحرب حتف للمتهور وغنيمة للمتحرز وقال ابو الطيب

*

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة * بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى اقرانه * بالرأي قبل تطاعن الاقران

وقال ابن الرومي

* *

تلقاهم بسيف من الفكر ورمح من صنعة الاراء
وسيوف العقول امضى من الصمصام في كف فارس الغبراء
وان كان في شعله ذي العز الشقا * شبكه ذي البرية غير ذي اليسر

اللغة قوله ان كان في شفقة يقال شققت الدرع والدرع شفقا من باب
ضرب وفي لغة من باب قتل اذا رقعتهما والاتقاء عن سابقت وشفقا فبالغة والشفاعة
ايضا الشفاعة ومعنا القائد في الكلام قوله في الغرا هو بكسر الغين
مقصورا جمع غري وهو جمع غرة نحكيه له بلفظ الجمع له بعضهم اسم جمع قال
ابن السكيت ولم يات فعل في النعوت الا حرفا واحدا يقال هؤلاء قوم عدا
اي غرباء وقوم عدا اي اعداء وانشد لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان

اذا كنت في قوم عدى لست منهم ... فكل ما علفت من خبيث وطيب

قال ويقال قوم عدا وعدا اي اعداء مثل سوى وسوى قال الاخطل

الا يا اسلمي يا هند هند بني بدر ... وان كان حيانا عدا آخر الدهر

يروى بالضم والكسر وقال ثعلب يقال قوم اعداء وعدا بكسر العين فاذا ادخلت
الهاء قلت عداة بالضم والشفعاء بالكسر وانما البرواء والجمع اشقياء
والبرية اي لا تباعة عليه ولا طلب يقال انا منه براء وهؤلاء بفتح اوله
لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر في الاصل فاذا قلت انا منه برئ ثنيت
وجمعت قال الله تعالى انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون الاعراب
والتصريف قوله ان كان في شفقة جملة شرطية مستانفة لا محل لها
من الاعراب وفي شفقة متعلق بمحذوف خبر كان مقدما والشفعاء اسمها مؤخرا
وقصره ضرورة وسهل ذلك ان انصاف الابيات قد تعامل بالوقف كما ابدا
وعليه فهو لغة والفه عن ياء واما الف الغرا فهي عن واو لانه من الغزو
قوله فهو في البرية جملة في محل جزم جواب الشرط لاقترانها بالفاء
وحذفها منه ضرورة كقوله *

من يفعل الحسنات الله يشكرها ... والشر بالشر عند الله مثلان

والبرية يجوز قراءته بالهمزة ويجوز تخفيفه بالقلب والادغام وخبر الثاني
خبر المبتدا والمراد غير لا زال فاعل بالشر على بابه من التفضيل كقوله تعالى
هو اعلم بكم وهو اهون عليه قال في التسهيل هو مطرد عند ابي العباس المبرد
لكثرة الوارد منه والاصح قصره على السماع ه والله اعلم ومعنى
الكلام ظاهر اعلم ان هذا البيت تغيير لما مر في الابيات اثناء بعضها من ان انصاف ان

إذا همّ بعدوه فيبالغ في عقابه ويشدد في نكاله فإنه ربما يفهم منه أنه يحسن
أن يتجاوز في العقاب أمثال الجرائم التي صدرت من الأعداء فإذا بادر بعد التثبت في مجاوزة
ذي الذنب إلى قدر ما أذنب له فيكفره وغيره لا يرى شرعا ولا طبعا وسيأتي شيء من ذلك
وإنما جعل الانتقام من الأعداء شفاء لما يدركه الإنسان بالعقوبة من أنه ما دام
لم يأخذ بثأره يكون كمن أحرق قلبه فكأن في قلبه قرحة دامية أو جمرة ملتهبة حتى
إذا أخذ بثأره سكن ما فيه من ألم واستراح ولذلك قال الشاعر

تعلّم شفاء النفس قهر عدوها * فبالغ بلطف في التحيّل والمكر

وقال الغزالي رضي الله عنه قوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان
دم القلب بطلب الانتقام وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات
قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه
القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به واعلم أن ما ذكره الناظم
من أن أخذ البريء بالسقيم غير لائق هو كذلك على تفصيل إذ المسألة قد
تعارضت فيها الأدلة واختلفت فيها آراء الفقهاء فمن دونهم من الأدباء
والعامة فمن الأدلة قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع
مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وقال تعالى في آية أخرى
وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقال واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة وقالت زينب بنت جحش للنبي صلى الله عليه وسلم
أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث وفي الصحيحين وغيرهما أن نبيا
من الأنبياء صلوات الله عليهم نزل تحت شجرة فلدغته نملة فأمر
بجهازه فأخرج من تحتها وأمر بها فأحرقت بالنار فأوحى الله إليه فهلا
نملة واحدة قال أبو عبد الله الترمذي في نوادر الأصول لم يعاتبه الله على
تحريقها وإنما عاتبه على كونه أخذ البريء بغير البريء وقال القرطبي في
هذا النبي هو موسى بن عمران عليه السلام وأنه قال يا رب تعذب أهل
قرية بمعاصيهم وفيهم الطائع فكأنه أحب أن يريه ذلك من عنده
فسلط عليه الحر حتى التجأ إلى شجرة مستروحا إلى ظلها وعندها قرية النمل
فغلبه النوم فلما وجد لذة النوم لدغته نملة فدلكهن بقدمه فأهلكهن

واخرى ومسكنتهن فأراد الله الباقية في ذلك عبرة لمن اعتبره فان قيل كيف أجيب
الأبناء فورا بعقوبتهما بل يريد تعالى أن ينبههم على أن العقوبة من الله تعم الكافر
فتصيبه رحمة وطهارة وبركة على المطيع وسوءا ونقمة وعذابا على الفاسق ه
وهذا تأويل الحديث كما ترى كذا أول العلماء قال هذا الآية الأولى وقال
ابن مالك هذا الحديث أيضا يعني قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى في الاسراء
ان جماعة من قدماء الفقهاء افتتنوا من هذه الدية على العاقلة وقالوا ان
ذلك يقتضي مؤاخذة الإنسان بسبب فعل الغير وذلك على مضادة هذه
الآية وأجيب عنه بأن المنفي ليس من أخذ على ذلك الفعل بل يعني بعين
غيره مؤاخذا بسبب ذلك الفعل بل ان ذلك تكليف واقع على سبيل الابتداء من
الله تعالى ه وفي الكشاف عن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابراهيم يؤخذ
الرجل بجريرة غيره ويقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد
بسيده فأول من نهى عنه ابراهيم عليه السلام ه وفي كتاب ذم الغضب
من الإحياء ان زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخا له وقال له
ان جئت بأخيك والا ضربت عنقك فقال أرأيت ان جئت بكتاب من أمير المومنين
أتخلي سبيلي قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين
ابراهيم وموسى ثم تلا أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ألا تزر
وازرة وزر أخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته ه وكذلك
استدلت عائشة رضي الله عنها بالآية على ان الميت لا يعذب ببكاء أهله
عليه وأولت ما رواه ابن عمر رضي الله عنه من ذلك عن النبي صلى الله عليه
وسلم بأنه في حق الكافر والصواب ما أوله به البخاري من ان ذلك في حق من جرت
عادة أهله بالنياحة ولم ينههم فأما حمل الآية ولا تزر وازرة وزر أخرى
محكمة وما عدا هذا مؤول هكذا الكلام في هذه المسئلة والصواب التفصيل كما
يأتي قف ورح في صحيح مسلم وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان ثقيفا
كانت حلفاء لبني عقيل في الجاهلية فأصاب المسلمون رجلا من بني عقيل ومعه
ناقة له وأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد بم أخذتني وأخذت
سابقة الحاج فقال أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف وقد كانوا أسروا رجلين

من المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر به وهو محبوس فيقول يا محمد إني
مسلم فيقول له لو كنت قلت ذلك وأنت تملك أمرك أفلحت ففدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم برجلين من المسلمين وأمسك الناقة لنفسه . قال المازري
أجاب الناس عن هذا الحديث الكريم بثلاثة أجوبة أحدها أن يكونوا قوما مرتدوا
أو لا تبع منوا أنه صمما رسول الله صلى الله عليه وسلم لا منهم ولا حلفاؤهم بنقض
حلفاؤهم العهد ورضوا بذلك فاستبيحوا والثاني أنهم كانوا لا عهد لهم
فهم على الإباحة والثالث أن في الكلام حذفا ومعناه أخذت لأفادي بك
من حلفائك ه ولأكر قرسا وابن مرزوق في شرحه حديث مسلم هذا حجة لكافة من
على جواز أعمال السياسة في استخراج الحقوق وأداء تبعات الجماعة الجناة والعشيرة
أنه لا يجوز أخذه لا عوض فيه ولا أمنا وقد حرر ذلك بعض المتأخرين من فقهاء
فاس وهو الفقيه أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي في بعض أجوبته وجعل
المسألة على ثلاثة أوجه أحدها أن يكون الغير ممن لا يد له إليه الجرم ولا يجتمع
به وإذا أخذ ذلك الغير به لم ينكف هذا المجرم عن جرمه فهذا هو الذي لا يؤخذ
الغير به كتابا وسنة وإجماعا ثانيها أن يكون ذلك الغير ممن لا يد له إليه
الجرم ولا يجتمع به كالأول ولكنه إذا أخذ به انكف المجرم عن جرمه وانحسمت
مفسدته لكون ذلك الغير يقدر على الانتصاف منه بقرابته ونحوها فهذا يجوز
أن يؤخذ الغير به سدا للذريعة وحسما لمادة الفساد ثالثها أن يكون ذلك
المجرم ممن يأوي إليه المذنب ويجتمع به فهذا يؤخذ ذلك الغير بجريرته وبجميع
ما أخذه ولا يختلف فيه لأنه باحتمائه به ورضى الآخر بفعله صار معينا له على
ظلمه وبعد هذا كان ينبغي بل الرفاق من أهل البادية ومن في معناهم فإن بعضهم
يغير بعضا على أن أهل الصلاح إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما
هم فعليك بهذا التفصيل ولا تتجاوزه فتكون مضيعا للحقوق ومخلا بالشرع بل
وبجميع الشرائع إذ الشرائع كلها ما جاءت إلا لدرء المفاسد وجلب المصالح
فيجب علينا القيام بذلك ما أمكن والتوصل إليه بكل وجه خال عن مفسدة مساوية
أو أعظم وفي أثناء الملاحمة لا يعارض الشرع المنصوص خلافا لمن يحكم في تحليله هذا
ما أصل ما يتعلق بنظر الشرع في المسألة وأما ما للأمراء والشعراء ومن في معناهم

فيها فقد روي ان الحجاج لما قدم العراق اميرا عليه وصعد منبر جامع الكوفة وخطب خطبته المشهورة قال يا اهل العراق والله لالحونكم لحو العود ولاعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل ولآخذن البريء بالسقيم والمحسن بالمسيء والمطيع بالعاصي حتى تستقيم لي قناتكم اذ كما قال وقال الشاعر

جانيك من يجني عليك وقد * تعدي الصحاح مبارك الجرب
ولرب ماخوذ بذنب قريبه * ونجا المقارف صاحب الذنب

ومن النوادر المناسبة لهذا الموضوع ما روي ان اعرابيا جاء الى امرأته وقد اغتلم واشتدت شهوته فانعكر وراودها فابت فلما اخذها قالت اني حائض فقال لها فاين الهنة الاخرى يعني دبرها ثم حمل عليها وهي تشتمه وتدافعه وهو ماض على امره ويقول

كلا ورب البيت ذي الاستار * لاهتكن حلقة المستشار
فيؤخذ الجار بذنب الجار

والمستشار بالفتح حلقة الدبر والكمر ونحوه وحكى الجاحظ ان امرأة اتت الى معلم بابن لها وكان المعلم طويل اللحية فقالت ان هذا الصبي عاق ولا يطيع فاحب ان تفزعه فاخذ المعلم لحيته والتقمها في فمه وحرك راسه وصاح فيه صيحة هائلة ففزعت المرأة من الفزع وقالت له انما قلت لك افزع الصبي ليس اياي فقال لها يا مرة ان العذاب اذا انزل اهلك الصالح والطالح فهذا راي من يرى مؤاخذة البريء بالمذنب واما من لا يرى مؤاخذة البريء فمنه ما روي ان قتيبة بن مسلم الباهلي لما قدم خراسان اميرا عليها من قبل الحجاج قام اليه بعض الشعراء فانشده

شر العقاب على البريء وما جنى * حتى يكون لغيره تنكيلا
والجهل في بعض الامور وان علا * فستمزق للجاهلين عقولا

فقال قتيبة قبحك الله من شيخ والله لا اجمعنك معي في بلد ثم اخرجه من خراسان وقال امرؤ القيس مما يقرب من هذا المعنى

الا يا لهف هند اثر قوم * هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

ومنهم

وقائمٍ جرّتم بثنيّ أيديهم * وبالأشعريّ ما كان العقاب
فلم يستنصروا الله وقال النابغة للنعمان بن المنذر *
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وهل يأثمن ذو أمّة وهو طائع
لكلّفتني ذنب امرئٍ وتركته * كذي العرّ يكوى غيره وهو راتع

والشعر في هذا المعنى كثير وقد علمت النحو والصواب في ذلك والله اعلم

(ولا تفارق شاهك الفرزان بكم * من شقّة فقد غلبت ببيذق)

اللغة قوله بكم من شقة الشقة بوزن مرّة والمراد بها عود من أعواد رقعة الشطرنج يتنزل من شاه منزلة الملك من الرعية وأما المعروف شاه بشين معجمة فألف فهاء ساكنة ومعناه في لغة الفرس الملك وأما الشقة كما هو في النسخ فقال الزعايتر وبعضهم يغلطه في لفظ الشاه فيجعل مكان الهاء تاء كالشاة التي هي واحدة الغنم وقد وقع ذلك لأبي بكر بن اللبانة شاعر المعتمد بن عباد في قوله أين منه أخذ الناظم *

والرّخ في صنعة الحرب لا ينعكس * أنواع حالاته فيها اشكالات
ويحرز من لعب الشطرنج في يسراه * وربّما فرّت بالبيذق الشاة

وقول الحريري شاه مات شاه معناه ملك الملوك لأنهم يعبرون بغير من المضاف إليه على المضاف ويجعلون علامة الجمع ألفا ونونا في الأخير كما أن علامة الجمع في لغة الفرنج سين ساكنة في الأخير وفي العجمانية نون ساكنة في الأخير وقوله ببيذق هو بفتح الباء الموحدة والذال المعجمة بينهما تحتية ساكنة المراد به هنا عود الشطرنج الذي هو آخر مرتبة منها وهو في الأصل معرب بيذه بالفاء ومعناه في لغة الفرس الراجل في الحرب ويجمع البيذق على بياذق وبياذقة والهاء فيه للنسب ككوازجة وأصل البياذقة الرجالة في الحرب كما قلنا فاستعير لعود الشطرنج ثم صار حقيقة عرفية وقد أدخل الناظم من على تمييز كم الخبرية وهو كثير ومنه قوله تعالى وكم من ملك والله أعلم *

* القول في الشطرنج والنرد وما يتعلق بهما *

ويتعلق الكلام بهما من وجوه أربعة تفسير لفظيهما وبيان واضعهما والكشف عن سيرهما وحكم اللعب بهما أما لفظهما فالنرد بفتح النون وسكون الراء بعجمي

معرب ويقال له النردشير نسبة الى واضعه ازدشير بن بابك كما سيأتي وتفسير
ازدشير بالعربية دقيق وحلو فازد دقيق وشير حلو وقيل دقيق وحلاوة واما
الشطرنج فهو بكسر الشين وفتحه من لحن العامة كما نص عليه ابن هشام اللخمي
وحكى ابن جني ان الصواب الكسر ليكون على بناء جردحل لانه ليس في اوزان
العرب فعلل بفتح الفاء وقد جوزوا فيه ان يقال بالشين المعجمة لجواز اشتقاقه
من المشاطرة وان يقال بالسين المهملة لجواز ان يكون اشتق من التسطير عند
التعبية قاله في درة الغواص وتعقب ذلك ابن بري بان الاسماء العجمية
لا تشتق من الاسماء العربية وبانها خماسية واشتقاقها من السطر يوجب انها
ثلاثية فتكون الشين والجيم زائدتين وهذا بين الفساد هـ وذكر ابو البقاء في شرح
ديوان المتنبي انه معرب من شدرنج يعني ان من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا
وحكى الوهراني ان اصل شطرنج شش رنك ومعناه ستة الوان لان شش
عندهم ستة ورنك لون وكانهم قالوا ستة الوان فالشاه لون والفرزان لون
والفيل لون والرخ لون والفرس لون والبيذق لون فليثبت ومنهما من اللاعب والالة
والله اعلم واما واضعهما فالنرد وضعه ازدشير بن بابك اول الملوك
الساسانية الذين قام عليهم الاسلام وضربه مثلا للقضاء والقدر كما
سنشرحه واما الشطرنج فقد وضعه الحكيم صصه بن داهر الهندي ولفظ صصه
بصادين مهملتين الاولى مكسورة والثانية مفتوحة مشددة وقد اهمل في كلام ابن
خلكان في اسم الملك الذي وضعه له هذا الحكيم فتارة سماه شهرام بكسر الشين
المعجمة وتارة سماه بلهيث بثاء مثلثة في اخره كما عند غيره وابن عبد
البرهان ونقله الكمال الدميري عن شيخه اليافعي وغيره انه بلهيث واختلف
في السبب الذي من اجله وضعه فقيل ان الفرس لما وضعت النرد افتخرت بذلك
فوضع الحكيم صصه الهندي لملك الهند الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر
بترجيحه على النرد لامور يطول شرحها وقيل ان ملك الهند احب ان يرى ثمرة
وترجح ما في نفوذ همة فوضع له الحكيم المذكور الشطرنج وفي المستطرف
ان ملوك الهند كانوا لا يرون القتال بين الملوك فاذا تنازع ملكان في كورة او
مملكة تلاعبا بالشطرنج فياخذها الغالب من غير قتال وقيل ان السبب

في وضعه ان بعض ملوك الهند كان لاعبا ولم يسمع سواه اغراه بعض الجهال بقتل
فيها فهاب الناس ان يعلموه بموته فوضع لهم حكيمهم الشطرنج ولعب به الوزير مع
الملك فقال الملك شاه مات فقال الوزير من الملك سمعتها فعلم الملك ان ولده قد
مات وامر ان يعزى فيه فاتوا ولما عرض الشطرنج على ملك الهند اعجبه وفرح به كثيرا
وامر ان يكون في بيوت الديانة وراه افضل ما علم لانه آلة للحرب وعز للدين
والدنيا واساس لكل عدل واظهر الشكر والسرور على ما انعم الله عليه في ملكه به
وقال لصانعه اقترح علي ما تشتهي فقال له اشتهي ان تضع حبة بر في البيت الاول
ولا تزال تضعفها حتى تنتهي الى آخر البيوت فما بلغ تعطيني فاستصغر الملك ذلك
وانكر عليه لكونه قابله بالنزر اليسير وقال له كنت اكثر رجاحة عقل ان تطلب
شيئا نفيسا فقال ايها الملك انت لما امرتني بالتمني لم يكن ببالي غير ذلك وسال
ان الرجوع عنه فانعم له الملك بما سال وامر باحضار اهل السير وامرهم باستخراج
ذلك فلم ذا به شيء لا تفي به رمال الدنيا لو كانت قمحا فقال الملك لا ادري ايهما
اعجب الشطرنج ام الامنية **واعلم** ان هذا القدر الذي طلبه هذا الحكيم عدده
حسبما حققه صاحبنا فلكي العصر وحاسبه الشهير ابو العلاء ادريس بن محمد
الجعيدي السلاوي ثمانية عشر الف الف الف الف الف الف ست مرات واربعمائة الف
الف الف الف الف خمس مرات وستة واربعون الف الف الف الف الف خمس مرات
وسبعمائة الف الف الف الف اربع مرات واربعة واربعون الف الف الف الف
اربع مرات وثلاثة وسبعون الف الف الف ثلاث مرات وسبعمائة الف الف مرتين
وتسعة آلاف الف وخمسمائة الف وواحد وخمسون الفا وستمائة وخمسة عشر
18446744073709551615 :: عشرين منزلة والله تعالى اعلم
واما صورتها ففي زمننا ان اردشير واضع النرد وضع به مثلا للقضاء والقدر وان
الانسان مجبور في غالب مختاره وهذا بعينه مذهب الاشعرية وهو المذهب الحق
فجعله مثالا للدنيا واهلها فرتب الرقعة اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة والقطع
ثلاثين قطعة بعدد ايام الشهر واختلاف الوانها كاختلاف سواد الليل وبياض
النهار وجعل منازل الرقعة اربعا وعشرين بعدد ساعات الليل والنهار ثم قسم
المنازل على اربع مراتب كعدد الفصول الاربعة التي هي الشتاء والربيع والصيف

والغربية وشبه جوانب كل بيت من ستة بالجهات الست التي هي فوق وتحت
وأمام وخلف ويمين وشمال وجعل الفصين بحيث يحيط بجوانبهما معا اثنا عشر
شكلا كعدد بروج الفلك والكلاب الموزعة عليهما كدرج البروج لأنها
ثلاثون ثم جعل نكت الفصين اللذين يرمى بهما عند اللعب كلها اثنتين
وأربعين وهي تكسير الجهات الست في النكت السبع التي إذا جمعت جانبين متقابلين
من الفصين المرسومة هي عليهما وجدتها سبعا وشبه تلك السبع بأيام الأسبوع
فإذا ضربت السبع المذكورة في مراتب منازل الرفعة وهي أربع صارت ثمانية
وعشرين كعدد منازل القمر التي نصفها فوق الأرض ونصفها تحت الأرض وكل ما له
والفصوص مثل الأفلاك ورميها مثل تقلباتها ودورانها والنقط فيهما كعدد
الكواكب السيارة كل وجه منهما سبع الشمس ومعناه ست ويقابله البك
ومعناه واحد والمريخ ومعناه خمس ويقابله الزهرة ومعناه اثنان والجهار ومعناه
أربع ويقابله السبه ومعناه ثلاث وجعل ما يأتي به اللعب من النقوش كالقضاء
والقدر تارة له وتارة عليه وهو يصرف المقادير على ما جاءت به النقوش لكنه
إذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يأتي ويتحيل على الغلب وفهم خصمه مع الوقوف
عند ما حكمت به الفصوص وهذا مذهب الأشاعرة لأن اللاعب يعترف بالقضاء
والقدر وشبه فراغ اللاعبين بالمعاد وفلج الغالب بما حصل للمجتهد من الثواب
وشبه ما يلحق المغمور من الحسرة بحسرة المقصر في الآخرة لأن حسن الاختيار
وجودة التدبير في اللعب وعكس ذلك موكول إلى رأي الضارب بالفصين فمن يكون
خير اللعب ولا يواتيه الفصان فهذا كالموفق الزاهد يرزق شيئا يسيرا فيحسن التدبير
فيه حتى تحسن حاله ويستغني أمره ومن يواتيه الفصان ولا يحسن اللعب فهذا
بمنزلة الأحمق الجاهل الذي يرزق شيئا كثيرا فلا يزال يبذره ثم فيه ويبذر حتى يفتقر
وتسوء حاله ومن يجتمع على الضارب الأمران حسن علمه باللعب وجودة الفصين
عليه فهذا كالعاقل المجدود ومن يكون خير اللعب ويشاء عدل الفصان فهذا بمنزلة
المجاهد والمكدود والذي لا يشاء عدل الفصان فمن يرضى بذلك فهو بمنزلة العبد الراضي
بحكم مولاه الشاكر تحت مجاري الأقدار ومن يتسخط ويضجر ويسب الفصين فهذا
بمنزلة العبد الجاهل المتسخط للمقدور ومع ذلك فإن تسخطه لا ينفعه

في شأن من الصغير شيئا وإنما تحمل به الكرة لنفسه لأن الأمر ليس إليه بل لغيره وكما القضاء والقدر فهما مثالان للقضاء والقدر إلى غير هذا مما يقول وإنما أوضحناه بعض الشيء لأن اللعب بالنرد مجهول لأكثر الناس فيما وردت من التشديد فيه من الشارع كما يأتي وأما الشطرنج فاللعب به معروف وفيه رموز وأسرار جليلة يرجع إلى مكايد الحرب ولما وضعت العجم النرد وأشارت فيه إلى أن الإنسان مجبور وضعت العرب الشطرنج وهما رضيتا فيه بأن لا قضاء وأن العبد متمكن من الفعل فإذ يعلو ينال بسعيه واجتهاده المراتب العلية والتحكم السنية وأن من أهمل نفسه وترك الاجتهاد والسعي هوت به نفسه إلى الحضيض وأبلغه الكد بروض العيش الأرغد والدليل على ذلك أن البيدق قد ينال بحركته وسعيه منزلة الفرزان وكذا الواحد من مكلف الرعية إذا أعطى الاجتهاد حقه في تهذيب نفسه كان حريا بأن ينال رتبة الوزارة وكذا الوزير قد تسمو نفسه إلى الاستبداد بحل الملك وقد يعمل على ذلك حتى يصل إليه إلى غير ذلك مما هو مبسوط في محله فالنرد جامع لحكم القضاء والقدر ومشير للكسب بحسن اختيار اللاعب وسوء اختياره بخلاف الشطرنج فهو مقصور على عقل اللاعب وتصرفه اختيارا والنرد ولهذا يقولون الشطرنج معتزلي والنرد مجبر ففي تفضيل الشطرنج على النرد من هذه الحيثية نظر كما قال العلامة الدميري رحمه الله فإن قلت إذا كان الأمر هكذا فلم كان النرد أشد في الحرمة من الشطرنج قلت اتباعا للنص وسيأتي بيان ذلك وقد وصف الشعراء النرد والشطرنج فأكثروا ومن أحسن ما قيل في ذلك قول السري الرفاء يصف النرد *

ومحكمين على النفوس وإنما * لم يحكما فيهن حكما عادلا
أخوان قد وسما على متنيهما * سمة تنم على الطليق غوائلا
يلقى بهما المرزوق سعدا كاملا * ويرى بهما المحروم سعدا آفلا
فإذا هما احتكما على كعبيهما * ظلماه أو نفعاه نفعا عاجلا

* وقال في الشطرنج *

وكتيبتين من زنج وروم أذكيا * حربا يشب لها الذكاء مناصلا
في معرك قسم النزال بقاعه * بين الكماة المعلمين منازلا

لم يشفعا فيه دعا ولا أثنا * رشا البرآء أعاليا وأسافلا
تبا لعيشة كلما لا حكمة * فمن يبين الا لفقرنا وعنايلا
فكأن ذا الحاج يسير مغرقا * وكأن ذا النشوان يحكر قابلا
فاعجب لعاقل فاتنه اذا انتهت * فضل الرجال ولا تنم فسائلا

وقد شرح صاحب كتاب الصادح والباغم وهو الشريف ابو يعلى الهاشمي المعروف بابن الهبارية بعض ثمرات النوعين ومن ذلك في مفاخرة وقعت بين شخصين احدهما مرزوق والآخر فارس فقال

فكان من قول الشيخ فيه الفطن * الحكماء العلماء اللسن
لهم علوم وحلوم وفطن * وحكمة بالغة اذ تمتحن
لو لم يكن من فضلهم لو نختبر * بفضل الرجال منصف وتعتبر
الا الذي ابدوه في الشرع * للناس من علم شريف النهج
خير حكيم لقبوله منزلا * يصحب الرأى الأصيل جزلا
فيه اشارات لمن قرا يصح * نافعة لكل واع حاذق
فمن سمو للشريف ما لا * ان الحكيم يضرب الأمثالا
يعلمون ان العيش بالتدبير * وليس بالقسمة والتقدير
وانه للأفعال مستطيع * فكم يجمعه او يضيع
وذلك الغزل بلا خلاف * لوقوع الرجال للانصاف
فدالك الكمال وفوق العرش * الحكماء ما يزال ابش
لهم سياسة وتدبير حسن * كالشرع عندنا في الفروع والسنن
وكلهم يفتخر بالحكمة * كأنهم قد أيدوا بالعصمة
لا يعبد الاصنام والاوثانا * ولا نرى الشرك ولا العدوانا
وهم يقولون بلا نكير * العيش بالرزق وبالتقدير
وليس بالرأى ولا التدبير * فاسمع لما قيل وكن بصير
وقد رفعنا البرد للمثال * لو قطعت بها بزا المعمال
وما نصرنا بالقصور اللعبا * حاشا لنا الذكر فهمنا الادبا
وانما سمو الغنا حيله * يغنى بها فاتيه من فضيله

وإنما يعشقه الرجال — لأنه لعب كما يقال
ولو دروا أن المراد الأدب — بوضعه وصنعه ما لعبوا
فالنرد قد تعلمه ثقيل — فما بالك إن نقر قليل

والكمال التقصير في هذا المعنى وأكثر من هذا ذكره ابن الشطرنج فلينظره من أراد ذلك وأما حكم اللعب بهما ففي صحيح مسلم عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه وفي الموطأ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله واختلف في علة تحريمه فقيل لأنه يوقع العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويشغل القلب بفروع اللعب به باتفاق السلف بل حكى بعضهم عليه الإجماع ونوزع فيه وقيل في علة تحريمه أن فيه إحياء سنة المجوس المستكبرين على الله وأما الشطرنج فقد ذهب جمهور العلماء إلى تحريم اللعب به وعليه الأئمة الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد وحكى البيهقي إجماع الصحابة على ذلك قال بعضهم ومن نقل عن أحد منهم أنه رخص فيه فقد غلط فالبيهقي وغيره من علماء الحديث أعلم بأقوال الصحابة ممن ينقل أقوالا بلا إسناد واحتجاجهم كما في التحفة وقد ورد فيه أحاديث وإن كان في بعضها ضعف وإرسال فذلك لا يمنع من الاستشهاد بها والاعتبار لا سيما مع كثرة الطرق واشتهارها فما كان منها ضعيفا فمجبور بانجباره وما كان معضلا فإنه يقوى بتعدد طرقه وتغاير شيوخ مرسليه وبالقياس على النرد بجامع الصد بل هو كما قال ابن عمر ومالك وغيرهما شر منه لأنه أبلغ في إفساد القلوب من النرد لاحتياجه إلى فكر وتقدير وحساب النقلات قبل النقل بخلاف النرد يلعب به صاحبه ثم يحسب قلت ولأنه جار على طريقة الأمثال للاعتبار بخلاف النرد كما مر وذهب الشافعي إلى كراهته تنزيها على الصحيح المشهور عنه قال النووي وهو مروي عن جماعة من التابعين لا كما ذكره صاحب المقدمات فقد روي منه ذلك عن التابعين وما قيل من أحاديث لا أصل لها من أحاديث الكوفة وكان مالك يسميها دار الضرب أشد الكراهة عند الشافعي وقيدها بما إذا لم يفت الصلاة عليه وتعين المواظبة

بالعرف وما لم يلعب مع معتقد تحريمه أو يكن على شكل الحيوان أو نحو وعليه
بل مع حفظ اللسان عن الخنى والفحش والشتم وما لم يقترن به قمار وكره يلعبه
على الطريق ولم يؤخر به صلاة والاحرم في الجميع وما اقتضاه كلام مختصر
الشيخ خليل من أن لعبه غير حرام حيث جعله من أفراد ما لا يليق خلاف المذهب
وفي الجواهر قول بجوازه مع تكبيره في خلوة لا مع الناس وباشرة على كل حال والإدامة
عليه قادحة في الشهادة إن كان يلعبه مرة في السنة فأكثر والله الموفق

(وكم حبارى أقصها مقص لأم * يقطع بغير حتفه بالمزرق
وكم عيون للأسود تدميت * بالعجز من يعوقها الملتمس)

اللغة قوله وكم حبارى الحبارى بالضم كما هو معروف يقع على الذكر والأنثى
والجمع بلفظ واحد والقصر للتأنيث خلافا للجوهري إذ لو لم تكن له لانصرفت
ويصغر على حبير وحبيرى قال في الخلاصة

وعند تصغير حبارى خير * بين الحبيرى فادر والحبير

ومن من أشد الطير كيدا وأبعدها شوطا وذلك أنها تصاد بالبصرة فيوجد
في حواصلها الحبة الخضراء التي شجرتها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام
قوله أقصها مقص اللأم بالفتح الغصن يقال أقصه وأقصده وقاصمه إذا أقصره
وشد المنزل بإزاء فيقال رصمه ورصمه ومنه الرصيم للملاءة والمقص بفتح الطاء
قال الزجاج يقع على كل صائد من البزاة والشواهين ويقال بالصاد والسين
والزاي وقد فتح كثيرا ما يبدلون الصاد سينا إذا كان في الكلمة قاف أو طاء
أو غين أو خاء قاله الجوهري وقال الدميري في شرح مختصر المزني كل كلمة
فيها صاد وقاف ففيها اللغات الثلاث كالبصاق والبساق والبزاق قوله
بغير حتفه أي بغير حتفه قال ابن فارس وتبعه الجوهري ولا يبنى منه فعل
وحكاه ابن القوطية فقال حتفه الله يحتفه حتفا من باب ضرب ومات حتف
أنفه أي على فراشه فيتنفس حتى يموت ولهذا خص الأنف قوله بالمزرق زرق
الطائر بالزاي المعجمة وسكون الراء خرؤه وقد زرق يزرق ويزرق ويقال بالزاي
بدل الذال في جميع تصاريفه وقال حسان بن ثابت لما سأله عمر رضي الله
عنه عن هجاء الحطيئة الزبرقان بقوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
فالجملة بدل من جملته قوله بالقطف من قطفها القطف أخذ الشيء بأسنانك
والمشار إليه بمثله والبعوض مقطوف فالكلام سيق على طريقة التمثيل إلا أنه أكثر
انتقاء منه قال الزمخشري واشتقاق البعوض من البعض ومن القطع كالبضع
والعضب يقال لبعضه البعوض والنشر *
لنعم الفتى بيت أجد نار * إذا ما علاه بعض البعوض بعضها
أي وقد نار من الكلمة التي يتوقى بها من البعوض وتسميها العامة الناموسية
نسبة إلى الناموس الذي هو البعوض والبعض في آخر البيت المراد به عض
البعوض يقال لبعضه البعوض إذا عضه بالبعوض في الأمر صعبة على وجه
كالقطوع وقوله المتنمر يقال بالطاء وبالشين وبالزاي على الخلاف عن الراء
التي ذكرناها آنفا إلى غمرات والتصريح قوله وكم جبابرة جملة
معطوفة على قوله وكم من شيعة وكم مبتدأ وجملة أهلكت خبر له ويجوز في كم
النصب على الاشتغال إلا أن الابتدائية أولى لتوافق الجملة ما قبلها وما
بعدها في الاسمية وقوله فلم يكفهم في الفاء عاطفة سببية وجملة لم يكفهم
معطوفة على جملة أهلكت وغير أداة استثناء والعامل فيه ع للعمل في المستثنى
لذكره آخر بالإضافة غير التي جرت مجرى إلا أن يستثنى زيد بدو لها على
الخلاف بغير والتفرير بلم يكفهم إلا بحتفه وبالزرو يتعلق بحتفه وهو شاكي في المستثنى
السلاح لا كل الناس حركة بالفتح مرورا كما جرى في رؤية الفاء من المنقوص ورؤية
في قوله * وفاتح الأعمال والمشترق * فشبه الأعمال أعمال الحقق
قوله وكم غيور لأسود جملة معطوفة على الجملة من البيت ويجوز في
لفظ غيور ضم الغين على الأصل وكسرها لمناسبة الياء وذلك فكرة يمد
كان وقله من البيوت والشيوخ والبيوت والعيون ونحو ذلك وقرئ بها للغين
في السبع ولأسود في محل النعت لغيور وجملة ميتة خبر كم غيور والباء في قوله
بالغيظ سببية ومن بعوضها صفة للغيظ أو حال منه وهو الكلام ومن ابتدائية
والمتنمر نعت للبعوض وإنما وصفه بذلك لأن ذلك شأنه كان البعوض إذا
الزبابة تقع على الفريسة الرامية إذ في قوة العين الرامقة فلا تكاد تكفهم حتى تقع كما

وسيلة لاهف وذلك لما فيها من التذلل والله اعلم ومعنى الكلام ان
ذكر الناظم رحمه الله في البيت السابق ان العاقل سيما من كان من الافراد
كالملك ومن في معناه انه ينبغي له ان يحذر من الاقران بان يبارز رذلا ويبغا تلده
لما في ذلك من الجفاء عليه اذا كان مغلوبا ومن عدم المزية اذا كان غالبا
واحتج لذلك بقوله وكم من شجعة قد غلبت بسيف واكثر الذي يجعل اخ كلمة غريبة
في المراد ومالها لغة للاستثقال حسبما نبينه فيها ومن هذا المعنى ما حكاه
ابن خلكان من ان ابا جعفر المنصور العباسي كان يحاصر يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري
فكان ابو جعفر يقول ان ابن هبيرة يخندق على نفسه مثل النساء فبلغ ابن هبيرة ذلك
فارسل اليه انت القائل كذا وكذا ابرز الي لترى فارسل اليه المنصور ما اجد
لي ولك مثلا الا كاسد لقي خنزيرا فقال له الخنزير بارزني فقال له الاسد انما
انت لي بكفء فان بارزتك فنالني منك شر كان ذلك عارا علي وان قتلتك
قتلت خنزيرا فلم احصل على حمد ولا في قتلك فخر فقال له الخنزير لئن لم
تبارزني لاعرفن السباع انك جبنت عني فقال له الاسد احتمال عار كذبك ايسر
من تلطيخ براثني بدمك واشار الناظم بقوله وكم حذار البيت الى ما حكاه
الجاحظ قال ان الحبارى يجتمع في دبرها وامعائها لها ابدا سلح رقيق فمتى
الح عليها الصقر سلحت عليه فيتمعط ريشه كله وفي ذلك هلاكه فقد جعل
الله تعالى سلحها سلاحا لها وقال في حياة الحيوان سلاح الحبارى سلحها وهو اشد
للضعيف يستعين بالالة التي هي على قدر حقه من الفرار منه من حيث يغلبه بها وذلك
ان الحبارى يسلح سلحا شديدا اذا اراد الصقر ان يصيدها فيلوث ريشه بذرقها فيلزق
جناحيه فيتعطل طيرانه ويجتمع عليه الحبارى فتنتف ريشه طاقة طاقة
فيموت الصقر وما احسن ما قال ابو فراس الحمداني في المعنى

ولا خير في دفع الردى بمذلة ... كما ردها يوما بسوءته عمرو

وقال ابن علباء العبسي يرد على يزيد بن القعقاع في هجائه بني تميم

فانك من هجاء بني تميم ... كمزداد الغرام الى الغرام
هم تركوك اسلح من حبارى ... رات صقرا واشرد من نعام
وهم ضربوك ام الراس حتى ... بدت ام الشؤون من العظام

وأما قول البناكثي وكم عيره للأسود في البيتين بعد ما أخذه من قول القائل

لا تحقرن ضعيفا في عداوته ... إن البعوضة تدمي مقلة الأسد
وللشرارة نار حين تقدحها ... وربما أضرمت نارا على بلد

وما أحسن قول أبي الفتح البستي في هذا المعنى

لا تستحقرن الفتى بعداوة ... أبدا وإن كان العدو قليلا
إن القذى يؤذي العيون قليله ... ولربما جرح البعوض الفيلا

ونحوه قول أبي نصر السعري

فلا تحقرن عدوا رماك ... وإن كان في ساعديه قصر
فإن السيوف تحز الرقاب ... وتعجز عما تنال الإبر

ومما يذكر في هذا السبيل ما ذكره الميداني عند قولهم في المثل أشرى الشر صغاره فأشرى أفعل تفضيل من شري الفرس إذا لج في سيره قال الميداني وأصل المثل أن صيادا أقبل بنحي من عسل ومعه كلب له فدخل على صاحب حانوت فعرض عليه العسل ليبيعه منه فقطرت من العسل قطرة فوقع عليها زنبور وكان لصاحب الحانوت ابن عرس فوثب ابن عرس على الزنبور فأخذه فوثب كلب الصياد على ابن عرس فقتله فوثب صاحب الحانوت على الكلب فضربه بعصى ضربة فقتله فوثب صاحب الكلب على صاحب الحانوت فقتله فاجتمع أهل قرية صاحب الحانوت فوثبوا على صاحب الكلب فقتلوه فلما بلغ ذلك أهل قرية صاحب الكلب اجتمعوا فاقتتلوا هم وأهل قرية صاحب الحانوت حتى تفانوا فقيل هذا المثل في ذلك اهـ

(والخلد قد عز وأقوام سبا * ومن سبا يحكم التأني)

اللغة قوله والخلد قد عز هو بضم الخاء وسكون اللام ونقل في الكفاية عن الخليل بن أحمد فتح الخاء وكسرها وضبطه شراح مختصر الشيخ خليل عند قوله في المباح كيربوع وخلد بتثليث الخاء مع فتح اللام وسكونها قال الجاحظ هو دويبة عمياء صماء لا تعرف ما بين يديها إلا بالشم فتخرج من جحرها وهو تعلم أن لا سمع لها ولا بصر فتفتح فاها وتقف عند جحرها فيأتي الذباب فيقع على شدقها ويمر بين لحييها فتطبق فكيها بتقبيسها حتى تعرف

لذلك في الشامات التي يكثر فيها الذباب اكثر وقال ارسطو في كتاب النعوت كل حيوان له عينان الا الخلد وانما خلق كذلك لانه ترابي جعل الله له الارض كالماء للسمك وغذاؤه من بطنها وليس له في ظهرها قوة ولا نشاط فعله العلامة الدميري وفيه مخالفة لما قاله الجاحظ وايضا فسيأتي في اثناء الخبر عن الشيخ ان المناجذ لها اعين والمناجذ بالجيم والذال المعجمة جمع الخلد من غير لفظه كما في القاموس والله اعلم قوله فمزق والتمزيق التقطيع والتفريق يكون في الثوب ونحوه ويستعار لغيره ايضا كما هنا قال ابو السعود في قوله تعالى ومزقناهم كل ممزق في التعبير بالتمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثير والايلام ما لا يخفى اي مزقناهم تمزيقا لا غاية وراءه بحيث تضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال قوله وهو سدا مد انبنائه معرفة بشدة كحرف والسد بناء يجعل في وجه الماء والجمع اسداد والسد الحاجز بين الشيئين بالضم فيهما والفتح لغة وقيل المضموم ما كان من خلق الله كالجبل والمفتوح ما كان من عمل بني آدم كما هنا وقرئ في قوله تعالى على ان تجعل بيننا وبينهم سدا بالوجهين وقوله محكم البناء من احكام الشيء اذا عمله بالاتقان والحكمة كتقنه قاله في القاموس والله اعلم **وغث الكلام** هذا ايضا من معنى ما قبله ومن جملة شواهده ومعناه ان الشيء الخسيس قد يكون في الشيء العظيم حتى يهلكه كما اثرت هذه الفارة مع ضعفها وخستها في ذلك السد العظيم الذي بنته الملوك العظام بهممها الجليلة في الاعداد الطويلة فيما ملكت به أمما وتمسكت فيهم معاقلها قال الفقيه عمارة اليمني من قصيدة له

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعي من سموم العقارب

فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فار قبل ذا سد مأرب

وفخر على الخليفة ابي العباس السفاح قوم من اخواله من بني الحارث بن كعب وهم من اليمن يفخرون عنده بقديمهم وحديثهم في كلام طويل وخالد بن صفوان بن الاهتم التميمي حاضر ساكت فقال السفاح تكلم يا خالد فقال اخوال امير المؤمنين فقال لا ابدا تجيب بعد ان لم يبق كلام ذكر فيه مفاخر ومناقب اليمنيين فقال ما اقول في قوم هم ما بين حائك برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد فدل عليهم هدهد وملكتهم

امرأة وغيرهم فتنهم فأرة فلم يرقعوا بعدما رأوا ولا نبسوا بكلمة وقوله وراكب
عرد يثيبهم الى ما كان ربيعا فيلهم به بعد المتغلبين عليهم من نكاح ابناء ملوكهم ليلا
يملكوا احسبهما مثل ما هو مذكور في اخبار التبابعة والله اعلم وقال الخوارزمي

لا تعجبوا من عيش مفقود زينا ... ان الاسود تعاد بالخزف ان
فان غرقت اقيال حمير فأرة ... وتعوضها أردية بني كنعان

والشعر في ذلك كثير **ذكر تبع واهل سبا وخراب السد والسبب في ذلك**
من القصة فقد ذكرها الله في كتابه العزيز فقال تعالى لقد كان لسبا في مساكنهم
آية جنتان عن يمين وشمال الى قوله فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق
عن فروة بن مسيك المرادي قال لما انزل الله في سبا ما انزل قال رجل يا رسول
الله وما سبا ارض ام امرأة قال ليس بارض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من
الولد فتيامن منهم ستة وتشاءم اربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان
وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار
فقال الرجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة اخرجه الترمذي
مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبا لقب عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان
اخو ملوك اليمن العظماء كما مر في ذكر دولتهم وتعداد ملوكهم واما السد فهو سد
مأرب بفتح الميم وسكون الهمزة المبدلة ايضا وكسر الراء وباء موحدة في واد من
بلدة اذنة باليمن بينه وبين صنعاء مسيرة ثلاثة ايام قال المفسرون في تفسير قوله
تعالى بلدة طيبة ورب غفور قال ابن زيد لم يكن يرى في بلدتهم بعوض ولا ذباب ولا
برغوث ولا عقرب ولا حية وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل
من طيب الهواء فذلك قوله تعالى بلدة طيبة الآية قال ابن عباس ووهب وغيرهما
كان سد مأرب قد بنته بلقيس صاحبة سليمن عليه السلام وذلك انهم كانوا
يقتتلون على ماء واديهم فأمرت بواديهم فسد بما بين الجبلين بالصخر والقار
وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت
فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا
استغنوا سدوها فاذا جاء المطر اجتمع عليهم ماء اودية اليمن فاحتبس السيل
من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة فكانوا يسقون

من الباب الأعلى ثم من الباب الثاني ثم من الباب الثالث الأسفل فلا ينفد الماء
حتى يثوب الماء من السنة المقبلة وكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بذلك
بعد ما شاء الله فطغوا وكفروا وكانوا يعبدون الشمس قال وهب فأرسل الله اليهم
ثلاثة عشر نبيا من قومهم أن الله تعالى قد ذكرهم نعمته عليهم وأنذروهم عقابه
فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس عنا هذه النعمة
إن استطاع قال المسعودي وفي ذلك تقول امرأة منهم

إن كان ما نحن في فضلـه * من ربكم فلينكف فضالـه
إليه عنا وأن عيالـه *

من ذلك قوله تعالى فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم واعلم أن ما وقع في هذا 1
الخبر من أن الذي بنى السد هو بلقيس هو أحد أقوال ثلاثة وقال المسعودي الذي
بناه لقمان الأكبر ومنهم لقمان بن عاد فلتثبت وقد تقدم ذكره في ملوك حمير وأنه
أخو شداد بن عاد وقال السهيلي كان السد من بناء سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وكان قد ساق إليه سبعين واديا ومات قبل أن يتمه فأتمته ملوك حمير قال ابن
خلدون وهو الأليق والأصوب فإن آثار عاد إنما كانت المباني العظيمة
والهياكل الشاهقة لا يشتغلون بمثل هذا كما قدمناه في الكتاب الأول وقد
بسط المسعودي في مروج الذهب قصة خراب السد وأطال النفس في ذلك فانظر
ما شئت فلنذكر منه ما تيسر ذكره فنقول ذكر المسعودي أن أرض سبأ كانت
في القديم من أخصب أرض اليمن وأثراها وأكثرها جنانا وغيطانا وأفسحها مروجا
وبنيانا وكانت أشجارها متكاثفة وكذلك لها متنزه أكثر من مسيرة شهر في مثله
للراكب المجد ذاهبا وعائدا وكانت المرأة تخرج ومعها مغزلها والمكتل على رأسها
وهي تمشي تحت أغصان الشجر وتغزل فلا ترجع إلى بيتها إلا وقد امتلأ المكتل من
الثمار وكان لهم ملك عظيم وشوكة تامة وكانوا تاج الأرض وزينة الدنيا وكانت
أرضهم كثيرة الأنهار والمياه وكانت السيول تنزل عليهم في بعض الأحيان فربما
أضرت بهم وكان ملكهم في ذلك الزمان من أكابر ملوك حمير يقرب الحكماء ويحسن
إليهم ويعرف لهم حقهم فجمع منهم طائفة واستشارهم فيما يصلح بلاده
ويدفع عنها أذى تلك السيول فأشاروا أولا بحفر مصارف وفيها الحكماء ترتيب به

إلى البرار ثم تفرق به في البحر فأمر الملك بحفر تلك المسارب حتى انحدر الماء
فيها وتفرق في جهات لا ضرر عليهم فيها ثم بعد ذلك أمر بإنفاذ السد في الموضع
الذي كان منه ابتداء مجاري الماء فيما بين الجبلين فبناه من الحجر الصلد والحديد
وانحدروا في جوفه من أسفله ما يدخل منه الماء المحبوس خلف السد بين الجبلين
وكان عرض السد فرسخا في فرسخ بحجارة وبناء ذلك الحجر في جوفه حتى إذا فرغ نفذوه
من الجهة الأخرى التي فيها الجنات فحفروا فيه ثلاثين ثقبا فشتتوا في استدارة
الذراع طولا وعرضا مدورة على أحسن هندسة وأكمل تقدير فكانت المياه تخرج
من تلك الثقب في مجاريها حتى تأتي الجنان ومن ورائها سقيا وتعم الفروع شربا ومثله
الصفة التي ذكر في السد فما ألفت فيما ذكره البكري وغيره من المفسرين كما مر آنفا
فالله أعلم أي ذلك كان قال ثم إن تلك الأمم بادت وضعف بعد الزمان بقي بانيه
وكثير منها بكلكه وعمل الماء في أصول ذلك الحجر وأضعفه مر السنين عليه وتراجع
المياه حوله وقد قيل في المثل إن توالي قطرات الماء على الحجر الصلد تؤثر فيه
فما ظنك بسيل متراكم في حجر وحجر مصنوع فلما انقرضت دولة حمير وخلفتها
دولة كهلان قال ابن خلدون وكانوا بادية لم تعلم الدولة في انهيار السد وضعف
الجدار ولم يتداركوه فجاء الماء عند زيادته على السد والجدار في الضعف فغرق
به في جريه ورمى به في تياره وذلك في أول زيادته فاستولى الماء على تلك
الديار والجنات ففرقها وذهب بها قال المسعودي ولا خلاف بين أهل الرواية منهم
أن العرم هو المسناة التي أحكموا عملها لتكون حاجزا بين فيافيهم وبين السيول
فتجري فيه فأراد الله أن يكون ذلك الهدم في الأرض عقوبة كما أبادوا رغاء الكهوف من جوف
التنور وذلك مذكور في أشعارهم متواتر عند علمائهم وخاصتهم قال وكان
للملك عمرو بن عامر أخ كاهن يقال له عمران وكانت لعمرو زوجة كاهنة من
الحميرية من حمير يقال لها طريفة بنت الخير **قلت** عمرو بن عامر هذا هو عمرو
المعروف بمزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البهلول
ابن ثعلبة البهلول بن مازن السراج بن الأزد بن الغوث كان من كبار ملوك كهلان وإنما
قيل له مزيقيا لأنه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب فإذا أمسى مزقهما
أنفة أن يعود فيهما أو يلبسهما أحد غيره وقيل أبوه عامر ماء السماء لجوده وسخائه

وأما المنذر ابن ماء السماء اللخمي فتلك أمه من النمر بن قاسط لقبت بذلك
لحسنها وجمالها قال المسعودي وكان أول شيء عرف من أمر سيل العرم أن عمران
الكاهن مرة أخي كان نبيه أن قومه سوف يمزقون كل ممزق ويتباعدون في أسفارهم فذكر
ذلك لأخيه عمرو الملك وهو مزيقيا الذي كانت محنة العرم في أيامه وبينا زوجته
طريفة بنت الخير الكاهنة ذات يوم نائمة إذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت
أرضهم فأرعدت وأبرقت ثم أصعقت فأحرقت ما وقعت عليه فوقعت طريفة
لذلك وذعرت ذعرا شديدا وأتت الملك عمرا وهي تقول ما رأيت كاليوم ؞ قد
ذهب عني النوم ؞ رأيت غيما أبرق ؞ وأرعد طويلا ثم أصعق ؞ فما وقع على شيء إلا
أحرق ؞ فما بعد هذا إلا الغرق ؞ فلما رأوا ما داخلها من الرعب خفضوها وسكنوا
من جأشها حتى سكنت ثم إن عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان
له فبلغ ذلك طريفة فخرجت نحوه وأمرت وصيفا لها يقال له سنان أن يتبعها فلما
برزت من بيتها عارضها ثلاث مناجذ منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على
أعينهن وهي دواب تشبه اليرابيع تكون بأرض اليمن فلما رأتهن طريفة وضعت يديها
على عينيها وقعدت إلى الأرض وقالت للوصيف إذا ذهبت هذه المناجذ فأعلمني
فلما ذهبت أعلمها فانطلقت مسرعة فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها
عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت في الطريق على ظهرها وجعلت تروم الانقلاب
فلا تستطيع وتستعين بذنبها وتحثوا التراب على بطنها وجنبيها وتقذف بالبول
فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض فلما عادت السلحفاة إلى الماء مضت
طريفة إلى أن دخلت على عمرو الحديقة حين انتصف النهار في ساعة شديد حرها
فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح فنفذت حتى دخلت على عمرو ومعه جاريتان له على
الفراش فلما رآها استحيى منها وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش ثم قال هلمي
يا طريفة إلى فراشي فكهنت وقالت والنور والظلماء ؞ والأرض والسماء ؞
إن الشجر لتالف ؞ وليعودن الماء كما كان في الدهر السالف ؞ قال عمرو ومن خبرك
بهذا قالت أخبرتني المناجذ ؞ بسنين شدائد ؞ يقطع فيها الولد الوالد ؞ قال ما
تقولين قالت أقول قول الندمان لهفا ؞ قد رأيت سلحفا ؞ تجرف التراب جرفا ؞
وتقذف بالبول قذفا ؞ فدخلت الحديقة فإذا الشجر يتكفأ ؞ قال عمرو وما ترين

ذلك فقالت من رؤيا رأيته ركيمة، وقصيبة عكيمة، بأمور جسيمة قال وما هي
ويلك قالت أجل إنه فيما أرى الويل، وفالت فيما من سيل، فلما ولى الويل فما هي
بعد السيل فألقى عمرو نفسه على الفراش وقال ما هذا يا ظريفة فقالت من خطب
جليل، وحزن طويل، وخلف قليل، والقليل خير من تركه فقال عمرو وما علامة ما
تذكرين فقالت اذهب إلى السد فإذا رأيت الجرذ يكثر بيديه فيه الحفر، ويقلب برجليه
من الجبل الصخر، فاعلم أن الجرذ عقر، وأن قد وقع الأمر، قال وما هذا الأمر الذي
يقع قالت وعد من الله نزل، وباطل بطل، ونكال بنا نكل، فبغيرك يا عمرو فليكن
الثكل، فانطلق عمرو إلى السد يحرسه فإذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها
خمسون رجلا فرجع إلى ظريفة فأخبرها الخبر وهو يقول *

أبصرت أمرا عادني منه ألم * وهاج لي من هوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير أجم * أو تيس صرم من أفاريق الغنم
يسحب صخرا من جلاميد العرم * له مخاليب وأنياب قضم
ما فاته سحلا من الصخر قصم * كأنما يرعى حشيشا من سلم

فقالت له ظريفة إن من علامة ما ذكرت لك أن تجلس في مجلسك بين الجنتين
ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فإن الريح ستملأها من تراب البطحاء من سهلة
الوادي ورمله وقد علمت أن الجنان مظللة ما تدخلها شمس ولا ريح فأمر عمرو
بزجاجة فوضعت بين يديه ولم يمكث إلا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء
فذهب عمرو إلى ظريفة فأخبرها بذلك وقال متى ترين خراب السد فقالت فيما
بيني وبين سبع سنين قال في أيتها يكون قالت لا يعلم بذلك إلا الله ولو
علمه أحد لعلمته ولا تأتي علي ليلة فيما بيني وبين السبع سنين إلا ظننت
أن هلاكه في غدها أو في تلك الليلة ورأى عمرو في النوم سيل العرم وقيل
له إن آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت في سعف النخل فذهب إلى
النخل فوجد الحصباء قد ظهرت في سعفه فعلم أن ذلك واقع وأن بلادهم
ستخرب فكتم ذلك وأجمع أن يبيع كل شيء له بأرض سبأ ويخرج منها هو وولده
ثم خشي أن يستنكر الناس ذلك فصنع طعاما وأمر بإبل فنحرت وبغنم فذبحت
وصنع طعاما واسعا ثم بعث إلى أهل مأرب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر فاحضروا

كعادته ثم دعا ابنا له يقال له مالك وقيل إنه كان يتيما في حجره فقال له إذا
جلست أجمع الناس فاجلس عندي ونازعني الحديث واردده علي وافعل بي
مثل ما أفعل بك فجاءه أهل مأرب فلما جلسوا أجمع الناس وجلس عنده
ابنه الذي أمره بما أمره به فجعل ينازعه الحديث ويرده عليه فلطم عمرو
وجهه وشتمه فصنع هو بعمرو مثل ما صنع به فصاح عمرو وا ذلاه يوم
فخر عمرو يشتمه صبي ويلطم وجهه وحلف ليقتلنه فلم يزالوا به حتى تركه
وقال والله لا أقيم ببلد صنع بي فيه هذا وأراد بيع عقاره الذي فيه وأمواله
فقال الناس بعضهم لبعض اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه أمواله قبل
أن يرضى فابتاع الناس منه كل ما له بأرض مأرب وفشا بعض حديثه فيما
بلغه من شأن سيل العرم فخرج ناس من الأزد وباعوا أموالهم فلما أكثروا
البيع استنكر ذلك الناس فأمسكوا أيديهم عن الشراء فلما اجتمعت لعمرو
من ثمنها أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ثم تحمل في أهله وولده وتبعه
جل أهل سبأ ثم نقب الخلد السد من أسفله فوقع وإنما جئنا بهم وأخرب
أرضهم وأهلك بقيتهم قال وهب رأوا فيما يزعمون ويجدون في علمهم
أن الذي يخرب سدهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها
هرة فلما جاء زمانه وما أراد الله بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة
حمراء كبيرة إلى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة
فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد وحفرت حتى أوهنته
للسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل منه حتى اقتلع
السد وفاض الماء حتى علا أموالهم فغطاها ودفن بيوتهم في الرمل ففرقوا
ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهبوا أيدي سبأ وتفرقوا
أيادي سبأ ولما فصل مزيقيا فيمن تبعه من قبائل سبأ قالت لهم كاهنة لا تؤموا
مكة حتى آتي وما علمني ما أقول إلا الحكيم المحكم :: رب جميع الأمم :: من عرب وعجم ::
فقالوا لها ما شأنك يا كاهنة قالت خذوا البعير الشدقم :: فخضبوه بالدم ::
تكن لكم أرض جرهم :: جيران بيته المحرم :: فلما انتهوا إلى مكة وأهلها يومئذ جرهم
وكانوا قد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني إسماعيل عليه السلام

ان يسأل اليمن عمرو مزيقيا ابنه ثعلبة بيسلمهم المقام معهم الى ان يرجع اليه
رواده الذين ارسلهم الى ارتياد البلاد فيطلبون له موضعا يسعه ومن معه
من قومه فابوا عليه فاقتتلوا ثلاثة ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا
الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم
الحمى وما كانوا يدرون ما الحمى ببلادهم فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليهم
رواده فافترقوا باشارة لهيعة وقيل باشارة عمران الكاهن بن قيس ففرقة
توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام
فنزل الاوس والخزرج ابناء حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان
فنزلوا بالشام وغسان ماء قرب زبيد من واد به في كهيئة من اليمن الى الحجاز فشربوا
منه فسموا به وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقيا
وربيعة هو لحي بالتصغير فولي امر مكة وابنه عمرو بن لحي هو اول من غير الحنيفية
دين اسماعيل عليه السلام وملكت طريفة ايام مقام زوجها عمرو مزيقيا بمكة
وفي يوم وفاتها ولد شق وسطيح الكاهنان المشهوران اللذان بشرا بظهور النبي
صلى الله عليه وسلم ودعت بهما وقت الولادة فلكل واحد منهما وتفلت في فيه وزعمت انه
سيخلفها في علمها وكهانتها ثم ماتت من ساعتها ودفنت بالجحفة وعاش كل
واحد من شق وسطيح ستمائة سنة قاله ابن خلكان وقال غيره اكثر من ذلك
والله اعلم ولما افترقت الازد جعلت عمان دار ازد دبا وازد السراة ومرجع
الكل الى الازد بن الغوث كما قدمنا فلا يتكرر هنا ان الازد مختلفة باختلاف
المضاف اليه وقد قال الشاعر النجاشي

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل بها ريب من الحدثان
فاما التي صحت فازد شنوءة ... واما التي شلت فازد عمان

واعلم ان جماعة من المفسرين قالوا ان واقعة سيل العرم كانت في الفترة
التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول مشكل من وجوه احدها
ان المدة التي بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة والسلام
ستمائة سنة تزيد قليلا او تنقص قليلا وهذا امر لا شك فيه ثم الجمهور على ان
الغسانيين والانصار يجتمع نسبهم في عامر بن ثعلبة وتقدم ان عمرو باني

من قبلها الى عهد برو ومن تبعه عليه فعند نسبه وجدنا بينه وبينه احد عشر ابا
واذا عددنا نسب سليمان بن داود عليهما السلام الى عهد ابراهيم وجدناه يزيد
عليه باربعة اباء فرقا من قبلها على هذا متقدم على زمان سليمان عليه السلام
فكيف يكون بعد عيسى عليه السلام مع ان زمان عيسى متأخر عن زمان سليمان
عليهما السلام باكثر من الف سنة بكثير ثم انهم ذكروا ان ابا كرب احد
التبابعة المشهورين قد حارب الاوس والخزرج بالمدينة في مدة من المشرق
وذكر ابن الاثير وغيره انه كان معاصرا ليشتاسب احد ملوك الفرس الكيانية
وزمان يشتاسب كان قبل الاسلام باكثر من الف سنة ومعلوم ان الاوس والخزرج
ما كانت بالمدينة الا بعد تفرق اهل سبا بسيل العرم فكيف يكون ذلك بعد
عيسى عليه السلام ثم انهم قالوا ان هلاك اهل سبا وقع فيهم كان بسبب
تكذيبهم للرسل الذين بعثهم الله اليهم فيكون ذلك قبل عيسى فكيف اذ لم
يكن بعد عيسى رسول ولا سيما في ذلك الزمان زمان فترة وبقيت وجوه
اخرى تركناها فالصواب ان زمان هذه الواقعة قديم جدا وكذا قولهم انه
الشمر مرتاب في بلقيس يكفي انه غير صواب بما ذكرناه من ان نسب من قبلها يقتضي
انه متقدم على زمان سليمان عليه السلام والله تعالى اعلم *

(ولا تغتب احدا فكلنا * من رجل وامثلنا من علق)

هذا كالتعبير لقوله سابقا ولا تفاخر الخ سابقا فكم الغدر كانه يقول اذا وقعت
نفسك عن مفارقة الرذيل وفارقته فاياك ان يكون منك تنقيص لغيرك لا باللسان
ولا بالجنان اذ لا تلازم بين ان يكف الانسان نفسه عن قبائح الرذائل بمحو محاسنه
وبين ان ينسبه الى نقص في بنيه او عرضه او دينه او شيء مما يتعلق به فان
الاول هو كف النفس عن منافعة الرذائل مطلوب والثاني وهو نسبة عباد
الله الى النقص حرام قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم
عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن الاية
وعن ابن مسعود رضي الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب
لخشيت ان احول كلبا وعن محمد ابن ابي بكر رضي الله عنه انه قال لابنه
يا بني ان الله قد اخفى ثلاثا في ثلاث اخفى رضاه في طاعته فلا تحقرن

من الطاعة شيئا فلعل رضاه فيها وأخفى سخطه في معصيته فلا تحقرن من
المعصية شيئا فلعل سخطه فيها وأخفى وليه في خلقه فلا تحقرن من عباد الله
أحدا فلعله ذلك الولي ه وإلى هذا المعنى الأخير أشار من قال

فلا تحقرن شخصا من الناس علّه — ولي إله العالمين ولا تدري
فذو القدر عند الله خاف عن الورى — كما خفيت عن علمهم ليلة القدر

وقال آخر

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم — وما عليك إذا أذنبت من باس
إلا اثنتين فلا تقربهما أبدا — الشرك بالله والإضرار بالناس

وإن أضر الأشياء من أن تنسب عبدا من عباد الله إلى النقص لا تدري ما حاله مع الله فلا تحقرن أحدا وأما قولنا الناس كلهم من خلق واحد من علق فهما جملتان أتي بهما لغرضين مختلفين أما الأولى فإفادة أن الناس متساوون في الأصل ومتفاوتون في الأبدان وإذا كان كذلك فلا معنى للافتخار بعضهم على بعض وتنقيص بعضهم بعضا وأما الثانية فإفادة بأن أصل الإنسان من شيء حقير وهو مني وإذا كان كذلك فلا معنى للافتخار والترفع إلا بالتقوى والدين وإلا بالتكبر الذي أتاه على المخلوق وأما دليل الأولى فقوله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية وروى أبو داود والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مومن تقي وفاجر شقي أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن وروى أن عيسى عليه السلام سئل أي الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أي هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ه فالناس في أصل نشأتهم مستوون وفي الإنسانية متماثلون فلا يفضل أحد أحدا إلا بالتقوى والدين قال الشاعر *

إذا كان أصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين أقاربي

وأما دليل الثانية فقوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من

نقيضه خلفه بقرينة الاية وقال علي رضي الله عنه ما لابن ادم والفخر وانما اوله نطفة وءاخره جيفة وبقال اوله نطفة مذرة وءاخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما حامل للعذرة وبمعنى الشاعر الكلام الاول فقال

فيا عجبا من اوله نطفة * وجيفة ءاخره يفخر

ثم اكثر الناظم من المعنى بقوله

ولا تلزم المرء بعيوب اهله * فالمسك اصله دم في الغزل

والخمر منها كرم فبينهما * وبين اصلهما بحكم فرق

اللغة قوله لا تلزم المرء في المرء بفتح الميم وقد تضم وتكسر الرجل فان لم تات بالالف واللام قلت امرؤ والجمع رجال من غير لفظه والمسك بكسر الميم طيب معروف فارسي معرب وكانت العرب تسميه المشموم والخمر ما اسكر من عصير العنب خاصة هذا مذهب ابي حنيفة وقال مالك والشافعي وجماعة اهل الحجاز كل شراب مسكر يسمى خمرا وهو الصحيح لان تحريمها نزل وما بالمدينة خمر عنب قال ابن الاعرابي سميت الخمر خمرا لانها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها وقيل سميت بذلك لمخامرتها العقل وما عتق فلا خل ولا خمر اي خير ولا شر قال الشاعر

اذا المرء اني مغرم بلذ معايبهم * وانت لا خل عندي ولا خمر

قال ابو عمرو وبعض العرب يجعل الخمر للاشياء خيرا والخل يجعله منها شرا وبعضهم يعكس **الاعراب** قوله لا تلزم المرء في جملة ونعت بذلك من التي قبلها اغنى عن قوله ولا تنفير احدا واما ابن الفا منها والخ يعكسهما عليها في نها ابتداء فما ابتداء نه الاولى غير انها اولى بتادية المراد منها فكانه يقول في تنفير احدا وان كان اصله نافصا نكير فاما لوله في قول الشاعر

اقول له ارحل لا تقيمن عندنا * والا فكن في السر والجهر مسلما

من ان الثانية اصرح في الاضمار كراهة اقامته من الاولى وتلزم مضارع الزم الرباعي مجزوم بلا الناهية والمرء مفعوله الاول وبعيوب اهله مفعوله الثاني وقوله فالمسك اصله دم في علة للنهي والمسك مبتدا اول واصله مبتدا ثان ودم خبر المبتدا الثاني والجملة الصغرى من المبتدا وخبره خبر المبتدا الاول والرابط الضمير في اصله قوله والخمر منها كرمة في الخمر مبتدا وجملة الشرط بعده خبر له

وقد استعمل البنا لهم مثنى مثنى بمعنى الكثرة أي مثنى بعد مثنى ومنه قول ابن مالك
وقد تقدم التنبيه على ذلك عند قوله ولم تخف من شاعر منهما انتهى البيت
وقوله بينهما وبين أهلها في الفاء أو أطلق في التقدير على بعض الأمر الواقع في آخر
البيت أعني قوله فرد وبينهما وبين أهلها متعلق به وعلى كذلك والفاء فيه
يحتمل أن تكون بمعنى في ويحتمل أن تكون للإلة على جعل الحكم في الغد للتعقيب مجازا
وأبطله في محل جزم جواب الشرط لاقترانه بالفاء وفي الكلام استخدام فإنه أعاد
الضمير على الخصم لا باعتبار معناه الحقيقي بل باعتبار أنه أفضل والله أعلم
معنى الكلام يقول لا تفضل أحدا من خلق الله وإن كان أفضلهم نافعا
لأن التعظيم بالآباء من أخلاق الجاهلية كالافتخار بهم **وقد قال** رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين عير بلالا بأمه أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك
جاهلية أي خصلة من خصالها وذلك أنه غير لازم ولا مفكر وقد يكون الأصل
خسيسا والفرع شريفا نفيسا كالمسك فإن أصله الدم الغزر وقد أثنى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله كما في صحيح مسلم المسك أطيب
الطيب وكما قيل فإن أصله الخمر النجسة **وقد** أثنى عليه صلى الله عليه وسلم
كما في الصحيح أيضا بقوله نعم الإدام الخل وقد أحسن ابن الرومي في قوله

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علت برسول الله عدنان

والبيت الأول للناظم مأخوذ من قول أبي الطيب *

رأيتك في الذين أرى ملوكا * كأنك مستقيم في محال

فإن تفق الأنام وأنت منهم * فإن المسك بعض دم الغزال

وللبيت حكاية قال الراهي قال أبو العباس محمد بن أحمد النشا عن كان سيف
الدولة يسر بمن يحفظ شعر أبي الطيب فانشد يوما: رأيتك في الذين أرى ملوكا
فقلت وكان أبو الطيب حاضرا هذا البيت وإن يتلوه لم يستنزل البيت
فقال سيف الدولة كذا أحسن النقد أن أبا الفضل محمد بن الحسن قال لما قلت
ما يجب أبو الطيب وأنشد فأردت أن أحركه فقلت الأول فيه عيب في الصنعة
فالتفت أبو الطيب التفات حنق وقال وما هو قلت قولك مستقيم في محال والمحال
ليس من غير الاستقامة بل ضدها الاعوجاج فقال الآن أصب النظير فإنه جعلية

وكيف تعمل في تغيير ما فيه النتن فعلت فعله الكرجع الكرم :: فإن الفأر بعض
دم الزهلاج :: فتممت ثم مر في سيرة الأزهر وقال أحسن مع هزله السرعة إلا أنه
يصلح أن يباع في سوق الكيمياء لأنها فرغ به أمثالنا يا أبا العسرة وقد
ضمن بعضهم عجز بيت الكتاب تضمينا حسنا حيث قال

وقالوا يا العذار تسل عنه * وما أنا عن غزال الإنس سال
وإن أبدى العذار سواد مسك * فإن المسك بعض دم الغزال

وقال آخر

جرحت بناظري خديه لما * فقالوا خاله أثر اندمال
ولما فاح فيها فتيل مسك * فقلت المسك بعض دم الغزال

الفصل في المسك وحقيقته

اعلم أن في كلام الناس تخبيرا اختبرناه أنه ذكر أن المسك أصله دم سبع
انعقد وإنما ذكره الأثبات من نقلة الأخبار وغيرهم من أن
أصله دم في سرة الظبي فقال أصحابنا فإن المسك نوعان النوع الأول
دويبة تكون في بلاد التبت تشبه الغزال في قدرها وشكلها فإذا هيجت سرتها بعصا
وضرب متوالية فيجتمع فيها دم فإذا أحكم ذلك ذبحت فإذا ماتت قورت
السرة التي عصبت ثم تدفن في الشعير حينا حتى يستحيل ذلك الدم المحتقن
هناك الجامد بعد موتها مسكا ذكيا بعدما كان لا يرام نتنا وما أكثر من الفهما
عندنا بعض الفأر والنوع الثاني ذا سرة تكون في البيوت ليس عندها
إلا تلك الرائحة اللازمة لها وهذا النوع رائحته كرائحة المسك إلا أنه
لا يؤخذ منه المسك وقال المسعودي في مروج الذهب لا فرق بين غزال الصين
وغزال المسك في الصورة والشكل واللون والقرون وإنما تفترق في أن لغزال المسك
أنيابا كأنياب الفيلة لكل ظبي نابان خارجان من الفك الأسفل قائمان
منتصبان أقل من شبر فينصب لها في بلاد التبت الحبائل والشرك
فيصطادونها وربما رموها بالسهام فيصرعونها ويقطعون عنها نوافجها
والدم في سررها خام لم ينضج وطري لم يدرك فيكون لرائحته سهوكة فيبقى زمانا
حتى تزول عنه تلك الرائحة الكريهة ويستحيل مسكا وسبيله سبيل الثمار

إذا قطعت من أشجارها قبل استحكام نضجها وخيف المشتري ما نضج في وعائه
والحاصل في شجرته واستحكم في حيوانه بعد تمام موادّه فإن الطبيعة تدفع
مادة الدم التي في شجرته فإذا استحكم تكون الدم فيها ونضج فلذا إذا ذلك
واستحب حكه فيقع حينئذ أن الصخور والأحجار الحارة من الشمس فيشتد فيها
مستلذة الأكل فينفجر ويسيل على تلك الأحجار كانفجار الخراج والدمل إذا انتهى
فيه عند ترادف المواد عليه فيجمد ويخرج من موضعه لذلك وراحة فإذا الوضع فإذا جا فينشفه
وتقسيم ذلك الشراك ومن أسماء بالفارسية نافه وك حينئذ بعث الله مادة من
الدم تجتمع ثانية كما اجتمعت أولا فيخرج رجال التبت ويقصدون مراعيها
بين تلك الجبال والأحجار فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور وقد أحكمته
المواد وأنضجته الطبيعة في حيوانه وجففته الشمس وأثر فيه الهواء فيأخذونه
فذلك أفضل المسك فيودعونه نوافج عندهم فذا أخذوها من غزلان اصطادوها
معرفة معهم فذلك المسك الذي تستعمله ملوكهم وتتهاداه بينهم وتحمله التجار
في البلاد من بلادهم ه كلام المسعودي وقد حكى داود الأنطاكي في التذكرة
عن المروج بعض هذا الفصل مما نقلناه عنه ولعله ذكره في موضع آخر لم نعثر
عليه والله أعلم وقال الحافظ ابن حجر في الفتح المشهور أن غزال المسك
كالظبي لكنه لونه أسود وله نابان لطيفان أبيضان في فكه الأسفل وأن
المسك دم يجتمع في سرته في وقت معلوم من السنة فإذا اجتمع ورم الموضع
فيمرض الغزال إلى أن يسقط منه ويقال إن أهل تلك البلاد يجعلون لها أوتادا
في البرية يحتك بها ليسقط ونقل ابن الصلاح أن النافجة في جوف الظبي
كالإنفحة في جوف الجدي وعن الكبير أنها تلقيها من جوفها كما تلقي الدجاجة
البيضة ويمكن الجمع بأنها تلقيها من سرتها فتتعلق بها إلى أن تحتك ه وأما
البحث الثاني فإنه ذكر أن المسك منها كما تقدم ت أي تحللت وجفت البقية فقد ينفصل
وبين أصلها في الحكم بأن يحكم على الأصل بالنجاسة والعفونة وعلى الفرع بالكمال
والحلية وفي المقام تفصيل وخلاف قال النووي أجمعوا على أن المسك إذا انفصلت
بنفسها حال الحياة وحكي عن سحنون المالكي أنها لا تطهر فإن صح عنه فهو محجوج
بالإجماع من قبله قلت المذكور في كتب المالكية أن الخلاف في ذلك موجود وهاء

وسمي من تلك منزلة سميت رُوِّينا أنها إذا خُلّلت بفعل فاعل فمذهب الشافعي وأحمد والجمهور
أن الخل لا يجوز وإذا وقع ونزل فلا تطهر لأن الخمر يجب إراقتها وقال الأوزاعي
والليث وأبو حنيفة تطهر وعن مالك ثلاث روايات أصحها أن التخليل حرام
فلو خللها عصى وطهرت والثانية حرام ولا تطهر والثالثة حلال وتطهر
قاله النووي رحمه الله وإنما جعل الله ثمن الخمر أهلا للتخليل لأنهم يقولون
أن العنب لا يصير خلا حتى يكون خمرا ذكره الشيخ أبو عبد الله المغربي في كتابه
المسمى بتعلم الكلام في سلوك الإمام **قلت** والعرب تكني الخمر أم الخل ومن
عقال الناس كنية أسد بن حزام الأسدي فاستشفعا له الناس فجلبت له خمرا وعلالة
فلما شربه فسكر ولم يفق ثلاثة أيام فقال مزرد أسرع في ذلك عند

سقيت عقال الناس بالعشية شربة ... فمالت بعقل الكاهلي عقال
رميت بأم الخل حبة قلبه ... فلم يستفق منها ثلاث ليال

ومن جعل أبو الأسود الدؤلي نبيذ الزبيب أخا الخمر فقال لقد كتب عبد الله
كان مولعا بشربها

دع الخمر تشربها الغواة فإنني ... رأيت أخاها مغنيا عن مكانها
فإن لا يكنها أو تكنه فإنه ... أخوها غذته أمه بلبانها

ومما يتعلق بتخليل الخمر ما حكي أن أبا بكر بن العنكبي كان قد أعد خمرا ليشربها
فتخللت فقال فيها

أبا حسن إني عجبت لخمرة ... تروق وتنفي الهم عند احتيالها
عرفت بنت بشكلام بن قيس بن ثابت ... وأمست كجسم الشنفري بعد خاله

كان بشكلام بن قيس الشيباني الفارس المشهور يكنى أبا الصهباء فلذا قال
عرفت بنت بشكلام بن قيس لأن الصهباء من أسماء الخمر وقوله وأمست
كجسم الشنفري بعد خاله يشير إلى قول الشنفري يرثي خاله

إسقنيها يا سواد بن عمرو ... إن جسمي من بعد خالي لخل

والخل معناه هنا النحيف المهزول وكان أبو بكر بن عمرو قد أمر بخمرة وتركها
بعضها إلى الليل فصارت خلا فقال

الذي سبيل اللهو كأس قراقة ... أتتنا بطعم عهدنا غير ثابت

حكت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وافتتنت بحسن الشنفرى وبعد ثابت
وثابت هو خال الشنفرى وهذا من البحر المسمى بالجناس المعنوي في كتب أصحاب
البديعيات والله تعالى أعلم

ولا تؤيسن كافيها في رتبة * لينيلها تمثيلا لمن يرتقي
فالزرد يوم الغار لم يثبت له * بصر وكان الفضل للخذرنق

اللغة قوله ولا تؤيسن كافيها الإياس ككتاب الفتوح كاليأس بتقديم الياء على الهمزة وهذا هو الأصل والأول مقلوب منه في قول بعضهم وأيسني منه وأيسني كأفنكني وفنكني وزنا ومعنى وقد قرئ إنه لا ييأس من روح الله ونحوها بزيادة بتقديم الياء على الهمزة على الأصل وبالعكس على القلب قوله في رتبة الرتبة بالضم المنزلة والمكانة والجمع رتب كغرفة وغرف قوله لينيلها أي لأن ينالها وإنما بنيتها قوله تمثيل له التمثيل والتمثل كالمثيل والمثل وزنا ومعنى واعلم أن هنا ثلاثة ألفاظ التمثيل والتشبيه والمثيل وهي مترادفة عند اللغويين في الثلاثة وأما في عرف المتكلمين فالتمثيل المشاركة في بعض الأوصاف ولو من وجه واحد والتشبيه المشاركة في أكثرها والمثيل المشاركة في جميعها قاله السيوطي في جواب له في الفرق بين هذه الثلاثة ويجب حمل كلام الناظم على عرف المتكلمين ليصح معناه قوله فالزرد يوم الغار أما الزرد فبالتحريك وهو الدرع المزرودة والزراد صانعها وسكنه الناظم ضرورة والغار قال الزمخشري نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة مكث فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ثلاثا والخذرنق بخاء وذال معجمتين وسكون الراء والنون مهملة قاله ابن جني وقال في درة الغواص يجوز في الذال الإعجام والإهمال وهو العنكبوت أو العظيم منها قال الراجز

ومنهل طام عليه الغلفق * ينير أو يسدي به الخذرنق

وقال المتنبي يصف رماحا

مواضي نسج داود عندها * إذا وقعت فيه كنسج الخذرنق

ويجمع الخذرنق على خذارق والله أعلم **الإعراب والتصريف** قوله

وخذارق

ولا تنوين لا نافية وتنوين مجرور بها ويجوز ابدال همزته واوا مخففة في
جنس حركة ما قبلها وعليهما قراءة نافع من رواية ورش عنه والله يؤيد
بنصره من يشاء وما اشبهه وكذا معنا مفعول له وفي رتبة متعلق به ونكرة لا مبتدا
وجملة لم يزن توخيره ولنيلها متعلق به واللام بمعنى الى والجملة الكبرى في محل
النعت لرتبة والرابط منها الضمير في نيلها قوله فلا تزده يوم الغار في الفداء
تعليلية والزرد مبتدا وسكن الثاني منه عينه ومد الراء ضرورة كقول الراجز

يا عمرو يا ابن الاكرمين نسبا * قد نحب المجد عليك نحبا

فسكن السين من نسبا ضرورة وجملة لم يثبت له في محل خبر المبتدا ويوم الغار
ظرف يتعلق به فدى عليه والف الغار منقلبة عن واو وجملة وكان الفضل
للمتقدم معطوفة على الجملة الواقعة خبرا والله اعلم **ومعنى الكلام**
هذا ايضا من معنى ما قبله لانه كما انه لا تلازم بين حداثة الاسنان وبين عدمه كذلك
لا تلازم من باب اولى بين سبقه بمزية التقدم وتاخيره ويجب ان يعتبر التقديم مثلا
بالمساواة في تقديم الاول وعدمه دون تقديم كما ان المساواة في السن او في النسب او في
النسب او غيره ذلك **اما المساواة** في السن فكم رأينا من صغير تراس كبير قد سمت
بأحد همته الى المعالي فنالها شابا وفعل ما لا يفعله الشيخ حتى يفني في التحصيل
وما يستشهد به في هذا المعنى ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ان يحيى بن اكثم قاضي
المامون كان قد ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة او نحوها فاستصغره اهل
البصرة فقالوا كم سن القاضي فعلم انه قد استصغر فقال انا اكبر من عتاب بن
اسيد الذي وجهه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وانا اكبر
من معاذ بن جبل الذي وجهه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن وانا اكبر
من كعب بن سور الذي وجهه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا على البصرة
فجعل جوابه احتجاجا له **واما المساواة** في النسب فكم من اخوين كان بينهما من
التفاوت والبون ما بين الضب والنون كما قال الشاعر

علي وعبد الله منهما اب * وشتان ما بين الطبايع والفعل
اخ ترى عبد الله يلحي على الندى * عليا ويلحاه علي على البخل

وقال الاخر

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى فتى الأزد للأموال غير مسالم
فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

وقال آخر

أبو الجسر الكئيب وفتى عبيد أبو البركات في كرم بن نعيض
وهذا بالتواضع في الثريا وهذا بالتكبر في الحضيض

وقصد ابن أبي عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشيء فانصرف مغضبا فبعث إليه داود بن يزيد بن حاتم بعشرة آلاف واعتذر إليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم عجبا لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد نصفا وباقيه لحش يهود
فالحش أنت له وذاك لمسجد كم بين موضع مسلح وسجود

وهذا كثير وإنما مثل هذا بين سبعتنا وخطوكم قسمت وأفراد نعزت وقرن مع رثيف من أربع واشتد البناء عليهم على ما ذكر في محنة الحرورية وبين أن نسج العنكبوت أفاده ما لم تفده دروع الحديد مع أنه لا نسبة بينه وبينها فضلا عن أن يكون نكتة لها والله أعلم

ذكر حديث الغار *

وذلك أن قريشا كانوا قد تعاقدوا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فأمره الله تعالى بالخروج من بين أظهرهم فخرج هو وأبو بكر رضي الله عنه من أول الليل إلى الغار الذي بجبل ثور وأمر عليا أن يضطجع على فراشه ليمنعهم سواده من طلبه فلما علمت قريش بخروج النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في طلبه فلما دنوا من فم الغار بكى أبو بكر رضي الله عنه خوفا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تحزن إن الله معنا وقيل لما صعد المشركون فوق الغار أشفق أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وبعث الله حمامتين فباضتا على فم الغار وأمر العنكبوت فنسجت عليه وقال عليه السلام اللهم أعم عنا أبصارهم فقال آخرهم ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم إلى الغار إن عليه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد فقالوا لو دخل لتكسر البيض وتفسخ العنكبوت

قال في المواهب وهذا أبلغ في الإعجاز من مفاوقة القوم بالجنود وإلى ذلك يشير
الشرف البوصيري رحمه الله بقوله

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

وقال ابن النقيب

ودود القز إن نسجت حريرا يجمل لبسه في كل شي
فإن العنكبوت أجل منها بما نسجت على رأس النبي

وقال غيره

نسج داود لم يفد ليلة الغا ر وكان الفخار للعنكبوت

قلت وهذا البيت من أبيات نكتة معناها الناظم وإياه قصد وله خبر ممتع
قال ابن خلكان وقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعر أبي يوسف يعقوب بن
صابر المنجنيقي ورأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء
ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما

الغنى في لكن بأن غير تنى فتيقن أن لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالعنكبوت

قال فعمل ابن صابر جوابهما فقال

أيها المدعي الفخار دع الفخـ ـر لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا ر مزيل فضيلة الياقوت
وكذا النعام يلتقم الجمـ ـر وما الجمر للنعام بقوت

ه وما ذكره من أن البيتين لم يعرف قائلهما وأن الجواب عنهما لابن صابر يخالف
ما ذكره البلوي في رحلته عن شيخه أبي عبد الله محمد بن عيسى الكناني من أن الخليفة
الناصر كان وزيره ناصر بن مهدي كثير المخالفة له والاعتراض عليه فأقسم الخليفة
لمن عاد للاعتراض [illegible] أو أمر يخير فعاد الوزير المذكور لما نهي عنه
فبرز الخليفة من يغلق أبوابه فمضى في مرة أشار بما معه للذين يتعلق تعلقا
المواثيق فاستوزره فكتب إلى أمر الخلافة أحسن ترتيب وكتب الوزير المعزول إلى الخليفة

بالمشتير وقال العبدري البلوي كان اسمه ياقوت فلما وزر غير نفسه به فلما خلع
الخليفة عليهما الوزير الجرير فأجاب عنهما بالأبيات الاربعة والله أعلم
بحقيقة الأمر ثم تكلم ابن خلكان على الأبيات فقال أما البيت الأول فإن
الياقوت من خاصيته أن النار لا تؤثر فيه وإلى ذلك أشار الجرير بقوله

وكلما أصلى الياقوت جمر مضى ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

وأما قول ابن جابر في البيت الثالث وصفا السمندر في لهب النار فالسمندر بفتح
السين المهملة والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ويقال السمندل بزيادة اللام
ذكروا أنه حيوان يقع في النار فلا تؤثر فيه **قلت** وكونه حيوانا هو المشهور
وقد قيل أنه دابة دون الثعلب خلنجية اللون حمراء العينين ذات ذنب طويل
ينسج من وبرها مناديل إذا اتسخت ألقيت في النار فتنصلح ولا تحترق وقال البلوي
بأنه كما يزعمون أنه ببلاد الهند يبيض ويفرخ في النار وهو بالخاصية لا تؤثر
فيه النار ويعمل من ريشه مناديل تحمل إلى بلاد الشام فإذا اتسخ بعضها طرح في
النار فتأكل النار وسخه الذي عليه ولا يحترق المنديل وقال آخر ومن كلامهم
إذا امرؤ دخل نار الأتون وخرج من النار أو نارا حامية غيرها فمكث ساعات فيخرج
سالما وإياه عنى ابن جابر بقوله *

وكما من يسبح في جاحم كأنما يسبح في غمر

قال الجاحظ وفي السمندل آية غريبة وصنعة عجيبة وقد اتخذها أولو التفكر
وسببا للتعجب وذلك أنه يدخل أتون النار فلا تحترق له ريشة قال ابن خلكان
ولقد رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة وهي في طول الحزام
وعرضه فجعلوه على النار فما عملت فيه فغمسوا أحد جوانبه في الزيت وتركوه
على فتيلة السراج فاشتعل وبقي زمانا طويلا يشتعل ثم أطفئوه وهو على حاله
ما تغير منه شيء ويقولون أنه يجلب من بلاد الهند وأن هذا الكلام يكون مناحل
وفيه نكتة ينبغي أن نذكرها وهي أن كرفت تلك القطعة لنا ووضعوه على السراج
تركوه زمانا طويلا والنار لا تعمل فيه فقال بعض الحاضرين من هذا ما تعمل فيه النار
ولا كرا غمسوا هذا الطرف في الزيت ثم اجعلوه على النار فجعلوا ذلك فاشتعل
بكلهم من هذا أن النار لا تؤثر فيه على تجرده بل لابد من غمسه في شيء من الأدهان

ثم رأيت بخط شيخنا قدوة الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في كتابه الذي
جعله لنفسه سيرة أنه قدم للملك الكامل بن العادل الناصر صلاح الدين صاحب
حلب قطعة سمندل عرض ذراع في طول ذراعين فصاروا يغمسونها في الزيت
ويوقدونها حتى يشتعل الزيت وترجع بيضاء كما كانت. والقصد الأعلم من كلام ابن
خلكان. واعلم أن مثل ما ذكره في السمندل ذكروه أيضا في الشرفوت بوزن برغوث
كما عند صاحب القاموس أو بوزن ملكوت كما عند ابن خلكان وهي دويبة تعيش
في كور الزجاجين حال توقدها واضطرامه وتبيض فيه وتفرخ ولا تعمل شيئا إلا في
موضع النار المستمرة الدائمة قاله ابن خلكان. وقال في القاموس سرفة دويبة
كشحمة ابن عرس تتولد في كور الزجاجين لا تزال حية ما دامت النار متضرمة فإذا
خمدت ماتت. تنبيه: مما يذكر في هذا السبيل ما ذكره صاحب القاموس
في السين قال القفنس كعملس طائر بمكة منقاره أربعون ثقبا يصوت بكل
الأنغام والألحان العجيبة المطربة يأتي إلى رأس جبل فيجمع من شاء ويقعد ينوح الحطب ما
على نفسه أربعين يوما ويجتمع إليه العالم يستمعون إليه ويتلذذون ثم يصعد
على الحطب ويصفق بجناحيه فتنقدح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى
رمادا فيتكون منه مثله. ذكره ابن سينا في الشفاء. وذكر المسعودي
في مروج الذهب عن كثير من حكماء الترك قال إن بلاد أرضنا إذا اشتعلت من احتكاك
من الشجر ووقعت من الرعد أو النار الغضاء سمعت في الجو أصوات الهواء البارد الكثيف
فإذا نزلت دواب تتشكل منها لا بقدر ثمة بها فلا تلبث أن تغدو وتتغذى بنوع الغذاء فيها
وأنهم ربما وجدوا في أودية منها من تلك الدواب أشلاء. وقد قال جالينوس إن الهواء
حار رطب والبرد يعرض فيه لعلو الرياح المرتفعة ولا يخلو جو من شيء فيه
وذكروا عن بلينوس أنه قال الواجب إذا كان للعنصرين الأثقلين متشكلين يعني الأرض
والماء خلق وشاكل أن يكون للأخفين متشكلين الأعليين يعني الهواء والنار خلق وشاكل
ووجدت في بعض أخبار الرشيد أنه خرج ذات يوم إلى الصيد ببلاد الموصل
وعلى يده باز أشهب فاضطرب على يده فأرسله فلم يزل يعلو حتى غاب في الهواء ثم
أقبل بعد اليأس منه وقد علق به دابة تشبه الحية أو السمكة ولها ريش كأجنحة
السمك فأمر الرشيد فوضعت في طست فلما عاد من قنصه أحضر العلماء فسألهم

متى تعلمون للعنقاء شأنا فقال له قل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله
ابن عباس ان العنقاء معمرة باقية مختلفة الخلق وفيه شكل من كل ما فيها منا د واب
تبيض في الهواء وتفرخ فيه فيزعم العنقاء العليم وتربيها حتى تنشأ في هيئة
الحيات أو السمك لها أجنحة ليست بذات ريش فتأخذها بذلك فيغرب تكون بأرمينية
فأخرج الرشيد الطست الذي هو وأراهم الدابة وأجاز منها بثلاث وفواجه في غير
واحد من أهل التحصيل بمصر وغيرها من البلاد أنهم رأوا في الجو حيات تسعى
كأسرع ما يكون من التبن وبيضا وأنها ربما وقعت على الحيوان في الأرض فتقتله
وربما سمع لهم أجنحة من الليل وهم كثيرا في الهواء صوت كنشر ثوب جديد ومنهما يقول
من لا علم عنده ان هذا صوت ساحرة تطير ذات أجنحة من قصب وللناس كلام كثير
فيما ذكرنا واستدلالهم بما يحدث في الاستقصات من الحيوان وانه يجب على هذه
القضية ان يحدث من العنصر بين الخفيفين ومنها الهواء والنار حشو وحيوان كحوزوته
من الثقيلين ومنها الأرض والماء هو كلام المسعودي ومما ذكره في قصة الرشيد
مثله عند صاحب الحياة انهما رد عنده وقد رأيت مثل هذا الاخبار في عجائب المخلوقات
وان تتبع بعضها بعضا وأتممنا بها الفائدة والله تعالى الموفق *

(وفوقس حاجب بن زمنها لسرى * كسرى الكماة فلبه بما لقي)

اللغة قوله وقوس حاجب القوس بفتح القاف واسكان الواو التي يرمى عنها معروف وقد تذكر
وتؤنث بتأنيث فالاقتصار في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس والجمع قسي على القلب
بتقديم اللام على العين وأقواس وقياس ومن القياس ونويعهم عن قوس واحد
مثل في الاتقان وحاجب رجل يأتي خبره قوله بن زمنها لمرو كسبني الزمن بفتح
مشكور مصدر ومنه المتاع بالزين زمنا حبسه به فهو مزمور ومن قسمية بالمصدر
وهو مأخوذ من زمن الشيء زمونا اذا ثبت ودام وكسرى بكسر الكاف وبفتح
لقب لملك الفرس معرب خسرو بضم الخاء وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون
الواو ومعناه واسع الملك وكل من ملك الفرس يقال له كسرى كقيصر لملك الروم
وتبع لملك اليمن ومن عون لملك القبط وخاقان لملك الترك وبلقري بكسر الموحدة
وفتح اللام وسكون الهاء ومقصورا لملك الهند كذا عند الغ ناقلا عن بعض شيوخه
من يعول عليه وعلى ضبطه وأتى في القاموس ان لقب ملك الهند بلهور كسنور

قال المسعودي ويُقال بغبور بغين معجمة بدل قاف كعصفور لملك الصين وذكروا
ألقابا أخر لملوك أخر لا تخلو من نكر قوله الكلمات قلبه الكلمتان القلب سكونه
وعرفُ قلعه والاسمُ الكلمة فيه بضم الكاف وفتح الميم وسكون الهمزة وتبدل
ألفا والكلمات بالموضع أقام به واتخذه وكمنا موضع مكمن منخفض والله
أعلم **الإعراب والتصريف** قوله وقوس حاجب مبتدأ وجملة
الكلمات قلبه خبره وبين جنبيها متعلق بالكلمات فيه عائد عليه والضمير المضاف إليه
يعود للرابط بين المبتدأ والخبر والمعنى أن قوس حاجب قد حصلت الكلمتان
لقلب صاحبها بسبب رميها والذي كسرى متعلق برمي وكسرى مضاف إليه مجرور
بفتحة مقدرة في الألف لكونه ممنوعا من الصرف للعلمية والعجمة أو للعلمية
وألف الإلحاق **وإن قلت** الكثير لفظ كسرى لقبا لكل من ملك الفرس فهو شائع
فكيف يكون علما **قلت** هو علم جنس وعلم الجنس قياسا لعلم الشخص
في الأحكام اللفظية واختلف علماء النحو في كيفية كتب كسرى فمنهم من كتبها
بالألف نظرا للفظ مجعولة الألف عين ممالة ومنهم من كتبها بالياء نظرا
ترجع إلى الياء عند إضافتها إلى الضمير في لديك ولديه وقوله بما لقي جار
ومجرور يتعلق بالكلمات ومن بمعنى لام التعليل أو من الابتدائية وما موصول
اسمي وجملة لقي صلته والعائد محذوف أي لقيه والذي لقيه هو الجزاء والضمير
إلى صاحب أو فرسه كما يأتي في القصة والله أعلم **ومعنى الكلام** من هذا البيت
شاملة إلى آخره لما ذكره الناظم رحمه الله من أن التميمي فر يعدو وتبعه حتى
ينتهي للأمر إلى أخذ منه بالعهد ويشترط أن يعطى الأمان من الجنس بواحدة من هذه القوس
كانت من جملة الأفراس التي تسع وعشرة دراهم وقع ذلك بعد ما حصلت لها
مزية كبيرة . واكتسبت صاحبها منقبة خطيرة . وأحيت أمة من الأمم . واشتهر
ذكرها عند العرب والعجم . ولنذكر القصة فنقول

* خبر حاجب وقوسه

هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن
مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي من الدارميين أحد أشراف بني تميم وسادتها في
الجاهلية وممن إليه مثال العزة والفخر

ومنا الذي احيا الوئيد وغالب * وعمرو ومنا حاجب والاقارع
وكان حاجب هذا عاش عشرين اخوة له وهو اشهرهم وانبههم قال الجوهري حاجب
ابن زرارة سيد بني تميم في الجاهلية غير مدافع وقال الخطابي بيوتات العرب ثلاثة
فبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة وبيت قيس بنو فزارة وبيت بكر
ابن وائل بنو شيبان ومركزه بنو ذي الجدين واما قوسه فكان من خبرها ان حاجبا
كان وفد على كسرى وهو ابرويز بن هرمز بن انوشروان في جدب اصاب مضر بدعوة
النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسني يوسف فاتى حاجب كسرى لما منع تميما من ريف العراق واستاذن عليه
فاوصل اليه اسيد العرب انت فقال لا فقال اسيد مضر انت فقال لا فقال اسيد بني ابيك
انت قال لا فاذن له فلما دخل عليه قال من انت قال سيد العرب فقال اليس قد
اوصيناك اليك اسيد العرب انت فقلت لا حتى اقتصرت بك على بني ابيك فقلت لا
فقال ايها الملك اني لم اكن كذلك حتى دخلت عليك فلما دخلت عليك صرت
سيد العرب فقال كسرى املؤوا فاه درا ثم سأله حاجب ان ياذن له ولقومه
في دخول الريف من بلاده حتى يحيوا الى ان يصيبهم الحيا اي المطر فقال كسرى انكم
معاشر العرب قوم غدر فاذا اذنت لكم افسدتم البلاد واغرتم على العباد
واذيتموني فقال حاجب اني ضامن للملك ان لا يفعلوا فقال له فمن لي بان تفي انت
قال ارهنك قوسي فلما جاء بها ضحك من حوله وقالوا له لهذه العصي تفي
فقال كسرى ما كان ليسلمها في شيء ابدا فقبضها منه واذن لهم فدخلوا الريف
ثم ان مضر اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد هلك
قومك واكلتهم الضبع يريدون السنة الشديدة فادع الله لهم فدعا لهم
النبي صلى الله عليه وسلم فاحيوا اذ اصابهم الحيا فعادوا زوا بيه واخصبوا
وارتحلت تميم الى بلادهم وقد هلك حاجب فارتحل ابنه عطارد بن حاجب
رضي الله عنه ووفد على كسرى يطلب منه قوس ابيه فقال له ما انت بالذي
رهنتها قال اجل ايها الملك قال فما فعل راهنها قال هلك وهو ابي وقد وفى
له قومه ووفى هو للملك فردها عليه وكساه حلة فلما وفد عطارد رضي
الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد تميم وهو رئيسهم اسلم معهم

بن ذبيان بن بغيض

رجل من

وأضافه وأهدى إليه تلك الحلة فلم يقبلها صلى الله عليه وسلم فباعها
من اليهود بأربعة آلاف درهم وتمامها وعزة القصة في القاموس قال
بعد ما ذكره والقوس سنان بن عامر به رهن قوسه على ألف بعير في الحرب
ابن كلثوم عند النعمان الأكبر قال في ثمار القلوب يتكلمون كثيرا فلان كحاجب ان
قوسه منزلة القضية أي معروفة فضلا عن الفخامة بأرويا في الكول مشتغيم وبقيت
تلك القوس عند وليه كما رد بن حاجب بنوا زرارة وصارت مفخرة لبني
تميم وقد افتخر أبو العلاء المعري حيث يفضل عمه النابغة الرأس على منزلة القوس
فقال * عمو النشيد أخصى نسيم من ربع عامر   وأشرف عند العز من قوس حاجب
الإشارة فيه إلى نوع القبائية وعلا من عز ملاعب الأسنة وقد أبدع أبو تمام
في ذكر قوس حاجب من قصيدته المشهورة التي مدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى
العجلي وهو من أربعة فقال * ا *

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها   وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم   عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

وقال آخر في التغزل * ا *

تزهو علينا بقوس حاجبها   زهو تميم بقوس حاجبها

(لا تغش دار الظلم واعلم أنها   أخرب من جوف حمار خلق)

اللغة قوله لا تغش دار الظلم بمعنى لا تنزل ومعنى لا تأته غشيه
يغشاه أي جاءه والغاشية السؤال يأتونك والزوار ينتابونك والظلم
بالضم وضع الشيء في غير موضعه وهو اسم مصدر وأما المصدر فالظلم
قبل الفتح على القياس قوله أخرب من جوف حمار أخرب كسحاب ضد العمران
وقد يوصف به فيقال دار خراب ومنزل خراب وقد خرب كفرح فهو خرب أي خال
لا شيء فيه وأخربه الله وخربه وفعل به ذلك وأما الجوف فهو من الحيوان بطنه
وواد بأرض عاد حماه رجل اسمه حمار يأتي الكلأ فيه في نبات وقوله خلق بالتحريك
صفة مشبهة من خلق الثوب بالضم إذا بلي وقد تفتح عين الفعل فتكسر وقد
يقال أخلق بالهمزة وفي الصحاح وثوب خلق يعني بالتحريك أي بال يستوي فيه
المذكر والمؤنث لأنه في الأصل مصدر والأخلاق وهو الأفلاس والجمع خلقان يعني

بلاد

بالعجز والله تعالى أعلم **وعنوان الكلام** وجه ترتيب هذا البيت على ما
قبله أنه لما ذكر فيما قبله أن الواجب على كسر وما ترتب على ذلك من رفع منزلته
وقبول شفاعته وانتعاش قومه به خشي أن يتوهم متوهم أن إتيان الملوك
وغشيان منازلهم والتهافت على أعتابهم محمود مطلقا وربما أتينا قبس فيه وبيانه
عليه وكان الأمر ليس كذلك فإن أهل الفضل منهم لا ينبغي في المروءة والدين سيما
أهل العلم الذين هم مظنة للقدوة بهذا الكلام أن يأتيهم ولا أن يرغب في ملاقاتهم
والاجتماع بهم كما كان حال السلف الصالح رضي الله عنهم فأتى بهذا الكلام تحذيرا
من ذلك وتنبيها على الأولى بأهل الفضل للعزة والدين فقال لا تغشوا أن الكامل أتيت
بهذا المعنى دخول السلطان لما دخل عليه أن كان من أهل العلم وأهل الخير والصلاح
من كانت حالته تنافي ذلك ولا تجامعه البتة وإن كان من أهل العلم والاقتداء فكذلك
بل أشد لأن زلة العالم يهلك بها عالم فإذا رأت العامة يبتغي إتيان الملوك ومخالطتهم
ظنوا ذلك صوابا وقالوا لو كان في ذلك إثم أو مكروه ما فعله هذا العالم وسلكوا
سبيله في ذلك وانغمسوا فيما انغمس فيه وإن كان من أهل المروءة والتصاون
وارتفاع الهمة فغشيان أبوابهم ضعة وإسقاط لمنزلته وربما عمل بر غير ذي رما ينزله
السلطان له ما عسى أن يكون رد على قدر ما أنه كيس بحسن سمته للبركة فيه وقد
تحصل منه نفع دنيوية ولا دنيوية وماء وجهه أنفس بإعطائه لا قيمة له قال الشاعر

وما أبالي وخير القول أصدقه * حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

فما حاصل إلا غشيان الملوك من غير حاجة دينية ولا استدعاء لا ينبغي لأهل
الهمة له ولا مروءة قال الغزالي رضي الله عنه من علامات علماء الآخرة
أن يكون منقبضا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد إلى الفرار منهم
سبيلا بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة
وزمامها بأيدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة
قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار
ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدري نعمة الله
عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف في كلامه كلاما
لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم

وذلك هو السمت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء وقال أبو حازم لسلمة يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وأما قول أبينا كلهم إنما أخرب من جوف حمار فيعني إنما هو قليل ستخرب فعبر عن مستقبل الوقوع بصيغة ما هو واقع كقوله تعالى كل من عليها فان ومن أمثالهم دار الفاسق خربت وهي ربما خربت وقالوا لا شيء أشد في تغيير النعم وتعجيل النقم من الإقامة على الظلم وقيل في قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وعيد للظالم وتعزية للمظلوم ويروى أن الحجاج حبس رجلا ظلما فكتب إليه رقعة يقول فيها قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج إلى بينة والكلام في هذا المعنى كثير شهير والله الموفق

*

ذكر جوف حمار وما قيل فيه

اعلم أن العرب تقول في جملة أمثالها أخرب من جوف حمار وأخلى من جوف حمار واختلف الناس في المراد بحمار في هذا المثل فقيل هو رجل من بقية عاد يقال له حمار بن مويلع وقال الشرقي هو حمار بن مالك بن نصر الأزدي كان مسلما أربعين سنة في كرم وجود وكان له واد يقال له جوف طوله مسيرة يوم في عرض أربعة فراسخ لم يكن ببلاد العرب أخصب منه فيه من كل الثمرات فخرج بنوه يتصيدون وهم عشرة فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر وقال لا أعبد من فعل هذا ببني ثم دعا قومه إلى الكفر فمن عصاه قتله فأهلكه الله وأخرب واديه فضربت العرب به المثل في الخراب والخلاء فقالوا أخرب من جوف حمار وأخلى من جوف حمار وضربوا به المثل أيضا في الكفر فقالوا أكفر من حمار وقد ذكر ذلك الشعراء في أشعارهم قال الأفوه الأودي

بشؤم البغي والغشم قديما * ما خلا جوف ولم يبق حمار

*

وقال آخر

*

ألم تر أن حارثة بن بدر * يصلي وهو أكفر من حمار

هذا قول هشام بن محمد الكلبي وقال غيره ليس حمار هنا اسم رجل بل هو الحمار

بصفته واحتج بقول من يقول اخلى من جوف العير وقال امرؤ القيس

وواد كجوف العير قفر قطعته * به الذئب يعوي كالخليع المعيل

قال ومعنى ذلك ان الحمار اذا صيد لم ينتفع بشيء مما في جوفه بل يرمى به ولا يؤكل فجوف الحمار عندهم بمنزلة الواد القفر الذي لا منفعة للناس والبهائم فيه ونسب هذا القول الى الاصمعي كما عند الميداني وعلى هذا القول مشى الناظم بدليل وصفه بقوله خلو واراد به انه فارغ وهو وصف بليغ افاد به تاكيد ما قبله الغاية في المعنى المقصود من المثل وان لم يكن فيه وليس هذا من باب تغيير الامثال الذي هو ممنوع عندهم بل ذلك يرجع الى لفظهما فيتكلم بهما كما جاءتا واما زيادة كلمة افادت في الكلام تقوية فلا وهو العبر المسمى بالايغال وقد شرحنا له صدر الكتاب ومما يدل ايضا على ان الناظم مشى على قول الاصمعي انه وصف الجوف بالنكرة فدل على انه عنده نكرة ولو كان حمار علما لكان جوف معرفة بالاضافة اليه فلا يصح وصفه بالنكرة لوجوب المطابقة بين النعت والمنعوت في التعريف والتنكير وقد قيل يجيء النكرة نعتا للمعرفة في قول النابغة

فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في انيابها السم ناقع

وهو مؤول بما يوقف عليه في محله والله اعلم *

ولا تبع عرضك بنقد اي في * عبثا ان تبع الغبن والتبلقي

باع السدانة قصيا داخرا * بموضعها بعينها من رامع زنبق

اللغة قوله ولا تبع عرضك العرض بالكسر النفس والحسب يقال اكرمت عنه عرضي اي صنت عنه نفسي وفلان نقي العرض اي بريء من ان يشتم او يعاب وابو عبشان يأتي الخبر عنه قوله بيع الغبن الغبن بالتسكين في البيع والغبن بالتحريك في الراي يقال غبنته في البيع بالفتح اي خدعته وقد غبن فهو مغبون ويوم التغابن يوم القيامة لان اهل الجنة يغبنون اهل النار والتبلقي كالتبلد الشيء في خفاء ولكنه ومكر قوله باع السدانة فعيل من السدانة بالكسر خدمة الكعبة وبيت الصنم جاءت على فعالة كسدانة الحجر كالحجابة والحياكة وقد سدنها سدنا من باب قتل اذا خدمها فالواحد سادن والجمع سدنة وقصي بضم القاف وفتح الصاد المهملة وتشديد الياء هو ابن كلاب بن مرة احد

أجداده النبي صلى الله عليه وسلم واسمه زيد وإنما قيل له قصي لتقصيه عن
بلاده فقومه مع أمه وتزوجها بكلب ونشوئه في بلاد عذرة وكان يدعى مجمعا لجمعه
أحياء قريش وأنزلهم بمكة وفي ذلك يقول الشاعر

قصي لعمري كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

والنمر بكسر النون وسكون الميم والمهملة وقد تفتح النون الزرق وما كان للشمس
خاصة قاله في القاموس وعلى القول الأول مشى الناظم فجعله للنمر وأما زنبق
فجعله الخمر والله أعلم **الإعراب والتصريف** قوله ولا تبع
مجزوم بلا الناهية وعرضك مفعوله وبيعة أبي غبشان مفعول مطلق معمول
لتبع وتبع العنبر بدل منه وفي الكلام حذف مضاف وموصوف أي بيعة مثل بيعة أبي
غبشان ويصح أن يكون وتبع العنبر معمولا لبيعة أبي غبشان لأن المصدر المحدود
بالتاء يعمل وجملة قوله باع السقاية تفسير لبيعة أبي غبشان أو جواب عن
سؤال مقدر تقديره ما كانت بيعة أبي غبشان وما جاء بقوله باع السقاية في
وعلى كل حال فلا محل لها من الإعراب ثم كان الأصل أن يقول باع قصيا السقاية
فيقدم قصيا لأنه الفاعل في المعنى ولعله قدم السقاية اهتماما بها لأن
المحدث عنه سبق في جملها والعنبر إنما تفرق بينهما لأن يكونهما صيغة من قصي أو
من غيره ولا يبيع غيرهما له وقوله فأخذا حال من فاعل باع ومحوضا مفعول له
ويحتمل الحال منه وإنما صح مجيئه حالا مع جموده لتأويله بالمجاز والمجرور ونحو
شبيه بالمشتق قاله أبو حيان في قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا
وأيضا للدلالة على النوعية لأن العوض تحته أنواع منها زق الخمر كما وقع في
مثل الصفقة الخاسرة ومثله ما قالوا في قولهم هذا مالك ذهبا صح
انتصاب ذهبا على الحال مع جموده لدلالته على النوعية وقوله من أم زنبق
يجب أن يقرأ بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وإسقاطها مع النقل كقراءة ورش
نافع من رواية ورش عنه وأما من أم فإنه لا يتزن البيت إلا بذلك ويجوز أن يقرأ
على وجه آخر وهو أن يكون الناظم قد حذف همزة أم قبل النقل وحذف نون من
لالتقاء الساكنين ولكن هنا يجب تحريكه بالكسر على أصل التقاء الساكنين
وإنما أجزنا هذا الوجه لأنه قد كثر في كلامهم حذف همزة أم في الدرج ومعاملتها

معاملة بمنزلة الوصل كما قالوا ونكلمه في ذيل أمه فقال عروة بن زبير

أيها العاتب عن أم زبير ⁝ انت تعم من أراد تعيب

بمعنى بمنزلة لام وحذف الياء من بمنزلة في اللفظ كالتقاء الساكنين واعلم ان في كلام الناظم استعارة مرشحة فان بيع العرض استعارة تخييلية وذكر الغبن ترشيح والله اعلم. فمعنى الكلام مما نحاه في البيت المتقدم عن غشيان دور الظلمة لما في ذلك من الاخلال بالمروءة والدين قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ونهاه ايضا عن الطمع في المخلوق والتكالب عليه فكلاهما سواء كان كلاهما او غيرهما لما في السؤال من المذلة والهوان قال عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي الآخذة والسائل باذل العرض في قربه لماء وجهه وليس عنده عوض ولو نال بسؤاله ما نال لا سيما اذا ادى في سؤاله بعلم او ادب فيكون ممن باع الدنيا بالدين فيكون قد باع شيئا نفيسا بشيء خسيس فما اخسر صفقته وما اخسر همته قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ⁝ عوضا ولو نال الغنى بسؤال

واذا السؤال مع النوال وزنته ⁝ رجح السؤال وخف كل نوال

ذكر صفقة ابي غبشان وما قيل فيها

ابو غبشان بفتح الغين المعجمة وقد تقدم رجل من خزاعة واسمه فيما ذكر ابن خلدون سليم بن عمرو بن لؤي بن ملكان وقيل ابو غبشان هو المحترش بن حليل ابن حبشية الخزاعي وكان من حديثه ان خزاعة كانت سدنة الكعبة بعد جرهم الولاة بمكة حين خرجوا منها وتولوا الكعبة ان منع عنهم ذلك وكان حليل بن حبشية يومئذ كبير خزاعة ومتوليا امر الكعبة وكان له بنون وبنت يقال لها حبى وهي زوجة قصي بن كلاب ثم هلك حليل واوصى بحجابة البيت الى ابنته المحترش وكان رجلا بنا يومئذ ودفع حليل مفاتيح البيت الى ابنته حبى وامرها ان تبعث الى اخيها المحترش واشرك ابا غبشان الملكاني مع حبى في تنفيذ وصيته فلما رأى قصي ان حليلا قد هلك وبنوه غيب والمفاتيح في يد امرأته طلب اليها ان تدفع المفاتيح الى ابنها عبد الدار بن قصي وحمل بنيه عليه الى ذلك فبعث الطلب الى ابيكم

حجابة قديم ولم يزل بها حتى سلست له بذلك وقالت كيف اصنع بابي غبشان
وهو وصي معي فقال قصي انا اكفيك امره فاتفق ان ابا غبشان اجتمع مع قصي
في شرب بالطائف فخدعه قصي عن مفاتيح الكعبة بان اسكره ثم اشترى المفاتيح منه
بزق خمر واشهد عليه ودفع المفاتيح الى ابنه عبد الدار وكيله الى مكة فلما اشرف
عبد الدار على دور مكة رفع عقيرته وقال يا معشر قريش هذه مفاتيح بيت ابيكم
اسماعيل عليه السلام قد ردها الله عليكم من غير ظلم ولا غدر فافاق ابو غبشان
من سكره وهو اندم من الكسعي فقال الناس احمق من ابي غبشان واندم من ابي غبشان
واخسر صفقة من ابي غبشان فذهبت هذه الكلمات امثالا قال الشاعر

اذا فخرت خزاعة في قديم * وجدنا فخرها شرب الخمور
وبيعا كعبة الرحمان جهرا * بزق بيس مفتخر الفخور

وقال آخر

ابو غبشان اظلم من قصي * واظلم من بني فهر خزاعه
فلا تلحوا قصيا في شراه * ولوموا شيخكم اذ كان باعه

ثم ان خزاعة حاربت قصيا فنصره الله عليهم وتم امره وجمع اليه قريشا
فسمي مجمعا لذلك والله اعلم

ولا تذكر كاشعث فربما * تلقى يوقا وابن المحيرو

الفاظ البيت واعرابه كلها ظاهرة والكلام في ربما ودخولها على المضارع
قد تقدم عند قوله فربما يبدو اذا ابرز في البيت ومثالها قول الله تعالى ربما
يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقول الشاعر *

فان اهلك فرب فتى سيبكي * علي مهذب رخص البنان

ومعنى الكلام هذا البيت من معنى ما سبق فان الطمع من اضر الاشياء بالعرض
والدين بل وبالنفس فربما اهلك صاحبه كما ان التعفف والقناعة من املح
الاشياء للدين والدنيا وابقى لماء الوجه وقد يبلغ حاجته وادوم لزكاء العرض
ومروته وقد مدحهم الله تعالى في فقراء المهاجرين واثنى عليهم بقوله يحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف وقال عليه الصلاة والسلام ليس الغنى عن
كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس وقال عمر رضي الله عنه ما الخمر صرفا

باذعب

باد يجب لعقول الرجال من الطمع وقال المحلي من خدعه من الطمع والغضب والترون نفسه
وقال علي رضي الله عنه أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع وقالوا
لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب
الذل ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان وقال بعض الحكماء أحسن الى من شئت تكن
أميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره وفي ثمار القلوب
قالب الصخرة يضرب به المثل في الطمع فيقال أطمع من قالب الصخرة وهو رجل من
عبس رأى صخرة عظيمة ببلاد اليمن مكتوبا عليها بالمسند اقلبني أنفعك فاحتال
في قلبها ولقي الامرين من ذلك فاذا على الجانب الآخر رب طمع يهدي الى طبع فما
زال يضرب الصخرة برأسه تلهفا حتى انتثر دماغه وقضى وقصة وابن الجمر والتي
اشتهر بها الناس ثم كانية في البلاغة على أن الطمع قاطع عنق صاحبه وقال أبو العتاهية

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى سفاها وريب الدهر عنها يخادعه
ويطمع في سوف ويهلك دونها وكم من حريص أهلكته مطامعه

ذكر أشعب وابن الجمر وما كان من أمرهما

فأما أشعب فهو رجل من أهل المدينة صاحب نوادر مشهور بالطمع واسمه
شعيب بن جبير مولى لآل الزبير وقيل مولى لعثمان بن عفان وكنيته أبو العلاء
ثم اشتهر بأشعب قال الأصمعي قال أشعب نشأت أنا وأبو الزناد في حجر عائشة
بنت عثمان فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغ كل منا المنزلة التي ترى وكان أشعب من
القراء للقرآن وكان حسن الصوت بالقراءة وكان يجيد أصواتا من الغناء
وكان صاحب سنن ويروي من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعيت
الى ذراع لأجبت ولو أهدي الي كراع لقبلت قال الجاحظ لما قدم أشعب
بغداد في أيام المهدي تلقاه أصحاب الحديث لأنه كان ذا إسناد فقالوا له
حدثنا فقال لهم حدثني سالم بن عبد الله وكان يبغضني في الله قال خصلتان
لا تجتمعان في مؤمن وسكت فقالوا ما هما قال نسي سالم إحداهما ونسيت أنا
الأخرى وفي محاضرات الشيخ اليوسي أن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال لأشعب
أنت شيخ مسن فهلا تروي شيئا من الحديث قال نعم حدثني عكرمة عن ابن عباس
أنه عليه الصلاة والسلام قال خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة قال

قلت فما هما قال نسي عكرمة الأولى ونسيت أنا الأخرى وعن المخزومي قال كان
أشعب أزرق أحول أكشف أقرع وكان يقول كنت أسقي الماء في فتنة عثمان رضي
الله عنه ومما يؤثر من طمعه أنه كان قد اتخذ خرقا في بابه فكان إذا نام أخرج
يده من الخرق ويطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يده شيئا من شدة الطمع فجاءه بعض من
كان يعبث به فسلح في يده فلم يعد إلى أن يخرج يده بعد ذلك وقال المدائني قال
أشعب تعلقت بأستار الكعبة فقلت اللهم أذهب عني الحرص والطمع في الناس
فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئا فجئت إلى أمي فقالت ما لك قد جئت
خائبا فأخبرتها فقالت لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك فرجعت
فقلت يا رب أقلني ثم جئت فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني ووهب لي
غلام فجئت إلى أمي بحمار موقر من كل شيء فقالت ما هذا الغلام فخفت أن
أخبرها بالقصة فتموت فرحا فقلت وهبوا لي فقالت أي شيء قلت غين قالت
أي شيء غين قلت لام قالت وأي شيء لام قلت ألف قالت وأي شيء ألف قلت ميم
قالت وأي شيء ميم قلت غلام فغشي عليها ولو لم أقطع الحروف لماتت
الفاسقة فرحا وعن المدائني قال أهدى رجل من بني عامر بن لؤي إلى بعض الولاة
بالمدينة فالوذجة وأشعب حاضر فقال كل يا أشعب فلما أكل منها قال كيف تجدها
يا أشعب قال أنا بريء من الله ورسوله إن لم تكن عملت قبل أن يوحي الله عز
وجل إلى النحل يعني أنها ليس فيها عسل وعن فليح بن سليمان قال ساوم أشعب
رجلا بقوس عربية فقال الرجل لا أنقصها من دينار فقال أشعب والله لو أني
إذا رميت بها طائرا في جو السماء وقع مشويا بين رغيفين ما أخذتها بدينار
وقال سالم بن عبد الله لأشعب من طمعه قال قلت للصبيان مرة هذا سالم
قد فتح باب صدقة عمر فانطلقوا يعطيكم تمرا فمضوا فلما أبطؤوا ظننت أن الأمر
كما قلت فاتبعتهم وعن أبي عاصم قال قيل لأشعب هل رأيت أحدا أطمع منك
قال نعم كلبة رأتني أمضغ علكا فتبعتني أربعة أميال وقيل له يوما هل رأيت
أطمع منك قال نعم خرجت إلى الشام مع رفيق لي فنزلنا عند دير فيه راهب فتلاحينا
في أمر فقلت الكاذب منا أير هذا الراهب في استه فلم أتمم كلامي حتى نزل الراهب
وأيره في يده وهو منعظ ويقول من منكما أيكما الكاذب ثم قال أشعب ودعوا هذا

امرأة اطمع مني ومن الرائب قيل له وكيف قال انها قالت لي ما يخطر على قلبك
من الطمع شيء يكون بين السيد والبقيرات وانا ابتغيته وعن المدائني قيل للاشعب
ما بلغ من طمعك قال ما رأيت اثنين يتساران فظننت الا كنت انهما يأمران لي بشيء
وحكى ابن خلكان ان اشعب قدم على يزيد بن حاتم المهلبي وهو اميره جالس مجلس
وقد جاء بغلام فسارّه فقام اشعب فقبل يده فقال له يزيد لم فعلت هذا فقال
لاني رأيتك تساررت غلامك فظننت انك قد امرت لي بشيء فضحك منه وقال ما
فعلت هذا ولكني افعل ووهبه واحسن اليه وقال له سالم بن عبد الله ما بلغ
من طمعك قال ما اذن لاحد يدخل في فمه الا ظننته يعطيني شيئا وقال له ابن
ابي الزناد ما بلغ من طمعك فقال ما زففت بالمدينة امرأة الا كنست بيتي رجاء ان
يغلطوا بها الي وعن المدائني قال وقف اشعب على امرأة تعمل طبقا من خوص
فقال لها كبريه ويروى انه قال لها زيدي فيه طوقا او طوقين فقالت له اتريد ان
تشتري فقال لا ولكن عسى ان يشتريه انسان فيهدي الي فيه فيكون كبيرا خيرا من
ان يكون صغيرا وقال له رجل يوما ان سالم بن عبد الله قد مضى الى بستان فلان
ومعه طعام كثير فبادر حتى لحقه فاغلق الغلام الباب دونه فتسور عليه
فصاح به سالم بناتي ويلك بناتي فناداه اشعب لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق وانك لتعلم ما نريد فامر بالطعام فاخرج اليه منه ما كفاه وقال له
رجل يوما يا اشعب لو تحولت عندي العشية فقال اكره ان يجيء ثقيل فقال له
ليس عندي غيرك قال فاذا صليت الظهر فانا عندك فصلى وجاء فلما وضعت الجارية
الطعام اذا بصديق لصاحب المنزل يدق الباب فقال اشعب الا ترى انا ان قد
صرنا الى ما تكره قال انه صديقي وفيه عشر خصال ان كرهت واحدة منهن لم آذن
له فقال اشعب هاتها قال اولها انه لا ياكل ولا يشرب فقال اشعب التسع الباقية له
ادخله فقد امنا ما كنا نحذره وعن ابي الحسن المدائني قال كان زياد بن عبد الله
الحارثي ابخل خلق الله فاولم وليمة لطهر بعض اولاده وكان الناس يحضرون
ويقدم الطعام فلا ياكلون منه الا قليلا لعلمهم بحال الرجل وكان فيها جدي
مشوي فلم يعرض له احد وجعل يردد على الموائد ثلاثة ايام والناس يجتنبونه

إلى أن انقضت الوليمة فأعطى أشعب برأسه إلى بغل مركان ثمنا له فقال
امرأته الطلاق ولو لم يكن منه إلا بجزة بغل ارفع وشوى أكل أحمدا وأمر حيلة منه
قبل أن يرفع فضحك الرجل وسمعها زياد فبعث إليه وعن عبد الرحمن بن عبد الله
الزهري قال صلى أشعب يوما إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان وكان مروان هذا
عظيم الخلق والعجيزة فأفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت فانصرف
أشعب من الصلاة وأوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح فلما انصرف مروان
إلى منزله جاءه أشعب فقال له الدية قال دية ماذا قال دية الضرطة التي
تحملتها عنك وإلا شهرتك فلم يدعه حتى أخذ منه شيئا صالحا وعن المدائني
قال قالت جارية لأشعب يا أشعب هب لي خاتمك أذكرك به قال اذكريني أني
منعتك إياه فهو أحب إلي وعنه قال قال أشعب لأمه رأيتك في النوم مطلية
بعسل وأنا مطلي بعذرة فقالت يا فاسق هذا عملك الخبيث كساكه الله عز
وجل قال إن في الرؤيا شيئا آخر قالت ما هو قال رأيتني ألحس العسل وأنت
تلحسينني قالت لعنك الله يا فاسق ودخل يوما على الحسين بن علي رضي الله
عنهما وعنده أعرابي قبيح المنظر مختلف الخلقة ومع الأعرابي قوس فلما
رآه أشعب سبح تعجبا من خلقته وقال للحسين رضي الله عنه بأبي أنت
وأمي أتأذن لي أن أسلح عليه فقال له الأعرابي ما شئت وفوق له سهما وقال
والله لئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها فقال أشعب للحسين رضي الله
عنه جعلت فداك قد أخذني القولنج وذكر أشعب يوما رجلا بالمدينة قبيح الاسم
فقيل له يا أبا العلاء أتعرف فلانا قال البشر ذاك من الأسماء التي عرفت
على إدح وتوضأ يوما فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى فقيل له لم تركت غسل
اليمنى فقال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمتي غر محجلون من آثار الوضوء
وأنا أحب أن أكون أغر محجلا مطلق اليمنى يعني وذلك محمود في الخيل
وسمع يوما حبى المدنية المضروب بها المثل في الاغتلام وحب النكاح وهي
تقول اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي فقال لها يا فاسقة أنت لم تسألي الله
المغفرة إنما سألته عمر الأبد يريد أن الله لا يغفر لها أبدا وعن الزبير

ابن بكار عن عمه قال لقي اشعب صديقا له ببيته فقال له ويحك يا اشعب
كان ابوك الحى وانت انط فالى من خرجت قال الى امي وعن اسحاق الموصلي
قال قال رجل لاشعب انه اشترى ابن زياد بن عبيد الله الحارثي قبة ادم قيمتها
عشرة آلاف درهم فقال امراته الطلاق لو انها قبة الاسلام ما ساوت
الف درهم وكانت البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه ومن بعده تسمى
قبة الاسلام فلما بنيت بغداد وصارت دار الخلافة وقصبة اموال الدنيا
قال الناس بغداد الآن اولى بان تسمى قبة الاسلام من البصرة فلما اخبر اشعب
انكر ذلك فقيل له ان معنا جبة وشي حشوها قز قيمتها عشرون الف دينار
فقال امه زانية لو ان حشوها زغب ريش اجنحة الملائكة ما ساوت عشرين
دينارا وعن الزبير عن عمه قال تكلمت امراة اشعب منه الى ابي بكر بن محمد
ابن عمرو بن حزم وقالت لا يدعني امرا من كثرة الجماع فقال له اشعب اتراني
اغلب ولا اركب لتنكح من سماها بكعك اير وكان اسماعيل بن يسار الشاعر
شعوبيا شديد التعصب للعجم وله شعر كثير يفتخر فيه بالاعاجم قال
فانشد يوما في مجلس فيه اشعب قوله يفتخر بالعجم ويعيب العرب بوأدهم
بناتهم في الجاهلية

اذ نربي بناتنا وتدسو ن سفاها بناتكم في التراب

فقال له اشعب صدقت والله يا ابا فايد اراد القوم بناتهم لغير ما اردتم
له قال وما ذاك قال دفن القوم بناتهم خوفا من العار وربيتموهن لتنكحوهن
يعني وتلك سنة المجوس فضحك من حضر حتى استغربوا وخجل اسماعيل حتى لو قدر القوم
ان يسوخ في الارض لفعل وعن عنبرة بن اشعب قال غضبت سكينة بنت
الحسين رضي الله عنهما على ابي في شيء وخالفها فيه فحلفت لتحلقن لحيته
ودعت بالحجام فقالت له احلق لحيته فقال له الحجام انفخ شدقيك حتى
اتمكن منك فقال له يا ابن البظراء امرتك ان تحلق لحيتي او تعلمني الزمر اخبرني
عن امراتك اذا ارادت ان تحلق حرها تنفخ اشداقها فغضب الحجام وحلف
ان لا يحلق لحيته وانصرف وبلغ سكينة الخبر وما جرى بينهما فضحكت وعفت

طمعه وعن الزبير عن عمه قال بعثت سكينة رضي الله عنها الى ابي الزناد
في حاجة ما تستفتيه في شيء فاطلع اشعب عليه من بيت وجعل يقوقي مثل ما تقوقي
الدجاجة قال فسبح ابو الزناد تعجبا منه وقال له ما هذا فضحكت وقالت انما هذا
الخبيث افسد علينا بعض امرنا فحلفت ان يحضن بيضا في هذا البيت ولا يفارقه
حتى ينقف فجعل ابو الزناد يعجب من فعلهما وعن المدائني قال لما ولي الوليد بن
يزيد وهو الذي يقال له فاسق بني امية لهج بالغناء والشراب والصيد وحمل المغنين
من المدينة اليه فارسل الى اشعب فجاء به فالبسه سراويل من جلد قرد له ذنب
وجعل يرقص به وقال له ان رقصت وغنيت شعرا يعجبني فلك الف درهم
فغناه فاعجبه فاعطاه الالف درهم ودخل اليه يوما فلما راه الوليد كشف
له عن ايره وهو منعظ قال اشعب فرايته كانه مزمار ابنوس وفي العظم كانه
ناي مزمور فقال لي ارايت مثله قط قلت لا يا سيدي قال فاسجد له فسجدت
ثلاثا فقال ما هذا قلت واحدة لايرك واثنتان لخصيتيك قال فضحك وامر له
بجائزة وعن احمد بن زهير قال بلغ اشعب ان الغاضري قد اخذ في مثل مذهبه
ونوادره وان جماعة قد استحلوا نوادره فرقبه حتى علم انه في مجلس من مجالس
قريش يحادثهم ويضحكهم فسار اليه ثم قال له قد بلغني انك تحذو حذوي
وشغلت عني من كان يالفني فان كنت مثلي فافعل كما افعل ثم غضن وجهه
وشنجه وعرضه حتى صار عرضه اكثر من طوله وصار في شبه لم ير قط احد
مثله ثم ارسل وجهه وقال له افعل مثل هذا وطول وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره
وصار كانه وجه الناظر في سيف ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره
حدبة كسنام البعير وصار طوله مقدار شبر او اكثر ثم نزع سراويله وجعل
يضرب بخصييه حتى عدا بهما الارض ثم خلاهما من يديه ومشى وجعل يخنس
وهما يخطان الارض ثم قطع مشيهما وانقمر حتى صار اقصر ما يكون من الرجال
فضحك والله القوم حتى اغمي عليهم وانقطع الغاضري فما تكلم بنادرة ولا زاد
على ان يقول يا ابا العلاء لا اعود ان ما تنكره انما انا تلميذك ثم خرج ثم انصرف
اشعب وتركه وعن بعض المزنيين قال كانت بالمدينة عجوز شريرة العين لا تنظ

إن شئتِ تستحسنه إلا فعلته بي ذلك على أشعب وهو في الموت وهو يوصي بناته فلما رآها أمامه غطت وجهها بكمه وقال لها يا فلانة بالله إن كنت استحسنت شيئا مما أنا فيه فصلّي على النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحيني فغضبت المرأة وقالت تخوفتني عنده في أن شئت أنت مما يستحسن إنك في آخر رمق قال قد علمت ولكن قلت لئلا تكوني قد استحسنت خفة الموت علي وسهولة النزع فيستقر مما أنا فيه وخرجت من عنده وهي تشتمه وتجمع ذا أمرها وضحكوا من كلامه ثم مات رحمه الله وكانت وفاته في خلافة المهدي والد الرشيد وقال ابن شرف في طمع أشعب

وما بلوغ الأماني في مواعيد من ... إن كان أشعب يرجو وعد عرقوب
ومن تخالف مكتوب القضاء به ... فكيف في بقضاء غير مكتوب

وقال آخر

ووعدتني وعدا كأنك صادقا ... فظللت من طمع أجيء وأذهب
فإذا اجتمعت أنا وأنت بمجلس ... قالوا مسيلمة وهذا أشعب

وأما وافد المحرق فهو وافد البراجم واسمه عمار بن عمرو التميمي ثم البرجمي والبراجم خمسة من أولاد حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وهم قيس وكلفة وظليم وغالب وعمرو وسموا البراجم لأنهم كانوا قليلين فقال لهم رجل منهم وهو حارثة بن عامر بن عمرو بن حنظلة أيتها القبائل التي قل عددها تعالوا فلنجتمع فنكون كبراجم الكف ففعلوا وتعاقدوا والمحرق هو عمرو بن منذر اللخمي واعلم أن في العرب ثلاثة ملوك كل واحد منهم يدعى المحرق والحارث بن عمرو الغساني ملك الشام لأنه أول من حرق العرب في ديارهم وهم بن عمرو وهو المحرق وهو المراد بقول حسان رضي الله عنه

ولدنا بني العنقاء وابني محرق ... فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

وامرؤ القيس بن عمرو اللخمي وهو جد عمرو بن هند الذي تقدم الكلام فيه وهو المراد بقول الأسود بن يعفر

ماذا أؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد إياد

وقال النابغة الجعدي رضي الله عنه

ندامايَ عند المنذر بن محرّق * أرى اليوم منهم ظاهر الأرض بلقعا

قال الثالث عمرو بن هند هذا وهو عمرو بن المنذر ابن ماء السماء وهند امّه وهي بنت الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندي وماء السماء أيضا من أمهات المنذر سميت بذلك لجمالها وهي بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط وأما نسبه فهو عمرو ابن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر اللخمي صاحب جذيمة الأبرش وقيل في نسبه غير هذا مما لا فائدة في استقصائه وكان يقال لعمرو بن هند هذا مضرّط الحجارة لشدة بأسه وسُمّي محرّقا لأنه حرّق ولد مائة من بني تميم كما يأتي وقيل المحرّق بعينه نخل ملهم وهو موضع باليمامة وقيل لشدة عتوه كما يقال للرجل يكثر العبث والإفساد أحرق الأرض نارا وكان من خبر تحريق عمرو ابن هند لبني تميم أنه كان قد كتب كتابا على ألا ينازعوه ولا يغاوروه ولا يغزوه ولا يغزو بهم ثم انه غزا اليمامة فرجع منهزما فمر بطهية فقال له زرارة بن عدس الدارمي وهو والد حاجب صاحب القوس أبيت اللعن أصب من هذا الحي شيئا فإن لهم بلادا لئلا ترجع منهزما فلما كان ... حتى أصاب نسوة وأذوادا فقال في ذلك عارق الطائي وهو قيس بن جروة

ألا حيّ قبل البين من أنت عاشقه * ومن أنت مشتاق إليه وشائقه

فإن يعقدا ابن هند لم تعقد أمانة * وما الحزن إلا أن تفرّق ومن أنت ...

فأقسمت جهدا بالمنازل من منى * وما خبّ في بطحائها من يرادفه

لئن لم تغيّر بعض ما قد صنعتم * لأنتحين العظم ذو أنا عارقه

فسمي عارقا بهذا البيت وبلغ الشعر عمرو ابن هند فقال له زرارة بن عدس أبيت اللعن إنه يتوعدك فقال عمرو ابن هند لترملة بن شعاث الطائي وهو ابن عم عارق أيهجوني ابن عمك ويتوعدني فقال والله ما هجاك ولكنه قال

والله لو كان ابن جفنة جاركم * لكسا الوجوه غضاضة وهوانا

ولكان عادته على جيرانه * ذهبا وريطا زاهرا وجفانا

والرادع المصبوغ بالزعفران وإنما أراد ترملة أن يسل سخيمته فقال والله لأقتلنه فبلغ ذلك عارقا فقال

من مبلغ عني ابن هند رسالة ... إذا استحقبتها العيس تنضى على البعد
أيوعدني والرمل بيني وبينه ... تبين رويدا ما أمامة من هند
غدرت بعمرو كنت أنت اجتزيتنا ... عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد

في أبيات أخر فبلغ عمرو ابن هند شعره هذا فغزا طيئا وأسر أسرى من بني عدي ابن أخزم رهط حاتم الكرام الجواد المشهور فوفد عليه حاتم وكان يفد عليه فسأله الأسرى فأطلقهم له وكان المنذر ابن ماء السماء قد وضع ابنا له صغيرا يقال له مالك وقيل أسعد عند زرارة بن عدس استرضعه فيهم فشب وخرج ذات يوم يتصيد فأخفق ولم يصب شيئا فرجع فمر بإبل لرجل من بني عبد الله بن دارم يقال له سويد بن ربيعة وكانت تحته ابنة زرارة بن عدس فولدت له تسعة غلمة فأمر أسعد بن المنذر وهو أخو عمرو ابن هند بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم فلما انتبه شد على أسعد بعصا فضربه بها فأمه ومات الغلام وخرج سويد هاربا حتى لحق بمكة فحالف بني نوفل بن عبد مناف بن قصي واختط بمكة فمن ولده أبو إهاب بن عزيز بن قيس بن سويد وكانت طيئ تطلب عثرات زرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك فقال عمرو بن ثعلبة الكلبي

من مبلغ عمرا بأن ... المرء لم يخلق صباره
وحوادث الأيام لا ... يبقى لها إلا الحجاره
ها إن عجزة أمه ... بالسفح أسفل من أواره
تسفي الرياح خلال كشحيه ... وقد سلبوا إزاره
فاقتل زرارة لا أرى ... في القوم أوفى من زراره

يقول إنك لم تخلق حجرا من الحجر حتى لا تؤثر فيك إراقة دم أخيك ولا تأخذ بثأره وقوله ها إن عجزة أمه العجزة بالكسر وبضمها آخر ولد الرجل فلما بلغ هذا الشعر عمرو ابن هند بكى حتى فاضت عيناه وبلغ الخبر زرارة فهرب وركب عمرو ابن هند في طلبه فلم يقدر عليه فأخذ امرأته وهي حبلى فقال أذكر في بطنك أم أنثى فقالت لا علم لي بذلك قال ما فعل زرارة الغادر الفاجر فقالت إن كان ما علمت لطيب العرق سمين المرق يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد لا ينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف فبقر بطنها وذهب

فقال قوم زرارة لزرارة والله ما قتلت أخاه فأت الملك فاعتذر إليه فأتاه
زرارة فأخبره الخبر فقال جئني بسرير فقال قد لحقوا بمكة قال فعلي ببنيه التسعة
وأمهم بنت زرارة كما قلنا فأتاه بهم غلمة بعضهم قد بلغ وبعضهم لم يبلغ فأمر بقتلهم
فتنا ولوا آخرهم فضربوا أعناقهم وتعلق الآخرون بزرارة فتنا ولوا بهم فقال زرارة
يا بعضي دع بعضا فأرسلها مثلا وقتلوا كلهم وإنما قال يا بعضي لأنهم
أبناء بنته ثم إن عمرو بن هند أقسم ليحرقن مائة من بني دارم فخرج يريدهم
وجعل على مقدمته عمرو بن ثعلبة الكلبي صاحب الشعر المتقدم فوجدوا القوم
قد نذروا بهم فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية
البحرين فحبسهم عمرو بن ثعلبة ولحقه عمرو بن هند حتى انتهى إلى أوارة فضرب
قبته وأمر لهم بأخدود فحفر في الأرض ثم أضرم نارا فلما احتدمت
وتلظت قذف بهم فيها فاحترقوا ومر رجل من البراجم فاشتم رائحة القتار
فظن أن الملك قد اتخذ طعاما وكان سائغا فعرج على النار ومع المساء
وجاء يوضع به بعيره حتى أناخ أمام قبة عمرو بن هند فقال له ما جاء بك
قال الطعام أيها الملك فإني قد أقويت منذ ثلاث لم أذق طعاما قال ممن أنت
قال من البراجم فقال عمرو إن الشقي وافد البراجم فأرسلها مثلا وأمر به فقذف
في النار وأقام عمرو بن هند لا يرى أحدا فقيل له أبيت اللعن لو تحللت بامرأة
منهم فقد أتممت تسعة وتسعين رجلا فدعا بامرأة من بني حنظلة فقال لها
من أنت فقالت أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر فقال إني لأظنك أعجمية
فقالت ما أنا بأعجمية ولا ولدتني العجم

إني لبنت ضمرة بن جابر ۞ ساد معدا كابرا عن كابر

قال عمرو أما والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار فقالت أما
والذي أسأله أن يضع وسادك ويخفض عمادك ما قتلت إلا نساء أعلاهن
ثدي وأسفلهن حلق قال اقذفوها في النار فالتفتت فقالت ألا فتى يكون
مكان عجوز فلما انطوى عليها الأخدود قالت هيهات صارت الفتيان حمما
فأرسلتها مثلا وقد ذكرت الشعراء هذه القصة في أشعارها فمن ذلك قول الأعشى

وتكون في الشرف الموا   زي منقرا وبني زراره

أبناء قوم قتلوا　　يوم القصيبة من أوارة

وقال جرير يعير الفرزدق

أين الذين بنار عمرو حرقوا　　أم أين أسعد فيكم المسترضع

وقال أيضا

وأخزاكم عمرو كما قد خزيتم　　وأدرك عمارا شقي البراجم

وقال الطرماح

ودارم قد قذفنا منهم مائة　　في جاحم النار إذ ينزون بالجدر

ينزون بالمشترى منها ويوقدها　　عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

وبسبب هذه الواقعة عيرت بنو تميم بحب الطعام من ذلك قول يزيد بن عمرو بن الصعق

ألا أبلغ لديك بني تميم　　بآية ما يحبون الطعاما

وقال أبو المهوش الأسدي

إذا ما مات ميت من تميم　　فسرك أن يعيش فجئ بزاد

بخبز أو بلحم أو بتمر　　أو الشيء الملفف في البجاد

تراه ينقب البلدان حرصا　　ليأكل رأس لقمان بن عاد

قيل دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية رضي الله عنه ما الشيء الملفف في البجاد يا أبا بحر قال السخينة يا أمير المؤمنين والسخينة طعام تعير به قريش كما كانت تعير تميم بالملفف في البجاد فلم ير متمازحين أفطن منهما والله أعلم

ولا تذكروا عمرا وزائرا　　في القوم إذ كمثل نمر ملحو

اللغة قوله زائرا في القوم قال الزمخشري عند قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن اختصاص القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير

وما أدري وسوف إخال أدري　　أقوم آل حصن أم نساء

وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد إنهم الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن وقال قيل هذا القوم الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه الصلاة والسلام

ع او

النساء تضمن على وضع الا ما ذكر عنه وان الضيافنون من الرجال وهو في الاصل
جمع ضيفن كضيغم وزورق جمع ضايف وزاير تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا
اكلت ضعفا فانا اخبثت نوما وان بغضت نوما اي فيا فاه ومعنى الكلام
ان نص الناظم رحمه الله في البيت المتقدم على الضيف وهو ايضا فليس نص هنا
على تعاطي ما يحقيقه من قول او فعل كالتطفل وما في معناه والتطفل مشتق
من لفظ طفيل كزبير وهو رجل من اهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان وكان
ياتي الولايم من غير ان يدعى اليها فكان يقال له طفيل الاعراس وطفيل
العرايس وكان يقول وددت ان الكوفة بركة مصهرجة فلا يخفى علي منها
شيء فاشتق الفعل من اسمه ونسب اليه كل من يتعاطى حرفته فقيل تطفل فلان
وهو طفيلي وكذا قيل التطفل من كلام اهل العراق واما العرب فيقولون للذي
من غير دعاء اتى الطعام وارشن اذا اتى الشراب واغل ومن هذا الطفيل المذكور
انه قال لعياله اذا دخلتم عرسا فلا تلتفتوا التفات المريب وتخيروا المجالس وان
كان العرس كثير الزحام فليمض احدكم ولا ينظر في وجوه الناس ليظن اهل الرجل
انه من اهل المراة واهل المراة انه من اهل الرجل وان كان البواب بكما فوقحا
فليبدا به فليامره ولينهه من غير عنف ولكن بين النصيحة والادلال وقال
ليس في الارض اكرم من ثلاثة اعواد عصى موسى عليه السلام ومنبر الخليفة
وخوان الطعام ونوادر الطفيليين وما قيل فيهم كثير مشهور واعلم ان
التطفل حرام وهو من الخلال الذميمة عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من دعي فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن
دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا رواه ابو داود وعنه عليه
الصلاة والسلام قال من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما
نقله في الاحياء وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبيء الا
ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه قال الزمخشري ما ذكره قوم كانوا
يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين
لادراكه يعني فنهى الله عن ذلك كما ورد مثله عن ابن عباس رضي الله
عنهما وقال الفقهاء يحرم على الانسان ان ياتي الوليمة بغير اذن من ربها

وهذا

وهذا قالوا لم يكن تابعا للزينة فقد علم من عادته انه ان يجيء وحده فلا يجزم
عليه لحمله بذلك الذين يتبعونه الرسول معه لانه قادر ومن ليس حكما ولاكن الترك
عن ذلك افضل فاوجب الانسان اليه سبيلا فلذا اشار الناظم الى انها التي
معنا فاشار الى حالة من يأتي وحده بقوله كواو عمرو واشار الى حالة من يأتي
تبعا للغير بقوله اوكنون مطهر لانه كتب به ضعفه وحسنه انه جاء تبعا للغير
وفي حكمه والله اعلم **ذكر واو عمرو والنون الملحوق وما قيل فيهما**
اما واو عمرو فعن الجاحظ انه كان يزعم ان عمرا ارشق الاسماء واخفها
واكثرها واسلمها مخرجا وكان يسميه الاسم المطلوع قال العاملي في الكشكول
ويعني بذلك انهم الزموه الواو التي ليست من جنسه ولا فيه دليل عليها
ولا اشارة اليها وايضا فانه تجري في اكثر الامثلة الحتم ولذا الامثولة اوضح ولا
وكلمة من هذه الحيثية الخ ه **قال** صاحب الشعور بل الكلمة من الحيثية
اما وفي اكثر امثلة زمنته فيها ليس من جنسه ومع انه يعني فلا جمع سيما هذا الحرف
الخفيف **قلت** وانما الزموه الواو فرقا بينه وبين عمر بضم العين وفتح الميم
اذ لولا الواو لتلتبسا وهذا في حالتي الرفع والجر واما في حالة النصب فلا تلك ؟
لوجود الف التنوين في عمرو المفتوح العين دون عمر المضموم لمنعه من الصرف
اللهم الا على لغة ربيعة الذين يقفون على المنون المنصوب بالسكون فيحتاج حينئذ
الى الواو فافهم واول من ضرب المثل بواو عمرو ابو نواس حيث قال يهجو اشجع السلمي

ايها المدعي سليما سفاها ... لست منها ولا قلامة ظفر
انما انت في سليم كواو ... ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

ويجوز ان يكون الناظم قد اراد هذا المعنى من التطفل على الانساب والمعنى انه
حملنا له عليه انسب بسياقه وقال ابن بسام من ابيات في متطفل

يا طلوع الرقيب يا بين الف ... يا غريما اتى على ميعاد
ثقل عنا فانما انت فينا ... واو عمرو وكالحديث المعاد

واحسن ما قيل في واو عمرو قول ابي سعيد الرستمي للصاحب ابن عباد من قصيدة

أفي الحق ان يعطى ثلاثون شاعرا ... ويحرم ما دون الرضى شاعر مثلي
كما سامحوا عمرا بواو مزيدة ... وضويق بسم الله في ألف الوصل

وأما النور المخصوص فإنما عبر الناظم به عن نور العنبر وهو الذي يجيء مع الضيف
بالنون فيه زائدة للإشعار بنسبة جمعه فوزنه في التصريف فعلن وللفرق بينه
وبين الضيف الحقيقي وإنما خصه بالزيادة مناسبة لحاله لأنه زائد غير
مقصود بالضيافة ولذا يكون بعضها تطفلا لا على من اتصف بالكرم والجود
كما قال الشاعر

* كلا العنبر المشنوء والضيف نائل * لذي المعسر والأمر في العسر واليسر *

وقال من يستثقله

* إذا جاء ضيف جاء للضيف ضيفن * فأودى بما تقري الضيوف الضيافن *

وهذا الاسم هو الذي ألغز فيه الحريري في المقامة النحوية بقوله وما وصف إذا
أردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقرن بالزبون وخرج من الزبون وتعرض
للهون قال الحريري وهو الذي يتبع الضيف. وينزل في النفر منزلة الزبيب.

أو أعضل كإعضال بنات فكرتي * ضنا بها عن غير بعل مغرب
كي لا تقول بلسان حالها * فعلام يبذل الوهم في يلي

اللغة قوله وأعضل كإعضال العضل المنع والتضييق ومنه عضل الرجل
كريمته عضلا من باب قتل وضرب منعها التزويج وقيل في القاموس يكون فيهما
وقرأ السبعة قوله تعالى فلا تعضلوهن بالضم وأعضل الأمر بالهمزة اشتد
ومنه داء عضال بالضم أي شديد قوله بنات فكرتي الفكرة بالكسر اسم من
الافتكار كالعبرة اسم من الاعتبار قاله في المصباح وقالت الحكماء هي
قوة جعلها الله في التجويف الأوسط من الدماغ شأنها التصرف في الصور
الخيالية والمعاني الكلية والجزئية بالتفصيل والتركيب قوله ضنا بها
الضن والضنة بالكسر فيهما والضنانة كسحابة البخل وقد ضننت بالزين بشيء
تضن من باب تعب وقد يأتي من باب ضرب وهذا علق ضنة بكسر الضاد وفتحها
أي نفيس مما يضن به وقرئ في قوله تعالى وما هو على الغيب بضنين بالضاد
والظاء فمعنى القراءة الأولى ببخيل ومعنى الثانية متهم قوله عن غير بعل
معروف والبعل الفحل الذكر من كل حيوان والمغرب اسم فاعل من أغرب إذا صار غريبا
في الكرم أو في اللؤم والمراد هنا الأول بأن يكون له أعمام وأخوال في أحد الأمرين

وهو مأخوذ من اعراق الشجر والنبات اذا اشتركت عروقه في الارض قوله الذي
من لا يليق اي لقاءة الشيء يكون منه وان لم يلق معناه لمن بنوات ولم يتناسب من الاول الثاني
بغيره يليق اي الزوبع والتاويع مثلا جاذبة حتى كأنه الزوبع والليقة بالكسر
الطينة اللزجة يرفق بها الخابية فتلزق والله اعلم **الاعراب**
والتصريف قوله واعقل كرام اي اعقل افرق كرام منصوب على
المفعولية المطلقة وفي الكلام حذف اي عقلا كعقل كرام وبنات بكرة
مفعول اعقل وقوله فنا بها حال من فاعل اعقل ويحتمل ان ما اسم الفاعل
اي فنائها كقولهم اتيته ركضا وعن غير محل خ بيتعلق به قوله في كلا تقول في
معنا بمنزلة لام التعليل ومعناه وعملا حرف جر متعلق باعقل وتقول منصوب
بان مضمرة بعد كي ويجوز ان تكون كي مصدرية واللام مقدرة قبلها وعلى كل حال
فتعقد من الكلام واعقل بنات بكرة للاجل ان لا تقول بلسان حالها كذا وكذا والآل
حال منقلبة عن واو وقال ابن منير مفعول مطلق مضمون التقول والاصل قول كفعل
منقلبة بفتحة الواو وانفتاح ما قبلها ثم قلبت الواو الفا ويجوز في مثل الحرف وعرفه
ومثل ذلك قال في الخلاصة *

وجهان في الغائب تذكيرا اسبق * وبجملة كمثل والمنع احق

قوله الذي من لا يليق جملة في محل نصب محكية بقال وقد مر ان كان اسم مصدر
لذلك يعمل عمل فعله بلا خلاف قال المرادي اسم المصدر الذي اوله الميم
وان الكلام عليه بعضهم اسم المصدر فانه يعمل عمل فعله وليس من موضع الخلاف
يعني الخلاف بين البصريين والكوفيين في اعمال اسم المصدر ومنعه ومن اعمال المصدر
الميمي عمل فعله قول الشاعر *

اظلوم ان مصابكم رجلا * اهدى السلام تحية ظلم

والبيت حكاية مشهورة ليس من غرضنا عليها والله اعلم **البيان** في كلام
الناظم استعارة في شبه بنات الفكر بجامع عدم الفصاحة والرسائل ونحوهما
مما يقع في الكتاب والشعراء اي الادباء وذكر العقل والفعل المعروف ترشيح
ويجوز ان يكون العقل مجازا ايضا عن عدم الاسماحة بالشعر والادب والتكسب
بهما والفعل المعروف مجازا عن الاصيل الجود والكرم **البديع** في قوله الذي

فمن ثم يلوح شبه الاستفهام وكقوله تعالى قال إني لعملكم من القالين والله أعلم

معنى الكلام هذا أيضا من معنى ما تقدم إلا أنه خاص بالرد بالإباء وكما علمت أن الناظم رحمه الله أن الشاعر عرض منه له عن التزلف بشعره والاستجداء بعد كون المطلوب فرعيا معناه ثم لم يمنعه من ذلك بالكلية بل رخص له في استجداء من هو أهل للاستجداء وهو من اجتمع فيه أمران أن يكون كريما وأن يكون من أبناء الكرام وذلك أن قوله عن غير محل معروف في قوله فهي سالبة تصدق مع وجود موضوعها ومع عدمه فكأنه يقول يجب عليك أيها الأديب أن تصون بنات فكرك مما عدا المحل المعروف فقط وبما إذا لم يكن مناسبا محل ذي كرم يوجه نحوه السؤال وتمكن بفنائه رحال الآمال وبما إذا كان مناسبا كريما إلا أن كرمه عادة: وعرفه فيه غير متأصل وكل ذلك: هذا منطوقه ومشاهده قول عمار رضي الله عنه ويقال إنه من كلام خالد بن صفوان فوت الحاجات أهون من طلبها إلى غير أهلها وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك في فم التنين إلى المرفق خير لك من أن تبسطها إلى غني قد نشأ في الفقر وقال أبو محلم السعدي

إذا ما رماك الدهر بالعسر فاتبع ... فريج الغنى في الناس إنهما هزله

ولا تطلبن الخير ممن أفاده ... حديثا ومن لم يورث المجد والبذله

وأما مفهومه فصورتان واحدة وهو أن يقصد بنات فكره إذا عزم على ذلك محلا معروفا ذي كرم متأصل الكرم فيه ورثه عن الآباء والأجداد كما قال الشاعر في يحيى البرمكي

سألت الندى هل أنت حر فقال لا ... ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة ... توارثني عن والد بعد والد

ثم ما سلكه الناظم في حمل بنات الأفكار من صون ومنعها عن الاجتداء وعدلها إلا عن الأكفاء معنى تكرر وللمتقدمين موجود في كلام الشعراء والمولدين فمن ذلك قول ابن هرمة

وإن فطامك للتي فاطمتني * عفافا وقد غفلت عن النكاح

وقال داعيه

فلا أعطي فعالي من تعطله * حتى أزوجها من الأكفاء

وعاتب محمد بن عبد الملك الزيات أبا تمام على مدحه غيره فاعتذر إليه بقوله

أما القوافي فقد حصنت عذرتها ... فما يصاب دم منها ولا سلب

منعت

منعتَ إلا من الاكفاء منكحها * وكان منها عليك العطف والحدب
ولو عضلتَ عن الاكفاء أيّمها * ولم يكن لك في اكفائها أرب
كانت بنات نصيب حين ضنّ بها * على الموالي ولم تحفل بها العرب

يقول ان عذارى الفضا يرويني بها الكيفية العليا من شعره فهي مقصورة عليه واما ما ذكرت ذلك وهي الايامى فانت لا ترغب فيها فلم تمنعني ان ابعث بها الى اكفائها ممن يودّونك في الغزل والا كانت كبنات نصيب الشاعر فانه كان عبدا اسود وكان له بنات فزوجهن على من لونه فهن يستنقصنه في الادمة والدمامة وكان يجفوهن وكان يرغب بهن عن العجم ولا ترغب فيهن العرب فبقين عنده منسيات وصرن مثلا والله اعلم

*

ذكر همام وما اتفق له مع بناته

هو همام بن مرة بن ذهل الاصغر بن شيبان الاكبر بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل وهو اخو جساس قاتل كليب المتقدم الذكر وكان من خبر همام مع بناته ما ذكره صاحب القاموس قال كان لهمام بن مرة ثلاث بنات فابى ان يزوجهن فلما عنسن واغتلمن قالت احداهن بيتا واسمعته اياه متجاهلة

اهمام بن مرة ان همي * لفي اللاتي يكنّ مع الرجال

فاعطاها شيئا فقال انما يكون مع الرجال فقالت الاخرى وما صنعتِ شيئا ولكني اقول

*

اهمام بن مرة ان همي * لفي قنفاء مشرفة القذال

والقنفاء تطلق عند العرب على الغليظة مرة اذا اراد المعزى كما تطلق مجموعة وتطلق على الكمرة العظيمة وهي مراد القائلة فقال ابوها وما قنفاء تريدين معزا فقالت الصغرى ما صنعتما شيئا ولكني اقول

اهمام بن مرة ان همي * لفي عرد اسدّ به مبالي

فقال اخزاكن الله وزوجهن والعرد بفتح العين وسكون الراء المهملتين الذكر وحكى شارح الزبيدي فيه قصة همام هذه على وجه آخر فقال كان لهمام اربع بنات وكن يخطبن اليه فيمنع من ذلك عليهن فتشاورن ولا يزوجهن وكانت اخراهن تقول لو زوجتهن فلا يفعل فخرج ليلة الى متحدّث لهن فاستمع عليهن

فاستمع عليهن ومن لا يعلمن فقلن تعالين نتمنى ولنفخر فقالت الكبرى
الا ليت زوجي من اناس ذوي غنى حديث الشباب طيب النشر والذكر
لصوق باكباد النساء كانه خليفة جان لا ينام على وتر
فقلن لها انت تحبين رجلا ليس من قومك فقالت الثانية
الا هل اراها ليلة وضجيعها اشم كنصل السيف غير مبلد
لصوق باكباد النساء واهله اذا ما انتمى من سر اهلي ومحتدي
فقلن لها انت تحبين رجلا من قومك فقالت الثالثة
الا ليته يملا الجفان لضيفه له جفنة تشقى بها النيب والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة تشين فلا الفاني ولا الضارع الغمر
فقلن لها انت تحبين رجلا شريفا وقلن للصغرى تمني فقالت ما اريد شيئا فقلن
والله لا تبرحين حتى نعلم ما في نفسك قالت زوج من عود خير من قعود فارسلتها
مثلا فلما سمع ذلك ابوهن زوجهن كلهن قال شارح الزيدونية والقراب كما
للمبرد في كامله وللابي الفرج في اغانيه وللميداني في مجمعه ان هذه القصة لذي
الاصبع العدواني مع بناته الاربع ومن هنا يعلم ان ذا الاصبع مكث حولا ثم زار
الكبرى لزيارتها فقال لها كيف زوجك قالت خير زوج يكرم اهله وينسى
فضله قال فما مالكم قالت الابل قال وما هي قالت ناكل لحمانها مزعا ونشرب
البانها جرعا وتحملنا وضعفتنا معا قال زوج كريم ومال عميم ثم زار
الثانية فقال كيف رايت زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة
قال فما مالكم قالت البقر قال وما هي قالت تالف الفناء وتملا الاناء
وتودك السقاء ونساء مع نساء قال رضيت فحظيت ثم زار الثالثة
فقال كيف رايت زوجك قالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما
مالكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها ادما
لم نبغ بها نعما قال جذوة مغنية ثم زار الرابعة فقال كيف رايت زوجك
قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال
الضان قال وما هي قالت جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن
وامر مغويتهن يتبعن فقال اشبه امرءا بعض بزه فارسلها مثلا قال

المبرد

الخبر قال علي بن عبد الله فقلت لابن عباس فما قولنا وانتم معشر قريش
يتبعون قال اما ترى من بني زرق وتشغلكم الجزاة منهم في قدر او جمل وما اشبه
ذلك فيتبعونها ه فقوله جزر بضمتين جمع جزور وشبه القطعة من الناس وقولها
جوف بالضم جمع جوفاء وشبه العظيمة الجوف وقد ذكر الشيخ اليوسي في الزهر
الفهمة فقال ويحكى ايضا في نحو هذا ان رجلا من العرب كان له ثلاث بنات
قد عضلهن ومنعهن الاكفاء فقالت احداهن ان دام ابونا على هذا الرأي
فارقنا وقد زهد فينا الرجال منا فينبغي لنا ان نعرض له بما في نفوسنا
وكان يدخل على كل واحدة منهن يوما فلما دخل على الكبرى فحادثها ساعة فلما
اراد الانصراف انشدت

ايزجر لاهينا ويلحى على الصبا * وما نحن والفتيان الا شقائق
يعذن حينا من لذاذ كثيرة * وتنبو واحيانا لهن البوائق

فلما سمع الشيخ سكت ثم دخل على الوسطى فحادثها فلما اراد الانصراف
انشدت

الا ايها الفتيان ان فتاتكم * دعاها سماع العاشقين فحنت
فردوا لكم ابغوها فتى غير زمل * وان صبت تلك الفتاة وجنت

فلما سمع الشيخ سكت ثم دخل على الصغرى في يومها فلما اراد الانصراف انشدت

اما كان في ثلثين ما يزع الفتى * ويعقل هذا الشيخ ان كان يعقل
فما هن الا الخز او كلب الصبا * ولا بد منه فانظر كيف تفعل

ه ما نقله الشيخ اليوسي رحمه الله واما قول الناظم فهو مقال من انس
من في بلوغ هند بنت النعمان بن بشير الانصاري رضي الله عنه وعنها فيما
ما قالته في زوجها روح بن زنباع الجذامي وقيل الحجاج بن يوسف الثقفي وهو

وهل هند الا مهرة عربية * سليلة افراس تجللها بغل
فان نتجت مهرا كريما فبالحرى * وان يك اقراف فما انجب الفحل

فكذا انشده الجوهري وجعلها بغلا بالباء الموحدة واعترضه ابو محمد ابن بري
في جملة ما اخذ عليه وقال هو تصحيف لان البغل لا نسل له وقال البطليوسي
هذا انكر كثير من الناس رواية بغل بالباء لان البغل لا ينتج قالوا والصواب
نغل بالنون وهو الخسيس من الرجال ه ومن قال ان البيتين لبنت النعمان فانما

لأختها حميدة بنت النعمان وكانت تعيب الأزواج فيكلمهن بنتا لذلك وقيل إنما
قال ذلك ابن أسماء فقال لها لما تزوج الحجاج منها بنت النعمان المذكورة والمشهور
الأول وفي ذلك يقول ابن سمارة الشنتني *

وصاحب في كراء البكر هميته * يود في كوره إذ البريد للراعي
تبكي على جراءة الله صالحة * ثناء بعير على روح ابن زنباع

ووسل مهور كندرة إن تقدمها * لذي ثروة كالبغل في ثروته

اللغة قوله وسل مهور كندرة المهور جمع مهر بفتح فسكون وهو صداق المرأة
ويجمع أيضا على مهورة كبعل وبعولة ومهرت المرأة مهرا من باب نفع أعطيتها
المهر فهي ممهورة وفي المثل كالممهورة إحدى خدمتيها يقال للحمقاء بعلها
بالمهر فنزع إحدى خدمتيها ودفعها إليها فرضيت بها ونكيرها أن رجلا أعطى
ذاته مالا فتزوج به ابنة المعطي ثم أمن عليها بما مهرها فقالوا كالممهورة
من مال أبيها وقد يقال أمهرها بالألف بمعنى مهرها أنشد أبو زيد لحنيف العقيلي

أخذن اغتصابا خطبة عجرفية * وأمهرن أرماحا من الخط ذبلا

وكندرة بالكسر ويقال الكندي أبو حي من اليمن واسمه ثور بن عفير وإنما قيل له كندة
لأنه كند أباه النعمة أي كفرها ولحق بأخواله قوله لذي ثروة الثروة كالغنى
أصله الكثرة ثم كثر استعماله في العطاء والجود حتى صار حقيقة عرفية فيهما
يقال أثرى فلان ذو ثروة الكيف إذا كان غنيا وفلان أثرى من فلان إذا كان أكثر غنى منه
والبغل معروف وكذا ترفقوا المالي وغيره من المبايعات والله أعلم **الإعراب
والتصريف** قوله وسل أمر وقد تقدم تصريفه بعينه قريبا وكندرة مضاف إليه
فأفعله ومهوره صرورة وإن تقدمها شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه
وذائر التقسيم بإن وراح أشار إلى أن مثل الحالة في حرة والبهيم لا يليق
إلا أن تعرض لها ثم من المال وإن قالوا إن شئت إن كان من ليس فيه نفع على
السائل كما سيأتي لا كرتبة ذلك أولى لمن يفعد الفعل والف إلى لا منقلبة
عن واو وحسنها ذال عليه الاشتقاق ويكتب ألفا ومقتضى صنيع القاموس أنه يجوز
فيه الوجهان الواو والياء وعليه فيجوز كتبه بالياء أيضا وعليه اقتصر شارح
الدريدية وقوله كالبغل في محل النعت لذي ثروة وقوله في ثروته يتعلق بكاف

التشبيه

التشبيه ومن وجه التشبيه والله اعلم **ومعنى الكلام** في ارخص
الناظم رحمه الله في البيت السابق للاديب ان يقصر بعقله واشعاره من كان
اهلا لجوده عن يعاف في الكريم افادة له منا فابذله ومعنى ان مثل هؤلاء الاكابر
اذا سئلوا ينبغي ان تعظم المسئلة لديهم ويستكثر من الاقتراح عليهم قال
هشام بن عبد الملك لنصيب الشاعر سلني قال كفك بالعطية ابسط من لساني
بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه الف دينار وفي المعنى يقول ابن الخطيب

وهبت على مقدار كفي زماننا * ونفسي على مقدار كفيه تطلب

وفي محاضرات الراغب قيل مسئلة الرجل السلطان ومسئلة الابرار لا تنقصه
ولا تشينه قال الشاعر *

واذا ابتليت ببذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال

وقالت فيما برك المهلبية ويروى للخوارزمي *

الى التي اتبعها الغرابي * ستغلى منى لي الجليل الجليل
خزائن الكساد من الليالي * لكل مناع عي يوقا مريسل

ومنه ماخوذ من قول ابي تمام يمدح الحسن بن رجاء *

لما وردنا ساحة الحسن انقضى * عنا تعجرف دولة الامحال
احيا الرجاء لنا برغم نوائب * كثرت بهن مصارع الآمال
اغلى عذارى الشعر ان مهورها * عند الكريم اذا رخصن غوالي

روي ان ابا تمام لما انشد الحسن بن رجاء هذه القصيدة قام على رجليه وقال
والله لا اتممتها الا وانا قائم فقام ابو تمام لقيامه ولما ختم انشادها
قال الحسن بن رجاء ما احسن ما جلوت هذه العروس فقال ابو تمام والله لو
كانت من الحور العين لكان قيامك لها اوفى مهورها وذكر المبرد وغيره
ان لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه كان شريفا في الجاهلية والاسلام
وكان قد نذر ان لا تهب الصبا الا نحر واطعم ثم نزل الكوفة فكان المغيرة بن
شعبة اذا هبت الصبا يقول اعينوا ابا عقيل على مروءته وليس هذا في خبر
المبرد وفي خبر المبرد ان الصبا هبت يوما وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك
الوليد بن عقبة بن ابي معيط وكان اميرا عليها لعثمان رضي الله عنه فخطب

الناس فقال الحكم بن عبد ربه عقيل وقد حلف على نفسه فأعينوا أخاكم ثم نزل فبعث اليه بمائة ناقة وبعث الناس اليه فقضى نذره وفي خبر غير المبرد فاجتمعت عنده ألف راحلة وكتب اليه الوليد بأبيات ومعنى

أرى الجزار يشحذ شفرتيه * إذا هبت رياح أبي عقيل
أغر الوجه أبيض عامري * طويل الباع كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفري بحلفتيه * على العلات والمال القليل
بنحر الكوم إذ سحبت عليه * ذيول صبا تجاوب بالأصيل

فلما بلغه الشعر وكان قد ترك الشعر منذ أسلم قال لابنته أجيبيه فلعمري لقد عشت برهة وما أعيا بجواب شاعر فقالت ابنته

إذا هبت رياح أبي عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الأنف أصيد عبشميا * أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد * وظني يا ابن أروى أن تعودا

فقال لها لبيد قد أحسنت لولا أنك استزدته فقالت إن الملوك لا يستحيى من مسألتهم فقال وأنت يا بنية في هذه أشعر وهذا هو الشاعر الذي أشار اليه الناظم رحمه الله

ذكر مهر كندة وما قيل فيها

قال الشيخ أبو منصور الثعالبي في ثمار القلوب كانت كندة لا تزوج بناتها بأقل من مائة من الإبل وربما فعلت الواحدة منهن أنفا منها فصار مهر كندة مثلا في الغلاء حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أذهب ملك غسان وضع مهر كندة وقال صلى الله عليه وسلم أعظم النساء بركة أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا وأن الكلام في هذا الباب المعروفات وكراهة من كرهها من العلماء واعتراض المرأة التي اعترضت على عمر رضي الله عنه في ذلك كله معروف فلا نطيل بذكره والله تعالى الموفق

ولا تنس من دنياك حظك وائتد * كاللهو والغزل والحبيب الحلو

الاعراب والتصريف فقوله لا تنس من دنيا الخ لا نافية وتنس
مجزوم بها بحذف الالف وهكذا فعله ومن دنيا حال من موضع النصب لان نعت
النكرة اذا قدم عليها يعرب حالا فقوله وذي كالقصا الفاء او الواو داخلة
على فعل الامر ومن متعلق بمتعلق به والكاف في قوله كالقصا الفاء اسمية
وخفضها بياء النسب فيه للضرورة والمنصب معطوف عليه والفكرة دنيا مشتق
من الدنو فلا مد في الاصل او ان الفاء عاقلة ان فعلى المضموم الفاء متى
كان وصفا واوه اللام وجب قلب واوه ياء كالدنيا والعليا وشذ في لغة غير
تميم القصوى قال الله تعالى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى
وبنو تميم يقولون القصيا على القياس وبين الكلا الفاء والكلم شبه الاشتقاق
والله اعلم ومعنى الكلام هذا كالاستدلال على ما اقيمه الكلام السابق
من الترغيب للادب في استجراء من لا تلحقه معرته باستجرائه وهو مقتبس من
قوله تعالى وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا
قال ابن عطية وغيره ومعناه لا تضيع منها ما يكفيك ويصلحك وفيه دليل
على ان الانسان لا بد ان يتناول من الدنيا القدر الذي لا تتأتى الحياة وتحصيل
امر المعاد الا به لان الله تعالى لم يخلق الدنيا عبثا بل اسس فيكم للاخرة
ومن عندها فلولا لم يكن دنيا لم تكن اخرة فاليوم الغرس وغدا الحصاد غير ان
الانسان اذا اتاه ورأى ان القدر المحتاج اليه وجب عليه ان يتناوله بميزان
الشرع وقانونه ومن الناس من يكون فيه التوكل بدل اي المقصر الذي يعمر الاخرة
من غير فلا يجب على جميع المكلفين ويكون انما هذا التنعم به في منزل الدار
الفانية فيكون فرحا بكم على الوسيلة وضيع المقصود ذاك شان المغفل
المغرورين وامثال المغفلين المغبونين قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال
رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما اتاك
الله عز وجل منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولن يضرك حب
الدنيا وفي كلام ابن الخطيب اشارة الى ان الانسان لا ينبغي له ان يكون
ما راعيا بكلا الاكلا على غيره يكثر الكد من باب التوكل او انه مثل او نحو ذالك

مما رغب فيه الشرع ودل على حسنه العقل بل صاحب هذه الحالة جامع بالحكمة وبالشرع وبكثرة العلم والفهم. اما جمعه بالحكمة فلأن الله تعالى لم يخلق هذه الدار عبثا ولم يضع الأرض للأنام ليقعدوا فيها فارغين وانما خلقها للعمل وخلق الآخرة للجزاء، ولو شاء الله لأنزل الرزق على غير العمل والسعي في امر المعاش ليتكلوا من حينهم ولبطل المقصود من خلق الدنيا ولو بطلت الدنيا لبطلت الآخرة اذ هي ثمرتها وفرع عنها وذلك كله خلاف الحكمة فالدنيا دار عمل وحكمة والآخرة دار جزاء وفرق. واما جمعه بالشرع فلأن الله تعالى قد ندب الى طلب المعاش اذ قال فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال ان الله يحب المؤمن المحترف ويبغض العبد الصحيح الفارغ الى غير ذلك. واما جمعه بكثرة العلم والفهم فلأن ما ظنه من ان ترك الأسباب يحصل مقام التوكل ليس كما ظن لأنه لا تنافي بين تعاطي الأسباب والتوكل على الله لتباين محليهما فان التوكل محله القلب وتعاطي الأسباب محله الجوارح الظاهرة فليس الاشتغال بأحدهما مانعا من الاشتغال بالآخر بل الواجب هو الجمع بينهما كما قال صلى الله عليه وسلم لصاحب الناقة اعقلها وتوكل فالتوكل فيلاحظ فيه كيفية الحقيقة وتعاطي الأسباب فيلاحظ فيه كيفية الشريعة ولا يكون العبد مستقيما الا اذا جمع بين الأمرين في كل الأحوال والا كان اما معطلا واما زنديقا عياذا بالله نعم قد يصرف الله تعالى بمقتضى كرمه بعض عبيده عن الأسباب ويقوم فيها عنهم ويختصهم لنفسه ويكفيهم بقدرته ولا يشغلهم الا في عبادته وانواع طاعته وهؤلاء قليل بالنسبة الى الجمهور الذين خلقهم الله لعمارة الارض وعلامة هذا الصنف القليل ان الله تعالى يحميهم من الدنيا ويزويها عنهم ومهما تعاطوا شيئا منها عسر عليهم حصوله ولا تتيسر لهم ارزاقهم في الغالب الا من حيث لا يحتسبون مما لا تسبب لهم فيه فمن اقامه الله في شيء من هذا المقام فذلك علامة على ان الله اراده لنفسه لا للدنيا وفيه يقول الله تعالى يا دنيا اخدمي من خدمني واتعبي

من خزيته فليتفهم من زل العبد عن الله وليقف عند مراده منه والا شغله في
غير الله وكان بمنزلة العبد الذي يريد الملك استناده منه او وزارته او غير ذلك
من المنازل الرفيعة وهو يطلب من الملك ان يفعل له شيئا لرواية فجزاؤه
بالمقت والكفر والعياذ بالله وفي الحكم العطائية ارادتك التجريد مع اقامة
الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة
الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية ه والله تعالى الموفق بمنه
وكرمه

ذكر الطالقاني والخصيب وبعض اخبارهما

اما الطالقاني فهو الوزير الاكبر والرئيس الشهير ابو القاسم اسماعيل
ابن عباد بن العباس بن عباد بن احمد بن ادريس الطالقاني نسبة الى الطالقان
بفتح اللام وهو اسم لمدينتين احداهما بخراسان والاخرى من اعمال قزوين
وصاحب الترجمة اصله من طالقان قزوين لا طالقان خراسان وهو المعروف
بالصاحب ابن عباد كان نادرة الزمن واعجوبة العصر في فضائله وكرمه
اخذ الادب عن ابي الحسين احمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب المجمل واخذ
عن الرئيس ابي الفضل بن العميد وغيرهما وقال ابو منصور الثعالبي في يتيمة
الدهر في حقه ليست تحضرني عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله
في العلم والادب وجلالة شانه في الجود والكرم وتفرده بالغايات في
المحاسن وجمعه اشتات المفاخر لان همة قولي تنخفض عن بلوغ ادنى فضائله
ومعاليه وجهد وصفي يقصر عن ايسر فواضله ومساعيه ثم شرع في شرح
بعض محاسنه وطرف من احواله وقال ابو بكر الخوارزمي في حقه الصاحب
نشا من الوزارة في حجرها ودب ودرج من وكرها ورضع افاويق درها
وورثها عن ابائه كما قال ابو سعيد الرستمي في حقه

ورث الوزارة كابرا عن كابر   موصولة الاسناد بالاسناد
يروي عن العباس عباد وزا   رته واسماعيل عن عباد

وقال فيه ايضا

من النفر العالين في السلم والوغى   واهل المعالي والعوالي والقنا
اذا نزلوا اخضر الثرى من نزولهم   وان نازلوا احمر القنا من نزالها

قال وشوا قرأت من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل
ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى
الوزارة وبقي علما عليه وكان قد وزر لمؤيد الدولة بن ركن الدولة
ابن بويه الديلمي فلما توفي مؤيد الدولة بجرجان واستولى على مملكته أخوه
فخر الدولة أبو الحسن علي أقر الصاحب على وزارته وكان مبجلا عنده
ومعظما نافذ الأمر إلى أن مات ومن أخباره أنه أنشده أبو القاسم الزعفراني
يوما أبياتا نونية من جملتها

أيا من عطاياه تهدي الغنى ... إلى راحتي من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين ... كسى لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ... صنوف من الخز إلا أنا

فقال له الصاحب قرأت في أخبار معن بن زائدة الشيباني أن رجلا قال له
احملني أيها الأمير فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ثم قال لو
علمت أن الله تعالى خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمرنا لك من
الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء
وجورب وكيس ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه واجتمع
عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بغرر المدائح وكان مليح
النادرة حسن الأجوبة له بفرائد مأثورة وحكم سائرة يكثر اجلبها وله في
اللغة كتاب المحيط في سبع مجلدات وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب
الأعياد وفضائل النيروز وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي رضي الله
عنه ويثبت إمامة من تقدمه وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته وكتاب
الوزراء وكتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي وله رسائل بديعة ونظم
جيد منه قوله في الخمر

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

وله يرثي الوزير أبا علي كثير بن أحمد

يقولون لي أودى كثير بن أحمد ... وذلك رزء في الأنام جليل

وقلت ذو عفة والعقل يتبعه معا * بمثل كثير في الأنام قليل

وحكي عنه أنه كانت عادته في أسفاره وتنقلاته أن يستصحب حمل ثلاثين بعيرا من كتب الأدب ليطالعها فلما وصل إليه كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه استغناء به عنها وكانت ولادته لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة بإصطخر وقيل بالطالقان وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالري ثم نقل إلى أصبهان ودفن في قبة بمحلة تعرف بباب دريه قال ابن خلكان وهي عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض قال ورأيت في أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الري واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور أولا وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياما ورثاه أبو سعيد الرستمي بقوله *

أبعد ابن عباد يهش إلى السرى ... أخو أمل أو يستماح جواد

أبى الله إلا أن يموتا بموته ... فما لهما حتى المعاد معاد

وقال أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر الأصبهاني رأيت في المنام قائلا يقول لي لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك فقلت ألجمتني كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ منها وقد خفت أن أقصر وقد كثر في الاستيفاء لها فقال أجز ما أقوله فقلت قل فقال *

ثوى الجود والكافي معا في حفيرة ... فقلت ليأنس كل منهما بأخيه

فقال هما اصطحبا حيين ثم تعانقا ... فقلت ضجيعين في لحد بباب دريه

فقال إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم ... فقلت أقاما إلى يوم القيامة فيه

هكذا ذكر البياسي في حماسته وذكر الثعالبي في ثمار القلوب أن أبا القاسم المذكور رثى الصاحب بقصيدة منها قوله *

يا كافي الملك ما وفيت حقك من ... مدح وإن طال تقريظي وتأبيني

قبح الحياة بما تزينه من أجل الا وتزيينه أيام نعيم
ماتت وجدى بل فرحا تمر ولذة ∴ سواء كان ابن الدنيا بل الدين
مما ذوى نواحي العلا مزقت ناديه ∴ من بعد ما نربته أم العين
تبكي عليه العطايا والعفاة كما ∴ تبكي عليه الرعايا والمساكين
فلا الشعالة وكان الخوف أعدمهم ∴ واستيقظوا بعدما ألهاهم الملاعين
لا يعجب الناس إن فزعت فانتشروا ∴ مضى سليمان فانحل الشياطين

وأما الخصيب فهو أبو نصر الخصيب بن عبد الحميد أحد عمال الرشيد وصاحب ديوان الخراج بمصر كان من الأجواد المقصودين والسمحاء المعروفين فقصده أبو نواس الحسن بن هانئ من بغداد إلى مصر ومدحه بأمداح بليغة فأحسن إليه غاية الإحسان حتى حسده الخليفة على ذلك وروي أن أبا نواس لما وفد عليه استأذن ذات ليلة وعنده الشعراء فأنشدوا أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشدك أيها الأمير قصيدة هي كعصى موسى تلقف ما صنعوا قال أنشد فأنشد قصيدته التي أولها ناع

أجارة بيتينا أبوك غيور ∴ وميسور ما يرجى لديك عسير

ومنها إلى أن قال

تقول التي من بيتها خف مركبي ∴ عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب ∴ بلى إن أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر ∴ جرت فجرى في جريهن عبير
ذريني أكثر حاسديك برحلة ∴ إلى بلد فيه الخصيب أمير
إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا ∴ فأي فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشتري حسن الثناء بماله ∴ ويعلم أن الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه ∴ ولكن يسير الجود حيث يسير

ومنها

فمن كان أمسى جاهلا بمقالتي ∴ فإن أمير المؤمنين خبير
وما زلت توليه النصيحة يافعا ∴ إلى أن بدا في العارضين قتير
إذا نابه أمر فإما كفيته ∴ وإما عليه بالكفي تشير

ثم شرع من هنا في ذكر المنازل التي مر عليها في طريقه ثم قال في آخرها

زها بالخصيب السيف والرمح في الوغى   وفي السلم يزهو منبر وسرير

جواد إذا الأيدي قبضن عن الندى   ومن دون عورات النساء غيور

وإني جدير إذ بلغتك بالمنى   وأنت بما أملت منك جدير

فإن تولني منك الجميل فأهله   وإلا فإني عاذر وشكور

فأعجب الخصيب لشاعر بها وأمر له بألف دينار ووصيفة ووصيف ثم مدحه بعد ذلك بغيرها فعابه حساد من ذلك قوله

أنا في ذمة الخصيب مقيم   حيث لا تعتدي صروف الزمان

فرعونا من الخصيب خلال   آمنتنا حوادث الحدثان

كيف أخشى من الليالي اغتيالا   ومكاني من الخصيب مكاني

ومنه أيضا قوله

نصحتكم يا أهل مصر نصيحتي   ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية   أكول لحيات البلاد شروب

فإن يك باقي إفك فرعون فيكم   فإن عصا موسى بكف خصيب

ويقال أن أبا نواس لما عاد إلى بغداد مدح الخليفة فقال له وأي شيء تقول بيننا ببغداد قلت في بعض قوافيك إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا فأطرق ملية ثم رفع رأسه وأنشد

إذا نحن أثنينا عليك بصالح   فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

وإن جرت الألفاظ منا بمدحة   لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني

وعاتبه الرشيد أيضا على قوله فإن عصا موسى بكف خصيب فإنه سوء أدب مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **واعلم** أن على الناظم رحمه الله مؤاخذة وذلك أنه قد ذم فيما تقدم أن الذي ينبغي أن يقصد بالسؤال الحر من كان عريق الجود أصيل الكرم ثم مثل هنا بالكرام الغابرين والخصيب فأما الكرام الغالي فأمره مسلم لأنه من بيت الوزارة كابرا عن كابر كما هو في أخباره وأما الخصيب فغيره كذلك لأنه كان عبدا للرشيد قال الزمخشري في الكشاف عند قوله تعالى ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ما نصه وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدي فولاها الخصيب

وكان يملي ويقول له ٥ وإن ذكرت غيره واحد من المؤرخين الاثبات ان الرشيد
بلغه ان موسى بن عيسى الهاشمي صاحب مصر عزم على الخلع فقال والله
لأعزلنه بأخس من على بابي فاحضر عمر بن مهران وكان احول مشوه الخلقة
خسيس اللباس يردف غلامه خلفه فولاه عليها فلما وصل الى مصر حضر
مجلس موسى بن عيسى وجلس في اخريات الناس فلما افترقوا قال ألك حاجة
قال نعم ثم دفع اليه كتب الخليفة فلما قرأها قال متى يقدم ابو حفص
أبقاه الله قال انا ابو حفص فقال موسى لعن الله فرعون حيث قال أليس
لي ملك مصر ثم سلم له العمل لا كسر ورأيت في رحلة ابي عبد الله اللواتي
الطنجي المعروف بابن بطوطة ما يقرب مما للزمخشري فانه لما تكلم على منية
الخصيب وهي بليدة بمصر قال يذكر ان احد الخلفاء من بني العباس غضب على
اهل مصر فآلى ان يولي عليهم اخس عبيده واصغرهم شأنا وكان خصيب اخسهم
اذ كان يتولى تسخين حمامه فخلع عليه وولاه على مصر وكان يظن انه يسير فيهم سيرة
يرد عليهم حسبما هو المعهود ممن كان حديث عهد بعز فلما استقر خصيب بمصر
سار في اهلها سيرة حسنة واشتهر بالكرم والايثار فكان اقارب الخليفة
وغيرهم يقصدونه فيجزل عطاءهم ويعودون الى بغداد شاكرين وان الخليفة
افتقد بعض اقاربه فلم يعثر عليه ثم جاءه بعد مدة فسأله فقال كنت عند
خصيب ثم ذكر له ما وصله به فاذا هو شيء كثير فغضب الخليفة على خصيب
وامر باحضاره من مصر فلما وصل الى بغداد سمل عينيه وطرحه في السوق
فلنت ولقد صدق عليه قول ابي نواس حيث قال *

فتى يشتري حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور

قال ثم بره بعض الشعراء وهو على تلك الحال فقال يا خصيب اني كنت قد
قصدتك من بغداد الى مصر مادحا لك بقصيدة فوافقت انصرافك عنها
واحب ان تسمعها الآن فقال كيف بسماعها وانا على ما ترى فقال انما قصدي ان
تسمعها واما العطاء فقد اعطيت الناس جزاك الله خيرا فقال افعل
فأنشده قصيدة اولها *

انت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فلما أتى على آخر ما أخرج له الخصيب يا فرتنة نعيشة كان آخرهما عنده ليوم فقال للشاعر أن يقبلهما بعزم عليه حتى قبلهما وذهب بهما إلى سوق الجوهريين يكلمهم فقالوا ما مثله أن يصلح إلا للخليفة وانتهض بهما إلى الخليفة فأحضر الشاعر وسأله فأخبره الخبر فبرع على قاعدته فيه في خصيب وأحضره وأجزل العطاء له وحكمه فاقترح عليه أن يقطعه المنية التى بمصر فجعل فسكنها خصيب إلى أن توفى وأورثها بنيه حتى انقرضوا هكذا فى الرحلة المذكورة ومقتضى هذا الخبر أنها بذلك سميت منية خصيب والله أعلم بحقيقة الأمر وأما البيت الذى أنشده من القصيدة فالمعروف أنه لأبى نواس وهو جائز أن يكون مع الذى تعرض للخصيب ثانيا حتى أعطاه ثانيا فرتنة والله تعالى أعلم

لا تبغ من لم يعطك وابغ من أتى * إن السراب بالبلاء يشتفى

الإعراب قوله لا تبغ نهى ومن موصولة مفعول تبغ وجملة لم يعطك صلتها والعائد من الضمير الفاعل بيعطك ومفعوله الثانى محذوف للعطاء فلذلك يأتى له بمفعول فقوله وابغ من أتى أمر معطوف على النهى المتقدم ومن موصولة وجملة أتى صلتها والعائد من الضمير الفاعل بأتى وإن السراب وبالبلاء يتعلقان به وجملة يشتفى حال من فاعل مستتر أتى وفى الكلام استعارتان أحداهما فى لفظ السراب فإنه مجاز عن الرجل المخلف الوعد والثانية فى لفظ يشتفى فإن الاشتفاء مجاز عن السؤال والاستجداء ولذا يسمونه استماحة مع أن الاستماحة فى الأصل من طلب الماء ولفظ البلاء ترشيح ولك أن تعتبر المجاز فى الكلام برمته فيكون من باب التمثيل وأن حال هذا السائل الذى يسأل أهل الكذب والإخلاف كحال من يأتى إلى السراب يروم أن يحصل منه على نصيب من الشراب فما أضيع سعيه وما أخيب قصده واستعارة السراب للرجل الكذاب موجودة فى كلام العرب وغيرهم من شعراء المولدين فمن أمثال العرب السراب أكذب من يلمع واليلمع هو السراب وقال أبو تمام يهجو أبا المغيث الرافقى

ما زال وسواسى لعقلى خادعا * حتى رجا مطرا وليس سحاب
ما كنت إلا كالدلاة رأيت بأنه * فى بادية السوق سراب

وكذا استعارة الاستشفاء للطلب مستعملة كثيرا قال الإيرانى شرح المرزوقى

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجيء بملئها طورا وطورا تجيء بحمأة وقليل ماء

وقال ابن الرومي *

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه

وأما معنى كلام الناظم فهو مأخوذ من كلام نصيب قال الشيخ المحلي قال مسلمة بن عبد الملك لنصيب إنك لا تحسن الهجاء فقال بلى والله أتراني لا أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله فقال إن فلانا قد مدحته فحرمك فاهجه قال لا والله ما ينبغي أن أهجوه وإنما ينبغي أن أهجو نفسي حين مدحته فقال مسلمة هذا والله أشد من الهجاء وقال أبو الطيب في المعنى قال ابن خلكان وليسا في ديوانه وهما ثابتان عنه بالإسناد *

أبعين مفتقر إليك نظرتني فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم لأنني أنزلت آمالي بغير الخالق

وقال مهيار الديلمي *

أكرم يديك عن السؤال فإنما قدر الحياة أقل من أن تسألا
تلحى على بخل البخيل بماله أفلا تكون بماء وجهك أبخلا

وقال غيره

لا تغضبن على امرئ لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي استدعاك تطلب ما لديه

(وعد بما عودت من بذل اللهى فالعود أحمد لكل مملق)

اللغة قوله وعد بما عودت العود الرجوع وسميت العادة عادة لأن صاحبها يعاوده مرة ويرجع إليها مرة بعد أخرى وعودته كذا فاعتاده وتعوده أي صيرته له عادة قوله من بذل اللهى بذل الشيء أعطاه وجاد به عن طيب نفس واللهى جمع لهوة بالضم ويقال اللهية بالياء بدل الواو واللهية العطية من أي نوع كانت وقيل هي أفضل العطايا وأجزلها وفي المثل إن اللهى تفتح اللها أي إن الإحسان يطلق اللسان بالمدح والشكر قوله لكل مملق أي فقير محتاج قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أي فقر وحاجة والله أعلم

لا غراب

الاعراب والتصريف قوله وعزلنا عمودتي فأمر مقولة وعمودتي بفعل ما قد فشى لنا ثم يسم فاعله ونائب الفاعل ضمير المخاطب والعائد من الصلة إلى الموصول محذوف من المفعول الثاني تقديره عمودتنه ومن بين النفي بيانا لما فهو متعلق بمحذوف حال منها والكلام على حذف مضاف أي وعزلنا فتضاء ما عمودتنه من بين النفي وأل في النفي يجوز كتبها ألفا وياء لما تقدم من أنها تارة تستعمل بالواو وتارة بالياء وقوله فالعود أحمد جملة من مبتدإ وخبر علة للأمر بالعود وتمييز أحمد محذوف أي أحمد عاقبة واسم التفضيل هنا مصوغ من فعل المفعول وهو شاذ ولكنه مسموع كما سيأتي في أفعل التفضيل والله أعلم **معنى الكلام**

مراكا لتغيير للبيت السابق لأنه لما نهاه عن هجر من منعه معروفه وان كنت ولابن مقاحيا فتنفسد أوفى بالعجب ومنه بين منها أن ذلك في جميع من يعوده الإحسان والمبرة ولم يتكدر عليه وله لذلك المرة بعد الأخرى أما إذا عوده كريم الصنع والإحسان ثم انقطع عنه تفضيل في بعض الأحيان فلا يحملك سوء الكبر به على هجرانه وترك التعرض ثانيا لإحسانه حتى يؤديك الكبر إلى الجفاء والقطيعة ويلحقون بسوء المجازاة على حسن الصنيعة فإن الصارم قد ينبو والجواد قد يكبو فاغتفر له عن هفواته واحمله في الكفا من والتباكر على أغلب عاداته وفي المعنى قيل

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

فإذا أغضيت له عن هنات النواجرة فإنك تصادف بعدها أحمد عاقبة وأجمل مآثره **حدث** أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي قال عرضت على أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات رقعة في حاجة فقرأها ووضعها من يده ولم يوقع فيها بشيء فأخذتها وقمت وأنا أقول متمثلا من حيث يسمع من بين يديه

وإذا خطبت إلى كريم حاجة … وأبى فلا تقعد عليه بحاجب

فلربما منع الكريم وما به … بخل ولا كرم سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت ارجع يا أبا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن إذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فإن القلوب بيد الله تعالى فأخذ الرقعة ووقع فيها بما أردت ودخل بعض الطالبين على إسحاق بن إبراهيم فسأله حاجة

فبعده فأنشد الكمال لي

لا تيأسن من كريم نبوة ... ينبو المشرفي ويكبو الجواد إذ يقتحم
فإذا انبا فاستبقه وتأنه ... حتى يفيء به الطباع الأكرم

وقال ابن الرومي

نذكر بالرقاع إذا نسينا ... ونرجو حين تكفلنا الكراع
فإن الأم لم ترضع صبيا ... مع الإشفاق لو سكت الغلام

وقال بشار

متى زنت لا أنفع بنيلك ناسيا ... لأمر ولا أبغي إذا ردت التقاضيا
ولكن رأيت الشيء من بعد سيله ... إذا لم يزل محتاجا وإن كان ماضيا

واعلم أن هذا المعنى الذي أتى به البيتان هو من ألطف الآداب كما ترى والشاعر من رفع الهمة عن ذلك كله **واعلم** أيضا أن ما حملنا عليه كلامه من أن هذا خطاب للسائل وأن قوله لما عوده مبني للمجهول هو المناسب من وجوه **أحدها** أن كلامه الشاعر في كله مع السائل لا المسؤول منه فليكن هذا مثله ليكون الكلام جاريا على سنن واحد **ثانيها** أن الذي نكون أولى بالمثل الذي استدل به أعني قوله العوده أحمد كان سائلا به مسؤولا منه كما قررنا **ثالثها** أنه لو كان كلامه مع المسؤول منه وأن قوله لما عوده مبني للفاعل لكان الواجب أن يقول في آخر البيت مثلا فالعوده أحمد لكل منعم بذل معلوم لكنه لم يقل ذلك فعلمنا أن كلامه مع السائل كما قررنا أولا والله أعلم ولعم لو عني بمعنى كما ذكرنا وكان كلامه مع المسؤول منه لكان أحسن إذ المسؤول أحوج إلى مزيد الترغيب والتذكير من السائل ولأن العود من المنعم مستحسن شرعا وطبعا بخلافه من الملح فإن ذلك مكروه عند الله والأربع لا عند الناس من سوء رفع الهمة والتعفف كما قلنا ولا كان الناظم ذا أخذ في الأدب وجار على طريقة أربابه ويكثر من التلميح لأمثال العرب ونوادرها والتنبيه على نكتها وغامضها فلا يخفى الشذوذ في مذهبهم والجري على سننهم في بعض الصدور والله الموفق

ذكر أول من قال العوده أحمد

اختلف

اختلفت في اول من قال العود احمد فقيل قاله ابن نويرة اليربوعي حيث يقول

جزينا بني شيبان امس بقرضهم * وعدنا بمثل البدء والعود احمد

وقال الاصمعي ان اول من قاله خراش بن حابس التميمي وذلك انه كان قد خطب فتاة من بني ذهل ثم من بني سدوس يقال لها الرباب بعد ان مكث بها مدة ثم اقبل يخطبها وكان ابواها يتنفسان بجمالها وميسمها فردا خراشا فاضرب عنها زمانا ثم اقبل ذات ليلة راكبا فانتهى الى محلتهم وهو يتغنى ويقول

الا ليت شعري يا رباب متى ارى * لنا منك نجحا او شفاء فاشتفي
فقد طالما عنيتني ورددتني * وانت صفيي دون من كنت اصطفي
لحى الله من تسمو الى المال نفسه * اذا كان ذا فضل به ليس يكتفي
فينكح ذا مال دميما ملوما * ويترك حرا مثله ليس ينتفي

فعرفت الرباب منطقه وجعلت تتسمع اليه وحفظت الشعر وارسلت الى الركب الذين فيهم خراش ان انزلوا بنا الليلة فنزلوا وبعثت الى خراش ان قد عرفت حاجتك فاغد الى ابي خاطبا ورجعت الى امها فقالت يا امه هل انكح الا من اهوى والتحف الا من ارضى قالت بلى فماذا قالت فانكحيني خراشا قالت وما يدعوك الى ذلك مع قلة ماله قالت اذا جمع المال السيء الفعال فقبحا للمال فاخبرت الام الاب بذلك فقال الم نكن صرفناه عنا فما بدا له فلما اصبحوا غدا عليهم خراش فسلم وقال العود احمد والمرء يرشد والورد يحمد فارسلها مثلا وتمثلا ملك خراش الرباب فغاب عنها اعواما فطلقها فاخر من قومها يقال له سلم فجمعهما ثم ان سلما شردت له ابل فركب في طلبها فمر بابل خراش في المكر فلما علم به خراش كتمه امر نفسه ليعلم علم امراته وسار فسال سلم خراشا عن الرجل فخبره بغير نسبه فانشا سلم يقول

اصبحت من الرباب وقد ام سلمى * فما ولها بعد حسن يا خراش
فيا لك بعل جارية فتاة * صبور حين تصطخب الكباش
وكنت بها اخا عيش سديد * وقد تروى على الظما العطاش
فلا ارجع ويا ليتها خراش * تجيزه فما لا في الفراش

فعرف خراش الامر عند ذلك ثم دنا منه وقال اخبرتنا بنا ابا اخا بني سدوس فقال

ك هذا الذي انتهى عليه المجد في القاموس فقال والعود احمد اي اكثر حمدا لانك لا تعود الى الشيء غالبا الا بعد خبرته او معناه انه اذا ابتدا المعروف جلب الحمد لنفسه فاذا عاد كان احمد اي اكسب للحمد له او هو افعل من المفعول لان الابتداء محمود والعود احق بان يحمد قال الشراح ابن جابر ... الى قول الشارح والورد يحمد

سلمى علقت فتاة غاب عنها زوجها فبانا انعم اهل الدنيا بها ومنى لذة
عيشي فقال خداش بن عمند فاذن سلمها فتلا فبسا رسا عنه ثم قال حدثنا يا اخا
بني سدوس عن خليلتك قال تسريت خباءها ليلا فبت بانعم ليلة اعلو واعلى
واعانق وافعل ما اشتهي فقال خداش بن عمند ودعوت الجفنة فتاخر واخذ كم
سيفه وعمد له بثوبه ثم لحقه وقال فانه اية ما بينكما اذا جئتها قال
اقمت ليلا اتى فكان ذكرا من خبائها ومن تخرج بتغول *

يا ليل هل من ساهر فيك كما لي * هوى خليل لا ينثني عن ملتقانا ثم ما

باجاد بها لي نعم ساهر فذكر الليل ما بي لي بها فيه ما هويت فقلتنا ثم ما
فتعرف اذا انا معرفتم قال خداش بن عمند ودنا حتى فرزنا فتنة بنا فيه وهم بة
بسيفه فاكان فقعد وبقي ساهرا بين شجر الرحل يفكر ثم انصرف الى الدار
ابن عمه سلمى فعرفه ليلا وهم بنا الرحال وحتى فتكتم بذلك البيت فجاوبها
بالاخر فرتنت منه ومن ترو انه سلمى فقتلهما بالسيف فعلوا ما بين المعروف
الى الزور ثم ركب وانكلو ونعت الشيخ ابو علي اليوسي في زهر الاكم عبد الملك
ابن مروان قال لحاجبه ائتني ببرذون فاتى بها فوضعها بين يديه وقال من حضر له
من رجال العرب ايكم انشدني من مثل البيت والعود احمد وله هذا البرذون فلم
يكن فيهم من يعرفه فقال للحاجب اخرج وانظر من بالباب من العرب وقل من ينشدني
من مثل البيت والعود احمد وله هذا البرذون فخرج الحاجب وقال ذلك فقام فتى
من العرب وقال انا قال الحاجب فانشدني قال لا الا ان اشافه امير المومنين
فدخل الحاجب فاخبره فقال عبد الملك هذا رجل له ان يعرفه وله حاجة والبيت
ليدخل على ولم ينشدني ثم ما فيه اذ خله فلما دخل وسلم قال عبد الملك
انشدنا من بيتنا فقال يا امير المومنين حاجتي قال وما هي قال بنو عمي لا ياخذو
ضيعتهم بالسواد فادخلوا ضيعتي في ضيعتهم فقال عبد الملك فان امير
المومنين قد رد عليك ضيعتك فانشدنا من بيتنا قال نعم يا امير المومنين
فالتك تميم انه بيتها قال اوس بن حجر

جزينا بني شيبان ما علا بفعالهم * وعدنا بمثل البدء والعود احمد

قال احسنت فما زيا امير المومنين ابلغني ربي فقال قد ابلغتك قال فانك اليمنى

إنه بيتها قال امرؤ القيس *

فإن كنت قد ساءتك مني خليقة * فعودي كما نعهد لي فالعود أحمد

قال الخطابي قال يا أمير المؤمنين قالت ربيعة إنه بيتها قال المرقش

واخترت فيما كان بيني وبينه * وإن عاد بالإحسان فالعود أحمد

قال الحبش وإنما لكثرتها من أنت قال أنا زيد بن عمرو فقال عمر قال من حي جانب بجرومة فيشرق عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وما هذا اليمن وتانيت كنانة أنا امرؤ من بني عذرة فأمر له بالبردة هـ والأشعار في هذا المثل كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله الموفق

(ولا تعذ بعذري من فروقلو * من فيما عمل بذا الكملي)

هذا البيت من غرر أبيات هذه القصيدة وعيونها لحسن سبكه وجودة طبعه ومحاسنة معناه ووضوحه واستقامة حجته ورشاقة تلعيبه مع ما اشتمل عليه من الجناس التام على الوجه الأخص الأبلغ ومنه قول ابن الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني في الوزير المهلبي *

وبما استمعنا لا يزين بفعله * أغذار وما عشنا وقد وافقنا

وردنا عليه مغتبرين فراشنا * وردنا نداه مجتنين فأخصبنا

ويتم معناه بسرد النعمة التي في البيتين بتفوله *

ذكر من قال غلابين أو طلقهما والسبب فيه

فأول ذلك عمران بن حطان السدوسي قال في الأغاني كنيته أبو سماك شاعر فصيح من شعراء الخوارج ودعاة تميم المقدمين في مذهبهم وكان من القعدة لأن عمره قد كان أضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه وكان قبل أن يفتتن بالخارجية مشتهرا بطلب العلم والحديث ثم بلي بذلك المذهب فضل وهلك وكان قد أدرك صدرا من الصحابة وروى عنهم وروى عنه أصحاب الحديث وكان أفلت من البصرة فلما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجاج فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك فهرب إلى عمان وكان ينتقل إلى أن مات في تواريه ولعله في تنقلاته واختفائه أخبار وأشعار يطول ذكرها ومن صاحب الأبيات النونية التي مدح فيها عبد الرحمن بن ملجم المرادي لقتله

امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر فبغضه ومن مشهوري جلة نبيه بما نزل الكتاب ومن الغلو بان في الحجاج يعني فيه بعر اده من غزالة الحرورية

اسد علي وفي الحروب نعامة ۞ ربداء تجفل من صفير الصافر

هلا برزت الى غزالة في الوغى ۞ بل كان قلبك في جناحي طائر

وقال الزمخشري عند قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا الاية كان عمران بن حطان من ادم بني ادم وامراته من اجملهم فاجالت نظرها في وجهه ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ومن لطائف المنقول من كان السبب في انتقاله عن مذهب الخوارج فانه كان سنيا وذكر له جمالها واعتقادها مذهب الخوارج فقال ان تزوجها وارده الى السنة فلما تزوجها ردته الى مذهبها ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا وكان السبب في قوله المثل المترجم له ان الحجاج كان يطلبه وكان مختفيا عليه حتى ظفر به في جماعة من اسرى الخوارج فقال يا غلام اضرب عنق ابن الفاعلة فقال عمران بئس ما ادبك به اهلك يا حجاج كيف امنت ان اجيبك بمثل ما جبهتني به او بعد الموت منزلة اصانعك عليها فاطرق الحجاج استحياء مما فرط منه وقال خلوا عنه ويقال انه قال له ابيك موضع للصنيعة فقال اجل فامر له بفرس مسرج وشيء وخلى سبيله فلما عاد عمران الى اصحابه من الخوارج قالوا له والله يا ابا سماك ما اطلقك الله الا لتعود لحرب الفاسق فقال هيهات غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها فارسلها مثلا ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه ۞ بيد تقر بانها مولاته

إني إذا لأخو الدناءة والذي ۞ عفت على عرفانه جهلاته

ماذا اقول إذا وقفت إزاءه ۞ في الصف واحتجت له فعلاته

وتحدث الاكفاء ان صنائعا ۞ غرست لديه فحنظلت نخلاته

أأقول جار علي إني إذا ۞ لأحق من جارت عليه ولاته

تالله لا كدت الامير بآلة ۞ وجوارحي وسلاحها آلاته

آلِكبرِه وعلى شيعته الخلفي * وعليه رحمة ربه وصلاته
أبت الجماعة أن أبيت مهاجرا * خِلّ وخيل الخير مشتعلاته
باليكم يجني مبغونين فعلتنا * سيماتُ ليس يجيء في إقلاته
لأشد من كفر الكفور وجحده * نارٌ تشوه بالقبيح أهلاكته

أو العود يختار على من كان كالشمنتار أو من كان الزنديق

اللغة العود الرجوع واختيار الشيء انتقاؤه وترجيحه على غيره
والزندقة مصدر تزندق وأذا الجهر في الدين وكفر به والاسم الزندقة وقال
بعض الدين المجوس يلقبون بالزنادقة لأن الكتاب الذي زعم زرادشت أنه نزل
عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب اليه يسمى زندي ثم عرب فقيل زنديق
قلت وزرادشت هذا هو الذي تزعم المجوس انه نبيهما وقال في المصباح
المشهور على ألسنة الناس ان الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة ويقول بدوام
الدهر والعرب تعبر عن هذا بقولهم ملحد اي طاعن في الاديان الاعراب
والتصريف قوله والعود مبتدأ وجملة يختار من الفعل والنائب عن
الفاعل وهو الضمير المستتر فيه في محل رفع خبره ومن في الموضعين موصولة وكان
واسمها وخبرها صلتها والفي يختار والمختار متعلقة عن بابه والله اعلم
معنى الكلام بما نص الناظم في البيت السابق عن العود لمحاربة
من من بالسلاح والعتو وان كان نعتمد وغيره مما افاد منا ان العود والمحاربة
انما تحسن وتتوجه على من كان متسوما بالكفر والزندقة كما لمختار الاتي
ذكره ومن سلك سبيله او زاد عليه كالوليد بن يزيد من فاسقي بني امية واخباره
مشهورة وفي كلام الناظم ايماء الى انه لا يجوز الخروج على امام الكفا عند
يجرح الفسق بل حتى يثبت الكفر الصريح من غير احتمال وهو مذهب اهل الحق
وفي البخاري من حديث عبادة بن الصامت بايعنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرة
علينا وان لا ننازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان
ومعنى بواحا اي جهارا من باح يبوح وقال ابو عمر وحيث كان بعمد هي
المعتزلة وعامة الخوارج الى منازعة الامام الجائر واما اهل الحق وهم

أهل السنة والأثر فقالوا الكفر على كل أمة الجابر أوفى والأقوال فيمن
أن يحكم المنكر نميرا ولا تمهها بالتردد والمسألة مبسوطة في محلها

* ذكر المختار وشيء من أخباره *

كنيته أبو إسحاق والمختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي كان والده أبو عبيد من جلة الصحابة ولاه عمر رضي الله عنه لأول خلافته جيش العراق ولقي جابان كبير جيش الفرس بين الحيرة والقادسية فأوقع به أبو عبيد وأسره ففدى جابان نفسه منه ثم جمع يزدجرد جموعا عظيمة ووجهها نحو أبي عبيد فأوقعوا به على الجسر واستشهد أبو عبيد في خبر طويل وأما المختار ابنه صاحب الترجمة فولد عام الهجرة وليست له صحبة ولا رواية وأتى ابنه مغيث ومن أقعده أبي في المناخ فقال له

إن البنين يولد * أشبه شيء بأب حسن
إذا الرجال في كبر * تعالوا على ولد حسن
كان له حكم أبي حسن

من لدنه قال ابن عبد البر كان المختار معدودا في أهل الفضل والخير يرائي بذلك كله ويكتم الفسق منه ما كان يظهر وكان يتظاهر بالطلب بدم الحسين ويبطن طلب الدنيا والإمارة فيأتي منه الكذب والغرور وفي صحيح مسلم أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت للحجاج أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا إخالك إلا إياه قال النووي اتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف وقال المبرد في الكامل كان المختار بن أبي عبيد الثقفي لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا في ظاهره يدعو إلى محمد بن الحنفية ويطلب بدم الحسين رضي الله عنه وتغلب على الكوفة ومعه الأجاعيل فقيل له يا أبا إسحاق كيف خفي تدعو إلى ما ولاء القوم ولم تعرف بالتشيع لهم فقال إني رأيت مروان وثب على الشام وابن الزبير وثب على مكة ونجدة على اليمامة وابن خازم على خراسان والله ما أنا بدونهم وعند ابن الأثير في الكامل وكنت فيما

وكان بطلا من الأبطال وسيدا من سادات العرب. قال المبرد إن المختار كتب إلى
إبراهيم بن الأشتر يسأله الخروج إلى الطلب بدم الحسين بن علي فأبى عليه إبراهيم
إلا أن يستأذن محمد بن علي بن أبي طالب وهو ابن الحنفية فكتب إليه يستأذنه
في ذلك فعلم محمد أن المختار لا عقد له فكتب محمد إلى إبراهيم أنه لا بأس في أن يأخذ
الله بحقنا على يد من شاء من خلقه فأجاب إبراهيم بن الأشتر المختار إلى ذلك
فوجهه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يشيعه ماشيا فقال له إبراهيم اركب يا أبا
إسحاق فقال إني أحب أن تغبر قدماي في نصرة آل محمد فشيعه فرسخين وقيل
ميلين ثم دفع إلى قوم من خاصته حماما أبيض ضخاما وقال إن رأيتم الأمر لنا
فدعوها وإن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها في المعركة وسجع للناس فقال لهم
إن استقمتم فبنصر الله وإن حصتم حيصة فإني أجد في محكم الكتاب: وفي اليقين الصواب:
أن الله ممدكم بملائكة غضاب: تأتي في صور الحمام دوين السحاب:. فلما صار
ابن الأشتر بخازر وهو نهر بين الموصل وأربل أشرف على جيش عبيد الله بن زياد
قاتل الحسين رضي الله عنه فقال ابن زياد من صاحب الجيش قيل له ابن الأشتر
قال أليس الغلام الذي كان يطير الحمام بالكوفة قالوا بلى قال ليس بشيء يمنّي
بذلك نفسه وكان جيش ابن زياد أضعاف جيش ابن الأشتر بكثير فلما التقوا
كانت الدبرة على أصحاب إبراهيم في أول النهار وأرسل أصحاب الحمام حمامهم
فتصايح الناس الملائكة الملائكة فتراجعوا وقويت نفوسهم واقتتل الناس
حتى اختلط الظلام واسرع القتل في أصحاب ابن زياد ثم انكشفوا ووضع فيهم
السيف حتى أفنوا وكان من هلك غرقا أكثر ممن أخذه السيف وقال ابن الأشتر
يومئذ لقد ضربت رجلا على شاطئ هذا النهر فرجع إلي سيفي وفيه رائحة المسك
ورأيت إقداما وجرأة فصرعته فشرقت يداه وغربت رجلاه فالتمسوه
فأتوا بالنيران فنظروا إليه فإذا هو عبيد الله بن زياد لعنه الله ومما
احتال به المختار في هذه الوقعة أنه كان عنده كرسي قديم العهد فغشاه
بالديباج وقال هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فضعوه في
براكاء الحرب وقاتلوا عنده فإن محله فيكم محل تابوت السكينة في بني إسرائيل
ويقال إنه كان اشترى ذلك الكرسي من نجار بدرهمين وقيل إنه وصل إليه

من بعض قرابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والله أعلم ولما خرج ابن
الأشتر إلى قتال ابن زياد ورأى الشيعة عاكفين على الكرسي قد رفعوا أيديهم
إلى السماء يستنصرون قال اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ثم
تتبع المختار قتلة الحسين حتى أفناهم بالسيف وأنواع النكال والعذاب ولقد
انتقم الله لأهل بيت نبيه به من أعدائهم ولعله عاقبة الأمور وقد أشار أبو
تمام إلى ذلك وإلى ما كان المختار منطويا عليه من الشر فقال

والهاشميون استقلت عير موتهم ... من كربلاء بأثقل الأوتار
فشفاهم المختار منه ولم يكن ... في دينه المختار بالمختار
حتى إذا انكشفت سرائره اغتدوا ... منه براء السمع والأبصار

ثم إن المختار بطل ناموسه وسار إليه مصعب بن الزبير من البصرة فقتله
في خبر طويل ثم زحف عبد الملك بن مروان من الشام فقتل مصعب بن الزبير واستولى
على العراق قال عبد الملك بن عمير كنت عند عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة حين
جيء برأس مصعب بن الزبير فوضع بين يديه فرآني قد ارتعت فقال لي ما لك
قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله
ابن زياد فرأيت رأس الحسين بن علي بين يديه في هذا المكان ثم كنت فيه مع المختار
ابن أبي عبيد فرأيت رأس ابن زياد بين يديه ثم كنت فيه مع مصعب بن الزبير فرأيت
فيه رأس المختار بين يديه ثم هذا رأس مصعب بين يديك قال فقام عبد الملك
من موضعه وأمر بهدم ذلك الطاق الذي كنا فيه وكان مقتل المختار بالكوفة
سنة سبع وستين من الهجرة ولقد حصل على ثقيف بحمية وشفى صدور المؤمنين
بقتل أولئك الفجرة الذين تمالئوا على آل البيت الكريم لولا ما كان يرمى به
من الكذب وسوء الاعتقاد وعند الله يجتمع الخصوم ويفصل الفاصل وفي كامل ابن
الأثير أن ابن الزبير قال لابن عباس رضي الله عنهما ألم يبلغك قتل الكذاب
قال ومن الكذاب قال ابن أبي عبيد قال قد بلغني قتل المختار قال كأنك قد نكرت
تسميته كذابا ومتوجع له قال ذاك رجل قتل قتلتنا وطلب ثأرنا وشفى غليل
صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة هـ وإلى المختار هذا تنسب الطائفة
الكيسانية من الرافضة لأنه كان يلقب بكيسان وهو اسم الغدر قال الشاعر

اذا ما ذو عي اكتسى ركانتا كمثلهم ۞ اذ الغر استغنى من شنايع المنطق
ذا الصمت حصن للفتى من الردى * وقل من شر لسانه وقى
وان وجدت للكلام موضعا * فكن عن ان تبديه اوكالأشرق

اللغة قوله والصمت حصن الصمت بفتح الصاد وحكى ابو البقاء في شرح ديوان المتنبي الضم ايضا السكوت وقد صمت صمتا وصماتا وصموتا من باب قتل ورجل صمات اي طويل الصمت منه والحصن بالكسر المكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه وقد حصن بالضم حصانة فهو حصين اي منيع والردى الهلاك وقد ردي كرضي وارداه الـ غيره اهلكه والله اعلم **الاعراب والتصريف** قوله والصمت حصن مبتدأ وخبر وللفتى ومن الردى يتعلقان بحصن لتأويله بمنيع محتو كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وكقول الشاعر *

وان لساني شهدة يشتفى بها ۞ وهو على من صبه الله علقم

والف الفتى والردى كلاهما عن ياء قوله وقل من جملة كالعلة لما قبلها ومن موصولة او موصوفة فاعل قل وجملة وقى صلة او صفة لمن وشر لسانه مفعول ثان لوقى قدم عليه وان وجدت شرط وفكن من ان الى جوابه وهو على حذف اداة التشبيه اي كمن ان والاشرف معطوف عليه والله اعلم **ومعنى الكلام** ذكر الناظم رحمه الله ان الصمت حصن ووقاية من الافات المهلكة والمعاطب المتلفة واستدل لذلك بان جل من ارسل لسانه واهمله بغير قيد عليه وباله واصابه شره ونكاله **واعلم** ان هذا الذي ذكره الناظم صحيح وتظاهر على صوابه وحقيته الشرع والعقل **قال الله** تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الاية وفي الصحيحين عنه عليه الصلاة والسلام قال من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وفيهما عنه عليه الصلاة والسلام قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وعنه عليه الصلاة والسلام وهو مثل سائر واليه لمح الناظم من وقي شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقي اللقلق اللسان والقبقب البطن والذبذب الفرج وقال علي رضي الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال كم دون لساني سبع ان ارسلته اكلني وقال اللسان سبعا فاحفظ لا ينبو حده والكلام سهم نافذ لا يكر رده وقيل

لو قرأت صحيفتك لأغمضت عينيك ولو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك وقيل الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فإذا تكلم بها صار في وثاقها وقال أعرابي رب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا وقالت العرب إياك أن تضرب عنقك بلسانك وفي معناه قول الشاعر

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال آخر

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب رأسه ... وعثرته بالرجل تبرا على مهل

والأدلة كثيرة في هذا من الأخبار والمعلوم وأما قول ابن نباتة رحمه الله وإن جرت للكلام مواضع يعني عن إرادة التصفية حراوز الكلام بالأكمل ومع ذلك فلا ينبغي أن يتجاوز القدر المحتاج إليه من الكلام فقد قال صلى الله عليه وسلم إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس الثرثارون والمتشدقون المتفيهقون في الكلام وقال الغزالي رضي الله عنه الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ونفع وقسم ليس فيه ضرر ولا نفع أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ونفع لا يفي بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع للزمان وهو عين الخسران فيبقى قسم فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد أوتي والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء هـ كلام الغزالي رضي الله عنه

ذكر عمرو والأشدق وفصاحتهما

أما عمرو فهو ابن عمرو بن شاس بن عبيد بن ثعلبة بن ذويبة بن مالك بن الحرث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة كنانة والذي عمرو بن شاس من الصحابة الذين شهدوا الحديبية ومن شهر بالبأس والنجدة وكان شاعرا

مكتوبا يعرف في أهل الحجاز وعرار قال ابن عبد البر يروى بفتح العين وكسرها فالفتح على أنه منقول من اسم الشجر المعروف والكسر على أنه منقول من صياح الظليم وكان أسود من أمة سوداء كانت لأبيه وكانت لأبيه امرأة أخرى يقال لها أم حسان السعدية كانت تبغض عرارا وتشتمه وتؤذيه وتعير أباه به وتسمه اغيبر عمرو بن شاس أمرهما ولم يقدر على إصلاحهما في شأن ولده عرار فكلفهما ثم تبعتهما نفسه وله فيهما أشعار كثيرة ومن شعره في ابنه عرار وأم حسان قوله

فإن كنت مني أو تريدين صحبتي * فكوني له كالسمن ربت له الأدم
وإلا فسيري سير راكب ناقة * تيمم خبتا ليس في سيره أمم
أرادت عرارا بالهوان ومن يرد * عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم
وإن عرارا إن يكن غير واضح * فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

ويروى المنكور بدل المنكب ومعنى العمم التام وكان عرار من الفصحاء النجباء ولما ظفر الحجاج بابن الأشعث وجه البعث برأسه وجهه إلى عبد الملك بن مروان مع عرار وكتب معه بالفتح كتابا فلما ورد به عليه جعل عبد الملك يقرأ الكتاب فكلما شك في شيء سأل عنه عرارا فيجيبه في أصح لفظ وأبلغ قول وأجمل اختصار فعجب بنفسه من أبينه وقد ازدراه حين أتاه وعبد الملك لا يعرفه وقد اقتحمته عينه حين رآه أسود ودمامته فقال متمثلا

وإن عرارا إن يكن غير واضح * فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فضحك عرار فقال له عبد الملك مم تضحك فقال أتعرف عرارا يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر قال لا قال فأنا والله يا أمير المؤمنين عرار فضحك عبد الملك ثم قال حظ وافق كلمة وأحسن جائزته وسرحه قال ابن عبد البر هكذا ذكر بعض أهل الأخبار أن هذا الخبر كان حين بعث الحجاج برأس ابن الأشعث إلى عبد الملك ثم ذكر بسنده إلى العتبي عن أبيه قال كتب الحجاج كتابا إلى عبد الملك يصف له حال أهل العراق وما ألفاهم عليه من الاختلاف وما نكره منهم وعرفه ما يحتاجون إليه من التعنيف والتأديب ويستأذنه في أن يودع قلوبهم من الرهبة ما يفضي بهم إلى الطاعة ودعا رجلا من أهله به كان يأنس به فقال له انطلق بهذا الكتاب ولا يعلمن من تدري إلا الله فإذا فضه

فتكلم عليه فقطع الرجل ذلك وجعل عبد الملك كلما شك في شيء استفهمه
فوجده أبلغ من الكاتب فأنشد عبد الملك البيت المتقدم فقال له الرجل يا
أمير المؤمنين أتدري من يقول هذا قال لا قال أنا والله عرار وهذا الشعر في
وذلك أن أمي ماتت وأنا رضيع فتزوج أبي امرأة فكانت تسيء ولايتي فقال
أبي الشعر المتقدم. كلام ابن عبد البر وفي ابن خلكان أن هذه القصة اتفقت
لعرار حين أرسله المهلب إلى الحجاج والصواب الأول وقد ذكر أبو تمام في حماسته
عمرو بن شاس لابنه عرار في قصيدته التي مدح فيها المعتصم جيرانه وأمر بشر فقال

فمن كان يرجو أن تغليقه جانبا ... من قلبه حرمًا على ابن فرار
فسقاه ماء الحفر غير مكدر ... وأنا في الأمر غير غرار
ورد أبيه مالك بكر يومًا تارة ... عمرو بن شاس فيلعب بعرار

وأما الأشدق فهو أبو أمية عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي قتل جده العاص بن سعيد يوم بدر كافرا قتله
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وولد أبوه سعيد بن العاص عام الهجرة وعده
ابن عبد البر في الصحابة وقال كان أحد أشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة
وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان رضي الله عنه وكان فيه مع ذلك
تجبر وغلظة وشدة سلطان وكان عثمان رضي الله عنه يعاقب بينه
وبين الوليد بن عقبة على ولاية الكوفة واعتزل حرب الجمل وصفين فلما اجتمع
الناس على معاوية رضي الله عنه ولاه المدينة فكان يعاقب فيها بينه
وبين مروان بن الحكم وكان له سبعة أولاد أنجبهم عمرو الأشدق الذي نحن
بصدد الكلام عليه واختلف في سبب تلقيبه بالأشدق فقيل لأنه كان
مائل الشدق وفيه ريح أصابته ولذا كان يقال له أيضا لطيم الشيطان وذكر
القسطلاني في شرح البخاري أن عمرا المذكور صعد المنبر فبالغ في شتم علي رضي
الله عنه فأصابته لقوة. قال أشدقه منها فلقب بالأشدق وقيل إن معاوية
هو الذي سماه الأشدق وذلك أنه لما مات أبوه سعيد دخل على معاوية فلما
استنطقه قال له عمرو إن أول كل مركب صعب وإن مع اليوم غدا فقال له
معاوية إلى من أوصى بك أبوك فقال يا أمير المؤمنين إن أبي أوصى إلي ولم يوص بي

كاهن من الكهان فقد كلمت بذلك أهل البيت إذ نافت عنه العرب وكان المختار
يزعم أنه يلهم ضروبا من السجع لأمور تكون ثم يحتال فيوقعها ويقول للناس
هذا من عند الله وقد قيل لابن عباس رضي الله عنه إن المختار يزعم أنه
يوحى إليه فقال صدق المختار سمع قول الله عز وجل وإن الشياطين ليوحون إلى
أوليائهم ولما سجن ابن الزبير محمد ابن الحنفية في جماعة من بني هاشم على
أن يبايعوه كتب محمد ابن الحنفية إلى المختار وهو بالكوفة يذكر له ما ناله من
ابن الزبير فوجه المختار جماعة من أصحابه يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار حتى
وافوا مكة فكسروا السجن عليهم وأخرجوا ابن الحنفية وأصحابه فساروا بهم إلى
مأمنهم وثار أهل الكوفة بالمختار في بعض الأيام فانتصر عليهم وأوقع بهم
بجبانة السبيع موضع بها وأسر جماعة كان فيهم سراقة بن مرداس البارقي
الشاعر فناداه سراقة *

امنن علي اليوم يا خير معد * وخير من حل بحجر والجند
وخير من لبى وحيى وسجد *

فجاز من مكة والمدينة والحجاز بالتحريض الأزدي الغليظة فأرسله المختار إلى
السجن ثم أحضره من الغد فأقبل إليه وهو يقول

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا * نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئا * وكان خروجنا بطرا وحينا
نراهم في مصفهم قليلا * وهم مثل الدبا لما التقينا
لقينا منهم ضربا طلخفا * وطعنا صائبا حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم * بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمد في يوم بدر * ويوم الشعب إذ لاقى حنينا
فأسجح إذ ملكت فلو ملكنا * لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فإني * سأشكر إن جعلت النقد دينا

فلما انتهى إلى المختار قال أصلح الله الأمير أحلف بالله الذي لا إله إلا هو
لقد رأيت الملائكة تقاتل معك على الخيول البلق بين السماء والأرض فقال
له المختار اصعد المنبر فأعلم الناس فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به

فقال له إني قد علمت أنك لم تر شيئا وإنما أردت أن لا أقتلك فاذهب عني
حيث شئتا لا تفسد على أصحابي فخرج إلى البصرة فنزل عند مصعب بن الزبير وقال

ألا أبلغ أبا إسحاق أني ... رأيت البلق دهما مصمتات

كفرت بوحيكم وجعلت نذرا ... علي قتالكم حتى الممات

أري عيني ما لم ترأياه ... كلانا عالم بالترهات

ما ذكره ابن الأثير من القصة زاد صاحب التقريب أن سراقة كان يقول
فحلفت يمينا فكم في حق ولا باطل كنت فيما أسر اجتهادا في يميني أني رأيت
الملائكة تقاتل مع المختار هـ وفي شرح العبدونية لابن بدرون ما نصه وحكى
ابن حاتم قال حدثنا أبو هبيرة قال أخذ سراقة بن مرداس البارقي يوم جبانة
السبيع أسيرا مقبوضا في الأسرى إلى المختار فقال له أمنن علي اليوم يا خير معد
فعفا عنه المختار وخلى سبيله ثم خرج مع ابن الأشعث فأتي به المختار أسيرا
فقال ألم أعف عنك وأمنن عليك أما والله لأقتلنك قال لا والله لا تفعل
إن شاء الله قال ولم قال لأن أبي حدثني أنك تفتح الشام حتى تهدم مدينة
دمشق حجرا حجرا وأنا معك وأنشأ يقول

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا ... نزونا نزوة كانت علينا

الأبيات المتقدمة قال فخلى سبيله ثم خرج ابن الأشعث ومعه سراقة أيضا
فأخذ من أخذ أسيرا وأتي به المختار فقال الحمد لله الذي أمكنني منك يا عدو الله
هذه ثالثة فقال سراقة أما والله ما هؤلاء الذين أخذوني فأين هم لا أراهم
إنا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض وتحتهم خيل بلق تطير بين السماء
والأرض فقال المختار خلوا سبيله ليخبر الناس ثم عاد إلى قتاله وقال

ألا من مبلغ المختار أني ... رأيت البلق دهما مصمتات

الأبيات السابقة قلت وهذه من القصة التي لم يلمح لها الناظم رحمه الله
وهي عكس قضية ابن حكار مع الحجاج وابن الأشعث المذكور هنا هو محمد بن
الأشعث بن قيس الكندي ولي ابنه عبد الرحمن وهو الخارج على عبد الملك
والحجاج بعد هذا التاريخ بمدة ثم إن المختار ندب الناس إلى الطلب بدم الحسين
وأصحابه رضي الله عنهم واعتمد في ذلك على إبراهيم بن الأشتر النخعي

وكان

قال فيأبى شيء واو صاحبه فقال أبان لا يغفر الله لهما به منه غير شحمه فقال معاوية
إن عمرا هذا ابن شدق ويسمى الأشدق وفي ذلك يقول الشاعر

تشادق حتى مال بالقول شدقه * وكل خطيب لا أبا لك أشدق

وفي القاموس خطيب أشدق وبليغ وقال ابن كثير في كتابه درر الغرر وبلغني أن سعيد بن العاص لم يكن يلد له عمرو تعرف فيه السيادة فلما ترعرع جمع سعيد بنيه سوى عمرو وكانوا أكثر من خمسة عشر رجلا فقال لهم يا بني قد عرفتم حبوة الوالد لولده وإن أخاكم عمرا الزوبعة قد أعدته لسمو جده وبعد همته وشدة شكيمته فإني آمركم أن تنزلوه بعد الموت أن تكفوا صوله وتوازروه فإنكم إن تفعلوا ذلك يتألف لكم الكرام * ويخسأ عنكم اللئام * ويلبسكم عز الأشبه الأبلج فقالوا له إنك تؤثره علينا * وتقدمه دوننا * فقال أما إذا أبيتم فاستروا عنكم البغي وكفوا بينكم واصطلحوا ريثما كان فرقة فلما كان واستحضر بنيه دون عمرو فلما حضروا قال يا بني ألم تروا إلى أخيكم لا يزال يلحف في مسألتي مالي فاحثوا عليه لتعذلوه وأخبروه بالشيء بعد الشيء الذي استنبتت أن أفقه تماهر له بذلك فزجروه فلما تزجر ومضى بعد الأول من عنده فجاء يسألني الصمصامة كأن لا ولد لي غيره وإني قد عرفت أن أقسم مالي فيكم دونه لتنكم إنه من تكبر فقالوا بأجمعهم إن هذا عمل لك بأيدينا له واختصاصك إياه ولقد زير في عينيك منه شاهد وتبقى عندك منه كاسر فقال سعيد والله يا بني ما آثرته عليكم بشيء من مالي ولا كان رفقا فلته لكم إلا اختبارا فاقتسموا مالي بينكم لما أردته من صلاح أمركم ثم قال ادخلوا هذا المخدع فتعلوا ثم أحضر عمرا فلما حضر قال له يا بني إني عليك حدب شفيق لقد سبق وتعرفا شفق إخوتك عليك فكأنك مني وإني لا آمن بغتة الأجل ولا كنز ذخرته لك وما أنا الكلعلد عليه فاكتم أمرك فقال يا أبت كمال عمرك :: وعلا أمرك :: إني بن زجوا تمسن الله عند الرقاع :: ويكفل بي الامتناع :: وأما ما ذكرت من شأن الكنز فما يعجبني أن أقطع ذو والإخوة أمرا :: وازدرع في صدور بني عمرا :: فقال له سعيد انصرف بارك الله فيك ثم قال يا بني ما من كنز ولا حس أردت أن أبلو رأيك في بني أبيك فانطلق عمرو وخرج إخوته من المخدع فاعتذروا

ان أبيهم واعطوه موثقا على اتباع مشورته ثم قال ابن كثير وبلغني أن
سعيد بن العاص لما احتضر جمع بنيه وفيهم عمرو فقال أيا بني من يكفل دَيني منكم
فسكتوا لما يعلمونه من كثرة بناته وما ركبه من الدين فأعاد مقالته
فسكتوا فقال عمرو أنا وهيث يا أبت قال إني وصي في ثلاث قال قل يا أبت ما
بدا لك أن تقوله قال إن علي ثلاثين ألف درهم دينا ويقال أنه قال ثلاثة
آلاف درهم فقال عمرو نعم منزلة واحدة فقال سعيد وتنكح بناتي من أكفائهن
فقال عمرو نعم منزلة ثانية فقال سعيد وإخواني الذين كنت أبرهم وأتعهدهم
بالمعروف لا تقطع ذلك عنهم فقال عمرو نعم فقال سعيد أما والله يا بني
لئن كنت فعلت لقد كنت تأملت ذلك في ما بين جنبيك وأنت في المهد ثم إن
عمرا وفى بما عهد إليه فيه أبوه هـ وقد ذكر ابن كثير من أن ولد سعيد كانوا أكثر
من خمسة عشر فخالف لما تقدم عن الاستيعاب من أنهم كانوا سبعة والله أعلم
ولما اختل أمر الخلافة بعد يزيد بن معاوية وثب مروان بن الحكم بالشام
وعضده عمرو الأشدق على أمره بشرط أن يجعل له الأمر من بعده ففعل ثم لما
تمكن مروان من الأمر نقض ذلك الشرط وبايع بولاية العهد لابنيه عبد الملك
وعبد العزيز ثم لما هلك مروان واستقل عبد الملك بالأمر طلب منه الأشدق
أن يجعل له الأمر من بعده وشكا إليه ما كان من أبيه إليه من خلف الوعد
فأبى عبد الملك فتربص الأشدق حتى خرج عبد الملك لقتال ابن الزبير بالعراق
وقيل لقتال زفر بن الحرث الكلابي بقرقيسياء فقام الأشدق إلى دمشق وأغلقها
وتحصن بها وملكها وبيوت أموالها واتصل الخبر بعبد الملك فكر راجعا
وحاصر الأشدق أياما ثم وقع الصلح على أن يكون له الأمر من بعده وأن له
مع كل عامل عاملا ففتح الأشدق دمشق وخرج في الخيل إلى عبد الملك فأقبل
حتى أوطأ فرسه أطناب عبد الملك فانقطعت وسقط السرادق ثم دخل
على عبد الملك فاجتمعا ودخل عبد الملك دمشق ثم بعد أيام غدر عبد الملك
بالأشدق وقتله بعد أن استدعاه إلى داره في خبر طويل سنة سبعين من الهجرة
ورثته أخته آمنة بنت سعيد وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فخرجت
حاسرة تبكي وتقول

*

ألا يا لقومي للنوائب والغدر ... وللمغلقين الباب قسرا على عمرو

غدرتم بعمرو يا بني خيثم باطل ... وكلكم يبني البيوت على غدر

كأن بني مروان إذ يقتلونه ... بغاث من الطير اجتمعن على صقر

لحى الله دنيا تعقب النار أهلها ... وتهتك ما بين القرابة من ستر

في أبيات أخر وكان توفي عبد الملك سعى بأمه منزلة ساع عند الوليد بأنها
لم تبكه كما بكته نكتا بنتما بذكر لعبد الوليد ذلك فقالت صدق القائل وكيف
أبكيه ماذا أقول يا ليته بقي حتى يقتل أخا مثل عمرو بن سعيد فأعرض عنها
والله تعالى أعلم

ولا تكتم الحزن وقلها معلنا * فنحو جمان مزنة الهملي

وربع به شيبة شبيب وأبي * عمرو والعباس عند الزعل

اللغة قوله لا تكتم الحزن الكتم الإخفاء والستر وضده الإعلان والحزن
المهمل كمحسن السرب والمهمل الجمود الهمالة قوله عند الزعل
هو بالتحريك مصدر زعل كفرح وغضب إذا أخذه بالنيل من زعل كتعب ويقرأ
ابن العباس بن مياحة كان وقت الغارة كناية فرسا والله أعلم
معنى الكلام لما قال فيما سبق وإن وجدت للكلام موضعا البيت
وكان من جملة مواضعه أن ذلك تعفيه الحوار انبعث الانباه من ربح بنت الدفقال
لا تكتم الحزن ولا تسد ان الصفا ان الحزن ونصرة والإشادة به مطلوب شرعا
وعقلا قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على أنفسكم الآية قال الزمخشري الشهادة على نفسه هو الإقرار
على نفسه ويجوز أن يكون المعنى وإن كانت الشهادة وبالا على أنفسكم
أو على آبائكم وأقاربكم وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم
أو غيره هو ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند
سلطان جائر ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه فقال
قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قول الحق ما له من صديق وقال
كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب
إن التوراة لتقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف

ونهى عن المنكر ساعة ثم قتلته عند قومه فقال صاحب التنوير وكذا ابو مسلم هـ واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب بالكتاب والسنة والاجماع قال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير الاية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وفي صحيح البخاري عن النعمان ابن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا واما قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقد اجمع السلف والخلف على انه ليس المراد منها ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل المراد انكم اذا فعلتم ما امرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما امروا به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم اذا لم يسمع منهم فلا ضرر عليهم حينئذ وعن قيس بن ابي حازم عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال ايها الناس انكم تقرءون هذه الاية ولا تضعونها موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وانظر تفسير الامام فخر الدين رحمه الله واعلم ان للتصدي للامر بالمعروف والنهي عن المنكر شروطا فانظر تفصيلها واشبع الغزالي فيها الشيخ ابو حامد رضي الله عنه في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاحياء وقد اختصر ذلك بعضهم فقال

معرفة المنكر والمعروف * والفكر في ادلة الموصوف

والأمن فيه من أشر التكسير * كفتل شمهم عند شرب الخمر

ذكر العباس وأبي غزول وشيبة ونشر له طول نعيم

أما العباس فهو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم اشهر من
ان يعرف به كان اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وكان رئيسا شريفا
في الجاهلية والإسلام قال ابو عمر بن عبد البر اسلم العباس قبل فتح خيبر
وكان يكتم إسلامه ثم أظهره يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وتبوك
ويقال ان إسلامه كان قبل بدر وكان يكتب بأخبار المشركين الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون بمكة يتقوون به وكان يحب ان يهاجر الى
المدينة فكتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم مقامك بمكة خير فلذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقي منكم العباس فلا يقتله فإنما اخرج
كرها ثم أسر وفدى نفسه وابني اخويه نوفل بن الحرث وعقيل بن ابي طالب
وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين في نفر من بني هاشم حين
فر الناس عنه وتوفي وهو عنه راض واستسقى به عمر رضي الله عنه
عام الرمادة فجاء الله من المطر بالاكتفاء له واخصبت الأرض وعاش الناس
وكان في ذلك منقبة بأمره له رضي الله عنه وكان جميلا ابيض بضا ذا ضفيرتين
طويل القامة جدا وفيه وفي أمثاله من بني أبيه يقول جرير *

تعالوا فقاثرنا ففي الحكم مقنع * الى الغر من أهل البطاح الأكارم
فإني لأرضى عبد شمس وما قضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

قال المبرد في كامله يقال ان علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رحمهم
الله كان الى منكب أبيه عبد الله وكان عبد الله الى منكب العباس وكان العباس
الى منكب عبد المطلب وحدثني التوزي قال طاف علي بن عبد الله بن العباس
بالبيت وهناك عجوز قديمة وعلي قد فرع الناس في علائهم طولا كأنه راكب
والناس مشاة فقالت من هذا الذي فرع الناس فقيل علي بن عبد الله بن العباس
فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت
كأنه فسطاط ابيض وقال المبرد في محل آخر من كامله ما صورته كان قيس
ابن سعد بن عبادة موصوفا بالطول مع جماعة قد برزوا الناس طولا وجمالا

منهم العباس بن عبد المطلب وولده عبد الله وجرير بن عبد الله البجلي والاشعث
ابن قيس الكندي وعمرو بن حاتم الكلابي وابن جذل الطعان الكناني وابو زبيد الكلابي
وزيد الخيل الكلابي وكان احدهما ولاء يقبل المرأة على الهودج وكان يقال للرجل
منهم مقبل الكعبي واما شدة صوته رضي الله عنه فقال الخبري ايضا كان العباس
ابن عبد المطلب اجهر الناس صوتا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لما
انهزم الناس يوم حنين يا عباس اصرخ بالناس وفي المواهب وغيرها جعل العباس
ينادي تارة يا اصحاب السمرة يعني شجرة الرضوان وتارة يا اصحاب سورة
البقرة وكان العباس رجلا صيتا ولذا خصه بالنداء فلما سمع المسلمون نداء
العباس اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها وذكر ابو بكر الحازمي في
كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه والنووي في تهذيب الاسماء ان العباس كان
يقف على سلع وهو جبل بالمدينة فينادي غلمانه وهم بالغابة من آخر الليل فيسمعهم
وبين الغابة وسلع ثمانية اميال وفي كامل المبرد ايضا انه يروى ان غارة
اتتهم فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل من شدة صوته ه قلت
وفي كامل ابن الاثير في الكلام على الحروب التي كانت بين بني نصر بن معاوية وثقيف
في الجاهلية ان عفيف بن عوف النصري ثم اليربوعي كان رئيس بني نصر في تلك الحروب
فصاح في يوم من تلك الايام صيحة بين عمور ان سبعين حبلى منهم القت ما في بطونها
ه وفي ذلك يقول ابن ربيعة

* * *

فاسقط احبال النساء بصوته … عفيف وقد نادى بكرن مكرم ه

وتوفي العباس رضي الله عنه يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب
وقيل من رمضان سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة قبل مقتل عثمان رضي الله عنه
بسنتين واما ابو عروة فهو رجل من العرب يضرب به المثل في شدة الصوت
وجهارته ويقال له ابو عروة السباع بالاضافة كما في القاموس قال ابو عبيدة
كان ابو عروة يصيح بالاسد وقد احتمل الشاة فيخليها ويسعى فيموت فيشق
بطنه فيوجد فؤاده قد زال عن موضعه قال النابغة الجعدي

زجر ابي عروة السباع اذا … اشفقن ان يختلطن بالغنم

وقد وقع للزمخشري في الكشاف وربيع الابرار وتبعه الطيبي في حواشيه ان ابا عروة

نحو العباس رضي الله عنه وليس كذلك كما علمت والكمأة لديه وقد نعق
الناس في خبر أبي عمرة هذا وبيت النابغة كما في الكامل بأنه إذا كان هذا الأثر موقعه
في السباع مع قرنيها فما بال الغنم فإنها تغلبه قبل السبع وأجيب بأن الغنم
كانت أنست منه بهذا الصوت الأول وأن الصوت الرابع أنس لهذا الفرس به كالرع
الغنا هو الذي لولا خشية ما عقبته لم يقع في كبده منه ولفجاءة أفلت منه من جوف
الأرض لزعمه وأمنه ولم يشعر أن يفتك إذا أتى من حيث لم يعتبر أو يقال الغرض من
أكاذيب العرب والله أعلم وأما شبيب فهو أبو الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم
ابن قيس بن عمرو بن الصلت بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن
شيبان الشيباني الخارجي وقد تقدم تمام النسب في ترجمتي حسان وهمام ابني
مرة قال ابن السكيت في باب ما تضعه العامة في غير موضعه من إصلاح المنطق
كان والد شبيب الخارجي من مهاجرة الكوفة فغزا سلمان بن ربيعة الباهلي في
سنة خمس وعشرين للهجرة أرض الروم فغزاها أبو شبيب ووالد شبيب
في ذلك الجيش فاشترى جارية رومية من السبي حمراء طويلة جميلة فقال لها
أسلمي فأبت فضربها فلم تسلم فواقعها فحملت فتحرك الولد في بطنها فقالت
في بطني شيء ينقز فقيل أحموم من حبرته ثم أسلمت فولدت شبيبا يوم النحر سنة
ست وعشرين للهجرة فقالت لمولاها إني رأيت قبل أن ألد كأني ولدت غلاما
خرج مني شهاب من نار سطع له ما بين السماء والأرض ثم سقط في ماء
فخبا وقد ولدته في يوم تهراق فيه الدماء وقد حدثت أن ابني هذا يعلو أمره
ويكون صاحب دماء يهريقها انتهى كلام ابن السكيت ونشأ شبيب فغزا الغزاة
وتفقه في الدين ثم انتقل عن مذهب الصفرية من الخوارج وغلا أمره حتى بايعته
الخوارج ودعوه بأمير المؤمنين وفي ذلك يقول أبو المنهال عتبان بن وصيلة
النمري يخاطب عبد الملك بن مروان وكان شبيب قد خرج في أيامه

أبلغ أمير المؤمنين رسالة — وذو النصح لو ترعى إليه قريب
فلا صلح ما دامت منابر أرضنا — يقوم عليها من ثقيف خطيب
فإنك إلا ترض بكر بن وائل — يكن لك يوم بالعراق عصيب
فإن يك منكم كان مروان وابنه — وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فمنا سويد والبطين وقعنب ... ومنا أمير المؤمنين شبيب

وكان خروج شبيب بالموصل فبعث اليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد وكان شجاعا مقداما فتاكا وبطلا مجربا وبليغا مسلكا وعزا بامر سهلة وكان اذا غزا الجيش به يقصد الا فارس فيحمل عليه فلا يرجع حتى يقر عمده ويهزم الجيش ومن غريب امره ان الحجاج وجه اليه عتاب بن ورقاء الرياحي ويعقد له على خمسين الفا فحمل اليه شبيب في ستمائة من اصحابه فقتل عتابا واستولى على ذلك الجيش والزمهم بيعته فبايعوه كرها ثم فر اكثرهم من تحت الليل وكان شبيب جهير الصوت اذا صاح في جنبات جيش انهزم لا يلوي حميم على حميم وفيه يقول بعض شعراء الخوارج

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا ... والريح عاصفة والبحر يلتطم

ثم انه خرج من الموصل يريد الكوفة وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة ايضا وطمع شبيب ان يلقاه قبل ان يصل الكوفة فاقتحم الحجاج خيله من خلفها قبله وذلك سنة سبع وسبعين للهجرة وتحصن الحجاج في قصر الامارة واقتحمها عليه شبيب حتى وصل الى باب القصر وضرب بعموده وسب الحجاج وكانت زوجته غزالة الحرورية من الشجعان اللائي تباشر الحروب بنفسها وكانت نذرت ان تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما بسورتي البقرة وآل عمران فاتت الجامع في سبعين رجلا فصلت فيه الغزالة وخرجت من نذرها وكانت في بعض الوقائع قد حملت على الحجاج ففر منها فقال عمران بن حطان السدوسي يعيره

أسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

وكانت أمه جهيزة أيضا تشهد الحروب ولما عجز الحجاج عن شبيب استمد عليه عبد الملك بن مروان فامده بخمسة آلاف من عساكر الشام عليهما سفيان بن الابرد الكلبي فوصل الى الكوفة وانضم اليه الحجاج وخرجوا لشبيب فاحسنوا دفاعه ولقي منهم جدا وشوكة لم تكن لاهل العراق وقتلت زوجته غزالة بعد حروب يشيب لها الوليد ثم سار شبيب الى كرمان ليجمع نفسه

واصحابه ثم بعد سنتين فر راجعا الى الكوفة واتبعوا الحجاج في اصحاب سفيان
ابن الابرد فلا لاحقهما واخرج بهم بالجيش النبيه والتقوا بالاهواز فاقتتلوا قتالا
شديدا وثبت اهل الشام مع سفيان ثم نبوا بالجسر فوقف عنهم شبيب فلما حصل
على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر وغيرهما
فالقاه في الماء فقال له بعض اصحابه اغرقا يا امير المومنين فقال ذلك
تقدير العزيز العليم فالقاه دجيل ميتا في ساحله فحمل جسده الى الحجاج فامر
بشق جوفه واستخراج قلبه فاخرج فاذا هو مجتمع صلب كانه حجر فكان يضرب
به الارض فيثب عنها قامة الانسان كذا عند ابن الاثير زاد ابن خلكان
فشق ذلك القلب فكان في داخله قلب صغير كالكرة فشق فاصيب موجودا
فيه علقة دم قالوا وكان شبيب ينعى الى امه فيقال قتل فلا تقبل فلما قيل
غرق صدقت للرؤيا التي رأتها ولما هلك شبيب اضحى الى عبد الملك ابو
الهيثم الصاحب الانبار المتفرقة فقال له عبد الملك يا عدو الله الست
القائل * فمنا سويد والبطين وقعنب * ومنا امير المومنين شبيب
ورفع عبد الملك لتلك امير فقال لم اقل هكذا يا امير المومنين وانما قلت ومنا
امير المومنين شبيب ونصبا فاستحسن عبد الملك اعتذاره وخلى سبيله ومن هذا
الجواب في غاية الحسن فانه اذا كان مرفوعا يكون مبتدا فيكون شبيب
امير المومنين واذا كان منصوبا كان منادى على حذف حرف النداء والخطاب
مع عبد الملك فلا يكون شبيب امير المومنين والله اعلم قال بعضهم رايت
شيخا وقد دخل المسجد وعليه جبة طيالسية وعليها نقط من اثر المطر
وهو طويل اشمط جعد ادم فجعل المسجد يرتج له تغمده الله بعفوه

ولا تنس ما اوصى به البكر اخا * فمن سرا في فيه الشوة اتوى

الاعراب والتصريف قوله لا تنس نهي وما موصولة وجملة اوصى
به صلتها والعائد الضمير المجرور بالباء والبكري فاعل اوصى وخفف ياء
النسب منه ضرورة واخا مفعول اوصى وهو منصوب بالفتحة الكائنة في
اخره اذ ليس فيما قبا وجملة فمن سراد علة للنهي والسراد بالفتح الهواء
من الفراد البعير وجملة قوله فيه الشوة اتى جواب شرط مقرون كانه قال

واذا كان سراة اهله الشرفاء الذين في البادية بهيمة ومن داخلة في التفويض بمن على الذين به متعلق به وآل الشرف يفعل له من عليه ويجوز في لفظ الشرف ابقاؤه على اصله من تخفيف الهمزة ويجوز ابدالها واوا وادغام ما قبلها فيها للاجتماع المثلين والله اعلم

ذكر وقيعة البكري لأخيها وما يتعلق بذلك

كان الحجاج بن يوسف الثقفي قد ولى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي على سجستان وهذا اتصل بها وامره بمحاربة رتبيل احد ملوك الترك فحاربه واستولى على الكثير من بلاده فلم يقنع الحجاج بذلك وكتب اليه يستحثه عليه في التوغل في ارض رتبيل ويتهدده بالخلع ان لم يفعل فغضب عبد الرحمن كتابه على الناس واستشارهم فاجمعوا على خلعه باشارة ابي الطفيل عامر ابن واثلة الصحابي رضي الله عنه ثم اقبل عبد الرحمن راجعا من سجستان يريد العراق ومحاربة الحجاج وتسامع بذلك قراء العراق وعلماء البصرة والكوفة فاصفقوا على خلع الحجاج لما كان يسومهم به من الجور والعسف فكان ممن اتبعه من العلماء سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن ابي ليلى وعامر الشعبي وابو البختري الطائي وابو الحسن البصري وغيرهم ولما اقبل ابن الاشعث الى العراق كتب الى الحجاج يتهدده ويتوعده فحكى المبرد وغيره ان عامل اليمن بعث الى عبد الملك بن مروان بجارية وكتب معها اني وجهت الى امير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم ير مثلها وكان ذلك وقت محاربتهم لابن الاشعث فلما دخلت الجارية على عبد الملك رآها وجها جميلا وخلقا نبيلا فالقى اليها قضيبا كان في يده فنكست لتاخذه فبدا له من جسمها ما بهره فلما هم بها اعلمه الحاجب ان رسول الحجاج بالباب فاذن له ونحى الجارية فاعطاه كتابا فيه عبد الرحمن بن الاشعث فيه اربعة اشطر او خمسة وهي

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم ... حربا تفرق بين الجيرة الخلط
وهل سموت بجرار له لجب ... جم الصواهل بين السهل والفرط
وهل تركت نساء الحي ضاحية ... في ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وبعده

واعز من ولد الانام فاخر ... طلق الجبين معاود الاقدام
خلع الملوك وسار تحت لوائه ... شجر العرى وعراعر الاقوام

البعرك

العرب بمنزلة الاكمة الشبيهة بالجبل والغبط بمنزلة ايضا جمع غبيط وهو مركب
للنساء، فقال الاصمعي معناه انهن يبشرن من الرحيل فجعلن من اكبهن حكبا وقال
غيره معناه انهن من الاحتكاك باحتككن من اكبهن وشجر العرو بقر العيش
جمع عروة وهو الشجر الذي لا يزال باقيا في الارض لا يذهب يتشبث به الناس
المتاحلون ابنه بتبرر به بين حوري من مكانهم وعراعر القوم سادتهم واحدهما
عرعر بالضم والابيات الثلاثة تعلو على الجزمي والانشاد يعزى لمهلهل التغلبي
فمثل به ابن الاشعث وكتب عبد الملك جواب الحجاج وجعل في كتبه جواب ابن الاشعث

فما بال من اسعى لاجبر كسره ... حفاظا وينوي من سفاهته كسري
اظن خطوب الدهر بيني وبينهم ... ستحملهم مني على مركب وعر
واني واياهم كمن نبه القطا ... ولو لم تنبه باتت الطير لا تسري
اناة وحلما وانتظارا بهم غدا ... فما انا بالواني ولا الضرع الغمر
اعود على ذي الذنب والجهل منهم ... بحلمي ولو عاقبت غرقهم بحري

ونقل التبريزي في شرح الحماسة عن ابي رياش ان عبد الملك كتب في جواب الحجاج
بكتيبة ما اوصى به البكري واخاه زبيرا فلما ورد الكتاب على الحجاج لم يدر ما اوصى
به فصاح هل يعرف من يعرف ما اوصى به البكري اخاه زبيرا فقيل ابحث حاجته فبلغ
الغرابي فذكر ذلك اذا متى فقال انا اعرفه فجاء فدخل على الحجاج فانشده

اقول لزبير لا تثرثر فانهم ... يرون المنايا دون قتلك او قتلي
فان وضعوا حربا فضعها وان ابوا ... فعرضة حر الحرب مثلك او مثلي
وان رفعوا الحرب العوان التي ترى ... فشب وقود الحرب بالحطب الجزل

فقال الحجاج وابيك انها لعيبة وقضى حاجته وذكر المسعودي في مروج الذهب
ان عبد الملك كتب الى الحجاج بما ذكر في شان الخوارج فذكره واجابه فالقسم
الثلم والبكري هو موسى بن جابر الحنفي لانه نسب عنيفة في بكر بن وائل واما
خبر الجارية التي سيقت الى عبد الملك فانه اتسع من فرجها وكان يقول اللقاقا
اقرت فابرى لها حب الترمذي فتقول لما يمنعك يا امير المومنين فيقول المتمثل قول
الاخطل قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء وان باتت باطهار
فاذا زحرجت منه كنت الام الحي ولم يبق بعدها حتى انقضى امر ابن الاشعث

وكان خروجه سنة ثنتين وثمانين للهجرة وكانت بينه وبين الحجاج حروب عظيمة منها يوم دير الجماجم وهو موضع قرب الكوفة نيف وثمانون وقعة تفانى فيها الخلق ثم كانت الكرة على ابن الأشعث ففر إلى رتبيل ملك الترك فاستجار به ثم غدر به رتبيل فقبض عليه وأرسل به إلى الحجاج فألقى ابن الأشعث نفسه من شاهق فتردى فهلك وبعث برأسه إلى الحجاج فبعث به الحجاج إلى عبد الملك مع عرار بن عمرو الأسدي المتقدم الذكر آنفا في سنة خمس وثمانين وتتبع الحجاج أتباع ابن الأشعث بالقتل وقتل منهم جماعة من القراء ومنهم سعيد بن جبير رضي الله عنه بعد اختفائه مدة وكان الحجاج إذا جيء إليه بأحد من أصحاب ابن الأشعث قال له اشهد على نفسك بأنك كفرت بالخروج على عبد الملك فإن فعل أطلقه وإلا قتله فجيء إليه بشيخ فقال الحجاج ما أظن الشيخ يشهد على نفسه بالكفر فقال الشيخ أتخادعني عن نفسي يا حجاج والله إني لأكفر من فرعون وهامان فضحك منه الحجاج وخلى سبيله

(ولا تأمن الدهر الخؤون إنه * أرشق نبلا من رماة الحدق)

اللغة قوله لا تأمن الدهر قال في القاموس الدهر قد يعد في الأسماء الحسنى والزمان الطويل والأمد الممدود وألف سنة وقال في المصباح الدهر يطلق على الأبد وقيل هو الزمان قل أو كثر قلت وعليه قول الشاعر

إن دهرا يلف شملي بجمل * لزمان يهم بالإحسان

قوله الخؤون فعول من الخيانة ضد الأمانة قوله أرشق نبلا النبل السهام العربية وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها بل الواحد سهم فهي مفردة اللفظ مجموعة المعنى وقد جمعوها على نبال وأنبال قال الشاعر

وكنت إذا رأيت ذوي سواد * بأنبال رمى من السواد

وأرشق بالنبل رمى بها والرشق بالكسر الوجه من الرمي فإذا رمى القوم بأجمعهم في جهة واحدة قالوا رمينا رشقا والحدق بالتحريك جمع حدقة وقد تقدم والله أعلم

الإعراب والتصريف قوله لا تأمن الدهر نهي وقوله الخؤون نعت للدهر وعينه واو قلبت همزة للضمة والمدة بعدها وهو جائز لا واجب وقوله نبلا تمييز محول عن اسم إن وهو الذي جعله ابن مالك فاعلا في المعنى فقال

والفاعل المعنى انصبن بافعلا * مفضلا كانت اعلى منزلا

وقوله مر مثل البرق يعلو باسرع الف زمانه منقلبة عن ياء ومع ذلك نكتة القابل مع ما حشوا والله اعلم ومعنى الكلام اشارة الى ان الحكيم يعرف الشيء الى التميز من غوائل الزمن وتقلباته وان الغافل يكفيه البيت وقد يكون بافسريه لانه لا يرى ما يبرز منه ولا ما يخرج به وان تعذب تكفي الزمن اذا انعجب ومن كلامهم الزمن حبلى لا يدري متى تلد ويعلى الغافل ان يغتاله ويجعل الموت نصب عينيه ويتزود لمعاده . ويجعل الفرصة الامهال افضل من اهماله . وفي حديث ابن عباس عند الحاكم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ولله در من قال

ط *

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكون
وان درت نياقك فاحتلبها * فما تدري الفصيل لمن يكون
وان ظفرت يداك فلا تقصر * فان الدهر عادته يخون

وكلام الناظم ماخوذ من قول عمرو ابن قميئة

ط *

رمتني صروف الدهر من حيث لا ارى * فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو انها نبل اذا لاتقيتها * ولكنما ارمى بغير سهام

وانشد فيها عبد الملك بن مروان قرب موته وقال ذا الغير

مر الزمان علينا فبلغه * فلا ينصرنا بعد نصل
فنور راينا وفي نصره * مثل رام رام هدفا فجل

ط ## ذكر زمان العمر وما قيل فيه ط

اختلف الناس في زمان العمر وعن فيه فذكر بعضهم انه يحصى للارض منهم بني ثعل ويهم فيتقعرون بعمرة الزمن ومنهم عمرو بن المسيح الثعلبي قال الكبر عاش عمرو بن المسيح مائة وخمسين سنة ثم ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ووفد عليه واسلم قال وكان ارمى العرب وفيه يقول امرؤ القيس

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ ... مُخرِجٍ كفَّيه من سُتَرِه

وقال ابن مسلم محمد بن الحسين

سل ابنتك مبلغ من العاشر المتكل عني مقالة كيف غيثي في حكل
ان كنت اخطأت في حاسا عثت به فانت في رمي قلبي من بني ثعل

وقال فرع من النوبة ذكر المسعودي في مروج الذهب ان احمد بن طولون امير مصر اخذ اليه شيخا من اقباطهم ببلاد الصعيد كان قد تناهى في الكبر السن وصحة الذهن وكمال المعرفة باخبار الامم والاجيال والمذاهب والنحل فسأله عن اشياء منها جيل النوبة ومحال ارضهم وسيرتهم فقال هم اصحاب ابل نجب وبقر وغنم وملوكهم تفتني الخيل العتاق والغالب على عامتهم ركوب البراذين ومنهم من يرمي عن قسي عربية وعنهم اخذ الرمي اهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب ومنهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق وان ارضهم اشبه شيء بارض اليمن وفي الاكتفاء عن ابن عبد الحكم قال غزا عبد الله بن سعد بن ابي سرح الاساودة يعني النوبة سنة احدى وثلاثين يعني في خلافة عثمان رضي الله عنه فقاتلته النوبة قتالا شديدا واصيبت يومئذ عين معاوية ابن حديج وابي شمر بن ابرهة وحيويل بن ناشرة فيومئذ سموا رماة الحدق فهادنهم عبد الله بن سعد اذ لم يطقهم وقال اخرون رماة الحدق هم القارة الذين قيل فيهم قد انصف القارة من راماها قاله ابن الاثير وغيره وهم قبيلة من العرب وهم عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة وانما سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم لما اراد الشداخ ان يفرقهم في بني كنانة فقال شاعرهم

دعونا قارة لا تنفرونا * فنجفل مثل اجفال الظليم

قال الميداني ومن الحديث في المثل ان رجلين التقيا احدهما قاري فقال القاري ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان شئت راميتك فقال الآخر قد اخترت المراماة فقال القاري قد انصفتني وانشا يقول

قد انصف القارة من راماها ... انا اذا ما فئة نلقاها
نرد اولاها على اخراها

نم

ثم نزع له بسهم فشدّ به فؤاده فقال ابن عمير أهل القارة الأكمة وجمعها قور مثال البرو وقير وإنما قيل أنصف القارة من راماها في حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة قال وكانت القارة مع قريش فلما التقى الفريقان راماهم الآخرون فقيل قد أنصفكم هؤلاء ﴿ وفي شرح الخزرجية للغرناطي وكل حاذق بالرمي يقال فيه من رماة الحدق وتشبيها بهم قلت ومن نقل رواة الأخبار أن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما فتح الحيرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سار إلى الأنبار فلما انتهى إليها تفرّغ إلى رماته وقال لهم إني أرى أقواما لا علم لهم بالحرب فارموا عيونهم ولا تتوخوا غيرها فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا الرشق ففقئت ألف عين منهم في الفور فسميت عيون أهل الأنبار فصالحوا خالدا على فداء وسميت الوقعة ذات العيون فهؤلاء أحق أن يسموا رماة الحدق ولكن قد علمت كلام الناس في ذا وعلى العكس من هذا ما يحكى أن حكيما نظر إلى رجل يرمي وسهامه تطيش فجلس تحتها وسط الأهداف حتى نهر عند الهدف فقيل له ما لك فقال لم أر موضعا أسلم من هذا وقال حازم يصف رماة ذوي إجادة *

قد وكلوا أعينهم بأعين ... يكمن للطير بها ويكتمي

واعترفت بهم رماة حمير ... فراستمعوا ما العمر ويرمي

(لا ترمقون صيغة أبغيم كدر * فذا الغيم الله لم يبعث)

الأعجاز البينا كذا هيؤه معنى وإعرابا وأما معنى الكلام فكأنه يقول لا نكمع أن ترى وقد فتت في هذه الدار خيرا محضا لأن يتخلله شيء من الشر ولو ذالك لم تبعو للعبد تعلو ولأن حكمته تعالى اقتضت أن تكون أحوال هذه الدار مركبة من خير وشر وأما الدار الأخرى فالجنة دار خير محض والنار دار شر محض وبيانه أن تعلم أن الله جل جلاله وعز سلطانه لما أراد خلق هذا العالم اقتضت حكمته البالغة وإرادته الأزلية أن تكون كيفيته معجونة ومركبة من الخير والشر فإن الخير هو الأصل والغالب والشر تبع له بمثابة ذالك مثابة قد عمرا أن أناء من لبن حليب وإناء آخر أصغر منه من فكدرا ومزجهما ثم أستفرغ منهما الأحوال لتاذا الشر سار في إحدى أي هذا العالم

سريان الخمير في العجين وكما ان كل قطعة من قطع العجين اذا اخذت فشكلتها
من الخمير الذي مزج به اشكالا وركبت عليه كذلك كل ذرة ذرة من ذرات هذا العالم
اذا اخذت فشكلتها من ذلك البشر الذي طبع الله عليها اشكالا يوم خلق
السموات والارض لان الامتزاج هو الاصل كما قلنا وهو معنى قوله تعالى ان
رحمتي سبقت او غلبت غضبي ثم من تمام حكمته تعالى وكمال قدرته ان جعل
هذا العالم في دار الدنيا بجميع اجزائه غير ساكن ولا واقفا وكان لا يدوم على حالة
واحدة بل هو دائم الحركة متجدد السير متقلب الاحوال في كل نفس من الانفاس
وكل لحظة من اللحظات كالقدر في حال غليانها وكالبحر في حال تموجه واضطرابه
وبسبب هذه التقلبات كانت خيوراته وشروره متعاقبة والخلق فيما بين ذلك
مترددون بين خير وشر ونفع وضر وهذا معنى قولهم دوام الحال من المحال وانما
ذلك في دار الدنيا واذا كان هذا العالم في تقلباته واضطرابه بمثابة البحر
المتموج فالبحر من شانه ان يقذف تارة ويتكدر اخرى وتارة يبدو ما في قعره
وتارة يخفيه فهذا حال هذا العالم ما دامت الدنيا والبه يشير قوله تعالى كل
يوم هو في شان والسادات الصوفية يعبرون عن هذه الاطوار بالتجليات
الذاتية فاذا فرغ الله تعالى بطي هذا العالم وانقراضه وحصل الخلق في
عالم البرزخ وما بعده من عرصات القيامة وعقبات الصراط ودركات الجحيم
كان ذلك زمان تصفية الخير من الشر وتمييز بعضه من بعض فايام البرزخ وما
بعدها من ايام الموقف والحساب والصراط ايام تصفية وتمييز لا ايام
خلط ومزج كما كان ذلك في العالم الدنيوي فاذا حصلت التصفية وتميز
الخبيث من الطيب سفل الخبيث في النار وارتفع الطيب الى الجنة قال الله
تعالى والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب الاية فالجنة
كلها خير ولا شر فيها قال تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل والنار كلها
شر ولا خير فيها قال تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا واعلم ان نفوس
الخلق بعد اذا فارقت الجسد فمنها ما يكون كاملا نقيا فهذا لا يحتاج الى تصفية
وانما هو الرواح الى الجنة ومنها ما يكون متكدرا وذلك يتفاوت بحسب
تفاوت كثرة المعاصي وقلتها فمنها ما تؤثر فيه التصفية والتهذيب فهذا

البرزخ

يمكن ان يدخلها من غير تصفية ملوثة بشيء من الخبائث قال تعالى [illegible]

بدخل الجنة

يدخل الجنة ولو بعد حين فمنها ما لا تؤثر فيه تصفية ومع الذين قال الله فيهم
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فهؤلاء تغلب عليهم الشقاوة
ويدخلون في النار فنفوس البشر بمنزلة الثياب فمنها ما لا تصيبه وسخ
ومنها ما تصيبه ذلك ثم إن هذا القسم منه ما يؤثر فيه الصابون ومنه
ما لا يؤثر فيه بحال واعلم أيضا أن قلوب العباد من جملة أجزاء هذا العالم
باعتبار حلولها فيه وتكوّنها بأنوارها فأصلها خير بالذات ولكن
تأخذ قسطها من الشر كما قلنا ويتفاوت ذلك التفاوت تفاوتا كثيرا ومن هذا
معنى ما قاله أرباب الصفا من أن القلب يسكنه ملك وشيطان ويقع بينهما
القتال حتى يغلب أحدهما الآخر فيستبد بالقلب ولا يبقى فيه للآخر حكم
ومن هذا القتال الذي ذكروا أنواع عظيمة نحو تقلبات جميع أجزاء العالم وعدم
سكونها لحكمة وإليه يشير قوله عليه الصلاة والسلام قلب المومن بين
أصبعين من أصابع الرحمن فمن غلبت شيطانيته على ملكيته التحق بعالم
الشياطين وكان من أهل النار ومن غلبت ملكيته على شيطانيته التحق بعالم
الملائكة وكان من أهل الجنة فإذا ميز الله الخبيث من الطيب واستقر أهل
الجنة في الجنة وأهل النار في النار خفت الصفائح وسكنت الحركات ووقفت
الأدوار لأن المقصود قد حصل وعند ذلك يا أهل الجنة خلود أبدا فلا موت (يقال 2)
ويا أهل النار خلود أبدا فلا موت فافهم واعلم وتيقن أن هذا العالم منذ
خلقه الله إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار هو
بالنسبة إلى قدرة الحكيم العليم كالآلة الصانع التي يصفي بها متاعه وصنعته
إلى أن يتم عمله ويميز حسنه من قبيحه فقد بان لك كيف طبعت الدنيا على
الكدر وأن ذلك مما سبق به القضاء والقدر فإن نسان ما دام فيها
لا يطمع أن يرى شيئا صافيا ولا شيئا والكلام هنا طويل فلنكتف بهذا
القدر والله الموفق وقد ذكر الشعراء المعنى الذي أشار إليه الناظم من ذلك
قول التهامي في مرثية رثى بها ولده *

حكم المنية في البرية جار * ما هذه الدنيا بدار قرار إلى أن

قال طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الأقذار والأكدار

ومكلِّفُ الأيام ضدَّ طباعها ... متطلِّبٌ في الماء جذوةَ نار
وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنما ... تبني الرجاءَ على شفيرٍ هار
فالعيشُ نومٌ والمنيةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ سار

وقد أجاد الثناء محمود ابن مغشر من أبيات

ط *

مليحٌ ولكن عنده كلُّ جفوةٍ ... ولم أرَ في الدنيا صفاءً بلا كدر

وفي كتاب تغريد الصادح لابن حجة

ط *

لا تغترر بنعيمٍ والسلامه ... فإنما الحياة كالمدامه
والعمرُ مثلُ الكاس والرسم الغرر ... والصفوُ لا بدَّ له من الكدر

لا يبخلنْ بردِّ ما استعرتَ نَدُه ... كفى ففي البخلِ شرٌّ موبقِ
شحَّ بردِّ كتبٍ حبرٌ ومجا ... أزرى به كلاهما فلم يَصدقِ
وماتَ في سجن ابن عبّادٍ كما ... قضى أبيّ لا له ميتةَ المحزرقِ
وقبلَه من أهله أجلُّه ... من سطوة الحجاج لم يكن وُقي

اللغة قوله لا يبخلن البخل بالضم وبالتحريك ضد الكرم وهو في الشرع منع الواجب وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده قاله في المصباح وقال في الإحياء الاقتصاد حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الاقتصاد تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه ثم قال والواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة انتهى بعض كلامه قوله بردّ ما استعرت نده استعار والعارية من التعاور وهو التداول وأصلها عوريّة بفتح الواو والياء مشددة قال الأزهري نسبة إلى العارة وهي اسم من الإعارة كالطاعة والطاقة اسما من الإطاعة والإطاقة يقال أعرته الشيء إعارة وعارة بذلته له على وجه العارية واستعرت ثوبا طلبته منه هذا هو الصحيح في اشتقاقها وحدها شرعا كما قال ابن عرفة تمليك منفعة مؤقتة بلا عوض قوله شر موبق كمهلك وزنا ومعنى قوله شح برد كتب حبر الشح مثلث الشين البخل مع حرص قوله ميتة المحزرق قال أبو زيد المحزرق المضيق يقال حزرقه أي حبسه وضيق عليه قال الأعشى

*

فذاك وما أنجى من الموت ربه ... بساباط حتى مات وهو محزرق

يقول ان كسرى حبس النعمان بن المنذر حين أتاه الخبر بن عدي ماتا ومنه مضيق
عليه وكان ابن عمرو الشيباني يقول بهمزة وبتقديم الراء على الزاي فـقوله
ويفعله من أجله في البيت الكلام وأنه جل بالسكون مصدر أجل الرجل على قومه
شرًّا أجلًا من باب قتل جناه عليهم ويقال من أجله كان كذا بفتح الهمزة وكسرها
أي بسببه والأجل بالتحريك مدة الشيء ووقته الذي يحل فيه وأجل العبد
مدة وقت انقضاء عمره بقتل أو غيره والسكون المهملة والكسر والشد
علم الاعراب والتصريف فـقوله لا تحملن نهي وفي أسر نون
التوكيد أن تكتب ألفا ومن ثم متعلق به وما موصولة وجملة استمع ثم صلتها
وضمير الفعل ألف منقلبة عن واو وحذفت لالتقاء الساكنين وكفاني حال من
فاعل تحملن وجملة قوله فالحمل شرط جواب علة للنهي وجملة سخ برد في مستأنفة
استئنافا بيانيا كأنه قيل فما كانت قصته فأجيب فقال سخ مردي والعاميا
منقلبة عن واو وتكتب ألفا وكلما حال من فاعل جنا وفيه أن مجيء المفرد حالا
سماعي أو هو مفعول من أجله وفيه أن الباعث على مجيئه مفعولا له إدخال العارضة
للا الكلم وجملة فلم يصر معطوفة على جملة جنا وابن عقيل يجوز فيه الصرف
وعدمه كما في القاموس وكما في نكتة بره مثل حسان وتبان وحمار وفيلان وما أشبهها
وقوله كما فمن جال إلا أنه يحتمل أن تكون الكاف تعليلية وما موصولة حرفية أي لأجل
فعل فعله الذي لأجلي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ويحتمل أن تكون بمعنى على
وما موصولة اسمية في محل الجلالة التي قبلها لأنه على حد قولهم كن كما أنت
أي على ما أنت عليه وقوله ميتة الجمر ويقول مثلوم مضربه بمنزلة الهيئة
والياء فيه منقلبة عن واو للانكسار ما قبلها وأل في الجمر ويجوز أن تكون للعهد
الذهني والمراد به النعمان بن المنذر ملك الحيرة وقصته في سعاية زيد بن
عدي به عند كسرى أبرويز وقتله إياه مشهورة ولولا طولها جرًا لنبتها
هنا ويجوز أن تكون للجنس والمراد المضيق عليه أيا كان والكلام الأول لما
جرت به عادة البلغاء في بيت الأمثال من الاعتناء بالتلميح أي مزجه بالأخبار
فـقوله ويفعله مبتدأ أول وأجله مبتدأ ثان وجملة لم يكن في خبر المبتدأ الثاني
والجملة الكبرى خبر عن الأول والرابط الضمير في أجله ومن أجله متعلق بيرفى

فرد عليه أيضا وكان ينتظم الكلام أن يكون بغير جارية وفي شعره والتي
يقولون بنفسه ولكنه راعى فيه معنى الحفظة ومن يعتز بمن قال تعالى وحفظنا
من كل شيطان رجيم وأما الكلام في ذم البخل والتقبيح منه فأمر معلوم لا يحتاج
إلى بيان جنبنا الله رذيلته بمنه وكرمه ومن أخبار سهل بن هارون حيث وضع
كتابا في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل وكتب إليه الحسن قد مدحت ما ذم
الله وحسنت ما قبح الله وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك وقد
جعلنا ثوابك عليه قبول قولك فما نعطيك شيئا والسلام *

ذكر قصة ضابئ وابنه وما كان من أمرهما

ضابئ بالضاد المعجمة والباء الموحدة والهمزة في آخره بصيغة اسم الفاعل
وهو ضابئ بن الحارث بن أرطاة بن شهاب البرجمي كذا وجدته مقيدا بخطي ولم
أدر من أين نقلته وتقدم أن البراجم هم أولاد حنظلة بن مالك بن زيد مناة
ابن تميم ثم رأيت في جمهرة ابن حزم أنه ضابئ بن الحارث بن أرطاة بن شهاب بن
عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك وكان ضابئ شاعرا فحلا وذكر
فيمن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ثم إنه جنى جناية في زمان عثمان رضي
الله عنه فحبسه وكان السبب في ذلك أنه استعار من بعض بني حنظلة كلبا
يصيد به كذا في المقامات وأتى في كامل ابن الأثير أنه استعار في أيام الوليد بن
عقبة على الكوفة من قوم من الأنصار كلبا يدعى قرحان يصيد الظباء فحبسه
عنهم فانتزعه الأنصار منه فهجاهم وقال

أيا راكبا إما عرضت فبلغن   أمامة عني والأمور تدور

إلى أن قال

فبتم شبعى وابن قرحان سائغا   تكلل به العجناء وهي حسير
فأردفتم كلبا فراحوا كأنما   حباهم بتاج الهرمزان أمير
وقلدتموه الوحش تتالعا   به ومن تقتنصه لكاد يكبير
فكلبكم لا تتركوا فهو أمكم   فإن عقوق الأمهات كبير
إذا عبقت من آخر الليل دخنة   يبيت له فوق الفراش هرير
فيا لك كلبا قد أريش بعرفة   سميع بما تحت الإزار بصير

فاستعدوا

فاستعدوا عليه أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه فعزره وحبسه وقال والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حي لنزلت فيك آية وما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك. فما زال في السجن حتى مات فيه وحدث أبو بكر بن عياش قال كان عثمان رضي الله عنه يحبس في الهجاء فيأتي ضابئ فرقا فحبسه عثمان رضي الله عنه ثم استعرضه يوما فأخذ سكينا وجعلها في أسفل نعله وأراد اغتياله فعلم عثمان بذلك فضربه ورده إلى السجن وقال في مدة حبسه أشعارا من ذلك قوله

دعاها الهوى والشوق لما ترنمت ... هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوبها ورق أجبن لصوتها ... فكل لكل مسعد ومجيب
فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب
وما عاجلات الطير تدني من الفتى ... نجاحا ولا عن ريثهن يخيب
ورب أمور لا تضيرك ضيرة ... وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ... ويخطئ في الحدس الفتى ويصيب

وقال في همه بالفتك بعثمان رضي الله عنه

وقائلة لا يبعد الله ضابئا ... ولا تبعدن أخلاقه وشمائله
وقائلة قد ضاع في السجن ضابئ ... ألا من لخصم لم يجد قرنيها وله
فلا تفرحن امرأ العزيمة بافرحي ... إذا راع أمر أعوزته عواذله
هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله
فما الفتك ما استأمرت فيه وإنني ... تعرف من لاقيت أنك قاتله
وما الفتك إلا لامرئ في حفيظة ... إذا هم لم تردع عليه معاقله

وقيل إن الشعر لابنه عمير بن ضابئ فإنه لما حبس عثمان رضي الله عنه أباه سار عمير وكميل بن زياد إلى المدينة للفتك بعثمان رضي الله عنه فأما عمير فإنه نكل عنه وأما كميل فإنه جسر وثاوره فوجأه عثمان فوقع على استه فقال أوجعتني يا أمير المؤمنين قال أولست بفاتك قال لا والله فقال عثمان رضي الله عنه فاستقدني وعفا عنه وفي ذلك يقول عمير بن ضابئ

همَمت ولم افعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

وكان هو من عثمان رضي الله عنه واقتحمت عليه داره وقيل اقبل عمير بن
ضابئ فوثب عليه فكسر ضلعين من اضلاعه وقال سجنت ابي حتى مات في
السجن وكان من قدر الله ان عميرا جاء الى الكوفة واقام الى ان ولي الخلافة
عبد الملك بن مروان وفرغ من امر ابن الزبير رضي الله عنه وعقد للحجاج على
العراق في سنة خمس وسبعين من الهجرة فقدم الحجاج الكوفة وخطب خطبته
المشهورة وحض الناس على الخروج لقتال الخوارج مع المهلب بن ابي صفرة
وكان في حرب الازارقة من امد مديد فلما كان بعد ثلاث سمع الحجاج تكبيرا في
السوق فخرج حتى جلس على المنبر وقال يا اهل العراق واهل الشقاق والنفاق
ومساوي الاخلاق اني سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد به وجه الله ولكنه
التكبير الذي يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصف يا بني
اللكيعة وعبيد العصا وابناء الاماء الا يربع رجل منكم على ظلعه ويحسن
حقن دمه ويعرف موضع قدمه فاقسم بالله لاوشك ان اوقع بكم وقعة
تكون نكالا لما قبلها وادبا لما بعدها وكان الحجاج يوم دخل الكوفة
قد تقدم الى الناس الا يتخلف عن الخروج الى المهلب احد بعد ثلاث الا ضربت
عنقه فلما كان هذا اليوم وقال الحجاج ما ذكرناه اذ جاء اليه عمير
ابن ضابئ فقال اصلح الله الامير اني في هذا البعث وانا شيخ كبير عليل
وابني هذا اشب مني فقال الحجاج هذا خير لنا من ابيه وكان عمير قد اسن
وشاخ ثم قال ومن انت قال انا عمير بن ضابئ قال اسمعت كلامنا بالامس
قال نعم قال الست الذي غزا عثمان بن عفان قال بلى قال يا عدو الله افلا
الى عثمان بعثت بدلا وما حملك على ذلك قال انه حبس ابي وكان شيخا كبيرا
قال اولست القائل

همَمت ولم افعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

اني لاحسب في قتلك صلاح المصرين وامر به فضربت عنقه وانهب ماله
وقيل ان عنبسة بن سعيد بن العاص قال للحجاج اتعرف هذا قال لا قال هذا
احد قتلة عثمان فقال الحجاج اي عدو الله افلا الى امير المؤمنين بعثت بديلا

ثم

ثم امر به فضربت عنقه وامر مناديا فنادى الا ان عمير بن ضابئ اتى بعد
ثلاث وكان قد سمع النداء فأمرنا بقتله الا ان ذمة الله بريئة ممن لم يخرج
الليلة الى جيش المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرج العرفاء الى
المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب اليوم قدم العراق
رجل ذكر اليوم قوتل العدو ولما قتل الحجاج عميرا سمع قوم مقالة فقال اما سترا
فقيل ان البراجم جاءت لتنصر عميرا فيما ذكرنا فقال اقذفوهم برأسه فرموهم
برأسه فولوا هاربين ولقي ابراهيم بن عامر الاسدي عبد الله بن الزبير الاسدي
الشاعر وسأله عن الخبر فقال

أقول لإبراهيم لما لقيته ... أرى الأمر أمسى منصبا متشعبا
تجهز فإما أن تزور ابن ضابئ ... عميرا وإما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما ... ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه ... رآها مكان السوق أو هي أقربا

واستر من الحساد كل نعمة * ثم فاضل بكأس مكرهم سقي
فما عن على قريع ورده — له * أضحى فيهما بقول شفيق

اللغة قوله واستر من الحساد الستر بالفتح مصدر بمعنى التغطية
والستر بالكسر هو ما يستتر به وجمعه استار وستور والحساد جمع حاسد
من الحسد بالتحريك وهو كراهية النعمة عند المحسود وتمني زوالها عنه ومن
تفرع الكلام عليه قوله كل نعمة النعمة بالكسر اليد والصنيعة كالنعماء
كحمراء والنعمى كحبلى وأما النعمة بالفتح فهي اسم من التنعم والتمتع قال تعالى
ونعمة كانوا فيها فاكهين قوله ثم فاضل الفضل والفضيلة خلاف النقص
والنقيصة والفضلة البقية ذلك فاذا ابرز الانسان على غيره بخصلة من الخصال
يفضله فيها واشتق اسم الفاعل وخصه الاستعمال بما كان محمودا
فلا يقال في زائد البخل والجهل فاضل وانما يقال زائد قوله فما عن اسم رجل
وهو خبرك قوله على قريع ورده الورد بفتح الواو وسكون الراء المهملة وآخره
الوارد وهو نور معروف أفضله الرياحين والمشمومات وقيل الاسد ورد
وللفرس ورد وهو ما بين الكميت والاشقر وفي الصحاح الوردة بالفتح مشموم

مغروف الواحدة كذا وزنه ويقال هو معرب وفي مختصر العين نور كل شيء
وزده ومثله في القاموس لاكنه غلب على هذا المعروف اليوم قوله بقول
شعر وهو بوزن جعفر الكذاب والله اعلم **الاعراب** قوله واستر
عن افساده امر وكل نعمة مفعوله وجملة كم فاضل في علة له فهي مستانفة
استينافا بيانيا كانه قيل لما ذا امرت بالستر فقال لانه كم فاضل في
وكم خبرية مبتدا وفاضل تمييز لها مجرور باضافتها اليه وجملة شقي خبره
وبكاس وكريم متعلق بشقي مقدم عليه قوله بما عن على فرع في الفاء
فصيحة اي فحمت عن شرط مقدر كانه قيل فان اردت واجزاء من ذلك في العقلاء
فما عن ومن مبتدا وجملة اسمع منكما خبره وعلى قدر وزنه متعلق باسمع
مقدم عليه ومعنى على التعليل اي لاجل قدر وزنه كقوله تعالى ولتكبروا
الله على ما هداكم اي لاجل هدايته اياكم وقوله *

على قدر نقول الترمح ينقل غاية تغبى   اذا لانا لم الصغر اذا الفيل كرت

وبقول شعر ومتعلق بهما والله اعلم **ومعنى الكلام** من امر الناظم
رحمه الله بكتمان السر عن افساده واشتراط الزانه بقصة ما عن الاتية وعليه
في ذا الى من اخذه فان قال ذمي به ما عن من قبل ان ذلك في الفسرا ني بكر من اجل
افشاء سر كان يجب عليه ان يكتمه وانما ستي حالة في حين بر من قبضها بمحضر
الجماعة والامير محسير على ذلك وما فعله من شان كل الحبيب وشاع من
بعض مجالس الملوك وفرح معنا منهم ولو قلنا انه كان ينبغي له ان يتفقه
وسكت كما كان بحضوره معنى ولعل اشتراك الناظم بقصة يوسف مع اخوته
عليهم السلام حيث قال له ابوه لا تقصص رؤياك على اخوتك لكان من ابا
بانه لما بلغهم خبر الرؤيا كادوا وقالهم منهم ما هو معلوم ثم ان كلام
الناظم مقتبس من الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام استعينوا
على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود **واعلم** ان امناء
الاسرار اقل وجودا من امناء الاموال وحفظ الاموال ايسر من كتمان الاسرار
لان احراز الاموال ممنعة بالابواب والاقفال واحراز الاسرار بارزة يذيعها
لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الاسرار اثقل من حمل الاموال فان الرجل

فيشتغل بحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وإن الرجل يكون
سره فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الثقل فإذا أذاعه
استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا ومن عجيب الأمور
أن الأموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها وأما الأسرار فإنها كلما كثر خزانها
كان أضيع لها وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه ولو
كتمه لأمن سطواته ونجا من عثراته. قال علي رضي الله عنه سرك أسيرك
فإن تكلمت به صرت أسيره وقال أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان
الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وكان عمر رضي الله عنه يقول ما
أفشيت سري إلى أحد فأفشاه فلمته إذ كنت أضيق به منه وقال ابن عتبة
يضيق صدر الرجل بسره فإذا أحدث به أحدا قال اكتمه علي ونظمه الشاعر فقال

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق

وكان يقال أحزم الناس من لا يفشي سره إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر
فيفشيه عليه وقيل الكتمان ينبغي في كل أمر قبل الاختبار حمده وقال بعض
الحكماء قلوب الأحرار قبور الأسرار وقال الشاعر

إذا ما عصيت الذنب يوما لصاحب ... فلست مطيعا ما حييت له ذكرا
ولست إذا ما صاحب خان عهده ... وعندي له سر مذيعا له سرا

والكلام في هذا المعنى كثير وأما قول ابن هيم الفقعسي

ولا أكتم الأسرار لكن أنمها ... ولا أدع الأسرار تغلي على قلبي
وإن قليل العقل من بات ليلة ... تقلبه الأسرار جنبا إلى جنب

فهو كما قال الشيخ اليوسي سخافة وسفاهة وعار ثم ضعة وضعف نفس فلا
ينبغي لعاقل أن يقع فيه ولا يرضى بالانتماء إليه والله الموفق

ذكر صاعد وما ألفه من فصوص

هو أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي اللغوي صاحب كتاب
الفصوص أصله من بلاد الموصل ودخل بغداد وأخذ عن علمائها كأبي علي الفارسي
وأبي سعيد السيرافي وأبي سليمان الخطابي ورحل إلى الأندلس في أيام هشام بن الحكم

بقلبه

الاندلس في دولة حاجبها المنصور ابن ابي عامر في حدود الثمانين وثلاثمائة وكان
عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة ممتع
المحاضرة فاكرمه المنصور وزاد في الاحسان اليه والافضال عليه وكان مع ذلك
محسنا للسؤال حاذقا في استخراج الاموال وجمع له كتاب الفصوص فنحى فيه منحى القالي
في اماليه وكان المنصور لما راه منه ما راه من الاستحضار وسرعة الجواب حتى
كان لا يجري في المجلس كلمة الا انشد عليها شاهدا او اتى بحكاية تجانسها اعجب
به ثم اراه كتاب النوادر لابي علي القالي فقال ابو العلاء صاعد ان اراد الحاجب
المنصور امليت على كتاب دولته كتابا ارفع منه واجل لا اورد فيه خبرا مما
اورده ابو علي فاذن له المنصور في ذلك وجلس بجامع الزاهرة يملي كتابه
المترجم بالفصوص فلما اكمله تتبعه ادباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة
عندهم ولا خبر ثبت لديهم فامر المنصور برميه فغرق في النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص في البحر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فاجابه صاعد

عاد الى معدنه انما * توجد في قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما اظن احدا يجترئ على مثل هذا وانما صاعد اشتهر لاتيانه
بالغريب عند المنصور واعانته على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب وحكى ابن
خلكان ان المنصور اثابه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار ومن عجيب ما
جرى له القصة التي اسندها الفتح الناقم وهي انه كان ذات يوم بين يدي المنصور
فاحضرت اليه باكورة ورد في اوانها لم يستتم فتح ورقها فقال فيها
صاعد مرتجلا

أتتك ابا عامر وردة * يذكرك المسك انفاسها
كعذراء ابصرها مبصر * فغطت باكمامها راسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وتمشى
لمناقضته وقال للمنصور هذان البيتان لغيره وقد انشدنيهما بعض البغداديين
بمصر للعباس بن الاحنف وهما عندي على ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور ارنيه
فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى اتى مجلس ابن برد وكان احسن اهل

زمانه بن ربيعة فوصف له ما جرى فقال أبياتا ودس فيها شيئا من شعر عمر ومنها

عشوت إلى قصر عباسة ✦ وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها ✦ وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة ✦ فقلت نعم فرمت كأسها
ومدت يديها إلى وردة ✦ يحيا لدى شذا المسك أنفاسها
كعذراء أبصرت ما أبصرت ✦ فغطت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن ✦ في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة ✦ وما خنت ناسي ولا ناسها

فكان رأى ابن العربي بها وعلقها على ظهر كتاب بخطه مصروق مزاده أشعر ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للعامري بن عبد الله فيمتحنه فإن بعمد الامتحان ثم بنى بموضع في بيته سنكا فلما أصبح وجه إليه المنصور وأحضر جميع الندماء فدخل بهم وبه إلى مجلس قد أعد فيه كيفا عظيما جعل فيه سقائف مصنوعة من جميع النوار ووضع على السقائف لعب الياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماء قد ألقي فيها اللآلي مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الكيف قال له المنصور إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا وإما أن تشقى بالكلية عندنا لأنه قد زعم قوم أن كل ما تأتي به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا كيف ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك مثل شكله فصفه بجميع ما فيه فقال صاعد بديهة ✦

أبا عامر هل غير جدواك واكف ✦ وهل غير من عاداك في الأرض خائف
يسوق إليك الدهر كل غريبة ✦ وأغرب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هامر الحيا ✦ على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت ✦ عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا ✦ تظللها بالياسمين السقائف
وأعجب منها أنهن نواظر ✦ إلى بركة ضمت إليها الطرائف
حصاها اللآلي سابح في عبابها ✦ من الرقش مسموم العزائم زاحف
ترى ما تراه العين في جنباتها ✦ من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان إلى ناحية تلك السقاية سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجذاف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أحسنت إلا أنك أغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة في سفينة … مكللة تصبو إليها المهاتف
إذا راعها موج من الماء تتقي … بسكانها ما أنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب … تصرف في يمنى يديها المجاذف
ولم تر عيني في البلاد حديقة … تنقلها في الراحتين الوصائف
ولا غرو أن ساقت معاليك روضة … وشتها أزاهير الربى والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع … ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
إذا قلت قولا أو بدهت بديهة … فكلني لها إني لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ورتب له في كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بالندماء وخرج يوما مع المنصور إلى الزاهرة فجمع المنصور برذا إلى شيء من الترنجان فعبث به ورمى به إلى صاعد مع ضابان يصفعه فقال

لم أدر قبل ترنجان عثرت به … أن الزمرد أغصان وأوراق
من طيبه سرق الأترج نكهته … يا قوم حتى من الأشجار سراق
كأنما الحاجب المنصور علمه … فعل الجميل فطابت منه أخلاق

وأخبار صاعد مع ومأجرياته كثيرة ذكر منها في الباب الثالث من نفح الطيب جملة وافرة فليستكثر منها من رغبهم فهي من جملة الاختبارات الصعبة فقل الرجل وتراجمه وإن ما نسبوا إليه من السرقة والكذب جملة أو كله تحامل من أهل الأندلس عليه إذ كان غريبا بين أظهرهم وقيراطا عليهم في صناعتهم وبطاعتهم فحملهم الحسد على ما رموه به ومن قيل خلاصة الذهب نكتهم بالسبك ويوزن الحق بميزان حلاوة الشك والله أعلم وتوفي صاعد هذا بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة فإنه كان رحل إليها من الأندلس عند ظهور الفتنة بها رحمه الله

(وأين كعرضها للربا العبير والتنعيم به جملة من سرور)

اللغة قوله والفخر كفخر خال البزة الفخر والفخار بالفتح فيهما التباهي
بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغيرهما اما في المتكلم او في آبائه
والنعم بالكسر الابل تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة والنعم كأمير النعوم
انها مرور بعير او غيره مما تسميه بالمصدر تقول نعم النعوم اي الشيء نعما ونعمورا
ونعيما اذا اتيت عنوا اليه وفي قولهم لا في العير ولا في النفير مثل يضرب للرجل يحتقر
امره ويصغر قدره وسياق الكلام عليه مستوفى فقوله للاجلة من سر واجلة
بالضم لا تكون الا ثوبين من جنس واحد ازار ورداء والجمع حلل مثل غرفة وغرف
والسرق بالتحريك شقق الحرير الابيض وقيل الحرير عامة واحدها سرقة قال
ابو عبيد اصلها بالفارسية سره اي جيد فعرب فقيل سرق وفي الحديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم رأى عائشة مرتين في المنام يحملها رجل في سرقة من حرير يقول
هذه امراتك واما اعراب البيت فواضح والله اعلم ومعنى الكلام
يقول اذا افتخرت فلا تفتخر الا بما هو ثابت راسخ من شرف نفسك وكرم آبائك
ولا تفتخر بالعرض الفاني والظل الزائل من المال والاثاث وملابس الحرير ونحو ذلك
بان ذلك لا قدر له في جنب الحسب والكرم كما يشير وذلك ان ما يفتخر به
الانسان ويمدح على الاتصاف به ثلاثة اقسام القسم الاول ما يرجع
لكماله اي ذات النفس وجوهرها وتحليها بما هو جبلتها وذلك العلم والتقوى
فهذا هو المعتبر لانه هو الذي النفس الانسانية وبه كمالها بل وتفضلها
بل اذا لم تتصف بواحد منهما فهي كالمعدومة لان العلم والطاعة غذاء
لها وكما ان البدن اذا فقد الغذاء المحسوس هلك كذلك النفس الانسانية
اذا فقدت العلوم والمعارف والرياضات الشرعية ماتت ولا ينفع ما معها
من نفس كنفس البهائم تاكل وتشرب وتنكح وتنام حتى تخرج من الدنيا وليس
معها شيء من العلم ولا زاد من التقوى فاي فرق بين صاحب هذه الحالة وبين البهيمة
بل البهيمة احسن حالا منه اذ كانت البهيمة تستريح بالموت لانها لم تكلف
ولم تحمل امانة وهذا المغرور قد خرج من الدنيا بغير شيء من المقصود من وجوده
وضيعه وراح الى الله صفر اليدين او لا يملك الا ندما كل من اهمل او لاه وقدم
الغافلون وهذا القسم الثابت الراسخ في النفس رسوخا تاما لا ينفك عنها

بل يصير جزءا منهما بل قد يجعلهما في الاخرى لاحد السعود ووقاء عن اذاه القسم الثاني
ما يرجع كماله الى بدن الانسان ويكون ذاتيا فيه وذلك كالجمال والحسن من
رشاقة القد ووضاءة الخد وسواد الشعر واستواء الانف وجبين وسامة
المحيا وغير ذلك من انواع الحسن وهذا مما يتجمل به ويقع التفاضل فيه ولكنه
يصحب الانسان مدة ثم يعتريه في زمان المشيب فان بقي منه فضلة فالى
الموت ثم يستحيل ذلك كله الى فساد فهذا غير مؤثر فيه ولا معول عليه
القسم الثالث ما يرجع كماله الى البدن ايضا ولكنه منفصل عنه وذلك
كالملابس والمراكب والخدم والاثاث ونحو ذلك من زينة الحياة
الدنيا فهذه الاشياء كثيرا ما تفارق صاحبها اسرع ما كان اليه فتنكبه في
شكلها او آفة سماوية او غير ذلك من نوائب الزمن فهو غير مؤثر وهو
اكثر مما قبله بكثير فقد بان لك ان الثابت النافع من الاقسام هو الاول فقط
واما الثاني والثالث فلا ثبوت لهما ولا نفع الا اذا انضم منهما على القدر
المحتاج اليه الموزون بميزان الشرع وما زاد على ذلك فهو زائد على ما يجب
كما شرع ذلك ارباب البصائر رضي الله عنهم واذا كان الامر كذلك
فكيف ينبغي للعاقل ان يفخر بشيء لا يثبت وقد يزول وربما كان ضرره اكثر
من نفعه فقول الناظم والفخر كفخر اهل الزمان اشارة الى الفخر بالحسب ومآثر
الآباء ونحو ذلك كما اشرنا اليه في التفخير اي اذا فخرت فلا تفخر
الا بالحسب الثابت ومنه ما ذكر اي مما اعتبره الشرع كالعلم والتقوى ونحوهما
واما فلا عبرة به كالفخر بالعم والنعم غير انه على كل حال اولى من الفخر
بالملابس والماكل لحسنهما بالنسبة اليه فالفخر الحقيقي انما هو
بالعلم والتقوى والدين قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقد تفرع
شيء من هذا عند قول الناظم ولا تفتخر الا بالثبت ومما ذكر الله المباهلة
بمن يفخر بغير عسرة فجعلها فيما هو راجع الى الدين دون الدنيا قال تعالى افمن
كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقال تعالى افمن يلقى في النار خير ام من
يأتي آمنا يوم القيامة فهذا هو الفخر الذي يجمل ولا يزول وما عداه
فلون حائل وكذا ما مشى عليه الناظم من ذم الآباء والعب الغرماء

وهو من قبيح في نظر الشرع ثم ان قولنا الفخر المعفي انما هو بالعلم والدين ليس المراد انه يذكره الانسان ويفتخر به حتى يكون من باب تزكية النفس والرضى عنها بل المراد انه يعتقد انه لا فخر الا بالعلم والدين واذا اكرمه الله بشيء من ذلك فليعلم ان الله هو الذي اكرمه بفضله فليكثر من حمد الله على ذلك واذا ذكره فليذكره على وجه التحدث بالنعم اذا خلصت نيته والله الموفق

ولنذكر بعض ما يشهد للكلام المتقدم فنقول دخل النجار العذري على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا امير المومنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فملأ سمعه حكمة ثم نهض ولم يسأله شيئا فقال معاوية ما رأيت احقر اولا ولا اجل آخرا منه وقال الاصمعي رأيت اعرابيا قد رثت هيئته فاستنشدته فانشدني اشعارا وروى لي اخبارا فتعجبت من بيانه ورثاثة حاله فاطرق هنيئة ثم قال

أأخي ان الحواد * ث عركتني عرك الاديم
لا تنكرن ان قد رأيـ * ـت اخاك في طمري عديم
ان كان اثوابي رثا * ثا فانني حر كريم

وينسب الى الشافعي رضي الله عنه

علي ثياب لو يباع جميعها * بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت اجل واكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته فرا

ونظرت جارية الى ابن عيينة وهو امير العراق وعليه قميص مرقوع فضحكت فانشد

ضحكت امامة ان رأتني ملقيا * ثكلتك امك اي ذاك يروع
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

وكلام الناس في هذا المعنى واعلم ان من الناس من يرى استجادة الثياب ويرى ان ذلك من المروءة وضده من النذالة وخساسة النفس والحق ان خير الامور اوسطها فلا ينبغي ان يصرف همته الى استجادة الملبس ويعتني بذلك حتى يكون كالعروس المتصنعة لزوجها ولا ان يكون رث الهيئة تنبو عنه العين وتزدريه العيون وقد قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وكان صلى

الله عليه وسلم يتجمل للوفود وقال إن الله إذا أنعم على عبد أحب أن يرى
أثر نعمته عليه ويكره البؤس والتباؤس والله تعالى أعلم

ذكر فخر خالد بالعير والنفير وأول من قال ذلك

أول من قال لا في العير ولا في النفير أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه وذلك
أنه أقبل بعير لقريش من الشام بعد الهجرة بنحو سنة ونصف فاتصل برسول الله
صلى الله عليه وسلم خبره فخطب فندب المسلمين إلى الخروج إليها لعل الله
ينفلهموها لأن الله تعالى قد وعدهم إحدى الطائفتين كما في الغزوات فانتدب
المسلمون وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة فاتصل به خبر خروج النبي صلى
الله عليه وسلم إليه فضرب وجوه العير فساحل بها وترك بدرا يسارا وقد
كان بعث إلى قريش يخبرهم بما تخوفه من أمر النبي صلى الله عليه وسلم فأقبلت
قريش من مكة بحدها وحديدها وهم النفير فأرسل إليهم أبو سفيان يخبرهم
أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع فأبت قريش أن ترجع ورجعت بنو زهرة
منهم فلما عدلوا إلى الساحل منصرفين صادفهم أبو سفيان فقال يا بني زهرة
لا في العير ولا في النفير فأرسلها مثلا قالوا أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع
وتقدمت قريش إلى بدر فهزمهم النبي صلى الله عليه وسلم فأطفأ الله بهم
ولم يشهد بدرا من قريش بني زهرة أحد ولقي خالد بن يزيد بالعير والنفير فهو
أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس
بن عبد مناف بن قصي قال ابن خلكان كان من أعلم قريش بفنون العلم وله
كلام في صناعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما وله رسائل
دالة على معرفته وبراعته وأخذ الصناعة عن رجل من الرهبان يقال له
مريانس الراهب الرومي وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهن ما جرى له مع مريانس
المذكور وصورة تعلمه منه والرموز التي أشار إليها وله فيها أشعار كثيرة
مطولات وقطائع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه هـ وأنكر ابن خلدون في فصل
الكلام على الكيمياء أن يكون خالد هذا متصفا بشيء مما ينسبون إليه من ذلك
فانظره وكان خالد المذكور شريف المنكح تزوج أم كلثوم بنت عبد الله بن
أبي طالب ورملة بنت سعيد بن العاص بن أمية وهي أخت الأشدق المتقدم الذكر

ورملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد وبعث اليه في ذلك بعض الشعراء يعرض بعبد
الملك بن مروان عليه ويحرضه كانه للخلافة

عليك امير المؤمنين بخالد * ففي خالد عما تحب صدود
اذا ما نظرنا في مناكح خالد * علمنا الذي ينوي واين يريد

فكان عبد الملك كثيرا ما يغض منه ثم انه خطب امنة بنت سعيد بن عمرو وخطبها
الوليد بن عبد الملك فقال خالد في ذلك

فتاة ابوها ذو العصابة وابنه * اخوها فما اكفاؤها بكثير
فان تعتليها والخلافة تنقلب * باكرم علقي منبر وسرير

قوله ذو العصابة هو سعيد بن العاص بن امية وكان انه كان اذا اعتم لا يعتم
قرشي معه وآمنة هذه هي التي قالت لمن زوجها الوليد الا فما على عدم بكائها
على عبد الملك ما اقول الا اقول ليته عاش حتى يقتل اخا اخ مثل عمرو بن سعيد
وقد تقدم ذلك وقال خالد بن يزيد في زوجته رملة بنت الزبير رضي الله عنه

تجول خلاخيل النساء ولا ارى * لرملة خلخالا يجول ولا قلبا
احب بني العوام طرا لحبها * ومن اجلها احببت اخوالها كلبا
فلا تعذلوني في هواها فانني * تخيرتها منهم زبيرية قلبا

يروى ان خالدا دخل على عبد الملك وعنده جماعة من وجوه اهل الشام فاراد
عبد الملك ان يغض منه فقال له يا خالد انت القائل تجول خلاخيل النساء في
الابيات ثم زاد فيها

فان تسلمي نسلم وان تتنصري * يعلق رجال بين اعينهم صلبا

وعلم خالد ان عبد الملك اختلق هذا البيت فقال لعن الله قائل هذا البيت
يا امير المؤمنين فاستحيا عبد الملك في نفسه وقال المبرد في الكامل يروى ان
عبد الله بن يزيد بن معاوية اتى اخاه خالدا فقال يا اخي لقد هممت اليوم ان
افتك بالوليد بن عبد الملك فقال له خالد بئس والله ما هممت به في ابن امير
المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال ان خيلي مرت به فعبث بها واصغرها واصغرني
فقال له خالد انا اكفيكه فدخل خالد على عبد الملك والوليد معه فقال يا امير
المؤمنين ان الوليد بن امير المؤمنين مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد بن معاوية

فعبث بها واضغن له عبد الملك مكثرا وقمع رأسه وقال ان الملوك إذا دخلوا
قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون فقال خالد وإذا
أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني والله لقد دخل علي فما أقام لسانه لحنا
فقال خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك إن كان الوليد يلحن فإن
أخاه سليمان فقال خالد وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد فقال الوليد اسكت
يا خالد فوالله ما تعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل
على الوليد فقال ويحك فمن العير والنفير غير جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة
ابن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله
عثمان قلنا صدقت يشير إلى ما كان من نفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحكم بن أبي العاص جد عبد الملك إلى الطائف فأقام هنالك يرعى غنيمات
ويأوي إلى حبلة وهي الكرمة أعني شجرة العنب حتى رده عثمان رضي الله عنه
أيام خلافته إلى المدينة فيقال إن عثمان استأذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في رده فأذن له والله أعلم وما ذكرناه من أنه كان يرعى
غنما هو الذي عند ابن خلكان وكأنه تبع في ذلك المبرد والذي عند الميداني أن غنيمات
موضع بالطائف والله أعلم فمن ثم افتخر خالد بالعير والنفير ويفتخر بما شرف
من مآثر الجاهلية ولأجل ذلك جرى على ألسنتهم في الأمثال أن يراد منها قد نهيا
فيمن تزدريه ومعنى يقال لمن لا يعبأ به ومن لا يصلح لخير ولا لشر قال الشاعر

لست في العير يوم يحدون بالعير ولا في النفير يوم النفير

وكان علي بن الجهم أبعده الله يبغض أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه فقال
يهجو البحتري رحمه الله ويعرض له بأن في نسبه ادعاء كان يرمى بها

إذا ذكرت قريش للمعالي فلا في العير أنت ولا النفير
ولو أعطاك ربك ما تمنى عليه لزاد في غلظ الأيور
فيا لك حالة تبقى عليها فما لغطت من كذب وزور
أما لك في استك الوجعاء شغل يكفك عن أذى أهل القبور

وتوفي خالد بن يزيد سنة خمس وثمانين للهجرة والله أعلم

۞ وَاتَّخِذِ الصَّبْرَ فِلَّا مَا سَابِقًا ۞ وَيُجْبَرُ عُمَرُ بْنُ تَشْفُو ۞

اللغة قوله واتخذ الصبر الاتخاذ من افعال التصيير ومعناه الافتعال والاعتياد ونحوهما والصبر حبس النفس على المكروه وهما ترجمه اليه من المحزون واقله من صبر الجيران ومن حبسه للقتل وذكر الغزالي رضي الله عنه ان الصبر انواع وتختلف اسماؤه باختلاف الشيء المصبور عنه فمنه الصبر البدني كتحمل المشاق البدنية ومنه الصبر النفسي وهو انواع فان كان عن مشتهيات الطبع فهو عفة وان كان على مصيبة اقتصر فيه على اسم الصبر ويقابله الجزع وان كان في حرب سمي شجاعة ويقابله الجبن وان كان في كظم الغيظ سمي حلما ويقابله النزق وفي غير ذلك والبلاء كناية بالدرع الملساء اللينة البراقة وهي في الاصل درع ذات الامر يستتر فيه النواجذ والجمع والسابغ الطويل اي الذي يسبغ الثوب ونحوه سبوغا مرتاها فعرقته وكمل وفي التنزيل ان اعمل سابغات وقدر في السرد قال الزمخشري هي الدروع الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها داوود عليه السلام ان امرا تخذها وكانت قبل صفائح قوله ويجبر عمر اي عمر فسيبا في حبرك واما الجبر بكسر الجيم وفتح الجيم فهو الترس من جنة اذا استتر في صاحبه يستتر به فوزنه مفعل كسر من اسماء الات وقيل ان الميم فيه اصلية فوزنه فعلل والقول الاول مذهب سيبويه والاصح الاول وحرف النداء محذوف لفكة عمر للضرورة وفي ذلك الاعراب واضح والله اعلم **ومعنى الكلام** يتضمن انه جملتين احداهما تتضمن الحث على استعمال الصبر في مواطنه والاخرى تتضمن اتقاء مواقف التهم ومكامن الريب **اما الاول** فلا يخفى ان الله تعالى قد مدح الصبر في كتابه العزيز وامر به وجعل اكثر الخيرات منوطا به **فمن ذلك** قوله يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين **وقوله** تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب **وقوله** تعالى وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا **وقوله** تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا **وبالجملة** فقد ذكر الله الصبر في كتابه في نيف وسبعين موضعا وامر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى

فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام في ذلك اخبار كثيرة من ذلك قوله عليه السلام النصر مع الصبر وقال عليه السلام الاناة من الله والعجلة من الشيطان فمن من الله بنور توفيقه الهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما ادرك الصابر مرامه او كاد وفات المستعجل غرضه او كاد ومن كلام الحكماء ما جرى من الهوى بمثل العقل ولا اشتبه الراي بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر ولا استنجحت الامور بمثل الصبر وقال الشاعر

ويوم كان المصطلين بحره ... وان لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى تجلى وانما ... تفرج ابواب الكريهة بالصبر

وقال آخر

اما والذي لا يعلم الغيب غيره ... ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه ... لقد يجتنى من بعده الثمر الحلو

وقال آخر

على قدر فضل المرء تاتي خطوبه ... ويحمد منه الصبر فيما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره ... فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

واما التاني فلا يخفى ان ذلك مطلوب ايضا قال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم وفي الصحيح ان صفية رضي الله عنها اتت النبي صلى الله عليه وسلم تزوره في معتكفه فمر رجلان من الانصار راياه معها فاسرعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلكما انها صفية قال النووي في الحديث فوائد منها استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الانسان وطلب السلامة والاعتذار بالاعذار الصحيحة وانه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى وجب ان يبين حاله ليدفع ظن السوء واذا كان هذا فيما يخصه هو فكيف بما يخصه بالكل او في ربقة الكل كقصة عمر بن ابي ربيعة الآتية واذا كان يفعل ما يزري بالمروءة مما هو مباح قادح في الشهادة فكيف بالمكروه او الحرام والمروءة

في اصطلاح الفقهاء قال ابن عرفة في حدها المحافظة على فعل ما تركه من مباح يوجب
الذم عرفا كترك الغني الانتعال في بلد يستقبح فيه مشي مثله حافيا وعلى
ترك فعل ما فعله من مباح يوجب ذمه عرفا كالأكل في السوق وفي حانوت الطباخ
لغير الغريب بل نقل في نوازل الأقضية من المعيار عن ابن فرحون والشافعي ما
نصه الاتصاف بالمروءة مطلوب كما ان الاتصاف بخلافها منهي عنه وان
كان لبادي الرأي انه مباح ه ونحوه للغزالي في الاحياء. واما المروءة في كلام
الأدباء فقد قال في محاضرات الراغب قال معاوية لقرشي ما المروءة قال العفاف
العفاف وحرفة الحلال وقال آخر لابنه فقال هي تقوى الله واصلاح المعيشة
وقال ابن عباس من المروءة ان تحفظ التزين وتركب المنيع الشرير وتستزيد
من الله المزيد وقيل اجتماع المروءة في قول الله تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان الآية وقيل للأحنف ما المروءة فقال ان لا تعمل في السر ما
تستحيي منه في العلانية وقيل له مرة اخرى فقال اجتناب الريب فانه لا ينبل
مريب واصلاح المال فلا مروءة لمحتاج والقيام بحوائج الأهل فلا مروءة لمن
يحتاج اهله الى غيره وذكر الماوردي في أدب الدين والدنيا ان هذا من كلام
بعض الحكماء قيل لا من كلام الأحنف فالله اعلم والأولى من هذا كله ما في
المصباح اذ قال المروءة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الانسان على
الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات ه وانما رجحناه لأنه جامع
بين تفسير الفقهاء والأدباء ولأنه انسب بمعناها لغة لأنها مشتقة
من لفظ المرء الذي هو الرجل فمن كملت فيه اوصاف الرجولية فهو الذي يستحق
ان يوصف بالمروءة وقد كانت العرب في جاهليتها من اشد الأمم تمسكا بها
وحفاظا على المروءة من حفظ الجار والوفاء بالعهد وبذل المعروف والذب
عن الحريم والترفع عن مواقع الريب ومكارم الشيم الى غير ذلك وقد قال حاتم
الطائي وهو جاهلي

وانك مهما تعط بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

فضرّ وكدّرا منه وعاد رشيقة * اذا ذكرت اقسامها تملا انيها
وانشر المبرة

ما ازرى بمالي انفاقي لفاحشة * الا عطاء الاخلاء والكرم
فلا الى شبهة مدّت يدي ابدا * ولا مشت بي لريبة قدم
واشعاره في هذا المعنى كثيرة فلا نطول بها

ذكر عمر بن ابي ربيعة وحديث محبته

هو ابو الخطاب عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة واسمه حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي المخزومي الشاعر المشهور لم يكن في قريش اشعر منه وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة وله في ذلك حكايات مشهورة قال الثعالبي في ثمار القلوب عمر ابن ابي ربيعة اغزل خلق الله واعذبهم شعرا في النسيب وان قصر كثيرا في التشبيب وليس له شعر في المدح والهجاء والفخر وانما قصر شعره على ذكر النساء وهو من مغناهم فيما اتى الشرائف وبنات الخلفاء سيما اهل الحجاز واعتمره وهو المشتهر من معاشرهم وكان يزيد بن عبد الملك يقول ان غشوا الشرق كما يعشق عمر الجمال وكان ابو الفرج الاصفهاني يقول ما عصي الله بشعر مثل ما عصي بشعر عمر ولما قال له سليمان بن عبد الملك ما يمنعك من مدحنا قال اني امدح النساء دون الرجال وكان اخوه الحرث بن عبد الله بن ابي ربيعة لن يرضى له بذلك المذهب فسمعه يوما ينشد

ويوم كتنور الطواهي سجرنه * والقين فيه الجزل حتى تضرما
تعرضت بنفسي في اجيج سمومه * وبالعنبر حتى ابتل وشعره مادما

فقال الله اكبر قد اخذت في جد واخذ من الشعر فلما اتبعهما بقوله

أومل ان القى من الناس عالما * باخبارهم او ان ارى لي مسلما

قال انك لفي ضلالك القديم وقد ضرب به المثل الصاحب ابن عباد حيث قال في رسالة له انا اغزل من عمر اذا حج وافسق من عمر وكان من حديث محبته الذي صار مثلا في الناس انه كان يتغزل في امرأة من بني جمح من اهل المدينة اسمها نعم وتكنى ام بكر وسنذكر ما جرى بينهما كما حكاه المفضل الضبي قال

بلغ عمر ابن ابي ربيعة ان نعما اغتسلت في غدير فاتاه فاقام عليه وما زال يشرب منه حتى جف ثم ان نعما حجت سنة من السنين في ناس من قومها فرحلا لها فلما خرجت قدم من الحج تبع عمر نعما اياما يتبعها حيث سار قومها ويقيم حيث اقاموا يترصد غفلة يجتمع فيها معها الى ان وجد منها في ليلة من الليالي فانسل حتى وقع عليها في خبائها وبات يغازلها ويحادثها الى ان طلع الفجر وهب القوم من نومهم وتعذر على عمر الخروج من الخباء فاحتالت نعم بان ارسلت الى اختيها فجاءتا وجعلته بينهن وخرجن به حتى جاوزن به رحال القوم وابلت بوصف الحال المذكورة في قصيدة طويلة وجعل أولئك النسوة الثلاث كالمجن له حيث اتقى بهن من عدوه كما يتقي الرجل في الحرب بالمجن الذي هو الترس ولنذكر ما يتعلق بالقصة من القصيدة المذكورة فانها طويلة جدا ومطلعها

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر … غداة غد أم رائح فمهجر

الى ان قال

وليلة ذي دوران جشمني السرى … وقد يجشم الهول المحب المغرر

فبت رقيبا للرفاق على شفا … أحاذر منهم من يطوف وأنظر

اليهم متى يستمكن النوم منهم … ولي مجلس لولا اللبانة أوعر

وباتت قلوصي بالعراء ورحلها … لطارق ليل او لمن جاء معور

وبت أناجي النفس اين خباؤها … وكيف لما آتي من الامر مصدر

فدل عليها القلب ريا عرفتها … لها وهوى النفس الذي كاد يظهر

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت … مصابيح شبت بالعشاء وأنور

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه … وروح رعيان ونوم سمر

ونفضت عني العين اقبلت مشية الـ … ـحباب وركني خشية القوم أزور

فحييت اذ فاجأتها فتولهت … وكادت بمكتوم التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتني … وأنت امرؤ ميسور امرك أعسر

أريتك اذ هنا عليك ألم تخف … رقيبا وحولي من عدوك حضر

فوالله ما أدري أتعجيل حاجة … سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى … اليك وما نفس من الناس تشعر

فقالت وقد لانت وأفرخ روعها … كلاك بحفظ ربك المتكبر
فأنت أبا الخطاب غير منازع … علي أمير ما مكثت مؤمر
فيا لك من ليل تقاصر طوله … وما كان ليلي قبل ذلك يقصر
ويا لك من ملهى هناك ومجلس … لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكي المسك منها مفلج … نقي الثنايا ذو غروب مؤشر
تراه إذا تفتر عنه كأنه … حصى برد أو أقحوان منور
وترنو بعينيها إلي كما رنا … إلى ربرب وسط الخميلة جؤذر
فلما تقضى الليل إلا أقله … وكادت توالي نجمه تتغور
أشارت بأن الحي قد حان منهم … هبوب ولكن موعد لك عزور
فما راعني إلا مناد ترحلوا … وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنبه منهم … وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقلت أباديهم فإما أفوتهم … وإما ينال السيف ثأرا فيثأر
فقالت أتحقيقا لما قال كاشح … علينا وتصديقا لما كان يؤثر
فإن كان ما لا بد منه فغيره … من الأمر أدنى للخفاء وأستر
أقص على أختي بدء حديثنا … وما لي من أن تعلما متأخر
لعلهما أن تبغيا لك مخرجا … وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر
فقامت كئيبا ليس في وجهها دم … من الحزن تذري عبرة تتحدر
فقالت لأختيها أعينا على فتى … أتى زائرا والأمر للأمر يقدر
فقامت إليها حرتان عليهما … كساءان من خز دمقس وأخضر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا … أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر
يقوم فيمشي بيننا متنكرا … فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفي … ودرعي وهذا البرد إن كان يحذر
فكان مجني دون من كنت أتقي … ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي … أما تتقي الأعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا … أما تستحي أو ترعوي أو تفكر
إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا … لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

فَبَاتَ بِمِيرِي بِسَاحَتِي اعْتَرَمَتْ ۞ وَلَاحَ لَهَا خَدٌّ نَقِيٌّ وَمَحْجِرُ

هذا مما يتعلق بالقصة من هذه القصيدة وعن الاصمعي انه كان يقول شعر
ابن ابي ربيعة هو الفستق المقشر الذي لا يشبع منه وفي الاغاني ان صاحب هذه
المقالة هو حماد الراوية وقوله وليلة في ذي دوران هو بوزن حوران موضع بين
قديد والجحفة واللبانة الحاجة ومعروض رحلها وهو اسم بالجمل من العرور
العير ويقول له ذا الفكر والثريا معطوف الرابعة الهيبة والنور جمع نار تمسر
ولا تمس وهو من النمر لانه كان في العشر وابي في الجمعة وقوله نفثت
يعني العير يقول اخر شيء منها وافتتها والتنباء بالضم حبة بعينه واما قول
امرئ القيس ۞ سموت اليها بعد ما نام اهلها ۞ سمو حباب الماء حالا على حال
فبالفتح وهو احسن من بيت ابن ابي ربيعة وقوله ازور ابي مثماي وقد غرور
يعني ان اشتداده لا زالت محرقة وذلك بان اعلى صغ هنا وغرب كل شيء حده
وهو شرابي فواشر بمشتير وهو تعزيز الاشنار وتواله النجم توا بعماد وتعور
تغور وعزور كجعفر موضع في مكة قوله وان ترحبا سربا بفتح السين وسكون
الراء وباطو حرة في دامر مجاز عن الخدر من قولهم فلان رحيب الصدر اذا كان
منفصلا بالامور لا يتعيم عند نزول النوازل وضرة الحمر الصدر بالضاد
بوزن فرج وقوله بكار يحتشي هذا هو مثل السائر من القصة والكاعبان
تثنية كاعب وهي الجارية حين يبدو ثدياها للنهود والمعصر كمكرم الجارية
اول ما ادركت سميت بذلك لكونها دخلت في عصر الشباب فالله الخليل
وكان النحو ان يقول ثلاثة شخوص لان الشخص المعروف مذكر لكنه راعى المعنى
وقرر ذلك بقوله كاعبان ومعصر ومثله قول الاخ
۞
وان كلابا هذه عشر ابطن ۞ وانت بريء من قبائلها العشر
وتروي عن يزيد بن معاوية مما ولده للعته بعد ليا انه لما اراد توجيه جيش
الحرة عرض الناس فمر به رجل من اهل الشام معه ترس ردي فقال يا اخا اهل
الشام مجن ابن ابي ربيعة احسن من مجنك وتزود ومثله عمر قتيبة بن مسلم
الباهلي اميرخراسان من قبل الحجاج ففي شرح الزبير ونية لابن نباتة ان
قتيبة نكر في بعض مغازيه ان رجلا من الازد معه ترس من جلد بعير فدسه علج

من جميع نواحيه فقال يا اخا الازد ترث ابن ابي ربيعة حتى من ترسلي بين قوله
فكان يحيي البيت ومن كلامه في البغاء خالد البلوي يرفع سلاحا فما اطورته
وما شئت من مجد يروق النهى • ويعكس شعاعه غرة النجم • يحتوم ان الحبس
على كل ابن ربيعة • ويزري بمحبر ابن ابي ربيعة • **وكانت** ولادة عمر بن ابي ربيعة
في الليلة التي توفي فيها امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي
ليلة الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة فكان
الحسن البصري اذا ذكر ذلك قال اي حق رفع • واي باطل وضع • ومع ذلك
فنزاهة ركته بركة ذلك الاسم وتاب في اخر عمره وحسنت حالته قال محمد بن
الضحاك عاش عمر بن ابي ربيعة ثمانين سنة فتك منها اربعين سنة ونسك اربعين
سنة وفي الاغاني لما مرض عمر بن ابي ربيعة مرضه الذي مات منه جزع اخوه
الحرث جزعا شديدا فقال له عمر اخسبك انما تجزع لما تظنه في والله ما اعلم
اني ركبت فاحشة قط فقال ما كنت اشفق عليك الا من ذلك وقد سليت عني
ه ومعو فخالف لما عن ابن خلكان من ان عمر غزا في البحر فاحرقوا السفينة فاحترق
في حدود سنة ثلاث وتسعين للهجرة وعمره سبعون سنة والله اعلم

لو ان حملت راية الامر بكر • فجمعهم اوذى وان تشتبي
فرنكيعت يران ابي يوم موتة • الى بني عميا لكي تسرحي
لا كنه اختضنا حبا لنا • فيا له من سبي مورثي

اللغة قوله راية الامر الراية العلم الضخم ودونها اللواء وقال
عياض في المشارق اللواء الراية فلا فرق كلامه انهما مترادفان وقال ابن
العربي اللواء غير الراية فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه والراية
ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح ه والامر بمعنى الامارة بفتح همزة
قولك امر علينا مثلث الميم اذا ولي قوله ولا تشتبي من معنى التشابه
كقوله تعالى انا ذبحنا نتشبو اي فتشابهوا واستبقا الباب اي تسابقا اليه
قال الزمخشري الافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء
والترامي وغير ذلك قوله يوم موتة بضم الميم وسكون الهمزة ويجوز
ابدالها واوا قرية بمشارف الشام من ارض البلقاء الى جهة الحجاز قريبة من

الكرام وربما كانت تحمل السيوف المشرفية وربما كانت الدفعة طائفة ذكرنا
قوله لكمي شوهاء الكمي من عز غني الشجاع المتكمي في سلاحه لأنه كمى نفسه
أي سترها بالدرع والبيضة ومنه كمى فلان الشهادة إذا كتمها والجمع كماة
كقضاة على غير قياس والشوهاء الطويلة ووصف الكمي به لأنه أشد
في قراعه وأقوى لمكافحته قوله لكنه احتضنا الاحتضان جعل الشيء في
حضنه وهو ما دون الإبط إلى الكشح والحضن بالكسر ما دون الإبط إلى الكشح ونواحي كل شيء
أحضانه وحضن الطائر بيضه إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحيه وكذا المرأة
تحضن ولدها والله أعلم **الإعراب والتصريف** قوله وإن حملت
راية الأمر شركم وقوله بكت بجعفر جوابه قال في المصباح الراية يقال أصلها
الهمز لكن العرب آثرت تركه تخفيفا ومنهم من ينكر هذا القول ويقول لم يسمع
الهمز وإن في قوله أودع للتنبيه والكلام على تقدير إرادة أي وإن أردت
حمل راية الأمر فلا مانع أن تثبت بعد ثبات جعفر رضي الله عنه وأما إن ترجمها
ولا نسلم بوعيد إلى الثبات وجملة قوله فقد فحصت بدلا في مثنا نعة اشيبنا فيا
بيانيا كأنه قيل ما كانت قصة جعفر فقال فقد فحصت بدلا في وجملة ولم ترعه
في حال من الضمير في بدلا وفيه مجيء الحال من المضاف إليه والمسوغ موجود
وهو كون المضاف بعضا من المضاف إليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم
من غل إخوانا ووصف الكمي بشوهاء وهو الطويل لأن امتداد القامة وانتصابه
قلما تنفك عنه الشجاعة كما تقرر في علم الفراسة قوله لكنه احتضنا
جملة مؤكدة للكلام السابق فلذا لم يعطفها عليه ولكن هنا للتوكيد وقع
دون الاستدراك على رأي جماعة منهم ابن أبي الربيع ومثلوا لذلك بنحو قولهم
لو جاءني زيد لأكرمته لكنه لم يجئ فلكن هنا لمجرد التوكيد فأكدت ما أفادته لو من
الامتناع ومثله كلام الناظم هنا قوله ولكنه لكن يكتب بدون ألف بعد اللام
وقوله حبا لنا مفعول لأجله معمول لاحتضن قوله فيا لك من سيف
جملة إنشائية ومعناها التعجب والفاء فيها للسببية المحضة كما في قوله تعالى
فصل لربك وانحر كما ذكره ابن هشام في المغني والأصل في يا أن تكون لنداء البعيد
وقد تخرج عنه كما هنا فإنها لمجرد التنبيه والمراد التعجب مستفاد من مجموع

الكلام ولعله خبر مبتدا محذوف تقديره يا له امرا عظيما ومن تيسير بيان لذلك
الحقير في الانقطاع أولا والانبعاث ثانيا من التعظيم والتفخيم ما لا يخفى
ومع ذلك ففيه بعض نقص والله اعلم. ومعنى الكلام من قوله ذكر الناظم
رحمه الله الفتح في البيت قبل هذا الذي بعده فيه تعلق بذلك وتنبيه على ان الفتح
ما فيه محمود اما في الدنيا كما في قضية ابن عمرو العدوي وابن حنبل البلوي
وقضية ابي بن سعد الليثي واما في الاخرة كما في قضية جعفر رضي الله عنه
فان الفتح اعقبه الجنة حيث والكيفية ان يطير مع الملائكة كما نذكره ان ش

ذكر غزوة مؤتة واستشهاد جعفر رضي الله عنه

كان السبب في هذه الغزوة ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل الحارث
ابن عمير الازدي رضي الله عنه بكتاب الى ملك بصرى وهو الحارث بن ابي شمر
الغساني وقيل ارسله به الى قيصر فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو
الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فجهز
صلى الله عليه وسلم جيشا الى الشام في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة
واستعمل عليهم مولاه زيد بن حارثة وهو المذكور في الغزوة وقال ان اصيب
زيد فجعفر بن ابي طالب على الناس فان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة
فتهيأ الناس للخروج وهم ثلاثة آلاف وودعوا النبي صلى الله عليه
وسلم ومضوا حتى نزلوا معان من ارض الشام فبلغهم ان هرقل ملك الروم
قد نزل مآب من ارض البلقاء في مائة الف من الروم وانضم اليهم من لخم
وجذام وبهراء وبلي مائة الف اخرى فلما بلغ المسلمين الخبر اقاموا على
معان ليلتين يتفكرون في امرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنخبره بعدد عدونا فاما ان يمدنا بالرجال واما ان يامرنا بامره فنمضي
له فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم والله ان الذي تكرهون
للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة وما نقاتلهم
الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين
اما ظهور واما شهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة ثم تقدموا
حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية

من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فكان اللقاء عندها فتعبأ المسلمون وجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة العذري وعلى ميسرتهم عباية بن مالك الانصاري وفي القلب زيد بن حارثة الأمير فقاتل زيد براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رؤوس رماح القوم ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا الحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فقال الاحرش مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة والله لكأني انظر اليه حين اقتحم عنها ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة انسابها
* علي اذ لاقيتها ضرابها *

وكان جعفر اول من عقر فرسا في الاسلام وسن جوازه اذا اخيف عليه العدو ان يأخذه فيتقوى به ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل ثم اخذها ثابت بن اقرم العجلاني فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فاصطلحوا على خالد بن الوليد فلما اخذ خالد الراية دافع القوم وحاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس وذكر ابن هشام ان جعفر اخذ الراية بيمينه فقطعت فاخذها بشماله فقطعت فاحتضنها بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فاثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء وعن ابن عمر رضي الله عنه وقد شهد الوقعة قال وجدنا ما بين صدر جعفر ومنكبيه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر اشبهت خلقي وخلقي وكان ابو هريرة لا يقدم عليه احدا في الكمال بعد رضي الله عنهم اجمعين ومما رثي به جعفر واصحابه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

تأوبني ليل بيثرب اعسر ... وهم اذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة ... سفوحا واسباب البكاء التذكر
بلى ان فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المومنين تواردوا ... شعوب وخلفا بعدهم يتأخر

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بموتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعا وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمومنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبي إذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير موسد ... بمعترك فيه القنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد ... وفاء وأمرا حازما حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا يزلن ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حولهم ... رضام إلى طود يروق ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق ... عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

(وكن إذا استنجدت مثل من غزا * ازهر الغر بكل كرم ابلق)

اللغة قوله وكن إذا استنجدت في الاستنجاد الاستغاثة وهي طلب النجدة أي الغوث واستنجدني فأنجدته أي استغاثني فأغثته والنجدة الشجاعة تقول منه نجد الرجل بالضم فهو نجيد مثل كرم فهو كريم وغزو العدو أن تقصد له بالحرب والغزا بالكسر والقصر اسم جمع الغزو والكرم بالكسر الكريم من الخيل قال أبو زيد هو نعت للذكور خاصة والأبلق ما فيه سواد وبياض من الحيوان وغيره وفي المثل تجر يلنو ويزغ ومعمرس كان يشبه الخيل وموضع ذلك تعاب وأعراب البيت واضح

ذكر من غزا الزهر الغر وبالخيل البلق

المعني بهذه الترجمة أمير المومنين المعتصم بالله أبو اسحاق محمد بن هارون الرشيد ثامن الخلفاء من بني العباس وكان من حديث الغزوة أنه لما كانت سنة ثلاث وعشرين ومائتين كانت جنود المعتصم تحارب بابك الخرمي الذي كان قد ثار عليهم ببلاد العجم فلما ضيق عليه المعتصم وكاد يهلك

في القبضة كتب الى ملك الروم توفيل بن ميخائيل يعلمه ان المعتصم قد وجه
عساكره وقواده اليه حتى وجه خياطه وطباخه ولم يبق على بابه احد
فان اردت الخروج اليه فليس في وجهك احد يمنعك ورجا بذلك ان ملك الروم
ان تحرك يكشف عنه بعض ما به فخرج توفيل الى بلاد الاسلام في مائة الف من
الجند فانتهى الى زبطرة وهي بكسر الزاي وفتح الموحدة وسكون الطاء المهملة
بلد بين سميساط وملطية من ارض الفرات فقتل من بها من الرجال وسبى
الذرية والنساء واغار على ملطية وسبى المسلمات ومثل بمن صار في يده من
المسلمين وسمل اعينهم وقطع ءاذانهم وءانافهم فاتصل الخبر بالمعتصم
فشق عليه ذلك واستعظمه وكبر لديه وبلغه ان امرأة هاشمية صاحت
وهي اسيرة في ايدي الروم وامعتصماه فاجابها وهو جالس على سريره لبيك
لبيك ونهض من ساعته وصاح في قصره النفير النفير ثم ركب دابته وسمط
خلفه شكالا وسكة حديد وحقيبة فيها زاده كذا عند ابن الاثير وابن خلدون
وغيرهما ورأيت في الغيث للصفدي ما نصه بلغ المعتصم وهو في مجلس شرابه
ان امرأة هاشمية عند بعض نصارى عمورية وان احد البطارقة لطمها على
وجهها فقالت وامعتصماه فقال النصراني ما يجيء اليك المعتصم الا على
الابلق فقال لا يذوق الكاس التي كانت في يده واقسم لا يشرب بها حتى يفك
الهاشمية من الاسر ونادى في عسكره ان يستعدوا لركوب الخيل البلق فقال
انه توجه الى عمورية في سبعين الف ابلق فلم يزل حتى فتح عمورية وطلب تلك
الهاشمية بعينها فلما حضرت قال لها لبيك لبيك واخذ الكاس المختوم فـ
شرب بها وصار ركوب الابلق مثلا وتقول في [illegible] وان توجه المعتصم الى
عمورية كان على الخيل البلق فهذا من الاستمداد الذي اشار اليه الناظم رحمه
الله قال ابن الاثير فلما تجهز المعتصم قال اي بلاد الروم امنع واحصن
فقيل عمورية لم يعرض لها احد منذ كان الاسلام وهي عين النصرانية وهي
اشرف عندهم من القسطنطينية فصممها المعتصم وتجهز جهازا لم يتجهزه
خليفة قبله قط من السلاح والعدد والالات وحياض الادم والروايا
مما والقرب وغير ذلك وسار يغزو في القرى ويحرق الزروع حتى اتى عمورية فحاصرها

وألح عليها بالرمي بالمجانيق حتى فتحها وأمر بها فهدمت وأحرقت وكان
نزوله عليها لست خلون من رمضان وأقام عليها خمسة وخمسين يوما وفرق
الأسرى على القواد وأمر ببيع الغنائم فبيع منها في أكثر من خمسة أيام وأمر
بالباقي فأحرق وكان لا ينادى على شيء أكثر من ثلاثة أصوات ثم يوجب بيعه
طلبا للسرعة وكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة طلبا
للسرعة ثم سار إلى طرسوس ثم إلى بغداد سالما معافى وكان المنجمون
يزعمون أن عمورية لا تفتح تلك السنة فكذب الله قولهم وفي ذا يقول الشيخ
اليوسي ما نصه لما حاصر المعتصم عمورية من أرض الروم اشتد عليه القتال
وكان بالعسكر رجل من أهل الدين والخير فقال ما بال أمير المؤمنين لا يقاتل فقيل
له إن بعض المنجمين أمره بالتأخير وقال إن الوقت ليس لك فجاء الرجل إلى
المعتصم فوقف بين يديه وقال

دع النجوم لطرقي يعيش بها ... وقم لوقتك وانهض أيها الملك
إن النبي وأصحاب النبي نهوا ... عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا

فعلم أن القتال يفتح عليه وقال في ذلك أبو تمام قصيدته المشهورة
التي يقول فيها

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة ... ليست بنبع إذا عدت ولا غرب

إلى أن قال

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به ... نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض في أثوابها القشب

وقال في آخرها

لقد تركت أمير المؤمنين بها ... للنار يوما ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى ... يشله وسطها صبح من اللهب

حتى

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت — عن لونها أو كأن الشمس لم تغب
ضوء من النار والظلماء عاكفة — وظلمة من دخان في ضحى شحب
فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت — والشمس واجبة من ذا ولم تجب

وقال في إجابته نداء المرأة الهاشمية *

لبيت صوتا زبطريا هرقت له — كأس الكرى ورضاب الخرد العرب
عداك حر الثغور المستضامة عن — برد الثغور وعن سلسالها الحصب
أجبته معلنا بالسيف منصلتا — ولو أجبت بغير السيف لم تجب
حتى تركت عمود الشرك منعفرا — ولم تعرج على الأوتاد والطنب

وتوفي المعتصم رحمه الله يوم الخميس لثمان عشرة خلت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين للهجرة.

(وسم عمرو البرير بالخسف وكسر * مثل أبي يوسف ذو التخشب
ردى كتائب فرد عامل للوغى * منهم بمن قاد العرمرم الخشب
وقال إذ به أجيب بسوى * جيش عرمرم وخيل ذي لجب
وضرب الفشتالي في الحرب فر * أعداكم جيشه بهم كالشرب
وكان ما قرأيهم وأمر ناسب * أبلغ من جوابه المشتبر)

اللغة قوله وسم عمرو البرير بالخسف يقال سامه خسفا إذا أولاه ذلا ومضيمة يتعدى إلى الثاني بنفسه قال عمرو بن كلثوم *

إذا ما الملك سام الناس خسفا — أبينا أن نقر الخسف فينا

وأصله من سوم السلعة عند البيع أو أن الناظم ضمنه معنى المعاملة فعداه بالباء وفي لفظ يوسف ست لغات بإبدال الواو همزة وتثليث السين في الجميع ونظيره في ذلك لفظ يونس قوله ذي التخشب يقال تخشب بالخاء المعجمة إذا ارتفع وعلا قوله للوغى أصل الوغى الجلبة والأصوات ثم نقلت إلى الحرب لما لازمها ذلك لها وقال جمع الوغى بالمهملة الصوت والجلبة وبالمعجمة الحرب نفسها قوله العرمرم المتوالي لشدة الغيظ وتجاوزه الخيرية قوله بسوى جيش أي بغير جيش عرمرم كثير جدا الكثير وقوله خيل ذي لجب بفتحتين والزاي مهملة أي شدة الروعة قال كم بة

ح
ابن

ذلول في غارة مشعوذ حفي * كرعال الهيق اشواقا تمشر

قوله ونحو البشاكم هو في الاصل بيتا من شعر والمراد هنا خباء عظيم تتخذه الملوك يسمى في لسان المغاربة والاعراب وفيه لغات البشكامت والبشتاكم والبشاكم والبشتات وتتخذ الغباد وتكسر في الجميع قوله ذو اعاكم حيشد يعني بالعدو وقوله كالسود وهو كيفوم والذال معجمة السوار الذي يكون في يد المرأة وهذا التشبيه ماخوذ من قول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في الزبير استشهد بلال يوم بدر على امية بن خلف قال فما حاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وانا اذب عنه والمسكة بالتحريك السوار من عاج قوله جوابه المشبر وهو بصيغة اسم الفاعل معناه المميز من شبر فتق الثوب واللحم شبره فقه وشبر ايضا اذا مزقته وقطعته قال الشاعر . فادركته بالحزن بالسار والنسا . كما شبر الولدان ثوب الحبرير والمراد ان جوابه هذا المكتوب فعل في العدو فعل السيوف او ابلغ من التغريق والتمزيق كما قال ابو الطيب *

بالمراد اورد البلاد كتابه * قبل الجيوش ثنى الجيوش تحيرا

فالكلام حينئذ مجاز ويحتمل انه اراد به تمزيق كتاب العدو كما هو في قبل والله اعلم واعراب الابيات واضح ومعناها مما يتبين من سوق القصة برمتها فنقول

ذكر ابن يوسف وجوابه وما ترتب عليهما

هو امير المومنين ابو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي صاحب بلاد المغرب والاندلس الملقب بالمنصور احد ملوك الموحدين وواسطة عقدهم وهو الذي اكمل ابهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط احكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في امور الدين والورع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقام الحدود حتى في اهله وعشيرته الاقربين كما اقامها في سائر الناس اجمعين فاستقامت الاحوال في ايامه وعظمت ابن اذفونش كما غيه الجلالقة الذين تسميهم اليوم الاصبنيول نسبة عجمية الى اصبانيا التي هي ازمة الاندلس وسأله الصلح فصالحه خمس سنين فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل خرجت طائفة من فرنج

ابن ميمون في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا
فظيعا فلما انتهى الخبر الى الامير يعقوب وهو بمراكش فاعتزله بلاد المغرب وداء
ملكها فتمهيم لغفر لهم في جمع عسكر من قبائل الموحدين والعرب قال ابن
خلكان ورأيت بدمشق جزءا بخط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حمويه شيخ
الشيوخ بها وكان قد سافر الى مراكش واقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق
بتلك الدولة ومن ذلك فصل يتعلق بمبدأ الوقعة قال لما انقضت الهدنة
بين الامير ابي يوسف المذكور وبين الاذفونش صاحب غرب جزيرة الاندلس وقاعدة
مملكته يومئذ طليطلة وذلك في اواخر تسعين وخمسمائة عزم الامير
يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه الى جزيرة الاندلس لمحاربة الافرنج
وكتب الى ولاة الاطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج الى مدينة سلا
ليكون اجتماع العساكر بظاهرها فاتفق انه مرض مرضا شديدا حتى ايس
منه الاطباء فتوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش وحمل الامير يعقوب
الى مراكش فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها واغاروا
على النواحي والاطراف وكذلك فعل الاذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين
بالاندلس واقتضى الحال تفرقة جيوش الامير يعقوب شرقا وغربا واشتغلوا
بالمدافعة والممانعة فكثر طمع الاذفونش في البلاد وبعث رسولا الى الامير
يعقوب يتهدده ويتوعده ويطلب منه بعض الحصون المتاخمة له من بلاد
الاندلس وكتب اليه رسالة من انشاء وزير له يعرف بابن الفخار وهي
باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح
الله وكلمته الرسول الفصيح اما بعد فانه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب
ولا ذي عقل لازب انك امير الملة الحنيفية كما اني امير الملة النصرانية
وقد علمت الآن ما عليه رؤساء اهل الاندلس من التخاذل والتواكل والتكاسل
واهمال امر الرعية واخلادهم الى الراحة والامنية وانا اسومهم
بحكم القهر وجلاء الديار واسبي الذراري وامثل بالرجال واذيقهم عذاب
الهون وشديد النكال ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم اذا امكنتك يد
القدرة وسلا عدة من عساكرك وجنودك ذوي راي وخبرة وانتم تزعمون

ان الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالآن خفف الله عنكم
وعلم ان فيكم ضعفا رحمة منه وفضلا ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد
منا فلا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حدثت عنك انك
اخذت في الاحتفال واشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك سنة بعد
اخرى وتقدم رجلا وتؤخر اخرى فلا ادري اكان الجبن ابطأ بك ام التكذيب
بما وعد ربك ثم قيل انك لا تجد الى جواز البحر سبيلا لعلة ما يسوغ لك
التقحم معها وها انا اقول لك ما فيه الراحة لك واعتذر عنك ولك
على ان تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهائن وترسل الي جملة من
عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات وانا اجوز بجملتي اليك
واقاتلك في اعز الاماكن لديك فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت اليك
وهدية عظيمة مثلت بين يديك وان كانت لي كانت يدي العليا عليك
واستحققت امارة الملتين والحكم على البرين والله يوفق للسعادة
ويسهل الارادة لا رب غيره ولا خير الا خيره فلما وصل كتابه الى
الامير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود
لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما
تسمع ثم تمثل ببيت ابي الطيب المتنبي *

ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخميس العرمرم

ثم امر بكتب الاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب السرادقات
من يومه بظاهر البلد وجمع العساكر وسار الى البحر المعروف بزقاق سبتة
فعبر منه الى الاندلس وسار الى ان دخل بلاد العدو وقد اعتدوا واحتشدوا
وتأهبوا فكسرهم كسرة شنيعة قلت وهي غزوة الارك المشهورة
قال ابن الاثير التقوا تاسع شعبان شمالي قرطبة عند قلعة رباح بمكان
يعرف بمرج الحديد يعني من سنة احدى وتسعين وخمسمائة قال وكان عدة
من قتل من الفرنج مائة الف وستة واربعين الفا واسر ثلاثة عشر الفا
وغنم المسلمون منهم شيئا عظيما انكر تفصيله فيه قلت وقد استوفيت
اخبار هذا الامير في تاريخنا الكبير المسمى بكتاب الاستقصا لاخبار

المغرب الاقصى . بعلية به وهذا الامير هو الذي بنى برباط الفتح والصومعة
التي كانت تسمى المعمورة وهي على قصب نحو شبر في البحر المحيط وبنى قصبة
مراكش وجامعها الاعظم المنسوب اليه وصومعة جامع الكتبيين بمراكش
ايضا وصومعة حسان بجامع رباط الفتح وصومعة اشبيلية وغير ذلك من
الآثار العظيمة بالمغرب والاندلس ولست اشك في انه الذي بنى المسجد
الاعظم بهذا البلد سلا لان الذي كان له هذا الاعتناء بتلك الآثار و
الآثار التي بالمسجد المذكور اشبه شيء بالآثار التي بمراكش والله اعلم
ثم بعد هذا الخبر في مدة وقفت على كتاب الروض المعطار رحمه الله فرأيته نص على
انه الذي بنى المسجد المذكور وانه كان له به سبعمائة اسير من النصارى يعملون
فيه وكانت وفاته رحمه الله بمدينة سلا ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمس
وتسعين وخمسمائة وحمل منها الى مراكش فدفن بجبل تينملل عند قبر سلفه
رحمهم الله ومن هنا شرع الناظم رحمه الله في ذكر المواضع والرفاق فقال

يا صاح واشغل بفسحة العمر بها * بقعة وزر غبا رسوم العيفر

اللغة قوله يا صاح معناه يا صاحبي وفسحة العمر بالفاء بقيته
واصلها السعة ومكان فسيح واسع وفسحت له في المجلس اذا جعلت له
فيه من جهة يجلس فيها وما يعنيه ما يمكث دنيا او دنيا فقوله وزر غبا
الغب بالكسر ان ترد الابل الماء يوما وتدعه يوما تقول غبت الابل
تغب من باب ضرب اذا وردت الورد يوما بيوم هذا اصله واطلاقه في الزيارة
بعد الحسن ان تكون في كل اسبوع مرة فقوله رسوم العيفر اي مكان النساء
والعفو ومنازلهما والله اعلم **الاعراب** فقوله يا صاح
اصله يا صاحبي مرخم على غير قياس لانه ليس بعلم ولا مختوم بهاء
التانيث ولانه مضاف في الاصل وجملة النداء معترضة بين المتعاطفين
في البيت واين مقابله اعني قوله وسم عمرة الدير وقوله واشغل فسحة
العمر والاقرب ان يكون هذا مستانفا بدليل تعلق له بما قبله وقوله بها
يعني متعلق باشغل وما مفعوله وجملة يعني صلتها والعائد الضمير المستتر
في يعني الذي هو الفاعل ويحتمل ان يراعى مع الفعل فيعمل تقديره

يغني أيضا الخطاب ويجوز أن لا يراعي ذلك المغني فإن من شأنه أن يهتم به كل أحد وقوله غبا مفعول مطلق أي زيارة غب أو حال من فاعل زر أي حال كونك غابا وهذا مبني على السماع ورسوخ العيش مفعول زد والله أعلم. **البديع** في كلام الناظم منه التلميح إلى المثل وهو قولهم زر غبا تزدد حبا. قيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ونقل الميداني عن المفضل أن أول من قاله معاذ بن صرم الخزاعي ونظمه بعضهم فقال

إذا شئت أن تقلى فزر متواترا ... وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا

ومعنى الكلام من اشتمل كلام الناظم على جملتين أخراهما تتميم الحث على تدارك بقية الأجل وتعمير الأوقات بما تحمد عقباه في العاجل والآجل وأولاهما تتميم الحث على الجد والاجتهاد والأخذ بالحزم والاحتياط في أعمال البر والطاعات واجتناب اللغو وإخلاء الأوقات من البطالات وهذا هو المقصود من بعثة الرسل وإنزال الكتب عليهم وإرشاد الخلق بهم إلى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم **قال** الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون **وقال** تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر الآية **وأخرج** مسلم والترمذي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ألهاكم التكاثر فقال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار وقال علي رضي الله عنه ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وأما قوله وزر غبا رسوخ العيش فالمراد منه كما قلنا الحث على الجد والاجتهاد. فيما يرضي

الله

الله ويبقى في السعادة، فإن الغم جحيم، والعيش نعيم، والناس في نعيم
ولأن الفرح والبطر من صفات الغافلين والله تعالى لا يحب الفرحين وقال
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ووصف
هند بن أبي هالة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة يعني
لاستغراقه صلى الله عليه وسلم في شهود جلال الله تعالى وكبريائه ولأن
الهموم بقدر الهمم وهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الهمم وليست
إلا في الله وقائمة به منه وإنما لم يحصل لنا كمال ذلك المعنى بالكلية بل أمر
بذلك فلا أقل منه قد فتح لنا في ذلك من حظوظ النفس وصلاحها المعينين لنا على إقامة
العمل واشتغالنا به بقولي وشبهه كما قال

إن يصلح النفس إذ كانت مدبرة * إلا التنقل من حال إلى حال

وقال آخر

أبن نفسك المكدود بالغير راحة * يجم وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن * بقدر الذي يعطى الطعام من الملح

* ومنا في غير النفوس المطهرة كنفوس الأنبياء والملائكة صلوات الله وسلامه
عليهم والنفوس المطمئنة كنفوس الصديقين وأما هم فلا راحة لهم ولا لذة
لهم إلا في العبادة والطاعة والله تعالى يعيننا والمسلمين على ما فيه رضاه

وابك على ذنب وقلب قد قسا * كالصخر من حزن وهم لم يشتفي
بغلة كغلة الخنساء إذ * بكت على صخر بلا ترقي

اللغة قوله وابك على ذنب البكاء مقصور ويمد وقيل القصر مع
خروج الدموع والمد على إرادة الصوت وربما يعبر به قول كعب بن مالك يرثي
حمزة رضي الله عنهما

بكت عيني وحق لها بكاها * وما يغني البكاء ولا العويل

والذنب الإثم وأذنب صار ذا ذنب بمعنى تحمله قوله قد قسا القساوة
الصلابة وضدها اللين وكلاهما في القلب مجاز وقال الراغب مثل كما يقال
الرقة في جسم يضربها الصلابة كثوب رقيق وثوب صفيق ومن كلامه في [illegible]

الصفاء وكدر صفو القلب وقساوته قوله كالصقر من صفات الصقر الجارحة
الكلام الصبابة وقد تقدم الغداة والسوء منصوبا أهله الحب والعلاقة
ثم أطلق على مثل النفس والخراجة نحو الشيء ثم استعمل في قبيل من قوم ويقال
اتبع هواه إذا قال عن تكرير الرشد وقوله لم يستفيقا أي لم يستفيقا والأصل
في الشرب يقال فلان ما يستفيق من الشراب وما يفيق منه إذا كان ديدنه عنه
فالسير والثناء زائد تارك كقول عدي بن زيد العبادي

بكر العاذلون في وضح الصبح ✱ يقولون لي أما تستفيق

قوله مقلة كمقلة الخنساء المقلة وزان غرفة شحمة العين التي تجمع سوادها
وبياضها والخنساء والصقر بالخفض نعتهما والله أعلم **الإعراب والتصريف**
قوله وأبدع على ذنب أمر وقلب معطوف على ذنب وجملة من قساوة صفة له
والألف قسا منقلبة عن واو وتكتب ألفا وقوله كالصقر يحتمل أن يكون صفة
ثانية لقلب ويحتمل أن يكون معمولا لقسا على أنه مفعول مطلق أو حال من ضمير
وجملة لم يستفيقا صفة ثالثة أو حال أيضا ومن صفاته يتعلق به فيرد عليه
والألف من صفاته منقلبة عن ياء ولكنها تكتب ألفا لوقوعها حشوا وقوله
مقلة متعلق بأبدع ويجوز في قوله الخنساء إذ تحقيق الهمزتين وتسهيل الأولى
بين بين وتحقيق الثانية والعكس وبقيت لغة رابعة لا تسلم من مال الوزن وهي
إسقاط الهمزة الأولى بالكلية وبدل في الإعراب واضح والله أعلم **البديع**
في تشبيه الناظم القلب بالصقر مناسبة لتمثيله ببكاء الخنساء على صخر
فكأنه يقول للعاذل كل منكما يبكي على صخر أنت تبكي على قلبك وهو صخر
لقساوته والخنساء تبكي على أخيها وهو أيضا صخر رضي الله عنهم وأنكر
من يعتبر الجناس حقيقتهما إذا كان أحد الركنين في بيت والآخر في بيت كما عند
الناظم أي لا وبقي مما سلكه الناظم قول بعضهم يصف منزلا

وكم مكر الخنساء به في شجونها ✱ ولا كرامة عيناها تجري على صخر

فمعنى الكلام أمر الناظم رحمه الله العاذل بالبكاء على ذنبه العاصي
وقلبه القاسي وذلك ثمرة الخوف من الله تعالى الذي هو أحد مقامات
اليقين ويقابله الرجاء وسيشير الناظم عليه بقوله وارج عفو

معتبر وقد ورد في فضل البكاء من خشية الله آيات واحاديث كثيرة فمنها ما رواه الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ايدخل احد من امتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وكان محمد بن المنكدر رحمه الله اذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني ان النار لا تاكل موضعا مسته الدموع وقال ابن عمر رضي الله عنهما لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان اتصدق بالف دينار ذكره في الاحياء وذكر احاديث اخر فانظرها فيه ۞

ذكر الخنساء وبكائها والسبب فيه

اما الخنساء فهي بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة بن عصية بن خفاف ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور السلمية الصحابية الشهيرة واسمها (اسما) تماضر والخنساء لقب غلب عليها وجعل صاحب القاموس الصحابية غير الشاعرة وهو خلاف ما عند ابن عبد البر وابن الاثير وغيرهما وفي الخنساء يقول دريد بن الصمة وكان قد خطبها مرة ثم وكان رآها تهنأ بعيرا

حيوا تماضر واربعوا صحبي ۞ وقفوا فان وقوفكم حسبي
ما ان رايت ولا سمعت به ۞ كاليوم طالي اينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه ۞ يضع الهناء مواضع النقب
اخناس قد هام الفؤاد بكم ۞ واصابه تبل من الحب

قال ابو عبيدة ومحمد بن سلام لما خطبها دريد بعثت جارية لها وقالت انظري اليه اذا بال فان كان بوله يخرق الارض ويخد فيها ففيه بقية وان كان بوله يسيح على وجهها فلا بقية فيه فرجعت اليها واخبرتها ان بوله ساح على وجه الارض فقالت لا بقية في هذا وارسلت اليه ما كنت لادع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح واتزوج شيخا من جشم فقال دريد ۞

وقاكِ الله يا ابنة آل عمرو … من الفتيان أمثالي ونفسي
فلا تلدي ولا ينكحكِ مثلي … إذا ما ليلة طرقت بنحس
تريد شرنبث القدمين شثنا … يباشر بالعشية كل كرس
وقالت إنه شيخ كبير … وما نبأتها أني ابن أمس

الكرس بالكسر الأبوال والأبعار يتلبد بعضها على بعض. وقالت الخنساء تجيبه

معاذ الله ينكحني حبركى … قصير الشبر من جشم بن بكر
يرى مجدا ومكرمة أتاها … إذا عشّى الصديق جريم تمر
ولو أصبحت في جشم هديّا … إذا أصبحت في دنس وفقر

الحبركى الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين وجريم التمر يابسه. قال ابن عبد البر وفدت الخنساء على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومي بيده صلى الله عليه وسلم. قالوا وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها. وقال المبرد كان بشار بن برد يقول لم تقل امرأة الشعر إلا تبين الضعف فيه فقيل له أوكذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى. وحكى الزبير بن بكار عن رجاله أن الخنساء حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فقالت من أول الليل يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها: واضطرمت لظى على سياقها: وجللت نارا على أرواقها: فتيمموا وطيسها: وجالدوا رئيسها: عند احتدام خميسها: تظفروا بالغنم والكرامة: في دار الخلد والمقامة: فخرج بنوها قابلين لنصحها: عازمين على قولها: فلما

اغار عليهم الصبح بالكر وامنا زلهم وتفرقوا ان القتال واحرا واحرا وهم
بن نجزور حتى استشهدوا وكلهم فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم
وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان عمر رضي الله عنه يعطيها
ارزاقهم لكل واحد مائتين درهم حتى قبض رحمه الله واما بكاؤها والسبب
فيه فقال ابن عبد البر كانت الخنساء تقول في اول امرها البيتين والثلاثة
حتى قتل اخواها معاوية وصخر ابنا عمرو وكان معاوية اخاها لابيها
وامها وكان صخر اخاها لابيها فقط وكان احبهما اليها لانه كان حليما
جوادا محبوبا في العشيرة وكان مقتل معاوية قبل مقتل صخر فكانت الخنساء
ترثيه فلما اصيب صخر نسيت به ما كان قبله من مصاب معاوية وكان معاوية
فارسا شجاعا غزا في جمع من بني سليم غطفان ومعه خفاف ابن ندبة السلمي
وهو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد وانما ندبة امه سوداء ونسب اليها
وكان معاوية حين غزا سليم يوم حوزة نزلت به غطفان فتهيؤوا له والتقوا
واقتتلوا ساعة وابتدره هاشم ودريد ابنا حرملة المريان لمعاوية فاستطرد
له احدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وخرج عليه الاخر وهو لا يشعر فقتله
فتنادى القوم قتل معاوية فقال خفاف ابن ندبة قتلني الله ان رمت حتى اثار
به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فطعنه فقتله وقال

فان تك خيلي قد اصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا
تيممت كبش القوم حتى عرفته ... وجانبت شبان الرجال الصعالكا
وقفت له علوى وقد خام صحبتي ... لابني مجدا او لاثار هالكا
فجادت له يمنى يدي بطعنة ... كست متنه من اسود اللون حالكا
اقول له والرمح ياطر متنه ... تامل خفافا انني انا ذلكا

ويعلوي في هذا الشعر اسم فرسه فلما دخلت الاشهر الحرم خرج صخر بن عمرو
حتى اتى بني مرة بن عوف وهم بكثر من غطفان يعرفها على ابني حرملة فاذا
احدهما به طعنة في عضده فقال ايكما قتل اخي معاوية فسكتا فقال الصحيح
للجريح ما لك لا تجيبه فقال وقفت له فطعنني هذه الطعنة في عضدي وشد
اخي عليه فقتله فاينا قتلت ادركت ثارك اما انا لم نستلب اخاك

فلما فعلت وسط الشمس قالوا ما بين تلك يغزوهما فانصرف بعد فلما
أشرفوا قالوا له ألا تهجوهم فقال ما بيننا أجل من التهاجي ولو لم أمسك
عنهم إلا صيانة للسان عن الخنا لفعلت ثم خاف أن يظن به عي فقال

وعاذلة هبت بليل تلومني ... ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم ... ومالي إذ أهجوهم ثم ماليا
أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي ... وأن ليس إهداء الخنا من شماليا
إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة ... وحييت رمسا عند لية ثاويا
إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية ... فحياك رب الناس عني معاويا
وهون وجدي أنني لم أقل له ... كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال أبو عبيدة فلما قتل دريدا زاد فيها

وذي إخوة قطعت أقران بينهم ... كما تركوني واحدا لا أخا ليا

ولية المذكورة في هذا الشعر بكسر اللام وشد الياء جبل بالحجاز في أعلاه
لثقيف واستحله لنصر بن معاوية وعنده قتل معاوية بن عمرو السلمي المذكور
وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية ... إذا طرقت إحدى الليالي بداهية
بداهية يصغي الكلاب حسيسها ... وتخرج من سر النجي علانية
ألا لا أرى كالفارس الورد فارسا ... إذا ما علته جرأة وعلانية
وكان لزاز الحرب عند شبوبها ... إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكية
وقواد خيل نحو أخرى كأنها ... سعال وعقبان عليها زبانية
فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي ... عليك بحزن ما دعا الله داعية

وقالت أيضا

أريقي من دموعك واستفيقي ... وصبرا إن أطقت ولن تطيقي
وقولي إن خير بني سليم ... وفارسهم بصحراء العقيق
ألا هل ترجعن لنا الليالي ... وأيام لنا بلوى الشقيق
وإذ فيها الفوارس كل يوم ... إذا حضروا وفتيان الحقوق
وإذ فينا معاوية بن عمرو ... على أدماء كالجمل الفنيق

فبكيه

فبكيه فقد أودى حميدا ... أمير الرأي محمود الضريب
فلا والله لا تسلاك نفسي ... لفاحشة أتيت ولا عقوق
ولكني رأيت الصبر خيرا ... من النعلين والرأس الحليق

كانت المرأة من العرب إذا أصيبت بحميم حلقت رأسها وخرقت نعليها تضرب بهما وجهها وصدرها فلذا قالت الخنساء ولكني رأيت الصبر البيت ومن جيد شعرها فيه قولها

أبا ما لعينيك أم ما لها ... لقد أخضل الدمع سربالها
أبعد ابن عمرو من آل الشريد ... حلت به الأرض أثقالها
فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها
فخر الشوامخ من فقده ... وزلزلت الأرض زلزالها
هممت بنفسي كل الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها
سأحمل نفسي على آلة ... فإما عليها وإما لها
نهين النفوس وهون النفوس ... يوم الكريهة أبقى لها
وفارس مثل جد السنا ... ن تبغي ويهلك من قالها
نكفت ابن عمرو وبسقلتها ... ولم ينكحوا ابنا أسر أقنا لها

ومعنى كقولها وقولها حلت به الأرض أثقالها المعنى تقول إن زينت به الأرض موتاها قال أبو عبيدة فلما كان العام المقبل غزا صخر بني مرة بن عوف رهط هاشم ودريد ابني حرملة وهو على فرسه الشماء وكانت غزاة بغاة صخر أربع قوله بها همم غزاتها فلما أشرفت على أدنى البيوت رآها فقالت فتاة منهم هذا والله الشماء فنظروا فقالوا كلا الشماء غراء وهذه بهيمة فلم يشعروا إلا بالخيل وأشرفوا فقتلوا فقتل صخر دريدا وأصاب رجالا من بني مرة وقال

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا ... وتركت مرة مثل أمس المدبر
ولقد دفعت بصدرهم دريدا طعنة ... نجلاء تزغل مثل عط المنخر

قوله تزغل أي تخرج الدم فكأنها والزغلة الدفعة الواحدة من الدم والبول قال أبو عبيدة ثم إن هاشم بن حرملة خرج غازيا فلما كان ببلاد جشم بن بكر

نزل منزلا واخذ ضغثا وقعد لحاجته بين شجر ووراءه اعقبه قيس بن الاسوار الجشمي وتبعه وقال هذا قاتل معاوية لا وألت نفسي ان وألت فلما قعد لحاجته ارسل عليه سهما فلق فجعه فقتله فقالت الخنساء

فدى للفارس الجشمي نفسي ... وافديه بما لي من حميم
وافديه بجل بني سليم ... بظاعنهم وبالانس المقيم
كما من هاشم اقررت عيني ... وكانت لا تنام ولا تنيم

وفي هذا البيت عيب الاكفاء وكان هاشم بن حرملة من اشراف العرب واشرفهم واشجعهم وهذا ما يتعلق بقتل معاوية واما مقتل اخيه صخر فعن ابي عبيدة قال غزا صخر بن عمرو والشريد وانس بن عباس الرعلي في بني سليم بني اسد بن خزيمة فاكتسح صخر اموال بني اسد وسبى نساءهم فاتاهم الصريخ فتبعوهم فتلاحقوا بذات الاثل فاقتتلوا قتالا شديدا فطعن ربيعة بن ثور الاسدي ويكنى ابا ثور صخرا في جنبه فادخل حلقا من الدرع في جوفه واعتل صخر من الطعنة فعادت القوم فلم يقعد وجوي منها فمرض حولا او اكثر حتى ملّه اهله وكانت له امراة حسناء فخمة العلو ذات ردف ثقيل فمر بها رجل من قومه فقال لها ايباع الكفل فقالت نعم عما قريب وسمعها صخر فقال لئن استطعت لاقدمنك قبلي ويقال انه سمع امراة تسال امه كيف صخر فقالت امه نحن بخير ما رأينا سواده تعني شخصه ثم سمع امراة اخرى تسال امراته عنه فقالت لها لا حي فيرجى ولا ميت فينسى وقد لقينا منه الامرين فعزم على قتلها وقال لها يا سلمى ناوليني السيف انظر هل تقله يدي فدفعته اليه فاذا هو لا يقدر على ان يقله عند ذلك انشأ وقال

أرى أم صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمري لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان
وأي امرئ ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا في شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

فللموت خير من حياة كأنها ... معرس يعسوب برأس سنان

وفيما يحسن ذكره هنا مما يتعلق بهذا الشعر ما ذكره ابن خلكان قال كان الصاحب بن عباد يود الاجتماع بالاديب الحافظ ابي احمد الحسن بن عبد الله العسكري وكان ابو احمد المذكور احد الائمة في الآداب والحفظ وصاحب اخبار ونوادر وله رواية متسعة فقال الصاحب لمخدومه مؤيد الدولة ابن بويه ان عسكر مكرم قد اختلت احوالها واحتاج ان اكشفها بنفسي فاذن له في ذلك فلما اتاها توقع ان يزوره ابو احمد المذكور فلم يزره فكتب اليه الصاحب

ولما أبيتم ان تزوروا وقلتم ... ضعفنا فلم نقدر على الوخدان

اتيناكم من بعد ارض نزوركم ... وكم منزل بكر لنا وعوان

نسائلكم هل من قرى لنزيلكم ... بملء جفون لا بملء جفان

وكتب مع هذه الابيات شيئا من النثر فجاوبه ابو احمد عن النثر بنثر مثله وعن هذه الابيات بالبيت المشهور لصخر

اهم بامر الحزم لو استطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

فلما وقف الصاحب على الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له وقال والله لو علمت انه يقع له هذا البيت لما كتبت اليه على هذا الروي ولنرجع الى ما كنا بسبيله فنقول ولما طال على صخر البلاء وقد نتأت له في جنبه قطعة مثل اللبد في موضع الطعنة قالوا له لو قطعتها لرجونا ان تبرأ فقال شأنكم فاشفق عليه بعضهم فنهاه فابى وقال الموت اهون علي مما انا فيه فاحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه فسال ابن عميرة وسمع صخر اخته الخنساء تقول كيف كان صبره فقال صخر في ذلك

أجارتنا ان الخطوب تنوب ... على الناس كل المخطئين تصيب

فان تسأليني هل صبرت فانني ... صبور على ريب الزمان صليب

كأني وقد ادنوا الي شفارهم ... من الصبر دامي الصفحتين ركوب

أجارتنا لست الغداة بظاعن ... ولاكن مقيم ما اقام عسيب

عن ابي عبيدة عسيب جبل بأرض بني سليم الى جنب المدينة فمات صخر ودفن هنالك قريبا من عسيب عليه علامة فلعلت ومن هنا عسيب الزهرات

عنده امرؤ القيس وذكره في ابياته التي تشاكل منزله بأنقرة ببلاد الروم
ولما هلك صخر فاقت على الخنساء فيما مثلها واكثرت عليهما سما ومسا
وحزنت حزنا شديدا على ابيها واخويها وجعلت ترثيهم بالمراثي الحسنة
وتبكيهم البكاء الذي صار مثلا في الناس الى اليوم وكانت تشهد المواسم وقد
سومت هودجها براية وتنشد الاشعار وتبكيهم وتقول انا اعظم العرب
مصيبة وعرفت العرب لها ذلك واشتهر امرها في الناس فلما كانت وقعة
بدر واوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقريش وقتل عتبة وشيبة
ابنا ربيعة والوليد بن عتبة واخذت هند بنت عتبة ترثيهم بلغها تسويم
الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها فقالت انا اعظم
من الخنساء مصيبة وامرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ
وكانت سوقا تجتمع فيها العرب وتتفاخر فيها بمآثرها واشعارها فقالت
اقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا فلما ان دنت منها قالت لها الخنساء
من انت يا اخية قالت انا هند بنت عتبة اعظم العرب مصيبة وقد بلغني
انك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظميهم فقالت الخنساء بعمرو بن
الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو وبم تعاظمينهم انت قالت بأبي عتبة
ابن ربيعة وعمي شيبة بن ربيعة واخي الوليد بن عتبة فقالت الخنساء —
أسواء هم عندك ثم انشأت تقول

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة ... قليل اذا نام الخلي هجودها
وصنوي لا انسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها
وصخرا ومن ذا مثل صخر اذا غدا ... بساهمة الآطال قبا يقودها
فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند تجيبها

أبكي عميد الابطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها
اولئك آل المجد من آل غالب ... وفي العز منها حين ينمى عديدها

ومما رثت به الخنساء اخاها صخرا قولها

قذى

قذى بعينيك أم بالعين عوار ... أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

كأن عيني لذكراه إذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار

تبكي خناس على صخر وحق لها ... إذ رابها الدهر إن الدهر ضرار

تبكي لصخر هي العبرى وقد ثكلت ... ودونه من جديد الترب أستار

لا بد من ميتة في صرفها غير ... والدهر في صرفه حول وأطوار

يا صخر وراد ماء قد تناذره ... أهل الموارد ما في ورده عار

مشي السبنتى إلى هيجاء معضلة ... له سلاحان أنياب وأظفار

وما عجول على بو تحن له ... لها حنينان إعلان وإسرار

ترتع ما غفلت حتى إذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار

لا تسمن الدهر في أرض وإن رتعت ... فإنما هي تحنان وتسجار

يوما بأوجد مني حين فارقني ... صخر وللدهر إحلاء وإمرار

وإن صخرا لوالينا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

جواب قاصية جزار ناصية ... عقاد ألوية للخيل جرار

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهـ ... ـدي الطريقة نفاع وضرار

لم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلي بيته الجار

ولا تراه وما في البيت يأكله ... لكنه بارز بالصخر مهمار

مثل الرديني لم تنفد شبيبته ... كأنه تحت طي البرد أسوار

في جوف رمس مقيم قد تضمنه ... في رمسه مقمطرات وأحجار

طلق اليدين بفعل الخير ذو فجر ... ضخم الدسيعة بالخيرات أمار

في رفقة حار حاديهم بمهلكة ... كأن ظلمتها في الطخية القار

وقالت أيضا

يؤرقني التذكر حين أمسي ... ويردعني مع الأحزان نكسي

على صخر وأي فتى كصخر ... ليوم كريهة وطعان خلس

وعان جار أو مستضعف ... يروع قلبه من كل جرس

ولم أر مثله رزءا لجن ... ولم أر مثله رزءا لإنس

أشد على صروف الدهر منه ... وأفضل في الخطوب لكل لبس
يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأبكيه لكل غروب شمس
ألا يا صخر لا أنساك حتى ... أفارق مهجتي ويشق رمسي
وبعدك لا أزال أرى عجولا ... أساء برزئنا جما بكل نحس
تفجع والها تبكي أخاها ... صبيحة رزئه أو غب أمس
ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي

وقالت أيضا

بكت عيني وعاودها قذاها ... بعوار فما تقضي كراما
على صخر وأي فتى كصخر ... إذا ما الناب لم ترأم طلاما
فتى الفتيان ما بلغوا مداه ... ولا يكدى إذا بلغت كداما
لئن جزعت بنو عمرو عليه ... لقد رزئت بنو عمرو تماما
ترى الشم الجحاجح من سليم ... وقد بلت مدامعها سجاما

وقالت أيضا

أمكرمكم وما ملكت تركتم ... لدى غبراء منهدم رجاما
ليبك عليك قومك للمعالي ... وللهيجاء إذا ذكروا بتاما

وقالت أيضا

أعيني هلا تبكيان على صخر ... بدمع حثيث لا بكي ولا نزر
ألا ثكلت أم الذين غدوا به ... إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر
وقائلة والنعش قد فات خطوها ... لتدركه يا لهف نفسي على صخر
فمن يضمن المعروف في صلب ماله ... ضمانا لدا ويقري الضيوف كما تقري
فشأن المنايا إذ أصابك ريبها ... لتغد على الفتيان بعدك أو تسري

وقالت أيضا

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد ... ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم ... إلى المجد مد إليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم ... إلى المجد ثم مضى مصعدا
يحمله القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يهوي إلى بيته ... يرى أفضل الكسب أن يحمدا
وإن ذكر المجد ألفيته ... تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقالت أيضا

ألا يا صخر إن أبكيت عيني ... لقد أضحكتني دهرا طويلا
بكيتك في نساء معولات ... وكنت أحق من أبدى العويلا
دفعت بك الجليل وأنت حي ... فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا قبح البكاء على قتيل ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقالت أيضا

تعرقني الدهر نهسا وحزا ... وأوجعني الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالي فبادوا معا ... فأصبح قلبي بهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى ... إذ الناس إذ ذاك من عز بزا
وكانوا سراة بني مالك ... وفخر العشيرة مجدا وعزا

إلى أن قالت

ومن ظن ممن يلاقي الحروب ... بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

ومراثي الخنساء كثيرة وفيما ذكرناه كفاية قال المبرد يروون أن عائشة رضي الله عنها نظرت إلى الخنساء وعليها صدار من شعر فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالت لم أعلم بنهيه وكان لهذا الصدار سبب فقالت وما هو فقالت لما كان زوجي رجلا متلافا فأفقر فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي صخرا أخي فأسأله فأتيته فشكوت ذلك إليه فشاطرني ماله فأتلفه زوجي فعدت إليه فشاطرني الثانية فأتلفه زوجي فعدت له فلما كان في الثالثة أو الرابعة قالت امرأته إنك إن أعطيتها من هذا المال لعادت فأعطها شرارها فقال صخر

والله لا أمنحها شرارها ۞ وهي حصان قد كفتني عارها

ولو ملكت مددت جمانهما ... واغترفت من بحري مدامعهما

فلما ملك الغرق منا البحار وضرب المثل ببكاء الخنساء أبو فراس حيث
قال يهجو بخيلا

فتى لرغيفه قرط وشنف ... ولؤلؤتان في خرز وشذر
ودون رغيفه قلع الثنايا ... وحرب مثل وقعة يوم بدر
ولو كسر الرغيف بكى عليه ... بكا الخنساء إذ فجعت بصخر

وقال أبو عمير رحمه الله حيث يقول في آل البيت رضي الله عنهم وأماتنا على حبهم
في آل بيت النبي يخاطبهم بكمال الشعر في مدحهم وكمال الرثاء

أنا حسان مدحكم فإذا نحـ ... ـت عليكم فإنني الخنساء

(أو كبكا فارعة على الوليد وبكاء خندف وخرنق)

الإعراب قوله أو كبكا فارعة أو معطوفة على التشبيه في إن شئت
فابكي كبكاء الخنساء أو كبكاء فارعة وقصر البكا في صدر البيت ومده في
عجزه وهما لغتان قال المبرد في الكامل والبكاء يمد ويقصر فمن مده فإنما
جعله كسائر الأصوات ولا يكون المصدر في معنى الصوت مضموم الأول إلا ممدودا
لأنه يكون على فعال وقلما يكون المصدر على فعل وقد جاء في حروف نحو الهدى
والسرى وما أشبهه وهو يسير فأما الممدود فمنه العواء والرغاء والثغاء
والبغام وكذلك البكاء ونظيره من الصحيح الصراخ والنباح ومن قصر فإنما
جعل البكاء كالحزن قال حسان

بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل

هـ كلام المبرد قلت والبيت نسبه بعضهم لكعب بن مالك وبعضهم
لعبد الله بن رواحة في رثاء حمزة رضي الله عنهم وصرف الناظم أسماء
النساء الثلاث ضرورة والله أعلم

ذكر بكاء خندف وخرنق وفارعة والسبب فيه

أما خندف فهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أخت القبيلة
المشهورة وهي زوج إلياس بن مضر جد النبي صلى الله عليه وسلم وإنما قيل
لها خندف بوزن زبرج لأنه كان لها من إلياس ثلاثة من الولد عمرو وعامر

وعمير قمعة ان الياس خرج في نجعة له ومعه امرأته وولده فنفرت ابله
من ارنب فخرج اليها عمرو فادركها وخرج عامر فتصيد الارنب وطبخها وانقمع
عمير في الخباء فلم يخرج وخرجت أمهم ليلى تهرول خلفهم فقال لها الياس
اين تخندفين والخندفة بالدال المهملة وبالفاء المروسة مشية تشبه الهرولة
فقالت ما زلت أخندف في اثركم فلقب عمرو مدركة ولقب عامر طابخة ولقب
عمير قمعة ولقبت أمهم خندف كذا في القاموس والذي في الاكتفاء وغيره ان مدركة
هو عامر وطابخة هو عمرو والله أعلم ومن خندف عرب الحجاز وجل عرب نجد
منها قريش وكنانة اذ اجمع واسد ابنا خزيمة بن مدركة وهذيل بن مدركة ومنهم
اسلم وخزاعة على قول ان اباهم عمرو بن لحي بن قمعة ومنها تميم بن مر بن اد بن طابخة
وهو من اعظم قبائل العرب واشهرها وضبة بن اد بن طابخة وينسب اليه الرباب
وتيم وعدي بن عبد مناة بن اد وتيم بن عبد مناة بن اد وثور بن عبد مناة بن اد
وعكل وهو عوف بن عبد مناة بن اد وضبة بن اد المذكور وهو تيم ومنها
مزينة وهم بنو عمرو بن اد بن طابخة وانما مزينة ام عمرو بن اد فسموا بها
والحاصل ان مضر تنقسم الى قسمين الى قيس والى خندف قال نصر بن سيار

انا ابن خندف تنميني قبائلها ... للصالحات وعمي قيس عيلان

وقال قصي بن كلاب يفتخر بكونه من خندف

اني لدى الحرب رخي اللبب ... معتزم الصولة عالي النسب

امهتي خندف والياس ابي

وقال العجاج يذكر مضر خندف لانهم كان لهم في الجاهلية الحجر والبطحاء وفي
الاسلام النبوة والخلافة

بخندف هامة هذا العالم ... بسمسم او عز تميم سمسم

سمسم بفتحهم موضع وقد عيب هذا على العجاج بن رؤبة مع العالم مع سمسم سناد وذكر
ان رؤبة كان يقول ان العجاج كان يهمز العالم وقد اشبهه وعليه فلا سناد

وقال مروان بن ابي الجنوب

لقد حلت نزار كل مجد ... ومكرمة على رغم الاعادي
فقل للفخر بين بني نزار ... ومنهم خندف وبنو اياد

رسول الله والخلفاء منا ... ومنا أحمد بن أبي دواد

وقال أبو معاذ الحمصي يرد عليه في ذكره ابن أبي دواد وهو من بني إياد

فقل للفاخرين على نزار ... وهم في الأرض سادات العباد

رسول الله والخلفاء منا ... ونبرأ من دعيّ بني إياد

وما منا إياد إذا أقرّت ... بدعوة أحمد بن أبي دواد

وأما سبب بكاء خندف فهي أي كثعاء ما نقله واشتهر بنو خندف من أولاد بأمهم خندف للتي سار من فعلها في الناس وذلك أنه لما مرض زوجها إلياس وجزعت لذلك وحزنت حزنا شديدا ونذرت إن هلك أن لا تقيم في بلد مات فيه وأن لا يظلها بيت بعده وأن تسيح في الأرض وحرمت الرجال والطيب فلما هلك إلياس خرجت سائحة في الأرض حتى هلكت حزنا وكانت وفاته يوم الخميس فكانت كلما طلعت الشمس من ذلك اليوم بكته حتى تغيب فصارت خندف وما صنعت عجبا في الناس يضربون به ويذكرونه في أشعارهم فقيل لرجل من إياد أو نمار وقد هلكت امرأته ألا تبكي عليها فقال لو كان ذلك يرد ما لفعلت كما فعلت خندف على إلياس ثم اندفع يقول

فلو أنه يغني بكيت كخندف ... على إلياس حتى ملّها الشيخ تندب

إذا مؤنس لاحت خراطيم شمسه ... بكت غدوة حتى ترى الشمس تغرب

ولم تر عيني ما سوى القبر قبره ... فساحت وما تدري إلى أين تذهب

فلم تغن شيئا غير ما بلغت به ... وما كلها دمع وعيش معذب

في البيت الأول الخزم وهو حرف زائد فإن فعولن أول وزن الطويل كما ترى ويكون أيضا في غيره حسبما هو معروف في محله ومؤنس اسم يوم الخميس في الجاهلية وقد نظم بعضهم أسماء أيام الأسبوع في الجاهلية وبدأ منها بالأحد فقال

أوّل أهون جبار دبار ... ومؤنس عروبة ثم شيار

وقوله سوى القبر قبره أي سوى دفنه في قبره وفقدت امرأة من غسان أخاها ثم أباها فمكثت دهرا تبكي عليهما فنهاها من قومها فقالت

لعمرك سلمى إن بكيت أبا لها ... وقبل أبي قد ثكلت أخا لها

مجهول

فحولوا العزل إلى سواكما ... فقدتكم سلمى إلى سواكما
كما فقدت خرنق من فقدهما ... خلت بنيها أسفلا وراءهما
تبكي على الناس فيما أتاهما

قال الزبير بن بكار وإنما نسب بنو النباش إلى أمهم لأنهم بن قعاص بن ركنهم شغلها بحزنها على أبيهم جميع الناس فقالوا هاؤلاء أولاد خرنق الذين تركتهم ومنعها الايتام حتى عرفوا ببني خرنق ۞ **وأما خرنق فهي امرأة شاعرة قال** أبو عبيدة هي خرنق بنت هفان من بني سعد بن ضبيعة رهط الأعشى **قلت** وهي أخت طرفة بن العبد الشاعر لأمه وقد تقدم ذكرها في ضبيعة المتلمس وكان زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعي وبنوه علقمة وحسان وشرحبيل بنو بشر فلما غزا بنو ضبيعة على بني أسد فأغزت عليهم بنو أسد عقبة جبل يقال له قلاب في ديار بني أسد فقتلوهم فقالت خرنق ترثيهم

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر
النازلون بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر
والخالطون نحيتهم بنضارهم ... وذوي الغنى منهم بذي الفقر
إن يشربوا يهبوا وإن يذروا ... يتواعظوا عن منطق الهجر
قوم إذا ركبوا سمعت لهم ... لغطا من التأييه والزجر
هذا ثنائي ما حييت عليهم ... فإذا هلكت أجنني قبري

وقالت أيضا

فلا وأبيك آسى بعد بشر ... على حي يموت ولا صديق
وبعد الخير علقمة بن بشر ... إذا ما الموت كان لدى الحلوق
وبعد بني ضبيعة حول بشر ... كما مال الجذوع من الحريق
فكم بقلاب من أوصال خرق ... أخي ثقة وجمجمة فليق

وقالت في رثاء أخيها طرفة

عددنا له ستا وعشرين حجة ... فلما توفاها استوى سيدا ضخما
فجعنا به لما رجونا إيابه ... على خير حال لا وليدا ولا قحما

وأما فارعة فهي بنت كرب بن الصلت بن كلاب بن ... بن عمرو بن مالك

الشيبانية أخت الوليد بن طريف الشاري الخارجي المشهور قال ابن
خلكان وكان أحد الشجعان الطغاة الأبطال كان رأس الخوارج وكان مقيما
بنصيبين والخابور وتلك النواحي وخرج في خلافة هارون الرشيد وبغى
وحشر جموعا كثيرة وانتشروا في تلك البلاد وتقدم إليهم عامل ديار
ربيعة فقتلوه وساروا إلى ديار مضر عن محمد وعبد الملك بن صالح بن علي
العباسي وهو عم الرشيد بالرقة فاستشار الرشيد في [illegible] بن خالد البرمكي
فيمن يوجهه لحرب الوليد بن طريف فقال له يحيى وجه موسى بن خازم التميمي
فإن من عدوه كان اسمه الوليد فغرقه موسى عليه السلام فوجهه إليه
الرشيد في جيش كثيف فلقاه الوليد في أصحابه فهزم جمعه وقتله فلما بلغ
ذلك الرشيد وجه إليه معمر بن عيسى العبدي فكانت بينهما حروب ووقائع
بناحية دارا من ديار ربيعة فلما اتصل ذلك وكثرت جموع الوليد وكثر
عدد الكفور العظيم قال الرشيد ليس لها إلا الأعرابي يزيد بن مزيد الشيباني
فقال بكر بن النطاح

إن الحرير يغيرني أن يفلحا … أن تبعثن إلى ربيعة غيرها

فوجه إليه الرشيد يزيد المذكور في عسكر ضخم وأمره بمناجزته فقصد إليه يزيد
وجعل الوليد يراوغه ويزيد يتبعه وكان الوليد ذا مكر ودهاء ثم كانت
بينهما حروب صعبة وبلغ الرشيد مماطلة يزيد له فوجه إليه خيلا بعد خيل
ثم بعث إليه يعنفه فسار يزيد في طلبه ثم نزل على الصلح فلم يتم كلامه
حتى طلع الوليد عليه في عسكره واصطف الجيشان وتراءى الناس وقيل
[illegible] إن البرامكة كانوا منحرفين عن يزيد بن مزيد فأغروا به الرشيد
وقالوا إنما يتجافى عن الوليد للرحم وإن شوكة الوليد ضعيفة وهو يوادعه
وينتظر ما يكون من أمره فوجه إليه الرشيد كتابا مغضبا يقول فيه لو وجهت
أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين
يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير
المؤمنين فلقي يزيد الوليد عشية خميس في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين
ومائة فيقال إن يزيد جهد عطشا حتى رمى بخاتمه في فيه فجعل يلوكه ويقول

اللهم

اللهم انها شرارة شر بدت فاسترمنا وكان الوليد قد خرج بالجزيرة حين خرج
وهو يقول انا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يصطلى بناري
جوركم اخرجني من داري

وقال يزيد لاصحابه فدا لكم ابي وامي انما هي الخوارج ولهم حملة فاثبتوا
لها تحت الترس فاذا انقضت حملتهم فاحملوا فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا
فكان كما قال حملوا حملة وثبت يزيد ومن معه من اصحابه وعشيرته ثم حمل
عليهم فانكشفوا ويقال ان اسد بن يزيد كان شبيها بابيه جدا وكان لا يفصل
بينهما الا المتأمل وكان اكثر ما يبان عنه منه ضربة في وجه يزيد تأخذ من
قصاص شعره منحرفة على جبهته فكان اسد يتمنى مثلها فهوت له ضربة فاخرج
وجهه من الترس فاصابته في ذلك الموضع فيقال انها لو خطت على مثال
ضربة ابيه ما عدا ما جاءت فكانما هي هي بلاغ الاصبعاني وقال ابن خلكان
ولما تراجع الناس وشبت نار الحرب نادى يزيد الوليد يا وليد فما حاجتك
الى التستر بالرجال ابرز الي فقال نعم والتقى فبرز الوليد وبرز اليه يزيد ووقف
العسكران فلم يتحركا فبقيا احدا يتطاردان ساعة وكل واحد منهما لا يقدر على
صاحبه حتى مضت ساعات من النهار فامكنت يزيد فيه الفرصة فضربه ضربة
بسقط وصاح بخيله فوقعوا عليه واحتزوا راسه ووجه به وبكتاب الفتح
الى الرشيد مع ابنه اسد بن يزيد فيما لما قدم يزيد على الرشيد كان من اعجب برأي
البرامكة واكرمه الرشيد الشخط عليه فقال يزيد وحق امير المومنين لو صيفت
واشتوت على فرسي او ادخل فارتفع الخبر بذلك الى الرشيد فاذن له في الدخول
فلما رآه الرشيد ضحك وسر واقبل يصيح مرحبا بالاعرابي حتى دخل واجلس
واكرمه وعرف بلاءه ونقاء صدره ومدحته الشعراء فكان احسنهم مدحا فيه
مسلم بن الوليد فقال فيه قصيدته التي اولها

اجررت حبل خليع في الصبا غزل ... وشمرت همم العذال عن عذلي
الى ان قال
يفتر عند افترار الحرب مبتسما ... اذا تغير وجه الفارس البطل
موف على مهج في يوم ذي رهج ... كانه اجل يسعى الى امل
ينال بالرفق ما تعيي الرجال به ... كالموت مستعجلا ياتي على مهل

ومن طويلة فيه ايضا

سل الخليفة سيفا من بني مضر ... يمضي فيحتز في الأجسام والهاما
لولا يزيد ومقدار له سبب ... عاش الوليد مع الغاوين أعواما

قال ابن قتيبة ولما اخذوا رأس الوليد بن طريف جمعتهم اخته ليلى وسماها غيره فارعة كما عند ابن الكلبي وقيل اسمها فاطمة وجاءت مستعدة عليها الدرع والجوشن فجعلت تحمل على الناس فعُرفت فقال يزيد دعوها ثم خرج اليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال اغربي غرب الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهي تقول

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

ومن قصيدة رثت بها اخاها الوليد زعم ابن خلكان انه كتبها هنا كاملة وانشدها هكذا

بتل نهاكى رسم قبر كأنه ... على جبل فوق الجبال منيف
تضمن مجدا عدمليا وسوددا ... وهمة مقدام ورأي حصيف
أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف
ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم ... معاودة للكر بين صفوف
كأنك لم تشهد هناك ولم تقم ... مقاما على الأعداء غير خفيف
ولم تستلم يوما لورد كريهة ... من السرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح ... وسمر القنا ينكزنها بأنوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى ... فإن مات لم يرض الندى بحليف
فقدناه فقدان الشباب وليتنا ... فديناه من فتياننا بألوف
وما زال حتى أزهق الموت نفسه ... شجى لعدو أو نجا لضعيف
ألا يا لقومي للحمام وللبلى ... وللأرض همت بعده برجوف
ألا يا لقومي للنوائب والردى ... ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب إذ هوى ... وللشمس لما أزمعت بكسوف
ولليث كل الليث إذ يحملونه ... إلى حفرة ملحودة وسقيف

ألا قاتل الله الجثى حيث أضمرت ... فتى كان للمعروف غير عيوف
فإن يك أرداه يزيد بن مزيد ... فرب زحوف لفها بزحوف
عليه سلام الله وقفا فإنني ... أرى الموت وقاعا بكل شريف

أي الخابور نهر معروف بالجزيرة الفراتية ولها رحمة الله في أخيها الوليد مراث كثيرة كانت تسلك فيها سبيل الخنساء في مراثيها فمن قولها

ذكرت الوليد وأيامه ... إذ الأرض من شخصه بلقع
فأقبلت أطلبه في السما ... كما يبتغي أنفه الأجدع
أضاع فقومك فليطلبوا ... إفادة مثل الذي ضيعوا
لو أن السيوف التي حدها ... يصيبك تعلم ما تصنع
نبت عنك إذ جعلت هيبة ... وخوفا لصولك لا تقطع

وقالت أيضا

يا بني وائل لقد فجعتكم ... من يزيد سيوفه بالوليد
لو سيوف سوى سيوف يزيد ... قاتلته لاقت خلاف السعود
وائل بعضها يقتل بعضا ... لا يفل الحديد غير الحديد

ونسب الشيخ اليوسي البيت الأخير لبكر بن النطاح وأنشد معه آخر مذاكرا

وائل بعضها يقتل بعضا ... لا يفل الحديد إلا الحديد
لو تلقى الوليد غير يزيد ... لقراكا ما عليه الوليد

وقد روي أن الرشيد لما جهز يزيد بن مزيد إلى حرب الوليد بن طريف أعطاه ذا الفقار سيف النبي صلى الله عليه وسلم وقال له خذه يا يزيد فإنك ستنصر به فأخذه ومضى فكان من هزيمة الوليد وقتله ما قد شرحناه وفي ذلك يقول مسلم بن الوليد من قصيدته التي منها البيتان المتقدمان

أذكرت سيف رسول الله سنته ... وبأس أول من صلى ومن صاما

يعني بأس علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ كان هو الضارب به والله تعالى أعلم

لو كنت مثلها تبكي فتيم * على الذنوب وارج عفو معتن

لغة البيت وإعرابه كلاهما مما تقدم وإنما قال الناظم رحمه الله وارج عفو معتن عقب ما أمر به من البكاء والزهد مقترنا بالخوف من الله تعالى أشار

أي أن الحالة الكاملة للعبد هي أن لا يغلب خوفه على رجائه ولا العكس بل ينبغي أن يكون بينهما كالطائر بين جناحيه لا يستقيم طيرانه إلا باعتدالهما معا ومهما تعطل أحدهما اختل طيرانه أو سقط بالكلية فكذلك العبد فمهما غلب خوفه على رجائه خيف عليه اليأس من روح الله ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ومهما غلب رجاؤه على خوفه خيف عليه الأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون واعلم أن الرجاء المعتبر شرعا هو تعلق القلب بمطموع في حصوله في المستقبل مع الأخذ في عمل يحصل له فإن تجرد عن العمل فهو طمع وهو قبيح والرجاء حسن وفي الحكم الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية وقال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا الآية وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال الحسن إن قوما ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول أحدهم إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل وقال يحيى بن معاذ من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى من غير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي والأوزار وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل ۞

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها … إن السفينة لا تجري على اليبس

وقال آخر

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف … وتاب عما قد جناه واقترف

لقوله قل للذين كفروا … إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

ذكر بكاء متمم والسبب فيها

هو أبو نهشل متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي اليربوعي قال ابن عبد البر في الصحابة به وكان شاعرا محسنا رثاؤه بليغا ولقبه متمم ضبطه ابن خلكان بكسر ثالثه بصيغة اسم الفاعل وهو مقتضى صنيع البناء وصنيع غير واحد من الأدباء حيث ارتكبوا فيه الجناس التام وذلك يتم إلا بأن يكون مقتضى صنيع

القاموس انه مفتوح الثالث لانه وزنه بفعلهم والله اعلم وكان بكاء متمم على اخيه مالك بن نويرة الذي قتله خالد بن الوليد رضي الله عنه وكان مالك المذكور سريا نبيلا وسيدا جليلا في قومه ومنوها بشرف النجار وكان يلقب بالجفول لكثرة شعره وكان من فرسان العرب وشجعانهم وذوي الردافة فيهم قال الجوهري في الردافة ان يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فاذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس واذا غزا الملك قعد الردف في موضعه وكان خليفته على الناس حتى ينصرف واذا عادت كتيبة الملك اخذ الردف المرباع وكانت الردافة في الجاهلية لبني يربوع لانه لم يكن في العرب احد اكثر غارة على ملوك الحيرة من بني يربوع فصالحوهم على ان جعلوا لهم الردافة ويكفوا عن اهل العراق الغارة قال جرير وهو من بني يربوع

ربعنا وردفنا الملوك فظللوا ... وطاب الاحاليب الثمام المنزعا

وهذا جمع وكتب البيت هو كلام الجوهري وارتد مالك بن نويرة عن الاسلام واسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه بني يربوع فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الصدقة وقيل ارتد وبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد لقتال اهل الردة فكان اذا اصبح قوما فسمع اذانا فان سمعه كف عنهم وان لم يسمعه قاتلهم الى ان قرب بالبطاح وبها مالك بن نويرة واصحابه فقيل انهم لم يسمعوا اذانا فقاتلوهم واتي بمالك بن نويرة اسيرا فامر خالد ضرار بن الازور بقتله فقتله بغير علم ورات زوجته من خالد واعجبته فتزوج بها خالد بعد قتله وعتب عليه الازور قال فلما راجع بين عمر ان مالكا قتل مرتدا وانه لما وقف بين يدي خالد كان يقول في خطابه له قال صاحبك وتوفي صاحبك يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال له خالد او ليس هو بصاحبك ايضا يا عدو الله ثم قتله ويتمثل ايضا بقول اخيه متمم وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع متمما ينشد رثاء اخيه مالك قال لوددت لو رثيت اخي زيدا بمثل ما رثيت به اخاك قال والله لو علمت ان اخي صار الى ما صار اليه اخوك لم ارثه ولم اجزع عليه والاشعار في ذلك كثيرة وقد ذكروا ان خالدا لما اجمع على قتل مالك بان ترداده انكر مالك ذلك وقال انا على الاسلام والله ما

بعيرك ولا برذونك وشهد ابو قتادة الانصاري وعبد الله بن عمر بانهم اذنوا
واقاموا وصلوا معهم ثم ان خالدا امر بقتله فجاءت امرأته ليلى بنت سنان
كاشفة وجهها وكانت من الجمال فالقت نفسها عليه فقال لها اليك فقاتلتني
يعني انها اعجبت خالدا وانه يريد قتله ليتزوجها وقام ضرار بن الازور
فضرب عنقه وجعل راسه اثفية للقدر ووجهه مما يلي النار ونكحت اليه
امراته من فورها وبنى على تلك الحال فقالت اصرفوا وجه مالك عن النار
فانه والله كان يعشي الكرم عن الجارات :: حديد النظر في الغارات ::
لا يشبع ليلة يضاف :: ولا ينام ليلة يخاف :: فلما بلغ عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ما صنع خالد حرض عليه ابا بكر رضي الله عنه وقال انه قتل
مسلما وزنى فارجمه يعني لانه تزوج امراة مالك ووافقه علي بن ابي طالب
رضي الله عنه فقال ابو بكر انه تاول فاخطأ وما كنت لاشيم سيفا سله
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني اغمده وما زال عمر حاقدا على خالد من هذه
الواقعة حتى عزله عن جيش الاسلام وقال والله لا ولي عملا في ايامي وكان
متمم بن نويرة منقطعا الى اخيه مالك مكفي المؤونة فلما قتل حزن عليه
حزنا شديدا ورثاه بقصائد مشهورة وحضر حين بلغه ذلك الى مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصلى الصبح خلف ابي بكر رضي الله عنه فلما فرغ
من صلاته وانفتل قام متمم فاتكأ على قوسه وهو واقف على اثاره ثم انشأ
يقول نعم القتيل اذا الرياح تناوحت خلف البيوت قتلت يا ابن الازور
ثم اومأ الى ابي بكر رضي الله عنه وقال

أدعوته بالله ثم غدرته لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال ابو بكر رضي الله عنه والله ما دعوته ولا غدرته فانشد

ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا ولنعم مأوى الطارق المتنور
لا يمسك الفحشاء تحت ردائه حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط على سية قوسه فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام
اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وددت لو رثيت اخي زيدا بمثل ما
رثيت به اخاك مالكا فاجابه بما تفرع ثم رثى زيدا فلم يجد فسئل عن ذلك

فقال

فقال والله انه لخير كثير في فيه ما لا خير كثير لزبير فسأله عمر عن حزنه فقال
والله اني لا انام الليل وما رايت نارا رفعت بليل الا ظننت ان نفسي ستخرج
اذكر بها نار اخي انه كان يامر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة ان ياتيه ضيف
قريبا منه فيتعرف النار ويأوي الى الرحل فهو بالضيف يأتي فيجتمع الانس من
القوم يفرح عليهم الغائب من الشقي البعير وقال عمر رضي الله عنه اكرم به
وقال له عمر يوما اخبرنا عن اخيك فقال اسرت مرة في حي عظيم من احياء
العرب فاقبل اخي فما هو الا ان طلع على الحاضر فما كان احد قاعدا الا قام
ولا بقيت امرأة الا تطلعت من خلال البيوت فما نزل عن جمله حتى تلقوه بسبـ
في رمته فحلني بيده فقال عمر ان هذا لهو الشرف ثم قال له يوما يا متمم
انك جزل فكيف كان منك اخوك فقال كان والله اخي في الليلة ذات الازيز
والقراد يركب الجمل الثقال ويجنب الفرس الجرور وفي يده الرمح الثقيل وعليه
الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح وهو متبسم قوله الازيز بزاءين
معجمتين كامير صوت الرعد والقراد بالقاف والراء المهملتين كرمان غيم رقيق
فيه ماء جيد والثقال بالثاء المثلثة والقاف المروسة كسحاب الجمل البطيء في
سيره والجرور بجيم وراءين مهملتين كصبور الفرس الذي يمنع القياد والشملة الفلوت
التي لا تكاد تثبت على لابسها وقيل له يوما ما بلغ من وجدك على اخيك فقال
اصبت باحدى عيني فما قطرت منها دمعة عشرين سنة فلما قتل استهلت فما
ترقأ ومن جيد مراثي متمم له قوله ومن في الحماسة في باب المراثي

لقد لامني عند القبور على البكا | رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال اتبكي كل قبر رأيته | لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى | فدعني فهذا كله قبر مالك

وقـــال ايضا

جميل المحيا ضاحك عند ضيفه | اغر جميع الرأي مشترك الرحل
وقور اذا القوم الكرام تقاولوا | فحلت حباهم واستطير ذوو الجهل
وكنت ارى نفسي اشد حلاوة | من الماء بالماذي من عسل النحل
وكل فتى في الناس بعد ابن امه | كساقطة احدى يديه من الخبل

وبعض الرجال نخلة لا جنى لها / ولا ظل إلا أن تعد من النخل

وقال أيضا

لعمري وما دهري بتأبين هالك / ولا جزعا والموت يذهب بالفتى
لئن مالك خلى علي مكانه / لفي أسوة إن كان باغية الأسى
كهول ومرد من بني عم مالك / وأيفاع صدق قد تمليتهم رضى
سقوا بالعقار الصرف حتى تتابعوا / كدأب ثمود إذ رغى سقبهم ضحى
إذا القوم قالوا من فتى لمهمة / فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

ومن جيد مراثيه قصيدته العينية التي قيل إنه لم يوجد للعرب عينية مثلها
وكان الأصمعي يسميها أم المراثي ومنها

لعمري وما دهري بتأبين هالك / ولا جزعا مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ردائه / فتى غير مبطان العشيات أروعا
ولا برم تهدي النساء لعرسه / إذا القشع من برد الشتاء تقعقعا
لبيب أعان اللب منه سماحة / خصيب إذا ما راكب الجدب أوضعا
تراه كنصل السيف يهتز للندى / إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا
إذا ابتدر القوم القداح وأوقدت / لهم نار أيسار كفى من تضجعا
بمثنى الأيادي ثم لم تلف مالكا / على الفرث يحمي اللحم أن يتمزعا
تقول ابنة العمري ما لك بعدما / أراك حديثا ناعم البال أفرعا
فقلت لها طول الأسى إذ سألتني / ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا
وفقد بني أم تداعوا فلم أكن / خلافهم أن أستكين وأضرعا
ولست إذا ما الدهر أحدث نكبة / ورزءا بزوار القرائب أخضعا
ولا فرح إن كنت يوما بغبطة / ولا جزع إن ناب دهر فأوجعا
ولكنني أمضي على ذاك مقدما / إذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا
فغيري أن لا تسمعيني ملامة / ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا
بفقد حليل قد شهدت فلم أزل / بكفي منه للمنية مربعا
ولو أن ما ألقى أصاب متالعا / أو الركن من سلمى إذا لتضعضعا
وعيني بمثل لا تبكيا رجاليا / إذا أمرت البرق الكثيب المزرعا

وأرملة تسعى بأشعث محثل … كفرخ الحبارى ريشه قد تمزعا
وما كان وقافا إذا الخيل أحجمت … ولا طالبا من خشية الموت مفزعا
ولا بكهام سيفه عن عدوه … إذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا
متى تلقه في الشرب لا تلق فاحشا … على الكأس ذا قاذورة متزيعا
أبى الصبر آيات أراها وأنني … أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وإني متى ما أدع باسمك لم تجب … وكنت حريا أن تجيب وتسمعا
أقول وقد طار السنا في ربابه … وغيث يسح الماء حتى تريعا
سقى الله أرضا حلها قبر مالك … ذهاب الغوادي المدجنات فأمرعا
وآثر سيل الواديين بديمة … ترشح وسميا من النبت خروعا
تحيته مني وإن كان نائيا … وأمسى ترابا فوقه الأرض بلقعا
فوالله ما أسقي البلاد لحبها … ولكنني أسقي الحبيب المودعا
فما وجد أظآر ثلاث روائم … رأين مجرا من حوار ومصرعا
يذكرن ذا البث الحزين ببثه … إذا حنت الأولى سجعن لها معا
وإن شارف منهن قامت فرجعت … حنينا فأبكى شجوها البرك أجمعا
بأوجع مني يوم فارقت مالكا … ونادى به الناعي الرفيع فأسمعا
لعشنا بخير في الحياة وقبلنا … أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
وكنا كندماني جذيمة حقبة … من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا … لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فإن تكن الأيام فرقن بيننا … فقد بان محمودا أخي حين ودعا

فقوله لعمري وما دهري أي ما همتي بتأبين هالك والمنهال رجل من بني يربوع مر على شلو مالك حين قتله خالد فأخذ ثوبا وكفنه فيه ودفنه فقوله غير مبطان العشيات يقول كان لا يأكل في آخر نهاره انتظارا للضيف وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لمتمم أكذبت في شيء مما قلته في أخيك فقال في قوله غير مبطان فكان أبكر ويقال إن في غير هذا الخبر أن من سيما الرئيس أن يكون عظيم البطن ضخم الرأس فيه كبر والأروع ذو الروعة والهيبة والبرم الذي لا ينزل مع الناس ولا يأخذ في الميسر والقشع بيت من جلد وكان من أدم

الجران والافرع التام شعر الرأس وكان ابو بكر افرع وكان عمر اصلع
فقيل لعمر يوما ان الفرع خير ام الصلع فرفع في نفسه انه سئل عنه وعن
ابي بكر فقال بل الفرع خير والاسفع الأسود يقال سفعت النار وجهه اذا غيّرته
الى السواد وقوله فعمرك ان تسمعيني قسم للعرب ومن مقاله واستعملت
منصوبة بفعل مضمر والمعنى اقسم عليك بصاحبك الذي هو صاحب كل فتوى
كما يقال انشدك الله وفي القاموس عمرك استعطاف به قسم بدليل انه لا جواب
له وقوله فيفيقا مضارع افاق يرجع بكسر الجيم افعل رجعة وقلب الواو
ياء وقوله باشعث بمثلثة بالعين المهملة والثاء المثلثة اسم مفعول
معناه سيء الحال سيء الغذاء وقوله ذا قاذورة مترب بالزاي المعجمة
معناه مغبر والسنا الضوء والرباب سحاب دون السحاب كأنه متعلق به
وتربع كثر حتى جاءه ونبت والرماث الاطفال الليّنة والمرجفات من
السحاب الشديدة والمزروع كل عود ضعيف والاكثار جمع كثر ومن الشوق
تعطف على المحاورة تنالية وترواهم واحدهما زوج ومن الشيء قسمة ومن
ضرب المثل بكاء متمم ابو نعمان بن نويرة التميمي الشاعر حيث قال من جملة
ابياتا يرثي مالكا

سقاه الحيا فلبي بعثت متمما ... فلو مالك بيدي دعيت متمما

وانشد في الشعير بن شبا المثلث حيث قال ومنه اخذ الناس

بكيت بكيلتنا فعلتني كانني ... أتمم ما فرقا عيني متمم

اشار بقوله ما فرقا عيني متمم الى عبرته والله اعلم

ذكر حميد البكر من زاد البرية * وحمرة الثغر اصطبح واغتبق

للعقر قوله ذكر حميد البكر الخمص بالحاء الجوع والمخمصة المجاعة وقد
خمص خمصا بالضم اذا جاع بوزن قرب قربا فهو قريب قوله اصطبح واغتبق
الاصطباح والاغتباق شرب الصبوح والغبوق وهما بوزن صبور فالصبوح
ما يحلب ويشرب من اللبن صباحا والغبوق ما يحلب ويشرب بالعشي وقد
يستعملان في غير اللبن من الاشربة واصل اصطبح اصتبح فابدلت تاء الافتعال
طاء بعد حرف الاطباق وليتناسب المخرجان وبتمثل المنكر بابع من البيان

٤

في قوله زاد الربا وخمرة التقوى إما تشبيه بليغ على أن المراد بالزاد نفس الربا وبالخمرة نفس التقوى أو استعارة مصرحة على أن المراد بزاد الربا الاستلذاذ منه وبخمرة التقوى حلاوتها لما يلقاه أهلها من حلاوة الطاعة ومرارة المعصية وذكر خمر البكر والاصطباح والاغتباق ترشيح وكلام الناظم مقتبس من قول الله تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ونحوه قول الأعشى

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... بترصد للموت الذي كان أرصدا

ومعنى الكلام من هنا ذكر الناظم رحمه الله الخوف والرجاء ذكر نتيجتهما وهي التقوى فإن الخوف المعتبر شرعا هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا كخوف النساء فإنهن يسمعن الموعظة فيعصرن لها أعينهن ثم يقمن ولم يعلق بقلبهن من آثارها شيء والرجاء المعتبر شرعا تقدم أنه الذي قارنه عمل وإلا فهو أمنية وغرور فالخوف الحقيقي والرجاء الصادق لا بد أن ينتجا التقوى فلذا قال الناظم عقبهما وذكر في صدر البيت أي أن الناظم ذكر أمرين أحدهما مجانبة الربا المراد به كل حرام وخصه بالذكر لأنه كان الأهم لما عرف من المحرمات لما ورد فيه من التغليظ ونبه بقوله تعالى فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ثانيهما ملازمة التقوى مع أن معنى الثاني شامل للأول كما قال الشيخ ابن عاشر

وحاصل التقوى اجتناب وامتثال ... في ظاهر وباطن بذا تنال
فجاءت الأقسام حقا أربعة ... وهي للسالك سبل المنفعة

وكأنه أشار بصدر البيت إلى مقام التوبة وشروطها وبعجزه إلى مقام المجاهدة وما يتفرع عليهما وقدم الأول لأنه تخلية وهي مقدمة على التحلية وقد اختلفت عباراتهم في حد التقوى فأما ما حكي عن أبي يزيد رضي الله عنه التقوى هي التورع عن كل ما فيه شبهة وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن بعض الحكماء أنه لا يبلغ الرجل سنام التقوى حتى يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق وطيف

بهِ في الشرو لم يشتمل ممن يتكبر البغي وأما التحقيق ان للتقوى ثلاث مراتب الاولى
التوقي من العذاب المخلد بالتبري من الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى
الثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف
بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا الثالثة
ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق تعالى ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي
المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة
ميدان رحب تتفاوت فيه طبقات اهلها حسب تفاوت درجات استغراقاتهم
الفائضة عليهم بموجب المشيئة الالهية اقصاها ما انتهت اليه همم
الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث جمعوا بين رياستي النبوءة والولاية
وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم تصدهم
الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم
الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وفي تقسيم ابن جزي درجات التقوى خمس ان يتقي
العبد الكفر وذلك مقام الاسلام وان يتقي المعاصي والمحرمات وهو مقام
التوبة وان يتقي الشبهات وهو مقام الورع وان يتقي المباحات وهو مقام الزهد
وان يتقي حضور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة وقال الامام ابن
زكري الجزولي في شرح الرسالة الدين شكران امتثال الاوامر واجتناب النواهي
وهو اشد على النفس من امتثال الاوامر لان امتثال الاوامر يفعله كل احد واجتناب
النواهي وهو اشد على النفس من امتثال الاوامر لان امتثال الاوامر يفعله
كل احد واجتناب النواهي لا يفعله الا الصديقون وهذا كله لا يتوصل اليه
الا بالعلم قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
فلذا عقبه الناظم رحمه الله تعالى بما ذكره بقوله

وحصل العلم وزنه بالتقى * وسائر الاوقات فيه استغرق
وليك قلبك له امرءا مشق * فجلاء شانك ومن لم يعشق

اللغة قوله وحصل العلم تحصيل الشيء تقييده وضبطه من حصل حصولا
اذا ثبت وقال ابن فارس اصل التحصيل استخراج الذهب من حجر المعدن والمحصلة
المرأة التي تحصل تراب المعدن قال الشاعر

أيّه رجل جزاه الله خيرا * يدل على محصلة تبيت

أي تبيت تفعل كذا وتحصيل الكلام رده إلى محصوله أي حاصله منه وما العلم في كلام
الناس ثم بمعنى المطلوع إذ المرأة كليات العشر بين أعينها فإن بجزئيات ليست
من العلم في شيء لأن الحيوانات العجم تشاركه في إدراكها ولا توصف بالعلم
وكذا الكليات بلا براهين ليست علما لتزلزلها وعدم تغايرها بل هي بالشك
أشبه منها بالعلم ولذا لم يجعل المتكلمون الاعتقاد الصحيح علما فافهم
قوله وزينه بالتعلم الذي تغيير الشيء وقد زانه وزينه بمعنى حسنه قال المجنون

فيا رب إذ صيرت ليلى هي المنى * فزني لعينيها كما زنتها ليا

والتعلّى بالضم مقصورا جمع تعلة بمعنى التعلل قال في المصباح بمعنى تغرير
رهبة ورغب قوله وسائر الأوقات أي جميع الأوقات قال الجوهري وسائر
الناس جميعهم قلت ومنه قول الشيخ خليل في مختصره المبعوث لسائر
الأنام قال بعض شراحه أي جميعهم لأن سائر قد يأتي له وإن كان أصل معناه
الباقي لا كما في المصباح اتفق أهل اللغة أن سائر الشيء باقيه قليلا كان أو
كثيرا قال الصغاني سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما زعم من قصر
في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام وهو من السؤر بمعنى البقية
ولا يجوز أن يكون مشتقا من سور البلد بخلاف ما تقدم قوله استغرق والاستغراق و
الاستيعاب ورأيت في الريحانة لمحمود الخفاجي عند قول أبي الفتح ابن عبد السلام
المغربي المالكي

مشتغلا بالعلم مستغرقا * أوقاته فيه وفي سرده

ما نصه في قوله مستغرقا من أوابد منعه الاستغراق وأصل معناه طلب الغرق
ثم استعمله الناس في أخذ الشيء وتحصيله ومنه قول العامة استغرق في
الضحك إذا أطاله وهو غلط وهو أنه في الضحك استغرب بالباء أي أخذ كلامه
وهو غير مسلم ففي القاموس استغرق واستوعب وفي الضحك استغرب اه قوله
أفرغ من حجام ساباط هو مثل يأتي الكلام عليه والفراغ الخلو والإبدال عبارة
عن عدم تعلقه بشيء سوى المقصود وساباط موضع بالمدائن لكسرى وهو معرب
بلاس أباذ أي بلاس فهو اسم رجل علم لبعض ملوكهم وآباذ أباذ معناه اسم

فارسي أيضا ومعناه معمور فمعنى بلاساباد المكان الذي عمر بالاس والاضافة
مقلوبة في لسان الفرس وكذا فيروزاباد المنسوب إليها صاحب القاموس
معناه المكان الذي عمر بفيروز والذال معجمة قوله ومن لم يعشق اختلفت
عبارات الأئمة في العشق ما هو والأقرب أنه كما في القاموس مرض وسواسي يجلبه
إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور وإليه يشير قول المتنبي
وما العشق إلا غرة وطماعة * يعرض قلب نفسه فيصاب

الإعراب والتصريف

قوله وحصل العلم أمر ومفعوله وقوله زنه بالتصغير كذلك والجملة معطوفة على التي قبلها والفعل زن محذوف العين ووزنه عل ونحو بقلاوة زن من الوزن فلما نقل محذوف الفاء ووزنه عل والياء في التصغير منقلبة عن ياء كما أن ثاءها منقلبة عن واو ولا تعد من الوقاية قوله وسائر الأوقات الواو داخلة على اشتغل وهو أمر وسائر مفعوله فرع عليه والأوقات مضاف إليه ما قبله وفيه متعلق باشتغل وعلى تقدير مضاف أي في تحصيله وجمعه والضمير يعود على العلم ويحتمل أن يعود الضمير على التحصيل المفهوم من حصل ولا تقدير حينئذ قوله وليك قلبك في اللام للأمر ويك مجزوم بها وحذفت النون تبعا وتخفيفا وقلبك اسم يك وأفرغ اسم تفضيل خبر بها وله يتعلق به وساباد مضاف إليه ما قبله وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة والتركيب قوله ومن لم يعشق من موصولة معطوفة على بلاساباد وهي على تقدير مضاف وإرادة التفسير والتقرير وليك قلبك لتحصيل العلم أفرغ من بلاساباد وأفرغ من قلب من لم يعشق وإنما ضرب الناظم المثل بقلب من لم يعشق لأن العرب كما نقل تعتقد أن كل شيء يشغل القلب سوى العشق فهو كلا شيء وفي الاخبار ما دام لم يعشق فهو فارغ القلب ناعم البال فيأتي له كل ما حاوله ويسا عن كل شيء أي فإذا عشق شغل باله وتشتت فكره ولم يأت منه شيء وإنما قالوا هذا لعظم أمر العشق في نفوسهم ولأنهم جربوا منه ما لا يخفى فهو غني بهم من الأمم وهو كلامهم وقيل للشعبي من أعلم فقال الخبرة في الأمور مشتركة وفي الشعبي مخصوصة فقال وقد شرح في الشعر وانشد

فإن الشعبي سيره عن لبنا تقليبا * شأن الثلاثة سوء شأن الحسينا

وفي تذكرة الشيخ داود الانطاكي العشق غاية الاغراق عما سوى المعشوق
قيل وسمي به لانه اذا ادركه ه ومن كلام الحريري في المقامة الفرضية فبقيت اخيب من طالب
واذل من راكب قال الشريشي عقبة أي اشتغل قلبها من عاشق قال وسمّي العشق
اشتقاقا ببعض العشاق والى المحبوب فكل قلب لم يسقه العشق فهو فارغ وكل قلب
اصابه العشق فهو المشغول على الحقيقة والله اعلم **ومعنى الكلام**
ان الناظم رحمه الله تكلم على الخوف والرجاء وما ينشأ عنهما من العمل
والتقوى وكان ذلك متوقفا على العلم كما اشار الناظم الى الحض عليه والاعتناء
به بقوله وحصّل العلم الخ **واعلم** ان الناظم رحمه الله امر بتحصيل العلم وامر
معه بثلاثة امور واحد منها شرط في اعتباره والاعتداد به واثنان شرط في
تحصيله ودركه اما الذي هو شرط في اعتباره فهو العمل المشار اليه بقوله وزنه
بالتقى وهو امر لا بد منه والا كان العلم حجة على صاحبه نسأل الله السلامة
والتوفيق **قال** الامام الغزالي رضي الله عنه من وظائف طالب العلم تقديم
طهارة النفس من رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب
وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة
الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح
عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق
وانجاس الاوصاف ه **قلت** والتقوى التي امر بها الناظم شاملة لهذا الذي
ذكره بل هو المقصود الاعظم منها واما اللذان هما شرط في تحصيله فهما دفع
الملال والاشتغال والزمان وذلك انهما لا بد منه في تحصيل العلم **قال** الغزالي رضي
الله عنه ومن وظائف طالب العلم ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا
ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل
العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه
اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه
فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ
المزدرع ه قالوا والسر في ان ما يلقى الى الصغار من قبل العلم يكون ارسخ واثبت

مما يلقى الى الكبار لان قلب الصبي فارغ وقلب الكبير مشحون بهموم الدنيا واغراضها واكدارها وفهم الكبير اسرع من فهم الصغير لكمال عقل الكبير ونقصان عقل الصغير فالكبير سريع الفهم كثير النسيان والصغير بالعكس ومن عرفت السر في ذلك ولاجل فراغ قلوب السلف الصالح رضي الله عنهم من اشغال الدنيا وهم الرزق وخوف الخلق وجمع همهم على الآخرة لم يحتاجوا الى تدوين العلم اتكالا على حفظهم لرسوخ ما يلقى اليهم في قلوبهم وقد قال الشافعي رضي الله عنه لو كلفت شراء بصلة ما فهمت حرفا واحدا والله تعالى اعلم *

* ذكر حجام ساباط وما قيل فيه *

قال الثعالبي في ثمار القلوب حجام ساباط يضرب به المثل في الفراغ فيقال افرغ من حجام ساباط كما يضرب المثل في الشغل بذات النحيين فيقال اشغل من ذات النحيين ومن خبره انه كان حجاما ملازما لساباط المدائن فاذا مر به جند قد ضرب عليهم البعث حجمهم نسيئة بدانق واحد الى وقت قفولهم وكان مع ذلك يمر عليه الاسبوع والاسبوعان ولا يدنو منه احد فعندها يخرج امه فيحجمها ليري الناس انه غير فارغ فما زال ذلك دأبه حتى نزف دم امه فماتت فجأة فصار فراغ ذاك الحجام مثلا قال وسمعت الخوارزمي يقول ان هذا الحجام حجم مرة كسرى ابرويز فامر له بما اغناه عن الحجامة فلم يزل فارغا مكفيا يضرب بفراغه المثل كما قال ابن بسام

دار ابي العباس قفر وسعة ... ما شئت من بسط واقساطِ
لاكنها بعيدة من خبزه ... كبعض ما يلقى من سمساطِ
فكفه فنى وصبا خده ... افرغ من حجام ساباطِ

ويشبهه ما قاله الخوارزمي ما قاله الحافظ ابو القاسم ابن عساكر في تاريخه الكبير ان يزيد بن المهلب بن ابي صفرة حج فطلب حلاقا فجاء فحلق راسه فامر له بالف درهم فتحير ودهش وقال بهذه الالف اعتق ام فلان فلانة واشتري بيتا فقال اعطوه الفا اخرى فقال امرأته طالق ان حلقت راس احد بعدك فقال اعطوه الفين اخريين ومما يذكر في هذا الباب ما حكاه ابن خلكان عن وكيع قال قال 2 ابو حنيفة للحلاق اخطأت في خمسة ابواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام

وذلك اني اردت ان احلق راسي فقال لي اعرابي امتحلل انت فقلت نعم وكنت
محرما فقلت له بكم تحلق راسي فقال النسك لا يشارط فيه اجلس فجلست منحرفا عن
القبلة فاومأ الي باستقبال القبلة واردت ان احلق راسي من الجانب الايسر
فقال ادر شقك الايمن من راسك فادرته وجعل يحلق راسي وانا ساكت فقال لي
كبر فجعلت اكبر حتى قمت لاذهب فقال اين تريد فقلت رحلي فقال صل ركعتين
ثم امض فقلت ما ينبغي ان يكون هذا من مثل هذا الحجام الا ومعه علم فقلت له
من اين لك ما رايتك امرتني به فقال رايت عطاء بن ابي رباح يفعل هذا وحكى
ابن خلكان ايضا عن داود الاصبهاني الظاهري الامام المشهور قال حضر مجلسي
يوما ابو يعقوب الشريكي وكان من اهل البصرة وعليه خرقتان فتصدر بنفسه
من غير ان يرفعه احد وجلس الى جانبي وقال لي سل يا فتى عما بدا لك فكانني
غضضت منه فقلت له مستهزئا اسالك عن الحجامة فبرك ابو يعقوب ثم روى
طريق افطر الحاجم والمحجوم ومن ارسله ومن اسنده ومن وقفه ومن ذهب اليه من
الفقهاء وروى اختلاف طريق احتجام رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاء
الحجام اجره ولو كان حراما لم يعطه ثم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتجم بقرون ثم ذكر احاديث صحيحة في الحجامة ثم ذكر الاحاديث المتوسطة
مثل ما مررت بملإ من الملائكة ومثل شفاء امتي في ثلاث وما اشبه ذلك وذكر
الاحاديث الضعيفة مثل قوله عليه السلام لا تحتجموا يوم كذا ولا ساعة كذا
ثم ذكر ما ذهب اليه اهل الطب من الحجامة في كل زمان وما ذكروه فيها ثم ختم
كلامه بان قال اول ما خرجت الحجامة من اصبهان بعد ضربا للاقلام داود للانداصبهانا في
قال فقلت له والله لا حقرت بعدك احدا ابدا

ولا تكن من قوم موسى واصحب * لكبر وللحملة اذ طلب

الاعراب والتصريف قوله ولا تكن نهي واسم كان ضمير مستتر فيها وجوبا
ومن قوم موسى خبرها والمراد به نبي الله موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن
يعقوب وهو اسرائيل بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وبعضهم يقول موسى
ابن عمران بن يصهر بن قاهث والصواب ان يصهر اخو عمران وهو والد قارون
صاحب الكنوز واما الفكر موسى فاختلف فيه فقال ابو عمرو بن العلاء هو

نفعل لا يفعل بل على ذلك انه يمرض في التكرار ويقتل لا يتم في عمل كل حال
ولان يفعله الكثير من يقتل لانه يشبه من كل ابغلت وقال الكسائي هو يفعل يفعلى
انه يفعل فاشتقاقه من افسنت الشجرة اذا اخرجت ما عليها من الورق وكانه
سمي بذلك لصلعه وقيل انه يفعل فاشتقاقه من فاس ييبس اذا تيبست في مشيته
وكان موسى عليه السلام كذلك وقيل وهو الصواب ان الفرعنة موسى كلمة
مركبة من كلمتين بالقبطية فمو هو الماء بلسان القبط وسى هو الشجر وانما سمي
بذلك لان امه جعلته في التابوت والقته في اليم كما ذكره الله تعالى في كتابه
من بعثته امواج اليم الى الشاطئ ونشب بين اشجار هنالك بعثرت عليه ابنة
من عمران او زوجته فاخذته فسمي باسم المكان الذي وجد فيه وهو الماء والشجر
قال رضي محمد الدين رحمه الله واعلم ان الوجهين الاوليين فاسدان جدا
اما الاول فلان زيغ اسم ابيل والقبط ما كانوا يتكلمون بلغة العرب فلا يجوز ان يكون
مراده منه ذلك واما الثاني فلان معنى الفعكة اسم عجمي والعلم لا يعتبر معنى
في الذات والاخرى هو الوجه الثالث وهو الذي اعتمده من التباسير **قلت**
بل هو المتعين ونص كلام التوراة الموجودة في اليوم بايدي اليهود فاخذته ابنة
فرعون وتبنته لها ودعت اسمه موسى فانها قالت اني من الماء انتشلته انتهى
قوله واطمع اهل الكفاء فيه بذل ميرتا والابتهال ومن تفرع تكثيرها في قوله
اصطبح واغتبق وتكرار يتعلق به والكرا يشترك في العمل وطلب الكسب قوله
وللطلاب طلب الطلاب كسعاب والمدلج من السكافة فلت الشيء فالكسر
ومنه سميته وهو مفعول طلبوا فرغ عليه واللام فيه مقوية للعامل على حد
قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون والتطليق مجاز عن الترك الذي لازم اتصاف معه
فهو استعارة تمثيلية والله اعلم **ومعنى الكلام** ومع امنه زيادة
ترغيب وتحضيض على اقتناء العلم وتحصيله واستشعار ما يلقى الطالب في
تعاطيه واكتسابه وقد قال الخليل رحمه الله العلم لا يعطيك بعضه حتى
تعطيه كلك ثم انت في اعطائه اياك بعضه على خطر وقد يروى لهذا انه
ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه اخذ
ذلك منه صلى الله عليه وسلم الاعتناء بالعلم وقيل لا يتادب الرجل حتى

يجتنب الفواحش الموجبة للرذائل الدنية وقال الحكيم ان سكوتك عما ليس بطالب العلم
من لا يكمل دينه .. ولا يكثر في تحميد نفسه .. قال الشاعر

فلا تك سائلا تحتوي لغنائك ريا * بالكبر تزويد منه كل ما استكثرا
لا يزيد العلم بكما ان كان كسلا * ولا ملولا ولا من يألف البشرا

وفي كتاب المغربات للإمام الإمام أبي الوليد ابن رشد رحمه الله قال بعض الحكماء العلم يفتقر الى خمسة أشياء متى نقص منها شيء نقص من علمه بقدر ذلك وهي ذهن ثاقب وشهوة باعثة وعمر طويل وجدة واستاذ وله خمس مراتب أولها أن تنصت وتستمع ثم ان تسأل فتفهم ما تسمع ثم ان تحفظ ما تفهم ثم ان تعمل بما تعلم ثم ان تعلم ما تعلم ه وجعل الشافعي رضي الله عنه فيما نسب اليه الخمسة التي ستة بزيادة الاجتهاد فقال

أخي لن تنال العلم الا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة أستاذ وطول زمان

وكلام الناس في هذا المعنى كثير والقول الفصل فيه ان تعلم ان الله جعل هذه الدار دار عمل وحكمة فكل من اراد ان يحصل فيها على مرتبة دينية او دنيوية بغير تحصيل وراء ان يزول الحجاب فهو متحكم لكريم الصواب قاصر بحكمة الله تعالى وانما العلوم وسائر المراتب والحكومة ارزاق كالاقوات وسائر ما ينتفع به البشر وكما ان من اغلق عليه بابه وطمع ان يعيش مترفها في دنياه واتكل على ان يأتيه الرزق عفوا من غير طلب ولا تعب فهو متحكم وقد أخطأ كريم الصواب والحكمة فكذلك من اراد ان ينال العلم او يحصل على درجات الصالحين وثواب الابرار والمهتدين بدون عمل وقد قيل من لا يكون الحق فيه ملآن أبي سواء السبيل والله الموفق للصواب بمنه ولله در القائل حيث قال

ذريني انال ما لا ينال من العلا * فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تريدين لقيان المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

هذا هو الأمر الغالب وخلافه نادر والنادر لا حكم له ولا ينبغي للعاقل ان يعول عليه واعلم ان ما ذكره الشيخ رحمه الله من الحض على طلب العلم ومعاناة الشدائد في تحصيله هو كذلك للاكثر في كل الاوقات حتى يحصل الملل

تعلى

مما قاله ابن الرشيد للاصل الى تحصيل العلم الذي فيه .. ولا يناله الا بالتفقه .. وقيل الا بتحصيل العلم
صح

المنع من طلب العلم والخبر القاطع عنه بعد قد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وقيل روحوا الاذهان كما تروحون الابدان فان العقل المكدود ليس لرويته لقاح . ولا لرأيه نجاح . وقيل نفسك كبيتك ان رفقتها اضطلعت . وان قهرا ملت عليها انقطعت . فلا بد من الترويح عليها بقدر ما تنشط به النشاط . وتستقبل العمل بقوة وانبساط . ومن ثم ما جعل الناس للصبيان يوم فترة في الاسبوع يستريحون فيه فاعلم ذلك والله الموفق

ذكر قوم موسى وشرح المثل السائر فيهم

قال في ثمار القلوب بغية قوم موسى يضرب بهم المثل في الضلال وقلة الصبر على طعام واحد كما قال الراجز

وقوم موسى في الزمان الغابر ... لم يصبروا على طعام واحد

ومن الشيباني قال كان عندنا رجل بالعراق وقينة وكان ابو نواس يختلف اليهما وكانت تكهن لهما انها ان تحب غيره فكان كلما دخل عليهما وجد عندهما شابا يجالسها ويحادثها فقال فيهما

ومكثرة تطول اللهو وده ... وتلقى بالتحية والسلام
اتيت لبابها اشكو اليها ... فلم اخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل ... ولا الفا خليل كل عام
اراك بغية من قوم موسى ... فهم لا يصبرون على طعام

وكان العباس بن الاحنف يهوى جارية لبعض الرؤساء يقال لها فوز فمالت الى بعض اولاد الجند وبلغ ذلك العباس فتركها ثم لم ترض من البديل بعد ذلك فعادت الى العباس وكتبت اليه تعاتبه في اعراضه عنها فكتب اليها

كتبت تلوم وتستريث زيارتي ... وتقول لست لنا كعهد العاهد
فاجبتها ودموع عيني جمة ... تجري على الخدين غير جوامد
يا فوز لم اهجركم لملالة ... مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم ... لا تصبرون على طعام واحد

وهذا اخذه من ابي نواس كما ترى والله اعلم

(او نحو علم الفقه بالدرس وكفى * كاللبيب او كاشعب والعتقي)

الفقه

الفقه في الأصل الفهم يقال فَقِهَ الرجل بالكسر يفقه فقها إذا فهم وفَقُهَ
بالضم إذا صار فقيها عالما وجعله العرف خاصا بعلم الشريعة وتخصيصا
بعلم الفروع وإنما خص علم الشريعة بالفقه لأنه علم مستنبط بالقوانين
والأدلة والأقيسة والنظر الدقيق بخلاف علم اللغة والنحو وغيرهما كما في
إرشاد الساري وعرفوا الفقه بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب
من أدلتها التفصيلية قال الشيخ اليوسي والأولى أن يقال موضوعه هو الحكم
الشرعي أن يقال هو العلم الباحث عن الحكم الشرعي التفصيلي من حيث تعلقه
بالمكلف وأن يقال موضوعه هو فعل المكلف أن يقال هو العلم الباحث عن فعل
المكلف من حيث تعلق الأحكام الشرعية به وغايته معرفة ما أراد الله تعالى به
بعد تصحيح العقيدة وبه تحصل سعادة الدنيا والآخرة فليس بعد أصول الدين
أشرف منه وهو علم فيه انى شيئ نظر ما فهمه في كلام الله تعالى وبين رسوله صلى
الله عليه وسلم للناس فإن النبي بسنته يحصل من مجموع ما ذكر في الكتاب
والسنة منه فما هو عينه وأصل لما يذكره مما يستنبطه العلماء الراسخون
والأئمة المجتهدون إلى آخر الزمن وفضيلة الفقه أشهر من أن ينبه عليها وكفى
في ذلك قول الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية
قال الإمام فخر الدين رحمه الله فإن قيل أفتدل الآية على وجوب الخروج للتفقه
في كل زمان قلنا متى عجز عن التفقه إلا بالسفر وجب عليه السفر وفي زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الأمر كذلك لأن الشريعة ما كانت مستقرة
بل كان يحدث كل يوم تكليف جديد وشرع حادث أما في زماننا فقد صارت الشريعة
مستقرة فإن أمكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجبا إلا أنه لما كان
لفظ الآية دليلا على السفر لا جرم رأينا أن العلم المبارك المنتفع به لا يحصل
إلا في السفر اهـ وفي الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم
والله يعطي وعند الطبراني ويفقهه في الدين ويلهمه رشده وفيهما أيضا عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون
الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وأخرج

الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد
على الشيطان من الف عابد ونظمه من قال

وان فقيها واحدا متورعا ۞ اشد على الشيطان من الف عابد

وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال
صلى الله عليه وسلم الانبياء سادة والفقهاء قادة وفيما تستتم زيادة ذكره
الراغب في محاضراته وانظر كتاب العلم من الاحياء ولابن والله الموفق

التعريف بالليث واشهب والعتقي رحمهم الله

اما الليث فهو ابو الحرث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي امام اهل مصر
في الفقه والحديث كان مولى قيس بن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن خالد الفهمي
مقام الفهمي واهله من اصبهان وولد بقلقشندة وهي بفتح القاف وسكون
اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة بعدها
هاء تانيث قرية من الوجه البحري من القاهرة بينها وبينها ثلاثة فراسخ
وكان رحمه الله يقول قال لي بعض اهلي ولدت سنة اثنتين وتسعين للهجرة
والذي اوقن سنة اربع وتسعين في شعبان وكان فقيها سخيا قال الليث كتبت
من علم محمد ابن شهاب الزهري علما كثيرا وطلبت ركوب البريد اليه الى الرصافة
فخفت ان لا يكون ذلك لله تعالى فتركته كذا عند ابن خلكان وهو مخالف لقاعدة
ان العمل مع خوف الرياء اولى من تركه وقال السيوطي في حسن المحاضرة وروى
الليث عن الزهري وعطاء ونافع وخلق وعنه ابنه شعيب وابن المبارك وآخرون
قال ابن سعد كان الليث ثقة كثير الحديث صحيحه وكان قد استقل بالفتوى
في زمانه بمصر وكان سريا من الرجال نبيلا سخيا له ضيافات وقال ابن خلكان
كان من الكرماء الاجواد يقال ان دخله كان في كل سنة خمسة آلاف دينار
وكان يفرقه في الصلات وغيرها وقال منصور بن عمار رايت الليث ما اعطاني
الف دينار وقال صن بهذه الحكمة التي آتاك الله تعالى قال ورايت في بعض
المجاميع ان الليث كان حنفي المذهب وانه ولي القضاء بمصر وان الامام مالكا
اهدى اليه صينية فيها تمر فاعادها مملوءة ذهبا وكان يتخذ له
الفالوذج ويعمل فيه الدنانير ليحصل لكل من اكل كثيرا الكثير من صاحبه وكان

في رجب سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن عشرين سنة وسمع من نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما وقال يحيى بن بكير ما رأيت أحدا أكمل من الليث كان فقيه النفس عربي اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الحديث والشعر حسن المذاكرة وقال الشافعي كان الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به وكان ابن وهب يوما تقرأ عليه مسائل الليث فمرت به مسألة فقال رجل من الغرباء أحسن والله الليث كأنه كان يسمع مالكا يجيب فيجيب هو فقال ابن وهب للرجل بل كان مالك كان يسمع الليث يجيب فيجيب هو والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحدا قط أفقه من الليث قال ابن كثير وقد حكى بعضهم أنه ولي القضاء بمصر وهو غريب وقال الزبيدي في العبر كان نائب مصر وقاضيها تحت أوامر الليث وكان إذا رابه من أحد شيء كاتب فيه فيعزل وقد أراده المنصور أن يلي له إمرة مصر فامتنع ومناقب الليث كثيرة وقد وضع الحافظ
أبي ابن حجر العسقلاني في ترجمته جزءا لطيفا فلينظره من أراده توفي الليث رحمه الله يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ودفن بالقرافة الصغرى من مصر وقبره أحد المزارات المشهورات قال بعض أصحابه لما دفنا الليث سمعنا صوتا يقول

ذهب الليث فلا ليث لكم ... ومضى العلم غريبا وقبر

قالوا التفتنا فلم نر أحدا رحمه الله تعالى ورضي عنه وأما أشهب فهو أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي ثم الجعدي الفقيه المالكي المصري ذكره ابن يونس في تاريخه فقال أشهب القيسي ثم العامري من بني جعدة يكنى أبا عمرو أحد فقهاء مصر وذوي رأيها ولد سنة أربعين ومائة ويقال إن اسمه مسكين وأشهب لقب غلب عليه والأول أصح قاله ابن خلكان وكان ثقة فيما يرويه عن مالك رضي الله عنه فإنه تفقه على الإمام مالك ثم على المدنيين والمصريين وكانت بينه وبين ابن القاسم منافسة ثم انتهت إليه الرياسة بمصر بعد ابن القاسم وقال أبو عبد الله القضاعي في كتاب خطط مصر كانت لأشهب رياسة في البلد ومال جزيل وكان من أنظر أصحاب مالك رضي الله عنه وقال الشافعي رضي الله عنه ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه

وكان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يفضل أشهب على ابن القاسم وقال ابن
عبد البر كان أشهب فقيها حسن الرأي والنظر ولم يدرك الشافعي بمصر
من أصحاب مالك غير أشهب وابن عبد الحكم قال ابن عبد الحكم سمعت أشهب
يدعو على الشافعي بالموت فذكرت ذلك للشافعي فقال متمثلا

تمنى رجال أن أموت فإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تزود لأخرى مثلها فكأن قد

قال فمات الشافعي فاشترى أشهب من تركته عبدا ثم مات أشهب فاشتريت
أنا ذلك العبد من تركة أشهب قال وكان أشهب يخضب عنفقته وتوفي يوم
السبت لثمان بقين من شعبان سنة أربع ومائتين بعد الشافعي بشهر وقيل بثمانية
عشر يوما ودفن بالقرافة الصغرى من مصر بإزاء قبر ابن القاسم رحمهما الله
قال محمد بن عاصم المعافري رأيت في المنام كأن قائلا يقول يا محمد فأجبته فقال

ذهب الذين يقال عند فراقهم ... ليت البلاد بأهلها تتصدع

قال وكان أشهب مريضا فقلت ما أخوفني أن يموت أشهب فمات من مرضه ذلك رحمه
الله **وأما العتقي** فهو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة
العتقي بالولاء الفقيه المالكي راوي المسائل عن الإمام مالك رضي الله عنه
ولد سنة ثمان وعشرين ومائة وقيل غير ذلك وتفقه بالإمام مالك ونظرائه
ولازمه عشرين سنة وفرع على أصوله وانتفع به أصحاب مالك بعد موت
مالك وهو صاحب المدونة وعنه أخذها سحنون وهي أصل المذهب المالكي لا يقدم
شيء عليها فيما بيده وكان ابن القاسم زاهدا صبورا مجانبا للسلطان روى عن
ابن عيينة وغيره من طبقة مالك وعنه أخذ أصبغ وسحنون وآخرون قال ابن
حبان كان ابن القاسم حبرا فاضلا وقال ابن خلكان جمع بين الزهد والعلم **قلت**
وابن القاسم وأشهب هما أكبر أصحاب مالك وإن جمعهم في مذهبه على الإطلاق
حتى إن المالكية إذا تعارض عندهم قول المصريين وغيرهم كالمدنيين والعراقيين
من أصحاب مالك قدموا قول المصريين وإن ابن القاسم وأشهب منهم فلذا خصهما
الناظم بالذكر قالوا وكان علم أشهب الجراح وعلم ابن القاسم البيوع وعلم
ابن وهب المناسك وتوفي ابن القاسم رحمه الله ليلة الجمعة لسبع مضين

مرجعهم سنة احدى وتسعين ومائة وقبره خارج باب القرافة الصغرى من مصر
بالقرب من الشافعي واما لفظ العتقي فهو بضم العين وفتح التاء الفوقانية
نسبة الى العتقاء جمع عتيق على غير قياس وليسوا من قبيلة واحدة بل هم
من قبائل شتى منهم من حجر حمير ومن سعد العشيرة ومن كنانة مضر وغيرهم
وعامتهم بمصر وابن القاسم المذكور مولى زبيد بن الحرث العتقي وكان زبيد من
حجر حمير وقال القضاعي كانت القبيلة التي نزلت الظاهر من مصر العتقاء
وهم جماعة من القبائل كانوا يقطعون الطريق على من اراد النبي صلى الله
عليه وسلم فبعث اليهم فأتي بهم أسرى فأعتقهم فقيل لهم العتقاء ولما
فتح عمرو بن العاصي مصر كان العتقاء معه معدودين في اهل الراية ومنهم
منزله بكورة جمعهم عمرو بن العاصي على راية واحدة منهم العتقاء فلما
اختط الناس بالفسطاط خط لهم خطة العتقاء فلم يرضوا موضعا يتنكرون
فيه عند اهل الراية فشكوا ذلك الى عمرو بن العاصي فقال لهم معاوية بن
حديج السكوني وكان يتولى امر الخطط ارى لكم ان تظهروا على منازل القبائل
فتتخذوا منزلا وتسمونه الظاهر فجعلوا فقيل لهم اهل الظاهر هـ نقله
ابن خلكان وقال ابن حزم جميع قبائل العرب ترجع الى اب واحد ما عدا ثلاث
قبائل وهم العتقاء وتنوخ وغسان فاما العتقاء فقد علمت امرهم واما
تنوخ فقد تقدم الكلام عليهم في اخبار جذيمة الابرش واما غسان فقد تقدم
الكلام عليهم ايضا في قصة سبا وخراب السد فراجع ذلك والله الموفق

(وفي الحديث النبوي وارتفاع تكلم فيه مثل البخاري ومسلم كالبيهقي)

علم الحديث من العلوم الباحثة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله
وتقريره قبل وبعده من حيث السند والمتن وما ينضم الى ذلك والغرض منه بيان
المقبول من ذلك والمردود لتصح الاقتداء ويثبت الاعتصام بالسنة وذلك
من السعادة في الدارين قاله الشيخ اليوسي في قانونه وجعل ابن ساعد
في ارشاد القاصد علم الحديث قسمين علم رواية وعلم دراية وعرف علم
الرواية بانه علم بنقل اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله بالسماع
المتصل وضبطها وتحريرها وعرف علم الدراية بانه علم يتعرف منه

أنواع الروايات وأحكامها وشروط الرواة وأصناف المرويات واستخراج معانيها وفضل علم الحديث أشهر من أن يذكر وأبين من أن يقرر وكفى أهله تفضيلا وشرفا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وهو مستجاب فكفى بها فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم خلفائي قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يروون أحاديثي ويعلمونها الناس وقال سفيان الثوري رحمه الله لا أعلم علما أفضل من علم الحديث لمن أراد به وجه الله تعالى إن الناس يحتاجون إليه حتى في طعامهم وشرابهم فهو أفضل من التطوع بالصلاة والصيام لأنه فرض كفاية ولله در القائل

دين النبي محمد مختار ... نعم المطية للفتى الآثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله ... فالرأي ليل والحديث نهار

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي رحمه الله

ألا إن الحديث أجل علم ... وأشرفه الأحاديث العوالي
وأنفع كل نوع منه عندي ... وأحسنه الفوائد في الأمالي
وإنك لن ترى للعلم شيئا ... تحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه ... وخذه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترمى ... من التصحيف بالداء العضال

التعريف بالبخاري والنسفي رحمهما الله

أما البخاري فهو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه بفتح الموحدة وسكون الراء بعدها دال مهملة مكسورة ثم زاي ساكنة ثم موحدة مفتوحة ثم هاء على المشهور في ضبطه وبه جزم ابن ماكولا ومعناه بالفارسية الزراع الجعفي بالولاء وكان بردزبه مجوسيا على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى فنسب إليه نسبة ولاء عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان

ولا ولد له ولذا قيل للبخاري الجعفي وكان والد البخاري وهو ابو الحسن اسماعيل
ابن ابراهيم من العلماء الورعين وولد البخاري بعد صلاة الجمعة لثلاث
عشرة ليلة خلت من شوال سنة اربع وتسعين ومائة ببخارى وهي من اعظم
مدن ما وراء النهر بينها وبين سمرقند ثمانية ايام وتوفي ابوه اسماعيل وهو
صغير فنشأ يتيما في حجر والدته والهم الحديث وهو ابن عشر سنين او اقل
في المكتب وكتب الناس عنه وهو امرد لا شعر بوجهه وكان نحيفا ليس
بالطويل ولا بالقصير ورحل في طلب الحديث الى اكثر محدثي الامصار وكتب بخراسان
والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر وقدم بغداد وهو يومئذ قبة الاسلام
ودار الخلافة ومنبر العلوم والفنون ومجمع البدايع والبضايع فاجمع عليه
العلماء واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرده في علمي الرواية والدراية وحكى
ابو عبد الله الحميدي في جذوة المقتبس والخطيب في تاريخ بغداد ان البخاري لما
قدم بغداد سمع به اصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا
متونها واسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد اخر واسناد هذا
المتن لمتن اخر ودفعوا الى كل رجل عشرة احاديث وامروهم اذا حضروا المجلس
ان يلقوا ذلك على البخاري واخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من الفقهاء
الحديث من البغداديين والغرباء من اهل خراسان وغيرهم فلما اطمأن المجلس باهله
انتدب اليه واحد من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث فقال البخاري
لا اعرفه فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول
لا اعرفه فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون الرجل
فهم ومن كان منهم ضد ذلك يقضي على البخاري بالعجز وقلة الفهم ثم انتدب رجل
اخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث المقلوبة فقال البخاري
لا اعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول
لا اعرفه ثم انتدب الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من
الاحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على قوله لا اعرفه فلما علم البخاري
انهم فرغوا التفت الى الاول منهم فقال اما حديثك الاول فهو كذا وحديثك الثاني
فهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى اتى على تمام العشرة فرد كل متن

الى اسناده وكل اسناد الى متنه وفعل بالاخرين كذلك ورد متون الاحاديث
كلها الى اسانيدها واسانيدها الى متونها فاقر له الناس بالحفظ واذعنوا
له بالفضل وكان رحمه الله يقول احفظ مائة الف حديث صحيح ومائتي الف
حديث غير صحيح ونقل عنه محمد بن يوسف الفربري انه قال ما وضعت في كتابي
الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وعنه انه قال
صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة الف حديث وجعلته
حجة فيما بيني وبين الله وقال الفربري سمع صحيح البخاري معه تسعون الف
رجل فما بقي احد يرويه عنه غيري وممن روى عنه ابو عيسى الترمذي صاحب الشمائل
والجامع ومن تآليف البخاري الجامع الصحيح الذي قيل انه ليس بعد القرآن
اصح منه والتاريخ الكبير صنفه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم والادب
المفرد وغير ذلك ومن شعره

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى ان يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

وامتحن رحمه الله في اواخر عمره في مسألة اللفظ بالقرآن وتحومل عليه فيها ثم
توفي بخرتنك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن
اثنتين وستين سنة الا ثلاثة عشر يوما بخرتنك بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء
وفتح التاء المثناة من فوق وسكون النون وبالكاف قرية من قرى سمرقند بينها وبينها
فرسخان وكان اوصى ان يكفن في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ففعل به
ذلك ولما صلي عليه ووضع في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك
ودامت اياما وجعل الناس يختلفون الى قبره مدة يأخذون منه وقبره مزارة
يستشفى به رحمه الله ورضي عنه **واما البيهقي** فهو الامام ابو بكر احمد
ابن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخسروجردي الفقيه الشافعي
الحافظ الكبير المشهور ولد في شعبان سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وكان واحد
زمانه وفرد اقرانه في الفنون ومن كبار اصحاب الحاكم ابي عبد الله بن البيع في الحديث
وزاد عليه في انواع العلوم اخذ الفقه عن ابي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي وغلب
عليه الحديث واشتهر به ورحل في طلبه الى العراق والجبال والحجاز وسمع بخراسان

من علماء عصره وكذلك ببغية البلاد التي انتهى إليها وشرع في التصنيف فصنف
فيه كثيرا حتى قيل إنه لتبلغ تصانيفه ألف جزء، وهو أول من جمع نصوص الإمام
الشافعي رضي الله عنه في عشر مجلدات ومن مشهور مصنفاته السنن الكبرى
والسنن الصغرى ودلائل النبوة والسنن والآثار وشعب الإيمان ومناقب
الشافعي والمدخل ومناقب أحمد بن حنبل وغير ذلك **قال** ابن الصلاح ما ثم كتاب
في السنن أجمع للأدلة من كتاب السنن الكبرى للبيهقي وكأنه لم يترك في سائر
أقطار الأرض حديثا إلا وقد وضعه في كتابه ولما تكلم الشيخ أبو محمد عبد
الوهاب الشعراني رحمه الله في الميزان على الحديث الضعيف الذي كثرت طرقه
قال وهذا النوع من الضعيف يوجد كثيرا في كتاب السنن الكبرى للبيهقي التي
ألفها بقصد الاحتجاج بها لأقوال الأئمة وأقوال أصحابهم بأنه إذا لم يجد حديثا
صحيحا أو حسنا يستدل به لقول ذلك الإمام أو قول آخر من مقلديه يأتي برواية
الحديث الضعيف من كذا كذا طريقا ويكتفي بذلك ويقول وهذه الطرق يقوي
بعضها بعضا **قال** الشعراني رحمه الله وهو من أعظم الحجج التي استفدت
منها في الجمع بين الأحاديث في هذا الميزان اهـ وكان أبو بكر البيهقي رحمه الله
قانعا من الدنيا بالقليل وقال إمام الحرمين فيه ما من شافعي المذهب إلا
وللشافعي عليه منة إلا أحمد البيهقي فإن له على الشافعي منة وكان من أكثر
الناس نصرا لمذهب الشافعي وطلب إلى نيسابور لنشر العلم فأجاب وانتقل
إليها وكان على سيرة السلف وأخذ عنه الحديث جماعة من الأعيان منهم
زاهر الشحامي ومحمد الفراوي وعبد المنعم القشيري وغيرهم وتوفي في عاشر جمادى
الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور ونقل إلى بيهق المنسوب إليها
وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخا منها وخسروجرد من
جملة قراها وهي بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وكسر الجيم
وسكون الراء بعدها دال مهملة والله أعلم ۞

(فما نعلم في الدنيا وفي الأخرى وله * فضل ببيتين جرى به شرا وفي)

قوله ببيتين جرى به أي جرى بالكسر الكائنة من الناس ودعا إليهم لعلمه
فأعاد الضمير عليه بعده أو جملة قوله شرا وفي من المبتدأ هو أول الكلام فيفسر

حزب العلم بانه مرفوع منه شرا وليقوى خيرا وفيه ان حذف ازوا شيعا وابقاء خبرها
ممنوع بل نص سيبويه في باب ان شئت قلنا وعلى ان الجمهور النحويين لا يجوز حذف مبتدئه
واستثنوا من ذلك صورا ليس هذا منها ويحتمل ان تكون الجملة حالا من حزب
وفيه ان الجملة انما تكون حالا اذا وقعت حالا بعد معرفة من فرق ويجاب بانها
هنا نكرة لانها قد لا ابتغير مرمعها في قوله تعالى او جاءوكم حصرت صدورهم وفيه
ان معنى الحالية هنا غير ظاهر ويحتمل ان تكون الجملة دعائية وفيه ان تقريع
المعمول في جملة الدعاء غير معهود فالحاصل انه لم يظهر لنا وجه شاف
من الكفر يحمل عليه كلام الناظم والله اعلم وثم خفاء في فضيلة العلم
شرعا وعقلا اما شرعا فنحو قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وقل رب زدني علما واما عقلا
فلانا اذا تذكرنا في الحيوانات التي بث الله في الارض والتي تعرض انواعها
واشكالها الهيئا بها واشكالها وجدنا الحكيم جل وعلا فرق بينها في جل
العقول التي خباها فيها والى شرار التي اودعها اياها ولم يميز الانسان
عنها الا بعقله واحواله وهي العقل نسيم لا يحمل له الا ادراك الكليات
من احيينا وجليلها وذلك هو معنى العلم ثم اكرمه بفضيلة النطق ليعبر
به عما ادركه من تلك الكليات وما يتدرج فيها من الجزئيات فكان الانسان
بهذا الاعتبار ما خلق الا ليعلم ولو كان المقصود منه شيئا اخر غير
العلم لكان غيره من الحيوانات يقوم بذلك المقصود بل ربما يكون غناه فيه
اكثر من غناء الانسان ربما تمعن من العلم فهو جهل الحكمة وعكس النعمة وكم ما
وعكس المقصود من الوجود فنسأل الله الكريم ان يلهمنا رشدنا ويعلمنا
جهلنا وقد ذكر الناظم من اوصاف العلم انه يفلح في الدنيا والاخرة فمن ذلك
اما في الدنيا فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الحكمة تزيد الشريف شرفا
وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك قال الغزالي رحمه الله فنبه بهذا
على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الاخرة خير وابقى وقال سالم بن ابي الجعد
اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم واعتقني فقلت باي شيء احترف فاحترفت

بالعلم فيما بحث في ستة عشر اتاه امير البلوي ابن اقلم داذ ربعه وارقا في اللامر له
بغير قال صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء
ثم الشهداء فالعلماء بمرتبة بين قطا النبوءة وبين الشهادة مع ما ورد في
فضل الشهادة فالامر في الاخبار والاحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة
شهيرة ولا حاجة بنا الى تتبعها والله الموفق ثم شرع الناظم رحمه الله في شيء
من فضل الشغل وقبائحه فقال

واعنين بقول الشغل فالشغل كما * للفتى ازرى به لم يرشد
والشغل للجهر بقاد سيبعه * وللعلى كالعضد وهو الغشي

اللغة قوله واعنين بقول الشغل اي من عنيت بامره مبنيا للفاعل اذا اهتممت
به والاكثر عنيت به مبنيا للمفعول وعليه فالامر منه لتعن بحاجتي
باللام اي لتكن شاغلة لفكرك والشغل من تفرغ الكلام عليه مستوفى في هذا
الكتاب قوله لم يرشد ويقال ارشد ورشد اذا اخذوا ازرا قيم فهم مرشدة وكذا
غيرها الجمع مرا وكيف سلكها بني بعضهم بعضهم مرشد قوله والشغل للجهر بقاد سيبعه
الجهر الشر وبقاد السيبعة بوزن كتاب حمالة قوله وللعلى كالعضد العلى
بالضم والقصر الشرف ايضا وبمعنى الامر جمع علياء كالكبرى وصف للمرتبة ثم كثر
حتى استعمل استعمال الاسماء والعضد بالكسر القلادة التي تجعل في العنق والله
اعلم الاعراب قوله واعنين بقول الشغل امر ومتعلقه وقوله فالشغل
كمال للفتى جملة للامر وان حرف شرط ولم حرف وبقل الشرط وبه يتعلق بفرع
عليه والجواب محذوف لدلالة ما تفرع عليه ان جعلت كمالا وحذف صلة النعيم
من به مع انه وقع بين نحو كثير وهو لغة بني تميم وبني كلاب وعليها قول
الشاعر يصف جملا

آن لم تجد الكلم يشفى غرر البنيته * فما تجد رتبة في الدنيا ولا اغترا

قوله والشغل للجهر بقاد سيبعه في الشغل مبتدا اول والجهر له وكرره ابدا نا
من نعته وبعده على تعلقه برتبته وبقاد سيبعه مبتدا ثان وللجهر خبر الواجب
التقديم للالتباس المبتدا ببعضه وكذا قوله تعالى على قلوب اقفالها وقول العرب
على التمرة مثلها زبدا وقول الشاعر

أما بني إجلالة وما بها قذارة ◦ علي ولا أزرى بي غير عيبها
والجملة الصغرى من المبتدإ الثاني وخبره خبر عن المبتدإ الأول **فإن قلت**
فأين الرابط بين الجملة والمبتدإ **قلت** يظهر أنه مقدر في نجاده أي الحكم نجاده
وإن كان جامدا لأنه يتحمل الضمير لأنه في تأويل المشتق لأنه في معنى متمم ومكمل
أو في معنى قولنا الشعر نجاد سيف للحجر أي مكمل له والله أعلم **معنى**
الكلام تضمن كلام الناظم أمرين أحدهما أن قول الشعر وانتحاله كمال
للعقل إذا كان الحجى منه ذا قوة فإنه تكسبه ثانيهما أن الحجر والشعر للإنسان
بمنزلة السيف الذي يصول به على الأعداء والشعر بمنزلة علاقة ذلك السيف
أما الأمر الأول فهو كما قال الآخر الشاعر إذا كان متكسبا بشعره فهو أذل للشمت
لا محالة لأنه يمدح ويقدح تبعا للعوائد **وقد قال** صلى الله عليه وسلم شر
الناس من أكرمه الناس اتقاء شر لسانه وقيل له تؤاخذ شاعرا فإنه يمدحك
بثمن ويهجوك مجانا **وقال** بعضهم ما أجرأ أكلا للشمت ولا أوضع ولا أطمع
ولا أضيع للشيء ولا أقل حياء من شاعر متكسب بشعره ولما حبس عمر رضي الله عنه
الحطيئة بسبب الزبرقان بن بدر الذي ذكرناه ثم أراد تسريحه قال إياك والشعر
فأخرج الحطيئة لسانه وقال والله ما بقي ولدي كاسب غيره فقال عمر فلا تهجهم
فقال إن لي أصيبية لم يبلغ فوقي فلا تعطلوني فقال أما ذهب فبئس الكسب كسبك وقال
بعضهم

الكلب والشاعر في منزل ... فليتني لم أك شاعرا
هل هو إلا باسط كفه ... يستطعم الوارد والصادرا

وقال غيره

لا تحسبن الشعر فضلا بارعا ... ما الشعر إلا محنة وخبال
الهجو قذف والرثاء نياحة ... والعتب ضغن والمديح سؤال

وقد علمت أن هذا الذم منزل على حالة مخصوصة فلا ينافي ما يأتي من فضيلته
إذا حصلت السلامة من آفاته وأما الأمر الثاني المستفاد من قوله والشعر
للحجر نجاد سيف البيت فهو مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

أرى الحجر سيفا والقريض نجاده ... ولولا نجاد السيف لم يتقلد
وغيره جعل الأشياء الشيوخ جلالة ... تحملت بالإنكار الثناء محمل

غير أن أبا العلاء جعل الحجر نفس السيف والناظم جعل الحجر ذا سيف والقضب

تمثيل وكلام المتن من باب التشبيه البليغ وكلام الناظم من باب الاستعارة بالكناية وفي معناه قول ابن الرومي

وما المجد لولا الشعر إلا معاهد ... وما الناس إلا أعظم نخرات

ونحوه ما أخذه من قول أبي تمام

ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

فقله غير مكثر منه ودع ... تعبا بقول جاهل أو أحمق

وإن تكن منه عقيما بكثرة ... فاعن بجمع شمله المنتثر

الإعراب قوله فقله غير مكثر منه الفاء واقعة في جواب شرط مقدر أي إذا كان الشعر بمنزلة المثابة فقله حال كونك غير مكثر منه قوله جاهل أو أحمق أو بمنزلة الواو التي كانت للإباحة في نحو قولك جالس العلماء أو الزهاد قال ابن هشام وإذا دخلت لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما أو كفورا إذ المعنى لا تطع أحدا منهما فكذلك ومثله عبارة الناظم ومعناه ما لا تتعب بقول واحد منهما قوله وإن تكن منه عقيما بكثرة في شرطه وجوابه والعقيم الذي لا يولد له يطلق على الذكر والأنثى وهو مجاز عن كون الإنسان بحيث لا يتأتى منه قول الشعر ونحوه المفحم وباقي الإعراب واضح معنى الكلام إنما قال الناظم رحمه الله غير مكثر منه إشارة إلى ما في الصحيحين عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه خير من أن يمتلئ شعرا قال النووي قال أهل اللغة يريه بفتح الياء وكسر الراء من الوري وهو داء يفسد الجوف ومعناه قيحا يأكل جوفه ويفسده قال بعضهم المراد بهذا الشعر شعر هجي به النبي صلى الله عليه وسلم لكن قال جمهور العلماء هذا تفسير فاسد لأنه يقتضي أن المذموم من الهجاء هو الامتلاء منه دون قليله وقد أجمع المسلمون على أن الكلمة الواحدة من هجاء النبي صلى الله عليه وسلم موجبة للكفر قالوا بل الصواب أن المراد أن يكون الشعر غالبا عليه مستوليا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى وهذا مذموم من أي شعر كان فأما إذا

كان الفقه وأصوله والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا
يخفى حفظه اليسير من الشعر مع هذا لأنه زهد فيه ليس ممتليا شعرا والله أعلم
ه كلام النووي رحمه الله **وقال** الغزالي رضي الله عنه انشاد الشعر ونظمه
ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره وقد قيل هذا الشعر كلام فحسنه
حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم ثم ساق الحديث المتقدم **وقال**
قول الينا كهم ولا تغتر بقول جاهل او احمق فاشار به الى ما ذكره النووي قال
اشتد بعضهم بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقا قليله وكثيره وان كان
لا فحش فيه قال وقد قال العلماء كافة هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه قالوا
وهو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وهذا هو الصواب فقد سمع النبي صلى الله
عليه وسلم الشعر واستنشده وامر به حسان في هجاء المشركين وانشده اصحابه
بحضرته في الاسفار وغيرها وانشده الخلفاء وائمة الصحابة وفضلاء السلف
ولم ينكره احد منهم على الاطلاق وانما انكروا المذموم منه وهو الفحش ونحوه
ه وقول الينا كهم فلا ممن يمنع شغله الحفظ ويحتمل وجهين احدهما ان المراد بشغله
عيوبه ومعناه انه لا يجعله الانسان جملة صناعته من كلام فحول الشعراء
المبرزين في الصناعة كشعر امرئ القيس والنابغة وزهير من شعراء العرب
الفصحاء وشعر حبيب والبحتري والمتنبي من شعراء المولدين البلغاء قال الثعالبي
وعهدي بالحراز من يقول مرور روي حوليات زهير واعتذارات النابغة والمدائح
الهاشمية ومراثي الكميت ونقائض جرير والفرزدق وخمريات ابي نواس
وزهديات ابي العتاهية ومراثي ابي تمام ومدائح البحتري وتشبيهات ابن المعتز
وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم وقلائد المتنبي ثم لم يتخرج في الشعر
فلا انبت الله فرقه فيه **فالثاني** ان المراد بشغله في التغني وقال ذلك
التي يأتي بها بكمه وذلك بعلوم اللسان ولا بد معها من حفظ الكثير منه
والتغني والا فعلوم اللسان وحدها لا تكفي في التخرج فيه وقد قال بعضهم
في التنبيه على تفضيل الشعر

وما الطبع مغن وحده في نظامه ... ولا العلم عن حظ الطباع بنائب
اذا لم تكن بحفظ معادة وانشاد ... فاحسن مبناه كنسج العناكب

٤ فيح

وقال عنترة

وأرى النفوس لا تهيم بطيعة ... الا الى الحسنين من زاد واتبعا

والطبع ليس بنافع إن ذا ... حملت إذا بنته أرى والاتبعا

ما عابه إلا عيي مفحم ... لعبيه الزكي لم يستنشق

كم حاجة يسرتها وكم قضى ... بعدي ثمار واسهم قوفى

اللغة قوله ما عابه الا عيي مفحم العي بالكسر خلاف البيان والفصاحة وقد عيي في منطقه كرضي وعي بالادغام فهو عيي كغني وعي كحي وفي المثل اعيى من باقل وهو رجل له قصة مشهورة وافاد الشيخ يقال اعيى اعياء زيادة عيا وفي المسألة كانت سبب قراءة الكسائي النحو قال العلامة الدميري ما نصه وتعلم الكسائي النحو على كبر سنه وذلك انه مشى يوما حتى اعيا ثم جلس فقال قد عييت فقيل له قد لحنت قال كيف قيل ان كنت اردت التعب فقل اعييت وان كنت اردت انقطاع الحيلة فقل عييت فانف من قولهم لحنت واشتغل بعلم النحو حتى مهر وصار امام وقته فيه ه‍ ويشبه هذه الحكاية ما ذكره ابن هشام في مبحث ليس من مغنيه وانها قد تكون حرف استثناء قال وهذه المسألة كانت سبب قراءة سيبويه النحو وذلك انه جاء الى حماد بن سلمة لكتابة الحديث فاستملى منه قوله عليه الصلاة والسلام ليس من اصحابي احد الا ولو شئت لاخذت عليه ليس ابا الدرداء فقال سيبويه ليس ابو الدرداء فصاح به حماد لحنت يا سيبويه انما هذا استثناء فقال والله لاطلبن علما لا يلحنني معه احد فطلب النحو ولزم الخليل وغيره ه‍ والمفحم كمكرم العيي ومن لا يقدر ان يقول شعرا وافحمه الهم منعه قول الشعر ومناظره بالحجة صار بين حجتيها قال عمرو بن معدي كرب لله بني مجاشع ما اشد في الحرب لقاءها واجزل في الزبات عطاءها واحسن في المكرمات ثناءها لقد قاتلتها فما اجبنتها وسألتها فما ابخلتها وهاجيتها فما افحمتها اي لم اجدها عاجزة عن الجواب في هذه الحالات المذكورة قوله لعبيه الزكي العبق بالفتح الريح طيبة كانت او منتنة واكثر استعماله في الطيبة كما هنا والزكي كغني الساطع الريح من ذكت النار تذكو اذا اشتد لهيبها ومسك ذكية واستنشق الريح شمها واستنشق الماء جذبه

بالتقصير في المتحريين فقوله يقيك عارا واسمي يقال عنا فلان عتق من باب
نعم خدع ودار ونحوه وعنك الموصول وعنيت كرضي اذا نشب في الانسان وعنوا عان
والجمع عناة والنساء عوان وفي الحديث اتقوا الله في النساء فانهن عوان
في ايديكم اي اسيرات اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة
الله ومن هذا المعنى هو المراد في النظم واللاسير يعيل المعنى مقبول من الاسير
ومن الشر المحكم يقصد ان النهي يعده منه صوابا يقال كقولها ۞

وان صخرا لتأتم الهداة به ۞ كأنه علم في رأسه نار

الاعراب والتصريف قوله ما عاب الا الله عيبي استثناء مفرغ وجملة
لم يستنشق عقبة ثانية لعين اذها افته ولعن به مفعوله فرع عليه واللام
مقوية للعامل كقوله تعالى للرؤيا تعبرون وقوله لربهم يرهبون وقوله كم حاجة
يسرها كم مزلة خبرية كالتي بعدها وحاجة تمييزها مجرور بالاضافة ومعنى
اذا مبتدا وجملة يسرها خبرها واما مفعول بفعل محذوف يفسره ما بعدها
من باب الاشتغال وهذا اولى لتحصل المشاكلة بين الجملة التي قبلها والتي بعدها
قوله وكم قضى تمييز كم مزلة محذوف تقديره وكم مرة ومعنى مفعول بقضى محمولة
لقضى وعار منصوب اليه ما قبله مجرور بكسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء
الساكنين التي من لام الكلمة واصلها النون وتمام في اشتقاقه وبابه اعراب واما
معنى الكلام يقول ما عاب الشيخ الامر للافراد له عليه وحق وفضيلة
وقد جرت عادة الله في خلقه ان كل من جهل شيئا من الصناعات انكر
فضيلتها وكذا لا سيما ارباب العلوم فقد قال الغزالي رضي الله عنه
في كتاب العلم من الاحياء ومن وظائف المتعلم ان لا يدع فنا من العلوم المحمودة
ولا نوعا من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ويستغني
عنه في الحال الا تعطل فيه عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء
ما جهلوا قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر

ومن يك ذا فم مر مريض ۞ يجد مرا به الماء الزلالا

قال ومن وظيفة الاستاذ المعلم اذا كان متكفلا ببعض العلوم دون بعض ان لا يقبح
في نفس المتعلم العلوم التي ليست عنده كمعلم اللغة فان عادته تقبيح علم

الفقه وتعلم الفقه عادة تقتضي علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع بحت ومن اشتغل بهما يزدري نظر العقل فيه وتعلم الكلام ينهى عن الفقه ويقول ان ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للعلماء ينبغي ان تجتنب ه وقول الشاعر لعن الله الذكي لم يستنشق ماخوذ من قول المتنبي يصف فرسا يراه

يراه الغبار ولا من انشاده ما ضرر ... كما تنم رياح الورد بالفعل

وقوله كم حاجة بين معان كقول سيدنا عمر رضي الله عنه من افضل ما اعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل امام حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم ه ولو تتبعنا الوقائع التي قضيت فيها الحاجات بالاشعار وتخلص فيها ارباب الجرائم من الاخطار لطال الكلام مع ان ذلك اشهر من قفا نبك ومن نار على علم بل قد يستوجب الشاعر بشعره الدرجات عند الله تعالى كالشعراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنفحات الكاملة والعطية الشاملة من ولي من اولياء الله رضي الله عنهم بسبب توسل او مديح ومن ذلك كثير شهير لا يحتاج الى مزيد بيان وتقرير والله الموفق

وكم اديب عادة كالبلبل غنى * وكان اقفر من المنزل

الاعرابي قوله وكم اديب مبتدا وجملة عادة كالبلبل خبره وغنى منصوب على نزع الخافض ويحتمل وهو الاظهر انه تمييز مقدم للاختفاء الرافع في نسبة تشبيه الاديب بالبلبل اي من جهة غنائه وعلى كل حال فهو منصوب بفتحة مقدرة على الالف المحذوفة لالتقاء الساكنين قوله وكان اقفر من المنزل وافعل من اسم تفضيل من اقفر فيكون شاذا لانه انما يكون صوغه من الثلاثي فقال الجوهري وقولهم بلاد قفر وقد اقفر وما اغناه شاذ لانه يقال في فعلهما افتقر واستغنى فلا يصح التعجب منهما ه ولا ينبغي ان ما جرى في فعل التعجب يجري في اسم التفضيل كما هو معروف في محله والله تعالى اعلم ومعنى الكلام يقول كم اديب اثرى بفكره وغناه بابياته ومدائحه واستبدل الراحة والنعمة ببؤسه وضرره ومن اشتهر بل ما كانت معيشة الادباء في العصر الاول الا من جوائز الخلفاء وكانت هنا عندهم الشعر في ارفع صناعة وبضاعتهم الادبية انفق بضاعة

حتى ما كان يكون بين الشحيح وبين الغني إلا أن يكون أحدهما أوسع عذرا فإذا كان
كذلك كان أن يقدر أمثل زمانه معيشة وأوسعهم نعمة وأعظمهم رفاهية وأنكر
ما اشتمل عليه كتاب الأغاني وغيره من أخبار الخلفاء والأدباء في ذلك تقض
العجب وأنكر ما قاله صاحب القاموس في خطبة كتابه حيث قال ولعله صبابة:
من الخلفاء الحنفاء والملوك العظماء إلى آخر كلامه والله تعالى ينعشنا باشتغال
وأمثاله: ويبيد الكفر وشمله: آمين

٥ ذكر النطف والمزلوق وما قيل فيهما *

أما النطف فهو بكسر الطاء وسكون الطاء المهملة قال الميداني في مجمع الأمثال النطف
ابن الخيبري رجل من بني يربوع كان فقيرا يحمل الماء على ظهره فينطف أي يقطر
فأغار على مال بعث به باذان إلى كسرى من اليمن فأعطى منه يوما حتى غابت
الشمس فضربت العرب به المثل في كثرة المال وقال ابن نباتة اختلفت الأقوال
في النطف فبعض من لا يعرف حقيقة أمره يقول هو رجل كان يستقي الماء على ظهره
فكان ينطف أي يقطر فسمي النطف ووجد خبيئة من المال فعظم ماله وبعضهم
يقول النطف الرجل المتهم كأن الرجل الفقير يجد المال الكثير فيقصد إخفاءه
فيتهم ويكثر عليه والصحيح ما ذكره البلاذري في تاريخه أنه النطف بن خيبري
ابن حنظلة اليربوعي وفي الصحاح أنه أحد بني سليط بن الحرث بن يربوع وكان
فقيرا بالبادية مع قومه بني تميم وكان باذان عامل كسرى على اليمن يحمل أثاثا
من ثياب اليمن وذهبا ومسكا وجوهرا ويرسله إلى كسرى فأرسل في بعض السنين
عيرا تحمل شيئا كثيرا من ذلك مع خفراء من بني العنبر الأسديين فلما توسطوا
بلاد بني يربوع أغاروا عليها وقتلوا قريبا من خفراء العرب وأساورة الفرس
وكان ممن فعل ذلك ناجية بن عقال جد الفرزدق وعتيبة بن الحرث بن شهاب
وقعنب بن عتاب الرياحي والنطف بن خيبري وغيرهم من فرسان بني تميم فنهبوا
تلك الأموال فحصل النطف من ذلك على شيء كثير من جملته خرجان مملوآن
ذهبا معلا بالجواهر النفيسة فبات غنيا منتقما فلا نزور وضرب المثل بما أصابه
فقيل أغنى من كنز النطف وقيل لمن كان عنده كنز النطف قد غنى وقيل إنه
جلس يوما معه وعلى الفقراء من قومه منذ طلعت الشمس إلى أن غابت وفي ذلك

يقول بعضهم والدار

اذا النيكف اخبار المستزاد ۝ غريب في السماع عنده والمعاني

وما ثنا النيكف حتى انتهى بغداد من حين العرب والعجم حروب طويلة اكثرها

بسببه من ذلك يوم الصفقة الذي قتلت فيه بنو تميم بالمشقر ويعرف بيوم المشقر

من ايام العرب ولما المنذر وقع بجمع الأقيال فقلبهم اقبلت من ابن المنذر يزود بالدار ل

والدال ومعه رجل من عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ثم بكر تمر بيت الليلة وكان

ابوه واخراده لا يعرفون بالفقر والافلاس وفيه يقول الشاعر

فإنك إن ترجو تميما ونفعها ۝ كراجي الندى والعرف عند المذلق

وكم عربي جاءنا بفضله ۝ عن سيرة العرب التي ننكسي

وقد تمثل به وكان من ۝ اصحابه يشمعد في المجلس

الاعراب فقوله وكم عربي مبتدأ وجملة جاءنا بفضله خبره والمراد

بالسير النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عن العرب التي ينكو مقتبس من قول الله

تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وكلام المقيم من الآية الكريمة

ينكم في محله وقوله في المجلس بفتح القاف وكسرها جمع حلقة وهم القوم يجتمعون

مستديرين في خير علم ونحوه وكذلك كانت حال الصحابة مع النبي صلى الله

عليه وسلم وهذا في الاعراب واضح **معنى الكلام** اما قوله وكم عربي

جاءنا بفضله فمن ذلك ما في البخاري عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة وشبيه منه في كلام الناس نعمة

الله وفي ابي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي

صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من

البيان سحرا وان من الشعر حكما وفي تفسير الخازن قالت عائشة رضي الله

عنها الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال

الشعبي رحمه الله كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر

منهما وروي عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر ويستنشده في المسجد فيروى

انه دعا عمر بن ابي ربيعة المخزومي فاستنشده قصيدته التي يقول فيها

أمن آل نعم انت غاد فمبكر ۝ غداة غد ام رائح فمهجر

بانشاده اياها في اواخرها وهو قريب من تسعين بيتا ثم اعادها ابن عباس
رضي الله عنهم عن ظهر قلبه وكان قد حفظها بمرة وفي زهر الاكم للشيخ اليوسي رحمه
الله وكانت عائشة رضي الله عنها وابن عباس وغيرهم من رواية الشعر
بالمحل الذي لا يدرك حتى حكي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت رويت
للبيد اثني عشر الف بيت خلاف ما رويت لغيره وكذا غير هؤلاء من الصحابة
رضوان الله عليهم وما من اهل البيت النبوي الا من قال الشعر غير النبي صلى الله
عليه وسلم وقد ذكر المعتنون بهذا الشان ما ثبت عن كل واحد منهم من الشعر واعلم
ان كلام العرب نوعان منثور ومنظوم وكان في اصله كله منثورا فلما احتاجت
العرب الى ذكر ايامها ووقائعها وتخليد مكارمها ومآثرها توهموا اعاريض الشعر
واوزانه وفعلوه ذلك لذلك وعونا على حفظ ما ذكروا فيه لسهولته على
الطبع وميله اليه دون المنثور ومن ثم يقال ان ما تكلمت به العرب من جيد
المنثور اكثر مما تكلمت به من المنظوم ومع ذلك لم يحفظ من المنثور عشره
ولم يضع من المنظوم عشره فكان للشعر بهذا فضل على النثر زيادة على ما ورد
في فضله من الاحاديث والاثار التي ذكرنا بعضها انفا والقول الفصل في هذا كله
ان الشعر كلام كالنثر فكل ما يستقبح في النثر يستقبح في الشعر بل ذكر الشيخ
اليوسي وغيره ان الشعر قد حسنت فيه اشياء لم تحسن في النثر وذلك مما
يفضله به الادباء منها الكذب ابن رفع الاجماع على حرمته وانه جائز في
الشعر ان كان في المبالغة والا ففيه تفصيل مذكور في علم البيان وافضل
الامور الصدور وما في منه ومنها تزكية الانسان نفسه ومدحه اياها
ومدح الانسان بحضرته ومدح الخمر وما بها من الخمر والنساء الاجانب ونحو ذلك
ومنها خطاب الممدوح مثلا باسمه وبكاف الخطاب مما يكون في النثر استخفافا
ونحو هذا وقصيدة كعب بن زهير متكفلة باكثرها وقد انشدها بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه بل اثابه عليها كما سياتي ان شاء الله
واما قوله وقد تمثل به ففي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد *
الا كل شيء ما خلا الله باطل * وفيهما عن جندب بن عبد الله البجلي رضي

الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يمشي إذ أصابه حجر فعثر
فدميت إصبعه فقال *
هل أنت إلا إصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت
قال القسطلاني ذا الصحيح أنه يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتمثل بالشعر
وينشده حاكيا له عن غيره * وفي تفسير الخازن عن عائشة رضي الله عنها
أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت طرفة *
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود
فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس
هكذا يا رسول الله فقال إني لست بشاعر ولا ينبغي لي وفيه عن الحسن
رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت *
كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال أبو بكر رضي الله عنه يا نبي
الله إنما قال الشاعر * كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا *
أشهد أنك كما قال الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال العلامة
الخازن رحمه الله هذا حديث مرسل وأما قوله وكان من أهم ما به يسمعه في
الحكم فمعلوم بأنه صلى الله عليه وسلم كان يسمعه من شعر أبي حسان
ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير وغيرهم وكان
يسمعه من شعر أهل العرب الذين كانوا يفدون عليه وربما أثابهم على ذلك
أو استحسنه منهم أو استزاده منه فيقول إيه إذا كان فيه حكمة أو موعظة
أو غيرهما مما يجوز شرعا وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم
دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول
خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله
فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله
تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي فيهم
أسرع من وقع النبل أخرجه الترمذي والنسائي وأخرج مسلم عن عمرو بن الشريد
عن أبيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك

من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت نعم، قال هيه، فأنشدته بيتا فقال هيه، ثم أنشدته بيتا فقال هيه، ثم أنشدته مائة بيت. زاد في رواية فقال صلى الله عليه وسلم لقد كاد يسلم في شعره. وفي الإحياء قالت عائشة رضي الله عنها كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم. قال ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم، وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ، فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة. **قلت** ومذهب الغزالي رحمه الله الاستدلال على إباحة سماع الغناء واستعماله وفيه خلاف شهير، وهو أخص مما نحن فيه من مجرد قول الشعر واستماعه والله أعلم

(ومن بنى المنبر لابن ثابت * فكان للإنشاد فيه ينفي
الأعراب)

قوله ومن بنى المنبر؟ فاعل بنى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم، ومعناه هنا نصب، وابن ثابت يأتي ذكره، وجملة ينفي آخر البيت خبر كان، وللإنشاد وفيه يتعلقان به، ويحتمل أن يكون فيه متعلقا بالإنشاد، وفي بمعنى على، والله أعلم.

ذكر حسان رضي الله عنه ومنافحته عن النبي صلى الله عليه وسلم

هو أبو الوليد وقيل أبو الحسام حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري الأنصاري رضي الله عنه، وأمه الفريعة بنت خالد الخزرجية، كان يقال له شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن عائشة رضي الله عنها أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان والله كما قال فيه شاعره حسان ابن ثابت

متى يبد في الداج البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد * نظام لحق أو نكال لملحد

وروى ابن عبد البر عن جماعة من السلف أن الذين كانوا يهجون رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب وعمرو بن العاصي وضرار بن الخطاب وكلهم أسلم فقال قائل
لعلي رضي الله عنه اكفنا القوم الذين يهجوننا فقال إن أذن لي النبي
صلى الله عليه وسلم فعلت فقالوا يا رسول الله ائذن له فقال النبي صلى
الله عليه وسلم إن عليا ليس هنالك ثم قال ما يمنع القوم الذين
نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم
فقال حسان أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال والله ما يسرني به مقول
بين بصرى وصنعاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهجوهم وأنا
منهم وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي قال والله لأسلنك منهم كما
تسل الشعرة من العجين فقال له ائت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك
فكان يمضي إلى أبي بكر ليوقفه على أنسابهم ويقول كف عن فلانة وفلانة
واذكر فلانة وفلانة فجعل حسان يهجوهم فلما سمعت قريش شعر حسان
قالت إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة فمن شعر حسان في أبي سفيان
ابن الحارث رحم الله جميعهم

وإن سنام المجد من آل هاشم ... بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منهم ... كرام ولم يقرب عجائزك المجد
ولست كعباس ولا كابن أمه ... ولكن لئيم لا ينور له زند
وإن امرأ كانت سمية أمه ... وسمراء مغلوب إذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط في آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

قال ابن عبد البر يعني بقوله بنت مخزوم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران
ابن مخزوم وهي أم أبي طالب وعبد الله والزبير بني عبد المطلب وقوله ومن
ولدت أبناء زهرة منهم يعني حمزة وصفية أمهما هالة بنت وهيب بن عبد مناف
ابن زهرة والعباس وابن أمه شقيقه ضرار بن عبد المطلب أمهما نتيلة امرأة
من النمر بن قاسط وسمية أم أبي سفيان وسمراء أم أبيه ه وروى مسلم عن
عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فإنه أشد عليها
من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل

إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد
آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه
فقال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لي فيهم نسبا حتى
يلخص لك نسبي فأتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد لخص لي نسبك
والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال
يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى قال حسان يجيب أبا سفيان بن الحارث

هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا ... أمين الله شيمته الوفاء
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول لحسان اهجهم يعني المشركين وروح القدس معك وأنه صلى الله عليه
وسلم قال لحسان اللهم أيده بروح القدس لمنافحته عن المسلمين وأخرج
ابن عساكر وأبو الفرج في الأغاني عن بريدة قال أعان جبريل حسان بن
ثابت عند مدحه النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا وأخرج أبو داود
والترمذي وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما
يفاخر أو قالت ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول إن الله
ليؤيد حسان بروح القدس وفي الصحيحين وغيرهما أن عمر رضي الله عنه
مر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فأنكر عليه
فقال كنت أنشد فيه من هو خير منك ثم التفت إلى أبي هريرة فقال أنشدك

الله اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اجب عني اللهم ايده بروح
القدس فقال اللهم نعم. وعن ابي عبيدة قال فضل حسان الشعراء بثلاث كان
شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة وفي
وشاعر اليمن كلها في الاسلام وقد اتفقت العرب على ان اشعر اهل المدر
اهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف وان اشعر اهل يثرب حسان بن ثابت وذكر
المبرد في الكامل ان عبد الرحمن بن حسان لدغه زنبور فجاء اباه يبكي فقال له
ما لك فقال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فقال ابوه قلت
الشعر والله يا بني ثم قال ابو عبيدة واعرق قوم في الشعر آل حسان فانهم
كانوا يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت
ابن المنذر بن حرام. وقيل لحسان لان شعرك في الاسلام فقال للقائل يا ابن اخي
ان الاسلام يحجز عن الكذب وان الشعر يزينه الكذب. قال ابن عبد البر يعني
ان شأن التجويد في الشعر الافراط في الوصف والتزيين بغير الحق وذلك كله كذب
وعاش حسان مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام قال
ابن منده وابن سعد وكذلك عاش ابوه وجده وابو جده ولم يعرف في العرب
اربعة تناسلوا من صلب واحد اتفقت مدة اعمارهم مائة وعشرين سنة غيرهم
قال في ربيع الابرار وتشبه عندنا ان لسانه كان يصل الى جبهته ونحو ذلك وكذلك
كان ابوه وجده وابنه عبد الرحمن نقله العلامة الزرقاني في شرح المواهب
والذي عند غيره انهم كانوا يعدون بالسنين ازمنة انوعهم والله اعلم
وتوفي حسان رضي الله عنه سنة خمسين وقيل سنة اربع وخمسين والله اعلم

(وقال ابن ابراهيم في فرضه ٥ وفيه للزبير قال الاصمعي
مقالة خصمها بقوله ٥ ان من الشعر لحكمة نفسي)

اللغة قوله لما سموا اي علوا وقد سمونا اي علونا وكذا اذا ارتفعوا
سموا اي علو المنزلة والله اعلم. الاعراب فاعل قال اهجو النبي صلى الله
عليه وسلم وحذف العلم معروف ولكن بما ينشد زيد كل من مدح وذم واللام فيه
معنوية للقابل بما فيه واضح ولا يخفى حسن بديع التنكير وتكرير ما بينهما
لا سيما الثالثة منهما والله اعلم ٥

ذكر ابن الأهتم والزبرقان وما جرى بينهما عند النبي صلى الله عليه وسلم

أما ابن الأهتم فهو أبو ربعي عمرو بن الأهتم بن خالد ويقال الأهتم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي المنقري واسم الأهتم سنان من ولد سنان وإنما قيل له الأهتم لأن قيس بن عاصم المنقري ضربه بقوس فهتم ثناياه وقيل بل هتمت يوم الكلاب وكان عمرو من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام وكان بليغ القول حلو العبارة جميلا يدعى المكحل لجماله ويقال إن شعره كان حللا منشرة ومن قوله

وكل كريم يتقي الذم بالقرى * وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وأما الزبرقان فهو أبو شذرة الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي البهدلي أحد سادات بني تميم وشعرائهم المشهورين وإنما سمي الزبرقان لحسنه والزبرقان بالكسر من أسماء القمر وقيل لأنه لبس عمامة مزبرقة بالزعفران وفيه يقول رجل من النمر بن قاسط

تقول حليلتي لما اشتكينا * سيدركنا بنو القرم الهجان
سيدركنا بنو القمر بن بدر * سراج الليل للشمس الحصان
فقلت ادعي وأدعو إن أندى * لصوت أن ينادي داعيان
فمن يك سائلا عني فإني * أنا النمري جار الزبرقان

قال ابن عبد البر وفد عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر على النبي صلى الله عليه وسلم وابن بدر وجلة قومهما من بني تميم فأسلموا وذلك في سنة تسع من الهجرة وروى الشعبي وغيره عن ابن عباس قال جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ففخر الزبرقان فقال يا رسول الله أنا سيد بني تميم والمطاع فيهم والمجاب لديهم أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الأهتم فقال

عمرو

عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أذنيه فقال الزبرقان
والله لقد علم مني أكثر مما قال وما منعه الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك
فوالله إنك للئيم الخال حديث المال أحمق الوالد مضيع في العشيرة. والله
يا رسول الله لقد صدقت في الأولى وما كذبت في الأخرى لكني رجل إذا رضيت قلت
أحسن ما علمت وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ولقد صدقت في الأولى والأخرى
جميعا فقال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وأخرج الطبراني عن أبي
بكرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقدم عليه وفد تميم فذكر نحوه
وذكر القصة الميداني وابن هشام وغيرهم بألفاظ متقاربة ولم يذكروا أنه
صلى الله عليه وسلم قال في آخرها إن من الشعر لحكمة كما عند الناظم مع أنه
لا يلائم سببا والقصة إذ لم يكن ما صدر من ابن الأهتم شعرا حتى يقول صلى الله
عليه وسلم إن من الشعر لحكمة نعم ذكر التبريزي في صدر شرح الحماسة عن
عبد الله بن محمد عن أبيه قال وفد العلاء بن الحضرمي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له أتقرأ من القرآن شيئا قال نعم فقرأ عبس وتولى ثم قال
هل تقول من الشعر شيئا قال نعم قال أنشدني فأنشده شعرا ه

حي ذوي الأضغان تسب قلوبهم … تحيتك القصوى فقد يرفع النغل
وإن دحسوا بالكره فاعف تكرما … وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسل
فإن الذي يؤذيك منه سماعه … وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكما وإن من البيان لسحرا وقوله
فقد يرفع النغل بالتحريك أي قد يصلح الفساد وقوله وإن دحسوا الدحس
كالدس الشيء على كره وأصله أن يدخل الرجل يده بين جلد الشاة وصفاقها
ليسلخها ويعبر بالإفساد أيضا ومعنى البيت أنهم إذا أخلوا في حديث
فاصفح عنهم ولا تتغير وإن قطعوا عنك الحديث فلا تسألهم عن سببه فتقطعه
وروى أبو داود في سننه عن ابن عباس قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان
سحرا وإن من الشعر حكما وأخرج البخاري وأبو داود وابن ماجه في الأدب
عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من الشعر

حكمة اي قولا صادقا مطابقا للحق وقيل اي كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه
ونحو معنى قول الناظم تقي اي تمنعكم من الجهل والسفه قال العلامة القسطلاني في
واذا كان في الشعر حكمة كالمواعظ والامثال التي تنفع الناس يجوز انشاده
بلا ريب واختلف العلماء في معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا
على وجهين احدهما انه ورد مورد الذم فشبهه بعمل السحر لغلبته على القلوب
وتزيينه الباطل وتحسينه القبيح وتقبيحه الحسن ويكتسب به صاحبه من
الاثم ما يكتسبه الساحر بعمله كما قال صلى الله عليه وسلم ولعل بعضكم ان يكون
الحن بحجته من بعض فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من
النار وثانيهما انه ورد مورد المدح بمعنى انه تمال به القلوب ويسترضى به
الساخط ويستنزل به الصعب قال الشيخ اليوسي رحمه الله ويشهد لهذا
قوله في نفس الحديث وان من الشعر لحكمة هذا قول اكثر اهل العلم والاول ذهب
لان الحكمة تعلو مدح البيان وهو شامل للشعر والنثر وقال عمر بن عبد العزيز
لرجل سأله حاجة فاحسن في سؤاله هذا والله السحر الحلال وقضى حاجته
وفي المغني قيل

في زخرف القول تزيين لباطله ۞ والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه ۞ وان تعب قلت ذا قيء الزنابير
مدح وذم وذات الشيء واحدة ۞ سحر البيان يري الظلماء كالنور

وحكى العسكري قال وفد الاحنف بن قيس وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فاراد ان يفرق بينهما في الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم
قال الاحنف وهي معدودة له من سقطاته

نوى مدح عمرو عن قومه كيد ما نوى ۞ فلما اتانا قال قوموا فبايعوا

فقال عمرو انا كنا نحن وانتم في دار جاهلية وكان الفضل فيها لمن جهل فسفكنا
دماءكم وسبينا نساءكم ونحن اليوم في دار الاسلام والفضل فيها لمن حلم
فغفر الله لنا ولكم فغلب يومئذ عمرو على الاحنف ووقعت الفرقة الالي
امتم فقال عمرو

وكادت عشي للرياسة بيننا ۞ لدن يجلس الاحمر به النجم باديا

شردت لها أذني وقد كنت قبلها * لأمثالها قدما أشد إزاريا

وكان رحمه الله يقول اسمع الناس مرة حفله بعلمه ويقوم من النفع الذين
حرموا الخمر في الجاهلية مثل قيس بن عاصم المنقري وتوفي عمرو بن الأهتم سنة
سبع وخمسين والله أعلم ۵ ۵

لو عندما سمع من قتيلة ۵ رثى قتيلها الذي لم يعتق
زد لها سلبه وقد بكى ۵ شفقة برفعه المتكلف

الاغراب قوله وعندما سمع في عندكم وهو متعلق برد أول البيت بعده وما
سمع من قول احزمي في عند سماعه من قتيلة بالتصغير يأتي خبرها قوله رثى
قتيلها مصدر رثى الميت يرثيه ويرثوه إذا بكاه وعدد محاسنه والاكثر أن
يكون بالياء وجملة قوله وقد بكى حال من قا بل رد وشفقة مفعول له خلته وباقيه
واضح وبين قتيلة وقتيل جناس اشتقاق والله أعلم ۵

ذكر قتيلة رضي الله عنها وبكاء النبي صلى الله عليه وسلم من شعرها

۵ هي قتيلة بنت النضر بن الحرث بن علقمة بن
كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وكان من خبرها أن النضر بن الحرث كان
شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يؤذيه بمكة فلما كانت
وقعة بدر وأسر المسلمون بها جماعة كثيرة من كفار قريش كان من جملتهم عقبة
ابن أبي معيط والنضر بن الحرث فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهما
من بين الاسرى وقتل النضر بالصفراء والنبي صلى الله عليه وسلم قافل إلى
المدينة وكان الذي تولى قتله علي بن أبي طالب فبلغ ذلك قتيلة وهي أخته
في قول ابن هشام وتبعه جمع منهم النووي واليعمري وبنته في قول الزبير بن
بكار وتبعه ابن عبد البر والجوهري والزمخشري وغيرهم قال السهيلي وهو الصحيح
فقالت ۵ يا راكبا إن الأثيل مظنة ۵ من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتا بأن تحية * ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليه وعبرة مسفوحة ۵ جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر إن ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ۵ لله أرحام هناك تشقق

صبرا يقاد إلى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد يا خير ضنء كريمة ... في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن ... بأعز ما يغلو لديك وينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق

قال ابن عبد البر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بكى حتى اخضلت الدموع لحيته وقال لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه ذكر هذا الخبر عبد الله بن إدريس في حديثه وذكره الزبير فقال فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دمعت عيناه وقال لأبي بكر يا أبا بكر لو كنت سمعت شعرها ما قتلت أباها قال أبو الفرج الأصبهاني فقال إن شعرها هذا أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه قال ابن المنير وليس معنى كلامه صلى الله عليه وسلم الندم لأنه لا يقول ولا يفعل إلا حقا والحق لا يندم على فعله ولكن معناه أن لو شفعت عندي بهذا القول لقبلت شفاعتها فيه تنبيه على جواز الشفاعة عنه والأمر إليه ولا سيما للاستعطاف بالشعر فإن مكارم الأخلاق و تقتضي إجازة الشاعر وتبليغه قصده والأثيل بالمثلثة مصغرا موضع والضنء بالفتح والكسر الولد وقولها أقرب من أسرت أي من أقرب بعض ولا بعد كان في الأسرى ومن هو أقرب منه كالعباس وعقيل وغيرهما قال الدواقي أسلمت قتيلة يوم الفتح قال الزبير وكانت تحت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر رحمه الله هذا وكل من في شعرها وقفنا عليه من كتب الحديث والسير ما ذكره الناظم رحمه الله من أن النبي صلى الله عليه وسلم رد لقتيلة سلب أبيها فالله أعلم

(وقد حبا كعبا غداة مدحه ... ببردة ومائة من أينق)

الإعراب فاعل حبا ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والفعل عن واو وغداة مدحه ظرف متعلق به والبردة بالضم كساء صغير مربع ويقال كساء أسود صغير وباقيه واضح

ذكر كعب ومدحه النبي صلى الله عليه وسلم والسبب في ذلك

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى بضم السين واسمه ربيعة بن رياح بكسر الراء وياء

تحتية

تحية المزني الشاعر ابن الشاعر كان ابوه زهير من فحول الشعراء وكان عمر رضي الله عنه لا يقدم عليه احدا ويقول اشعر الناس الذي يقول ومن ومن يشير الى قوله في معلقته المشهورة

ه ه

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لم يزل يستحمل الناس نفسه ... ولا يغنها يوما من الدهر يسأم
ومن يغترر يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

وكان كعب من فحول الشعراء ايضا قال له الحطيئة يوما يا كعب قد علمت روايتي لكم وانقطاعي الى بيتكم وقد ذهب الفحول غيري وغيرك فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك وتضعني موضعا بعدك فان الناس لشعركم اروى واليها اسرع ففعل كعب وكان ابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة كلاهما من الفحول ايضا وكان من خبره فيما روى ابن اسحاق وعبد الملك بن هشام وابو بكر الانباري دخل حديث بعضهم في بعض ان كعبا وبجيرا ابني زهير خرجا الى ابرق العزاف فقال بجير لكعب اثبت هنا في الغنم حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فآمن به وذلك ان زهيرا فيما زعموا كان يجالس اهل الكتاب فسمع منهم انه قد آن مبعثه عليه الصلاة والسلام ورأى زهير في منامه انه قد مد سبب من السماء وانه قد مد يده ليتناوله ففاته فأوله بالنبي الذي يبعث في آخر الزمان وانه لا يدركه واخبر بنيه بذلك واوصاهم ان ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يسلموا ولما اتصل خبر اسلام بجير باخيه كعب اغضبه ذلك فقال

الا بلغا عني بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية ... فانهلك المأمون منها وعلكا
ففارقت اسباب الهدى واتبعته ... على اي شيء ويب غيرك دلكا
على مذهب لم تلف اما ولا ابا ... عليه ولم تعرف عليه اخا لكا
فان انت لم تفعل فلست باسف ... ولا قائل اما عثرت لعا لكا

وارسل بها الى بجير فلما وقف عليها اخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما سمع صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمور قال مأمون والله
وكانوا يسمون رسول الله صلى الله عليه وسلم المأمون والأمين وعند ابن هشام
المأمور بالراء بدل المأمون وبها سمع صلى الله عليه وسلم قوله على مذهب
لم تلف أما البيت قال أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم إن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله وذلك عند انصرافه صلى
الله عليه وسلم من الطائف سنة ثمان فكتب إليه أخوه بجير بهذه الأبيات

من مبلغ كعبا فهل لك في التي * تلوم عليها باطلا وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه * ودين أبي سلمى علي محرم

وكتب بعد هذه الأبيات إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمك
وأنه قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وأن من بقي من شعراء قريش كابن
الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه وما أحسبك ناجيا فإن كان لك في
نفسك حاجة فطر إليه فإنه يقبل من أتاه تائبا وإن كنت لم تفعل فانج إلى
نجائك من الأرض فلما بلغ كعبا الكتاب أتى مزينة ليجيروه من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأبوا ذلك عليه فضاقت عليه الأرض وأشفق على نفسه
وأرجف به من كان في حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول فلما لم يجد من شيء بدا
قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وإرجاف
الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جهينة كانت
بينه وبينه معرفة فغدا به إلى المسجد وأشار له إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين صلى الصبح فقال هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه فقام كعب
حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وكان صلى الله
عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاءك ليستأمن منك
على نفسه تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به قال نعم قال أنا
يا رسول الله كعب بن زهير فقال صلى الله عليه وسلم الذي تقول ما تقول ثم أقبل على
أبي بكر فاستنشده الشعر فأنشده أبو بكر رضي الله عنه * سقاك بها المأمور

كأسا روية * بالراح وكانت العرب تسمي من تابعه المجوز مأمورا فقال كعب
لم أقل ما كذا وإنما قلت *

سقاكا أبو بكر بكأس روية * فأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم مأمون والله فقال ابن إسحاق ووثب عليه رجل من الأنصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا قال فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ثم أنشد قصيدته اللامية التي أولها *

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ** متيم إثرها لم يفد مكبول
وفيها أنبئت أن رسول الله أوعدني ** والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ ** ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم ** أذنب وإن كثرت في الأقاويل إلى
أن قال * إن الرسول لسيف يستضاء به ** مهند من سيوف الله مسلول

قال في الروض ويروى أنه لما قال هذا البيت نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من حضره كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر * ويروى أيضا أن كعبا أنشده من سيوف الهند فقال صلى الله عليه وسلم من سيوف الله * وحكى ابن الأنباري أنه لما وصل إلى قوله إن الرسول لسيف البيت رمى إليه عليه الصلاة والسلام ببردة كانت عليه وأن معاوية بذل فيها لكعب عشرة آلاف درهم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألف درهم فأخذها منهم قال وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم يعني الخلفاء قال السهيلي ولا جودة لهما أنا والكلام إنما يقرن في رفعة الستار ولما خص كعب العصبة مدح قريشا وعرض بالأنصار فقال *

في فتية من قريش قال قائلهم ** ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف ** عند اللقاء ولا ميل معازيل
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ** ضرب إذا عرد السود التنابيل

يعني الأنصار فقال عبد الملك بن هشام فيقال إن النبي صلى الله عليه وسلم
قال له بعد ذلك ألا ذكرت الأنصار بخير فإن الأنصار لذلك أهل فقال

من سره كرم الحياة فلا يزل ... في مقنب من صالحي الأنصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر ... إن الخيار هم بنو الأخيار

في أبيات أخر مشهورة لطيفة نقل غير واحد عن ابن سيد في طبقات الشعراء
أن بردة الأصمعية كان يحفظ تسعمائة قصيدة أول كل منها بانت سعاد
ومما ذكره الناظم من أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى كعبا مائة من الإبل
لم يذكر ذلك عند غيره ولما منع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الشعراء
وكان فيهم ذا عزم قال له

فقبلك ما أعطى الهنيدة جلة ... على الشعر كعبا من سديس وبازل
رسول الإله المستضاء بنوره ... عليه السلام بالضحى والأصائل

ولما ذكر أبو جعفر الباجي ومن ابن عامر الخير بن قصيدة كعب هذه قال أول نصه
وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ، والحكم الذي لم يرجه له ناسخ، أنشدها
كعب في مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه، وتوسل بها من حال إلى العفو
عن عقابه، فسر صلى الله عليه وسلم خلته، وخلع عليه حلته، وكف
عنه كف من أراده، وأبلغه في نفسه وأهله مراده، وذلك بعد إهدار
دمه، وما سبق من هذر كلمه، فمحت حسناتها تلك الذنوب، وسترت محاسنها
وجه تلك العيوب، ولولا ما تضمنه المدح والغزل ووقع من أخذ الجوائز
على الشعر الأول لما مضى عنه الشعراء فيما سلكوه، ولا داموا فيما ملكوه.
حدثني بعض شيوخنا بالإسكندرية بإسناده أن بعض العلماء كان لا يستفتح
مجلسه إلا بقصيدة كعب فقيل له في ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله قصيدة كعب أنشدها بين يديك قال نعم وأنا
أحبها وأحب من يحبها قال فعاهدت الله أن لا أخلو من قراءتها كل يوم
قلت ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها
ويقتفون بأقوالها، تبركا بمن أنشدت بين يديه، ونسبت من حسنها إليه، ولما
قال الناصح محي الدين بن عبد الظاهر قصيدته في مدح النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم على ورود باسم سعاد فقال

لقد قال كعب في النبي قصيدة ... وقلنا عسى في مدحه نتشارك
فإن شملتنا بالجوائز رحمة ... كرحمة كعب فهو كعب مبارك

ولأبي إسحاق الغزي من قصيدة

جحود فضيلة الشعراء غيّ ... وتفضيل المديح من الرشاد
فحقّ بانت سعاد ذنوب كعب ... وأعلت كعبه في كل ناد
وقد افتتح النبيّ أبي قصير ... مشببة ببين من سعاد
ولا كرسيّ للشعراء حكما ... وكان إلى المكارم خير هاد

(وبشر الجعدي وابن ثابت ٥ بجنة جزاء شعر عشنوي) الأعراب فاعل بشر ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والجعدي وعطفه مفعوله وبجنة يتعلق ببشر وجزاء شعر مفعول له والعشنوي كغضنفر التلاغ الجسر والله أعلم

ذكر الجعدي وابن ثابت وتبشير النبي صلى الله عليه وسلم لهما بالجنة

أما الجعدي فهو أبو ليلى النابغة واختلف في اسمه فقيل حبان وقيل قيس ابن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الجعدي وإنما قيل له النابغة فيما يقولون لأنه قال الشعر في الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه بعد فقاله فسمي النابغة قالوا وكان شاعرا مجيدا قديما طويل البقاء في الجاهلية والإسلام قالوا وهو أسن من النابغة الذبياني واستدلوا على ذلك بأن الذبياني كان من ندماء النعمان بن المنذر وكان النعمان بن المنذر بعد المنذر ابن محرق وقد أدرك النابغة الجعدي المنذر بن محرق ونادمه وفي ذلك يقول من قصيدة له طويلة طنانة تشتمل على نحو مائة بيت

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى ... ومن حاجة المحزون أن يتذكرا
نداماي عند المنذر بن محرق ... أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا

قال ابن قتيبة عمر النابغة الجعدي مائتين وعشرين سنة ومات بأصبهان قالوا وهذا لا ينكر لأنه قال لعمر رضي الله عنه إنه أفنى ثلاثة قرون

كان قد عاش ستين سنة بعد المائة وثمانين ثم عمر الى زمان ابن الزبير فوفد عليه
فاستماحه ومدحه ثم تاخر عمره الى ان هاجى اوس بن مغراء بحضرة الاخطل
والعجاج وليلى الأخيلية وغيرهم وكان يذكر في الجاهلية دين ابراهيم
والحنيفية ويصوم ويستغفر فيما ذكروه وانكر الخمر والميسر والأزلام والأوثان
وقال في الجاهلية كلمته التي اولها

الحمد لله لا شريك له ۞ من لم يقلها فنفسه ظلما

وفيها ضروب من دلائل التوحيد والاقرار بالبعث والجنة والنار وصفة
بعض ذلك على نحو شعر امية بن ابي الصلت وقد قيل انها لأمية وقد صحح
جماعة من الرواة انها للنابغة قال ابن عبد البر ووفد النابغة الجعدي
على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما وانشده فدعا له النبي صلى الله
عليه وسلم وكان من اول ما انشده قوله من قصيدته الرائية التي اولها
الحرب عنا ماذا اتقا

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى ۞ ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

وعنه رضي الله عنه قال انشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشدته قوله

وانا لقوم ما نعود خيلنا ۞ اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع الوان خيلنا ۞ من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
وليس بمعروف لنا ان نردها ۞ صحاحا ولا مستنكرا ان تعقرا
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ۞ وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى فقلت الى الجنة فقال نعم
ان شاء الله فانشدته قوله

ولا خير في حلم اذا لم يكن له ۞ بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له ۞ حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجدت لا يفضض الله فاك قال الراوي
فكان من احسن الناس ثغرا وكان كلما سقطت له سن نبتت له اخرى قال
ابن عبد البر وقصيدته الفخرية من احسن ما قيل من الشعر في الفخر بالشجاعة سباكة
ونقاوة وجزالة وحلاوة قال واسلم النابغة وحسن اسلامه وكان يرد

صلى الخلفاء وردة على عمر ثم على عثمان وورده أيضا على ابن الزبير كما هو في
الاستيعاب وأما ابن ثابت فهو حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه
وقد تقدمت ترجمته وأما تبشير النبي صلى الله عليه وسلم له بالجنة فقد
ذكره رواة الأخبار من أن حسان رضي الله عنه لما انتصر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم في قصيدته الهمزية التي أجاب فيها أبا سفيان بن الحارث وأتى
فيها إلى قوله

هجوت محمدا وأجبت عنه ۞ وعند الله في ذاك الجزاء

قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاؤك الجنة يا حسان فلما قال

أتهجوه ولست له بكفء ۞ فشركما لخيركما الفداء

قال كل من حضر هذا أنصف بيت قالته العرب فلما قال

فإن أبي ووالده وعرضي ۞ لعرض محمد منكم وقاء

قال له النبي صلى الله عليه وسلم وقاك الله حر النار يا حسان وفي
الاستيعاب لابن عبد البر أن امرأتين من قريش كانتا مع عائشة رضي الله
عنها في الطواف فتذاكرتا حسانا فابتدرتاه بالسب فقالت عائشة أابن
الفريعة تسبان إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه عن النبي صلى الله
عليه وسلم بلسانه أليس القائل ۞ هجوت محمدا وأجبت عنه ۞ إلخ
وفيه أيضا في ترجمة عائشة ما نصه روي أن حسانا استأذن على عائشة
رضي الله عنها بعدما كف بصره فأذنت له فدخل عليها فأكرمته فلما
خرج عنها قيل لها هذا من القوم فقالت أليس الذي يقول ۞ فإن أبي ووالده
وعرضي ۞ هذا البيت يغفر له كل ذنب وروى أبو نعيم وابن عساكر عن عروة
أن حسانا ذكر عند عائشة فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ذاك حاجز بيننا وبين المنافقين لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق
رضي الله عنه ونفعنا بمحبته آمين ۞

وكم خامل سما به إلى العلا ۞ بيت مديح من بليغ مدلي
مثل بني الأنف ومثل هرم ۞ وكان لم يعرف بالمجملي

الإعراب قوله كم خامل مبتدأ وجملة سما به خبره والشموخ العلو

ونشأ قريع بها على تميما وذليق بفتح الذال المعجمة وكسر اللام ككتف يقال خطيب ذلق وذليق إذا فصيح من اللسان وبيانه واضح ٥

ذكر بني الأنف وهرم والمحلق وسبب ارتفاعهم بالشعر ٥

أما بنو الأنف فهم بنو أنف الناقة وأنف الناقة لقب جعفر بن قريع بالتصغير ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وسبب جريان هذا اللقب عليه أن أباه قريعا نحر ناقة فقسمها بين نسائه فبعثت جعفرا أمه وهي الشموس من بني وائل ثم من بني سعد إلى أبيه تسأله حظها من اللحم فأتى أباه ولم يبق من الناقة إلا رأسها وعنقها فقال له أبوه شأنك بهذا فأدخل جعفر يده في أنف الناقة وجعل يجره إلى أمه والناس يضحكون منه فلقبوا بأنف الناقة وكان جعفر يغضب من هذا اللقب وبقيت سبته في عقبه وكان الواحد منهم إذا سئل عن نسبه ينتسب إلى جده قريع بن عوف ويتجاوز النسبة إلى جعفر فرارا من اللقب فبقوا على ذلك إلى أن جاء الحطيئة فمدحهم وأزال عار ذلك اللقب عنهم وكان من حديثه في ذلك أن الزبرقان بن بدر التميمي المتقدم الذكر كان قد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فولاه على صدقات قومه ثم أقره على ذلك أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما فخرج في سنة مجدبة على عمر ليؤدي إليه صدقات قومه فلقيه الحطيئة بقرقرى ومعه زوجته وأولاده ذكورا وإناثا فقال له الزبرقان وقد عرفه أين تريد فقال العراق وقد حطمتنا هذه السنة قال وتصنع ماذا قال وددت أن أصادف بها رجلا يكفيني مؤونة عيالي وأصفيه مدحي أبدا فقال له الزبرقان قد أصبته فهل لك فيمن يوسعك لبنا وتمرا ويجاورك أحسن جوار وأكرمه فقال له الحطيئة هذا وأبيك العيش وما كنت أرجو هذا كله قال فقد أصبته قال وأين قال عندي قال ومن أنت قال الزبرقان بن بدر قال وأين محلك قال اركب هذه الناقة واستقبل مطلع الشمس وسل عن القمر حتى تأتي منزلي وكتب الزبرقان معه إلى زوجته أن أحسني إليه وأكثري له من التمر واللبن وهي بنت صعصعة بن ناجية المجاشعي فأكرمت المنزلة مثواه فبلغ ذلك بني شماس بن لأي بن جعفر وهو أنف الناقة بن قريع فحسدوا الزبرقان عليه ودسوا إلى الحطيئة أن تحول إلينا نعطك مائة ناقة

ونشر كل جنب من الأطناب بيته حلة نفيسة فقال وأنتم من أين ذلك فقالوا نحن
بنو بدر الشعثة فتخلف عنهم ثم دسوا إلى امرأة الزبرقان أن الزبرقان إنما قدم
هذا الشيخ أمامه ليتزوج ابنته وكانت ذات جمال فوقع ذلك في قلبها ونم
من المرأة للحطيئة جفوة وسيء مع ذلك تزاوده فلما احتمل القوم تخلف الحطيئة
عنهم فاحتمله القوم بغيض فبنوا له جانب داره ووكلوا بكل جنب من الأطناب
قبة حلة هجرية فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته فنادى في قومه
وجاء إلى بني قريع فقال ردوا علي جاري فقالوا لست له بجار وقد طرحته فاستعدى
عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحكم عمر بأن يخرج الحطيئة حتى يقعد
في موضع بين الحيين ويخلى سبيله ويكون جار أيهما شاء فجعل بعد ذلك فاختار
القوم بغيض وجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يهجو الزبرقان وهم يحضونه على
ذلك فيأبى ويقول لا ذنب للرجل عندي فكان مما مدحهم به قصيدته التي يقول فيها

قالت أمامة لا تجزع فقلت لها ... إن العزاء وإن الصبر قد غلبا
سيري أمام فإن الأكثرين حصى ... والأكرمين إذا ما ينسبون أبا
قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم ... شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

فكان هذا اللقب فخرا لهم ومدحا بعدما كان ضعة وذما فكانوا يفتخرون به
ويقولون نحن بنو أنف الناقة ثم عرض بالزبرقان ورهطه فقال

ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم ... في بائس جاء يحدو آينقا جربا
جاءت به من بلاد الطور تحمله ... حصباء لم تترك دون العصا شذبا

ثم مدحهم بقوله وهي من خير شعره

ألا طرقتنا بعدما هجعوا هند ... وقد سرن غورا واستبان لنا نجد
فإن التي نكبتها عن معاشر ... علي غضاب أن صددت كما صدوا
أتت آل شماس بن لأي وإنما ... أتاهم بها الأحلام والحسب العد
فإن الشقي من تعادي صدورهم ... وذو الجد من لانوا إليه ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها ... وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا … وإن عاهدوا أوفوا وإن عاقدوا شدّوا
وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها … وإن أنعموا لا كدّروها ولا كدّوا
وإن قال مولاهم على جلّ حادث … من الدهر ردّوا فضل أحلامكم ردّوا
مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى … بنى لهم آباؤهم وبنى الجدّ
فكيف ولم أعلمهم خذلوكم … على معظم ولا أديمكم قدّوا
فمن مبلغ أبناء سعد بأن سعى … إلى السورة العليا لهم حازم جلد
رأى مجد أقوام أضيع فحثّهم … على مجدهم لمّا رأى أنه الجدّ
وفينا وتعذلني أبناء سعد عليهم … وما قلت إلا بالذي علمت سعد

ثم قال يمدح أنف بعير وبعثت على الزبرقان ويبكته

وإني قد علقت بحبل قوم … أعانهم على الحسب الثراء
إذا نزل الشتاء بجار قوم … تجنّب جار بيتهم الشتاء
هم الآسون أمّ الرأس لمّا … تواكلها الأطبّة والإساء
ألم أك نائيا فدعوتموني … فجاءت بي المواعد والرجاء
فلمّا كنت جاركم أبيتم … وشرّ مواطن الحسب الإباء
ولمّا كنت جارهم حبوني … وفيكم كان لو شئتم حباء
فلمّا أن مدحت القوم قلتم … هجوت وهل يحلّ لي الهجاء
فلم أشتم لكم حسبا ولكن … حدوت بحيث يستمع الحداء

وقال أيضا وهي مما يهجو الزبرقان

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا … في آل لأي بن شمّاس بأكياس
ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم … في بائس جاء يحدو آخر الناس
لقد مريتكم لو أن درّتكم … يوما يجيء بها مسحي وإبساسي
لمّا بدا لي منكم غيب أنفسكم … ولم يكن لجراحي منكم آسي
أزمعت يأسا مبينا من نوالكم … ولن ترى طاردا للحرّ كالياس
جار لقوم أطالوا هون منزله … وغادروه مقيما بين أرماس
ملّوا قراه وهرّته كلابهم … وجرّحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها … واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

مر

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

ويروى الخير من بدا واستعدى الزبرقان على الحطيئة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال إنه هجاني فقال وما قال لك فقال قال لي

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة فقال الزبرقان أوما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس فقال عمر علي بحسان فجيء به فسأله فقال لم يهجه ولكن سلح عليه فأمر به عمر فجعل في قعر بئر ثم ألقى عليه شيء فجزع الحطيئة جزعا شديدا وتكلم مع عمر وقال شعرا من جملته

تحنن علي هداك المليك   فإن لكل مقام مقالا
ولا تأخذني بقول الوشاة   فإن لكل زمان رجالا
فإن كان ما زعموا صادقا   فسيقت إليك نساء رجالا

فلم يلتفت إليه عمر رضي الله عنه ثم شفع فيه عبد الرحمن بن عوف وعمرو ابن العاص وغيرهما فأخرجه فلما مثل بين يديه أنشد

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ   زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة   فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه   ألقى إليك مقاليد النهى البشر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم   بين الأباطح تغشاهم بها الغرر

فبكى عمر رضي الله عنه لقوله فقال عمرو بن العاص ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركه الحطيئة ثم أراد عمر رضي الله عنه أن يعاقب الحطيئة وكتبه عذرا عن الناس فقال علي بالكرسي فأتي به فجلس عليه ثم قال أشيروا علي في الشاعر فإنه يقول الهجو وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم ما أراني إلا قاطعا لسانه ثم قال علي بطست فأتي بها ثم قال علي بالمخصف علي بالسكين لا بل علي بالموسى فهو أوحى فقالوا لا يعود يا أمير المؤمنين وأشاروا عليه أن قل لا أعود فقال لا أعود يا أمير المؤمنين فقال له النجاء وفي رواية أن عمر رضي الله عنه قال له إياك وهجاء الناس قال إذا يموت عيالي جوعا هذا مكسبي ومنه معاشي

زغب جمع أزغب [illegible]

قال وبأيّ شيء المفزع من الغول قال وما المفزع قال أن تغنى بين الناس فتقول فلان خير من فلان وذا الفلان خير من ذا الفلان قال وأنت والله أجبن منه ثم قال لعمرو والله لولا أن تكون سنة لقطعت لسانك ولكن أكره عتب جاءت لعود خذه يا زبير فأخذ النعمان الزبير فأزجى عنقه عمامة فأفتاه له بها وعار خشية عقبها فقال النعمان يا أبا مسرور إخوتك وبنو عمك عقبة لنا بن عبة لنبي وأما هرم بن قطبة بن سنان بن أبي حارثة المري كان من سادات بني مرة بن عوف وهو المراد بقول ابن زهير رحمه الله

ولم أر زينة الدنيا التي نظمت فيا زهير بها أثني على هرم

فكان هرم شيئاً لما قلنا ولا كرامة أخوه خارجة بن سنان كان أسود منه وأشهر فلما وقع لزهير بن أبي سلمى في هرم من المدائح ما وقع أزرى ذلك بما وشهر الشعر فأزرى الخالد وارتقى عليه بل لم يكاد اليوم أخوه يذكر ومن أمداح زهير فيه قوله

بل اذكرن خير قيس كلها حسبا وخيرها نائلاً وخيرها خلقا
قال أغر أبيض فياض يفكك عن أيدي العناة وعن أعناقها الربقا
وذاك أحزمهم رأياً إذا نبأ من الحوادث غادى الناس أو طرقا
فضل الجياد على الخيل البطاء فلا يعطي بذلك ممنوناً ولا نزقا
قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا
إن تلق يوماً على علاته هرماً تلق السماحة منه والندى خلقا
وليس مانع ذي قربى وذي رحم يوماً ولا معدماً من خابط ورقا

وقال أيضاً فيه

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ ـكن الجواد على علاته هرم
هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فيظّلم
وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
قال فضله فوق أقوام ومجّده ما لم ينالوا وإن جادوا وإن كرموا
قود الجياد وإصهار الملوك وصبـ ـر في مواطن لو كانوا بها سئموا
ومن ضريبته التقوى ويعصمه من سيء العثرات الله والرحم

مورث المجد لا يغتال همته … عن الرياسة لا عجز ولا سأم
كالهندواني لا يخزيك مشهده … وسط السيوف إذا ما تضرب البهم

وقال أيضا يمدح حصن بن حذيفة بن بدر

وأبيض فياض يداه غمامة … على معتفيه ما تغب فواضله
بكرت عليه غدوة فرأيته … قعودا لديه بالصريم عواذله
يفدينه طورا وطورا يلمنه … وأعيا فما يدرين أين مخاتله
فأقصرن منه عن كريم مرزإ … عزوم على الأمر الذي هو فاعله
أخي ثقة لا تتلف الخمر ماله … ولكنه قد يهلك المال نائله
تراه إذا ما جئته متهللا … كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وهي طويلة كنانة وقال أيضا يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف بن أبي حارثة ويذكر سعيهما في الصلح بين عبس وذبيان من حرب داحس وتحملهما الحمالة وهي آخر المعلقات السبع

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما … تبزل ما بين العشيرة بالدم
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله … رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما … على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما … تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا … بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن … بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد وغيرها … ومن يستبح كنزا من المجد يعظم
فأصبح يجري فيهم من تلادكم … مغانم شتى من إفال مزنم
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت … ينجمها من ليس فيها بمجرم
ينجمها قوم لقوم غرامة … ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

وقال فيهما أيضا

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها … وذبيان قد زلت بأقدامها النعل
فأصبحتما منها على خير موطن … سبيلكما فيه وإن أحزنوا سهل
إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت … ونال كرام المال في الجحرة الأكل

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ۞ قطينا بها حتى إذا نبت البقل
هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا ۞ وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا
وفيهم مقامات حسان وجوههم ۞ وأندية ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعتريهم ۞ وعند المقلين السماحة والبذل
وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم ۞ مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل

قال الأصمعي أنشد رجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول زهير في هرم ابن سنان رحمه

دع ذا وعد القول في هرم ۞ خير البداة وسيد الحضر
لو كنت من شيء سوى بشر ۞ كنت المنور ليلة البدر

فقال عمر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال عمر لبعض ولد هرم أنشدني بعض مدح زهير أباك فأنشده فقال عمر إن كان ليحسن فيكم القول قال ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء فقال قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم وعن عمر بن شبة قال قال عمر لابن زهير ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك قال أبلاها الدهر قال لكن الحلل التي كساها أبوك هرما لم يبلها الدهر وعن الأصمعي قال بلغني أن هرما كان قد حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبدا أو وليدة أو فرسا فاستحيى زهير مما كان يقبل منه فكان إذا رآه في ملإ قال عموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال خرجت مع عمر في أول غزاة غزاها فقال لي ذات ليلة يا ابن عباس أنشدني لشاعر الشعراء قلت ومن هو يا أمير المؤمنين قال ابن أبي سلمى قلت وبم صار كذلك قال لأنه لا يتبع حوشي الكلام ولا يعاظل في المنطق ولا يقول إلا ما يعرف ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه أليس الذي يقول

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية ۞ من المجد من يسبق إليها يسود
سبقت إليها كل طلق مبرز ۞ سبوق إلى الغايات غير مُجلَّد
كفضل جواد الخيل يسبق عفوه ال‍ ۞ سراع وإن يجهدن يجهد ويبعد
فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت ۞ ولكن حمد الناس ليس بمخلد

انشدته له فقال فلما انشدته حتى بلغ والبحر فقال حسبك الان اقرأ الفقرة اي
قلت وما الفقرة قال اقرأ الفقرة الواقعة بعد ابياتها ونزل ماذا روى هل واما المحلق
بعد ابو مسمع عبد العزى بن حنتم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد
وهو ابو بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري ثم الكلابي قال
الجوهري المحلق بكسر اللام والذي في القاموس انه بوزن معظم فيكون بفتح اللام
وايضا فالفتح هو الذي يقتضيه وجه تسميته بذلك فانهم ذكروا ان حصانا
له عضه في وجنته فكانت كالحلقة وقيل اصابه سهم فكوى بحلقة
فقيل له المحلق فاثرا وكان رجلا خاملا مقلا فبينما الاعشى في
بعض السنين ذاهبا الى سوق عكاظ فقالت له امه ان ابا بصير رجل مجدود
في شعره وانت رجل خامل مقل ولك بنات قيل عشر وقيل ثمان فلو سبقت اليه
واكرمته رجونا ان يكون لك منه خير فبادر المحلق اليه وانزله ونحر له
وسقاه الخمر فلما اخذت منه الخمر شكا اليه حاله وحال بناته فقال له
ستكفى امرهن فلما اصبح غدا الى سوق عكاظ فقام وانشد قصيدته التي يقول
فيها

ارقت وما هذا السهاد المؤرق … وما بي من سقم وما بي معشق
ولكن اراني لا ازال بحادث … أغادى بما لم يمس عندي وأطرق
وكم دون ليلى من عدو وبلدة … وسهب بها مستوضح الآل يبرق
وان امرأ اسرى اليك ودونه … سهوب وموماة وبيداء سملق
لمحقوقة أن تستجيبي لصوته … وأن تعلمي أن المعان موفق
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة … إلى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها … وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تحالفا … بأسحم داج عوض لا نتفرق
ترى الجود يجري ظاهرا فوق وجهه … كما زان متن الهندواني رونق
نفى الذم عن آل المحلق جفنة … كجابية الشيخ العراقي تفهق
ترى القوم فيها شارعين وبينهم … شيوخ وولدان من الحي زرق
قال ابا مسمع سار الذي قد فعلتم … فانجد اقوام به ثم اعرقوا
فان عتاق العيس سوف يزوركم … ثناء على اعجازهن معلق

به تعقد الأحمال في كل منزل ... وتعقد أطراف الحبال وتطلق
يداه يدا صدق فكف مبيدة ... وكف إذا ما ضن بالمال تنفق
كذلك فافعل ما حييت إذا شتوا ... وأقدم إذا ما أعين الناس تفرق

ثم تغنى بهما الأعشى فشهرها فلم يمض منها الا والناس يتسعون الى المحلق يهنئونه والاشراف يتسابقون الى بناته يخطبونهن فما باتت واحدة منهن الا في عصمة رجل افضل من ابيها بكثير وقد روي خبر المحلق هذا على وجه آخر غير هذا الوجه وقد ذكره صاحب الأغاني أيضا وزعم ان الأعشى انما ذكره بعض الكلابيين من أهل البادية فقال كان رجل في المحلق شرف فمات وقد أتلف ماله وبقي المحلق وثلاث اخوات له ولم يترك لهم الا ناقة واحدة وحلتي برود كان يشهد بهما الحقوق فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزله باليمامة فنزل الماء الذي به المحلق فقراه أهل الماء فأحسنوا قراه فأقبلت عمة المحلق فقالت يا ابن أخي هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد قراه أهل الماء والعرب تزعم انه لم يمدح قوما الا رفعهم ولم يهج قوما الا وضعهم فانظر ما أقول لك واحتل في زق من خمر من بعض التجار وأرسل اليه بهذه الناقة والزق وبردي أبيك فوالله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفه ونظر الى عطفيه في البرد ليقولن فيك شعرا يرفعك به فقال ما أملك غير هذه الناقة وأنا أتوقع رسلها فأقبل يدخل ويخرج ويهم ولا يفعل فكلما دخل على عمته حضته حتى دخل عليهما فقال قد ارتحل الرجل ومضى فقالت الآن والله أحسن ما كان القرى تتبعه ذلك مع غلام أبيك وهو مولى له أسود شيخ فحيثما لحقه أخبره عنك انك كنت غائبا عن الماء عند نزوله اياه وانك لما وردت الماء فعلمت انه كان به كرهت ان يفوتك قراه فان هذا احسن لموقعه عنده فلم تزل تحضه حتى أتى بعض التجار فكلمه ان يقرضه زق خمر وأتاه بمن يضمن له عنه فأعطاه اياه فوجه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه فكلما مر بماء قيل له ارتحل أمس عنه حتى صار الى منزل الأعشى بمنفوحة اليمامة فوجد عنده عدة من الفتيان قد غداهم بغير لحم وصب لهم فضيخا فهم يشربون منه اذ قرع الباب فقال انظروا من هذا فخرجوا فاذا رسول

عنز

المحلق يقول كذا وكذا فدخلوا عليه وقالوا هذا رسول المحلق لك فلما جيء أتاه
بكيت وكيت فقال ونعمكم أعرابي والي ارسل اليّ به فنزل له والذي فيه اعتلج الكبد
والسلاح والخمر في جرتين فتولى فيه شعرا ثم اقبل فيهم منكما فوافته العشيان
وقالوا غبت عنا فاكلت الغيبة ثم اتيتنا الآن فلم تطعمنا لحما وتسقنا
الشيخ واللحم والخمر فأبيت لا ترضى من امنك فقالوا انزلوا له من كل ما ذي
الرسالة وفدا نابغ الجزور بالفناء ووضع الزق والبردين بين يديه فقال
اقرئه السلام وقل له وصلتك رحم وسيأتيك ثناؤنا وقام الفتيان الى
الجزور فنحروها وشقوا خاصرتها فما عن كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاءوا
بهما فاقبلوا يشوون وصبوا الخمر فشربوا واكل معهم وشرب ولبس البردين
ونظر الى عطفيه فيهما فانشأ يقول * أرقت وما هذا السهاد المؤرق
حتى اتى على القصيدة قال فسار الشعر وشاع في العرب فما اتت على المحلق
سنة حتى زوج اخواته الثلاث كل واحدة على مائة ناقة فأيسر وشرف ۞

وكم وكم حكم البقاء من فاجر ۞ في زينة فعشاها وقد رسمي
مثل الربيع وبين العجلاد رفعي ۞ بين نمير حمراء الخمر

الاعراب قوله وكم وكم حكم البقاء كم هنا خبرية والمعطوفة عليها توكيد لما قال الشيخ احمد الزرقاني فاذا جاز العطف في التوكيد اللفظي دون القائم التوكيد المعنوي لان التوكيد اللفظي لما كانت الفاظه متفقة اغتفر فيه العطف لانه وان كان زائدا على المغايرة لاكن الاتفاق يبعد ذلك بخلاف الفاظ التوكيد المعنوي فانها لما كانت مختلفة كان الاتيان بالعاطف مقويا للمغايرة فلذلك لم يجز الاتيان به فيها ه ولا يخفى ان هذه العلة جارية في توكيد الجملة وتوكيد المفرد كان المفرد اسما او فعلا او حرفا كما هنا وقوله من فاجر تمييز كم ولما فصل بينهما وبينه بالجملة وجب الاتيان بمن قال السعد البر واذا فصل بين كم الخبرية وتمييزها بفعل متعد وجب الاتيان بمن لئلا يلتبس بمفعول ذلك الفعل نحو قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وكم اهلكنا من قرية فان فصل كان هنا النصب على المفعولية ه وعليه ينزل الاعراب كلام الناظم وقد تقدم نكيرا في قوله كم اودة عمن

في معلقته من سمط البيت وقوله ذو رتبة نعت لحاجر وقيل سداد نعت للرتبة
وفيها ما الثابتة ورجل افعنثر أي منيع وقيل هما الناظم قرورا والعبراء
لا يجيء فعل من هذا النوع مما لامه همزة فيما من يوجب مثله كاحمر وحمراء ونحو مرد ودد
بوزن دئل في كلام العرب قوله وقد سموا الى عمال من تبع يقال سمو سموقا اذا
علا وكذا لو نموق في كلام الناظم فحول عن سنام من المبالغة على حيز قوله

حذرا امرأ به تغيب وذامن ۞ ما النسر منجية من الأقدار

وفي معنى ما ذكره الناظم قول ابن شكرالة يمدح بعض الرؤساء وهو غاية في
بابه

تمت علينا ولست بينا ۞ ولن يحمير ورب خليفة
بته وزد ما على حسار ۞ يقطع عني وقد وكيفه
ولا تغل لينسر بني عبث ۞ فقد تفرق الغزال العجيبة
السيف نار بلا دخان ۞ وللغدا في زمن لكيفه
كم من تقيل الجميل ساح ۞ موت به اخو خفيفه
لم يجب الحسد ونحو امل ۞ لكل فرح لها رجيفه

ذكر الربيع وبني الكملة وبني نمير وسبب أغطاطهم بالشعر

أما الربيع فهو ابن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن هدم
ابن عوذ بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس عيلان العبسي
وأمه فاطمة بنت الخرشب الانمارية انمار بن بغيض اخو ريث بن بغيض كان يقال
لبنيها الكملة وهم ربيع الكامل وقيس الحفاظ وعمارة الوهاب وانس
الفوارس قال أبو عبيدة أن فاطمة هذه رأت في منامها كأن قائلا يقول
لها اعشرة هدرة احب اليك ام ثلاثة كعشرة فلم تقل شيئا فعاد اليها
في الليلة الثانية فلم تقل شيئا ثم قصت ذلك على زوجها فقال لها ان
عاد لك الثالثة فقولي ثلاثة كعشرة فلما عاد لها قالت ذلك فولدتهم
كلهم غاية ولقيها عبد الله بن جدعان التيمي وهي تطوف بالكعبة فقال
لها نشدتك برب هذه البنية اي بنيك افضل فقالت الربيع لا بل عمارة لا
بل انس لا بل قيس وعيشك ما ادري ايهم افضل وفي رواية انها قالت ثكلتهم

إن كنت أعلم أيهم أفضل من كان فحلفت الجمع بعد أن يزوروا فيرزر قبائمنا وفيهم
يقول قيس بن زهير العبسي وقيل حاتم الكلابي ❁

بنو جنية ولدت سيوفا ❁ قواطع كلهم ذكر صنيع

وحدث ابن الأعرابي قال وفد أبو براء ملاعب الأسنة وهو عامر بن مالك
ابن جعفر بن كلاب وإخوته ومنهم معاوية معوذ الحكماء وطفيل فارس قرزل وهو
والد عامر بن الطفيل وعبيدة ومعهم ابن أخيهم لبيد بن ربيعة المقترين وهو
يومئذ غلام فوفدوا على النعمان بن المنذر فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي
وكان الربيع ينادم النعمان مع رجل من تجار الشام يقال له سرجون بن
نوفيل وكان سرجون حريفا للنعمان يبايعه وكان أديبا حسن الحديث
والمنادمة فاستخفه النعمان وكان إذا أراد أن يخلو على شرابه بعث إليه
وإلى النطاسي متطبب كان له وإلى الربيع بن زياد وكان يدعى الكامل كما قلنا
فلما قدم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فإذا خلا الربيع بالنعمان
طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك بهم مرارا وكانت بنو جعفر أعداء
للربيع فصده عنهم فدخلوا عليه يوما فرأوا منه تغيرا وجفاء وقد كان
يكرمهم قبل ذلك ويقرب مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا ولبيد في رحالهم
يحفظ أمتعتهم ويغدو بإبلهم كل صباح فيرعاها فإذا أمسى انصرف بإبلهم
فأتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذاكرون أمر الربيع وما يلقون منه فقال
ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا إليك عنا فقال أخبروني فلعل لكم عندي فرجا
فزجروه فقال والله لا أحفظ لكم متاعا ولا أسرح لكم بعيرا أو تخبروني وكانت
أم لبيد امرأة من بني عبس يتيمة في حجر الربيع فقالوا خالك قد غلبنا على
الملك وصد عنا وجهه فقال لبيد هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه
فأزجره عنكم بقول ممض ثم لا يلتفت النعمان إليه بعده أبدا فقالوا وهل
عندك من شيء قال نعم قالوا فإنا نبلوك بشتم هذه البقلة لبقلة كانت قدامهم
دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض تدعى التربة
فقال هذه التربة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها

قوله وعبيدة هكذا بخط العبدري وابن بدران كما في الأغاني وابن قتيبة ووقع للأنباري الغزل عمر وعبيدة وسلمى ... المضيق والمقصود ... ابن نباتة ... والله أعلم ه مؤلفه

ضئيل وفرعها كليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم ضائع أقصر البقول فرعا وأخبثها مرعى وأشدها قلعا فتعسا لها وجدعا ثم التفت إليهم فقال الغلام أخا بني عبس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأتركه من أمره في لبس فقالوا أنصبح فنرى فيه رأينا فقال لهم عامر ملاعب الأسنة انظروا غلامكم فإن رأيتموه نائما فليس أمره بشيء وإنما يتكلم بما جاء على لسانه ويهذي بما يهجس في خاطره وإذا رأيتموه ساهرا فهو صاحبكم فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلا فهو يكدم وسطه حتى أصبح وقالوا انت له لامع آخر الليل فاستيقظكم عمه كقتيل من داره فهو فها فقال العام انظر إلى أخيك كأن عنقه عنق غزال وأنت تريد أن تعرض عرضه للمقالع من أهله فاكفه عامر وقال فخر فيا لكم ما تلقى به الناس غدا فإنه مشتهر عليكم فقال له لبيد يا عم أرني تكر عنه بكريهة فما عنه غيرها فلما أصبحوا فلقوا أمه والنعمان صاحبنا فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابة وألبسوه حلة ثم غدوا به معهم على النعمان فتالا ابن معه في دار الغدر فاستعدوا إليه ومن في قبة له وحوله الناس ومعه الربيع ابن زياد يواكله فناداه لبيد من وراء القبة

أتلاع أم تسمع رب القبه | يا أوهب الناس لعنس صلبه
ذات هباب في يديها خذبه | ضرابة بالمشفر الأذبه

في لاحب كأنه الأطبه

فلما سمع النعمان ذلك الرجز أذن لهم فدخلوا فنادى أسمع أنما يراه وبنك براه إلى الكعام ونسكن الربيع يراه أيضا فقال لبيد يخاطب النعمان

أكل يوم هامتي مقزعه | يا رب هيجا هي خير من دعه
يا واهب الخير الكثير من سعه | نحن بنو أم البنين الأربعه
ومن خيار عامر بن صعصعه | المطعمون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخيضعه | إليك جاوزنا بلادا مسبعه
نخبر عن هذا خبيرا فاسمعه | مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه
إن استه من برص ملمعه | وإنه يدخل فيها إصبعه

يرحلها حتى تزور أشجعه ... كأنما يطلب شيئاً ضيّعه

فلما فرغ من إنشاده التفت النعمان إلى الربيع شزرا يرمقه وقال أكذلك أنت قال لا والله لقد كذب عليّ ابن الأحمق اللئيم فقال النعمان أفّ لهذا الغلام لقد خبثت عليّ طعامي يا غلام فقال الربيع أبيت اللعن أما إني قد فعلت بأمه فقال لبيد أنت لهذا الكلام أهل ومثلك فعل بابنة عمه وربيبة حجره ثم من بعد من نسوة غير فعل فقال خمرة بن خمرة الدارمي كلاما ينتصر به الربيع فقال له لبيد

يا هم يا عمر بني كلاب ... ويا ابن كلب عملوا بالناب
أكان هذا أول الثواب ... لا يغلقنكم كنفي وناب
إني إذا ما فتنت ... ذو عقاب

فسكت خمرة وكان بنو كلاب قوم لبيد فراسروا خمرة فمشوا عليه وأهلكوه من أجل ذلك فقال له ما قال فيه وكان النعمان إذا غلب الرجل عنده وفلج على خصمه زاده وسادة وأمر أن يلقم عشر لقم قبل أن يأكل أهل مجلسه فزاد لبيدا وسادة وأمر أن يلقم فلقم ففي ذلك تقول ابنة لبيد

إن أبانا كان حلوا قسرا ... يأكل قبل الآكلين عشرا

ثم إن الربيع انصرف من عند النعمان إلى رحله فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحمله به في كل عام وأمره بالرحيل عنه فأرسل إليه الربيع إني قد تخوفت أن يكون قد وقر في صدرك ما قاله لبيد ولست ببارح حتى تبعث إليّ من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال فأرسل إليه النعمان إنك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيئا ولا قادرا على ما زلت به الألسن فالحق بأهلك فلحق الربيع بأهله وأرسل إلى النعمان بشعر يقول فيه

لئن رحلت جمالي إن لي سعة ... ما مثلها سعة عرضا ولا طولا
بحيث لو وزنت لخم بأجمعها ... لم يعدلوا ريشة من ريش شمويلا
ترعى الروائم أحرار البقول بها ... لا مثل رعيكم ملحا وغسويلا
فابرق بأرضك يا نعمان متكئا ... مع النطاسي طورا وابن توفيلا

فأجابه النعمان بقوله

شرد برحلك عني حيث شئت ولا … تكثر علي ودع عنك الأباطيلا
فقد رميت بداء لست غاسله … ما جاورت بهم أهل السهل والنيلا
فما انتفاؤك منه بعد ما جزعت … هوج المطي به أبراق شمليلا
قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا … فما اعتذارك من قول إذا قيلا
فارع بحيث رأيت الأرض واسعة … وانشر بها الطرف إن عرضا وإن طولا ٧

قالوا فلم ير الربيع بعد ذلك النعمان بعدها وأما لبيد رضي الله عنه فعاش
عمرا في زمن الإسلام وأسلم وهجر الشعر وقال له عمر رضي الله عنه يوما
يا أبا عقيل انشدني شيئا من شعرك فقال ما كنت لأقول شعرا بعد أن علمني الله
البقرة وآل عمران فزاد له عمر في عطائه خمسمائة وكان قبل ذلك ألفين
وقيل إنه لم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا وهو

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي … حتى لبست من الإسلام سربالا

وقوله في الرجز المتقدم عشر طلبة أي ناقة شديدة وهي طالب ككتاب أي سريعة
وحدبة بضم الحاء أي معوجة والأذنبة جمع ذناب مثل الزبيبين والأهيبة جمع
هيابة بالكسر فكلمة مزاحم شبه بها الكلب وقوله نحن بنو أم البنين
الأربعة أم البنين هي ابنة عمرو بن عامر فارس الضحياء وهي إحدى المنجبات
كفاطمة بنت الخرشب ولدت لمالك بن جعفر بن كلاب عامرا أبا براء وهو ملاعب
الأسنة وطفيل الخيل فارس قرزل وهو والد عامر بن الطفيل وربيعة المقترين وهو
والد لبيد رضي الله عنه وسلمى نزال المضيف وفيها وفي معود الحكماء وإنما قال
لبيد أربعة لوزن الشعر والقافية وإلا فهم خمسة كما ترى وأما قوله تمشي
الهيضة فقال أبو عبيد عن الفراء إنها الهيضة وحكى سلمة عن الفراء إنها
الموت في الحرب فائدة وتتميم حكى الشيخ أبو القاسم البرزلي
نزيل تونس في نوازل النكاح عن شيخه وهو عن الشيخ أبي العباس بن علوان الجرابية
التونسي أنه أتته امرأة يوما فشكت إليه أنه قد تزوجها رجل أندلسي
وأساء عشرتها وعسر عليها التخلص منه فقال لها الشيخ ادعي عليه أن
به داء برص فادعت عليه ذلك فحكم عليه بأن يكشف وينظر إليه الأطباء
في ذلك الحين فلما رأى الزوج أن الأمر أفضى به إلى منزلة الغاية طلقها وتخلصت

منه بمنزلة الحيلة قلت ولا شك ان هذا الفقيه انما استنبط هذه الا بدلالة
مرجحة لسر والله اعلم وأما بنو العجلان فهم بطن من عامر بن صعصعة
وهم العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ولقب ابوهم
بالعجلان لتعجيله القرى للضيوف فيما قيل وكانوا يفتخرون بهذه النسبة
ويتمدحون بهذا الاسم حتى هجاهم النجاشي الشاعر واسمه قيس بن عمرو الحارثي
احد بني الحرث بن كعب بقوله

إذا الله عادى اهل لؤم ورقة ۞ فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل
قبيلة لا يغدرون بذمة ۞ ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء الا عشية ۞ إذا صدر الوراد عن كل منهل
تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ۞ وتاكل من كعب بن عوف ونهشل
وما سمي العجلان الا لقولهم ۞ خذ القعب واحلب ايها العبد واعجل

فتعرض في اللقب وقلب مدحه ذما وقد اشتملت الابيات على هجو خبيث
لما فيه من التعنيف والاهانة الى الغاية وابن مقبل المذكور في الشعر هو تميم
ابن مقبل العجلاني شاعر مشهور من رجال الجاهلية والاسلام ولا صحبة له
وذكر الرواة ان بني العجلان اتضعوا بهذا الشعر بعد رفعتهم وذلوا بعد
عزتهم حتى صاروا يفرون من الانتساب الى العجلان وجعل احدهم اذا سئل
عن نسبه يقول كعبي مخافة ان يسخر منه واستعدوا عمر بن الخطاب رضي الله
عنه على النجاشي فقالوا يا امير المومنين انه هجانا فقال لهم عمر رضي الله
عنه فما قال لكم فانشدوه قوله

اذا الله عادى اهل لؤم ورقة ۞ فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر رضي الله عنه انما دعا عليكم ولعله لا يستجاب له فقالوا انه قال

قبيلة لا يغدرون بذمة ۞ ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر رضي الله عنه ليتني من هاؤلاء الذين لا يخيسون بعهد ولا يظلمون
احدا فقالوا فانه قال

ولا يردون الماء الا عشية ۞ اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر رضي الله عنه ذلك اصفى للماء واقل للزحام فقالوا فانه قال

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم   وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر رضي الله عنه كفى ضياعا بمن تأكل الكلاب لحمه فقالوا إنه قال

وما سمي العجلان إلا لقولهم   خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر رضي الله عنه كلنا عبد وخير القوم خادمهم فقالوا يا أمير المؤمنين إنه هجانا فقال ما أسمع هجوا فقالوا سل حسان بن ثابت فسأله فقال ما هجاهم ولكن سلح عليهم وكان عمر رضي الله عنه أعلم الناس بما قال النجاشي ولكنه دارأ هذا الحد بالشبهة فلما شعر فيه قضى سجن عمر النجاشي وقيل إنه جلده وأما بنو نمير فهم بطن من عامر بن صعصعة أيضا وكانوا من العزة والمنعة بمكان وتقدم أنهم أحد جمرات العرب لم يحالفوا أحدا لعزتهم وقوتهم وكان الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال من بني نمير وفخم بها صوته وأما النقص إذ كان لا يعرفه وإنما أرادت نقيصة حتى هجا جرير شاعرهم الراعي فهجاهم معه بقصيدته التي سماها الدامغة التي يقول في أولها

أقلي اللوم عاذل والعتابا   وقولي إن أصبت لقد أصابا   إلى أن قال

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ولو وضعت شيوخ بني نمير   على الميزان ما عدلت ذبابا

فلم يرفعوا بعدها رأسا ولم تلق قبيلة من العرب بمثل ما لقيت بنو نمير من هجو جرير حتى صاروا يعدون من الانتساب إلى نمير وينتسبون إلى عامر الأكبر الأعلى وكان السبب في ذلك ما حكاه الأصمعي عن رجاله قال كان الراعي واسمه عبيد بن حصين النميري ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وإصابته في ذلك يقضي للفرزدق على جرير ويفضله عليه من ذلك قوله في قصيدة له

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا   غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

وقال أيضا من أخرى

رأيت الجحش جحش بني كليب   تيمم حوض دجلة ثم هابا

وكان الراعي قد ضخم أمره وكان من أشعر الناس فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال ألا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق علي وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم قال جرير فضربت رأيي فيه ثم خرجت ذات يوم أمشي

ولم اركب دابته قال والله ما يمنعني ان يعلم احد بشيء اليه فلما كان للراعي
والفرزدق وجلساؤهما حلقة باعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها قال فخرجت
اتعرض له لألقاه من حيال حيث كنت اراه يمر اذا انصرف من مجلسه وما يمنعني
ان يعلم احد حتى اذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له
احوى محذوف الذنب وانسان يمشي معه يسأله عن بعض النسيب فلما استقبلته
قلت له مرحبا بك يا ابا جندل وضربت بشمالي على معرفة بغلته ثم قلت يا
ابا جندل ان قولك ليستمع وانك تفضل الفرزدق علي تفضيلا قبيحا وانا امدح
قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي دونك ويكفيك من ذلك اذا ذكرنا ان تقول
كلاهما شاعر كريم ولا تحتمل مني ولا منه لائمة قال فبينا انا كذلك وهو
واقف علي ما رد علي بذلك شيئا اذ لحق ابنه جندل فرفع كرمانية كانت معه
فضرب بها عجز بغلته ثم قال لا اراك واقفا على كلب من بني كليب كانك تخشى
منه شرا او ترجو منه خيرا وضرب البغلة ضربة فرمحتني رمحة وقعت منها
قلنسوتي فوالله لو عاج علي الراعي لقلت سفيه غوى يعني جندلا ابنه
ولكن والله ما عاج علي فاخذت القلنسوة فمسحتها ثم اعدتها على راسي ثم قلت

أجندل ما تقول بنو نمير ... اذا ما الاير في است ابيك غابا

قال فسمعت الراعي قال لابنه اما والله لقد رمتنا قلنسوته رمحة مشؤومة
قال جرير ولا والله ما القلنسوة باغيظ امره الي لو كان عاج علي فانصرف جرير
مغضبا حتى اذا صلى العشاء بمنزله في علية له قال ارفعوا الي باطية من
نبيذ واسرجوا لي فاسرجوا له واتوه بباطية من نبيذ قال فجعل يهمهم فسمعت
صوته عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة حتى نظرت اليه فاذا هو يحبو
على الفراش عريانا لما هو فيه فانحدرت فقالت ضيفكم مجنون رايت منه كذا وكذا
فقالوا لها اذهبي لطيتك نحن اعلم به وبما يمارس فما زال كذلك حتى كان السحر
فاذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتا في بني نمير فلما بلغ الى قوله

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

من ابياته حين كبر ثم قال اخزيته ورب الكعبة ويقال انه لما قال هذا البيت وثب
حتى اصاب السقف راسه وكبر ثم صاح وقال اخزيته والله غضضت منه

وفرقت اخوتي عليه والله لا يفلح بعدها ابدا ثم اصبح حتى اذا عرف ان
الناس قد اخذوا مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلس الراعي والفرزدق دعا بدهن
فادهن وكف رأسه وكان حسن الشعر ثم قال يا غلام اسرج لي فاسرج
له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى اذا كان بموضع السلام قال يا غلام ولم يسلم
قل لعبيد يعني الراعي ابعثتك نسوتك تكسبهن المال بالعراق اما والذي نفس جرير
بيده لترجعن اليهن بميسر يسوؤهن ولا يسرهن ثم اندفع في القصيدة فانشدها
فنكس الفرزدق رأسه واطرق الراعي فلو انخسفت له الارض لساخ فيها وارتفع
القوم حتى اذا امسى غ منعا سار فوثب الراعي فركب بغلته بشر وبعير وتفرق
اهل المجلس وصار الراعي الى منزله الذي كان ينزله فقال لاصحابه ركابكم ركابكم
فليس لكم ها هنا مقام فضحكم والله جرير فقال له بعض القوم ذلك من شؤمك
وشؤم ابنك قال فما كان الا ترحلهم فسار الراعي فسرنا والله الى اهلنا سيرا
ما ساروا الاحد وبهم بالشريف وهو اعلى دار بني نمير فيحلف بالله راعي انه بل
انهم وجدوا به اعلمهم قبل ان يصل اليهم بيته فغض الطرف انك من نمير فينتنا شر له
الناس واقسم بالله ما بلغه انسي قط وان لجرير لشيطانا من الجن فتشاءمت
به بنو نمير وسبوا ابنه وكرره ولد وعلم الراعي انه قد اساء ونزع فتزعم بنو
نمير انه مات قبل انقضاء السنة وتقول غيرهم انه كمد فمات كمدا واجاب
بعض بني نمير جريرا عن شعره فقال

نمير جمرة العرب التي لم	تزل في الحرب تلتهب التهابا
واني ان سببت بها كليبا	بعثت عليهم للخسف بابا
ولولا ان يقال هجا نميرا	ولم تسمع لشاعرها جوابا
رغبنا عن هجاء بني كليب	وكيف يشاتم الناس الكلابا

فما هز ذلك كليبا ولا هجرا ولا نقع نميرا وذلك اجل استمرار الضعة في بني نمير
بعدهم حتى قال ابن مناذر يهجو ثقيفا

وسوف يزيلكم صغة هجائي	كما وضع الهجاء بني نميـر

وقد ينكلون من نسبهم بالعراق حتى اذا كان يرد سوق البصرة فيسئل منه بنو نمير فيذكر
ذلك لمن الفه فقال لواله ان لي ميراثا وادس منهم فقال له فغض الطرف انك من نمير

البيت فلما عاد الى الشرق سخروا منه ونبزوه فاراد ان يقول البيت بنسبته
فجعل يقول نميري فيثقل عليه واذا جاوز ما تكرره فكفوا عنه وعلموا انه قد عرف
فزادهم بذلك غيظا ويحكى ان امرأة مرت بقوم من بني نمير فاحدوا النظر اليها
وتبعوها فقالت لهم قبحكم الله يا بني نمير ما امتثلتم في واحدة من الثنتين
في قول الله عز وجل قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ولا قول جرير فغض
الطرف انك من نمير فابلسوا وذهبوا

ذكر جمرات العرب وما قيل فيها

قال ابو عبيدة في كتاب الديباج جمرات العرب ثلاث بنو ضبة بن اد بن طابخة
وبنو الحارث بن كعب بن علة وبنو نمير بن عامر بن صعصعة فطفئت منهم جمرتان
طفئت ضبة لانها حالفت الرباب وطفئت بنو الحارث بن كعب لانها حالفت مذحج
لان كل قبيلة انضموا فصاروا يدا واحدة ولم يحالفوا غيرهم فهم بمنزلة جمرة ومن
حالف غيره من القبائل فليس بجمرة وبقيت نمير لم تطفأ لانها لم تحالف قبيلة
غيرها ولذا قال شاعرهم

نمير جمرة العرب التي لم ... تزل في الحرب تلتهب التهابا

وقيل بل الجمرات ضبة بن اد والحارث بن كعب وعبس بن بغيض ونمير بن عامر والثلاثة
اخوة لام وذلك ان امرأة من اليمن رأت في المنام كأنه خرج من فرجها ثلاث
جمرات فتزوجها كعب بن علة فولدت له الحارث بن كعب ومنهم بنو عبد المدان
وهم اشراف اليمن ثم تزوجها بغيض بن ريث فولدت له عبسا ومنهم فرسان
العرب ومنهم عنترة بن شداد العبسي ثم تزوجها اد بن طابخة فولدت له ضبة
ابن اد وهم ما هم في الشجاعة والباس وفي ذلك يقول شاعرهم

نحن بني ضبة اصحاب الجمل ... والموت احلى عندنا من العسل

فجمرتان في مضر وجمرة في اليمن فهذا تقسيم قول الثعالبي رحمه الله جمرات العرب
والله اعلم

قولهم بكر للشيخ عند من يفضله بفضل على الكعبة لم يعلو
الا غرابة اعلم ان الوزاد ارتبطت الجزاء بالشرط في الحال فلقائل ثلاثة
اقوال الاخرى انما ان تكون للدلالة على ان علة الاتيان مضمون الجزاء في الماضي حتى

انتفاء مضمون الشرط من غير التفات الى ان علة العلم بانتفاء الجزاء ما هو وهذا هو الكثير المتعارف عند النحاة فيها ومنه قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وما اشبهه اي لاكن لم نشأ فلم نوت كل نفس هداها وقولك لو جئتني لاكرمتك اي لكن لم تجئ فلم اكرمك وقول الحماسي

ولو كان ذا وعام فبلغنا ۞ لكانت ولاكنه لم يكن

ثانيهما ان تكون للدلالة على ان العلم بانتفاء الثاني علة للعلم بانتفاء الاول ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم من غير التفات الى ان علة انتفاء الجزاء في الخارج ما هي وهذا هو استعمالها عند اهل المنطق وهذا استعمال عربي ايضا ولاكنه قليل بالنسبة الى الاول ومن عليه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقول الناظم لو لم يكن للشعر الا انه من الكلام الجامع ومن فخور عند التعبير الشامل وانما لها الشاهد ومن النحو المسمى عند البربعيين بالمذهب الكلامي وهكذا البيت الذي بعده ثالثها ان تكون لبيان استمرار شيء بربطه بابعد النقيضين وهو ايضا عربي كثير ومنه قول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ۞

ذكر المعلقات وما قيل فيها

قال ابن خلدون اعلم ان الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم واخبارهم وحكمهم وكان رؤساء العرب متنافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشعراء واهل البصر لتمييز سمينه من غثه وجيده من رديئه حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق اشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم ابيهم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من اصحاب المعلقات وانما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه من مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ۞ وقال بعضهم انما سميت المعلقات لان العرب في الجاهلية كان الرجل منهم يقول الشعر في اقصى الارض فلا يعبأ به ولا ينشده احد حتى ياتي مكة في موسم الحج فيعرضه على اندية قريش فان استحسنـ

زوزن وكان من الفضلاء وان لم يشتهر شهرة كغيره ولم يعتن به قال ابو عمرو بن العلاء وكانت العرب تجتمع في كل عام بمكة وكانت تعرض اشعارها على هذا الحي من قريش وقال ابن الكلبي اول شعر علق في الجاهلية شعر امرئ القيس علق على ركن من اركان الكعبة ايام الموسم حتى نظر اليه ثم احدر فعلقت الشعراء ذلك بعده وكان ذلك فخرا للعرب في الجاهلية فقالوا وكانت المعلقات تسمى المذهبات لانها كانت تكتب في القباطي بماء الذهب ثم تعلق بها ثم قيل مذهبة فلان اذا كانت اجود شعره قال السيوطي في المزهر ذكر ذلك غير واحد من العلماء وقيل في معنى المعلقات كان الملك اذا استحسن قصيدة يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته وقال محمد بن ابي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة اشعار العرب ان ابا عبيدة قال اصحاب السبع التي تسمى السمط امرؤ القيس وزهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو وطرفة قال المفضل من زعم ان في السبع التي تسمى السمط لاحد غير هؤلاء فقد ابطل وروى آخرون ان بعض خلفاء بني امية امر من يختار له سبعا فهن يسمين المعلقات الثواني وهي معلقة امرئ القيس واولها

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومعلقة طرفة واولها

لخولة اطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ومعلقة زهير واولها

امن ام اوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم

ومعلقة لبيد واولها

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

ومعلقة عمرو بن كلثوم التغلبي واولها

الا هبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الاندرينا

ومعلقة عنترة واولها

هل غادر الشعراء من متردم ... ام هل عرفت الدار بعد توهم

ومعلقة الحارث بن حلزة اليشكري واولها

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

واعلم أن هذه الحجة التي ساقها الناظم للاستدلال بها على فضيلة الشعر حجة أدبية وليست شرعية فإنها احتجاج بعمل ابن عباس وهذا بكلام الله سبحانه ونسبته دعوى خير أمته والحجة له قال صلى الله عليه وسلم إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء الحديث والله تعالى أعلم ولولا خوف الطول لذكرت فيه بيان رواية * ما فسرت من مسائل ابن الأزرق *

قد تقدم الكلام في كونها فيه كفاية والآية لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة قاله الجعبري ويشكل عليه عدم صدق تعريف نحو في المدثر آية إذ ليس فيه من جمل ولو تقديرا بل الأولى قول الحافظ السيوطي في الإتقان هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بالسورة فلا يكون الحرف وما يقع فالأولى أن يقال طائفة من السورة من القرآن وسميت الآية بذلك لأنها علامة على صدق الآتي بها وفي كيفية تعيينها ستة أقوال انظرها في كتب التفسير

ذكر مسائل ابن الأزرق وما يتعلق بها

نقل جماعة من المفسرين كالزمخشري والبيضاوي والفخر الرازي وغيرهم عند قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال على المنبر ما تقولون فيها يعني الآية فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقته

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر رضي الله عنه أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ه‍ والشعر في آخر البيت بالتعريف المبرد وقال أبو بكر بن الأنباري قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك وقالوا إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن قالوا وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث قال

وليس الامر كما زعموه من انا جعلنا الشعر اصلا للقرءان بل اردنا تبيين الحرف
الغريب من القرءان بالشعر لان الله تعالى قال انا جعلناه قرءانا عربيا وقال
بلسان عربي مبين وقال ابن عباس الشعر ديوان العرب فاذا خفي علينا الحرف
من القرءان الذي انزله الله بلغة العرب رجعنا الى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك
منه ثم اخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال اذا سألتموني عن غريب القرءان
فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب وروى ابو عبيد في فضائله عن ابن عباس
انه كان يسأل عن القرءان فينشد فيه الشعر قال ابو عبيد يعني انه كان يستشهد
به على التفسير قال الحافظ السيوطي رحمه الله قد روينا عن ابن عباس كثيرا من ذلك
واوعب ما رويناه عنه مسائل نافع ابن الازرق وقد اخرج بعضها ابن الانباري في كتاب
الوقف والطبراني في معجمه الكبير قلت وذكرها المبرد في كامله سابقا وكثيرا منها
قال السيوطي في الاتقان وقد رأيت ان اسوقها هنا بتمامها لتستفاد ثم ذكر
بسنده الى ابي بكر بن محمد قال بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه
الناس يسألونه عن تفسير القرءان فقال نافع بن الازرق لنجدة بن عويمر قم بنا
الى هذا الذي يجترئ على تفسير القرءان بما لا علم له به فقاما اليه فقالا انا
نريد ان نسألك عن اشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقه من
كلام العرب فان الله تعالى انما انزل القرءان بلسان عربي مبين فقال ابن عباس
سلاني عما بدا لكما فقال نافع اخبرني عن قول الله تعالى عن اليمين وعن الشمال
عزين قال العزون حلق الرفاق قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت
عبيد بن الابرص وهو يقول

فجاءوا يهرعون اليه حتى ۝ يكونوا حول منبره عزينا

قال اخبرني عن قول الله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة قال الوسيلة الحاجة
قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت عنترة وهو يقول

ان الرجال لهم اليك وسيلة ۝ ان يأخذوك تكحلي وتخضبي

قال اخبرني عن قوله تعالى شرعة ومنهاجا قال الشرعة الدين والمنهاج الطريق
قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت ابا سفيان بن الحارث وهو يقول

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى ۝ وبين للاسلام دينا ومنهاجا

وقصد السيوطي بذكرها مسئلة فمسئلة حتى ملأ منها نحو الكراستين فانظرهما
في كتابه الإتقان في علوم القرآن والله الموفق

أما من أين له الكتابة وما ۞ يعلمها ابن كبشة الأمي
وإنما نزه عنهما النبي ۞ ليبدو إعجازه بالتحقيق

اعراب الشيخ كلامه والكلام على الأمية النبوية وتفسيرها وعلى معنى الإعجاز مشهور في كتب الكلام

فصل في فضل الشعر والكتابة
وتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عنهما

أما الشعر فقد تقدم في فضله من الأحاديث والآثار ما لو اقتصر عليه لكان فيه الكفاية ولكننا نلم منه بشيء مما لم نذكره سابقا فمن ذلك ما ورد أن عمر رضي الله عنه قال تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى ومساوي تتقى وكتب إلى أبي موسى الأشعري مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب وقال معاوية رضي الله عنه يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب وقال بعضهم كنا عند عمار بن ياسر وعنده وعنده شاعر ينشده فقال رجل أيقال بينكم الشعر وأنتم أصحاب محمد وأصحاب بدر فقال عمار إن شئت فاسمع وإن شئت فاذهب أنا لما هجانا المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لهم كما يقولون لكم فكنا نعلمه الإماء بالمدينة وقيل لسعيد بن المسيب إن قوما من أهل العراق يكرهون الشعر فقال نسكوا نسكا أعجميا وسئل ابن سيرين في المسجد عن رواية الشعر في رمضان وأنها تنقض الوضوء فأنشد

نبئت أن فتاة كنت أخطبها ۞ عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم قام فأم الناس وسئل ابن عباس عن الشعر هل هو من رفث القول فأنشد

وهن يمشين بنا هميسا ۞ إن تصدق الطير ننك لميسا

وقال إنما الرفث عند النساء ثم أحرم للصلاة وكان أبو السائب المخزومي يقول أما والله لو كان الشعر محرما لوردنا الرحبة كل يوم مرارا يعني الرحبة التي تقام فيها الحدود وقال عبد الملك لبنيه عليكم بالأدب فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالا وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا وقال بعض الشعراء

من فضل الشعر انه لم يكذب احد فيه الا اجتواه الناس الا الشاعر فانه كلما ازداد كذبه زاد المدح له ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال له احسنت والله فلا يشهد له شهادة الزور الا ومعها يمين بالله وهو مأخوذ من قول ابي تمام في وصف القصيدة ؛

ومقيمة ما ان تزال ترى لها   الى كل افق وابدا غير وابر
وقلقلة لما ترد اذن سامع   فتصدر الا عن يمين وشاهد

واما الكتابة فيكفي في فضلها ان الله تعالى امتن بها على نبيه في جملة عباده بقوله اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم قال الزمخشري دل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا اه واخرج الحكيم وسمويه عن انس والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو بن العاصي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قيدوا العلم بالكتابة قال المناوي في شرح الجامع الصغير اسناده صحيح وقال ابن خلدون في كتاب العبر الكتابة صناعة شريفة اذ هي من خواص الانسان التي يتميز بها عن الحيوان وايضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الاغراض الى البلد البعيد فتقضى بها الحاجات وترفع بها مؤنة السعي لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم واخبارهم وقال الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن عاشر الفاسي في فتح المنان اعلم ان صنعة الكتابة من اجل الصنائع ؛ ومن افضل ما يتحف به العبد من اسباب المنافع ؛ تحفظ من الخطأ اللسان ؛ وتقوم الذهن من النسيان ؛ وتقيد العلوم والحكم على ممر الازمان ؛ ثم قال وقد قلت في الكتابة على طريق اللغز

لله في خلقه من صنعه عجب   كادت تغالط في الوجود تنقلب
كلم بغير نطق الا ان تسمعها   فكلها ناطق والنطق قد سلبوا

ثم ذكر خلافا كبيرا واقوالا متعارضة في اول من كتب فقيل آدم وقيل ادريس وقيل هود وقيل اسماعيل عليهم السلام وقيل حمير بن سبأ وقيل مرامر بن مرة وقيل غير ذلك والذي يظهر في ذلك حسبما دلت عليه الاقوال وادى اليه النظر

أن آدم عليه السلام أول من خط كما كان يتعرف به مع بنيه وأول من أجاد الخط
والكلام إدريس عليه السلام بعد أن نقل في كنوز المعاني عن مسند الإمام أحمد أن
أول من خط بالقلم بعد آدم إدريس وأول من وضع الخط العربي على المشهور
هود عليه السلام جملة بوحي من الله تعالى حسبما نعرفه من الإشارات التي
عند الكلام على يعرب بن قحطان وكانت حروفه منفصولة كلها وسمي الكتابة
العربية بحميرية وكانت تسمى المسند وزعم ابن هشام أن أول من كتب الخط العربي
حمير بن سبا جملة منافا وقال ابن خلدون كانت لحمير كتابة تسمى المسند حروفها
منفصلة غير متصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها إلا من أذن
له منهم والقول بأن أول من كتب الخط العربي إسماعيل عليه السلام معناه
أنه أول من تصرف في الخط الحميري ونقله عن حالة الفصل إلى حالة الوصل ففي
خرج ابن أشتة في كتاب المصاحف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال أول من وضع
الكتاب العربي إسماعيل وضع الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعله كتابا واحدا
مثل الموصول حتى فرق بينه ولده يعني أنه وصل جميع الكتاب ليس بين الكلم فرق
مثل بسم الله الرحمن الرحيم نقله في الإتقان ثم جاء مرامر بن مرة ففصل الكلم
بعضها من بعض وجعل كل كلمة مستقلة بنفسها والله أعلم وقد حكى ابن
قتيبة في كتاب المعارف أن أول من كتب بالعربية مرامر بن مرة من أهل الأنبار
ومن الأنبار انتشرت في العرب وفيه أن خالد بن الوليد لما بلغ الأنبار سأل
أهلها ممن تعلمتم الكتابة قالوا من إياد وحكى إمام القراء والمجيدين أبو عمرو
الداني أن أول من كتب بها مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فمرامر
وضع الصور وأسلم وصل وفصل وعامر وضع الإعجام وفيه أن الإعجام إنما
حدث في الكتابة بعد الإسلام فإن المصاحف العثمانية كانت غير منقوطة
ولا مشكولة والعلم مثل أنه أرجح ما ورد عن كعب الأحبار من أن آدم أول
من كتب محمول على أنه كتب كتابة تليق بلغته التي كان يتكلم بها مع بنيه
في ذلك العصر ومنها التي تفرعت المشهورة كما أن من لغته تفرعت اللغات
ثم تفنن في ذلك إدريس عليه السلام والكلام ثم جاء هود عليه السلام
أو حمير بوضع الخط العربي منفصولا كله ثم جاء إسماعيل عليه السلام فوصله

[illegible] عن العربي في مسند [illegible]

كله

كله ثم تفرقت بيد حكماء العرب وقادة ثم فاصطلحوا على فصل الكلم بعضها
من بعض ووصل بعض الحروف دون بعض حسبما هو الموجود اليوم وعليه يحمل
ما ورد ان اول من كتب بالعربية ملوك مدين او رجال من كلب او غير ذلك وكان حرب
ابن امية يتردد في تجارته الى العراق فتعلم الخط العربي من اهل الانبار وعاد
به الى قريش بمكة فتعلموه منه قال الجعبري والخط الذي علمه حرب بن امية قريشا
هو الخط الكوفي فمن استنبط منه نوع نسب الى ابن مقلة ثم ءاخر نسب الى ابي
الحسن بن البواب ه قال ابن خلكان لم يوجد في المتقدمين ولا المتاخرين من كتب
مثل ابي الحسن بن البواب ولا قاربه وان كان ابو علي بن مقلة اول من نقل هذه الطريقة
من خط الكوفيين وابرزها في هذه الصورة وله بذلك فضيلة السبق وخطه
ايضا في نهاية الحسن لكن ابن البواب هذبها ونقحها وكساها طلاوة و
بهجة وممن اشتهر ابو عبيد البكري الاندلسي صاحب التصانيف العجيبة حكى
ابن مقلة انشد

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته ۝ ودت جوارحه لو انها مقل ۝

والكل معترف بقدرته في الحسن بالتفرد وعلى منواله ينسجون ولسننه فيه يلحقون
شأوًا ولا والذين بعد ذلك قد كان في تعلمهم من يزعم ما ليس فيه ومع هذا فما
رأينا ولا سمعنا ان احدا ادعى ذلك بل الجميع اقروا له بالسابقة وعدم
المشاركة ه كلام ابن خلكان وقد تطورت الخطوط العربية في الاطوار وتعددت كما
تطورت لغتهم في الاطوار وتعددت حسبما اسلفناه في صدر هذا الكتاب وربك
يخلق ما يشاء ويختار **تتمة** ذكر ابن خلكان ان جميع كتابات الامم
من سكان المشرق والمغرب اثنا عشر خطا وهي العربية والحميرية واليونانية
والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية والقبطية والبربرية
والاندلسية والهندية والصينية خمس منها اضمحلت وبطل استعمالها
وذهب من يعرفها وهي الحميرية واليونانية والقبطية والبربرية والاندلسية
وثلاث بقي استعمالها في بلادها وعدم من يعرفها في بلاد الاسلام وهي
الرومية والهندية والصينية وبقيت اربع هي مستعملة في بلاد الاسلام وهي
العربية والفارسية والسريانية والعبرانية ه وهذا الكلام يحصر

انه لا تخفى معه وأيضا نقول له ان يحكوكه تساوي اللغات او تكاد وان شرع
في اتساع اللغات وكثرتها كثرة لا تقف عند الحصر ولا التيسير وان اكثر
وقد نقل ابن خلكان في نفسه ان ابا نصر الفارابي كان يحسن اكثر من سبعين لسانا
وان يحكوكه ان لم تكن تساويها فلا تنقص عنها الا باليسير وان الفرنج اليوم قد
أولعوا باحياء اللغات الدائرة وتجديد ان يحكوكه العادات فلا تراهم في ذلك بالعي
وعثروا من ذلك على غرائب تعز الا على من جد في الطلب واعلم ان الكلام في
الكتابة طويل الذيل منيع السبيل اذ لها تآليف تخصها وقد يشتغل بشيء
فيه عن غرضنا ويوضح لك هذا ان تعلم ان القلم احد اللسانين وكما ان
للغة قواعد واحكاما تخصها كذلك للكتابة قواعد واحكام تخصها وهي
مذكورة في دواوينها والله اعلم واما تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن الشعر والكتابة فقد قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال
الزمخشري اي ما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو طلب قرض الشعر
لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت
والشبهة ادحض وذكر صاحب المواهب اللدنية ان من خصائصه صلى الله
عليه وسلم حرمة الكتابة والشعر عليه قال وانما يتجه القول بحرمتهما ان قلنا
انه صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما والاصح انه كان لا يحسنهما ثم
قال وهل منع الشعر خاص به عليه السلام او بنوع الانبياء قال بعضهم نعم
عام لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له فانه لا يكفي فيه الخصوصي
نكتة ه وقد وصفه الله في القرآن وغيره من كتبه التي انزلها على انبيائه
بالنبي الامي وقال وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا
لارتاب المبطلون هذا وقد ورد في صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية ما
ظاهره يقتضي انه صلى الله عليه وسلم كتب فان فيه عن البراء بن عازب
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالح المشركين كتب الكاتب وهو علي بن ابي طالب
رضي الله عنه هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقالوا لو نعلم انك
انت محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي امح رسول الله فقال
علي لا امحوه ابدا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب

هذا وقد قال محمد بن عبد الله ان ذاك من النعمة قال العلقمي فقد تمسك بكلام هذه
الرواية ابو الوليد الباجي فادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب بيده بعد
ان لم يكن يحسن ان يكتب فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه ورموه بالزندقة
وان الذي قاله يخالف القرآن حتى قال قائلهم

برئت ممن شرى دنيا باخرة ۞ وقال ان رسول الله قد كتبا

فجمعهم الامير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال للامير هذا
لا ينافي القرآن بل يؤخذ من مفهوم القرآن لانه قيد النفي بما قبل ورود القرآن
قال وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وبعد ان تحققت اميته
وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب في ذلك لا مانع من ان يعرف الكتابة بعد
ذلك من غير تعليم فتكون معجزة اخرى وذكر غير العلقمي ان الباجي صنف
في ذلك رسالة بين فيها ان ذلك غير قادح في المعجزة فرجع بها جماعة اذ ليس
من عرف ان يكتب اسمه فقط يخرج عن كونه اميا لانه لا يسمى كاتبا وجماعة
من الحذاق فراوا مشوا على كتابة العلامة وبعض اميين والحكم للغالب في الصور
النادرة وقد قال عليه الصلاة والسلام انا امة امية اي اكثرهم كذلك
لندور الكتابة في الصحابة وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
وبعضهم بالمعنى وقال اليعمري في عيون الاثر ان ابا الوليد بعث الى الافاق
فيستفتي بمصر والشام والعراق وغير ذلك فعلمهم قال لم يكتب بيده قط وانما
ذلك محمول على المجاز وان معنى كتب امر بالكتابة ومثلت كما يقع بينه ان منع
كتب قال وجرت هذه المسالة يوما بحضرة شيخنا الاصولي ابي الفتح القشيري
يعني ابن دقيق العيد فلم يقبلا بقول من قال كتب وقال عن الباجي من قبل الوجه
ان ان يستفيد بالعلماء من الافاق ثم قال العلقمي وذكر ابن دحية ان جماعة
من العلماء وافقوا الباجي في ذلك منهم شيخه ابو ذر الهروي وابو الفتح
النيسابوري واخرون من علماء افريقية وغيرها واحتج بعضهم لذلك بما اخرجه
ابن ابي شيبة وعمر بن شبة من طريق مجالد عن عون بن عبد الله قال ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال مجالد فذكرته للشعبي فقال
صدق قد سمعت من يذكر ذلك ثم ساق احاديث وقال بعدها واجاب الجمهور

بعض هذه الأحاديث ثم قال الشمني وغيره وهذا وإن كان ممكنا ويكون
آية أخرى لكنه يناقض كونه أميا لا يكتب وهي الآية التي قامت بها الحجة
وأفحمت الجاحد وانحسمت الشبهة فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت
الشبهة وقال المعاند كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك قال الشمني
والمعجزات يستحيل أن يرفع بعضها بعضا والحق أن معنى قوله فكتب أنه أمر
عليا أن يكتب ه‍ ثم قال وقال الأقلاعي المحقق الحق عندي في هذه المسألة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم استمر على وصف الأمية كما هو ظاهر القرآن
ولقوله إنا أمة أمية وحديث البراء في صحيح البخاري في قصة الحديبية مصرح
بأنه صلى الله عليه وسلم غير محسن للكتابة ولهذا قال في الرواية الأخرى ولعل
هذا امتنع من محو اسمه أرنيه فلو كان يعرف موضع الحروف أو التهجي لما سأله
إراءته فلما محا من المكتوب مكان اسمه وهو محمد رسول الله وكأنه صلى الله أراته
عليه وسلم محا ما يدل على الشهادة بكونه رسولا فقط وأبقى الجلالة مكانها ومحمد
مكانه وأمر عليا أن يصور له كيفية ابن عبد ويصوره له في شيء فنقله صلى الله
عليه وسلم إلى ذلك الموضع المحو كما شاهده مع عدم معرفته بأوضاع الحروف
وجاء على الحد الذي يقال فيه كاتبا كما هو مشاهد في كثير من العوام ممن لا يعرف الحروف
ولا أوضاع يكتبون خطا حسنا ينقلونه نقلا كما ينقلون الأشكال والصور
ولم ينقل إلينا من طريق صحيح ولا ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب شيئا بخطه غير ما في هذه القصة وإنما كان له صلى الله عليه وسلم كتاب
يكتبون له الوحي وغيره وهذا الذي ظهر لنا هو الصواب الذي لا محيد عنه
والله الموفق ه‍ كلام الأقلاعي المحقق قال العلقمي وما قاله هو الوجه
الذي ينبغي أن يعول عليه ولا يلتفت إلى ما أبداه غيره من الجمع فإن كلا منهما
في غاية الشذوذ لا يحتاج إلى جواب وهذا الذي قاله هو اللائق بعصمته وتنزيهه
الله به والله أعلم ه‍ مختصرا **لطيفة** حكى المقري في نفح الطيب عن
القاضي أبي الفضل عياض قال حدثنا محمد بن يحيى المعروف بابن الصيقل الشاطبي
من لفظه قال أخبرني أبو الحسن بن مفوز قال كان أبو محمد بن أحمد بن الحاج الشراري
من أعلام بلده شعر لما رأى الباجي وتفقه عنده وكان يميل إلى مذهب الباجي في جواز

مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة بيده في حديث الحديبية فأطال في
الحرفية على ما جاء في كلام بعض رواياته ويحتج به وكنت أنكر ذلك عليه
فلما كان بعد مدة أتانا زائرا على عادته وأعلمني أن رجلا من إخوانه رأى
في النوم كأنه بالمدينة وأنه يدخل المسجد فيرى قبر النبي صلى الله عليه
وسلم أمامه فيتعرض له فيسمع هدة وصيحة عظيمة ثم يراه ينشق ويهتز
ولا يستقر فيفزع به منه فزع عظيم وسألني عن عبارة رؤياه فقلت أخشى
على صاحب هذا المنام أن يدعي رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته
أو ينحله ما ليس له بأهل أو لعله يفتري عليه فسألني بالله من أين قلت
هذا فقلت من قوله تعالى يكاد السماوات يتفطرن منه الآية إلى قوله أن دعوا للرحمن
ولدا فقال لي حدثني يا سيدي وأقبل يقبل رأسي ويبكي حينئذ ويبكي مرة ويضحك
أخرى ثم قال لي أنا صاحب الرؤيا وأسمع ما فيها يشهد لك بصحة تأويلك
قال إني لما رأيت في ذلك الفزع العظيم كنت أقول والله ما هذا إلا
أني أقول وأعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فكنت أبكي وأقول إني
تائب يا رسول الله وأكرر ذلك مرارا فبادرني الفجر فمن عاد إلى مثله أو رآه
وسكت فاستيقظت ثم قال لي وأنا أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كتب فهو حق وعليه ألقى الله تعالى فقلت الحمد لله الذي أراك البرهان
فاشكر له كثيرا ه وقال ابن أبي زرع حدثني بهذه الحكاية أبو الربيع بن سالم
بقراءتي عليه عن الكاتب أبي بكر عبد الرحمن بن مغاور وقراءة عليه عن
القاضي أبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن جحدر عن أبي الحسن كلام بن مفوز قال
كان أبو محمد أخي هذا وشيء أتم من هذا ه ما نقله المؤلف رحمه الله

ـــ (وفهم به فإنه لا شك عنوان الجهل والبخل والتحذلق)

اللغة قوله فهم به أمر من التفهيم بالتضعيف ومن الفعل والمراد أقبل
على الشيخ وأعطف عليه عطوف العاشق على معشوقه ومنه زيادة في قوله
فيما مر وفعله غير ممكن منه البتة وكأنه لما تقدم فرضه بمنزلة الأدلة في مدح
الشيخ ووضوح فضيلته انتقل عنه إلى المذهب وقال فهم به لأكرم تقدم أن قوله
وفعله غير ممكن منه من مقام العرب لا تمتلئ جوف الحرة فيهما يريه خير له

هذا أن يمتلئ شعرا فالصواب أن هذه اللغة غير معهودة له والمعوّل عليه
ما قدمناه أن كل شيء فلا يستدل به عليه ويكون له وجه لغات أفصحها ما
نطق به الناظم مضموم العين وأيضا بالكسر والفتح العقل والفطنة والتحذلق
بالحاء المهملة والذال المعجمة مصدر تحذلق الرجل إذا ادعى الحذق وادعى أكثر
مما عنده كتحذلق وعن محمد بن موسى بن حماد قال قال الخليفة المهدي يوما في
العتاهية أنت إنسان متحذلق معتّه فمن ثم قيل له أبو العتاهية والمعتّه
كمعظّم الغافل المعتوه المختل قاله في القاموس وإنما كان الشعر عنوانا أيضا
وما عطف عليه لمن يدركه الشعراء وفطنتهم على غيرهم فالشعر دال على
جودة القريحة وصحة الفكر وتمام الذوق وكمال الإنسانية وما سمي الشاعر
شاعرا إلا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ولذلك يعتبر في مدائح الممدوح
والهجاء ويتقلب في أفانين الكلام وبيانه بالصور الخيالية وبتفكير وإجمال من
سيمح الذكاء ومن هذا يقول شيئا يعجز عنه غيره حتى لو عجز فمن يحسن
العربية والعروض ويتكلم الأبيات متساوية الأجزاء إلا أنها خالية من نكت
البلاغة وذوق الصناعة الشعرية لما صح لنا أن نسميه شاعرا كما قال
القائل إذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده ۞ فقل أنا وزان وما أنا شاعر ۞
ولذا فربما سمي العلماء من يتكلم الأراجيز ويحررها في فنون العلم ناظما ولم
يسموه شاعرا فافهم ۞

(وهو الإكسير وتربه لمن ۞ رام الكيمياء ورقا بوزن
من غير تفحيم وتصغير وتكـ ۞ ـليس وتركيب وقتل زيبق)

يقول إن صناعة الشعر من الصناعات التي تستحق أن تسمى بصناعة الإكسير
لا صناعة الكيمياء التي يتعاطاها أربابها ولا يحصلون منها على طائل
وهذا من الناظم رحمه الله إنكار لصناعة الكيمياء وسياقة تمنع الكلام في هذا
الفصل وكلامه مأخوذ من قول أبي بكر بن النطاح في أبي دلف العجلي

يا طالبا للكيمياء وعلمه ۞ مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن في الأرض إلا درهم ۞ ومدحته لأتاك ذاك الدرهم

يزوى

يزول انه انعكاسه على من بين اثنتين عشرة في الالف درهم ثم زاد له مثلها
ومثله قول ابي بكر ابن غانم في حق الشعراء فيما كتب لممدوحه

ما صح علم الكيمياء لغيرنا ... فيما رأينا من جميع الناس
تعطيهم التبر النضار اذا امتدحوا ... رفعوا اليك الشعر في قرطاس

وقول ابن قلاقس الاسكندري

ما صح علم الكيمياء لغير من ... مدّاح الاملاك اذ يحبو الجاه
يعطيهم الاموال اذ يعطونه ... لفظا وما هو الا لعبة اللاهي

قال المقري بعد ان انشد هذه الاشعار ليس هذا من هنا عيب الكيمياء في شيء بل هذا من باب الظرف والغرائب فان قيل وهو من فساد التخييل الذي من انتحل بما عيبه الكيمياء قلت وهذا الانتقاد اي ان كلام المقري صحيح ويؤيده قول ابي العتاهية في عمر بن العلاء وكان قد ابطأ عليه بالجائزة

اصابت علينا جودك العين يا عمر ... فنحن لها نبغي التمائم والنشر
اما بذلك عين في سحاب مطيرة ... ويا رب عين صلبة تقلع الحجر
سنرقيك بالاشعار حتى تملها ... فان لم تفق منها رقيناك بالسور

والعرب تسمي الشعر رقية الشحار والغناء رقية الزنى فلا جرم ان هذا مرجع عن ابن عبد البر بن شرف

رأيت رقى الشحار لا تستقيم له ... وقد كان شحاذا من الحر راقيا

والامثال لنا كثيرة فلنقتصر على انتقاد المقري فما ذكر التقصي عنه وجانس بين الورق والورق ليخيل ان المفتوح في استعمال الكلمة كالمكسور فيكون من باب الكيمياء وسوء هذا ان لفظ الانكسار في جزئيه ان باب السيمياء فلم يتم له ما اراد والله اعلم ومما يناسب هنا ما كتب به الحكيم الباز ابن ابي مرزوق لمن ذرب كثيرا وانشد من جاريته لها سوداء من جملة ابيات

وخصك رب العرش منها بتوأم ... ومن كلماب البيض تستخرج الدرر
وابيض اوهى وارتنا علم جابر ... فاعجلها من المعاجم الشمس والقمر

وحكى ابن ذكرى موسى ابن حيان المنسوب اليه علم الكيمياء قالوا وهو

وجل معروف الاسم مجهول الرسم والله اعلم

ذكر نبذة تتعلق بالكيمياء اصلا وحكما

عند العلماء

اعلم ان عالم الكون والفساد هو العناصر الاربعة وما تولد منها دون الافلاك وما اشتملت عليه فاما العناصر فهي النار والهواء والماء والتراب فاما النار فكرتها تلي فلك القمر تتدرج فيه وتماس سطحه الباطن ويقال لها اثير واما الهواء فكرته تلي كرة النار مثل هي النار لفلك القمر واما الماء فكرته تلي الهواء كذلك واما التراب فكرته دون الجميع وهي جرم الارض وهو مركز العالم باسره الا ان الماء انحسر عن بعض جوانبها فانعمر باعتداله الخلق فالثقيل على الاطلاق وهو عنصر التراب وهو بارد يابس ويليه في الثقل عنصر الماء الذي فوقه وهو بارد رطب والخفيف على الاطلاق هو عنصر النار وهو حار يابس ويليه في الخفة عنصر الهواء الذي تحته وهو حار رطب وكل من يستحيل الى ما يجاوره علوا وسافلا فهذه هي العناصر الاربعة وكيفياتها واما ما تولد منها فهي المواليد الثلاثة وهي المعادن والنبات والحيوان وذلك ان المتولدات ان كان ذا نمو وشعور فهو الحيوان والانسان فيه صاحب العقل والبيان وان كان ذا نمو ولا شعور له فهو النبات وان عدم النمو والشعور معا فهو المعدن ثم المعدن اجناس كثيرة من جملتها المنطرقة السبعة التي هي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والخارصيني فالمعادن كلها ترجع في تركيب خلقتها الى عنصرين اثنين هما الكبريت وهو الذكر لانه حار يابس فاشبه النار والزئبق وهو الانثى لانه بارد رطب فان كان الكبريت اكثر من الزئبق واجوده ووجدت الحرارة النارية الطابخة ولم يعقها عائق عن فعلها تخلق منهما الذهب وان كان الزئبق اكثر من الكبريت وعدمت الحرارة الطابخة تخلقت الفضة وهكذا اذا كان الزئبق قليلا او رديئا او حصل عائق على وجه مخصوص تخلق عن ذلك معادن اخر من باقي السبعة كالقصدير والنحاس وغيرهما بحسب اختلاف المقدار ووجود العائق في الفاعل او القابل او فيهما ونقل البعض عن علماء الطبيعة ان علة تخلق الذهب ان الزئبق اذا كمل تنقيته في معدنه جذبته اليه كبريتية المعدن فاجنته في جوفه ومنعته من الاستيلاء لتكونه فلما اختلطا

واتحدا وقد أبت الحرارة في كيانهما وانضاجهما انعقد منهما عند ذلك ضروب
المعادن فما كان الزئبق مائيا والكبريت نفطيا واختلفت أجزاؤهما على النسبة
التي قدرها الحكيم العليم وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من
البرد واليبس والإفراط من الملوحة والحرارة والحموضة انعقد منه الذهب على طول
الزمان لأن الذهب إكسيره قال ابن خلدون والمدة التي يتم فيها تخلق الذهب
في معدنه هي ألف سنة وثمانون سنة وهي مدة الدورة الكبرى للشمس وهي ما
ذكرناه في دورة الشمس خلاف ما عند جماعة من الفلكيين من أن الدور الأعظم للشمس
ينتهي في أربع عشرة مائة سنة وأخرى وستين سنة ونصف والله أعلم إذا
علمت هذا فاعلم أن الناس قد اختلفوا في الذهب والفضة هل يمكن التوصل
إلى صنعتهما بأن يجعل النحاس مثلا ذهبا والرصاص فضة أم لا ومنشأ الخلاف
عندهم مبني على أن المعادن السبعة هل هي أنواع مختلفة بالفصول كالإنسان
والفرس والحمار والسمك وعليه فلا يمكن تصيير النحاس أو الحديد مثلا ذهبا
بالصنعة والمعالجة كما لا يمكن تصيير الإنسان فرسا ولا العكس أو هي أصناف 6
مختلفة بالعوارض كالإنسان البربري والرومي والعربي وعليه فيمكن تصيير
النحاس ذهبا بالمعالجة كما يمكن للبربري أن يتخلق بأخلاق العرب ويتزيى بزيهم
حتى يصير كواحد منهم كما نراه في جل حملة الشريعة من الأئمة فإنهم عجم
في الأصل وحصلت لهم الملكة العربية على أتم الوجوه فأربوا على أبناء
العرب الصرحاء كما هو معلوم **واعلم** أن هذه الصناعة التي يتوصلون
بها في زعمهم إلى تخليق الذهب والفضة تشتمل على أعمال تسمى التدبير والعلم
بتلك الأعمال هو علم الكيمياء **قال** ابن ساعد لفظ الكيمياء عبراني معرب
أصله كيم يه ومعناه أنه من الله قال الصفدي والأشبه أنه فارسي بمعنى
كي مباشرتي يجيء على الاستبعاد **قلت** الأقرب هو الأول لأن الناقل
أمين ولأن المعنى الذي ذكره ابن ساعد هو المعنى الذي تنصرف إليه العامة
إلى الآن وهذه الأعمال هي الحل والعقد والمزج والتشميع والتفكيك والتقطير
والتكليس والتركيب والتصعيد وغير ذلك وكل عمل يشتمل على قوانين
وكيفيات يطول ذكرها وقد شرحها أرباب الصناعة في كتبهم وتفننت

الكلام فيها انهم لما علموا ان المواليد الثلاثة مركبة من العناصر الاربعة
متفاوتة الاجزاء بمنزلة الصناعة فيجعلون منزلة المركبات من المعادن والنباتات
والحيوانات وفضلاتها واجزائها كي يعثروا على المادة التي يستخرجون منها
الاكسير ومجرداته يستخرجونه بالاعمال التي ذكرناها فاذا اتم على الوجه
المطلوب واخذ منه شيء والقي على قدر معلوم من الفضة او الذهب او غير ذلك
على كيفية معلومة احالته ذهبا او فضة خالصة فهو عندهم بمنزلة
الخميرة الذي يحيل العجين الى كيفيته ويقلبه الى حقيقته قال فاذا اردنا ان نستخرج
ماء الزيبق للانتفاع به فانا نجعله في القرعة ونركب الانبيق ونشعل
حرارة النار فيسيل منه بالضرورة جزء مائع ومعه جزء متربد ويتعلق الاخر
ويصعد الاخر فالمائع عنصر الماء والمتربد عنصر الهواء والصاعد عنصر
النار والباقي عنصر التراب فقد انفصلت صورة الزيبق الى الاركان الاربعة
وحصل التفكيك والتقطير فيها بالنار واذا اردنا ان نستخرج بخار العود
الصالح للتكثيف به فانا نضعه على النار فتمكن منه الحرارة وينفصل منه جزء
مائع مترسب على النار ويصعد منه دخان كثيف ويبقى منه جزء كالفحم او
يستحيل رمادا فالمائع والمترسب من الماء والهواء والصاعد من النار وربما
خالطه بعض اجزاء الهواء والماسك في النار رماد من على هيئة الفحم من التراب
فقد انحلت صورة العود الى العناصر الاربعة ايضا فحصل عمل التفكيك والتصعيد
بتقريب والنفاد عرفنا بعد ان الحرارة من خاصيتها ان تفرق الاجزاء المختلفة
وتجمع الاجزاء المتماثلة والبرودة بالعكس كما هو مبين في محله وافق
التفكيك والتركيب فان المادة التي يراد استخراج الاكسير منها مثلا فمن
لا تتم ملاحيتها لذلك الا باضافة شيء اخر او اشياء اليها او تكون حليته
فيتوقف العمل على تليينها او نحو ذلك فيؤخذ تلك المادة وتسحق سحقا
بليغا ويضاف اليها ما يصلحها وتوالي عليها بالسحق والمزج بالماء او غيره
شيئا فشيئا حتى يصير الشيئان او الاشياء في صورة الشيء الواحد بحيث
يتعذر انفصال بعضها عن بعض بقدرة الله بكل وجه ومما ذكرنا يعلم ما يجري
اعمالهم من الحل والعقد والمزج والتشميع وغير ذلك دائرة على تقريبه الضرورة

النوعية التي منها في معادنها او بتركيب المواد المتعددة التي ورد منها الى صورة واحدة وتحقيق تلك الافعال غير وتدقيقها يرجع في عمله فالتفكيك والتصعيد من باب تفريق الصور النوعية التي اجزائها والتكليس والتركيب من باب جمع المواد في صورة واحدة وأما مثل الزئبق فهو فيها جثة بالنار على التوجه المعروف عندهم حتى تفنى رطوبته ويصير متحجرا كالحجر المعادن المذكورة فلذلك ونحوه الحيلة له في تحقيقه اذ من ذلك بيان مثل الصلاحية ويحصل فيه المراد وأعمال أهل هذه الفنون مبنية على أعمال صعبة والاكرار شاقة واختلاف للتلبيس فيها إذ من لم يمعن النظر عليه مروءته وسهل عليه دينه فإن جل ما يعانونه ويشتغلون بها تجنبه وتضييعه إنما هي الأزواق والأزبال وسائر النجاسات نسأل الله العافية وإن خسة اعمالهم من خسة من يتعاطى ذلك ويلتبس به ثم لا يرجعون من ذلك الا بالخيبة ولا تكون عاقبة أمرهم الا الفقر والضلال عن مراشد الحق وما يرجى نفعه في المعاش والمعاد ولله در ابن نباتة حيث قال

فمن تكسر أن أسر أهل الكيميا خجلا ... ويكثروا إذا دعاهم بغير ما سهروا

إن يحاولوا كتبا للدرس ينهشم ... اضحوا ملوكا وإن من جربوا افتقروا

تعلقوا بحبال الشمس من طمع ... وكم فتى منهم في غرة العمر

فإن قلت فما تقرر في حكم مزاولة الصناعة ونجاح سعيها قلت إن تعين حكم الامتناع شرعا وعقلا وعادة أما شرعا فقد سئل الشيخ ابو اسحاق الشاطبي عن صناعة الكيمياء هل هي حلال أم لا فقال إن الغش في النحاس او غيره من الأجساد حتى يصير فضة أو ذهبا لا يشك فيه مثبت في بطلانه فمتعاطيه ممن كان يفعل ذلك او يسعى في الاجساد بقدر ما حتى يصير فضة كما ترى كان غاشا من لبسها فإن الذي مثل ذكره لم يستعمل احد ذلك منه بقليل ويقول انه ذهب حتى صار فضة او ذهبا فكذلك من يريد ذلك عين له حتى يعوده إلى أهله فمن تم ينسد فيها بصورة أهل الحج فقوله عليه الصلاة والسلام من غشنا فليس منا فيكون صناعته من آثامه ومنه هو لا شك فيه وأما عقلا فقال ابن خلدون ويتعين المصير إليه ان المعادن انواع اختلفت بالفصول واذا كان كذلك فمحال أن ينقلب الحديد ذهبا او الرصاص فضة لأنه من باب قلب الحقائق وهو محال وإذا قال العلماء

في العوض الذي يستعمله الله فردة له وهذا زيد مع أنه يعقل الله اين حلت قدرته
وعن سلطانه تعالى إنه تعالى مسخ أعضاءه بعين الكلية له وأما الحقيقة الإنسانية
فلم تتغير بل قال فيها ميراثها كانت أولا فيهما وكبقاء على قلوبهم بعدم الإيمان
فقط وقد كره المسخ مجاز عقلة فكيف يسلم للإنسان العاجز أيضا مع أنه يقدر على
قلب حقيقة الحديد إلى حقيقة الذهب الكبريت إلا أنه حجة والتدليس فيه ذلك
فسلم له وداخل تحت كسبه وأما القول بأن المعادن نوع واحد اختلفت بالعوارض
فمردود بالمشاهدة لما بينهما من بساط المباينة خاصية وقيمة ومقدار وغير
ذلك والتباين في اللوازم يؤذن بالتباين في الملزومات

۞

والناس كثير من أن يمرحوا رجلا ۞ حتى يروا عنزة وذا أن داخلا
ومن الذي يترتب أن الحديد والذهب نوع واحد وقد أجاز الشارع صلوات الله
عليه بيع الذهب بالفضة متفاضلا وبالعكس ومنع منه في الذهب مع أنه
ليس بينهما من المباينة ما بين الحديد والذهب مثلا وأيضا فقد قدمنا أن الذهب
لا يتم تخلقه في معدنه إلا بعد أن يمضي عليه أكثر من ألف سنة وإذا كان كذلك
فكيف يقدر الإنسان أن يحفظ الأطوار التي تتعاقب عليه في تلك المدة وكيف
يتأتى له حصر مقادير الحرارات والبرودات التي تعتوره وتفعل فيه على زعمهم
وكيف يضبط مراتب الغذاء الذي يغذى عليه شيئا فشيئا حتى يتم كونه فإن
الإنسان لا يمكنه أمر الصنعة إلا إذا كان عالما بجميع ما تتوقف عليه بل
ليس ذلك إلا للعليم الحكيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى والإنسان عاجز
فكيف عن الاشتراء أي الحيلة التي بها يتم تخلق الذهب فإن قلت أليس
أرباب الفلاحة قادرين على إيجاد الثمرة قبل أوانها بضرب من الحيلة
وقادرين على تلقيح الأشجار ويحيلون بعضها إلى بعض كما هو مشاهد فلم
لا يجوز في مثل الكيمياء أن يحيلوا الحديد ذهبا والرصاص فضة قلت
أطوار النباتات والحيوانات ليست كأطوار المعادن فإن أطوار الأوليين
كلها وخلقها تنتهي في مدة قريبة من سنة إلى عشر من سنة فيسهل التجربة فيهما
وأمكن استغراق أطوارهما وضبط أطوارهما وبذلك يتأتى للناس استنباط
علمي الفلاحة والطب إذ مسائلهما ومسائل غيرهما من علوم الطبيعة كلها

مبنية على التجربة بخلاف الصور المعادن فإن تغايرها طويلة جدا تنقضي الأعمار
والأجيال دونها فلا يمكن فيها التجربة والضبط وإذا كان الذهب لا يتم إلا في
الأعصار فسلاخ الشيء من أصله سنة فلا يمكن التجربة فيه حينئذ لأن الشيء يعيش
فلا يمتد إلى الألف سنة بل إن الأمور العادية لا تنضبط إلا بتكرار التجربة المرة
بعد المرة حتى يغلب على الظن أن السبب حصل عقب سببه لا ارتباطهم فزوال الله تعالى
بينهما إن على سبيل الاتفاق وبإثمنا وليس ما عادة فلأن العقل المعلم سرى
الجاهل والعالم والغبي والزكي أن كل من تعاطى من الصناعة لا ينجح سعيه
ولا يتم أمره بل لا تكون عاقبة أمره إلا الخيبة والتعب والخسارة وشقو
الهمة والمروءة وقال الإمام فخر الدين الرازي عند قوله تعالى الذي جعل
لكم الأرض فراشا والسماء بناء ما نصه تأمل فإن البشر استخرجوا الحرف
الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمكة من قعر البحر واستنزلوا
الطير من أوج الهواء ثم عجزوا عن إيجاد الذهب والفضة والسبب في ذلك
أنه لا قادر في وجود مثال إن التنمية ومعرفة القادر أن تحصل إلا عند
العزلة فالقادر على إيجادهما يحصل معرفة الحكمة فلذلك ضرب الله ونعما
فلا تشتروا الفضة إن العزلة الحكمة وابتغاء العزلة النعمة ولذلك فإن مال
مضرة على الخلق فيه فكنتم منه فقصار وأمتكنتم من اتخاذ الشمع من النحاس
والزجاج من الرمل وإذا تأمل العاقل في مثل اللطائف والعجائب افتكر
في افتقار مثل التراب إلى صانع حكيم مقتدر عليم سبحانه وتعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا اهـ فلتتأمل وبين ما ذكره الفخر رحمه الله أن أمر العلم
اليوم قد بلغوا الغاية في علوم الكيمياء وفروعها واستنبطوا من المعادن
والنباتات وغيرها ما يكاد العقل يحيله ولا يصدق به أنه قد حصل بيد
كان من الذهب والفضة فمكنا الكافر الشرع الناس الذين مرشدة تعلو النفوس
به وتوفر الدواعي عليه بمقتضى تعاطي ذلك والاهتمام به وليل
ويقطع ما قاله الفخر رحمه الله وحسبك ويؤيده أنه ما حكاه ابن جلجل في
تاريخه في ترجمة أبي بكر محمد بن زكرياء الرازي الطبيب المشهور من أنه صنف
كتابا في إثبات صناعة الكيمياء وقدم به إلى منصور بن نوح الساماني

اقدر ملوك فا وراء التمني فأعجبه وشكره عليه ووصله بألف دينار وقال له
أردت أن تخرج من الذي ذكرت في كتابك إلى الفعل فقال له الرازي إن ذلك مما
تمون له المنصور ويحتاج إلى آلة وعقاقير صحيحة وإلى إحكام صنعة ذلك
كله وفي ذلك كلفة فقال له المنصور كل ما احتجت إليه من الآلات وما يليق
بالصناعة أحضره لك كاملا حتى تخرج ما ضمنته كتابك إلى الفعل فلما حقق
عليه ذلك كاع عن مباشرته وعجز عن عمله فقال له المنصور ما ظننت أن حكيما
يرضى بتخليد الكذب في كتب ينسبها إلى الحكمة يشغل بها قلوب الناس ويتعبهم
فيما لا يعود عليهم منفعة ثم قال له قد كافأناك على قصدك وتعبك بما
صار إليك من الألف دينار ولا بد من معاقبتك على تخليد الكذب فحمل السوط
على رأسه ثم أمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسيره
إلى بغداد فكان ذلك سبب نزول الماء في عينيه حتى عمي هـ فانظر أهل الاشتغال
بهذه الكيمياء تنافي للمروءة والعقل والدين وفيما ذكرنا الكفاية والله
الموفق ولم أذكر له رواية كالأصمعي ۞ والجهل أوفى بالذي لم يصدق
الفائدة في قوله رواية للمبالغة والأصمعي تقدم الكلام عليه والجهل انتفاء
العلم بالمقصود وقيل تصور المعلوم على خلاف هيئته ومعنى قوله والجهل
أوفى الخ أن من لم يصدق في طلب العلم بنية خالصة وعزيمة صادقة وبصيرة
نافذة فالجهل أوفى به من كقول صاحب المقنع المبغا في ۞
لكن سر الله في من والطلب ۞ كم رد في الطلاب من العجب
والأصل فيه قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الآية عن
أبي سليمان الداراني رضي الله عنه والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم
إلى ما لم يعلموا ومصداقه حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم
يعلم

التعريف بالأصمعي رحمه الله

هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي وإلى
جده أصمع المذكور ينسب وباهلة امرأة من همدان تزوجت معن بن أعصر بن
سعد بن قيس عيلان بن مضر فنسب ولده إليها وكان الأصمعي قد نشأ بالبصرة
وأخذ عن المشايخ كأبي عمرو بن العلاء وغيره وسمع شعبة بن الحجاج والحمادين

ومسعر بن كدام وغيرهم وروى عنه ابو عبيد القاسم بن سلام وابو حاتم
السجستاني وابو الفضل الرياشي وغيرهم قال ابن خلكان كان الاصمعي
صاحب لغة ونحو واماما في الاخبار والنوادر والملح والغرائب وقال المبرد
كان الاصمعي حافظا فطنا عارفا باشعار العرب واخبارها كثير التطواف في
بالبوادي لاقتباس علومها وتلقي اخبارها وهو صاحب غرائب الاشعار
وعجائب الاخبار وفريد الفضلاء وفيلسوف الادباء فقد استولى على الغايات
في حفظ اللغات وضبط العلوم الادبيات صاحب دين وبر وعفاف وخير وكان
خاصا بالرشيد حظيا عنده اخذ الصلات ولما قدم عليه ببغداد حضر
وابو عبيدة معمر بن المثنى قيل لابي نواس قد اشخص ابو عبيدة والاصمعي الى
الرشيد فقال اما ابو عبيدة فانهم ان امكنوه قرأ عليهم اخبار الاولين
والآخرين واما الاصمعي فبلبل يطربهم بنغماته وقال عمر بن شبة سمعت الاصمعي
يقول احفظ ستة عشر الف ارجوزة وقال اسحاق الموصلي لم ار الاصمعي يدعي
شيئا من العلم فيكون احد اعلم به منه وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي
رضي الله عنه يقول ما عبر احد عن العرب باحسن من عبارة الاصمعي وقال ابو
بكر الصولي لما قدم الحسن بن سهل العراق قال احب ان اجمع قوما من اهل الادب
فاحضر ابا عبيدة والاصمعي ونصر بن علي الجهضمي وحضرت معهم فابتدأ الحسن
ينظر في رقاع بين يديه للناس في حاجاتهم فوقع عليها فكانت خمسين رقعة
ثم امر فدفعت الى الخازن ثم اقبل علينا فقال قد فعلنا خيرا ونظرنا في
بعض ما يرجى نفعه من امور الناس والرعية فلنأخذ الآن فيما نحتاج اليه
فافضنا في ذكر الحفاظ فذكرنا الزهري وقتادة ومررنا فالتفت ابو عبيدة
فقال ما الغرض ايها الامير في ذكر من مضى وبالحضرة من يقول انه ما قرأ
كتابا قط فاحتاج الى ان يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج منه فالتفت
الاصمعي وقال انما يريدني بهذا القول ايها الامير والامر في ذلك على ما حكى
وانا اقرب عليك قد نظر الامير فيما نظر فيه من الرقاع وانا اعيد ما فيها وما
وقع به الامير على رقعة رقعة قال فامر واحضرت الرقاع فقال الاصمعي سأل
صاحب الرقعة الاولى كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة

حتى قدم في بنيها وان جعفر رفعه فالتفت اليه نصر بن علي فقال ايها الرجل اتق
على نفسك من العين فكفه الاصمعي وقال ابن خلكان قال الاصمعي حضرت انا
وابو عبيدة عند الفضل بن الربيع فقال لي كم كتابك في الخيل فقلت مجلد واحد
فسأل ابا عبيدة عن كتابه فقال خمسون مجلدا فقال له قم الى هذا الفرس
وامسك عضوا عضوا منه وسمه فقال لست بيطارا وانما هذا شيء اخذته
عن العرب فقال لي قم يا اصمعي وافعل انت ذلك فقمت وامسكت بناصيته وشرعت
اذكر عضوا عضوا واضع يدي عليه وانشد ما قالت العرب فيه الى ان فرغت منه
فقال خذه فاخذته وكنت اذا اردت ان اغيظ ابا عبيدة ركبته اليه وقد روي من
طريق اخرى انه كان عند الرشيد وان الاصمعي لما فرغ من كلامه في اعضاء
الفرس قال الرشيد لابي عبيدة ما تقول فيما قال قال اصاب في بعض واخطأ في
بعض فالذي اصاب فيه مني تعلمه والذي اخطأ فيه لا ادري من اين اتى به وكان شديد
الاحتراز في تفسير الكتاب والسنة فاذا سئل عن شيء منهما قال العرب تقول معنى
هذا كذا ولا اعلم المراد منه في الكتاب والسنة اي شيء هو وبلغ ابا عبيدة
ان الاصمعي يعيب عليه كتاب المجاز وقال يتكلم في كتاب الله تعالى برأيه
فسأل عن مجلس الاصمعي في اي يوم هو فركب حماره في ذلك اليوم ومر بحلقته
فنزل عن حماره وسلم عليه وجلس عنده وحادثه ثم قال له يا ابا سعيد
ما تقول في الخبز اي شيء هو فقال الذي تخبزه وتأكله فقال ابو عبيدة قد
فسرت كتاب الله تعالى برأيك فان الله تعالى قال وقال الآخر اني اراني احمل
فوق رأسي خبزا فقال الاصمعي هذا شيء بان لي فقلته ولم افسره برأيي فقال
ابو عبيدة والذي تعيب علينا كله شيء بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا
وقام وركب حماره وانصرف وزعم الباهلي صاحب كتاب المعاني ان طلبة
العلم كانوا اذا اتوا مجلس الاصمعي اشتروا البعر في سوق الدر واذا اتوا
مجلس ابي عبيدة اشتروا الدر في سوق البعر لان الاصمعي كان حسن الانشاد
والزخرفة لرديء الاخبار والاشعار حتى يحسن عنده القبيح وان الفائدة مع
ذلك عنده قليلة وان ابا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة
وعلوم جمة وقال ابو احمد العسكري لغرض هذا انما قرئ على الاصمعي وهو بالبصرة

ال

أن يسمى البيت بلفظ بفعل واحتج بضعفه وكبره فكان إنما فر من جميع المشكل من
الحسان بأن يسمى مما البيت ليجيب عنهما وحكى عباس بن الفرج قال ركب الأصمعي
حمارا دميما فقيل له بعد برذين الخلفاء تركب هذا فقال متمثلا

ولما أبت إلا انصراما بودها ... وتكديرها الشرب الذي كان صافيا
شربنا برنق من هواها مكدر ... وليس يعاف الرنق من كان صاديا

هذا وأملك ديني أحب إلي من ذلك مع فضله وأخبار ونوادر كثيرة وكانت
ولادته سنة اثنتين وعشرين ومائة وتوفي في صفر سنة ست عشرة ومائتين
بالبصرة وقيل بمرو رحمه الله ونفعنا به

لله در بنات الدهر إذ فجعت ... بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفا
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى ... في الناس منه ولا من علمه خلفا

وله من التصانيف كتاب خلق الإنسان وكتاب الأجناس وكتاب الأنواء وكتاب
الهمز وكتاب المقصور والممدود وكتاب الفروق وكتاب الصفات وكتاب
الأبواب وكتاب الميسر والقداح وكتاب خلق الفرس وكتاب الخيل وكتاب
الإبل وكتاب الشاء وكتاب الأخبية وكتاب الوحوش وكتاب فعل وأفعل
وكتاب الأمثال وكتاب الأضداد وكتاب الألفاظ وكتاب السلاح وكتاب
اللغات وكتاب مياه العرب وكتاب النوادر وكتاب أصول الكلام وكتاب القلب
والإبدال وكتاب جزيرة العرب وكتاب الاشتقاق وكتاب معاني الشعر وكتاب
المصادر وكتاب الأراجيز وكتاب النخلة وكتاب النبات وكتاب ما اتفق لفظه
واختلف معناه وكتاب غريب الحديث وكتاب نوادر الأعراب وغير ذلك

(وليت بيتي كان مثل الأفوه ... في أسوة بما افترى كل تبغي)

الأسوة الأفوه نسبة إلى أفوه بن عبد شمس وهو بضم الهمزة على القياس وبعضهم
على غير القياس وهو الأشهر عندهم قاله في المصباح والإسوة بكسر الهمزة
وضمها كالقدوة وزنا ومعنى والافتراق الاتباع وتبغي بمعنى تبغي للوزن
والقافية ومعنى الكلام تمنى الشيخ الإمام برواية الشعر للأفوه في أساس تبتغى
وتساوي تبتغي كما قال عمر رضي الله عنه اشتريها يذكر ذلك ويشهد له فقال
وليت بيتي كان مثل الأفوه البيت ذكر الأفوه وقصته مع افتراق به

أما الأموي فهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وأما من افتخر به فهو المأمون بن الرشيد العباسي رحم الله الجميع وكان من خبر ذلك ما حكاه ابن كثير في درر الغرر فقال كان الرشيد ناظرا يوما بيحيى بن خالد ابن برمك بين يديه ابنيه من ولده فعلم يحيى ميله إلى أم جعفر وهي زبيدة أم الأمين وتعصبه لابنه يومئذ مقدما وقال له مقدار لهذين ولديك فحكمك في حبهما ما يستحق الرشيد المأمون والأمين وهما صبيان فأغرى بينهما فأسرع الأمين إلى المأمون بكلام فالمأمون لحلمه ثم إنه أمرهما أن يتقارعا فوثب الأمين وسكت المأمون فقال له الرشيد ما لك لا تقول يا عبد الله أخفت ابن الهاشمية أما إنه أشد أيدا فقال المأمون منعني على ما ذكر أمير المؤمنين ولكني لم أخفه وإنما قبضت يدي عنه ما قبض لساني إذ حين أسمعني فقال له الرشيد وما الذي قبض يدك ولسانك قال قول الأمير لبنيه

انفوا الضغائن بينكم وتواصلوا ... عند الأباعد والحضور الشهد

بصلاح ذات البين طول بقائكم ... ودماركم بتقاطع وتفرد

فلمثل ريب الدهر ألف بينكم ... بتعاطف وتراحم وتودد

حتى تلين جلودكم وقلوبكم ... لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حنق وبطش أيد

عزت فلم تكسر وإن هي بددت ... فالوهن والتكسير للمتبدد

فرق الرشيد رقة شديدة واغرورقت عيناه بالدموع فكفكفهما ثم أقبل على الأمين فقال يا محمد ما أنت صانع إن صرف الله إليك أمر هذه الأمة فقال أكون معه يا أمير المؤمنين فقال الرشيد أن تفعل فأهل لذلك أنت ثم أقبل على المأمون فقال يا عبد الله ما أنت صانع إن صرف الله إليك أمر هذه الأمة فابتدرت دموع المأمون وبكى الرشيد لما بكى فلم يملك عينيه فأرسلهما وبكى يحيى بن خالد وبكى الأمين حتى إذا أفاقوا من البكاء أعاد الرشيد مسألة المأمون فقال إليك عني يا أمير المؤمنين فقال الرشيد عزمت عليك لتقولن فقال إن قدر الله ذلك جعلت الحزن شعارا والعزم دثارا والحزم سيفا يا أمير المؤمنين مشعرا به تستعمل حوادثه ولا تبدل لحلاته فأشار الرشيد إلى الأمين والمأمون

بالانصراف فانصرفا ثم اقبل على يحيى فانشد له بيت جعفر بن عمرو بن الشريد

أمنت بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

ويقال يحيى هذا الذي للأمير المؤمنين من أمراء رشدا قال ابن كثير الأبيات المذكورة لعبد الملك بن مروان يخاطب بها بنيه

(وهذا منه المجد الأصيل فاتبع ... سبيله على الجميع ترتق)

الإعراب قوله هذا منه المجد الإشارة ترجع إلى جميع ما تقدم من قوله واستمع إلى نظم الحكيم إمام المجمعوا في مثنا وقوله فاتبع سبيله جواب شرط مقدر أي وإذا كان كذلك فاتبع سبيله وقوله ترتق مجزوم في جواب الأمر ومعناه تعلو وترتفع وعلى الجميع أي جميع أبنائه عشر فلان عوض عن المضاف إليه كقوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها أي أسماء المسميات والله أعلم

(وإن أردت أن تكون شاعرا ... فحلا فكن مثل أبي الشمقمق)

(ما خلفت في العصر له من مثيل ... سواء في مغرب ومشرق)

الإعراب قوله وإن أردت شرط وقوله فكن مثل أبي الشمقمق جوابه قال الجاحظ يقال للمجيد من الشعراء فحل ومن دونه مفلق ثم شاعر ثم شويعر ثم شعرور وقيل الفحل من اداعور عن غلب قوله ما خلفت بفعل وفاعل ومعناه ما كنت ومن مثل مفعوله الأول وله مفعوله الثاني أي ما كنت فيما قبل كاينا له وفي العصر متعلق بكاين ويحتمل أن يكون في العصر مفعولا ثانيا لخلفت وله متعلقا بمثل وفي مغرب ومشرق بدل من في العصر وسوا في استثناء من مثل فإن قلت كيف صح ابدال قوله في مغرب ومشرق من قوله في العصر وأحدهما زمان والآخر مكان قلت لأنهما متلازمان فأحدهما يقوم مقام الآخر فإن قلت الخبر منه في نفي الكرج ونحوها فيما الخبر كذلك لأنه مقصود قلت لما كان المقصود هو نفي المماثلة على سبيل التعميم وكان الخبر أيضا على ذلك المقصود بحسب العرف جاز الاستغناء به عن الخبر منه على أن يكون الخبر منه في نفي الكرج إنما هو غالب لا لازم والله أعلم

التعريف بأبي الشمقمق والد الناظم رحمهما الله

أما أبو الشمقمق فهو أبو محمد مروان بن محمد الكومي الشاعر المشهور بأبي الشمقمق وهو مولى مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية قال الجاحظ في كامله وهو على ما زعم

التوزي عن أبي عبيدة من أهل خراسان من بخارية في رواية من مرو من خراسان وبها كان
مع عبيد الله بن زياد أيام كان واليا على خراسان فقال وكان أبو الشمقمق ربما يمدح
ويهجو كثيرا ويحرم ميكن من آبه قلت وكان الشعراء من أهل عصره يتقون هجاءه
ويهابونه وله في ذلك ملح وأبيات ونوادر فمنها أن بشار بن برد كان يعطيه
في كل سنة مائتي درهم فأتاه في بعض السنين فقال له هلم الجزية يا أبا معاذ
فقال أو يحك أو جزية هي قال هو ما تسمع فقال له بشار يا رجل أنت أفصح
مني قال لا قال فأعلم مني بمثالب الناس قال لا قال فأشعر مني قال لا قال فلم أعطيك
الجزية قال لئلا أهجوك قال إن هجوتني هجوتك فقال له أبو الشمقمق أوكذا هو
قال نعم فقل ما بدا لك فقال أبو الشمقمق

إني إذا ما شاعر هجانيه ... ولج في القول له لسانيه
أدخلته في است أمه علانيه ... بشار يا بشار

وأراد أن يقول يا ابن الزانية فوثب بشار فأمسك فاه وقال أراد والله أن يشتمني
ثم دفع إليه مائتي درهم وقال له لا يسمعن هذا منك الصبيان وحكي أيضا
أن أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه فمنعه فقال اسمع إذن ما قلته وأنشده

حدثوني أن سلما ... يشتكي جارة أيره
فهو لا يشتكي شيئا ... غير أير في است غيره
وإذا سرك يوما ... يا خليلي نيل خيره
قم ودع راسه لا ... مشلع يقرع باب ديره

فبعث إليه سلم وأعطاه خمسة دنانير وقال أحب جعلت فداك أن تصرف
راسك لا فلح عن باب ديرنا وجاء يوما إلى ابن خواتن فقال أعيت من يستدبر من
المنزل وأخرج إليه رقعة فيها

أخربت بابن بغل جيرانه لي ... فبقيت للأطماع كالمتمزق
فلئن رزقت امرءا شدوا بكيتني ... الروح ما دام كالسهم المفوق
فلئن أرحتنا وأنت تري ... جلدت بدم حرام أبي الشمقمق

ومن نعت منزل الأنبياء في أقوال الصبيان وأخبار أبي الشمقمق بإتيانات أخر فلم نستقص
شيئا منها ومن مجونه أنه جاء يوما إلى ديوان الخراج فقام على بابه وأنشد على هوية

يا معشر الكتاب جاء الشتا ... وليس في بزو ولا جبة
فلا تمرضوا في كسوتي ... منكم جميعا فردة فجبة

فاعطاه كل واحد منهم بزا وجبة وقال يهجو سعيد بن سلم

مقامات تغرب في حمد بن بارد ... ان كنت تطمع في نوال سعيد
والله لو ملك البحور باسرها ... واتاه سلم في زمان مدود
يبغيه منها غرفة لطهوره ... لابى وقال تيمم بصعيد

وقال يهجو اوفى بن منصور

ما كنت احسب ان الخبز فاكهة ... حتى نزلت على اوفى بن منصور
الحابس الروث في اعفاج بغلته ... خوفا على الحب من لقط العصافير

وحكى ابن خلكان ان خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني كان قد ولي الموصل من قبل المامون يوم دخلها وفي صحبته ابو الشمقمق المذكور فلما دخل خالد الموصل نشب لواؤه في سقف باب المدينة فاندق فتطير خالد من ذلك فانشد ابو الشمقمق ارتجالا

ما كان مندق اللواء لريبة ... تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا الرمح اضعف متنه ... صغر الولاية فاستقل الموصلا

فبلغ الخليفة ما جرى فكتب الى خالد بن يزيد بن مزيد قد زدناك ديار ربيعة كلها لكونه جعله استقل الموصل ففرح بذلك واجزل صلة ابي الشمقمق ما ذكره ابن خلكان من هذا الخبر ومقتضاه ان ابا الشمقمق ادرك زمان المامون وكانت خلافة المامون على راس المائتين وهذا الثالثة من الهجرة والذي في كامل ابن الاثير ان هذه القصة اتفقت لخالد بن يزيد بن حاتم المهلبي وصاحب الشعر هو ابو الهيثم وكان ذلك في خلافة الرشيد والله اعلم بالصواب واخبار ابي الشمقمق ونوادره كثيرة جلبها على هذا المنوال في حسن البديهة واصابة الغرض

واما والد الناظم فهو الاديب ابو عبد الله محمد بن محمد بن ونار قال ابو عبد الله الحميدي كان والد الناظم على ما بلغني فادرة في الادب واعجوبة دهره في فضله وذكائه وجوده وكرمه ذا همة ارق من نسيم الاسحار وبديهة تختلب العقول والابكار ومكارم تحدي اخلاق الوفاء ودعابة تفعل في النفوس فعل العقار وكان شديد الصمم فهذا احسن شيمه وانعدم وكان مع

ذلك يفهم بلطيف الإشارة، فلا يفهمه غيره بصريح العبارة، حتى انه
ليجيب عما يكتبه الكاتب على اعضائه في الكلام، وعما يرمقه الرامق في الهواء
نحو دائرة الكلام، من غير ان ينطق في الجواب، ويخطئ غير الصواب، فهو كما قال
الشاعر ۵ تشير له بالمعنى من بعيد ۵ فيفهم طرفه عند الإشارة
قال ومن شيمه بعض من يعتني باخباره، ممن بلغ الغاية في اختباره، انه كانت
له مشاركة في الأدب، ومعرفة بالتاريخ وايام العرب، وانه لو تفرغ للتحصيل
وجرى على طبعه الأصيل لكان بحر علم به يجارى، وفارس حلبة لا يبارى،
لعزيز ذكائه، وعذوبة مائه، رحمه الله ه كلام الحريري ببعض تغيير في اللفظ
قلت وبجودة فهمه وغزارة مادته وحسن بديهته لقبه امير المومنين
الآتي ذكره في الشمقمق وعلق الى جنبه ولده متمثلا بمدح المعهود بالذات
من انشاء منشئ الأرجوزة فقال

۵ لذا الذي كناه به سيدنا الـ ۵ ـمشهور عبد البر تاج المغرب
محمد سبط الرسول خير من ۵ ساد بحسن خلقه والخلق
اعني امير المومنين بن ابيـ ۵ ـن المومنين بن الامام المنتقي

الإعراب قوله لذا الذي كناه متعلق بما سبق من جملة ثلثة والذي الخ تابع للأب
الشمقمق، وقوله عبد البر وصف بالمصدر للمبالغة اي فهو ناصره، وقوله
تاج المغرب تشبيه بليغ بحذف الأداة، والسبط بالكسر ولد الولد وجمعه اسباط
ومن خلقه والخلق الجناس المحرف، وفي قوله اعني امير المومنين ابيه النوع
المسمى بالتكرار وهو ايضا من نوع الاطراد قال في التلخيص هو ان ياتي الشاعر
باسم الممدوح واسماء آبائه على الترتيب في الولادة من غير تكلف في السبك
وقال الشيخ معين الدين بن الجمال في شرح بديعيته الاطراد عبارة عن ذكر اسم
الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به واسم من امكن من ابيه وجده وقبيلته
ليزداد الممدوح تعريفا وشرطه ان يكون ذلك في بيت واحد من غير تعسف ولا
تكلف، ومن اراد في التعبير فهو اعلى ما في التلخيص وغيره، ومن شواهد الاطراد
قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام، وقول محمد بن

عبد الملك الزيات

من كان يفخر بنا ويومين سيدنا ۞ ويجيرنا من شر كل خليفة
إلا تقدم خليفة بخليفة ۞ بخليفة بخليفة بخليفة

يعني الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور وإنما أراد أنه معرق في الخلافة ليس حديث العهد، وللعجب بالشرف والمجد: قالوا ولا يكون مع فاحش يكون الثالث فما بعده فليتأمل وسنذكر ذلك في ضريح الناظم على ما يتبين بعد إن شاء الله

ذكر السلطان الممدوح بهذه الأرجوزة وبعض مآثره

هو الإمام الأعظم والكنز الأفخم أمير المؤمنين وقائم الملة والدين أبو عبد الله سيدي محمد بن أمير المؤمنين المولى عبد الله ابن أمير المؤمنين المولى إسماعيل ابن الشريف بن علي الشريف المراكشي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال الشيخ أبو علي اليوسي رحمه الله شرف الشادات السجلماسيين مقطوع بصحته كالشمس الضاحية في رابعة النهار وهذا الإمام من أعاظم ملوك فاس العظمى ومراكش الحمراء وسائر بلاد المغرب الأقصى بويع له بالخلافة بعد وفاة والده رحمه الله أواخر صفر الخير سنة إحدى وسبعين ومائة وألف وكان رضي الله عنه من أعاظم الملوك ومشاهير الخلفاء وقد بسطنا أخباره وسيرته في تاريخنا الكبير الموسوم بكتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى فلينظره لمن أراده وكانت وفاته رحمه الله يوم الأحد الرابع والعشرين من رجب سنة أربع ومائتين وألف بوادي شراكة في رباط الفتح من أرض سلا ودفن بالرباط المذكور يوم الاثنين ثاني يوم الوفاة وضريحه مشهور يتبرك به إلى الآن على غاية من الإجلال والإعظام وكان رحمه الله عالي الهمة يحب المجد ويركب سنامه ويحب ملوك التاريخ ويجرده ويتمم مطالعة الأكفاء ويطالعونه مطالعة السادة ويهتم بالأقوال والمرايا حتى علا صيته عند بعضهم وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ويضع الأشياء مواضعها ويعرف مقادير الرجال ويؤدي حقوقهم ويتجاوز عن هفواتهم ويراعي في مثل السوابق سوابقهم وكان له اعتناء كبير بالعلماء لا يغيبون عن مجلسه في غالب وقت الضرورة يشتغلهم بعد

كتب التعريف والسير وقام بهم بتحرير الانساب وتصنيف الدفاتر وتحصيل المهمات في العشرين وله دواوين كثيرة شهيرة بالمغرب فمن اشتهى جمعها فمعظمها في تاريخنا المذكور وبالجملة فبسط اخباره يحتاج الى تاليف مستقل فلنمسك عنان القلم: خوف الوقوع في الملام:

(غير ملوك الغرب من أشرافه ۞ وغيرهم على العموم المنجلي)

الخ عرفت قوله خبر ملوك الغرب خبر مبتدأ محذوف والغرب بفتح الغين المعجمة والمراد به الاقصى لان المغارب في عرف اهلها ثلاثة أدنى ومنه القيروان وتونس وما بين بلاد افريقية والأوسط ومنه تلمسان والجزائر وما بينهما والاقصى ومنه فاس ومراكش وما بينهما وأشراف الرجل بفتح الهمزة رهطه الأدنون من الاشراف ومن الشرف لانه يشرف بهم اي يتقوى بهم

ذكر ملوك الغرب من الأشراف السادات السجلماسيين رضي الله عنهم

أما ملوك الغرب من أولاد الأشراف وغيرهم فيكون أكثرهم وأولهم من أولاد الأشراف فنقول فأول من اجتمعت له الكلمة بسجلماسة المولى الشريف بن علي نشأ عفيفا وجيها زاهدا متمثل الأمر مشكور العقب ثم بايعه أهل سجلماسة عن رضى منهم ورغبة فيه سنة اثنين واربعين والف ثم تخلى عن الرياسة بعد ذلك للأمور بقيام المولى محمد بتكميلها وكان له من الولد اربعة عشر او اكثر من افضلهم المولى محمد بن الشريف فبويع له في حياة والده سنة خمسين واربعين والف فضبط أمر سجلماسة واستولى على درعة واعمالها ثم على فاس واعمالها ثم رجع عنها وشن الغارات على عرب المغرب الأوسط واحواز تلمسان ثم توفي المولى الشريف سنة تسع وستين والف بسجلماسة فحينئذ قام المولى الرشيد ابن الشريف على اخيه المولى محمد بن الشريف ثم خرج عليه بعد ذلك ونهض لقتاله فكان اللقاء ببسيط انكاد فاصابت المولى محمد بن الشريف رصاصة في نحره كانت فيها منيته وذلك يوم الجمعة التاسع من محرم سنة خمس وسبعين والف واجتمع الناس على بيعة المولى الرشيد فاستتب امره وتتبع ثوار المغرب فاستاصلهم بالسيف حتى لم يبق له فيه منازع وكان اول ملوك هذه الدولة الشريفة في الحقيقة

ثم وافته منيته بمراكش ثاني يوم النحر وهو يوم الخميس من سنة اثنتين وثمانين
وألف ثم نقل إلى فاس فدفن بضريح الشيخ أبي الحسن بن حرزهم وبويع أخوه المولى
إسماعيل بن الشريف وهو يومئذ بمكناسة الزيتون وسنه يوم بويع عشرون سنة
فنهض بأعباء الخلافة وضبط الأمور وثبتها واستمر ملكه دائرا على أثبت
الدعائم وأرسخ القواعد واتخذ مكناسة الزيتون دار ملكه فأبقى بها الآثار
التي تعجز عنها أعاظم الدول وامتد ملكه من وادي تافنا شرقا إلى أطراف
السودان غربا وذلل أمم البربر وجزع جبالهم واتخذ من جنود العبيد ما لا يكاد
يأتي عليه الحصر يقال إنه توفي وفي ديوانه نحو مائة وخمسين ألف جندي ونعمهم
كلهم بالخيول المسومة والأسلحة السابغة وبنى بأطراف المغرب وتلوله ما ينيف
على سبعين قصبة وشحنها بالجنود والعدد وكانت مدته إلى ما يقارب الستين
سنة ثم توفي بمكناسة الزيتون دار ملكه يوم السبت السابع والعشرين من رجب
سنة تسع وثلاثين ومائة وألف ولما توفي السلطان المذكور استضعف جند العبيد
أولاده واستبدوا عليهم فصاروا يولون ويعزلون حسب أغراضهم وطوع شهواتهم
فبايعوا أولا ابنه المولى أحمد بن إسماعيل المعروف بالذهبي فمرج أمر المغرب واختلفت
أحواله وكثر الهرج واستمر الحال على ذلك نحو السنة فخلع العبيد المولى أحمد
وبايعوا أخاه المولى عبد الملك بن إسماعيل في شعبان سنة أربعين ومائة وألف
ثم بعد أشهر يسيرة خلعوه وأعادوا أخاه المولى أحمد المذكور في أواخر السنة
المذكورة ثم توفي يوم السبت رابع شعبان من سنة إحدى وأربعين ومائة وألف
وقيل سنة اثنتين وأربعين وكان في أيامه يحنو على أخيه المولى عبد الملك فنكث الديوان من
إثر ذلك وبايع العبيد والكافة أخاهما المولى عبد الله بن إسماعيل وكانت
أيامه مضطربة وكان رحمه الله شديد الشوكة ماضي العزيمة كما يشير إليه وانتهى
في قتل العبيد حتى كاد يأتي على جملتهم لتماليهم على قتل أخيه المولى عبد الملك
كما مر فخلعوه سنة سبع وأربعين ومائة وألف وبايعوا أخاه المولى أبا الحسن
علي بن إسماعيل وفر المولى عبد الله إلى الشرق وقدم المولى أبو الحسن المذكور من
سجلماسة واستقر بمكناسة وكان مضطربا بالحكم منتميا إلى العدل متوقفا في
الدماء فاستمر على ذلك نحوا من ثلاث سنين ثم إن المولى عبد الله أقبل من السوس

فسمع كلا بعض من العبيد فاغتالوا ابن مسعود وفوا لاخيه وجاء العثمن كما بيعة اخرى
واحكم في الامر بمكناسة وفريق شيعة المولى عبد الله وكان ردا المولى ابو الحسن
امره في ادبار من الى عرب الاحلاف فاقام عندهم واعرض عن الملك الى ان وافته
منيته بعد مدة طويلة واما المولى عبد الله فانه فر عن مكناسة ولم يزل خلعها
فلا بعدين جيعها بقصبة ابي فكران من اعمالها وقصد مداينة وعبد العزيز ابن ناصر بخلعوه
وبايعوا اخاه سيدي محمد بن اسماعيل المعروف بابن عربية بالتصغير وتبعهم على
ذلك العبيد وتم امره فعاد المولى عبد الله الى جبال البربر واشتغل سيدي محمد
ابن عربية في مكناسة فكان امره سريع الاختلال وعجز عن القيام بامر الملك لقلة
النفقة واختلاف الكلمة وكثرة الفتن ثم لما كان اواخر صفر سنة احدى وخمسين
ومائة والف وثب العبيد على سيدي محمد بن عربية فقبضوا عليه وبايعوا اخاه المولى
المستضيء بعد استدعائه من سجلماسة وتبعهم الناس على ذلك وكانت ايام المولى
المستضيء اشد اضطرابا من ايام من قبله ولما كان منتصف ذي القعدة من سنة
اثنتين وخمسين ومائة والف ثار العبيد على المولى المستضيء فخرج من مكناسة الى
طنجة ثم منها الى مراكش وراجع العبيد طاعة المولى عبد الله المقيم ببلاد البربر
فقدم مكناسة اواخر رجب سنة ثلاث وخمسين فلم يتصلح ما بينه وبين العبيد وعادوا
فخلعوه خلعة ثانية ففر الى بلاد البربر في ربيع الاول سنة اربع وخمسين وبايع العبيد اخاه
المولى زين العابدين وتوقف عن بيعته الوداية واهل فاس ثم قلب العبيد له ظهر
المجن فخلعوه وقويت شوكة اخيه المولى عبد الله فقدم من بلاد البربر وجدد له
الوداية واهل فاس بيعته وتبعهم العبيد واجتمعت الكلمة عليه واقام بدار
الدبيبغ من فاس وجرت بعد ذلك امور مع المولى المستضيء يطول ذكرها واستمر
الحال الى ان توفي المولى عبد الله المذكور سابع عشر صفر الخير سنة احدى وسبعين
ومائة والف ودفن بقبور الاشراف من قبلة فاس الجديد واجمع اهل المغرب بعده على بيعة
ولده سيدي محمد بن عبد الله وهو الممدوح بهذه الارجوزة وكان رحمه الله واسطة
عقد ملوك الدولة جم المناقب كثير المحاسن شهير الذكر بعيد الصيت جدا ولقد
ذكر اهل المغرب اوصافها بعد ان اشرفت على الحد جملة ولا يسعنا استيفاء ذلك
ولا الاشارة اليه ولنذكر مثالا من وفاته رحمه الله كانت يوم الاحد الرابع

والعشرين

والعشرين من رجب سنة أربع ومائتين وألف وبويع ابنه المولى يزيد بن محمد وكان
رحمه الله جوادا سمحا وبطلا شهما وسيدا قرما إلا أن مدته كانت قصيرة
فكان أهل الحوز من مراكش وأعمالها لما كانوا قد بايعوا أخاه المولى هشام بن محمد
واعصوصبوا بصفقة كلمتهم وتباروا في خدمته ورفضوا طاعة أخيه المولى يزيد
فزحف المولى يزيد إلى مراكش ودخلها عنوة ثم زحف إليه المولى هشام فكان
اللقاء بأحواز مراكش فأصابت رصاصة المولى يزيد بن محمد فحملوه وعاد إلى مراكش فتوفي
بها أواخر جمادى الثانية سنة ست ومائتين وألف ودفن بقبور الأشراف قبلي
جامع المنصور من قصبة مراكش وافترقت الكلمة بالمغرب فأهل مراكش والحوز
2 بلاد اجتمع على أخيه المولى هشام بن محمد وبايع أهل الهبط وجبال غمارة المولى مسلمة بن محمد
وبايع أهل فاس المولى سليمان بن محمد فاستتب أمره وبطل أمر أخويه المولى هشام
والمولى مسلمة في أخبار يطول ذكرها وكان المولى سليمان رحمه الله من العلم والحلم
والعدل والتقوى والدين بالمحل الذي لا يدرك والشأو الذي لا يلحق وكانت أيامه
مواسم لانتشار الأمن وامتداد ظل العدل ورخاء الأسعار وتيسير نيل الأوطار
وتتبع ذلك يطول إلا أنه رحمه الله قاسى شدائد في أواخر عمره بفتن قصصناها عليك في
كتاب الاستقصاء أجزل الله ثوابه وأعلى في الجنة درجته إلى أن وافته منيته
بمراكش ثالث عشر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف وكان رحمه الله
قد عهد بالخلافة إلى ابن أخيه المولى عبد الرحمن بن هشام وعدل بها عن جماعة
أولاده لما يعلمه من ابن أخيه المذكور ودينه فكان ذلك منقبة للعاهل
والمعدود التي انفرد بها الاستقصاء ونهض المولى عبد الرحمن بن هشام بالخلافة
نهوضا يشبه نهوض أسلافه وأقام المشهور منها والمعروف وحاول إحياء سنة
الجهاد في البحر فلم يساعده الوقت لأمور يطول شرحها وقد أوردنا في الاستقصاء
تفصيله بالاستقصاء وافترقت حياته رحمه الله إلى أن توفي يوم الاثنين التاسع
والعشرين من المحرم فاتح سنة ست وسبعين ومائتين وألف ودفن بضريح جده
السلطان الأعظم المولى إسماعيل من مكناسة الزيتون واجتمع الناس بعده على
بيعة ابنه المولى محمد بن عبد الرحمن وكان هذا السلطان سالكا سنن أبيه في العدل
والورع والزهد في سائر أموره على مقتضيات الشرع الكريم وله آثار كثيرة

بالمغرب ذكرنا بعضها في تاريخنا المذكور وكان رحمه الله حازما في اقدامه عالي
الهمة راميا بها الغرض الاقصى الا ان الوقت لم يساعده كل المساعدة وكانت
همته اجل من دنياه وعلى كل حال فقد بذل المجهود في حسن القيام بامر المسلمين حتى
لقي الله على ذلك جزاه الله خيرا وكانت وفاته بعيد الزوال يوم الخميس الثامن
عشر من رجب الفرد الحرام سنة تسعين ومائتين والف ودفن ليلا بضريح جده
المولى علي الشريف قرب ضريح القاضي ابي الفضل عياض رحم الله الجميع واجمع
المسلمون بعده على بيعة ولده المولى الحسن بن محمد وكان رحمه الله اماما عادلا في
متقيا لله تعالى جوادا وكان على امور ابيه ونواب الجهات من اياما قائما صبورا على
مضض الزمن متحملا في اعباء الخلافة وامر المسلمين على ما ينبغي ومن فوق ما ينبغي
فمن اكرم الله تعالى به هذا القطر المغربي واناله به الامال في كل الذي كان الى
شفقة ولين جانب وهمة فاز بها على الشمس وجاه زين حين الملتمس وسعادة
قد سلبت المشتري سعوده وانبجست من روض الجلالة العلوية اداله واورقت عوده
وسياسة زرعت محبته في قلوب الرعية وابقت منه على كل خلق كريم وسجية
مرضية وقد ذكرنا جملة وافرة من اخباره في تاريخنا المذكور وخلدت اثارا
كثيرة بثغور الغرب وغيرها منها وهي اول احياء سنة السفن في البحر وتجديد مراسيها
اذ كانت معطلة من لدن اعوام الخمسين من ايام جده المولى عبد الرحمان رحمه
الله واشترى عدة بابورات من فيها على مراسي المغرب بعضها كبير وبعضها صغير
لوسق السلع ونحوها وبنى ابراجا هائلة بثغور كثيرة وربّاها الفتح وشحنها
بمدافع ثنا سبها وانتخب من العدوتين وفاس وغيرها متعلمين ارسلهم الى بر النصارى
يتعلموا اللسان وعلوم الالات الجمالية في ان ذلك لم يكمل له كبير فائدة
اذ كان ذلك يحتاج الى تقديم مقدمات وتمهيد امور ينبني التجوز في تلك العلوم
والعمل بها عليها كما انه رحمه الله كان مغرى بصناعة الكيمياء شاهر
من اجل جلالته وفضله بكثير واغتنى بنسخ كتبها وطلب اليه كل من يشار اليه
بشيء من فنها واغدق عليهم الارزاق الكثيرة وخرج عليهم الاموال الطائلة
فلم يحصل من ذلك على طائل وكانت نيته في ذلك رحمه الله ان يستعين
به على تعزيز جيش المسلمين وثغورهم اذ كان دخل المغرب الاقصى وقايده

ضعيفا

مضيفا بالنسبة الى غيره من العمالات ولما جاء الى اخبار البحر والسير فيه
كتب الى عامل سلا كتابا يقول فيه بعد الافتتاح والطابع السلطاني وبعد فقد
حضر بين يدينا الارضى الحاج محمد ابن سعيد السلاوي وفقك الله وسلام عليكم ورحمة
الله وبعد فمرادنا ان تبحث في الثغر السلاوي عمن له خبرة بالرياسة البحرية
ومعرفة كيفية السير في البحر بالبابور الكوشطة تامة اي بلغ ذلك بحيث لا يخفى عليه
شيء من امر تلك الرياسة فاذا وجدت من فاقت به الصفة المذكورة فلا يخلو اما
ان يكون متعددا واما ان يكون منفردا وعلى فرض التعدد فلا بد ان يكون البعض اقوى
مهارة من البعض فلتبينهم لنا باسمائهم وانسابهم ومراتبهم في الرياسة وما
يحسنه كل واحد منهم من ذلك على الانفراد مع كونهم بلديين او افاقيين او البعض
بلديا والبعض افاقيا حتى نكون على بصيرة من امرهم واجعل بالك عليهم وليكونوا
على الصفة لما يرد عليك من قبلنا بحيث اذا ورد عليك امرنا الشريف بما يكون
فيهم كانوا متيسرين وان لم تجد من فاقت به تلك الصفة متعددا بل وجدت واحدا
فقط فسمه ايضا باسمه ونسبه ورتبته في الرياسة وليكن متهيئا لما يرد عليك
من حضرتنا الشريفة وان لم تجد من فاقت به تلك الصفة ولاكنه اذا اريد تعليمه
يقبل التعليم بسهولة اما لتقدم معرفة له بذلك واما لكونه فطنا فكذلك
بينهم لنا باسمائهم وانسابهم ومراتبهم في الذكاء والفطنة افاقيين او بلديين
واطلع علمنا الشريف بكل ذلك على تفصيله عزما والسلام في ثاني صفر
الخير عام تسعة وتسعين ومائتين والف هـ لفظ الكتاب ثم انه رحمه الله
اتخذ عدة وافرة من شباب اهل العدوتين اعني سلا ورباط الفتح فاشتغل فيهم
بحرية ومتعلمين بالبابور الاعظم الحسني بمرسى طنجة ولا زال بعضهم به الى
هذا العهد وكان رحمه الله كثير الحركات والغزوات في قبائل المغرب الاقصى
فدوخ اقطاره ووطئ اصقاعه من صحرائه وتلوله وراء بلاد السوس غربا الى
ما حاذى زاز وجراوة واعظمها وقعا واشرفها غزاته تلك التي فتك فيها مرة بعد اخرى وغزا
قبائل البربر بفازاز والصحراء وغيرها مما وراءه ووطئ ارضهم وتغلغل في بلادهم واتوا
صفقة الطاعة ومدوا اليه يد الاذعان مرة بعد اخرى وكانت خاتمة مطافه
وآخر غزواته غزوة تافيلالت التي وقع فيما قبلها البربر على اختلاف

اجتناسهما وكثرة انواعهما ونزار جميعا تربة جيران المولى علي الشريف وشاعر معاصر
اسلافه الكرام وجاء الى مراكش على كتب بني القابجة فاحتلها واسكنها سنة احدى
عشرة وثلاثمائة والف ثم خرج منها في اخر السنة المذكورة غازيا في ايت
شغمان من برابرة جبال الريف وتوفي بعقل ابن عمه المولى سرور بن ادريس بن سليمان رحمه
الله فادركه اجله واتته منيته بمحلته بوادي العبيد من ادرنان ليلة
الخميس ثالث في الحجة الحرام سنة احدى عشرة وثلاثمائة والف وحمل الى رباط
الفتح فدفن بازاء جده الاعلى سيدي محمد بن عبد الله رحم الله الجميع بمنه واجمع
المسلمون بعده على بيعة ولده المولى عبد العزيز بن الحسن فهو اليوم سلطان
العصر ومالك ازمة النهي والامر نصره الله نصرا عزيزا وفتح له فتحا
مبينا آمين

وقد وجدت المجد الذي اغتصما نماه ۵ بها الآرام في روق تعلي

الاعراب والبيان

قوله وقد وجدت المجد معطوف على قوله حيث تلوح الغرر
التي ومعنى وجدت المجد والروضة الشجرة العظيمة اي شجرة كانت والجمع دوح ومعنى
مثنا هنا ان عن كون الممدوح من اهل المجد ويبعد عنه ان من اهله وغرسه فهو من
باب الاستعارة التخييلية فان قلت البيت لفظه وجدت ومنه فتبرا محذوف واذا كان
كذلك فالممدوح في قوله المذكور وحينئذ فتمتنع الاستعارة اذ لا تجمع معها بشيء
كثير من التشبيه قلت مجازيته ليست بالتكرار في ذلك المبتدا بل بالتكثير
لكونه يجيء عن اصل له من زمنا وقوله التي اغتصما نماه يحتمل ان يكون مجازا
عن ابناء الممدوح وحفدته ويحتمل ان يكون ترشيحا فقط ولك ان تجعل الكلام من
باب التمثيل في حال الممدوح في انه من اهل البيت وتعلق الآمال به بحال الشجرة
ذات الاغصان ولا كن التخيل فالمجد والآرامل في ابي منزل والله اعلم والآرامل
قال ابن السكيت المساكين من الرجال والنساء ويقال فيه واحد

وله محيي منا في اوج الزهد ۵ سنا مثل القمر المتمس
وراحة تغار من سيولها ۵ سيول ودق رون كلح مكتسي

اللغة والبيان

قوله له محيي في المحيى بصيغة اسم المفعول اما عن الوجه
او حركة من التحية لانه يحيى بها عند المواجهة وقوله في اوج معناه استقرار

ومنه تلألؤ من بابه قال ويقال أيضا أضاءة زيا عبا وأوضح الزجاجة ارتعا بحمه وصفوه
والسنا مقصورا الضوء والقمر المنتشر المتطلع وذلك عند صيرورته بدرا كاملا
قال الله تعالى والقمر إذا اتسق وفاؤه واو وأبدلت تاء للمناسبة والراحة
بطن الكف والجمع راح قال جرير ۞

ألستم خير من ركب المطايا ۞ وأندى العالمين بطون راح

والسيول جمع سيل الماء السائل بكثرة جمعه مصدر في الأصل والودق المطر تسمية
بالمصدر أيضا من ودق وإذا قطر قال الشاعر ۞

فلا مزنة ودقت ودقها ۞ ولا أرض أبقل إبقالها

والركام بالضم السحاب المتراكم بعضه فوق بعض وفي التنزيل ثم يجعله ركاما
فترى الودق يخرج من خلاله والمقصود المعنى لوجود الأثر والضمير في قوله سيولها
يعود على الراحة وسيولها مبتدأ خبره محذوف أي المتواترة وبذلها المتكاثر ففيه
استعارة تصريحية وسيول ودق رفعا على تقدير وفيه استعارة بالكناية وإثبات الغيث
تخييل وفي الكلام قلب لغة انتهت أي غير المقلوب ومن مع ذلك مأخوذ من قول الآخر

لم تحك نائلك السحاب وإنما ۞ حمت به فصبيبها الرحضاء

ولا كرامات الناظم حسن التعليل الذي اشتمل عليه كلام أبي الطيب والله أعلم

فما والد الرشيد وابنه بحلمه ۞ وعلمه من رأيه الموفق

يقول إن المنصور رحمه الله فزاد في رأيه وسداده نظيره على رأي هارون الرشيد بن
محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي وفي حلمه وعلمه فزاد على حلم ابنه
المأمون وعلمه رحم الله جميعهم ففي الكلام لف ونشر معكوس وكان الرشيد يوصف
بحسن الرأي وجودة التعبية وكذا ورثه الخلافة وقد دفع خاتمه إلى يحيى بن خالد البرمكي
قال إبراهيم الموصلي في ذلك ۞

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة ۞ فلما أتى هارون أشرق نورها
بيمن أمين الله هارون ذي الندى ۞ فهارون واليها ويحيى وزيرها

وقال أبو الحسن بن النقيب يمدح الخليفة الطائع لله ۞

وإذا أمير المومنين أهاب بي ۞ أملي نزلت على الجواد المفضل
رأي الرشيد وهيبة المنصور في ۞ حسن الأمين ونعمة المتوكل

وكما كان يوصف بسعة الرأي كان يوصف أيضا بسعة الحفظ له وجودة المذاكرة
وفيه يقول ابن الخطيب في رقم الحلل

بعصره الخلافة ذا الرشيد | وكهف التوقير والتشييد
وكان غمر الإفاضة في جوده | وغرة غراء في وجوده
وأعلم الناس بشعر وخبر | يعجب منه الأصمعي إن حضر

وأما وصف المأمون بالعلم والحلم فأمر مشهور قال الذهبي كان المأمون من أوعية العلم كثير الحلم لا يتكلف ومنح العفو خلقا لا تخلقا فكان يقول قد حبب إلي العفو حتى أخاف أن لا أوجر عليه ولو علم الناس محبتي في العفو لتقربوا إلي بالذنوب وقال أيضا وجدت المسيء عند الله تعالى ولو أساء إلي عمر بن عبد الإخوان لقبلت منه إكراما له وكفى لا أقبح عن عفو سلطه وفيه يقول الحسن بن رجاء

صفوح عن الإجرام حتى كأنه | من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي أن يكون به أذى | إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما

وقصة عمه إبراهيم بن المهدي معه في خروجه عليه وعفو المأمون عنه شاهدة برسوخ قدمه في الحلم رحمه الله وأما أمير المؤمنين المنصور فهو بمنزلة الأرجوزة بعد ذكرنا في كتاب الاستقصا من علمه وحلمه وحسن إدارته للأمور ما يقضي على كل محب في منزلة الدولة الشريفة العادلة مراجعته والتملي منه إذ المحل مما يضيق عن بعضه والله الموفق

(وساد كعيبا وابن سعد وابن جعفر | علا وجلا حتما ببذل [illegible])

معنى الكلام قوله ببذل الورق والمراد بالورق الدراهم المضروبة وليس المراد أنه إنما ساد بهم من جهة المنفعة فقط وإنما المراد أن أولئك الأجواد كانوا عربا بادية وكان نفعهم بحسب ذلك وجودهم إنما هو بنحر الإبل للضيوف أو بقصدها للعفاة وهذا الممدوح فزاد عليهم لكون الحالة الحضرية مزية الشرف وأبهة الملك ودواوين الحضارة فعطاياه إنما هي سبائك الذهب والفضة وبدر الدنانير والدراهم كما قال المتنبي في ابن العميد

من مبلغ الأعراب أني بعدها | جالست رسطاليس والإسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافني | من ينحر البدر النضار لمن قرى

وسمعت بكظمه من دار من كتبه ❁ فتملكا فتبريا متحفظا

ذكر كعب وابن سعدى وابن جدعان وحاتم وبعض أخبارهم

أما كعب فهو كعب بن مامة الإيادي أحد أجواد العرب المشهورين المضروب بهم المثل قال الجاحظ العامة تتكلم بأن حاتما الطائي أجود العرب ولو قدمته على هرم بن سنان لما افترض عليهما ولا كان الذي يجري به عرضهما ثم لا يبلغ مقدار ما روي عن كعب بن مامة لأن كعبا بذل النفس حتى أعطيه الكريم وبذل المجهود في الماء فسنا وحاتما من حاتم الوجه وبا ينه ببذل المهجة ه وكان من حديثه في ذلك أنه خرج في ركب فيهم رجل من النمر بن قاسط يقال له شمر بن مالك وقال الكراع اسمه حنبعا وقيل غير ذلك فضلوا عن الطريق وكان ذلك في شهر ناجر فعطشوا فتصافنوا ماء بينهم والتصافن أن يطرح في القعب حصاة ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمرها لئلا يتغابنوا وتلك الحصاة تسمى المقلة بفتح الميم قال الشاعر ❁ قذفوا سيدهم في ورطة ❁ قذفك المقلة وسط المعترك ❁ فقعدوا للشرب فلما دار القعب وانتهى إلى كعب أبصر النمري يحد النظر إليه فآثره بمائه وقال للساقي اسق أخاك النمري فشرب النمري ونصيب كعب من الماء ذلك اليوم ثم نزلوا من غد منزلهم الآخر فتصافنوا بقية مائهم فنظر إليه النمري كنظره أمس فقال كعب كقوله أمس وارتحل القوم وقالوا يا كعب ارتحل فلم يكن به قوة للنهوض وكانوا قد قربوا من الماء فقيل له رد كعب إنك وارد فعجز عن الجواب فخيلوا عليه بثوب يمنعه من السباع أن تأكله ووردوا الماء فلما رجعوا إليه بالماء وجدوه قد مات فقال أبوه مامة يرثيه وقيل بل قاله أبو دواد الإيادي

❁ ما كان من سوقة أسقى على ظمإ ❁ خمرا بماء إذا ناجودها بردا ❁
❁ من ابن مامة كعب ثم عي به ❁ زو المنية إلا حرة وقدى ❁
❁ أوفى على الماء كعب ثم قيل له ❁ رد كعب إنك وراد فما وردا ❁

الناجود الخمر والإناء وزو المنية قدرها وقال الأصمعي زو المنية ما يحدث من هلاك وعي به زو المنية أي عيف به من أحداث الدهر تقتله والحرة بالفتح العطش والوقد بالتحريك التوقد وكان العرزة قد سار في ركب فقل ماؤهم عطشا

فتصدق بنوله وساقه رجل من بني العنبر ان يوثره بحظه من الماء فيفعل ذلك الفرزدق وكان رجوا ان ساقه ان يوثره مرة اخرى وقال ابو قال

وكنا تساقينا الإداوة اجهشت ... الى ابن عمرو العنبري المزاحم
وجاء بجلمود له مثل راسه ... ليسقي عليه الماء بين الصرائم
وقالوا ثم لما رأيت الزيد بيعه ... على النفس اخشى لاحقات الملاوم
على حالة لو ان في القوم حاتما ... على جوده ضنت به نفس حاتم
وكنا كاصحاب ابن مامة اذ سقوا ... أخا النمر العطشان يوم الهجائم
اذا قال كعب هل رويت ابن قاسط ... يقول له زدني بلالا لحائم
وكنت ككعب غير انيتي ... تاخر عني يومها بالاخارم

وقال ابو تمام واشار الى خبر كعب المذكور

كعب وحاتم اللذان تقسما ... خطط العلى من طارف وتليد
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا ... في الجود ميتة خضرم صنديد
ان لا يكن فيها الشهيد فقومه ... لا يسمحون به بالف شهيد

وقد اكثر الشعراء من ذكر كعب هذا وقصته مثلاكه في سبيل الجود فاتوا وكان من عادته اذا جاوره رجل فمات وداه وان هلك له بعير او شاة اخلف له مثلها فجاوره ابو دواد الايادي فكان يفعل مثل ذلك فضربت العرب به المثل فقالوا جار كجار ابي دواد وقد تقدم هذا الخبر مستوفى وذكر الميداني عند قولهم في المثل هذا اقصر ان اول من تكلم به كعب بن مامة وانه كان راسيا في عنزه فاقام ثم ام صاحبه ان يقصر لما افة منهم ما قبل اقتله على غيره اياما فقال هكذا فيقصر يرى انه لا يصنع الا ما تصنع الكرام وانه عند غيره ان ضربة القصد انقطعت ظلم واما ابن سعدى فهو اوس بن حارثة بن لام الطائي الجواد المشهور قال في ثمار القلوب انما سار المثل بجود كعب لكون حاتم بن عبد الله الطائي واوس بن حارثة بن لام منهم وكلاهما ماهما في الجود والكرم قال ابو تمام الطائي

لكل من بني حواء عذر ... ولا عذر لطائي لئيم
يباهي الناس بالكرم امرؤ لم ... تزل اباؤه اهل الكريم

بن عدي ان اوسا وحاتما قد وفدا على عمرو بن هند فدعا اوسا وقال له انت

افضل ام حاتم فقال ابيت اللعن لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا في غداة واحدة
ثم دعا حاتما فقال له انت افضل ام اوس فقال ابيت اللعن انما ذكرت باوس ولأدنى
ولده افضل مني فقال عمرو والله ما ادري ايكما افضل وما منكما الا سيد كريم ومما
يؤثر من شرفه وهمة اوس ما روي ان النعمان بن المنذر ووفدت عليه اشراف العرب
فجلس اليهم وعليه حلة من نقية مكفوفة بالدرر ثم اخشن منها ثم اذن لهم في الدخول
فلما اخذوا في المجلس جعلوا يتعجبون من حسن الحلة واوس مكب وعينه اخرى في ذلك
فقال له النعمان ما اراك يا اوس دخل عليك ما دخل من يستحسن هذه الحلة على نفسها وقدرها
مثل غيرك يا اوس فقال اشعر الله الملك انما تستحسن هذه اذا كانت في بدن تاجر
فاما اذ لبسها الملك وتحلل فيها وجه المشرق فالابصار مقصورة عليه
دونها فاستحسن ذلك من قوله واستحسن جوابه فلما كان وقت انصرافهم قال لهم النعمان
احضروا غدا كلكم فاني ملبس هذه الحلة سيد العرب فانصرفوا وكل طامع فيها
ونام اوس عن الحضور فلامه اصحابه على تأخره فقال ان حضرت والله ان كنت المراد
بشيء فسل العرب وذلك ارفع لشاني وان كان المراد غيري ثم تلحقني غضاضة في اخذ غيري
لها وانا غائب فلما دخلوا على النعمان نظر فلم ير فيهم اوسا فاستفسر عن تغيبه
فكاتبه وانفذ اليه ليتيقن خبره من ذهب به فجاءه ووقع منه من القول في غيابه
فقال احضر اليه وقل له ان الملك يستنكفك فجاءه في الثوب الذي كان عليه بطارفي
ومن كانت وجوه العرب سرت بغيبته خشية ان تدفع اليه الحلة فلما استقر عند
النعمان وحضر رفع مجلسه ورحب به وقرب اليه وقال ان الحلة تعني لباسك
في هذا اليوم فخذ هذه الحلة وتجمل بها بين من تجمل من وجوه اصحابك فلبسها
وجلس في اقرب مكان من النعمان فحسدته العرب وقالوا ليس يقعده الا الهجاء
وليس له الا ابن جرول يعنون الحطيئة فكلموه في ذلك وقالوا له نشاركك في اموالنا
فقال كيف اهجو رجلا حسيبا لا ينكر بيته كريما ان بعث ... فاحتلموا بي يكعق
على رأيه فجاء عما بن يعلى بنارك ووقع منه ابلا ... بستة شيئا ... من اقضا اليوم فقال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة … من آل لام بظهر الغيب تأتيني

فسمع بذلك بشر بن ابي خازم الاسدي احد شعراء بني اسد في البذل ما تائب وقال انا اهجوه
لكم فبذلوا له مائة ناقة فهجاه واقذع في القول في امه سعدى فبعث اوس في

اغار على الابل التي اغفلها والتي كانت عنده قبلها فاكتسحوها واتوا بها
وكان بشر بن ابي خازم يجعل يشتمه بحي من احياء العرب الذين كانوا لجواره فراعى نادا
من الجوار ان نسر الا من اوس فلم يلبث بشر ان اسر احتشى اسره وجيء به الى اوس فدخل
اوس على امه سعدى واخبرها بمجيء بشر واستشارها في قتله فقالت والله
لئن قتلته ليبقين كلامه في العرب وليس يمحو هجاءه عنك الا مدحته فامنن عليه
واردد عليه ما اخذت له فاستحيى بشر منها واعتذر له وقال ما زلت اخاف هذا بعقابك
فلا تقتلني فقال انت مستحق لذلك ولكن سعدى اشارت علي بامر انا فاعله
فاطلقه ورد عليه ابله وزاده مثلها معها وكساه وحمله وقال انعم في الذي
امليك رايته فرفع بشر يديه وكفيه الى السماء وقال اللهم اشهد على بشر انه
لا يمدح احدا غير اوس بن حارثة فامدحت له في العمر بمدحه بعضها من قصائد لابي
مثبتة في ديوانه منها قوله

إلى أوس بن حارثة بن لام ... ليقضي حاجتي فيمن قضاها
فما وطئ الثرى مثل ابن سعدى ... ولا لبس النعال ولا احتذاها

نقل هذا الكلام كله صاحب ثمار القلوب وصاحب نظم الدرر والعقيان وغيرهما
ومن انشد جرير يذكر كعب بن مامة وابن سعدى في كلمته التي مدح بها عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه فقال

تعود الفضل منك على قريش ... وتفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد امنت وحشهم برفق ... ويعيي الناس وحشك ان يصادا
وتبني المجد يا عمر بن ليلى ... وتكفي الممحل السنة الجمادا
وتدعو الله مجتهدا ليرضى ... وتذكر في رعيتك المعادا
فما كعب بن مامة وابن سعدى ... باجود منك يا عمر الجوادا

واما ابن جدعان فهو بضم الجيم وسكون الدال المهملة وهو ابو زهير عبد الله بن
جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي ثم التيمي الجواد
المشهور المضروب به المثل في حسن القرى ويقال اقرى من حاسي الذهب وفي الامثال
اقرى من حاسي الذهب لانه كان يشرب في اناء من ذهب وهو ابن عم ابي بكر الصديق
رضي الله عنه يجتمع معه في عمرو بن كعب وكان من اشراف قريش في الجاهلية

ولما اجتمعت قبائل من قريش في حلف الفضول قبل الإسلام كان اجتماعهم في دار
ابن جدعان وقد حضره النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة
وقال لقد شهدت حلفا في دار ابن جدعان ما أحب أن لي حمر النعم ولو دعيت به في
الإسلام لأجبت وكان ابن جدعان قد اتخذ للضيفان جفنة يرتقى إليها بالسلم
وياكل منها القائم والراكب على البعير وسقط فيها صبي يوما فغرق وورد
وفي غريب الحديث لابن قتيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل
بظل جفنة عبد الله بن جدعان من صكة عمي يعني الهاجرة وكان له منادي ينادي بأعلى
مكة وفي أسفلها آخر فكلاهما يقول ألا من أراد الشحم واللحم فليأت دار ابن جدعان والآخر
يقول ألا من أراد الفالوذج فليأت دار ابن جدعان وهو أول من أطعم بمكة الفالوذج
كما يأتي قالوا وكان في ابتداء أمره صعلوكا ترب اليدين وكان مع ذلك شريرا فاتكا
لا يزال يجني الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته ونفاه
أبوه وحلف أن لا يؤويه أبدا لما أثقله به من الغرامات وحمله من الديات فخرج
يتقلب في شعاب مكة حائرا تائها يتمنى الموت أن ينزل به فرأى شقا في جبل فظن
أن فيه حية فتعرض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئا فدخل فيه
فإذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانساب
عنه مستديرا بدارة عند بيت ثم خطا خطوة أخرى فصفر به الثعبان وأقبل
إليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه قدما فوقف ينظر إليه ويفكر في أمره
فوقع في نفسه أنه مصنوع فأمسكه بيده فإذا هو مصنوع من ذهب
وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جثث طوال على
سرر لم ير مثلهم طولا وعظما وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم وإذا
هم رجال من ملوك جرهم وإذا عليهم ثياب من وشي لا يمس منها شيء إلا انتثر
كالهباء من طول الزمان وفي اللوح شعر مكتوب يشتمل على حكمة قال ابن هشام
كان اللوح من رخام وكان فيه أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل
ابن جرهم بن قحطان بن هود نبي الله عليه السلام عشت من العمر خمسمائة عام
وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن
ذلك ينجيني من الموت وتحته مكتوب

مَن قَطَعْتُ البِلَادَ فِي طَلَبِ الثَّرَا ... وَلِي وَالْحَمْدُ لِلإِلَهِ ثَوَابُ
وَفَرَيْتُ البِلَادَ فَرْيَ الغَيْثِ ... بِقَنَاتِي وَقُوَّتِي وَاكْتِسَابِي
فَأَصَابَ الرَّدَى بَنَاتِ فُؤَادِي ... بِسِهَامٍ مِنَ الْمَنَايَا صِيَابِ
فَانْقَضَتْ شِرَّتِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي ... وَاسْتَرَاحَتْ عَوَاذِلِي مِنْ عِتَابِي
وَدَفَعْتُ السَّفَاهَ بِالْحِلْمِ لَمَّا ... نَزَلَ الشَّيْبُ فِي مَحَلِّ الشَّبَابِ
صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ ... رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ

وَيُرْوَى فِي الْعِلَابِ جَمْعُ عُلْبَةٍ وَنَسَبَ بَعْضُهُمْ هَذَا الشِّعْرَ فِي الأَغَانِي لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ يَسَارٍ النَّسَائِيِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الأَمْرِ قَالَ وَإِذَا فِي وَسَطِ الْبَيْتِ كَوْمُ عِظَامٍ مِنَ الْيَاقُوتِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالزَّبَرْجَدِ فَأَخَذَ مِنْهُ مَا أَخَذَ ثُمَّ عَلَّمَ الشَّقَّ بِعَلَامَةٍ وَأَغْلَقَ بَابَهُ بِالْحِجَارَةِ وَأَرْسَلَ إِلَى أَبِيهِ بِالْمَالِ الَّذِي خَرَجَ بِهِ يَسْتَرْضِيهِ وَيَسْتَعْطِفُهُ وَوَصَلَ عَشِيرَتَهُ كُلَّهُمْ فَسَادَ بِهِمْ وَجَعَلَ يُنْفِقُ مِنْ ذَلِكَ الْكَنْزِ وَيُطْعِمُ النَّاسَ وَيَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ وَحَدَّثَ الأَثْرَمُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ كَانَ ابْنُ جُدْعَانَ سَيِّدًا فِي قُرَيْشٍ فَوَفَدَ عَلَى كِسْرَى فَأَكَلَ عِنْدَهُ الْفَالُوذَجَ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ هَذَا الْفَالُوذَجُ فَقَالَ وَمَا الْفَالُوذَجُ قِيلَ لُبَابُ الْبُرِّ يُلْبَكُ مَعَ عَسَلِ النَّحْلِ قَالَ ابْغُونِي غُلَامًا يَصْنَعُهُ فَأَتَوْهُ بِغُلَامٍ يَصْنَعُهُ فَابْتَاعَهُ ثُمَّ قَدِمَ بِهِ مَكَّةَ مَعَهُ ثُمَّ أَمَرَهُ فَصَنَعَ لَهُ الْفَالُوذَجَ بِمَكَّةَ فَوَضَعَ الْمَوَائِدَ بِالأَبْطَحِ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ نَادَى مُنَادِيهِ أَلَا مَنْ أَرَادَ الْفَالُوذَجَ فَلْيَحْضُرْ فَحَضَرَ النَّاسُ فَكَانَ فِيمَنْ حَضَرَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ فَقَالَ فِيهِ

فال

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌّ ... وَآخَرُ فَوْقَ دَارَتِهِ يُنَادِي
إِلَى رُدُحٍ مِنَ الشِّيزَى عَلَيْهَا ... لُبَابُ الْبُرِّ يُلْبَكُ بِالشِّهَادِ
لِكُلِّ قَبِيلَةٍ هَادٍ وَرَأْسٌ ... وَأَنْتَ الرَّأْسُ تَقْدُمُ كُلَّ هَادِ

وَقِيلَ فِي سَبَبِ اصْطِنَاعِهِ الْفَالُوذَجَ بِمَكَّةَ غَيْرُ هَذَا وَلِأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ فِي ابْنِ جُدْعَانَ مَدَائِحُ كَثِيرَةٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرْعٌ ... لَكَ الْحَسَبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَجُودًا ... إِذَا مَا الْكَلْبُ أَحْجَرَهُ الشِّتَاءُ

فأرضك كل مكرمة بنتها ۞ بنو تيم وأنت لها سماء
إذا خلفت عبد الله فاعلم ۞ بأن القوم ليس لهم جزاء
كريم لا يغيره صباح ۞ عن الخلق الكريم ولا مساء
فبرزه فضله حقا عليهم ۞ كما برزت لناظرها السماء
فهل تخفى السماء على بصير ۞ وهل بالشمس طالعة خفاء

عن الحسين المروزي قال سألت سفيان بن عيينة فقلت يا أبا محمد ما تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وإنما هو ذكر وليس فيه من الدعاء شيء فقال لي أعرفت حديث مالك بن الحرث يقول الله جل جلاله إذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين قلت نعم أنت حدثتنيه عن منصور عن مالك بن الحرث قال هذا تفسير ذلك ثم قال أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين خرج إلى ابن جدعان يطلب نائله وفضله قلت لا أدري قال قال

إذا أثنى عليك المرء يوما ۞ كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال سفيان هذا مخلوق ينسب إلى الجود قيل له يكفينا من مسألتك أن نثني عليك ونسكت حتى تأتي على حاجتنا فكيف بالخالق وكان ابن جدعان ممن حرم الخمر في الجاهلية على نفسه وكان سبب ذلك كما في الأغاني عن ابن أبي الزناد أن أمية بن أبي الصلت شرب معه ليلة فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له ما بال عينك فسكت فلما ألح عليه قال له أنت صاحبها أصبتها البارحة فقال أو بلغ بي الشراب أن أبلغ معه من جليسي هذا لا جرم لأدينها لك ديتين فأعطاه عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام أن أذوقها أبدا وتركها من يومئذ وفي كتاب [illegible] [illegible] أن سبب ذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه فضحك منه جلساؤه فأخبر بذلك حين صحا فحلف أن لا يشرب أبدا فلما كبر وهرم أراد بنو تيم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه في العطاء فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم يقول له قم فانشد لطمتك واطلب ديتها فإذا فعل ذلك أعطته

بنو تيم من قال ابن جدعان، وأخباره في الجود كثيرة شهيرة، وذكر الزبير بن بكار عن بعض شيوخه قال دخل أمية بن أبي الصلت على عبد الله بن جدعان وبنو تيم يحوطونه بنفسه فقال له أمية كيف تجدك يا أبا زهير قال إني لمدابر ذاهب فقال أمية

علم ابن جدعان بن عمـ * ـرو أنه يوماً مدابر
ومسافر سفراً بعيـ * ـداً لا يؤوب به المسافر
فقدوره بفنائه * للضيف مترعة زواخر
تبدو الكسور من انفهار * في الغلي فيها والكراكر
فكأن ثمّ بها خميـ * ـس وما شيبت بها قرائر
بذّ الفعال كليهما * بالفضل قد علم المعاشر
وعلا علوّ الشمس حتـ * ـتى ما يقاربه مفاخر
دانت له أبناء فهـ * ـر من بني كعب وعامر
أنت الجواد ابن الجوا * د بكم ينال من يثابر

وفي شرح الاكتفاء لما حضرته وفاة ابن جدعان سمع نائحة تبكيه يوم الشام وهو يقول * ألا هلك البهلول غيث بني فهر * وذو الجود والعز التليد وذو الفخر
فسمع بذلك النباش بن زرارة وهو مسافر في رفقة إلى الشام فقال النباش

ألا أيها الناعي أخا الجود والندى * من المرء تنعاه لنا من بني فهر

فقال الهاتف

نعيت ابن جدعان بن عمرو أخا الندى * وذا الحسب المرزوء والمنصب الفخر

فقال النباش شيئاً يستخبر الهاتف كيف يعرف موته فقال الهاتف

مررت بنسوان يخمشن أوجهاً * فطلبه صباحاً بين زمزم والحجر

فقال النباش شيئاً يستخبر به الهاتف عن تاريخ موته فقال الهاتف

ترى منذ أيام ثلاث كوامل * مع الصبح أو في الصبح في وضح الفجر

قال فما استقلت الرفقة وهي تتراجع بنعي ابن جدعان، وهذا إنما يحسن ذكره في العاملين بالهواتف من هذا واستدل به على بقاء الجود لابن جدعان، وقد ذكر شيئاً من مكارمه الأنيس لعله فيما تقدم، وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم

المشركين مصلحة ذلك تابعة قال صلى الله عليه وسلم لا ينفعه إنه لم يقل
يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين قال النووي رحمه الله أي لم يكن مصدقا
بالبعث ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل قال القاضي عياض رحمه
الله وقد انعقد الاجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها
بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم أشد عذابا من بعض بحسب جرائمهم ه كلام
عياض وذكر البيهقي في كتاب البعث والنشور نقولا عن بعض أهل العلم فقال
وقد يجوز أن يكون حديث ابن جدعان وما ورد من الآيات والأخبار في بطلان خيرات
الكافر معناها أنه لا يتخلص بها من النار ولكن يخفف عنه من عذابه الذي
استوجبه على جنايات ارتكبها سوى الكفر بما فعل من الخيرات ه كلام البيهقي
وفي شرح عقائد الرسالة لأبي عبد الله جسوس الفاسي رحمه الله ما نصه
وقيل إن الكافر يجازى على حسناته في الدنيا بالصحة والمال والولد وفي الآخرة
بتخفيف العذاب ويدل له حديث أخرجه البزار وابن أبي حاتم والحاكم وصححه
وابن مردويه والبيهقي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أحسن
محسن مسلم أو كافر إلا أثابه الله قلنا يا رسول الله وما إثابة الكافر في
الدنيا قال المال والولد والصحة وأشباه ذلك قلنا وما إثابته في الآخرة
قال عذابا دون عذاب وقرأ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب انظر الدر المنثور
قلت ويدل له أيضا ما جرت به عادة الله التي لا تكاد تنخرم من أن الكفار
إذا سلكوا سبيل العدل والرفق ثبت ملكهم وصلحت أحوالهم والمسلمون إذا
سلكوا سبيل الجور والعسف تلاشى أمرهم وذهبت شوكتهم نسأل الله
العافية فالعدل إحسان وصلاح حال الكفار عليه مجازاة من الله لهم عليه
في الدنيا فافهم بل قد وردت في القرآن آيات تقتضي بظاهرها إثابة كل محسن
من مسلم وغيره من ذلك قوله تعالى إن الذين آمنوا والذين هادوا وا
والنصارى والصابين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد أولها العلماء ووفقوا مع الاجماع
وانظر الكتاب المرقوم بتفسير من الانسان الكامل للشيخ سيدي عبد الكريم
الجيلي رضي الله عنه ثم التعجب وقيل إنه يجازى مثلهم في الآخرة إلى آخر ما

يتطوف عن ذروة ميسم النقص كما قاله الكلاعي، وفيما نقل الشباجي وغيره انه لما اسلم
ولده عدي قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد رفع عن ابيك العذاب
الأليم بسبب سخائه وكذا في حق أبي لهب لأنه لما بشرته مولاته ثويبة بمولده صلى
الله عليه وسلم اعتقها فخفف عنه العذاب في يوم الاثنين وورد انه يسقى
في نقرة الإبهام وكذا في حق أبي طالب فإنه لما مات قال العباس يا ابن اخي ان ابا طالب
كان يحوطك وينصرك اينفعه ذلك قال نعم اني وجدته في غمرات من النار ولولا
انا لكان في الدرك الاسفل من النار وأما غير هؤلاء الثلاثة فإنهم
مخلدون لا يخفف عليهم ه والنقرة الوسط او سكونها والفلاق في امثال العرب معروف
ينكم في محله وأما حاتم فهو ابو سفانة بالتشديد وابو عدي حاتم بن عبد الله
ابن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن اخزم الطائي والجواد المشهور اجود
العرب على الإطلاق ويضرب به المثل بين الخاصة والعامة وسبب هذه الشهرة
انه كان له في الجود خلق غريب وشيمة قلما يثبت سخاؤها عن غيره من انه جواد
لا يشق غباره في ذلك ومن تتبع اخباره وكلامه في ديوان شعره علم بمنته في
الجود وعقد له في السخاء قال ابن الأعرابي كان حاتم من شعراء العرب وكان
جوادا يشبه شعره جوده ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله
وكان مظفرا اذا قاتل غلب واذا غنم انهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح
فاز واذا سابق سبق واذا اسر اطلق وكان يقسم بالله ان لا يقتل واحد امه
وكان اذا اهل الشهر الأصم الذي كانت مضر تعظمه في الجاهلية ينحر في كل يوم
عشرا من الإبل فيطعم الناس وكان اخذ ورث الجود من امه وهي عتبة بنت
عفيف بن عمرو بن امرئ القيس المذكور في نسبه وكانت لا تدخر شيئا ولا يسألها
احد شيئا فتمنعه فلما رأى اخوتها اتلافها لما في يدها حجروا عليها ومنعوها
مالها فمكثت دهرا لا يدفع اليها شيء منه حتى اذا ظنوا انها قد وجدت
ألم ذلك اعطوها صرمة من ابلها فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها
في كل سنة تسألها فقالت لها دونك هذه الصرمة فخذيها فوالله لقد عضني
من الجوع ما لا امنع معه سائلا ابدا وقالت

۞ لعمري لقدما عضني الجوع عضة ۞ فآليت ان لا امنع الدهر جائعا

ب فقولا لمن ألا الله لا بمن ابتزع أعجبني ٥ قال أنت لم تفعل بعض ما كان يفعلا
فمن ذلك أن أم حاتم أتيت وهي حبلى في المنام فقيل لها أغلام سمح يقال له حاتم
أحب إليك أم عشرة غلمة كالناس ليوث ساعة البأس ليسوا بأوغاد ولا
أنكاس فقالت حاتم فولدت حاتما فلما ترعرع جعل يخرج طعامه فإن وجد من
يأكله معه أكل وإلا طرحه فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامه قال له الحق
بالإبل فخرج إليها ووهب له جارية وفرسا وفلوها فلما أتى الإبل طفق يبغي
الناس فلا يجدهم ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحدا فبينا هو كذلك إذ بصر بركب
على الطريق فأتاهم فقالوا يا فتى هل من قرى فقال تسألوني عن القرى وقد ترون الإبل
وكان الذين بصر بهم عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني
وكانوا يريدون النعمان بن المنذر فنحر لهم ثلاثة من الإبل فقال عبيد إنما أردنا
بالقرى اللبن وكانت تكفينا بكرة إذ كنت ولابد متكلفا لنا شيئا فقال حاتم قد
عرفت ولكني رأيت وجوها مختلفة وألوانا متفرقة فظننت أن البلدان غير
واحدة فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعارا
امتدحوه بها وذكروا فضله فقال حاتم أردت أن أحسن إليكم فكان لكم الفضل
علي وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها أو تقوموا إليها
فتقسموها ففعلوا فأصاب الرجل منهم تسعة وتسعين بعيرا ومضوا على
سفرهم إلى النعمان وإن أبا حاتم سمع بما فعل ابنه فأتاه فقال أين الإبل
فقال يا أبت طوقتك بها مجد الدهر كطوق الحمامة لا يزال الرجل يحمل بيت
شعر أثنى به علينا عوضا من إبلك فلما سمع أبوه ذلك قال أبإبلي فعلت
ذاك قال نعم قال والله لا أساكنك أبدا فخرج أبوه بأهله وترك حاتما
ومعه جاريته وفرسه وفلوها وقيل إن هذه القصة اتفقت له مع جيرانه
سعد بن الحشرج لأن أباه هلك وهو صغير فكفله جده ثم أقبل ركب
من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا له إنا تركنا قومنا
يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا إليك رسولا برسالة قال وما هي فأنشده
الأسديون شعر عبيد ولبشر فيه وأنشده القيسيون شعر النابغة فلما
أنشدوه قال إني أستحيي أن أسألكم شيئا وإن لنا لحاجة قال وما هي قالوا صاحب

لنا فرأى رجلا فقال أحاتم خذوا من سبي منزلي فاحملوا عليهما ما أحببتم فأخذوهما وركبت
الجارية فلحقوهما بنوهما فلما فلت وتبعته الجارية فقال أحاتم ما تبعكم من شيء فهو
لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية وحدث الهيثم بن عدي عن من حدثه عن
ملحان بن أخي ماوية وقيل النوار وهي امرأة حاتم قال قلت لماوية يا عمة حدثيني
ببعض عجائب حاتم فقالت كل أمره عجب فعن أيه تسأل قال قلت حدثيني ما شئت
قالت أصابتنا سنة أذهبت الخف والظلف فأتت علينا ليلة قد سهرنا فيها
من الجوع فأخذ هو عديا وأخذت سفانة وجعلنا نعللهما حتى ناما ثم أقبل علي
يحدثني ويعللني بالحديث كي أنام فرققت له لما به من الجهد فأمسكت عن كلامه
لينام فقال لي أنمت مرارا فلم أجب فسكت فنظر في فتوق الخباء فإذا شيء قد أقبل
فرفع رأسه فإذا امرأة فقال ما هذا فقالت يا أبا سفانة أتيتك من عند صبية
يتعاوون كالذئاب جوعا فقال أحضري صبيانك فوالله لأشبعنهم قالت
فقمت سريعا فقلت بماذا يا حاتم فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل
فقال والله لأشبعن صبيانك مع صبيانها فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها
ثم قدح نارا وأججها ثم دفع إليها شفرة وقال اشتوي وكلي ثم قال لي أيقظي
صبيانك فأيقظتهم ثم قال والله إن هذا للؤم أن تأكلوا وأهل الصرم
حالهم مثل حالكم فجعل يأتي الصرم بيتا بيتا فيقول انهضوا عليكم النار قالت
فاجتمعوا حول تلك الفرس وتقنع بكسائه فجلس ناحية فما أصبحوا ومن
الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلا عظم وحافر وإنه لأشد جوعا منهم
وهذا أقدم من تكرار أسماء وهذا الخبر أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني وذكره غيره
ببعض مخالفة وكان رحمه الله إذا اشتد برد الشتاء وكلب الجوع وقلت الأطعمة
أمر غلامه يسارا أن يوقد النار في يفاع من الأرض لينظر إليها من أضل
الطريق بالليل فيقصدها فيصيب من قراه ومن القائل يخاطب غلامه المذكور

أوقد فإن الليل ليل قر ۞ والريح يا موقد ريح صر
عسى يرى نارك من يمر ۞ إن جلبت ضيفا فأنت حر

وقد نقل الرواة عن العرب أن حاتما قرى أضيافا بفرسه حين باتوا عنده فيروى
والحكاية في ذلك مشهورة لم نذكرها هنا اختصارا وقد ذكر ذلك شارح ابن دريد

الغطفاني في شعره الذي مدح به عدي بن حاتم رضي الله عنه فقال

ابوك ابو سفانة الخير لم يزل — لدن شب حتى مات في الخير راغبا
به تضرب الامثال في الجود ميتا — وكان له اذ كان حيا مصاحبا
قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به — ولم يقر قبر قبله قط راكبا

ومن شعر حاتم في الجود والعفاف قوله

فاقسمت لا امشي الى سر جارة — مدى الدهر ما دام الحمام يغرد
ولا اشتري مالا بغدر علمته — الا كل مال خالط الغدر انكد
اذا كان بعض المال ربا لاهله — فاني بحمد الله مالي معبد
يفك به العاني ويوكل طيبا — ويعطى اذا من البخيل المصرد
اذا ما البخيل الخب اخمد ناره — اقول لمن يصلى بناري اوقدوا

وقال ايضا

اماوي ان المال غاد ورائح — ويبقى من المال الاحاديث والذكر
اماوي ما يغني الثراء عن الفتى — اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
اماوي ان يصبح صداي بقفرة — من الارض لا ماء لدي ولا خمر
اذا انا دلاني الذين احبهم — بملحودة زلج جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضون اكفهم — يقولون قد دمى انامِلَنا الحفر
ترى ان ما انفقت لم يك ضرني — وان يدي مما بخلت به صفر
وقد علم الاقوام لو ان حاتما — اراد ثراء المال كان له وفر

واشعاره في هذا المعنى كثيرة ولولا التطويل لذكرت منها جملة صالحة وفي مثل هذا الشعر قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وروى كميل بن زياد النخعي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال يوما يا سبحان الله ما ازهد كثيرا من الناس في الخير عجبت لرجل يجيئه اخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخاف نارا ولا ننتظر ثوابا ولا نخشى عقابا لكان ينبغي لنا ان نطلب مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاة فقام رجل فقال فداك ابي وامي يا امير المومنين اسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وما هو خير منه لما اتينا بسبايا طيء كانت في النساء جارية جميلة فاعجبت بها فقلت في لاطلبنها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليخلّيها من يديه فلما تكلمت استغنى جمالها لما سمعت من فصاحتها فقالت
يا محمد تطلب ان والدي وغاب الوافد فإن رأيت ان تخلي عني فلا تشمت بي أحياء
العرب فإني بنت سيد قومي كان أبي يفك العاني ويحمي الذمار ويقري الضيف ويشبع
الجائع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب
حاجة قط أنا بنت حاتم طيء فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جارية
هذه صفة المومنين لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها
كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق وزاد في ابن قتيبة أن
النبي صلى الله عليه وسلم كساها وحملها وأعطاها نفقة فخرجت حتى
قدمت على أخيها عدي بن حاتم بالشام فذكرت له حال النبي صلى الله عليه وسلم
ورغبته أن الإسلام فأسلم وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأكرمه
ورفع منزلته وكذا كان الخلفاء من بعده يعرفون منزلة عدي بن حاتم رضي
الله عن جميعهم وقد تقدم ما نقله الباجي وغيره عن النبي صلى الله عليه
وسلم في جود حاتم ومثل الله ما يقال في فعله وهو فيسأل عما يفعل وهم
يسألون وقد قالت الشعراء في جود حاتم فقال بعضهم ه

وحاتم طيء ان صغرى لقوت جسمه ... فنشر اسمه في الجود صار مقدرا

وقال أبو الشمقمق يهجو بخيلا ه

لما سألتك شيئا ... بذلت رشرا بغضبي
ممن تعلمت منزا ... أن تجود بشي
أما مررت بقبر ... لعبد حاتم طي
داغ للجود حاتم طي ... وحاتم البخل عوف
له قفا يغ بيض ... والعرض أسود جون

وقال

وقال أبو تمام الطائي يفتخر بجود طيء وذكر جماعة من فتيانهم فقال

أنا ابن الذين استرضع الجود فيهم ... وسمّي فيهم وهو كهل ويافع
سما بي أوس في السماح وحاتم ... وزيد القنا والأثرمان ورافع
وكان إياس ما إياس وعارق ... وحارثة أوفى الورى والملاقع
مضوا وكأن المكرمات لديهم ... لكثرة ما أوصوا بهن شرائع

(لو جا يبدع معن بمعنى في الندى ۝ وأتى بكر بمثله في المجلس)

معنى البيت ظاهر، وبين معن ومعنى الجناس التام لأن الأول وإن كان رباعيا إلا أنه كان مقصورا منونا ساوت صورته صورة الثلاثي المنصوب مثال قول من سبق إلى مثل هذا الجناس الشيخ جمال الدين ابن نباتة بقوله في الملك المؤيد

لنا ملك فرقا سمعتنا بما قد ۝ بنشر العلى منه ونظم الثنا منا

يذكرنا أخبار معن بجوده ۝ وننشي له المدح فننشي لنا معنى

۝ ذكـــر معن وجوده ۝

هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب بضم الصاد المهملة وبالموحدة في آخره واسمه عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام ابن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الشيباني ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار المضروب به المثل في الجود فيقال أجود من معن ولا حرج. قال ابن خلكان كان معن جوادا شجاعا من أجل الفضلاء كثير المعروف ممدوحا مقصودا وكان في دولة بني أمية متنقلا في الولايات ومنقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين فلما انتقلت الخلافة إلى بني العباس وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين ابن هبيرة ما جرى من محاربته بمدينة واسط أبلى معن يومئذ مع ابن هبيرة بلاء حسنا فلما قتل ابن هبيرة خاف معن من أبي جعفر المنصور فاستتر عنه مدة حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور ووثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة فخرج معن متنكرا معتما متلثما وتقدم إلى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة ودفعهم عنه فلما أفرج عن المنصور قال له من أنت ويحك فكشف لثامه وقال أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فأمنه المنصور وأكرمه وحباه وكساه ورتبه وصار من خواصه وجرى لمعن في مدة اختفائه غرائب فمنها ما حكاه الشاعر مروان بن أبي حفصة قال أخبرني معن بن زائدة وهو يومئذ متولي بلاد اليمن أن المنصور جد في طلبه وجعل لمن يحمله إليه مالا قال فاضطررت لشدة الطلب إلى أن تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضي ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجها إلى البادية

ن فيه بها قال فلما خرجنا من باب مرو وصوا على ابواب بغداد تبعني اسود متقلدا
سيفا حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فاناخه وقبض علي فقلت له
وما بك قال انت طلبة امير المومنين فقلت ومن انا حتى اطلب قال انت معن بن زائدة
فقلت له يا هذا اتق الله عز وجل واين انا من معن فقال دع هذا فانا والله لاعرف
بك منك فلما رايت منه الجد قلت له هذا عقد جوهر قد حملته معي باضعاف ما جعله
المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا في سفك دمي قال هاته فاخرجته اليه
فنظر فيه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى اسالك عن شيء فان
صدقتني اطلقتك فقلت قل قال ان الناس قد وصفوك بالجود فاخبرني هل وهبت
مالك كله قط قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه قلت لا حتى بلغ العشر فاستحييت
وقلت اظن اني قد فعلت هذا قال ما ذاك بعظيم انا والله راجل ورزقي من ابي جعفر
المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته الوف دنانير وقد وهبته
لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم ان في هذه الدنيا من هو
اجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة
ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفا فقلت يا هذا والله لقد فضحتني
ولسفك دمي اهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته اليك فاني غني عنه فضحك وقال
اردت ان تكذبني في مقالي هذا والله لا اخذته ولا اخذ على معروف ثمنا ابدا ومضى
لسبيله فوالله لقد طلبته بعد ان امنت وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له
خبرا وكان الارض ابتلعته ومن اخبار معن في الحلم والكرم ما حكاه ابن الكلبي في
نزهة الالباب قال دخل اعرابي على معن بن زائدة وكان كريما حليما فقال له

أتذكر اذ لحافك جلد شاة ... واذ نعلاك من جلد البعير

فقال معن اذكر ذلك ولا انساه فقال الاعرابي

٥ فسبحان الذي اعطاك ملكا ... وعلمك الجلوس على السرير

فقال معن سبحان الله ذلك من فضل الله فقال الاعرابي

٥ فلا والله ما ان عشت دهرا ... على معن اسلم بالامير

فقال له معن انت بالخيار فقال الاعرابي

٥ فجد لي يا ابن ناقصة بمال ... فاني قد عزمت على المسير

فقال

فقال معن اعطه يا غلام ألف دينار فقال الأعرابي

قليل ما قنعت به وإني ... لأطمع منك بالشيء الكثير

فقال معن اعطه يا غلام ألفا أخرى فقال الأعرابي

فثلث بغير ملكت الأرض طرا ... بلا أحد وبك حسب خطير

فقال معن يا غلام أعطه ألفا أخرى فقال الأعرابي لله درك والله إني قد عجزت
عن الأبيات لأختبر بها حلمك فإذا حلمك لو قسم على أهل الدنيا لكفاهم فقال
معن يا غلام كم أعطيته قال ثلاثة آلاف دينار فقال أعطه مثلها وزده ألفا أخرى
لئلا يقول إنا لم نفرق بين المدح والهجاء ومن أخباره أيضا ما حكاه في المستطرف
قال خرج معن بن زائدة في جماعة من خواصه للتنزه فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في
طلبه وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى
شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين وإلى
أين قال أتيت من أرض قضاعة لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت في هذه السنة فزرعتها
فطلع لي مقثاة في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة
لكرمه المشهور وفضله المشهور ومعروفه المأثور وإحسانه الموفور فقال وكم
أملت منه قال ألف دينار فقال إن قال لك كثير قال خمسمائة فقال إن قال لك كثير
قال ثلاثمائة قال فإن قال لك كثير قال مائتين قال فإن قال لك كثير قال خمسين قال فإن قال
لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فإن قال لك كثير قال أدخل قوائم حماري في حر
أمه وأرجع إلى أهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بأصحابه ودخل
منزله وقال لحاجبه إذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فأدخله علي فأتى بعد ساعة ٤ على
فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في
دسته والخدم والحجاب قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال
ما الذي أتى بك يا أخا العرب قال أملت الأمير وأتيته بقثاء في غير أوانها فقال كم
أملت فينا قال ألف دينار فقال كثير فقال في نفسه والله لقد كان ذلك الرجل
مشؤوما علي ثم قال خمسمائة دينار فقال كثير فما زال إلى أن قال خمسين دينارا فقال
له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الأعرابي أنه صاحبه فقال يا سيدي
إن لم تجب إلى الثلاثين فالحمار رابط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على وساده

ثم دعا بوكيله فقال اعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلاثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع ابقيهما وكانه يتسلم الأعرابي المال وانصرف ومن أخبار معن أنه كان في بعض السنين عاملا على العراق وكان بالبصرة بعض الشعراء فكان يقف ببابه مدة يريد الدخول عليه فلم يتيسر له ذلك فقال يوما لبعض الخدم إذا دخل الأمير البستان فعرفني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فإذا فيها بيت مفرد

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي ۞ فليس إلى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فأتي به فقال كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط ونظر فيها وقال علي بالرجل صاحب هذه فأتي به فقال كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال علي بالرجل فأتي به إليه فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وفكر الرجل في نفسه فخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج بما معه فلما كان في اليوم الرابع طلب معن الرجل فلم يجده فقال لقد أساء والله كنت ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وروى الخطيب في تاريخ بغداد عن أبي عثمان المازني قال حدثني صاحب شرطة معن قال بينما أنا على رأس معن إذا هو براكب يوضع فقال معن ما أحسب الرجل يريد غيري ثم قال لحاجبه لا تحجبه فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد

أصلحك الله قل ما بيدي ۞ فما أطيق العيال إذ كثروا
ألح دهر رمى بكلكله ۞ فأرسلوني إليك وانتظروا

قال فقال معن وأخذته الأريحية لا جرم والله لأعجلن أوبتك ثم قال يا غلام ناقتي الفلانية وألف دينار فادفعها إليه فدفعها إليه وهو لا يعرفه قلت وكانت للوزير لسان الدين ابن الخطيب وفادة على صاحب المغرب السلطان أبي عنان المريني فقال بين يديه وأنشده أبياتا على نحو البيتين ورويهما وضمنها البيت الأخير منهما فقضى أبو عنان حاجته قبل أن يجلس ذكر ذلك ابن خلدون في كتاب

العبر والمغرب في نفح الطيب وغيرهما وكان مروان بن أبي حفصة الشاعر قد خصه
بقوله فيه غرر القصائد وأبكار المعاني منها قصيدته اللامية الغراء التي
يفضل بها شعراء زمانه وفيها يقول

تشابه يوماه علينا فأشكلا ... فلا نحن ندري أي يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه ... وما منهما إلا أغر محجل
تجنب لا في القول حتى كأنه ... حرام عليه قول لا حين يسأل
بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ... أسود لهم في بطن خفان أشبل
بهاليل في الإسلام سادوا ولم يكن ... كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم ... وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا
ثلاث بأمثال الجبال حباهم ... وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

ودخل معن يوما على أبي جعفر المنصور فلما نظر إليه قال إيه يا معن تعطي مروان بن
أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذي زادت به ... شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين إنما أعطيته على قوله في هذه القصيدة

ما زلت يوم الهاشمية معلنا ... بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت يا معن وقال له يوما يا معن ما أكثر وقوع الناس في قومك فقال يا أمير
المؤمنين إن العرانين تلقاها محسدة ... ولا ترى للئام الناس حسادا
ودخل عليه يوما وقد أسن فقال له كبرت يا معن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين
فقال وإنك لجلد فقال على أعدائك يا أمير المؤمنين فقال وإن فيك لبقية فقال هي لك يا أمير
المؤمنين وعرض هذا الكلام على عبد الواحد بن زيد زاهد البصرة فقال ويح هذا ما ترك
لربه شيئا وأخبار معن ومحاسنه كثيرة وفيه جرى المثل حدث عن معن ولا حرج
وكان قد ولي سجستان في آخر أمره وانتقل إليها وله فيها آثار وقصده بها الشعراء
فيها فلما كانت سنة اثنين وخمسين ومائة كان في داره صناع يعملون له
شغلا فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه بسجستان بمدينة بست منها وهو

بغتتهم ثم تتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فقتلهم كلهم وكان قتل معن رحمه الله ورثاه الشعراء بأحسن المراثي فمن ذلك قول الحسين بن مطير الأسدي وهو في الحماسة

ألمّا على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا
ويا قبر معن أنت أول حفرة ... من الأرض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وقد رثاه أيضا مروان بن أبي حفصة بقصيدة هي من أجل الشعر وأحسنه وأولها

مضى لسبيله معن وأبقى ... مكارم لن تبيد ولن تنالا
هو الجبل الذي كانت نزار ... تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن ... وقد يروى بها الأسل النهالا
وأظلمت العراق وأورثتها ... مصيبته المجللة اختلالا
كأن الشمس يوم أصيب معن ... من الإظلام ملبسة جلالا
أصاب الموت يوم أصاب معنا ... من الأحياء أكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن ... إلى أن زار حفرته عيالا
ولم يك طالب للعرف ينوي ... إلى غير ابن زائدة ارتحالا

وهي طويلة من أحسن المراثي ذكر ابن المعتز في طبقات الشعراء أن مروان بن أبي حفصة دخل على جعفر بن يحيى البرمكي فقال له ويحك أنشدني مرثيتك في معن بن زائدة فقال بل أنشدك مديحي فيك فقال جعفر بل أنشدني مرثيتك في معن فأنشأ يقول

وكان الناس كلهم لمعن ... إلى أن زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه ثم قال لمروان هل أثابك على هذه المرثية أحد من أولاده أو أهله شيئا قال لا قال جعفر فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها قال أصلح الله الوزير أربعمائة دينار قال جعفر فإنا نظن أنه كان لا يرضى لك بذلك فقد أمرنا لك عن معن رحمه الله بالضعف

فيما كنت وزنه ناطق من مثل ذلك فاقبض من الخازن ألفا وستمائة دينار قبل أن تتفرق إلى رحلك فقال مروان بن أبي حفصة وقد سمع به عن معن ۵

نعمت مكافئا عن فقد معن ... لنا مما تجود به سجالا
فعجلت العطية يا ابن يحيى ... لنادبه ولم ترد المطالا
فكافى عن صدى معن جواد ... بأجود راحة بذل النوالا
بنى لك خالد وأبوك يحيى ... بناء في المكارم لن ينالا
كأن البرمكي بكل مال ... تجود به يداه يفيد مالا

ومن كان فضلا والسماح دأبه ۵ وغير ما أخذ الثنا لم يعشق
نشا في حجر الخلافة وقد ۵ شب فتى بغير ما لم يعلق
فبايعته الناس كبراء فعلا ۵ لم يك فيهما أعز بالأسبق
وأعطيت فرس العلا من بري ✱ أعواده عنايةً للأليق
فكان رقى ذا العز في زمانه ۵ فتنتمي أمثال انتشار الشرق

الإعراب والمعنى قوله من كان فضلا كمن عامله محذوف تقديره موجودا من كان فضلا **فإن قلت** من أين لك دليل التقدير وهلا جعلته معمولا لعزلته ولم يبرع في البيت قبله **قلت** أما دليل التقدير فالسياق وأما أني لم أجعله معمولا لما في البيت السابق فلأن الكلام مستأنف إذ المعنى معنى مدح ولا يليق به إلا الاستئناف واشتغل منه أن يكون جملة والسماح دأبه مستأنفة ومن كان متعلقا بفضلا والفضل بالكسر الزيادة الفعل من الإحسان والنوال ومن يكون بلفظ واحد للذكر والأنثى والجمع **قال الله** تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وجملة والسماح دأبه حال من اسم كان على الأعلى ۵ الأول وقوله وغير ما أخذ الثناء الواو داخلة على قوله لم يعشق والجملة معطوفة على الجملة الحالية وغير مفعول مقدم بيعشق وما أخذ الثناء موضع أخذ يعشق إلى المهروع ذو همة لنيل له أي إلا فيما يكسبه حمدا وشكرا مجدا دأبه وعادته من كان صبيا وهو مأخوذ من قول الكتب ۵

بصير بأخذ الحمد من كل موضع ۵ ولو خبأته بين أنيابها الأسد

وقوله نشا في حجر الخلافة في الخلافة استعارة بالكناية وذكر

المجد تخييل وهذا شبه كذري يتعلق بذلك بعلوه آخر البيت وهذا الكلام مأخوذ من قول المأمون وقد هجاه دعبل الشاعر قبح الله دعبلا فما أوقحه كيف يقول عني هذا وقد ولدت في حجر الخلافة ورضعت ثديها وربيت في مهدها وقال الخوارزمي في حق الصاحب ابن عباد نشأ من الوزارة في حجرها ۞ ودب ودرج من وكرها ۞ ورضع أفاويق درها ۞ وقال الشاعر

مسترضع في ثدي المجد مفترش ۞ حجر المكارم مفطوم عن البخل

قوله فما يعتقده الناس من هذا البيت هو كذلك فإن هذا المرحوم رحمه الله كان موصوفا بعين الخلافة والتحكيم عند أكابر الأعلام منذ كان صغيرا وكان رجال الدولة وجيش البخاري وفحول المغرب فذا يعولونه بالخلافة في حياة والده المولى عبد الله بن إسماعيل وقد أتولوه كما عندهم عن آبائهم وليجيبوا به في بواديهم وحواضرهم إلا أنه رحمه الله لبروره بوالده وكمال عقله وشرف نفسه رد عليهم بيعتهم وتنصل منها وعاد من مراكش إلى فاس حتى استوفى والده أجله بمنه وبيد أعيان الجيش وكبار الدولة وقد استوفينا خبر ذلك في كتاب الاستقصا فلما توفي والده رحمه الله لم يتخلف عن بيعته أحد من أهل المغرب فكان منه في خلافته رحمه الله ما سارت الأخبار به واشتهر بين الناس شرقا وغربا قوله والحطيئة فوق العلى من قد يرى أهواه هنا هذا مثل القوس قاله الحطيئة الشاعر وذلك أنه دخل على أمير المؤمنين سعيد بن العاص الأموي وهو يعشي الناس فأكل أكلا جافيا ثم خرج الناس وبقي هو جالسا فأتاه الشرطي يخرجه فامتنع وقال أترغب بهم عن مجالستي إني بنفسي عنهم لأرغب فقال له سعيد دعه وأخذ سعيد مع أهل سمره في حديث الشعر والشعراء فقال لهم الحطيئة والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر الشعراء ولو أعطيتم القوس باريها لوقعتم على ما تريدون فانتبه له سعيد ونسبه فانتسب فقال له حياك الله أبا مليكة أنه أعلمتنا بمكانك ولم تملنا على المجلس بتضييع حقك ونحتسف فيكد ثم أدناه واستنشده ووصله وقال الشاعر

يا باري القوس بريا ليس يحسنه ۞ لا تظلم القوس أعط القوس باريها

وقال آخر بنزع حلاك البرين في أثوب

الله اكبر هاذ الفرس بالربا ﴿ وراح اسمهم دين الله رابحا

وقوله فصار ربيع العراق اضافة ربيع الى العراق من اضافة المشبه به الى المشبه
او هو استعارة بالكناية وقد تقدمت نكتة ذلك والفيء ما يكون بعد الزوال بخلاف
الظل فيكون اول النهار وآخره والشروق بالتحريك الشمس كما في القاموس ومعنى البيت واضح
والله اعلم

(وبشارة ذكر الدين بالسيف وقده ﴿ هاد بقوله ورضى الحق وفي
وقد رقى في ملكه فصار جنة ﴿ لم يبق غير الله الى الغايات تفي
وردت ارواح الملائكة الى ﴿ اجساد من بغزوه مثل الرفيق
واستغرق الفنى عما تشتهيه ﴿ بغزوه وخصه بمعشوق)

اللغة والبيان قوله وبشارة ذكر الدين بالسيف يقال بشارة البشرى بشيرا
من باب بلغ اذا ابتدأه بالبشير بالكسر وهو الخبر فهو مبشر كجميع وبشره تبشيرا اذا
كقوله ووعده ونقيض المبشر في قوله تعالى وهو مبشر قوله ليس آخر ما ان معناه
المقصود ان الخبر بالقرينة يسمى البشير والنداء ان ومعناه المرفوع المكمول في
قوله الدين استعارة بالكناية واثبات الذكر تخييل والمؤيد بصيغة اسم الفاعل
هو الله تعالى وهذا الاسم وان لم يرد اطلاقه عليه تعالى في الكتاب والسنة لكن
شاع في كلام الأئمة والعلماء حتى كاد يكون اجماعا منهم فقولهم والله المؤيد ولعل
خلاف الأشعري في ان اسماء الله تعالى توقيفية لا يأتي فيه ويجوز ان يقرأ بصيغة
اسم المفعول ويكون المراد به جنس المؤيد ومعنى اضافة الدين اليه حينئذ الدين
الذي يستحقه المؤيد ويليق به كقوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده اي الرشد
اللائق به وبامثاله من كبار الرسل عليهم الصلاة والسلام والمراد من الكلام ان
هذا الممدوح قد جاهد في سبيل الله وبلغ الغاية في تقوى الله حتى استوجب من
الله الرضى الذي هو غاية الكمال المبين ومنتهى منية الراغبين قال الله تعالى
ورضوان من الله اكبر وانما جزمنا بهذا مع انه غيب لان الأعمال امارات
وفي الحديث اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله
عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن وقوله وقد رقى في ملكه فصار جنة المعارج منتهى

مجاز عن مراتب الشرف والمجد فهو استعارة تصريحية وفعل الرقي المبني للمفعول مفتوح العين في الماضي كما تكون في الناظم فهو من باب رضي وفعل المحسوس مكسور في الماضي فهو من باب رضي قاله ابن حجر الهيتمي عند قول البوصيري : كيف ترقى رقيك الانبياء :: زاد محشيه الحفني وهذا بخلاف علا فإنه في المحسوس مفتوح تقول علا يعلو وفي المعنوي مكسور تقول علي يعلى هـ بتلخيص وقوله ورد ارواح المكارم في المكارم استعارة بالكناية واثبات الارواح والاجساد تخييل وقوله بعد ما بان الرقي ترشيح ومعنى البيت ماخوذ من قول القائل

٥

سألت الندى والمجد حيان انتما　　وهل عشتما من بعد آل محمد
فقالا نعم متنا جميعا وهمنا　　ضريح واحيانا داود بن مزيد

وقال آخر في مدح الوزير ابن عز الدولة محمد بن حبيب

٥

اعرت الى جسم الوزارة روحها　　وما كان يرجى بعثها ونشورها
اقامت زمانا عند غيرك ميتا　　وهذا زمان عاد فيه نشورها

وقوله والشعر فر الفتى عنه تشيارا في التشيار بفتح التاء مصدر كالسير وكل مصدر على تفعال فهو بفتح التاء كالتذكار والتكرار والترداد والتجوال الا التلقاء والتبيان فإنهما بالكسر وفي الشعر استعارة بالكناية والفرار عنه تخييل ثم هو ايضا كناية عن الخلاص وعدم التحول اي ان الشعر غير بارح من معنى هذا الممدوح واكده اليه بقوله وخصه بمعشر والمعشر بفتح الميم العشير قال الاعشى

ارقت وما هذا السهاد المؤرق　　وما بي من سقم وما بي معشق

وتنكيره اما للتعظيم واما للنوعية اي وخصه الشعر بمحبة عظيمة او بمحبة راسخة فكأنه هام من الحبابة التي يفيد معنى فرط العشق وكمال المحبة وبيت الناظم هذا يشبه قول ابي تمام يصف نفسه بالاقتدار على الكلام واخذه بناصية البلاغة

والنبع وقضبان من نثر الكلم كأنما　　جذر تساقت او مصوغ مشرق
من شاعر وقف الكلام ببابه　　واكتن في كنفيه ذل المنطق

واما الكناية عن الاقامة بالقاء العصا فهو مثل سائر واصله ان المسافر يلقي العصا بيده اذا القى رحله بها قال معقر بن الحمار البارقي

وعلت سلمى في مغاب وانكثت　　فليس عليها يوم ذلك قادر

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر
وقد تمثل بهذا البيت جماعة من السلف في مواطن به حاجة إلى الاستدلال به وقد أحسن
أبو الحسن الباخرزي في عكس هذا المعنى حيث قال يصف الفرح والكبر

حمل العصا للمبتلى * بالشيب عنوان البلى
وصف المسافر أنه * ألقى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من * حمل العصا أن يرحلا

وحكى أبو جعفر أحمد بن محمد الحرزوزي قال خرجت مع المنصور يعني العبيدي صاحب
أفريقية يوم هزم أبا يزيد الخارجي فسايرته وبيده رمحان فسقط أحدهما مراراً
فمسحته وناولته إياه وتفاءلت له فأنشدته *

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عيناً بالإياب المسافر

فقال لي قلت ما هو خير من هذا وأصدق وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا
هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين فقلت يا مولاي أنت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما عندك
من العلم ثم تكلم الناظم رحمه الله للختم مخاطباً للممدوح ووقع خطابه
على عادة الشعراء فقال *

ويا ملكاً الروية النصر على * تكبيره في غزونا لم تختف
كتاب الحديث بيكم وازداد ربي * وجاش هدره بالعز من المومنين

الإعراب والمعنى قوله يا ملكاً الروية النصر إنما نصب المنادى
وإن كان مفرداً لوصفه بالجملة بعده قاله في التسهيل ويجوز نصب ما وصف
من معرف بمضمرة أقبل وحكاه في شرحه عن الفراء وأيده بما روي من قوله صلى
الله عليه وسلم في سجوده يا عظيماً يرجى لكل عظيم وجعل منه قوله
أدارا بحزوى هجت للعين عبرة * فماء الهوى يرفض أو يترقرق
وأوجب النصب جماعة ذاهبين إلى أنه من قبيل الشبيه بالمضاف أنكره شروح
الخلاصة وقوله الروية النصر مبتدأ وجملة لم تختف خبره والمجرور قبله متعلق
به والجملة الكبرى نعت للمنادى ويجوز في تختف ضم الفاء وكسرها لأنه من باب
ضرب وقتل والكلام من باب الكناية إذ يلزم من كون الروية النصر لم تختف على نكيره

اذ هو لا يكفيه لدى ثيابا او في ثيابا قل وقوله كثاب المديح اي كثير عدد وقوله وازدان
اهله ازدانا افتعال من الزين ضد الشين فابدلت التاء دالا لتناسب الزاي في
صفتها التي هي الجهر وقوله وجاش صدره مجاز عن حصول معاني الشعر بكثرة
وتواترها على الذهن واصله من جاش المرجل اذا زخر وامتد وجاشت القدر اذا غلت
فهو استعارة تصريحية تبعية والتي يزخر في تركه وهي ايضا مجاز عن غرر الكلم
المستحسنة وابكار المعاني المستحسنة واصل الغرائد الدر اذا انكسر وقيل بغيره
ويقال قراير الدر كبارها والموزون المعجب وزنا ومعنى تفعول من سعل على من زعم
ووجدت فيه نشاطي وراحتي وتبسمت في منثور الكلام وبديع النظام فلا تكن فيه
يتبسم على من قبل ومن امتداح الناظم رحمه الله مدحة كثير وتنويهه بقدر الممدوح حكيم
في زمنه تعريضا بكثرة معاصرته وهجو مثل ذلك وهو من المعنى ما روي انه
قيل للفرزدق من اشعر الكميت في الهاشميات فقال وجدت اجرا اوجيدا فمن يعني
ان كثرة معاصرته يتحدث عليه منهم وقال الحافظ جوده قال المغلب تركهم امراءنا
للمديح وقال ابو الطيب

واخلاق كافور اذا شئت مدحه ... وان لم اشأ تملي علي فاكتب

وقال احمد بن عامر

اذا نحن حكمنا الشعر فيك تسلطت ... علينا معانيه وذلت صعابها
فما انكحت الا عليك عقودها ... ولا انتشرت الا عليك ثيابها

وقال ابن الرومي

كرمتم فجاش المفحمون بمدحكم ... اذا رجزوا فيكم ابيتم فقصدوا
كما ازهرت جنات عدن واثمرت ... فاضحت وعجم الطير فيها تغرد ولقد
ايضا تجيبت ممن يبرز للشعر مدحكم ... وتستعطفه ايامكم ومن فيهم

وقال نصيب الاصغر

ما لقينا من جود فضل بن يحيى ... ترك الناس كلهم شعراء

ومن كثير وفي كلام الناظم ايضا براعة الطلب وهو ان يلوح الشاعر بما يطلب
بالفاظ عذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح بل
تشعر بما في النفس دون كشفه وهذا المعنى موجود في كلام الناظم فان حصول

كمال

كما قال الكرماني في شرح المجروح يشعر بأن منتاك نفعا حاصلا او مرجوا كما مر ابن العماد
وفي المثل ان الكلمى تفتح اللهى فإن العطايا تفتح اللها قوله يذكر انهم انما يحكى
ان المعتمد ابن عباد الاندلسي انشد يوما في مجلسه بيتا لابي الطيب المتنبي
اذا كان من ملك الغير يتكثر ... انا بحنا مغني الحكمي وزارمه
وجعل يردده استحسانا له وفي مجلسه ابو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي
فانشد ارتجالا

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما ... تجيد العطايا واللهى تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى ... بانك تروي شعره لتألها

لولاك ما كنت للغريض تاركا ... لعدم الباعث والمشوق
نزل الغزال كله زوابيل ... للراء وابن ثوابه للملوق

الاعراب والمعنى فقوله لولاك ما كنت للغريض تاركا لولا حرف معنى
امتناع لغيره قال ابن هشام واذا وليها مضمر فحقه ان يكون ضمير رفع نحو لولا انتم
لكنا مؤمنين وسمع قليلا لولاي ولولاك ولولاه خلافا للمبرد ثم قال سيبويه
والجمهور هي جارة للضمير مختصة به كما اختصت حتى والكاف بالظاهر ولا تتعلق
لولا بشيء وموضع المجرور بها رفع بالابتداء والخبر محذوف وقال الاخفش الضمير
مبتدأ ولولا غير جارة ولكنهم انابوا الضمير المخفوض عن المرفوع كما عكسوا اذ قالوا
ما انا كانت ولا انت كانا ومعنى البيت ماخوذ من قول ابي اسحاق والعين

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب انه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

والاظهر انه مسبوق بهذا المعنى فان ابا الطيب قال

كذا ابن فاعلة يقول بجهله ... مات الكرام وانت حي ترزق

مع انه افرغ على ابياته اشعارا وقول الناظم ترك الغزال كله مفعول مقدم لمفعول
لتاركا وهو مثل مشهور في الميداني الاكل ما تيأ البكيما من ابن يستعمل به في
ترك الخبر وياتي الكلام فيه قوله فلا يعود اليه يضرب لمن نهى من شيء فتركه تركا
لا يعود اليه ويضرب في تقبيح الرجل ما جعد او من منه مثلا فقال الشيخ ابو عثمان

ابن نصير انه مدح بها الإمام الشافعي رضي الله عنه ويفضل الفقه على النحو

ألا ان علم النحو قد باد اهله ... فما ان ترى في الحي من يعربه حيا

سأتركه ترك الغزال الظليل ... فلا تبعه ضمرا او وسعه نأيا

واسموا الى الفقه الجليل فانه ... لزين فيك في الاخرى ويغليك في الدنيا

وأما ترك واصل للراء فمشهور وقد انتصر لي ابن نصير انه قد حث بها بعض اشياخي رحمه الله وذكرت الزمن وامله فقلت

هجرت بنيه وآلم حثث ود ادمتم ... كهجر الغزال الظل او واصل للرا

وأما ترك ابن تولب للحلو فمعناه تركه للمديح وانما عبر عن المديح بالحلو لان معناه ان تعطي باللسان ما ليس في القلب فان ذلك شأن الشعراء في مدحهم قال ذهبت لاطفي

لقد مدحت عبيرا اذ كلفت به ... وقد تملقته لو ينفع الملق

واعلم ان ابن تولب كان تاركا للمديح والهجاء معا كما يأتي قريبا وانما اقتصر الناظم على المديح لان المقام له ولان ترك الهجاء يؤخذ منه بالأحرى لانه اذا ترك المديح تكرما فلأن يترك الهجاء تدينا اولى والله اعلم

ذكر واصل وابن تولب وبعض أخبارهما

أما ابن تولب فهو النمر بن تولب بن زهير بن اقيش بن عبد كعب بن عوف بن الحرث بن عوف بن وائل بن قيس بن عكل واسم عكل عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس ابن مضر العكلي الصحابي قال ابو الفرج الاصبهاني النمر بن تولب شاعر مشهور فحل مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام فحسن اسلامه ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابا فكان في ايدي اهله وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا ثم ذكر الاصبهاني لفظ الكتاب والحديث وكذا ذكرهما ابن عبد البر في الاستيعاب فانظرهما ان شئت قال الاصمعي كان النمر بن تولب العكلي احد المخضرمين في الشعراء وكان ابو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لجودة شعره وحسنه وقال ابو عبيدة كان النمر بن تولب شاعر الرباب في الجاهلية ولم يمدح احدا ولا هجاه وادرك الاسلام وهو كبير وقال محمد بن سلام كان النمر بن تولب جوادا لا يكاد يمسك شيئا وكان فصيحا جريا على المنطق ومن ذلك قوله

لا تغضبن على امرئ في ماله ... وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

النحو

بمدح

وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب

كذا رواه محمد بن سلام وغيره ويروى ومتى تصبك وعن محمد بن حبيب قال كان أبو عمرو يشبه شعر النمر بشعر حاتم الكرام فمن ذلك قوله أعني النمر بن تولب

أعاذل إن يصبح صداي بقفرة بعيدا نآني صاحبي وقريبي
ترى أن ما أبقيت لم أك ربه وأن الذي أنفقت كان نصيبي
وذي إبل يسعى ويحسبها له أخي نصب في رعيها ودؤوب
غدت وغدا رب سواه يقودها وبدل أحجارا وجال قليب

الجال الناحية ومن شعر النمر قوله ٥ ٥

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا حزني من ذا يهيم بها بعدي

وأخبار النمر بن تولب كثيرة ذكرها الأصبهاني وابن عبد البر وغيرهما وفيما ذكرته كفاية **واصل** أبو حذيفة واصل بن عطاء مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم المعروف بالغزال شيخ المعتزلة ورأسهم قال ابن خلكان كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علم الكلام وغيره وكانت ولادته سنة ثمانين من الهجرة بالمدينة المنورة وانتقل إلى البصرة ذكر السمعاني في كتاب الأنساب أن واصلا كان يجلس إلى الحسن البصري رضي الله عنه فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر خرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما معتزلة وقال أبو عمرو كان قتادة الأكمه التابعي الفقيه المشهور يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد فدخل مسجد البصرة فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت أصواتهم فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن فلما صار معهم وعرفهم فقال إنما هؤلاء المعتزلة ثم قام عنهم فمن يومئذ سموا المعتزلة قالوا وكان واصل يلثغ بالراء فيجعلها غينا قال المبرد في الكامل في حقه كان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة في الراء فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه

عليه فيجيء ذلك يقول أشياء من المقت له ويقول أبو الكرو والضبي من جهة بالإطالة
المتكلف واجتنابه الراء على كثرة ترددها في الكلام حتى كأنها ليست فيه
عليم بإبدال الحروف وقامع ... لكل خطيب يغلب الحق باطله وقال
آخر: ويجعل البر قمحا في تصرفه ... وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله ... فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر
ومما يحكى عنه وقد ذكر بشار بن برد وكان يهجوه فقال أما لهذا الأعمى المكتني
بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت
إليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون إلا سدوسيا أو عقيليا فقال هذا
ابن عمرو ولم يقل الضرير وقال المكتني بأبي معاذ ولم يقل بشارا ولا ابن برد وقال
من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت ولم يقل لأرسلت
وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه ولا على مرقده وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر
بني عقيل لأن بشارا كان يتوالى إليهم وذكر بني سدوس لأنه كان نازلا فيهم
فكان واصل يضرب به المثل في إسقاطه حرف الراء من كلامه واستعمل الشعراء
ذلك في أشعارهم كثيرا من ذلك قول أبي محمد الخازن من قصيدة يمدح بها الصاحب
ابن عباد: نعم تجنب لا يوم العطاء كما ... تجنب ابن عطاء لفظة الراء
وقال آخر يتغزل في ألثغ
ولما رأيت الشيب راء بعارضي ... تيقنت أن الوصل لي منه واصل
الراء هنا شعر له نور أبيض يشبه به الشيب وقال آخر وأجاد
أجعلت وصلي الراء لم تنطق به ... وقطعتني حتى كأنك واصل وقال
آخر: فلا تجعلني مثل همزة واصل ... فيلحقني حذف ولا راء واصل
وقال البوصيري رحمه الله
أن حبيب يفر منه وكم فر ... لذكرى واصل وكيف ذا راء
وقال آخر في ألثغ وأحسن ولم يخل من التمثيل بواصل ابن عطا في الموضوع
أغرى لثغته فكما ... كان الشعر لا كن يحرث الشكرا
وتجنب الراء التي شغفت ... بين الحروف تجنبا إضرا
لولا اشتغال رتبة ثمامة ... ذا الأمر المعتزلي وانحسرا

بالمحاجر والراء من سبب   كالنون حال له من جلبه أخرى
تجر ويجر الراء يثبتني   أن التكرير يوجب التحبيرا

وإنما قال هذا لأن النحاة والقراء يقولون إن الراء من صفاتها التكرير على اللسان عند النطق بها قال ابن بري في الدرر

والراء في النطق بها تكرير   ومنه إذا شدد فيها كثير

وفي ذاك أخفى وأبدع

أما وبياض الثغر من أحبة   ونفحته خال العنبر في عكعكة القزع
لقد فتنتني لثغة واحليه   رقتني في قيار بعد مهوى اللثغ
ومستعجم الألفاظ عذب مرغه   مسلكة دون الأنام على الزغي
يكاد أحم الفم عند حديثه   إلى اللثغة الغناء من لطفه يصغي
يقول وقد قبلت واحم ثغره   وكان إلى أمري ونلت الذي أبغي
وقد نفضت كأس الحيا وأخمرت   على خده من لونها أحسن الصبغ
تعقد تشغب الخمغ من كف غيفتي   يزيد عند الشغب شغفا على شغغ

وتوفي واصل بن عطاء سنة إحدى وثمانين ومائة والله أعلم

وكنت في تركي له كابن أبي   ربيعة الناذر عتق الفتى
وقد بنى الرحمن من لم يزل   بكرى في هجر النساء ذا غرو

إلا عن أدب والمعنى فقوله وكنت في تركي له جملة معطوفة على قوله كنت للفريض تاركا والضمير في له يعود على الفريض واللام مقوية وابن أبي ربيعة هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر الغزل المشهور وقد تقدمت ترجمته بتمامها من هذا الكتاب والفتى كغفران الرحيب من أسماء الرحمان من أسماء الله تعالى وقيل أنه علم عليه سبحانه ويكتب بدون ألف بعد الميم وقوله في هجر النساء من إضافة المشبه به إلى المشبه وذكر الغدر ترشيح والله أعلم

ذكر خبر ابن أبي ربيعة في نذره وعتقه

قد قدمنا أن عمر بن أبي ربيعة كان قد تنسك في آخر عمره وترك ما كان عليه من الشعر والغزل وإنما أتى الناظم بالنذر والعتق فروى أبو الفرج الأصبهاني عن الزبير بن بكار وغيره أن عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلم امرأة في الطواف

فعاب عليه ذلك وانكره فقال له انها ابنة عمي فقال ان ذلك اشنع ثم قدر بها
فقال الي حكيتهما الى عمي فابى علي الا بصداق اربعمائة دينار وانا غير مطيق
لذلك وشكا اليه من حبها وكلفه بها امرا عظيما وتحمل به على عمه فسار
معه اليه فكلمه فقال له هو مملق وليس له ما يصلح به امره فقال له عمر
وكم الذي تريده منه قال اربعمائة دينار فقال له هي علي فزوجه ففعل ذلك
وقد كان عمر حين اسن حلف ان لا يقول بيت شعر الا اعتق رقبة فانصرف عمر الى
منزله يحدث نفسه فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها جوابا فقالت
له ان لك لأمرا واراك تريد ان تقول شعرا فقال

تقول وليدتي لما رأتني — طربت وكنت قد اقصرت حينا
أراك اليوم قد احدثت شوقا — وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء — اذا ما شئت فارقت القرينا
بعيشك هل اتاك لها رسول — فشاقك ام لقيت لها خدينا
فقلت شكا الي أخ محب — كبعض زماننا اذ تعلمينا
فقص علي ما يلقى بهند — فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزى — مشوق حين يلقى العاشقينا
وكم من خلة اعرضت عنها — لغير قلى وكنت بها ضنينا
اردت بعادها فصددت عنها — وان جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فاعتقهم لكل بيت واحدا ثم دعا للممدوح فقال

لا زلت بدرا في بروج السعد — تنسخ بنورك ظلام الغسق
ولا برحت بابك مانحة حبرا — وقد ركنا بما تنشا من انس
بجاه جده الرسول المصطفى — خير الانام الهادي والمهدي
وسورة الفتح وكهف والضحى — وآية الكرسي وآي الفلق

الاعراب والمعنى قوله لا زلت بدرا الخ دعاء من الناظم لهذا الممدوح
بطول العمر في سعادة ونباهة ملك وقد جرت عادة الشعراء بالدعاء اذا فرغوا
من مدحهم للممدوح بذلك ومنه معروف من شعر المتقدمين بل ذلك احسن قال ابو
الطيب فلا ملكت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقال

وقال ابو العلاء

ولا تزال بك الدنيا ممتعة ۞ بالاهل والمال والعلياء والعمر

وقال اخر

بقيت بقاء الدهر يا كهف اهله ۞ وهذا دعاء للبرية شامل

والكلام من باب التشبيه اي لا زلت مثل البدر والمراد لا زالت حالتك مثل حالة البدر في بروج السعد وقوله تنسخ بنورك اي بعدلك الذي هو كالنور وهو استعارة تصريحية وظلام الغسق مجاز عن الجور وما يحدث من الرعايا من التواثب والتظالم وغير ذلك مما يزيحه السلطان فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ويجوز ان يكون مراده بنورك علمه وبظلام الغسق البدع والشبه والاول انسب بحال السلطان والثاني انسب بحال العالم الداعي الى الله وقوله ولا برحت بالاماني كلام انشائي دعاء اخر معطوف على ما قبله والاماني جمع امنية وهي ما يتمناه الانسان وخفف الناظم ياءه ضرورة وقوله لما تشا بفتح همزة اصله تشاء للاكتفاء وصله بنية الوقف فسكن همزته ثم ابدلها الفا فاجتمع الفان الاولى التي من نفس الكلمة والثانية التي هي مبدلة من الهمزة فحذفت احدى الالفين تخفيفا فبقي تشا كما نطق به وقد تقدم مثل هذا عند قوله محض لبنا ركالنبا الي وكنى بالتصريح الفرح والسرور وقوله بطاها جيرلي في النداء فيه للاستغاثة ولا يبعد ان يقال فيها ما قيل في باء باسم الله من المصاحبة وعاملها محذوف دل عليه المقام اي اتوسل في دعائي لك بطاها جيرلي والكلام ان هذا العامل وان كان خاصا فهو واجب الحذف لان هذا التركيب كثر الدور على الالسنة جار مجرى المثل فهو كقولهم للمعرس بالرفاء والبنين والكلام في الرسول والعشرة بعده وفي النبي وما في ذلك من الخلاف ينظر في محله والمصطفى مفتعل من الصفو وهو الخالص وابدلت تاء الافتعال فيه طاء لتناسب الصاد في الاطباق والاستعلاء والانام كسحاب الخلق وقيل ما على وجه الارض وعلى هذا لا يدخل فيه الملائكة لا يرد انعقد الاجماع على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل المخلوقات واما قبلا على الملائكة وما وقع للزمخشري في سورة التكوير خرق للاجماع قال المحلي في اضاءة الدجنة وانعقد الاجماع ان المصطفى ۞ افضل خلق الله والخلف انتفى

وما انتمى الكشاف في التكرير ه خلاف اجماع ذوي التنوير

والقاضي والعز وغيرهم للنبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم
صادق في اقواله واحواله ومصدق من الله بالمعجزة لانها منزلة من الله منزلة
قوله صدق عبدي في كل ما يخبر به عني ويجوز ان يقرأ بصيغة اسم الفاعل لانه صلى
الله عليه وسلم مصدق اي مومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
تصديقا فوق تصديق كل احد قوله وسورة الفتح معطوف على صدري وخفف
ياء الكرسي للضرورة وقوله وذي الفلق يعني والناس وانما اكتفى بالاولى
للقافية واتكالا على ظهور المراد اذ لم تردا في الكتاب والسنة الا مقترنتين معا
المعوذتان وانما خص هذه السور والاي لما ورد فيها مما يقتضي تفضيلها
على غيرها اما خصوصا سورة الفتح واية الكرسي والمعوذتين وجلب ذا الحكم
مع انه معلوم غير خفي لانه اختلف الائمة هل في القرءان شيء افضل من شيء
ام لا فذهب ابو الحسن الاشعري والقاضي ابو بكر الباقلاني الى انه لا فضل لبعضه
على بعض لان الافضل يشعر بنقص المفضول وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص
فيها وذهب قوم الى الافضلية لظواهر الاحاديث الواردة في ذلك انظر ارشاد
الساري وغيره من كتب فضائل القرءان من صحيح البخاري رحمه الله ثم شرع في
مدح منظومته والحض ايضا كغيره من فحول الشعراء فقال

ه

اليكها ارجوزة حسانة ... لمثلها ذو ادب لم يشتبي
كانها اسلاك در وبرا ... فيث تضيء كالبدر والحلي
اعز من سفر الاثر ود من الـ ه عنقا ومن مقل عفو وابلي

الاعراب والمعنى قوله اليكها ارجوزة اي خذها ارجوزة فـ
اليك اسم فعل بمعنى خذ او امسك او ما اشبه ذلك وها ضمير يعود على
المنظومة مفعول به وهذا على ما زعم الكوفيون واكثر البصريين من ان اليك التي
اسم فعل يكون متعديا فتقول اليك زيدا او امسك زيدا وابعد ثوبك يقولون لانه
لازم ومعناه تنح فتقول اليك عني اي تنح عني والارجوزة بالضم جماعة ابيات
من بحر الرجز كالقصيدة من غيره وحسانة بوزن رمانة صفة من الحسن وهو ابلغ
من حسنة وقوله ذو ادب مبتدا سوغ الابتداء به ما فيه من العموم وجملة لم يشتبي

خبر

خبرا وجملتها متعلق به فان قلت ما الداعي لذكرها في سبا وللانباء بعد ان قال الا
العموم قلت اصل الكلام لم يسبق وما الداعي الى جملتها الاكرما الراد الا انه لم
اجد لغة في هذا المعنى اراد اخبر الحقائق ارتكب ما يقتضيها بحذف المستثنى اتكالا على
المستثنى ليعبر تغويلا الحكم بنفي السابقية وقوله تعلم لم يسبق ليعبر ان نفي السابقية
عام في ذات الاقدام من بالنسبة البيضاء الى غيرها مما من الاراجيز التي لم تعلق باذيال
بلاغتها ولا شقت غبارها فيما النكتة الى ذات الاهل كان قوله ذات وادي عام ما
لا فيه عيلبن لذكرها في سبا والنذر ما فهم قوله كانها اشلاء اذ زين هذا المعنى
منه على الجوزية وهو قد مضى مذكور للشعراء كثيرا وقد قدمه في ذلك عمر ابن لجا
فانه قلما قال قصيدة في امير الا ويتبعها بمنزلة بالثناء عليه وانما لغة في
اكثرابها وذلك موجود في ديوانه فلا حاجة الى الاطالة به وقوله تقضي بدون
ممن يفي ربي تحقيقه ما قرره في قوله حاشا في الانبياء قبل هذه الدار ما ابدل
منها الحال ابيانا منها بيان وهو دائع قوله اعز من بيض الانوق هذا كثر في
امثال الاولين من الكلام عليهما بنقول

ذكر العنقاء وبيض الانوق والابلق العقوق وما قيل فيها

اما العنقاء فقال في القاموس العنقاء الداهية وطائر معروف الاسم مجهول
الجسم او هو طائر عظيم يبعد في طيرانه وقال ابو البقاء في شرح ديوان المتنبي
قولهم عنقاء مغرب يقال على الوصف والاضافة قال وهو اسم للذكر والانثى
فلهذا لم يقولوا مغربة بالهاء كالرابعة والحية وقد قال ابن العربي العنقاء المغرب
على النعت والاتباع ثم اكثر ما يسمع لزائد الذكر فقوله فلهذا لم يقولوا مغربة
خلاف ما في القاموس وقال الميداني في مجمع الامثال قال الخليل سميت عنقاء
لانه كان في عنقها بياض كالطوق ويقال لطول في عنقها قال ابن الكلبي
كان لاهل الرس نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بارضهم جبل يقال له دمخ مصعده
في السماء ميل وكانت تنتابه كما يرى كاعظم ما يكون لها عنق طويل من احسن
الطير فيها من كل لون وكانت تقع منتصبة فكانت تكون على ذلك الجبل تنقض على
الطير فتأكله فجاعت ذات يوم واعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت
عنقاء مغرب لانها تغرب كل ما اخذته ثم انها انقضت على جارية فضمتها الى

حتى لم تجد غيرها فذهبت بها فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع
نسلها وسلط عليها آفة فاصابتها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلا
في اشعارها وانشد لعنترة بن الاخرس الطائي في مرثية خالد بن يزيد

لقد حلقت بالجود فتخاء كاسر ... كفتخاء دمخ حلقت بالحزور

وقال المسعودي في مروج الذهب في باب العنقاء فقال بعد ان ذكر القول بوجود
العنقاء والنسناس والعربد وما صورته ولنذكر الآن خبر العنقاء على حسب ما
نقلوه ثم ذكر بسنده الى سعيد بن جبير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق طائرا في الزمان الاول من احسن الطير وجعل
فيه من كل حسن شكلا وخلق وجهه على مثال وجه الانسان وكان في اجنحته من كل
لون حسن من الريش وخلق له اربعة اجنحة من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما
مخالب وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الاصل وخلق له انثى على مثاله
وسماها بالعنقاء واوحى الله الى موسى بن عمران عليه السلام اني قد خلقت
طيرا عجيبا خلقته ذكرا وانثى وجعلت رزقهما في وحوش بيت المقدس وآنستهما
بك ليكونا مما فضلت به على بني اسرائيل فلم يزالا يتناسلان حتى كثر نسلهما
وادخل الله موسى وبني اسرائيل التيه فمكثوا فيه اربعين سنة حتى توفي موسى
وهارون عليهما السلام في التيه وهلك جميع من كان معهما من بني اسرائيل وكانوا
ستمائة الف وخلفهم نسلهم في التيه ثم اخرجهم الله منه مع يوشع بن نون تلميذ
موسى عليه السلام ووصيه فانتقل ذلك الطائر فوقع بنجد والحجاز وبلاد
قيس عيلان فلم يزل هنالك يأكل الوحوش ويخطف الصبيان وغيرهم من البهائم
الى ان ظهر نبي من بني عبس يقال له خالد بن سنان العبسي بين عيسى ومحمد عليهما
الصلاة والسلام فشكا اليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان فدعا
الله عليها وسأله ان يقطع نسلها فقطع الله نسلها فبقيت صورتها
تحكى في البسط وغيرها ما قلت وفي ذلك يقول ابو نواس يمدح بعض الرؤساء

وما خبره الا كالعنقاء مغرب ... تصور في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية ... سوى صورة ما ان تمر ولا تحلي

ثم قال المسعودي وقد ذهب جماعة من اهل الرواية الى ان قول الناس في امثالهم

عنقاء

عنقاء مغرب انما هو للأمر العجيب النادر وقوعه وقولهم جاء فلان بعنقاء مغرب
يريدون انه جاء بأمر عظيم قال ابن عباس وكان خالد بن سنان نبيء بني عبس
مبشرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما احضر ثم الوفاة قال لقومه
اذا انا مت فادفنوني في حقف من حقف الاحقاف ومن تلول عكاظ من الرمل
واحرسوا قبري اياما فاذا رأيتم حمارا اشهب ابتر يدور حول الحقف الذي فيه قبري
فاجتمعوا ثم انبشوا قبري واخرجوني وضعوني على شفير القبر واحضروني كاتبا وما
يكتب فيه حتى املي عليكم ما يحدث ويكون الى يوم القيامة فرصدوا قبره بعد وفاته
ثلاثا ثم ثلاثا ثم ثلاثا فاذا الحمار يدور حول الحقف الذي فيه قبره فاجتمعوا عليه
لينبشوه كما امرهم فقام بعض بنوه وشهروا سيوفهم وقالوا والله لا نترك احدا ينبشه
اتريدون ان نعير بذلك ثم "يقول العرب هؤلاء بنو المنبوش فانصرفوا عنه وتركوه
فقال شاعر من بني عبس

بني خالد لو انكم اذ حضرتم ... نبشتم عن الميت المغيب في القبر
لابقى لكم في آل عبس ذخيرة ... من العلم لا تبلى على سالف الدهر

قال ابن عباس ووردت ابنة لخالد عجوز قد عمرت على النبي صلى الله عليه وسلم
فتلقاها بخير واكرمها فاسلمت وقال لها مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه قال
المسعودي وقد رويت عن ابن عباس اخبار كثيرة في هذا واشباهه قال وهذا
من حديث العامة واخلاطهم فيزيدون في ذلك الاحاديث عن ابن عباس وغيره وانما
هي اخبار واهية لا تقطع عذرا ولا توجب علما ولا عملا . قلت ومراد
المسعودي رحمه الله فلا ينبغي لاهل العلم والتحصيل ان يلتفتوا الى مثل ما ينقله
المؤرخون وكثير من المفسرين عن ابن عباس وكعب الاحبار ووهب بن منبه من اخبار
الجن والاسرائيليات ونحوها من اخبار الامم السالفة فان جلها مكذوب
عليهم متقول فيه عليهم ونحن رحمة الله عليهم برءاء من تلك الخرافات التي
لا تصدر الا عن الحمقى وكفى بالمرء عيبا ان يحدث بكل ما سمع وكفى به جهلا
وحمقا ان يشتغل بمثل ما لا ينفع فيه وفي كتاب الله وما صح من سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم غنية عن ذلك وكيف لا يكون خبر العنقاء مكذوبا على
ابن عباس فضلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه ان الله تعالى قال لموسى

عليه السلام وجعلت رزقهما في وحوش بيت المقدس وما بين بيت المقدس الى سليمان بن داود عليهما السلام بعد وفاة موسى عليه السلام باكثر من خمسمائة سنة فوالله لعرفتني دين الاسلام من هاولاء الكذابين بامر عظيم انا لله وانا اليه راجعون وقال العلامة الدميري في ترجمة العنقاء قال بعضهم هو كما في غريب يبيض بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه وقيل سميت بذلك لانه كان في عنقها بياض كالطوق وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس وقال القزويني انها اعظم الطير جثة واكبرها خلقة تختطف الفيل كما تختطف الحدأة الفار وكانت في قديم الزمان بين الناس فتاذوا منها الى ان سلبت يوما عروسا بحليها فدعا عليها حنظلة النبي عليه السلام فذهب الله بها الى بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل اليها الناس وفيها حيوان كثير كالفيل والكركند والجاموس والنمر وسائر انواع السباع وجوارح الطير وعند طيرانها يسمع لجناحيها دوي كدوي الرعد القاصف والسيل وتعيش الفي سنة وتتزاوج اذا مضى لها خمسمائة سنة فاذا كان وقت بيضها يظهر بها الم شديد ثم اكال في وجهها وذكر ارسطو طاليس في النعوت ان عنقاء مغرب قد تصاد فيمتنع من قربها افراخ عقاب للشرب قال وكيفية صيدها انهم يعمدون الى ثورين فيعقلون بينهما بعجلة ويغطونها بالجلود العظام ويعقلون بين يدي العجلة بيتا يختبئ فيه رجل معه نار فتنزل العنقاء على الثورين لتختطفهما فاذا انشبت اظفارها في الثورين او احدهما لم تقدر على اقتلاعهما لما عليهما من الجلود الثقيلة ولم تقدر على الاستقلال بالثقل فعندها يخرج الرجل بالنار فيحرق اجنحتها قال والعنقاء لها بكر كبكر الثور وعظام كعظام السبع وهي من اعظم سباع الطير انتهى

قلت وهذا كله هذيان ولله در ابي العلاء المعري حيث قال

ارى العنقاء تكبر ان تصادا ... فعاند من تطيق له عنادا

وكان الغنا في الفاضل كثيرا ما ينشر

واذا السعادة لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن امان

واصطد بها العنقاء فهي حبالة ... واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وقولهم في المثل أعز من العنقاء يريدون لأنها تسمع ولا ترى قال الشاعر
الجود والغول والعنقاء ثالثة أسماء أشياء لم توجد ولم تكن
وقال آخر

لما خبرت بني الزمان فلم أجد فيهم وفيا للشدائد أصطفي
أيقنت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي

وأما قولهم أعز من بيض الأنوق فقال الدميري الأنوق على وزن صبور الرخمة أو طائر أسود له شيء كالعرف أو أصلع الرأس أصفر المنقار وعزة بيضها من أنه لا يكاد يظفر به لأن أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة قال الأخطل

من الغانيات الغر ومطلب سيرها كبيض الأنوق المستكنة في الوكر

وقال غيره

وكنت إذا استودعت سرا كتمته كبيض الأنوق لا ينال له وكر

وأما قولهم أعز من الأبلق العقوق فقال الميداني يضرب لما يعز وجوده وذلك لأن العقوق في الإناث ولا تكون في الذكور فقال العقوق الفرس بمعنى معقوق وإذا حملت ولا يقال أعق والأبلق لا يحمل لأنه وصف للذكر قال المفضل إن المثل لخالد بن مالك النهشلي قاله للنعمان بن المنذر وكان أسر ناسا من بني مازن بن عمرو بن تميم فقال من يتكفل بهؤلاء فقال أنا الضامن فقال النعمان وبما أحدثوا فقال خالد نعم وإن كان الأبلق العقوق فذهبت مثلا وأراد بذلك أنك تسمي الوفاء الأبلق العقوق لعزة وجوده وقال رجل لمعاوية افرض لي قال نعم قال ولولدي قال لا قال ولعشيرتي فتمثل معاوية بهذا البيت

طلب الأبلق العقوق فلما لم يجده أراد بيض الأنوق

فما روضة بيثانة نفحها ذفر * جادت لها السحب بماء غدق
فابتسمت أغصانها عن أبيض * وأحمر وأصفر وأزرق
يوما بأبهى للعيون منظرا * منها ولا كالعكمتا المزوق

الإعراب والبديع قوله فما روضة بيثانة ما هذه نافية حجازية ترفع الاسم وتنصب الخبر وروضة اسمها وما بعدها صفات لها وقوله بأبهى للعيون خبرها مجرور بالباء الزائدة وهو كثير والروضة المكان المعجب بالزهور

بحيث لا يبقى ريب في نفس السامع من الأفعال والأقوال والأحوال الجارية بين
المحب والمحبوب نفسهما أي أنه نفس التشبيب والتغزل بما يطلب المودة يقال رجل
غزل إذا كان متشكلا بالصبوة التي تكون بالنساء من التشبه بالحلوة والكلام
المستعذب وبهذا الحد يتبين لك ذلك الغزل مناسب أي متشبه بمن يهواه المحب وأما
التشبيب فهو الإشادة بذكر المحبوب وصفاته والإعلان بذلك واشتقاقه
والتصريح به من شببت النار إذا رفعت سناها وزدتها ضياء أو من شب النعيم
وجه الجارية إذا جلاه ووصف ما فيه من المحاسن قال الشاعر إذا أعلن بذكر
المرأة واسمه فحاسنها وشيم صفاتها فقد شبب بها وأما النسيب فثلاثة
أنواع **الأول** ذكر ما في المحبوب من الصفات الحسية كحمرة الخد ورشاقة القد
والمعنوية كالخفر وجلالة القدر **والثاني** ذكر ما في المحب من الصفات مما يتعلق
بكلام العاشق كالنحول والذبول وما يتعلق بباطنه كالحزن والشغف **والثالث**
ذكر ما يتعلق بالمحب والمحبوب معا من هجر ووصل ووفاء وإخلاف وما يتبع ذلك
من ذكر الوشاة والرقباء ه وقد تقدم في هذا الكتاب شيء من الكلام في النسيب
فانظره

ذكر جرير وجميل وبعض غزلهما

أما جرير فهو أبو حزرة بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة جرير بن عطية
ابن الخطفي واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة
ابن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي ثم اليربوعي الشاعر المشهور كان من فحول
شعراء الإسلام وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض وأجمع علماء الشعر
أن جريرا والفرزدق والأخطل هم المقدمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية
على أن الأخطل دونهما والاختلاف في جرير والفرزدق وأيهما أشعر واحتج لكل واحد منهما
كما ينبغي وتتبع ذلك يطول وكان يونس يقول ما شهدت مشهدا قط ذكر فيه جرير
والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما وكان يونس فرزدقيا وعن حماد الراوية
قال أتيت الفرزدق فأنشدني ثم قال لي هل أتيت الكلب يعني جريرا قلت نعم قال
فأنا أشعر أم هو قلت أنت في بعض الأمر وهو في بعض فقال لم تناصحني فقلت هو
أشعر إذا أرخي من خناقه وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت فقال أو هل الشعر
إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشر قالوا وهاجى جرير ثمانين شاعرا فغلبهم

وبعضهم

وبعضهم ولم يثبت له إلا الفرزدق وكانا ناكبين إذا ما تواردا في عمل الشعر ويقولانه من غير أن يعلم أحدهما بصاحبه وكان جرير يقول للفرزدق وإن شيطاننا واحد وعن أبي عبيدة قال قال جرير ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها وإني لأرى من الرجز أمثال آثار الخيل في الثرى ولولا أني أخاف أن يستفرغني لأكثرت منه وقال محمد بن سلام رأيت أعرابيا من بني أسد أعجبتني فصاحته وروايته فقلت له أيهما عندكم أشعر الفرزدق أو جرير فقال بيوت الشعر أربعة مدح وهجاء وفخر ونسيب وفي كلها غلب جرير قال في الفخر قوله

إذا غضبت عليك بنو تميم ** حسبت الناس كلهم غضابا

وفي المديح قوله

ألستم خير من ركب المطايا ** وأندى العالمين بطون راح

وفي الهجاء قوله

فغض الطرف إنك من نمير ** فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وفي النسيب قوله

إن العيون التي في طرفها حور ** قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ** وهن أضعف خلق الله إنسانا

قال محمد بن سلام وبيت النسيب عندي قوله

فلما التقى الحيان ألقيت العصا ** ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقال أبو عبيدة كان الفرزدق يتهم بالنساء ومع ذلك ليس له بيت واحد في النسيب وكان جرير عفيفا لم يعشق امرأة قط ومع ذلك هو أغزل الناس شعرا قلت ومثل هذا ما أوجب على أئمتنا أن يحكموا لجرير بالغزل والنسيب تبعا للحريري في المقامة التبريزية وقد اعترض على الحريري في ذلك وأن الذين اشتهروا بالغزل في زمانه عمر بن أبي ربيعة وجميل وقيس بن ذريح وكثير عزة وأشباههم ممن عشقوا والعرب وأما جرير فإنه لم يعشق قط وإنما جاء بما عنده في الشعر المدح والهجاء ولا كذلك تكلفا عن عادة في شعره من الغزل الرقيق شيء وكيف لما ما يعنقه دون شهد له الفرزدق وبذلك حين سئل عنه فقال قاتله الله فما أخشن ناحيته وأشرد

فابكيته والله لو تركوك لأبكي العجوز على شبابها والشابة على أحبابها ولكنهم حسدوك فحجروك عن الفراش نائمها وعن الحزاء فارسها ولكن قال بيتا ان اكون قلته احب الي مما طلعت عليه الشمس

إذا غضبت عليك بنو تميم ۞ حسبت الناس كلهم غضابا

وأخبار جرير كثيرة انظرها في الأغاني وحينما مات الفرزدق وبلغ خبره لجرير بكى وقال أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحدا وكل واحد منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه وكان كذلك فإنه توفي سنة عشر ومائة وفيها مات الفرزدق وكانت وفاة جرير باليمامة عن نيف وثمانين سنة رحمه الله وأما جميل فهو أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر ابن صباح بضم الصاد المهملة ابن ظبيان بن حن بضم الحاء المهملة وتشديد النون ابن ربيعة بن حرام بن ضنة بالنون ابن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد العذري الشاعر المشهور صاحب بثينة العذرية أحد عشاق العرب وفتيانهم ومن غير جميل بن معمر الجمحي الصحابي الذي نزل فيه قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فإنه ليس بين جميل هذا وبين معمر أب وأما جميل الشاعر الذي نحن بصدد الكلام عليه فهو جميل ابن عبد الله بن معمر العذري كان يهوى بثينة وهو غلام فلما كبر خطبها فرد له أبوها فقال الشعر فيها وكان يجتمعان في بيتها ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وقال قيل له لو قرأت القرآن كان أعود عليك من الشعر فقال هذا أنس بن مالك رضي الله عنه أخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من الشعر لحكمة والجمال والعشق في بني عذرة كثير فقيل لأعرابي من العذريين ما بال قلوبكم كأنها قلوب الطير تنماث كما ينماث الملح في الماء أما تتجلدون فقال إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها وقيل لآخر ممن أنت فقال من قوم إذا عشقوا ماتوا فقالت جارية سمعته هذا عذري ورب الكعبة فلهذا المعنى ضرب المثل بالهوى العذري وقال المتنبي رحمه الله

يا لائمي في الهوى العذري معذرة ۞ مني إليك ولو أنصفت لم تلم

وقال أبو مسلم داخل من اجتمع له الشعر والرواية فيه كثير وكان راوية جميل وجميل راوية هدبة بن خشرم وهدبة راوية الحطيئة والحطيئة راوية زهير وكذا كان

عبد الرحمن بن الأزهر وعبد الرحمن بن حسان وأم جميل فقال ابن الأزهر من أشعر
أمثل ابن سلام فقال ابن حسان نعم والله وأشعر أهل الجاهلية والله ما أحد
منهم مثل حجابه ولا نسيبه فقال ابن الأزهر صدقت وعن محمد بن سلام قال كان لكثير
في النسيب حظ وافر وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب وعن الأصمعي
قال كان كثير راوية جميل وكان يقدمه على نفسه ويتخذه إماما وإذا سئل عنه
قال وهل علي الله ما تسمعون إلا منه قلت فلهذا اختصرنا على جميل رحمه الله
جميلا بالذكر في النسيب فإنه كان لا يشق له فيه غبار وأشعاره في الغزل كأنما
يقطع الرياض وهي منبثة في ديوانه وقد ذكر صاحب الأغاني منها شيئا كثيرا
من ذلك قوله

وخبرتماني أن تيماء منزل — لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت — فما للنوى ترمي بليلى المراميا
ومنها: وما زلتم يا بثن حتى لو انني — من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا
وما زادني الواشون إلا صبابة — ولا كثرة الناهين إلا تماديا
وما أحدث النأي المفرق بيننا — سلوا ولا طول الليالي تقاليا
ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني — أظل إذا لم ألق وجهك صاديا
لقد خفت أن ألقى المنية بغتة — وفي النفس حاجات إليك كما هيا

ومن شعره:
وإني لأرضى من بثينة بالذي — لو استيقن الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى — وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي — أواخره لا نلتقي وأوائله

وأخباره مع بثينة كثيرة ذكرها صاحب الأغاني وغيره وذكر الزبير بن بكار
عن عباس بن سهل الساعدي قال بينما أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال
هل لك في جميل نعوده فإنه ثقيل فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه فنظر إلي
وقال يا ابن سهل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم
يسرق يشهد أن لا إله إلا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل
قال أنا فقلت له والله ما أحسبك سلمت وأنت تشبب منذ عشرين سنة ببثينة
قال لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة

وفي آخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها لريبة، قال: فما برحنا حتى مات
وقال محمد بن أحمد بن جعفر الأهوازي: مرض جميل بمصر مرضه الذي مات منه فدخل
عليه عباس بن سهل الساعدي وذكر الحكاية والله أعلم بالصواب. نقله ابن
خلكان. وذكر في الأغاني عن الأصمعي قال: حدثني رجل شهد جميلا لما حضرته
الوفاة بمصر أنه دعا به فقال له: هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل
شيئا أعهده إليك؟ قال: فقلت: اللهم نعم. فقال: إذا أنا مت فخذ حلتي هذه واعزلها
جانبا وكل شيء سواها لك، وارحل إلى رهط بثينة فإذا صرت إليهم فارتحل
ناقتي هذه واركبها، ثم البس حلتي هذه واشققها، ثم اعل على شرف وصح بهذه
الأبيات وخلاك ذم:

صرخ النعي وما كنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجر البرد في وادي القرى ... نشوان بين مزارع ونخيل
قومي بثينة فاندبي بعويل ... وابكي خليلك دون كل خليل

قال: ففعلت ما أمرني به جميل، فما استتممت الأبيات حتى برزت بثينة كأنها
بدر قد بدا في دجنة وهي تتثنى في مرطها حتى أتتني وقالت: يا هذا، والله لئن
كنت صادقا لقد قتلتني، ولئن كنت كاذبا لقد فضحتني. قلت: والله ما أنا إلا
صادق، وأخرجت حلته، فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها، واجتمع
نساء الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت، فمكثت مغشيا عليها ساعة
ثم أفاقت وهي تقول:

وإن سلوي عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها

قال الرجل: فما رأيت أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ. وكانت وفاة جميل رحمه
الله سنة اثنتين وثمانين. تنبيه: تقدم أن جميلا أقسم عند موته أنه ما
وضع يده على بثينة لريبة، فكان هذا المعنى المشهور عنه وعن سائر عشاق
العرب الذين عرفوا بعشق الخلائل من النساء والتشبيب بهن والإنشاد فيهن
فما سمعنا إلا قليلا ممن يعترض عليه من هذا الباب، وقد تقدم شيء من أخبارهم
أثناء هذا الكتاب، إذ كانت العرب تستحسن العشق مع العفاف وتستقبح

ما وراء ذلك من الوقاع ومقدماته وكان لا بأس عندهم أن يختلي العاشق
بعشيقته ويتلذذ بمحادثتها ومغازلتها إن لم تكن ريبة بل كان جلهم لا يستقبح
من ذلك إلا الابتذال والإجابة لكل داع قال المفسرون في قوله تعالى محصنات غير
مسافحات ولا متخذات أخدان المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات
الأخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني بغيره وكانت العرب في الجاهلية
تحرم الأولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الدين وعظم عندهم لا جرم حرم
الله الصورتين معا وحرم الشارع صلوات الله عليه الخلوة بالأجنبية
والتلذذ بمحادثتها ووقع الإجماع على ذلك وإذا كان كذلك فأمر جميل حينئذ
مشكل إذ كان يختلي ببثينة ويغازلها ويشبب بها ويصرح باسمها في شعره
وكل ذلك حرام بالإجماع والجواب أنه لما جاهد نفسه في حبها وحبس
بدنه حتى عن لمسها كان ذلك مكفرا لما زاد عليه مما صدر منه من الخلوة
والحديث ونحو ذلك قال تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم الآية قال المفسرون الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات
مقدماتها وتوابعها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة
والقبلة وما أشبه ذلك ومصداقه في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى أدرك ذلك لا محالة العينان
زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد
زناها البطش والرجل زناها الخطى والقلب يهوى ويتمنى والفرج يصدق
ذلك أو يكذبه هـ

فلو أنما الأصمعي خطهما ... كي يستعير بسواد الحدق
أو يتح الفتح عليهما كفرقه ... سلام فلا يرمه بالتمزق

الإعراب قوله فلو أنما الأصمعي أنما كافة سببية والأصمعي
تقدمت ترجمته وقوله خطهما أي كتبهما وفي التنزيل ولا تخطه بيمينك
وبسواد الحدق يتعلق به وكي يستعير علة له واللام مقدرة مع كي على أنها
مصدرية ويجوز أن تكون كي جارة وأن مقدرة بعدها وفي الكلام تقديم وتأخير
أي خطهما بسواد الحدق كي يستعير وقوله أو يتح الفتح جملة معطوفة على جملة

وفي آخر يوم من أيام الدنيا إن كنت دفعت ثم غشي عليهما لوقته قال فما برحنا حتى ماتا
وقال محمد بن أحمد بن جعفر الأهوازي مرض جميل بمصر مرضه الذي مات منه فدخل
عليه عباس بن سهل الساعدي وذكر الحكاية والله أعلم بالصواب نقله ابن
خلكان وذكر في الأغاني عن الأصمعي قال حدثني رجل شهد جميلا لما حضرته
الوفاة بمصر أنه دعا به فقال له هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل
شيئا أعهده إليك قال فقلت اللهم نعم فقال إذا أنا مت فخذ حلتي هذه واعزلها
جانبا وكل شيء سواها لك وارحل إلى رهط بثينة فإذا صرت إليهم فارتحل
ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على شرف وصح بهذه
الأبيات وخلاك ذم

صرخ النعي وما كنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجر البرد في وادي القرى ... نشوان بين مزارع ونخيل
قومي بثينة فاندبي بعويل ... وابكي خليلك دون كل خليل

قال ففعلت ما أمرني به جميل فما استتممت الأبيات حتى برزت بثينة كأنها
بدر قد بدا في دجنة وهي تتثنى في مرطها حتى أتتني وقالت يا هذا والله لئن
كنت صادقا لقد قتلتني ولئن كنت كاذبا لقد فضحتني فقلت والله ما أنا إلا
صادق وأخرجت حلته فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها واجتمع
نساء الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت فمكثت مغشيا عليها ساعة
ثم قامت وهي تقول

وإن سلوي عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها

قال الرجل فما رأيت أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ وكانت وفاة جميل رحمه
الله سنة اثنتين وثمانين تنبيه تقدم أن جميلا أقسم عند موته أنه ما
وضع يده على بثينة لريبة قط ومن أمثاله المشهورة عنه وعن سائر عشاق
العرب الذين عرفوا بالعفاف الكامل عن النساء والتشبيب بهن والإنشاد لـ
ما سمعه الأفاضل ممن يعترض عليه في هذا الباب وقد تقدم شيء من أخبارهم
أثناء هذا الكتاب إذ كانت العرب تستحسن العشق مع العفاف وتستقبح

فما وراء ذلك من الوقاع ومقدماته وكان لا بأس عندهم أن يختلي العاشق بعشيقته ويتلذذ بمحادثتها ومغازلتها من تكدر ريبة بل كان الحلم لا يستقبح من ذلك إلا الابتذال وإجابة كل داع قال الحسن في قوله تعالى محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات الأخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني بغيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الأولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفن معتبرا عندهم لا جرم حرم الله الأمرين معا وحرم الشارع صلوات الله عليه الخلوة بالأجنبية والتلذذ بحديثها ووقع الإجماع على ذلك وإذا كان كذلك فأمر جميل حينئذ مشكل إذ كان يختلي ببثينة ويغازلها ويشبب بها ويصرح باسمها في شعره وكل ذلك حرام بالإجماع والجواب أنه لما جاهد نفسه في حبها وحبس بدنه حتى عن لمسها كان ذلك مكفرة تجاوز الله عما صدر منه من الخلوة والحديث ونحو ذلك قال تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية قال الشيخ الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات مقدماتها وتوابعها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة وما أشبه ذلك وفي ما أخرجه في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى أدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ه

فلو درى ما الأصمعي خطها ... كي يستعير بسواد الحدق
أو يقع الفتح عليها كمرقة ... سلم فلا بد له بالتمزق

الإعراب قوله فلو درى ما الأصمعي الفاء عاطفة سببية والأصمعي تقدمت ترجمته وقوله خطها أي كتبها وفي التنزيل ولا تخطه بيمينك وبسواد الحدق يتعلق به وكي يستعير علة له واللام مقدرة مع كي على أنها مصدرية ويجوز أن تكون كي جارة وأن مقدرة بعدها وفي الكلام تقديم وتأخير أي خطها بسواد الحدق كي يستعير وقوله أو يقع الفتح جملة معطوفة على جملة

رد أمثال الأصمعي ولذ منفردة معهما وجوابهما جملة سلع فلان يدري وتضمن سماع معنى
ما قبل بعده مما أتى الثاني بالفاء وقد يفرع له نكتة بمنزلة العبادة وأما بعد فقال
الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وفلان يدري يقيم أبدا ورود صلة بعد الفاء وتفريع
أيضا لغة وكان من حقه أن يقول بالتمزيق لأن ما كان التمزيق والتمزق مثلا زوفي
إفلاح أحد منهما مخالع اللغ وعكس هذا قوله تعالى وتبتل إليه تبتيلا والأصل تبتلا
وفي الكلام فبالغة انتهت إلى حد الإغراق وفي فتح والفتح جناس الاشتقاق والله
أعلم

ذكر الفتح وقلائده

وهو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي
الأديب المشهور له عدة تآليف منها كتابه الموسوم بقلائد العقيان وهو كتاب
بديع موجود بأيدي الناس وقد جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كبيرة وتكلم على
ترجمة كل واحد منهم بأحسن عبارة وألطف إشارة وله أيضا كتاب مطمح الأنفس
ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس وهو ثلاث نسخ كبرى وصغرى ووسطى وهو
كتاب كثير الفائدة لكنه قليل الوجود وكلامه في كتبه يدل على غزارة فضله
وسعة مادته وكان كثير الأسفار سريع التنقلات وقال الحافظ أبو الخطاب
ابن دحية في كتابه الذي سماه المطرب في أشعار أهل المغرب إني لقيت جماعة ممن
اجتمعت به وحدثوني عنه بعجائب وعجائب فيه وكان خليع العذار في دنياه لكن
كلامه في تآليفه كالسحر الحلال والماء الزلال قتل ذبيحا في مسكنه بفندق
من حضرة مراكش صدر سنة تسع وعشرين وخمسمائة رحمه الله وكان الذي أشار
بقتله أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين هذا كله لفظه وأمير
المسلمين المذكور هو أخو تميم وإبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي ألف له
أبو النصر المذكور قلائد العقيان وذكره في خطبة الكتاب نقله ابن خلكان

أو وصلت للموصلي فيما مضى ۞ عند الغنا بغير ما لم ينكبوا
الإغراب قوله أو وصلت تقديره أو لو وصلت وقوله لم ينكبوا جواب لو
المقدرة وعند الغنا وبغير ما متعلقان به وخفض ياء الموصلي وقصر ألف الغناء
ضرورة وفي وصلت والموصلي شبه الاشتقاق والله أعلم ۞

التعريف بالموصلي وذكر الغناء وما قيل فيه

أما

إسحاق الموصلي هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي ولاء
ارجاني الأصل المعروف بابن النديم الموصلي كان من ندماء الخلفاء من بني العباس
وله الطرق المشهورة والصناعة والغناء الذي تبع به وجما وإنما قيل له ولأبيه
الموصلي لأن أباه إبراهيم كان قد سافر إلى الموصل وأقام بها مدة فنسب إليها
قال أبو الفرج الأصبهاني ومكان إسحاق الموصلي من الأدب ومحله من الرواية وتقدمه
في الشعر ومنزلته في سائر المحاسن أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف وأما الغناء
فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه
فإنه كان له في سائره نظراء وأكفاء ولم يكن له في هذا نظير فإنه لحق
فيه بمن مضى وسبق من بقي ولحب للناس جميعا طريقه فأوضحها وسهل عليهم سبيله
وأنارها فهو إمام أهل صناعته جميعا ومعلمهم يعرف ذلك منه الخاص والعام
ويشهد به الموافق والمعاند على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدهم بغضا
له ويود أن لا ينسب إليه ولا يسمى به وكان يقول لوددت أن أضرب كلما أراد مريد
أن أغنيه وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغني عشر مقارع لا أطيق أكثر من ذلك
وأعفى من الغناء ولا ينسبني من يذكرني إليه وكان المأمون يقول لولا ما سبق
على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتي فإنه
أولى به وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة وقد روى الحديث
ولقي مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير وإبراهيم بن سعد
وأبي معاوية الضرير وروح بن عبادة وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز وكان
مع كراهته للغناء أضن خلق الله به وأشدهم بخلا به على كل أحد حتى على جواريه
وغلمانه ومن يأخذ عنه منتسبا إليه ومتعصبا له فضلا عن غيرهم وهو الذي
صحح أجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله ولا تعلق
به أحد بعده فجعل الثقيل الأول أصنافا فبدأ فيه بالمطلق في مجرى البنصر
ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها ثم بما كان بالسبابة في مجرى البنصر ثم جعل
ما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة ثم جعل الثقيل الأول صنفين الصنف
الأول منهما هذا الذي ذكرناه والصنف الثاني القدر الأوسط من الثقيل الأول
وأجراه المجرى الذي تقدم من تمييز الأصابع والمجاري وأخرج جميع الطرائق

والاجناس بذلك واجرى امثلة على مذاهب النغم ثم لم يتعلق بفهم ذلك احد بعده
فضلا عن ان يصنفه في كتابه مثل هذا كله فعله اسحاق واستخرجه بتمييزه حتى اتى
على كل ما رسمته الاوائل مثل اوقليدس ومن قبله ومن بعده من اهل العلم بالموسيقى
ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد افنوا فيه الدهور من غير ان يقرأ لهم كتابا
او يعرفه قال ابو الفرج وهذا من اعجب شيء يؤثر عنه وانه استخرج بطبعه
علما رسمته الاوائل لم يوصل اليه الا بعد علم كتاب اوقليدس الاول في
الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى فعلم ذلك وتوصل اليه
واستنبطه بفطنته فوافق ما رسمه اولئك ولم يشذ عنه شيء يحتاج اليه
منه وهو لم يقرأه ولا له مدخل اليه ولا عرفه ومن عجيب امره انه كان ياخذ
العود ويشوش الاوتار ليس فيه وتر يساوي الاخر ولا له به نسبة فيضرب
به ويغني عليه غناء صحيحا مستقيما كاحسن شيء سمعته وكان الواثق يقول
ما غناني اسحاق قط الا ظننت انه قد زيد في ملكي وقال محمد بن عمر الجرجاني
كان والله اسحاق غرة في زمانه وواحدا في دهره علما وفهما وادبا ووقارا
ووفاء وجودة راي وصحة مودة كان والله يخرس الناطق اذا نطق ويحير
السامع اذا تحدث لا يمل جليسه ولا تمج الاذان حديثه ولا تنبو النفوس عن
مطاولته ان حدثك الهاك وان ناظرك افادك وان غناك اطربك وما كانت
ترى خصلة من الادب ولا جنسا من العلم يتكلم فيه اسحاق ويتقدم احد على مجاراته
ومباراته وقال محمد بن عطية العطوي الشاعر كنت في مجلس القاضي يحيى بن اكثم
فوافى اسحاق بن ابراهيم الموصلي واخذ يناظر اهل الكلام حتى انتصف منهم ثم
تكلم في الفقه فاحسن وقاس واحتج وتكلم في الشعر واللغة ففاق من حضر ثم اقبل
على القاضي يحيى فقال له اعز الله القاضي افي شيء مما ناظرت فيه وحكيته نقص
او مطعن قال لا قال فما بالي اقوم بسائر هذه العلوم قيام اهلها وانسب الى
فن واحد قد اقتصر الناس عليه يعني الغناء قال العطوي فالتفت الي القاضي
يحيى وقال لي الجواب في هذا عليك وكان العطوي من اهل الجدل فقلت للقاضي
نعم اعز الله القاضي الجواب علي ثم اقبلت على اسحاق فقلت يا ابا محمد انت
كالفراء والاخفش في النحو فقال لا فقلت فانت في اللغة ومعرفة الشعر كالاصمعي

الله

وابي عبيدة

وأبي عبيدة. قال: فقال لي: أما أنت في علم الكلام كأبي الهذيل العلاف والنظام البلخي
قال: لا. قال: فما أنت في الفقه كالقاضي، وأشار إلى القاضي يحيى. قال: لا. قال: فما أنت في
قول الشعر كأبي العتاهية وأبي نواس. قال: لا. قال: فمن ههنا نسبت إلى ما نسبت إليه
ثم قال: لا نظير لك فيه، وأنت في غيره دون رؤساء أهله. فضحك وقام وانصرف. فقال
القاضي يحيى للعسكري: لقد وفيت الحجة حقها، وفيه ظلم قليل لإسحاق، وإنه ممن
يقل في الزمان نظيره. وقال أحمد المكي: كان المغنون يجتمعون مع إسحاق، وكلهم أحسن
صوتا منه ولم يكن فيه عيب إلا صوته، فيطمعون فيه، فلا يزال بلطفه وحذقه ومعرفته
حتى يغلبهم ويبذهم جميعا ويفضلهم ويتقدمهم. قال: وهو أول من أحدث التخنيث
في الغناء ليوافق به صوته، فشاكله، فجاء منه عجب من العجب. وكان في خلقه نبو
عن الوقر، وله شعر في غاية اللطافة في كل فن، ومنه في الفخر:

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ... ودافع ضيمي خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت ... يداي الثريا قاعدا غير قائم

ومنه في الجود:

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فليس إلى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ... بخيلا له في العالمين خليل
عطائي عطاء المكثرين تكرما ... ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ... ورأي أمير المؤمنين جميل

ومنه في الغزل وقد انحدر من بغداد إلى البصرة في سفينة ثم عاد فيها:

ما كنت أعرف ما في البين من حزن ... حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها ... فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت علي تفديني وترشفني ... كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية ... يا ليت معرفتي إياك لم تكن
لما افترقنا على كره لفرقتنا ... أيقنت أني رهين الهم والحزن

وأخباره وأشعاره ومحاسنه كثيرة، انظر الأغاني. وكانت ولادته سنة خمسين
ومائة، وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي رضي الله عنه، وتوفي في
شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين ببغداد، ورثاه بعض أصحابه بقوله:

أضحى اللهو تحت عفر التراب ... ثاويا في مقابر الأحباب

إذ مضى الموصلي وانفرد الأنـ ... ـس وبتنا في وحشة واكتئاب

بكت المطربات حزنا عليه ... وبكاه المعروف والشراب

وبكت آلة المجالس حتى ... رحم العود عبرة المضراب

وقيل إن هذه المرثية في أبيه إبراهيم وكان هو وابنه في صناعة الغناء لا نظير لهما وابنه أشهر والله أعلم ولنذكر هنا بعض ما يتعلق بالموصلي فلنذكر بعض ما يتعلق بالغناء فنقول اعلم أن صناعة الغناء قديمة في نوع البشر حدثت في عصر آدم عليه السلام أو بعده بيسير وإنما قلنا هذا لأن الظاهر أن الغناء أمر طبيعي في الإنسان لا ينفك عنه فكما أنه إذا أصابه حزن بكى وناح كذلك إذا حصل له سرور أطرب وترنم وربما صفق ورقص فهذا أمر جبلي في الإنسان من بداية الخلقة إلا أن غناء كل أحد بحسب طبعه وقريحته فمنهم المجيد ومنهم المقصر ثم إنهم ذكروا أن أول من وضع العود للغناء بعد لامك بن قاين بن آدم عليه السلام فإذا كانت آلة الغناء قد حدثت في ذلك العصر فالغناء بدون آلة متى كان وجد البشر يكون قد حدث في عصر آدم عليه السلام أو عصر بنيه لامك الذي رأيت في التوراة عند الكلام على يوبال بن لامك ومتوشائيل ذرية قاين وأبي بينه وبينه خمسة آباء فإنه ذكر أن يوبال كان أبا للضاربين بالكنارة والأرغن فالكنارة آلة معروفة والأرغن كما أظن الآلة المسماة بزامير الشعب ويقويه قول المسعودي في مروج الذهب إن كثيرا من الملاهي أحدثت في أيام بارد بن مهلاييل أحد آباء نوح قلت وقاين هذا هو قابيل قاتل هابيل المذكور في سورة المائدة واعلم أن ما ذكر من أن لامك أو بعض بنيه هو الذي أحدث العود ينبغي أن يحمل على أنه وضع آلة تشبه العود مثل الكنارة ونحوها وأما العود المصطلح عليه اليوم فالمشهور أن الذي وضعه حكيم من حكماء الفرس وسماه البربط بفتح الموحدتين بينهما راء مهملة وفي آخره طاء مهملة وتقسيمه على باب الخيال كأنه مأخوذ من ضرب باب الجنة وجعل أوتاره أربعة بإزاء الطبائع الأربع فالزير بإزاء الصفراء والمثنى بإزاء الدم والمثلث بإزاء البلغم والبم بإزاء السوداء فتبين بهذا أن الغناء صناعة قديمة قبل نوح عليه السلام

بكثير وقول ابن خلدون ان صناعة الغناء آخر ما يحدث في العمران لانها كمالية
وأول ما يذهب منه عند اختلاله بناء في ما ذكرناه من ان مثل ذلك انهم كانوا
فرتقيان من عمرانهم وتفننوا في الكماليات فاخترعوها ثم لما نشر الله الخلق
بعد نوح عليه السلام وتعددت الامم واختلفت لغاتها وتنوعت ازياؤها وعملها
وتحليها اختص كل امة بغناء يليق بها واخترعت لذلك الآلات تناسبها
فكان السابق لذلك والمبرز فيه أمتين حكيمتين وهما اليونان والفرس فاما
اليونان فكان منهم فيثاغورس الحكيم المشهور وضع علم الموسيقى وضبط انواع الغنا
بقوانين هندسية وافرد لذلك كتابه المسمى بكتاب الدهور الثمانية وما قيل
من انه اول من اخترع العود غير ظاهر لما قدمناه من ان العود من مخترعات
العرب ولانه لو كان من مخترعات يونان لكان معروفا في الآلات الفرنج لان
الذين ورثوا ملك اليونان وحضارتهم هم الروم والذين ورثوا ملك الروم وحضارتهم
هم الفرنج فكيف يخفى عليهم امر العود مع شدة اعتنائهم باخبار من
قبلهم خصوصا الروم ويونان ولا نجد آلة الفرنج في جيل ما يعانونه من الصنائع
والغرائب فلذا قلنا ان العود ليس من مخترعات يونان نعم قد كانت لهم آلات
اخر منها مذكورة في كتب الاخبار وغيرها واما الفرس فانهم تفننوا في
الغناء ايضا وضبطوا انواعه بالقوانين الحسابية والنسب الهندسية
ووضعوا فيه التآليف فاتوا في ذلك من وراء الغاية وزعم بعضهم انهم استنبطوا
العود ولا يوجد له مثيل في سائر الآلات الغناء ولما كان غناء العرب
تابعا لغناء العجم وناشئا عنه لانهم الذين دونوا ملكهم وحضارتهم
وجب ان نتوسع فيه قليلا ونبين اصوله وفروعه وكيفية حصره على سبيل
الاجمال ليكون كالتوطئة لبيان غناء العرب وفهم موضوعه واقسامه
في الجملة فنقول اعلم ان العجم لما ارادت ضبط انواع الغناء عمدت
اولا الى النغم فقسمتها الى سبعة اصوات ومعنى النغمة الصوت الساذج الذي
الذي يترنم به الانسان على صيغة مخصوصة وقال العلامة شمس الدين
ابن شاعر في رسالته النغمة صوت ذو ثبات زمانا ما خارج من الانفاس بمجرى الحروف
من الحلق القائم فجعل العجم النغمات الصوتية على طبقات بعضها ارفع من

بعضه وقد تبعوا ترتيب العدد المذكور فاخصّوا النغمات بنغمة اليكاه ومن فوقها
الدوكاه ومن فوقها السيكاه ثم الجهاركاه ثم البنجكاه ثم الششكاه ثم الهفتكاه
وهي اعلى النغمات واعلاها وهي السابعة وكل واحد من هذه الاسماء السبعة
مركب من كلمتين فارسيتين آخرهما وهي كاه بالكاف الفارسية المعقودة التي مخرجها من
مخرج الجيم بمعنى مقام والاخرى وهي يك في الاول بمعنى واحد ودو في الثاني بمعنى
اثنين وسه في الثالث بمعنى ثلاثة وجهار في الرابع بمعنى اربعة وبنج في الخامس
بمعنى خمسة وشش في السادس بمعنى ستة وهفت في السابع بمعنى سبعة وقد
تقدمت هذه الالفاظ عند الكلام على النرد من اجلها وهذا التركيب انما اصله
بمعنى مقام الواحد ومقام الاثنين ومقام الثالث الى آخرها وانما وضع بمعنى المقام
الاول المقام الثاني المقام الثالث ومكرر ايضا على عادة العجم في تقديم المضاف
اليه على المضاف والنعت على المنعوت ثم سموا المقام الاول وهو اليكاه الراست
كلمة فارسية اجتمع فيها ساكنان الالف والسين المهملة ومعناه المستقيم
ومعناه بلغة العرب فعالوا الراست وانما زادوا هذا الاسم على اسم مقامه
الذي هو اليكاه لكون الذي تركيبه انبنى على الترتيب الطبيعي حيث يرقى فيه بالاول
فالاول الى الثاني اذا يرقى في الدوكاه بالثاني وفي السيكاه بالثالث وهكذا
اذ هذه المقامات تحصل في الخمس بل اكثر من العروض ثم تعكسه الطبع منها
كتفكيك بحور الشعر فكان البحر الاول بسبب ما جاءه من تلك الطريقة جديرا بان
يزاد هذا الاسم الدال على الاستقامة دونها حيث لم يكن التركيب في شيء منها
جاريا على الترتيب فهو منزل من سائر البحور منزلة بحر الطويل من سائر البحور
بناء على تسمية هذه الاصول السبعة توجد في ثلاثة دواوين وذلك انه اذا
بدات بنغمة اليكاه التي هي الدرجة الاولى وصعدت درجة درجة حتى وصلت
الى نغمة الهفتكاه التي هي الدرجة السابعة ثم اخذت ترقى درجة درجة
ايضا كانت الثامنة غير الاولى في حكمها كما هو في صناعة الغناء وكانت
التاسعة غير الثانية حتى لو وصلت الى الرابعة عشرة لكانت غير السابعة
ولو ترقيت الى الخامسة عشرة لكانت غير الثامنة التي هي الاولى بعينها
وهكذا فاذا انقسمت نغمات الديوان الاول ثم اخذ من نغمات الثاني منزلة نغمة اليكاه

من نغمة الزير وهكذا الحكم بين الثاني والثالث فافهم ولذا جعلوا الديوان الثاني
جوابا للأول والثالث جوابا للثاني وبيانه انه اذا كان شخص له صوت حاد
كالصبي والمرأة وكان يغني في المرتبة الثامنة وأراد غيره أن يغني معه فيها
لكون صوته لا يساعده على ذلك لغلظ اصوات الرجال فانه يأتي بالنسبة معه في
ذلك الغناء وانما عدلوا له عليه من أن يخفض صوته الى المرتبة الأولى التي هي
مرتبة الكمال ويغني معه فيستقيم الغناء حينئذ بخلاف ما لو غني في المرتبة الثالثة
او الخامسة او السابعة مثلا فان الغناء يفسد ويختل اذ لا نسبة بين هذه
المراتب فان قلت أرأيت اذا غنى احدهما في الثامنة وغنى الآخر في الثانية
او الرابعة مثلا هل يستقيم الغناء لأن النسبة بين المرتبتين موجودة او يفسد
لأن احدى المرتبتين وقعت في أول ديوان والأخرى في ثاني آخر قلت لا يستقيم
على وجه لأن صاحب الثامنة يكون مغنيا في أصل وصاحب الثانية مثلا يكون مغنيا
في فرع كما يأتي بيانه ثم اعلم ان هذه هي المقامات السبعة التي اصطلح المهرة على
جعلها اصولا للغناء بها وتسمى البردات واما الفروع فهي احد وعشرون وهي
تنقسم بالقسمة الثلاثية الى عربات ونيمات وتيكات فالعربات تكون اذا
تعادل بين مسافة النغم فيما بين الدرجات وبيان هذا ان مسافة النغم فيما بين
كل اصلين من السبعة المتفرقة قد تكون كاملة وتسمى بردة وقد تكون ناقصة
وتسمى عربة او نيم عربة او تيك عربة فاذا رفعت صوتك فتنقله من درجة من
درجات الاصول السبع فاما ان تقطع جميع مسافة النغم بينها وبين الدرجة التي
تليها واما ان تقطع نصف المسافة او ربعها او ثلاثة ارباعها فقط وتقف
ثمة فان انت قطعتها كلها وانتهيت الى الدرجة الاخرى كنت واقفا على البردة
وكانت مسافة النغم كاملة وان قطعت نصفها ثم وقفت كنت واقفا على العربة
او قطعت ربعها فقط كنت واقفا على نيم العربة اي نصفها ونصف النصف ربع
او قطعت ثلاثة ارباعها كنت واقفا على تيك العربة وكانت المسافة في الجميع
ناقصة وبهذا يتبين ان عدد العربات سبع وكذا عدد كل من النيمات والتيكات
وذلك واضح وينبني على هذا ان يكون ترتيبها كترتيب الاصول وكل منها يسمى
باسم خاص فاسم العربة الأولى زنكلاه وهو اسم فارسي مركب من كلمتين

احدهما كلاله بمعنى تاج والآخر وزن بفتح الزاي المعجمة وسكون النون بمعنى
بنت والتركيب اضافي اي تاج البنت ومنزلة الربعة من الرافعة بين اليكاه والدوكاه
والاسم الثانية الكرد ومن الرافعة بين الدوكاه والسيكاه والاسم الثالث
بوسليك ومن الرافعة بين السيكاه والجهاركاه والاسم الرابعة الحجاز ومن
الرافعة بين الجهاركاه والبنجكاه والاسم الخامسة العجم ومن الرافعة بين
البنجكاه والششكاه ومنزلة الاسماء الاربعة كلها عربية وكل ما ذكر من اسمى
الثامنة ذلك والاسم السادسة النيروز ويقال النوروز ومعنى الاهل اسم يوم اول
يوم من السنة الفارسية ومن الرافعة بين الششكاه والهفتكاه والاسم السابعة
النهفت اسم فارسي كانه مضاف الى الهفتكاه ومن الرافعة بينها وبين اول
مرتبة من الدور الثاني وهكذا ترتيب النغمات والتيكات على هذا المنوال ومن
اسمائها الحجازية والحسيني والبزرك والزنكلاه والرمل والاصفهاني والرهاوي والنيريز
والصبا والشوري والعشيرا وغير ذلك مما يكون ومنزلة الاسماء بعضها
فارسي وبعضها عربي كما ترى والسبب في ذلك انا فرضنا ان الغناء العربي متولد
من الفارسي وناشئ عنه فالتبس احدهما بالآخر وناسب الاسماء بعضها مع
بعض ثم لا يخفى عليك ان كلا من العربات والنغمات والتيكات ثمانية وانه
ثلاثة كالبردات فيكون مجموع ادوار الغناء الفارسي اربعة وثمانين دورا من
ضرب ثلاثة عشر الادوار في ثمانية وعشرين عدد المقامات الاصول والفروع
ومن هنا تحتاج الى كيفية تركيب نغم الآلة المسماة عند العرب اليوم بالعيدان
فان نغمها قد تزيد على هذا العدد بكثير ومذكور في علم عليه واما كيفية
تاليف اللحون وتركيبها من النغمات وتمييز اللذيذ منها من البشيع والمستحسن
من المهجور وتنزيل الاشعار على ما يصلح منها وكذلك ما لا يصلح حتى يتأتى
الغناء بكل نغم منها على وجه مخصوص فهو علم الموسيقى الذي يتوقف الخوض
فيه على اتقان القواعد الحسابية والنسب الهندسية والاشراف على علوم
الطبيعة وغير ذلك ثم لا تحصل الملكة فيه على ما ينبغي الا بالممارسة وكل
ميسر لما خلق له ثم اعلم ان الغناء بالصوت او الالة لابد له من ايقاع
ينضبط زمانه به ويتميز حتى لا تحصل فيه زيادة ولا نقصان ومعنى الايقاع

نقرات على الكمال او غيره فيسما وق بها الغناء حال الترنيم به تكون كل نغمة لها
فيقع فيها الامراغا وتكون الأزمنة المتخللة لتلك النغمات مقسومة بقسمة
هندسية ملزوزة في السمع لا تتفاوت اجزاؤها عادة ومنزلة الايقاعات في
موازين اللحون التي تميز صحيحها من فاسدها قال ابن سينا وقد انتهت الضرب من
من الايقاعات على اربعة اضرب ضرب يعرف بضرب الاصل وهو قريب من الثقيل
الاول عند العرب وضرب يعرف بالمخمس وهو قريب من الماخوري عندهم وضرب يعرف
بالتركي وضرب يعرف بالقاضي وهو من العروض ه وهذا ما اردناه من الكلام
على غناء العجم وأما غناء العرب الناشئ عنه والتابع له فاعلم ان
العرب قبل الاسلام لم يكونوا يعرفون غناء بديع الصنعة ولا فنهم بالاجزاء قال
ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني كان غناء العرب جاريا مجرى النشيد الا انه
يقع بتكسير وترجيع يسير ورفع للصوت وتنقل صاحب المستكفي عن هشام بن محمد
الكلبي ان غناء العرب على ثلاثة اوجه النصب والسناد والهزج فاما النصب
فغناء الجمال والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج
فالخفيف كله وهو الذي يستخف القلوب ويهيج الحليم ه والكلام ان هذا غناء ثم
بعد الاسلام وأما قبل الاسلام وعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء
الراشدين فلم يكن في غنائهم كثرة نغمات ولا ما يستخف القلوب بل كان جاريا
مجرى الانشاد كما قال ابو الفرج وهو الذي رخص فيه بعض العلماء وقال ابن خلدون
وربما ناسبوا في غنائهم بين النغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق
في آخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السناد ه واعلم ان هذا القدر
من الغناء الذي كان للعرب قبل الاسلام قد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدون من بعده واقروه فهو خارج عن خلاف الفقهاء في الغناء
هل هو ممنوع او مباح ثم لما جاء الاسلام واتسع نطاقه ووقعت الفتوحات
واستولى العرب على ملك فارس وسبوا ابناءهم وورثوا حضارتهم سمعوا
غناء فارسيهم وأما بهم منهم بمكة والمدينة وغيرهما من الامصار ويقسمونه
لانه كان الكثير من غنائهم بكيفية ممتزجة احزانا وصنعوا عليه اشعارهم من غير
ان يلتزموا به على وجهه بل بنوع من المماثلة فعلم ان العجم كانوا يعرفون غناء

منه شيئا والعرب كانوا يغنون غناء بسيطا الى ان جاء الروم واكثر من غناء
الفرس بكثير كما سنبينه فاول من غنى من المغنين العرب ابن محرز فاما
بالمدينة فطويس المخنث وكان قد اخذهم ابن الغناء عن سبي فارس وذلك
ان عمر رضي الله عنه كان قد جعل لهم يوما في الشهر يستجمون فيه من المهن
فكان طويس يغشاهم حتى فهم كلامهم وغنى غناء يشاكل غناءهم وقال
ابو الفرج كان اول من غنى بالمدينة غناء يدخل تحت الايقاع طويس وكان مولده
يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطامه يوم توفي ابو بكر رضي الله
عنه وختانه يوم قتل عمر رضي الله عنه وبناؤه باهله يوم قتل عثمان رضي
الله عنه وولد له يوم قتل علي رضي الله عنه فلذا قيل فيه اشأم من طويس
واما بمكة فسعيد بن مسجح مولى بني جمح او مخزوم وذلك انه مر بالفرس وهم
يبنون المسجد الحرام في زمان ابن الزبير فسمع غناءهم بالفارسية فلحن عليه
شعر العرب قال ابو الفرج ثم رحل الى الشام واخذ الحان الروم وانقلب الى فارس
فاخذ بها غناء كثيرا وتعلم الضرب ثم قدم الحجاز وقد اخذ محاسن تلك النغم
والقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم التي هي في غناء الفرس والروم
خارجة عن غناء العرب وغنى على هذا المذهب فكان اول من اثبت ذلك ونقله
وتبعه الناس بعد ذلك ه واعلم ان هذا الغناء الذي استحدثه العرب في صدر
الاسلام جاء الطف وابدع والذ من غناء الفرس بكثير لامور منها انهم حذفوا
ما لم يروا فيه طبعا عندهم من نغمات الفرس ونبراتهم وابدلوها بغيرها مما يوافق
الطبع ويلذ في السمع ومنها ان الفرس كانوا متقيدين في جل اغانيهم بالقواعد
الحسابية التي ضبطوا بها الحانهم معتبرين لها ومن شأن من كان كذلك ان لا يكون
غناؤه محكما لانه يغني بحسب ما ان غيره لا بحسب ملكته وذوقه بخلاف العرب
فان احدهم انما كان يغني على حسب ما عنده من القريحة المتمكنة والملكة الراسخة
فيتوسع في ذلك كيف ما شاء عند الطبع ووافقه الذوق فمهما كملت له نبرة
مناسبة ولو فلتت او عرضت له رنة ملائمة ولو دق فيها الا ويتبعها بلطف
طبعه ويتممها بيده بحسن ملكته وجودة قريحته حتى يستخرج ما عليه منها
فيغني غناء حاذق غناء مطابقة غناؤه على احسن الوجوه واكملها ومنها

الزيادات اللطيفة فهذه لا تدخل تحت قوانين الموسيقى لخفائها ولطفها ألا ترى أنهم
إنما تكلموا على النغمات وأنصافها وأرباعها ولو فرضنا أنهم تجاوزوا ذلك
إلى الأثمان وأعشارها مثلا لكان غناؤك فاسدا لفساد قواعده وعدم الأذن ومما لا يدركه
إلا الطبع السليم فمثل غناء العربي بطبعه وجودة ذوقه في نفسه مثل القارئ الماهر
الذي ضبط أحكام الأداء ووجوه أدائها من روم وإشمام وإمالة كبرى وصغرى
وتسهيل وتحقيق وتفخيم وترقيق وغير ذلك لا يعرفه من الكتب شيئا وإنما أخذه
تلقينا بالمشافهة من فيه ولله ولكتابه المثل الأعلى ومثل غناء العجمي
المستند في غنائه إلى قوانين الموسيقى مثل القارئ الذي يتلو ولم يأخذ إلا من المصحف
فيقرأ فيه قراءة متكلفة اتباعا للنقوش المرسومة فيه فهذا لا يتأتى له أن يأتي
بالروم والإشمام وغيرهما من وجوه الأداء لأنه تابع في قراءته للكتابة وهي
لا تثبت من هذه اللطائف وإنما المعتبر فيها الفهم وأيضا مثل المستند في غنائه للطبع
مثل المجتهد الذي ينظر الأحكام بحسب ما يقتضيه علمه ومعاناة نفسه ومثل المستند
في غنائه لقوانين الموسيقى مثل المقلد في الأحكام لغيره فهو ينظر أقوال غيره ولا خبرة
له من نفسه وقد رأيت من تكلم من المتأخرين على غناء العرب وتوقف في علة كونه
لا يطرب إطراب غناء العجم مع أن العرب أعرف منهم بهذا الفن وسائر الفنون
العقلية والجواب ما قررته لك في هذه المسألة وأيضا فقد ذكر ابن خلدون أن ملكة
اللغات تقتضي أن لا تطرب أمة من الأمم إلا على غنائها دون غناء غيرها فانظره
فإن قلت الغناء الطبعي لا يؤمن عليه من الفساد والخروج عن النظام إذ
ليس مستندا لقانون يضبطه قلت أما كونه لا يؤمن عليه من الفساد فإنما
ذلك في حق من لا ذوق له أو له ذوق غير تام وأما ذو الذوق التام والملكة الراسخة
فلا وأيضا فهذه موازين الغناء مركوزة في طباع الناس معجونة في طينتهم
يوم خلقهم الله فمن كثف طبعه وتكدرت إنسانيته عزب ذلك عنه ولم يتفطن له
فلا يهتدي إلى تلك الموازين ومن لطف طبعه وتجوهرت إنسانيته رأى تلك الموازين
ممثلة في مرآة نفسه ثم يتصرف كيف شاء ونظير هذا ما ذكروه في قواعد
المنطق وأقيسته وأنها مركوزة في طباع الإنسان وأنه فطري للقوة المفكرة
بغير تعلم فاختلاف العلماء في استفادتها منه بتدوين مسائل قبل المنطق بل أتى في

عن هذا و تقول اعلم ان النفوس البشرية ليست من هذا العالم الكثيف الكدر
المظلم بل هي من عالم النور والصفاء والبهجة التي رسمت فيه صور الموجودات
بأسرها وامثلتها على ما هي عليه في نفس الامر كما ترسم صور المرئيات في المرآة
الصقيلة فلو فرضنا ان نفسا تجردت وزكت وزالت عنها ظلمات الطبيعة
السفلية وكشف عنها الغطاء فيها كل شيء على ما هو عليه صورا روحانية لا
جسمانية وهو الكشف الذي يحصل للاولياء رضوان الله عليهم ومن جملة
الموجودات تلك النغم والالحان بأجمعها ومنها دقيقة اداء النغمة البحث وجه
التطريب والتحزين كما قيل شجون والعلم ستور والله يختم لنا بالحسنى بمنه
واما ان الغناء العربي لم يكن له قانون يحصره فمسلم بل قانونه في ذلك
ايضا عدم التي تركه مما يعرف ان شاء الله فقد بان لك بهذا ان غناء العرب
كان في صدر الاسلام طبيعيا كما كان غيرا لشعر منهم طبيعيا واعراب كلامهم
كذلك ولم تكن الغناء منهم يوقف مقصورة في نوع او عدة كما كانت الحان الفرس
وانما كان ما الحداء فيهم اهل الذوق السليم والفكرة الوقادة يغنون الذي
يشتهون والثلاثة من الشعر فيختصر عروضه تماما خالصا وغناء مكن بالتساوي
اللازم ويتناسب المقاطع والمبادي في حسن التوقيعات عند الرنات على الكل
وقول الغناء والكلمة ثم يغنون بها ويروى عنهم وتنسب اليهم ومن اولئك
مثل معبد وابن سريج من المتقدمين وابراهيم الموصلي واسحاق وابنه من المتاخرين
وكان كل من اخترع صوتا يغني وينسب اليه ويحفظ عنه فيقال من صوت
معبد ومن اصوات ابن سريج ومن اصوات الموصلي وهكذا ومن ذلك الكيفية هي
التي الف فيها ابو الفرج الاصبهاني كتابه وبناه على المائة صوت
التي اختارها المغنون للرشيد رحمه الله فكان المغنون اذا حضروا مجلس
الخليفة او غيره من مجالس الانس يمكثون سكوتا حتى اذا ادار ت اقداح
النبيذ واخذوا في الشرب اخذ المغني واحدا من تلك الاصوات وغنى به وغنى
البيتين او الثلاثة بالنغم التي يختارها من الصور التي كانت متداولة عندهم
فيكون ذلك من الذكاء فيسمع ويجلب الاريحية والسرور ثم اذا دار ت
الاقداح ثانية غنى مغنيهم صوتا اخر ومما كذا ولم يكن غناؤهم كغنائنا فيه

اليوم متصل العمل من تبكما بعضه ببعض وينتقل فيه من شعر الى توشيح الى
زجل الى غير ذلك حتى ياتي على اخر النوبة وانما كان عملهم كما وصفنا لك واعلم
ان الحانهم واغانيهم وان كانت غير محصورة كما قلنا لك فان ايقاعاتهم التي
كانوا يوقعون عليها الحانهم كانت محصورة وهي ثمانية الثقيل الاول وخفيفه
والثقيل الثاني وخفيفه والرمل وخفيفه والهزج وخفيفه وربما زادوا تاسعا
يسمى الماخوري نسبة الى الماخور وهو بيت الريبة زعموا ان ابراهيم الموصلي
ان ابليس ناوله ولقنه اياه وقد اشار في ذيل التذكرة الى ضبطهم نقرات الخفيف
والثقيل في الجملة فقال انه لابد بين كل نقرتين من سكون فان ساوى زمانه زمان
النقرة الواقعة قبله وبعده فهو الخفيف المطلق وان زاد زمان السكون
على زمانيهما فان كان ما زاد قدر نقرة اخرى فهو الخفيف الثاني وان كان الزائد
قدر نقرتين فهو الثقيل الاول وان قدر ثلاث فالثقيل الثاني وما زاد على ذلك
فغير مستلزم واستمر الحال بالمشرق على هذا العمل الى زمان انقراض الخلافة
العباسية من بغداد وقد كان ابو نصر الفارابي الحكيم المشهور في اواسط
المائة الرابعة معاصرا لابي الفرج الاصبهاني بالعراق وقد اتقن فن الموسيقى
ومهر فيه واخترع الالة المسماة بالقانون فيما حكى ابن خلكان ومع ذلك لم
ياخذ الناس بقوانينه حتى درس امر الخلافة كما قلنا وذلك اواسط المائة
السابعة وتغلبت امم الترك على بلاد المشرق فمال الناس الى غنائهم واختلطت
اغانيهم باغاني العرب فحدث في الغناء اصطلاح جديد بين العربي والفارسي
والتركي وقسموه تقسيما غير ما تقدم فجعلوا الاصول اولا اربعة وهي الرهز
الذي كان يسمى عند الفرس الراست ثم العراقي وهو الذي كان يسمى عند الفرس
المعتكاه ثم الزيرفكند وهو الذي تسميه المغاربة الزوركند واصله تركي لا اهل
ثم الاصبهاني نسبة الى اصبهان بلد من بلاد العجم ثم قالوا ان كل واحد من هذه
الاصول الاربعة قد نشا عنه اثنان مما اصلا رايتهما فنشا عن الرهز الزنكلاه
والنيرز وقد تقدما ونشا عن العراقي الحسيني وهو الذي يسمى عند الفرس
النيشكاه والرهاوي نسبة الى الرها بلد بالجزيرة برك العراقية ونشا عن
الزيرفكند بوسليك والحجاز وقد تقدما معا في العربانيا ونشا عن الاصبهاني

النوى ومن أوائل تسمية الفرس البنجكاه والعشاق وقد نظم بعضهم منازل الأصول
وما نشأ عنها فقال

الحمد لله ولي النعمة ۞ قد خصنا منها بعلم النغمة
ان عدد اصل الاصل يا من اما ۞ فروعه البرزخ ثم الزركلا
أما النوى ففي خمس بالعد معشي ۞ منه الرهاوي ومع الحسيني
والزرك قد كان ما به تشكيلا ۞ له الحجاز ثم بوسليكا
والأصبهان رابع وما حوى ۞ فروعه العشاق حقا والنوى

ثم قال ابن نعم قد تولد من بين كل اثنين من منازل الأصول الاثني عشر منزع واحد
فجاءت الفروع ستة وسمى على ما في ارشاد القاصد الشهناز والنوروز والمايه
والكردانية والسلمك والكوشت وسمى اسماء فارسية فالشهناز مركب من
كلمتين احداهما شاه بمعنى الملك والأخرى ناز بمعنى ملك وحذفت الهاء
تخفيفا والتركيب اما بمعنى ملك الملوك والنوروز اسم في الأصل لأول يوم من
السنة العجمية وهكذا وانما خالف الفرس في ترتيب الأصول والفروع لمناسبات
في محلها تذكر في فعلها بجملة فنوع الغناء عند من ذكر اصولا وفروعها
ثمانية عشر واما ايقاعاته فثمانية عشر ايضا على ما ذكره الشهاب محمد
ابن اسماعيل في سفينته وهي الخفيف والثقيل والمربع والمخمس والمجمر والمدور
والمخمود والفاختي والورشان والسنبل والادور والرجز والنوخت
والزرابات والستة عشر والاربعة والعشرون والسماعي والافرنجي
وقد يزاد على ذلك السربند والدارج وغيرهما وقد نظمها فقال

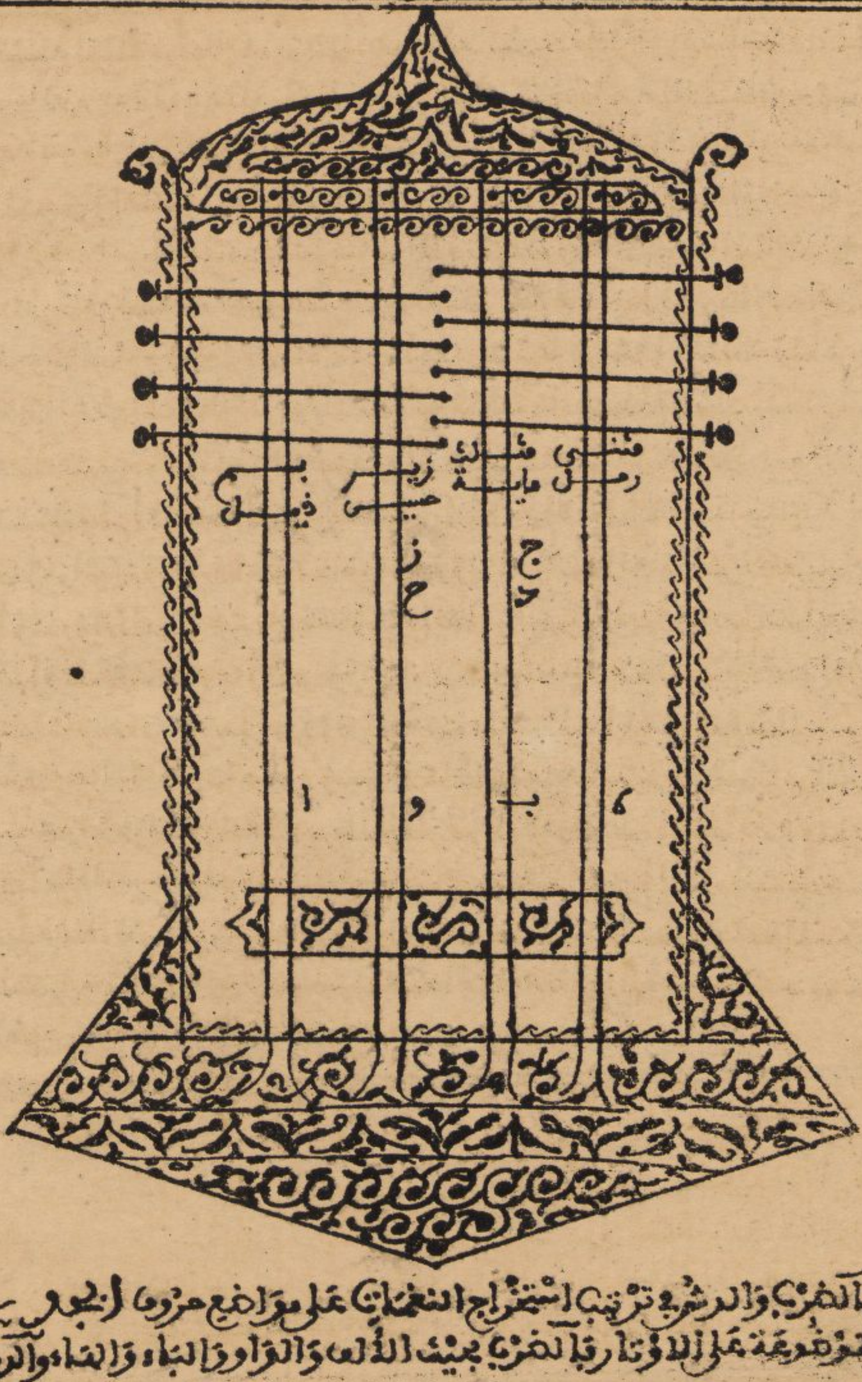
ضروب موازين الاغاني نظمتها ۞ وسميتها ابن القرب بعد سنن ذكر
خفيف ثقيل سنبل ومربع ۞ كذا ورشان فاخت ومجمر
وزد رجزا فيما يليه مخمس ۞ كذالك مخمود ثم والمدور
ومن بعد ذا الست عشر ثم اربع ۞ وعشرون ايضا والزرابات اذ جرى
ويعقبها كذا نوخت وبعده ۞ يجيء السماعي ومنه عنها يؤخر
واذ جمعت فيما ذكرت باسرها ۞ وعدتها في سبعة عشر تحصر
فزد ثامنا إياها وقد زيد واحد ۞ عزوه الى الافرنج فيما يخبر

ولكن هذا المجمع حصل اضافة ... فيما أنها فيما يعدون أكثر
ومن جمعها كل الآلات الطربة التي ... بها توزن الألحان حيث تحرر

والعمل بالمشرق وعلى هذا الاصطلاح إلى الآن وأخذ قدر كبير من غناء أهل المشرق
فلما جمع إلى غناء أهل المغرب وبيان أقسامه وحدوده وما لا بد منه اه هو المقصود
بالذات من هذه النبذة فنقول لما فتح العرب جزيرة الأندلس في خلافة الوليد
ابن عبد الملك بن مروان وأولادهما وتناسلوا بها كان لهم غناء بسيط كغناء
سلفهم وقد بعثنا عليه فيما مر وربما غنوا غناء يشبه غناء العجم من وجه
لجها وزنهم أيامهم وفيما زجلهم لهم ولم يكن بالكبير وزن الحكم واستمر الحال على ذلك
إلى هذه المائة الثانية فلما قدم الأندلس حينئذ علي بن نافع مولى المهدي العباسي
المعروف بزرياب وكان من كبار المغنين والمبرزين في تلك الصناعة قدم من العراق
خوفا من الموصليين في غم كبير واشتغل بالأندلس عند أميرها عبد الرحمن بن الحكم
الأموي فأقبل عليه وحباه وغنى زرياب بالأندلس غناء أهل العراق وورث بها
ثم بقية الموصليين وأزرى عليهم فيما بعد الناس ما كانوا عليه وأخذوا بمذهبه
ثم ترقى بعد ذلك وأحدث في الغناء اصطلاحا جديدا وذلك أنا قدمنا أن غناء
العرب في صدر الإسلام وأيام الخلفاء إنما كان بالنشائد اليسير والثلاثة حال
الشرب ولا على نمط مخصوص وهكذا ثانيا وثالثا حتى تنقضي مجلس الأنس فلما
قدم زرياب الأندلس أحدث هذا الغناء المتسلسل المتصل بعضه ببعض إلى تمام
النوبة وتبعه الناس على ذلك بالأندلس والمغرب قال المقري في نفح الطيب استمر
العمل بالأندلس أن كل من افتتح الغناء يبدأ أول شدوه بالنشيد بأي نقر كان ويأتي
أثره بالبسيط ويختم بالمحركات والأهزاج تبعا لمراسيم زرياب ثم تعدد أهل
الأندلس بعد زرياب في الغناء خصوصا أهل إشبيلية وغرناطة فمنهم من عمدوا
فيها إلى طريقة العجم من التحاصيل والتفريع وتقسيم كل صنف منه بطبيعة من
الطبائع الأربع وتوزيع الطبوع على ساعات الليل والنهار إلى غير ذلك وهذه
انتهى الطريقة هي التي انتقلت من غرناطة حين استيلاء العدو عليها إلى فاس والمغرب
ولا زالت بقية منها بأيدي الناس اليوم فلنذكر ما لا بد منه من ذلك ليوقف
عليه فنقول ذكروا أن كل ما يدور على ألسنة المغنين من أهل الأندلس والمغرب

فهو راجع الى خمسة اصول وتسعة عشر فرعا فالمجموع اربعة وعشرون اما
الاصول فهي الذيل والزيدان والماية والمزموم والغريبة المحررة. اما الذيل فيتفرع
عنه ستة فروع وهي رصد الذيل ورمل الذيل ومجنب الذيل واستهلال الذيل
وعراق العرب وعراق العجم واما الزيدان فيتفرع عنه ستة فروع ايضا وهي الاصبهان
والحصار والزوركند والحجاز الكبير والحجاز المشرقي والعشاق واما الماية
فيتفرع عنها اربعة فروع رمل الماية وانقلاب الرمل والرصد والحسين واما
المزموم فيتفرع عنه ثلاثة فروع وهي حمدان وغريبة الحسين والمشرقي الصغير
واما الغريبة المحررة فلم يتفرع عنها شيء وانت اذا تاملت اسماء هذه الطبوع
تجد ان بعضها ماخوذ من اشعار الفرس وبعضها ماخوذ من اشعار العرب من زمن
الاسلام وانما وقعت المخالفة في التاصيل والتفريع باعتبار اقتضاء الحال
حسبما نبهنا عليه في اصطلاح المشارقة وقد وقع ذكر المزموم والاستهلال وغيرهما
في كتاب الاغاني لابي الفرج فبان بهذا ان غناء العرب من زمن الاسلام ماخوذ
من غناء الفرس ثم انتقل الى الاندلس على يد زرياب من المشرق ثم انتقل الى فاس والمغرب
كذلك وقد وقفت على تاليف صغير منسوب الى محمد بن الحسين الحايك فرايت له
في بيان من استنبط هذه الطبوع ووجه تسميتها بهذه الاسماء كلاما يظهر ان الا
من الحكاية وقد ذكر في ذلك اشياء العقول تمجها في هذا العصر وذلك مما حملني
على التوسع بعض الشيء في هذه المسئلة مع غرابة الفن وانه من اهم الملح واعلم
انهم ذكروا ان طبع الذيل وما تفرع عنه يبرا من خلل السوداء وطبع الزيدان وما
تفرع عنه يبرا من خلل البلغم وطبع الماية وما تفرع عنه يبرا من خلل الدم
وطبع المزموم وما تفرع عنه يبرا من خلل الصفراء فينبغي لكل واحد بما يوافقه
ارتياحه في ذلك والا فيعتبر حال اهل المجلس وقد جرت عادتهم ان يرتبوا منها
صورة مستقلة او صورة جزئية يبرز فيها الاصول والفروع من هذه الطبوع وكان من
غرضي ان ارسم شيئا من ذلك لعلمي فابى ترتيبه مع ما بيناه واكتفيت ايضا بعادات هذه في
الطبوع بخمسة البسيط والقايم ونصف والبطايحي والدرج والقدام والكلا
في صنعة نغماتها وبيان ما تدخل فيه من الطبوع وما لا تدخل في النوب المستعملة
والمهملة وغير ذلك يطول. فائدة. ذكر الاديب ابو عبد الله العلمي

في انيسه ان الاديب الكاتب ابا عبد الله البوعصامي ثم المكناسي كانت له
قدم راسخة في صناعة الغناء وانه املى عليه ان اول ما يجب الاعتناء به في هذه
الصناعة معرفة النغمات الثمان التي عليها مدار الغناء وان قدار كيفيته
قلت ومن الطبوع المعروفة في الديوان الاول مع الاولى من الديوان الثاني حسبما مر
فان كيفية اخذها على سبيل الترتيب من الاوتار الاربعة ان تعرف انه متى اوقعت
في البعد التام بدا نغمة البم وهو الوتر المسمى البوم بالذيل وتليها نغمة المثلث
وهو وتر الماية من غير دس عليه بالبنصر من يد اليسرى ولا بالسبابة
وتليها نغمته ايضا مع الدس بالسبابة ثم تليها نغمته مع الدس بالبنصر ثم
نغمة المثنى وهو الرمل ثم الزير وهو الحسين من غير دس ثم نغمته ايضا مع الدس
بالسبابة ثم نغمته مع الدس بالبنصر وبذلك تتم النغمات الثمان وقد يكاد
يتخلل مراتب هذه النغمات نغمة اخرى بعد اخرى بل كل نغمة استخرجت من سائر
الاوتار والاصوات فهي راجعة الى هذه النغمات المذكورة يعني انها اصول الكل
فسائر وضبطها بحروف ابجد بان تجعل الالف للنغمة الاولى التي هي اقرب
النغمات واخفضها وهي نغمة الذيل والباء للتي تليها وهي ارفع منها بتنسيم
واخفض من التي بعدها بتنسيم وهي نغمة الماية من غير دس والجيم للتي تليها
وهي نغمة الماية ايضا مع الدس بالسبابة والدال للتي تليها وهي نغمة الماية
ايضا مع الدس بالبنصر والهاء للتي تليها وهي نغمة الرمل والواو للتي تليها
وهي نغمة الحسين من غير دس والزاي للتي تليها وهي نغمته ايضا مع الدس
بالسبابة والحاء للتي تليها وهي نغمته ايضا مع الدس بالبنصر وصورة
العود وكيفية العمل فيه هكذا



بالضرب والرشي ترتيب استخراج النغمات على مواضع حروف ابجد في
الموضوعة على الاوتار بالضرب بحيث الالف والواو والباء والهاء والرسم

بالسبابة بحيث الزاي والجيم وبالبنصر بحيث الفاء والدال وترتيب النغمات على
ترتيب الحروف يشتغل معها حيث انتقلت فالوتر الذي عليه حرف واحد فيه اشارة
الى انه النقرة بالمضرب على الوتر مطلقا فتعلم ان الذي اشير فيه بحرف نغمة واحدة
من اخفض النغمات ومثله الذي فيه اولا بنغمة واحدة ينقر على كليهما ولا
يلزم في كل من الماية والحسين ثلاث نغمات واحدة بالمضرب وحده واثنتان فيه
مع الزير بالسبابة او بالبنصر فاذا علمت مراتب منازل النغمات وكان استخراجها
عند الضرورة وجرت يزاد فيهما على الاوتار من غير توقيف سهل عليه الاخذ فان التزيين
من الوتر باخر الاصبع الثمانية والعادة جارية بتعريفه بغير الذي في التعليم للضرب
فاخذه وخففه مشددته ومعول النغم المركب من فاعلات تردد مرات نحو

يا رسول الله يا نعم الوفا ۵ يا شفيع المذنب والمعتبر

وقد تدار ترسم حروف نغماته فيما تلاها غالبا من كثرة التصفيق والتطليح
فلذلك وضع الالة بقية بعينها من كل بقية الادراج في تعليم اولاد من هنا عمدة
الغناء فانهم قد وضعوا حروفا واشكالا ونقطا كثيرة مختلفة بعضها يدل
به على النغمات وبعضها يدل به على رناتها وبعضها يدل به على نبراتها ومقاديرها
ثم رتبوها في اوزان على اوجه منظومة ترتيبا هندسيا جاريا على قوانين
الغناء وحملوا المتعلم على تهجيها والترنم بها فيتنزل ذلك منزلة التنقل في تلك النغمات
مترنما بها كما يتنقل المتهجي في حروف الكلمات فاذا مر عليها نصب تلك
الورقة امامه ثم اخذ الالة من عود ونحوه وغنى بها غناء مستويا ينظر
في تلك الاشكال ويغني ويشير ثم يحسبها فكلما اخذت الورقة من امامه وغابت
عن عينيه انقطع حاله كما ينقطع القارئ الذي يحكم معه باخذ المصحف من
يده بغتة فهم انما يعتنون تبعا لتلك النقوش لا عن قريحة وسجية فلذلك يكون
غناؤهم غير مطرب غالبا وقد تقدم ما فيه كفاية في استخراج النغمات
المذكورة من الاوتار بجميع الاصابع غالبا بتقويم العود وتسوية اوتاره
من غير احتياج الى ضابطهم في ذلك ولنا بشر بما ذكرنا عده يستعان بها على تقويمه
قبل معرفة مواضع النغمات ومواضعها وذلك ان تقوم الماية اولا على طبقة
معتدلة ثم تضع سبابتك على موضع البنصر منها وتضع البنصر حيث تقتضيه

المرتبة بعدها الثالث فيكون بعد الرمل فيقوم عليه حتى يمتثله ثم تضع سبابتك
على موضعها من الرمل فيكون بعد الحسين فتقوم عليه ثم تضع سبابتك على
الحسين موضعها حال العمل وتضع بعدها البنصر بموضعه فيكون بعد الزيل
إذن انه شيخ فتقوم عليه حتى يلتئم شباب الحسين مع شيخ الزيل ولك ان تقدم
اولا تقويم الزيل على طبقة معتدلة وتضع سبابتك على موضعها منه فيكون
بعد الماية فتقوم عليه وسر على بقية العمل كما تقدم فبين الزيل والماية بعد
كيفي وبين الماية والرمل وبين الحسين والزيل بعد بالاربع وبين الرمل والحسين
بعد طنيني فنسبته من الرمل كنسبة الماية من الزيل واما ترتيب الاوتار بحسب
تركيبها في محالها وترتيبها في الوضع فقد رمز له باربعة احرف وهي **ز ح م ر**
فالزاي للزيل وهو المقدم والحاء للحسين وهو الموالي له والميم للماية وهو
الثالث والراء للرمل وهو الرابع والتنكير في هذه الاحرف والوجهة ترتيبها
في الوضع لا الوجهة عددها وكل حرف منها ماخوذ من اول الوتر المشار اليه به

تتمة نذكر فيها بعض اصطلاح الفرنج في غنائهم وهذا الفصل نقلناه
عن صاحب كنز الرغائب وهو الاديب ابو العباس احمد بن مارس الفسكنكيني حفظه
الله فانه ذكر ان غناء الفرنج اليوم على اربعة انواع **الاول** وهو احسنها ما
يتغنى به في المدايح مثل الموشحات عند تمام كل الصوت وترجيعه وخفضه ورفعه
وترقيقه وتفخيمه ويدخل فيه نبرات تدل على الحماسة والتحزين والتشييع **والثا** [ني]
وهو قريب منه ما يرتل به في الكنائس ولا يكاد يكون فيه ترجيع **والثالث** ما
يتغنى به في المناحات والجنازات وفي هذا النوع يستعملون غناء رقيقا رخيما اشبه
بالنيوب من سمعه فهم المراد منه وان كان جاهلا باللغة كما اذا رايت شخصا
مجهشا بالبكاء فانك تعلم اجمالا شعوره بالفجيعة وان لم تعرف سببه **والرابع**
ما يتغنى به في المضحكات والمحاورات وهذا يقل فيه الترجيع ويكثر فيه النبر
والكراهة انما هو من حيث انهم يوقفون عليه الفاظا غريبة ويملونه بحركات
مضحكة وحكايات مختلفة فيضحكون فيه ويتغنون ويشكرون ويتناشدون ويعكسون
ويحاكون فيه صوت الدجاجة وزقزقة العصفور وغير ذلك وفي كل من هذه الانواع
يستعملون المساجلة اي المناوبة وهي قليلة جدا واكثرها في النوع الاخير

وكذا

وكما ان لهم غناء مضحكا كذلك لهم رقص مضحك ينسي الثكلى حزنها ثم فان
الفرق بين غناء العرب والافرنج من جهات وجوه احدها ان الافرنج ليس لهم صوت
مطلق للانشاد دون تقييد بالنقوش وذلك انهم جعلوا ترجيع الصوت وايقاعه
واخلافه بحسب المنشأ منه ثم دلوا عليه بنقوش وسطور معلومة كما دلت
الحروف على المعاني فلم يكن تحصيله متوقفا على الذكاء وقوة الحكم فقط
كما في غناء العرب وكان يستوي فيه الذكي والغبي فمن عرف منهم مخارج النغم
وتلك العلامات امكنه ان يخرج عليها اي صوت كان واذا اجتمع منهم عشرون
رجلا وكانت ايديهم تلك النقوش رايت منهم متابعة واحدة فلو اقترحت
على احدهم مثلا ان يغني بيتين كما يفعل عندنا في القصائد والموالية من دون
نقش لتلك العلامات لما جاء بشيء وهو غريب بالنسبة الى براعتهم في هذا
الفن قلت لا غرابة فيه لان براعتهم انما هي في العلم به في العمل وفرق بين العلم
الادراكي والعلم الذي تقدم به فهم ثم ذكر صاحب كنز الرغائب ان الروم
اخذوا لهم تلك النقوش رجل كلياني من قرية العجم قلت بل هو مشهور بينهم
لما علمت من ان مراتب النغم يدل عليها عندنا بحروف ابجد كما هو مبين في
كلام الفارابي وغيره ومن صور منها المسودة في كلام العلامة ابن شاعر ان
النغمة صوت لا يثبت زمانا ما يجري من الاصوات مجرى الحروف من الالفاظ فهذا
يدل على اختراع ذلك فيهم والظاهر انه ماخوذ من العرب او من يونان ولكن ينسب
اختراعه الى هذا الكلياني وتوقفوا بفضيلته عليه ثم قد يكون زاد في المراتب
وتوسع فيها الفرق الثاني بين غناء العرب والافرنج انه اذا اجتمع من الافرنج
عشرة مغنين مثلا وارادوا انشادا فربما اخذ بعضهم في بعض اركانه من مقام
واخذ بعض في ركن اخر من مقام اخر وهكذا فاذا كانت الاغنية مثلا من ركن
غني واحد جزءا من هذا المقام بصوت اخشن واخر جزءا من النوع بصوت بين بين
واخر جزءا من الجواب بصوت عال فيسمعه السامع من جهات متعددة الثالث
ان غناء الافرنج مثل قراءتهم في انه يخلو عن حماسة وتهييج زيادة على
التحسينة والتشويق فاذا سمعه الجبان ولا سيما من الالات العسكرية طارت
عليه نفسه اما غناء العرب فكله تحسينة وتشويق والحزن فيه ان يكون جامعا

بمعاني الهوى. الرابع ان العرفج لا اذا ان لاصواتهم الا على المقام الاول الذي
هو الرصد مع ان الالحان تشتمل على جميع المقامات بل توجد جميعها ايضا انما هما
والرباعيات الا ان اصواتهم لا تغني الا على المقام الاول قال وقد سمعت منهم
بعض الاغاني نقلوها عن اغانينا واوقعوها على الحانهم فكانت كلها من الخامس
ان اصحاب الالحان من العرفج لا يحسنون اخراج انصاف النغم والارباع مما لم تكن موسوم
نغم في الالة التي تعارف بالرباب والكمنجة فان هذه الانصاف والارباع في النغم
مثل الاشمام والروم في الحركات وبالجملة فان للعرفج في هذا الفن حركات خارجة
عن قوانينا واخرى لا تمكن فيها كالتي بينها **قلت** وقد من كشف النقاب عن هذا الجا
فيه كفاية فالذي من الغريب انهم مع كثرة ما عندهم من الالات لهذا الفن وقد فاتهم
الفرد على كثرة محاسنه فعد على تفضيله كلامه وقد بقي علينا امر مهم وهو حكم السماع
في هذا الغناء واستعمال الاته والخلاف في ذلك شهير وان اردت ان تقف على
نصوص العلماء ومبارك ابن حزم في الغناء والسماع والرقص فعليك بكتابنا الموسوم
بنهج السنية فيه ما يكفي ويشفي واما المناسب هنا فلا ينبغي الا على ابيات
نظمها في ذلك شهاب الدين محمد بن اسماعيل وانشدها في سفينته ونقل الغرض
المحتاج اليه منها

فقم بنا يا صاح نحو المغاني ... واجل الهم وغن بالالحان
واشرب وكب برنة الملاهي ... ولا تكن عن صوتها بالساهي
هذا الغنا افتى بمنعه الامة ... وقد قرى اكابر الائمة
وهو على قاعدة من تحرير ... تجوز التمييز للتمييز
ثم ابن حزم وهو حبر عارف ... قد جوزت في قولها المعازف
وعنده قد حلت الاوتار ... والدف والطنبور والمزمار
كذلك الة زغت والربابة ... والناي والمزهر والشبابة
ولا جناح في الجناح عنده ... فاسمع لنا والكتب وتابع عنده

الراي فقال

جعلت كاسات النبيذ ماتي ... واشرب على ترنم الالات
وان تكن تابع الحجازي ... وقلت بالتحريم لا الجواز

وصرت

وحرمت بعده اخذا بالحزم ولم تكن لتتبع ابن حزم
فاجزم به وشنع الخلاف فيه واشرب وكن في العفو عنه كما وعا
ودع سفينة الذنوب فاجرها في بحر فضل الله عند اجرها

وقراءته بالعراق اين الامام ابو حنيفة رضي الله عنه ومن تبعه في النبيذ معروف وقراءته بالحجاز والامام مالك رضي الله عنه ومن يقول ان كل ما اسكر كثيره فقليله حرام كان من عظيم العتاب امره من غيره وعلى من تبع ابي حنيفة يحمل ما كان يفعل في مجالس الخلفاء من بني العباس من الشراب فانهم على مذهبه والله يتغمد الجميع برحمته آمين

اذا ابن بسام رد اعطا لشرا ✱ ردا الزعيم له بها عن فلس

الا عرف ابن بسام فاعل بفعل محذوف يفسره ما بعده من باب الاشتغال والاصل اذكر الكلام او الورقة اعطا ابن بسام لشرا الخ وجملة لشرا الخ جواب لو المقدرة والزعيم له مفعوله وبها يتعلق به والضمير للارجوزة

ذكر ابن بسام وخبرتها

هو ابو الحسن علي بن بسام الاندلسي الشنتريني الاديب المشهور وشنترين كرنبيل كورة من الكور الغربية بالاندلس من اعمال بطليوس وابن بسام هذا غير ابن بسام البغدادي الذي كان في دولة المتوكل العباسي فان ذلك قديم ومن اهل العراق وهذا الذي عناه الناظم حادث ومن اهل الاندلس وكان رحمه الله من مشاهير الادباء جدا ومن اهل التبريز في فني النظم والنثر الا ان شعره كان دون نثره ومن شعره يخاطب ابا بكر بن عبد العزيز

ابا بكر المجتبى للادب ربيع المحامد في ربع الحسب
أيلحن فيك الزمان الخؤون ويعرب عنك لسان العرب
وإن يك بكرا أفقنا واحدا فبيكم انا شمل هذا الادب

ومن شعره وقد زاركم روضة بشاذر وشنترين فاذا الروض قد كتبه ضباب يحتسي ان يعلم نديمه بالحال وتشكى ذلك عن الوصال فكتب اليه

ألا بادر فما ثان سوى ما عهدت الكاس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا تغص به الحديقة والمدام

فإن الرزء فليتسم السواري   نواحيه بمنحكة اللئام

ومدحه أبو بكر بن عبادة القزاز الوشاح المشهور بقوله ه

يا مقيما على السماك كبير مقام   حزت فضل السباق عن بسام

إن تجد مدحة فأنت زعيم   أو فتشبب فعروة بن حزام

أو فباكي مثير الهم فابن حجر   أو فتبكي الديار فابن خزام

أو تروم الزمان وهو حقيق   فأبو الطيب البعيد المرام

وابن خزام المذكور في هذا الشعر بالخاء والزاي المعجمتين شاعر قديم قيل من بكر بن وائل وقيل من جناب بن هبل وفيه يقول امرؤ القيس ه

عوجا على الطلل المحيل لعلنا   نبكي الديار كما بكى ابن خزام

والبيت مذكور معروف وكان ابن بسام ألف الذخيرة في سنة اثنتين وخمسمائة وكان السبب في تأليفه إياها أن الأديب الفاضل أبا محمد عبد الله هارون بن علي بن يحيى المنجم البغدادي كان قد ألف كتابه البارع في أخبار الشعراء المولدين واختار فيه من شعر كل واحد عيونه وهو من الكتب النفيسة فكان ذلك واسطة فريدة بين الأدباء وذلك في أواسط المائة الثالثة فجاء بعده الشيخ أبو منصور الثعالبي رأس المؤلفين وإمام المصنفين فنسج على منواله وألف كتابه الموسوم بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها وفيه يقول أبو الفتح نصر الله بن قلاقس الإسكندري ه

أبيات أشعار اليتيمة   أبكار أفكار قديمة

ماتوا وعاشت بعدهم   فلذاك سميت اليتيمة

فاشتهر هذا الكلام اشتهارا لا يماثله شيء وأولعت به الأدباء فمن ناسج على منواله ومن مذيل محاذ لمثاله فكان ممن نسج على منواله أبو الحسن بن بسام المذكور فألف كتاب الذخيرة الذي يقول في خطبته أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم رسله فإن ثمرة هذا الأدب العالي الرتب رسالة تنثر وترسل وأبيات تنظم وتفصل تنثال تلك انثيال القطار على صفحات الأزهار وتتصل هذه اتصال القلائد على نحور الخرائد وما زال في أفقنا هذا الأندلسي القصي إلى وقتنا هذا من فرسان الفنين وأئمة النوعين

قوم

فنوح بهم ما بهم طيب مكاسر وصفاء جواهر وعذوبة موارد ومصادر لعبوا
بأطراف الكلام المشقق لعب الدجنة بجفون المؤرق وحدوا بفنون السحر المنمق
حداء الأعشى ببنات المحلق فصبوا على قوالب النجوم غرائب المنثور والمنظوم
وباهوا غرر الضحى والأصائل بعجائب الأشعار والرسائل نثر لو رآه البديع
لنسي اسمه او اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه ونظم لو سمعه كثير ما نسب ولا
مدح او تتبعه جرول ما عوى ولا نبح الا ان اهل هذا الافق ابوا الا متابعة اهل
المشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق
بتلك الآفاق غراب او طن باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا
ذلك كتابا محكما واخبارهم الباهرة واشعارهم السائرة مرمى القصية
ومناخ الرذية لا يعمر بها جنان ولا خلد ولا يصرف فيها لسان ولا يد فغاظني
منهم ذلك وأنفت مما هنالك وأخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري
وتتبع محاسن اهل بلدي وعصري غيرة لهذا الافق الغريب ان تعود بدوره أهلة
وتصبح بحوره ثمادا مضمحلة مع كثرة أدبائه ووفور علمائه وقديما ضيعوا
العلم وأهله ورب محسن مات إحسانه قبله وليت شعري من قصر العلم على بعض
الزمان وخص اهل المشرق بالإحسان وقد كتبت لأرباب هذا الشان من اهل
الوقت والزمان محاسن تبهر الألباب وتسحر الشعراء والكتاب ولم اعرض لشيء
من اشعار الدولة المروانية ولا المدائح العامرية اذ كان ابن فرج الجياني قد
رأى رأيي في النصفة وذهب مذهبي من الانفة فأملى في محاسن اهل زمانه كتاب
الحدائق معارضا لكتاب الزهرة للاصبهاني فأضربت أنا عما ألف ولم اعرض
لشيء مما صنف ولا تعديت اهل عصري بما شاهدته بعمري أو لحقه اهل دهري إذ
كل مردد ثقيل وكل متكرر مليل السأم قال ابن عبد ذكره انه يسوقها بعد من
المشارقة مثل الشريف المرتضى والقاضي عبد الوهاب والوزير ابن المغربي وغيرهم
ما صورته وإنما ذكرت هؤلاء ائتساء بابي منصور في تأليفه المشهور المترجم
بيتيمة الدهر في محاسن اهل العصر هـ المقصود منه ولما أكمل كتاب الذخيرة
عشقته نفوس الفضلاء ووقعت اليه قلوب النبلاء حتى قال فيه ابو
عبد الله ابن ابي الخصال ان كتاب الذخيرة له منفرد بالابداع في مدة الملة الاخيرة

وممن نسج على منوال اليتيمة من أهل المغرب أمية بن أبي الصلت الأندلسي الداني
الشاعر المشهور فإنه صنف كتابا سماه بالحديقة على طريقة اليتيمة
وممن ذيل كتاب اليتيمة من أهل المشرق أبو الحسن الباخرزي ألف كتابا سماه
دمية القصر وعصرة أهل العصر ذيلا على اليتيمة وجمع فيه خلقا كثيرا وقد
وضع أبو الحسن علي بن زيد البيهقي على هذا الكتاب كتابا سماه وشاح الدمية وهو
كالذيل له وتلاه أبو المعالي الحظيري المعروف بدلال الكتب فألف زينة الدهر
ذيلا على دمية القصر ثم أيضا وجاء العماد الأصبهاني بعد هذا كله فألف
خريدة القصر وجريدة العصر وجعلها ذيلا على زينة الدهر وبالجملة فلا
زال الناس يؤلفون على هذا المنوال إلى اليوم يذكر الرجل منهم أدباء عصره
ومصره وشيوخ زمانه ومعاصريه فمنهم المجيد ومنهم المخطئ ومنهم النازل
ومنهم الموفي والله يجعلنا من أهل العلم وأهله ويبعدنا عن الجهل وشمله آمين
وقد تأخرت وفاة ابن بسام إلى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة بقرطبة ومضى عليه
من يوم تأليفه كتاب الذخيرة له أربعون سنة فكان يستطيع أن يضيف أخبار رجال
آخرين لا بد أن يعرف فيه قلت يكون حذف فيه والله الموفق

ولا أديب من قرى أندلس ** جرت بها أقلامه في طرس

الإعراب قوله ولا أديب مرفوع بالعطف على المعطوف أولا قوله فلو
رواية ابن جمعة كلام معناه النفي لأن ما بعد لو ممتنع بمعنى الكلام لم يجر
الأصمعي مثلها ولا الفتح ولا الموصلي ولا ابن بسام ثم عطف عليه قوله ولا أديب
وقوله من قرى أندلس وقوله جرت بها أقلامه في طرس خبره والطرس بكسر قال الأصمعي الصحيفة
التي يكتب فيها فارسي معرب والجمع طروس والأندلس فقد معروف كثير الترجمة
معتدل الهواء كثير الفواكه قليل الهوام فيها بلاد كثيرة الغرب فيها فحصا والأوسط
من جهة الجنوب ويتصل بالبر الكبير من جهة الشمال بقوله ثلاثون يوما وعرضه
عشرة أيام أو أكثر مسافة أربعون يوما أو أكثر وفيه من قواعد المدن نحو الثمانين ومن
المتوسطة أزيد من ثلاثمائة وفيه من القرى والحصون والبروج ما لا يحصى كثرة
حتى قيل إن عدد القرى التي على نهر إشبيلية اثنا عشر ألف قرية فلهذا قال الناظم
رحمه الله من قرى أندلس لتميزها عن غيرها مما من الله فكان من ذلك وكثير في معمور الأرض

فتح بحر المسلمين فيه ثلاث مدن وأربعة من بروجه بالأندلس ومن بركته أن
المسلمين أن ببستان منه في سنين وزيادة أهلا وحيثما سار من البلاد فيها يجد الفواكه
في الفلوات والثمار في الأودية وفي رؤوس الجبال كالتين والعنب والفواكه والحبوب
والثمرات وغير ذلك من ضروب الأطعمة افتتحها المسلمون سنة اثنتين وتسعين من
الهجرة في خلافة الوليد بن عبد الملك فأوطنوها وكثر بها أهل العلم والأدب وقويت
شوكة المسلمين بها إلى الغاية وكان العدو لا يقدر أن يطمع لهم في كراع الشاة بل
كان يعطيهم ويطلب السلم منهم مدة إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين واختلفت
كلمتهم وجعل بعضهم يوالي بعضا والعدو فيما بين ذلك ينتهز الفرصة من أطرافها
ويستولي عليها قرية قرية وحصنا حصنا حتى تم استيلاؤه على جميعها بأسر
غرناطة في حدود التسعمائة والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

(ومن كان يرجو من سواك وسيلة ۞ رجا من الغربة رشح العرق)

عرق الغربة كما في القاموس كناية عن الشدة والجهد والمشقة لأن الغربة إذا
عرفت خبث ريحها أو لأن الغربة لا تعرق فكأنه تجشم محالا أو عرق الغربة
منقعها كأنه تجشم حتى احتاج إلى عرق الغربة وشربها ثم قال ه والأشد أن المعنى
المناسب لكلام الناظم هنا التنازل وقال الناظم هذا اعتمادا على غلبة الظن
ومشاهدة حال الزمان وأهله من زهدهم في فضيلة العلم والأدب وكسلهم عن
التعلم عموما سيما العرب مع أنه لا نجد بدا في فهم الكتاب والسنة إلا بالتضلع من
ذلك والتحلي بما هنالك على أنه قد علا قدر الناظم في هذه الأرجوزة الفقيه
الأديب أبو عبد الله محمد بن الحاج بن محمد الأندلسي الرباطي بأرجوزة على
بحرها ورويها يقول في مطلعها

قسمت في الإدلاج كل غيهب ۞ براق ستشب بباب سملي
وجبت كل قائم سمهر ۞ منبر موسير واسع المنتشر

ويكفي فيها على هذا المنوال وأكثر فيها من الغريب وتعلق بمدح رسول الله صلى
الله عليه وسلم بما فيه الفضيلة من هذه الحيثية وارتفع عما أتى به الناظم من
فنون الأدب وتوابع الأمثال وبدائع الحكم والله تعالى يثيب الجميع بفضله آمين
وتمام التم به عند ختمها بمناقب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبتوسل إليه

والعنب

بنجديهما قوله

فإن قُبِلتُما إذ دعى بعليّة ⁂ لم يكسهما شعرُ أبي الشمقمق

وجرّ الزبرقانُ بكم مفتخرا ⁂ على جرير وعلى الفرزدق

ثم قال الناظم رحمه الله

(حففتهما بسورة النجم إذا ⁂ هوى من المنزل المشرق)

أقول كان للناظم رحمه الله حسدة يحسدونه على أدبه وتحليه. ويعترفون بمكانه من براعته ونبله. يدل على ذلك غير ما موضع من كلامه في هذه المنظومة فلا جرم وعدا ولا بد للحسدة أن ينكروا هذه التي برز فيها على الأقران وبذ فيها أبناء الزمان. فقلبوها وبعثروها. واستنكروا منها وغيروها. وجعلوا عاليها سافلها. وخارجها داخلها. حتى لا يكاد يوجد منها نسخة صحيحة لباغي البحث الشديد والجهد الجهيد. وقد وقفنا على هذا المعنى عند شرح هذا الكتاب ومع ذلك فقد تداركها الله تعالى بما ببركة الشروح التي حففناها بها. حتى عادت والحمد لله إلى نشأتها الأولى وشبابها. وفي كلام الناظم رضي الله عنه إشارة إلى أن هذه المنظومة منزلة سماء من السموات التي تتعلق بها الأطماع. ومنها ولا بد للحسدة شياطين يريدون أن يقعدوا منها مقاعد للاستماع. ففي الكلام استعارة مكنية تتبعها تخييلية وفيه أيضا الاقتباس والتلميح فتأمل والله أعلم

(فالحمد لله الذي هدى بها ⁂ أمن عثير فنتقي فوق)

(والحمد لله الذي جعلها ⁂ فوزي بغير الخاسر المتعلق)

ختم بالحمد لأنه آخر دعاء أهل الجنة وبه ختمت هذه المنظومة والكلام لها على هذا الوجه البديع وما احتوت عليه من العلوم من أجل النعم التي يجب حمد الله تعالى علينا بها وما جعلها يستوجب به جميل الذكر في الدنيا وجزيل الأجر في الأخرى. وقد حصل على الحنيا تيسر وما زيد الكراسير والإله بكسر الهمزة. والنيم جمع الكامل معروف والغزو وما يقع في الغير وفي الشراب معروف أيضا والمتعلق كمتلمس الضعيف الأحمق وباقيه واضح

(ثم الصلاة والسلام ما تغنت ⁂ أم هديل من فوق فنن مورق)

(على النبي وآله وصحبه ⁂ وتابعيهم من مضى ومن بقي)

أي من رؤية الحمامة في غصن على جنبيه وغنائها فيسمعها والعرب تجعل سجع
الحمام مرة غناء ومرة بكاء قال الشاعر ۞

أبكت تلكم الحمامة إذ غنت على فرع غصنها المياد

وسئل أبو الحسن بن سراج عن هذا المعنى فقال إنما تكون أصوات الحمام على قدر
أحوال المستمعين فإذا سمعها من يطرب ويشتكي سميت أصواتها غناء وإذا
سمعها من يغتم ويحزن سميت أصواتها بكاء ونظم هذا المعنى ابن قاضي ميلة فقال

لقد عرض الحمام لنا بسجع ۞ إذا أصغى له ركب تلاحى
شجى قلب الخلي فقال غنى ۞ وبرح بالشجي فقال ناحا

ومن أبدع ما قيل في هذا المعنى قول بعضهم ۞

نسب الناس للحمامة حزنا ۞ وأراها في الحزن ليست هنالك
خضبت كفها وطوقت الجيد ۞ وغنت وما الحزين كذلك

والكلام في الحمام وما يتعلق به كثير. وختم الناظم رحمه الله منظومته
بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه الواسطة العظمى
في كل خير وصل من الله إلينا لا سيما هذا الشرع الكريم وما يوصل إليه من العلوم
التي من جملتها هذه المنظومة وما اشتملت عليه ولا شك أن شكر الواسطة
واجب بالشرع اللهم اجز عنا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل ما هو
أهله وقد أحسن الناظم رحمه الله حيث استوعب ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم والآل والصحب والتابعين لهم بإحسان إلى الخاصين والتابعين في بيت واحد
وما هي بأول بلاغاته رحمه الله وبرد مضجعه والكلام في الحمد والصلاة
والآل والصحب كثير شهير فلنكتف بالذي ذكرنا ولنكن هذا آخر
ما نكتبه من هذا الشرح المبارك جعله الله خالصا لوجهه الكريم وسببا
نتوصل به إلى جنة النعيم ونسأله سبحانه أن لا يؤاخذنا بما تصنعنا فيه
لغيره أن خالطنا وتمنيه أو أن نكبنا لا فيه من مواقع نهيه وأن ينفع لنا
ولوالدينا ولشيوخنا ولكل من له حق علينا نفعا تاما كاملا شاملا
عامة آمين آمين آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وكان
الفراغ من تأليفه زوال يوم الجمعة السادس والعشرين من محرم الحرام فاتح سنة

ثلاثمائة وألف رزقنا الله خيرهما ووقانا ضيرهما والحمد لله أولا وآخرا
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم
الوكيل وكان الفراغ من استخراج هذه النسخة المباركة عشية
يوم الخميس عاشر محرم الحرام فاتح سنة ثلاث عشرة
وثلاثمائة وألف وقد زدت فيها زيادات
يسيرة . واسقطت منها بعض ما لم تدع
إليه ضرورة . وكل ذلك خفيف
فليكن العمل على هذه النسخة والله
يختم لنا ولأحبتنا
بالحسنى آمين
والحمد لله رب
العالمين
هـ

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

نحمدك يا من زينت حديقة الآداب . بزهر أفكار الألباب . وبينت
أسرار وضع بيان بشرح اللثام عن مخدرات مواقع الإعجاز والتبيان ونشكرك
على أن أجريت سلسبيل المعاني في رياض البيان والمعاني فأصبحت أفلاك
أهل الأدب تميد بما مر من أرواح اللطف من النسيم وأغصان الزهور من ماء
التسنيم **ونشهد** أنك أنت الله الفتاح الوهاب تمنح من تشاء ما تشاء بغير
حساب **ونشهد** أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبدك ورسولك أفصح
الخلائق وأفصح من بين الخطاب صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام
وصحابته الأعلام ما برزت نجائب الأقلام ونم عرف مسك اختتام
وختام **أما بعد** فإن علم الأدب من أفضل ما تسابقت في حلبته جياد
الفحول وتنافست من درره عقود العقول حتى أنها في المنزع الأصلي
حلبة المكارم ومن العلائق لتسيير اللسان بعد انحلال الحقائق وأن من

أبدع أنفسها من التي كادت أن لا تخفى لغير ما في البلاغة بغية قصيدة أديب
عصره أبي العباس أحمد بن الونان الموسومة بالشمقمقية فهي اليتيمة العصماء
في فن الأدب ومن العقيلة الغراء من بنات أفكار العرب جمعت من فنون الآداب
كل المفاخر فصارت طرفة مجموعة من جميع المآثر وقد كان أحقها وأجدرها
بشرح يشرح إشاراتها ويفتح مغلقها تماما ويفصل مجملها ويبين مهملها
وقد كنت عثرت لها على شرح جميل للعلامة المشارك أبي عبد الله محمد الحاج بن
السلاوي وهو لعمري درة يتيمة في العقيلة المنهل الصافي والفهم الجامع الخالي
غير أنه لم يسلم من التطويل في الفنون الأجنبية وإن كان يشفي الغليل في الفنون
الأدبية مع عدم تعرضه في الشرح على بيان النكات التي هي مقتضيات علم
المعاني ومن الأساس عند البلغاء في التراكيب والمباني على أن الشرح المذكور
أعزت من غراب وأعز من مخ الذباب فلذلك لما نشرتها الله ووفقت بالشيخ
الضنين بجادته حتى تحققني بالاطلاع عليه بعض أعيان رجال أعيان من أهل
الفهوم ممن حوى بصدره خزائن الخير السامي ذخائر العلوم جزاه الله عني خيرا
وأناله مثوبة وأجرا وإلا فقد من الله علي الوجود بالشرح العجيب الصنيع
البديع الترصيع والترصيع المسمى بزهر الأفنان من حديقة ابن الونان
للعلامة الأوحد الفهامة الأمجد المشارك النقادة ذي العلوم الغالية
الوقادة أبي العباس سيدي أحمد بن خالد الناصري السلاوي أبقى الله به الانتفاع
وزاده من الشفوف والارتفاع فجاء بشرح جامع لفنون الأدب مع التوفية
بجل المقام مما هو غاية المتمني والأرب فما شئت من بيان لغة بعذوبة الشرح
تمام وبيان مما يسلمه النحويون والجهابذة العبيد وزيادة وما أوردت من إعراب
عن تعقيبه في فن العربية جليل مما يسر به سيبويه ويستحسنه الخليل وما رمت
في أوضاع غريبة من حسن التصريف مما يفي معاذ بن مسلم الهراء بأنه غاية القصد
ونهاية التشبيه والتعريف وما حاولت في فن البيان والمعاني مما تقر به عيني
عبد القاهر الجرجاني وما فهرتها من تلميح إلى فن البديع مما يقول فيه ابن المعتز
إنه استنباطهم بديع فإن استطلعت على بعض الأخبار مما تضمنته إشارة النظم
من الأمثال والأشعار فاستمع السمع والفؤاد لتمكن مما أملت بالمراد نسمح

ان تشوفت للمعنى وتشوفت للمغنى. يغني كشفه بافصح عبارة وابدع اشارة
يفيد اذا وابدا المعاني اوانس ووحش كظباء الفواير كوانس فلله در مؤلفه
ما اوسع باعه وابدع اطلاعه وما احسن نظمه واسنى نثره اسنى الحرير
والحرير بتنقيحه على كنوز التحرير والكل فالفضل للمتقدم لذكر الثنا اوفى
عند النافر البصير ولما طلع هذا الشرح بدرا في سماء المعالي ونطع غرة
في جبين الايام والليالي واذاعت اشراقه ديار الطبع واطلعت اقماره
سماء النفع قلت في تاريخ كماله وانتهاء اقباله فقال مؤرخ للشعر
عن الادب العالي المزين بالنظم والكلم ٥

بغريب وبحر لا بث معاني   مثل نورالث بشاير بالتهاني
لم تراه في البلد في لطف شكل   مع وضوح وعمقه اذ معاني
في رياض مخضلة جنة الفن   دوس ينبع عوارض الاحزان
قد تبدت بدايع النظم فيه   وتدلت ثماره كالجمان
وبغني الطيور فوق على الغصن   في بغداد باطيب الالحان
لا ولا ذكر طوالع من طلوع   قد تبدت في برج هذه الافنان
يا لها نفحة لقد هب فيها   عرف مسك عبيرها احياني
فسلام خاص بما عندنا يا الـــشكر والعبير والهنا والغيان
غير بدع ومن سلا شاد شاد الـــسبق منها براوح في اذاني
لم يزل يغترف مما الحبوه قنيعا   من بحار الطف متحققا بالتقان
موردا زبا لعلم تزري فريدا   وحديثا زها فتنا العقبان
مثل نفحة شرفنا من جماعة   كطالب منها حديقة الرضوان
غير بحر ومنبع العلم منها   من سما في النهى جواد الجنان
احمد بن ناصر من قد سما   وسماء العلوم دون تواني
علم العلم صاحب الفهم عن الـــعلماء واوحد الاعيان
لم ازل او بلوغ اقصى مرامي   فيه حلو ومنعة اعياني
ليت كل الاعضاء مني لسان   كي نوفي مديح شرح سباني
هذه الشرح الاثار جميعا   شكرت منه شا من الاحسان

يا أيها شارحا الفن شرح الهمز ... ز بشرح فزت فائزا بالاتقان
لو رأى صنعه ابن دينار نادى ... يا سميي اغربت عن اقراني
نزل الغيث في بلاده وسقى ... بلاد تموا كمل الى اذان
وادخر كنزه وكن تسل عنه ... بتراه فزحل كل فكان
واتى طبعه البديع تساموا ... همم من شميم ذكر وشان
فبدا طبعه بالطبع شكل ... وطبع بدووي الاعيان
قلت لما تكامل الطبع منه ... فواصف بمنشئه القتان
ارخوا ختم طبعه دون بيني ... تم طبع لزهرة الافنان

213 642 ·81 440 62

قال راقمه عبد ربه احمد بن المأمون البلغيثي كان الله له هذا التاريخ يفهم من عدم ما شيد وبيانه ان عدد قولي تم طبع 376 اذا اخرجنا منه عدد بيني وهو 62 بقولي دون بيني بقي 314 ا. وهو المراد والله اعلم

فهرسة الجزء الثاني من هذا الكتاب المبارك

انتهت النسخة المباركة بحمد الله وعونه وكان تمام الطبع في رابع جمادى الاولى عام اربعة عشر وثلاثمائة والف والحمد لله رب العالمين

32